

الفطنة

الآيات	الأحاديث	الآثار
—	١٨	١١

الفطنة لغة :

مَصْدَرُ فِطْنٍ لِلشَّيْءِ يَفْطِنُ فِطْنَةً وَفَطَانَةً، قَالَ
ابْنُ فَارِسٍ : الْفَاءُ وَالطَّاءُ وَالنُّونُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى
ذِكَاٍ وَعِلْمٍ بِشَيْءٍ ، يُقَالُ رَجُلٌ فِطْنٌ وَفَطِنٌ (إِذَا كَانَ
ذَا فِطْنَةً ، يُقَالُ : فَطَنْتُ لِلشَّيْءِ وَفَطِنْتُ لَهُ ، وَقَالَ ابْنُ
مَنْظُورٍ : الْفِطْنَةُ : كَالْفَهْمِ . وَالْفِطْنَةُ : الْحِذْقُ وَالْفَهْمُ ،
وَقَدْ تُفَسَّرُ بِجَوْدَةِ تَهَيُّؤِ النَّفْسِ لِتَصَوُّرِ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا مِنْ
الْغَيْرِ وَهِيَ : ضِدُّ الْغَبَاوَةِ . وَرَجُلٌ فِطْنٌ يَبِينُ الْفِطْنَةَ
وَالْفُطْنَ . وَقَدْ فَطَنَ لِهَذَا الْأَمْرِ - بِالْفَتْحِ - يَفْطِنُ فِطْنَةً .
وَقَدْ فَطِنَ (بِالْكَسْرِ) فِطْنَةً وَفَطَانَةً وَفَطَانِيَةً وَالْجَمْعُ
فُطْنٌ ، وَالْأُنْثَى فِطْنَةٌ . وَفَطِنَ - بِالضَّمِّ - إِذَا صَارَتْ
الْفَطَانَةُ سَجِيَّةً لَهُ . وَأَمَّا الْفُطْنُ فَذُو فِطْنَةٍ لِلْأَشْيَاءِ .
وَفِطْنُهُ لِهَذَا الْأَمْرِ تَفْطِينًا : فَهْمُهُ ، وَيَتَعَدَّى بِالتَّضْعِيفِ
فَيُقَالُ : فِطْنْتُهُ لِلْأَمْرِ . وَفِي الْمَثَلِ : لَا يُفْطِنُ الْقَارَةَ
- أَنْثَى الدَّبَبَةِ - إِلَّا الْحِجَارَةُ . وَفَاطَنُهُ فِي الْحَدِيثِ
رَاجَعُهُ . قَالَ الرَّاعِي :

إِذَا فَاطَنْتَنَا فِي الْحَدِيثِ تَهَرَّهَزَتْ

إِلَيْهَا قُلُوبٌ ، دُونَهُنَّ الْجَوَانِحُ ^(١)

واصطلاحاً :

هِيَ قُوَّةٌ لِلنَّفْسِ تَشْمَلُ الْحَوَاسَّ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ
مُعَدَّةً لِكِتْسَابِ الْعُلُومِ .
وَقِيلَ : هِيَ الْاِسْتِعْدَادُ التَّامُّ لِادْرَاكِ الْعُلُومِ
وَالْمَعَارِفِ بِالْفِكْرِ .
وَقَالَ الْكُفَوِيُّ : هِيَ التَّنَبُّهُ لِلشَّيْءِ الَّذِي يُقْصَدُ
مَعْرِفَتُهُ ^(٢) .

الفرق بين الفهم والفطنة والفقہ :

قَالَ الْكُفَوِيُّ : الْفَهْمُ : هُوَ التَّعَلُّقُ غَالِبًا بِلَفْظٍ
مِنْ مُحَاطَبِكَ ، وَالْفِقْهُ : هُوَ الْعِلْمُ بِغَرَضِ الْمُخَاطَبِ مِنْ
خِطَابِهِ ، وَالْفِطْنَةُ : هِيَ التَّنَبُّهُ لِلشَّيْءِ الَّذِي يُقْصَدُ
مَعْرِفَتُهُ ^(٣) .

[للاستزادة: انظر صفات: الحكمة - الإسلام -

الإيمان - العلم - الفقه - التقوى - البصيرة - النظر
والتبصر - التبين (التثبت).

وفي ضد ذلك: انظر صفات: البلادة والغباء -

الحمق - السفاهة - الغفلة - الإعراض - الجهل -
الطيش].

(٢) التعريفات للجرجاني (١٠٨)، والكلبيات للکفوي (٦٧)

(٣) ذكر الکفوي ذلك ضمن حديثه عن مراتب وصول العلم
إلى النفس. انظر: الكلبيات (٦٧).

(١) لسان العرب (٣٢٣/١٣-٣٢٤)، والمصباح المنير (٢/

١٣٣)، والصحاح (٦/٧٧/٢١). ومقاييس اللغة لابن
فارس (٥١١/٤).

الأحاديث الواردة في «الفطنة»

١ - * (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ، فَقَالَ: «صَلِّ رَكْعَتَيْنِ». ثُمَّ جَاءَ الْجُمُعَةَ الثَّانِيَةَ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ فَقَالَ: «صَلِّ رَكْعَتَيْنِ». ثُمَّ جَاءَ الْجُمُعَةَ الثَّالِثَةَ. فَقَالَ: «صَلِّ رَكْعَتَيْنِ». ثُمَّ قَالَ: «تَصَدَّقُوا». فَتَصَدَّقُوا فَأَعْطَاهُ ثَوْبَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: «تَصَدَّقُوا». فَطَرَحَ أَحَدُ ثَوْبَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى هَذَا إِنَّهُ دَخَلَ الْمَسْجِدَ بِهَيْئَةِ بَذَّةٍ، فَرَجَحُوا أَنْ تَفْطِنُوا لَهُ فَتَصَدَّقُوا عَلَيْهِ، فَلَمْ تَفْعَلُوا فَقُلْتُ: تَصَدَّقُوا فَتَصَدَّقْتُمْ فَأَعْطَيْتُهُ ثَوْبَيْنِ، ثُمَّ قُلْتُ تَصَدَّقُوا فَطَرَحَ أَحَدُ ثَوْبَيْهِ، خُذْ ثَوْبَكَ «وَانْتَهَرَهُ»*)^(١).

٢ - * (عَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ النَّاسُ: إِنَّمَا انْكَسَفَتْ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ. فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَصَلَّى بِالنَّاسِ سِتَّ رَكَعَاتٍ بِأَرْبَعِ سَجَدَاتٍ. بَدَأَ فَكَبَّرَ. ثُمَّ قَرَأَ فَأَطَالَ الْقِرَاءَةَ. ثُمَّ رَكَعَ نَحْوًا مِمَّا قَامَ. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، فَقَرَأَ قِرَاءَةً دُونَ الْقِرَاءَةِ الْأُولَى. ثُمَّ رَكَعَ نَحْوًا مِمَّا قَامَ. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فَقَرَأَ قِرَاءَةً دُونَ الْقِرَاءَةِ

الثَّانِيَةِ. ثُمَّ رَكَعَ نَحْوًا مِمَّا قَامَ. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ. ثُمَّ انْحَدَرَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ. ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ أَيْضًا ثَلَاثَ رَكَعَاتٍ. لَيْسَ فِيهَا رَكْعَةٌ إِلَّا الَّتِي قَبْلَهَا أَطْوَلُ مِنَ الَّتِي بَعْدَهَا. وَرُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ سُجُودِهِ. ثُمَّ تَأَخَّرَ، وَتَأَخَّرَتِ الصُّفُوفُ خَلْفَهُ. حَتَّى انْتَهَيْنَا. (وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ^(٢): حَتَّى انْتَهَى إِلَى النِّسَاءِ) ثُمَّ تَقَدَّمَ، وَتَقَدَّمَ النَّاسُ مَعَهُ. حَتَّى قَامَ فِي مَقَامِهِ. فَانْصَرَفَ حِينَ انْصَرَفَ، وَقَدْ أَضَتْ الشَّمْسُ^(٣). فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ. وَإِنَّهُمَا لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ (وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لِمَوْتِ بَشَرٍ) فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَصَلُّوا حَتَّى تَنْجَلِيَ. مَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ. لَقَدْ جِئَءَ بِالنَّارِ. وَذَلِكَمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ لَفْحِهَا^(٤). وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمِحْجَنِ يَجْرُ قُضْبَهُ^(٥) فِي النَّارِ كَانَ يَسْرِقُ الْحَاجَّ بِمِحْجَنِهِ^(٦). فَإِنْ فُطِنَ لَهُ قَالَ: إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِي. وَإِنْ غُفِلَ عَنْهُ ذَهَبَ بِهِ. وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَةَ الْهَرَّةِ الَّتِي رَبَطْتُهَا فَلَمْ تُطْعَمْهَا. وَلَمْ تَدْعُهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ. حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا. ثُمَّ جِئَءَ بِالْجَنَّةِ.

قوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ (المؤمنون/ ١٠٤). أي يضربها لهبها. والنفح دون اللفح. قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ مَسَّتُهُمْ نَفْحَةً مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ (الأنبياء/ ٤٦) أي أدنى شيء منه.

(٥) الْقُضْبُ بِالضَّمِّ: الْمَعَى، وَقِيلَ اسْمٌ لِلْأَمْعَاءِ كُلِّهَا وَجَمْعُهُ أَقْصَابُ.

(٦) بِمِحْجَنِهِ: الْمِحْجَنُ عَصَا مَعْقِفَةِ الطَّرَفِ.

(١) النسائي (٦٣/٥) واللفظ له، باب إذا تصدق وهو محتاج إليه. وأبو داود (١٦٧٥) وقال الألباني (١٤٦٩): حسن. وأحمد (٢٥/٣).

(٢) هو أبو بكر بن أبي شيبة راوي الحديث.

(٣) وقد أضت الشمس: ومعناه رجعت إلى حالها الأول قبل الكسوف. وهو من أض يئض، إذا رجع. ومنه قولهم: أيضا. وهو مصدر منه.

(٤) مخافة أن يصيبني من لفحها: أي من ضرب لهبها • ومنه

وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَقَدَّمْتُ حَتَّى قُمْتُ فِي مَقَامِي .
وَلَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتَنَاوَلَ مِنْ ثَمَرِهَا لِتَنْظُرُوا
إِلَيْهِ . ثُمَّ بَدَأَ لِي أَنْ لَا أَفْعَلَ . فَمَا مِنْ شَيْءٍ تُوعِدُونَهُ إِلَّا
قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ» * (١) .

٣ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -
قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنَاءً بَيْنَهُ بِمَكَّةَ جَالِسٌ ، إِذْ مَرَّ
بِهِ عُثْمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ ، فَكَشَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ
لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا تَجْلِسُ ؟» . قَالَ: بَلَى ، قَالَ:
فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَقْبِلَهُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُحَدِّثُهُ إِذْ
شَخَصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، فَنَظَرَ سَاعَةً
إِلَى السَّمَاءِ ، فَأَخَذَ يَضَعُ بَصَرَهُ حَتَّى وَضَعَهُ عَلَى يَمِينِهِ
فِي الْأَرْضِ ، فَتَحَرَّفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ جَلِيسِهِ عُثْمَانَ
إِلَى حَيْثُ وَضَعَ بَصَرَهُ ، وَأَخَذَ يُنْغِضُ (٢) رَأْسَهُ كَأَنَّهُ
يَسْتَفْقِهِ مَا يَقَالُ لَهُ ، وَابْنُ مَطْعُونٍ يَنْظُرُ ، فَلَمَّا قَضَى
حَاجَتَهُ وَاسْتَفْقَهُ مَا يَقَالُ لَهُ ، شَخَصَ بَصَرُ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ إِلَى السَّمَاءِ كَمَا شَخَصَ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَاتَّبَعَهُ بَصَرُهُ حَتَّى
تَوَارَى فِي السَّمَاءِ ، فَأَقْبَلَ إِلَى عُثْمَانَ بِجِلْسَتِهِ الْأُولَى ،
قَالَ: يَا مُحَمَّدُ ، فِيمَ كُنْتَ أَجَالِسُكَ وَآتِيكَ ؟ مَا رَأَيْتُكَ
تَفْعَلُ كَفِعْلِكَ الْغَدَاةَ . قَالَ: «وَمَا رَأَيْتَنِي فَعَلْتُ ؟» . قَالَ:
رَأَيْتُكَ تَشَخَصُ بِبَصَرِكَ إِلَى السَّمَاءِ ، ثُمَّ وَضَعْتَهُ حَيْثُ
وَضَعْتَهُ عَلَى يَمِينِكَ ، فَتَحَرَّفْتَ إِلَيْهِ ، وَتَرَكْتَنِي ، فَأَخَذْتَ
تُنْغِضُ رَأْسَكَ كَأَنَّكَ تَسْتَفْقُهُ شَيْئًا يُقَالُ لَكَ ،

قَالَ: «وَفَطِنْتَ لِمَا ذَاكَ ؟» . قَالَ عُثْمَانُ: نَعَمْ ، قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: «أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷻ أَنَا وَأَنْتَ جَالِسٌ» ، قَالَ:
رَسُولُ اللَّهِ ﷻ ؟ . قَالَ: «نَعَمْ» ، قَالَ: فَمَا قَالَ لَكَ ؟
قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي
الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل / ٩٠) قَالَ عُثْمَانُ: فَذَلِكَ
حِينَ اسْتَقَرَّ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِي وَأُحْبِبْتُ مُحَمَّدًا * (٣) .

٤ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى
النَّاسِ تَرُدُّهُ الْقُمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ،
وَلَكِنَّ الْمِسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ ، وَلَا يُفْطِنُ لَهُ
فَيَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ» * (٤) .

٥ - * (عَنْ صُهَيْبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ هَمَسَ ، وَالْهَمْسُ فِي
بَعْضِ قَوْلِهِمْ: تَحَرُّكَ شَفْتَيْهِ كَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ يَا
رَسُولَ اللَّهِ إِذَا صَلَّيْتَ الْعَصْرَ هَمَسْتَ . قَالَ: إِنَّ نَبِيًّا مِنَ
الْأَنْبِيَاءِ كَانَ أُعْجِبَ بِأَمْتِهِ ، فَقَالَ: مَنْ يَقُومُ لَهُوْلَاءِ ؟
فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ خَيْرُهُمْ بَيْنَ أَنْ أَنْتَقِمَ مِنْهُمْ ، وَبَيْنَ أَنْ
أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ ، فَاخْتَارَ النِّقْمَةَ ، فَسَلَّطَ عَلَيْهِمُ
الْمَوْتَ ، فَمَاتَ مِنْهُمْ فِي يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا . قَالَ: وَكَانَ إِذَا
حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْآخَرِ .
قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ مِنَ الْمُلُوكِ وَكَانَ لِذَلِكَ الْمَلِكِ

(٣) أحمد (٣١٨/١) وقال الشيخ أحمد شاكر (٣٢٩/٤):

إسناده صحيح. واللفظ من هذا الموضع.

(٤) البخاري - الفتح ٣ (١٤٧٩) واللفظ له. ومسلم (١٠٣٩).

(١) مسلم (٩٠٤) واللفظ له. وللبخاري نحوه ٢ (١٠٤٦) من

حديث عائشة - رضي الله عنها -.

(٢) نَغَضَ رَأْسَهُ إِذَا تَحَرَّكَ ، وَأَنْغَضَهُ إِذَا حَرَكَهُ ، وَقَدْ يَنْغِضُ رَأْسَهُ

كَأَنَّهُ يَسْتَفْقُهُ مَا يَقَالُ لَهُ . لِسَانُ الْعَرَبِ مَادَّةُ نَغَضَ .

كَاهِنٌ يَكْهَنُ لَهُ، فَقَالَ الْكَاهِنُ: انْظُرُوا لِي غُلَامًا فَهِيَ أَوْ
 قَالَ: فَطِنًا لَقِنَا فَأَعْلِمَهُ عِلْمِي هَذَا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ
 أَمُوتَ فَيَنْقَطِعَ مِنْكُمْ هَذَا الْعِلْمُ وَلَا يَكُونَ فِيكُمْ مَنْ
 يَعْلَمُهُ. قَالَ: فَنَظَرُوا لَهُ عَلَى مَا وَصَفَ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَحْضُرَ
 ذَلِكَ الْكَاهِنَ، وَأَنْ يَخْتَلِفَ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ
 وَكَانَ عَلَى طَرِيقِ الْغُلَامِ رَاهِبٌ فِي صَوْمَعَةٍ - قَالَ مَعْمَرٌ:
 أَحْسِبُ أَنَّ أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ كَانُوا يَوْمِئِذٍ مُسْلِمِينَ -
 قَالَ: فَجَعَلَ الْغُلَامُ يَسْأَلُ ذَلِكَ الرَّاهِبَ كُلَّمَا مَرَّ بِهِ،
 فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَخْبَرَهُ، فَقَالَ: إِنَّمَا أَعْبُدُ اللَّهَ. قَالَ:
 فَجَعَلَ الْغُلَامُ يَمْكُثُ عِنْدَ الرَّاهِبِ وَيُطِئُ عَلَى
 الْكَاهِنِ، فَأَرْسَلَ الْكَاهِنُ إِلَى أَهْلِ الْغُلَامِ أَنَّهُ لَا يَكَادُ
 يَحْضُرُنِي، فَأَخْبَرَ الْغُلَامُ الرَّاهِبَ بِذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ
 الرَّاهِبُ: إِذَا قَالَ لَكَ الْكَاهِنُ أَيْنَ كُنْتَ؟ فَقُلْ عِنْدَ
 أَهْلِي، وَإِذَا قَالَ لَكَ أَهْلُكَ أَيْنَ كُنْتَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّكَ
 كُنْتَ عِنْدَ الْكَاهِنِ. قَالَ: فَبَيْنَمَا الْغُلَامُ عَلَى ذَلِكَ إِذْ مَرَّ
 بِجَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ كَثِيرٍ قَدْ حَبَسَهُمْ دَابَّةٌ، فَقَالَ
 بَعْضُهُمْ: إِنَّ تِلْكَ الدَّابَّةَ أَسَدٌ. قَالَ: فَأَخَذَ الْغُلَامُ
 حَجَرًا قَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ الرَّاهِبُ حَقًّا
 فَأَسْأَلُكَ أَنْ أَقْتُلَهَا. قَالَ: ثُمَّ رَمَى فَقَتَلَ الدَّابَّةَ. فَقَالَ
 النَّاسُ: مَنْ قَتَلَهَا؟ قَالُوا: الْغُلَامُ، فَفَزِعَ النَّاسُ وَقَالُوا:
 لَقَدْ عَلِمَ هَذَا الْغُلَامُ عِلْمًا لَمْ يَعْلَمْهُ أَحَدٌ. قَالَ: فَسَمِعَ بِهِ
 أَعْمَى، فَقَالَ لَهُ: إِنْ أَنْتَ رَدَدْتَ بَصْرِي فَلَكَ كَذَا وَكَذَا.
 قَالَ لَهُ: لَا أُرِيدُ مِنْكَ هَذَا، وَلَكِنْ أَرَأَيْتَ إِنْ رَجَعَ إِلَيْكَ
 بَصْرُكَ أَتُؤْمِنُ بِالَّذِي يُرَدُّهُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ:
 فَدَعَا اللَّهَ فَرَدَّ عَلَيْهِ بَصْرَهُ. فَأَمَّنَ الْأَعْمَى، فَبَلَغَ الْمَلِكَ

أَمْرَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ، فَأَتَى بِهِمْ، فَقَالَ: لَأَقْتُلَنَّ كُلَّ
 وَاحِدٍ مِنْكُمْ قِتْلَةً لَا أَقْتُلُ بِهَا صَاحِبَهُ، فَأَمَرَ بِالرَّاهِبِ
 وَالرَّجُلِ الَّذِي كَانَ أَعْمَى، فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ عَلَى مَفْرِقِ
 أَحَدِهِمَا فَقَتَلَهُ وَقَتَلَ الْآخَرَ بِقِتْلَةٍ أُخْرَى. ثُمَّ أَمَرَ بِالْغُلَامِ،
 فَقَالَ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا فَالْقُوهُ مِنْ رَأْسِهِ،
 فَانْطَلِقُوا بِهِ إِلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ، فَلَمَّا انْتَهَوْا بِهِ إِلَى ذَلِكَ
 الْمَكَانِ الَّذِي أَرَادُوا أَنْ يُلْقُوهُ مِنْهُ جَعَلُوا يَتَهَافَتُونَ مِنْ
 ذَلِكَ الْجَبَلِ وَيَتَرَدَّدُونَ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا الْغُلَامُ.
 قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ، فَأَمَرَ بِهِ الْمَلِكُ أَنْ يَنْطَلِقُوا بِهِ إِلَى الْبَحْرِ
 فَيُلْقُوهُ فِيهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى الْبَحْرِ، فَغَرَّقَ اللَّهُ الَّذِينَ
 كَانُوا مَعَهُ وَأَنْجَاهُ، فَقَالَ الْغُلَامُ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَا تَقْتُلُنِي
 حَتَّى تَصْلُبَنِي وَتَرْمِيَنِي وَتَقُولَ إِذَا رَمَيْتَنِي: بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ
 هَذَا الْغُلَامِ. قَالَ: فَأَمَرَ بِهِ فَصُلِبَ ثُمَّ رَمَاهُ، فَقَالَ:
 بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ هَذَا الْغُلَامِ. قَالَ: فَوَضَعَ الْغُلَامُ يَدَهُ عَلَى
 صُدْغِهِ حِينَ رُمِيَ ثُمَّ مَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: لَقَدْ عَلِمَ هَذَا
 الْغُلَامُ عِلْمًا مَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ، فَإِنَّا نُوْمِنُ بِرَبِّ هَذَا الْغُلَامِ.
 قَالَ: فَقِيلَ لِلْمَلِكِ أَجْزَعْتَ أَنْ خَالَفَكَ ثَلَاثَةً، فَهَذَا
 الْعَالَمُ كُلُّهُمْ قَدْ خَالَفُوكَ. قَالَ: فَخَذَّ أَخْذُودًا ثُمَّ أَلْقَى
 فِيهَا الْحَطَبَ وَالنَّارَ، ثُمَّ جَمَعَ النَّاسَ. فَقَالَ: مَنْ رَجَعَ
 عَنْ دِينِهِ تَرَكْنَاهُ، وَمَنْ لَمْ يَرْجِعْ أَلْقَيْنَاهُ فِي هَذِهِ النَّارِ،
 فَجَعَلَ يُلْقِيهِمْ فِي تِلْكَ الْأَخْذُودِ. قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ
 تَعَالَى: ﴿قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾
 (البروج / ٤ - ٥) حَتَّى بَلَغَ ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (البروج /
 ٨) قَالَ: فَأَمَّا الْغُلَامُ فَإِنَّهُ دُفِنَ، فَيَذْكُرُ أَنَّهُ أُخْرِجَ فِي
 زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَأُصْبِعُهُ عَلَى صُدْغِهِ كَمَا وَضَعَهَا

حِينَ قُتِلَ) * (١).

٦ - * (عَنْ صُهَيْبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ هَمَسَ شَيْئًا لَا أَفْهَمُهُ وَلَا يُخْبِرُنَا بِهِ قَالَ: «أَفْطِنْتُمْ لِي؟». قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: «إِنِّي ذَكَرْتُ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أُعْطِيَ جُنُودًا مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ مَنْ يُكَافِي هَؤُلَاءِ؟ أَوْ مَنْ يَقُومُ لَهُؤُلَاءِ؟ أَوْ غَيْرَهَا مِنْ الْكَلَامِ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ اخْتَرِ لِقَوْمِكَ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ نُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، أَوِ الْجُوعَ أَوْ الْمَوْتَ. فَاسْتَشَارَ قَوْمَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالُوا: أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ فَكُلُّ ذَلِكَ إِلَيْكَ، خِرْ لَنَا، فَقَامَ إِلَى الصَّلَاةِ كَانُوا إِذَا فَزِعُوا فَزِعُوا إِلَى الصَّلَاةِ فَصَلَّى مَا شَاءَ اللَّهُ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ: أَيُّ رَبِّ أَمَّا عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ فَلَا، أَوِ الْجُوعُ فَلَا، وَلَكِنَّ الْمَوْتَ، فَسَلِّطَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ فَمَاتَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا، فَهَمْسِي الَّذِي تَرَوْنَ أَنِّي أَقُولُ: اللَّهُمَّ بِكَ أَقَاتِلْ

وَبِكَ أَصَاوِلُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) * (٢).

٧ - * (عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي فِي رَمَضَانَ. فَجِئْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ. وَجَاءَ رَجُلٌ آخِرُ فَقَامَ أَيْضًا. حَتَّى كُنَّا رَهْطًا (٣). فَلَمَّا حَسَّ (٤) النَّبِيُّ ﷺ أَنَّا خَلْفُهُ، جَعَلَ يَتَجَوَّزُ (٥) فِي الصَّلَاةِ. ثُمَّ دَخَلَ رَحْلَهُ (٦) فَصَلَّى صَلَاةً لَا يُصَلِّيَهَا عِنْدَنَا. قَالَ: قُلْنَا لَهُ، حِينَ أَصْبَحْنَا: أَفْطِنْتَ لَنَا اللَّيْلَةَ؟ قَالَ: فَقَالَ: «نَعَمْ. ذَاكَ الَّذِي حَمَلَنِي عَلَى الَّذِي صَنَعْتُ». قَالَ: فَأَخَذَ يُوَاصِلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَذَاكَ فِي آخِرِ الشَّهْرِ. فَأَخَذَ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يُوَاصِلُونَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا بَالُ رِجَالٍ يُوَاصِلُونَ، إِنَّكُمْ لَسْتُمْ مِثْلِي. أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ تَمَادَّدَ لِي الشَّهْرُ (٧) لَوَاصِلْتُ وَصَالًا يَدْعُ الْمُتَعَمِّقُونَ تَعَمُّقَهُمْ (٨)» * (٩).

(٥) يتجوز: أي يخفف ويقتصر على الجائز المجزئ، مع بعض المندوبات. والتجوز هنا للمصلحة.

(٦) حتى دخل رحله: أي منزله. قال الأزهري: رحل الرجل، عند العرب، هو منزله سواء كان من حجر أو مدر أو وبر أو شعر، أو غيرها.

(٧) لو تمارد لي الشهر: هكذا هو في معظم الأصول. وفي بعضها: تمارد. وكلاهما صحيح. وهو بمعنى مد، في الرواية الأولى.

(٨) يدع المتعمقون تعمقهم: الجملة صفة لواصل. ومعنى يدع: يترك.. والتعمق المبالغة في الأمر متشدداً فيه طالباً أقصى غايته.

(٩) مسلم (١١٠٤)، والبخاري (٢٠١٢) نحوه من حديث عائشة - رضي الله عنها -.

(١) الترمذي (٣٣٤٠) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن غريب. والجزء الثاني منه (حديث الغلام والساحر) هو عند مسلم (٣٠٠٥) والجزء الأول منه عند أحمد (١٦/٦).

(٢) أحمد (١٦/٦) واللفظ له. والترمذي (٣٠٦٥، ٣٠٦٦) مختصراً وقال في الثاني: حديث حسن غريب.

(٣) رهطاً: قال ابن الأثير في النهاية: الرهط من الرجال ما دون العشرة. وقيل: إلى الأربعين. ولا تكون فيهم امرأة. ولا واحد له من لفظه. ويجمع على أرهط وأرهاط وجمع الجمع أراهط.

(٤) فلما حس: هكذا هو في جميع النسخ: حس بغير ألف. ويقع في طرق بعض النسخ، نسخة أحس، بالألف وهذا هو الفصح الذي جاء به القرآن. وأما حس، بحذف الألف، فلغة قليلة. وهذه الرواية تصح على هذه اللغة.

الأحاديث الواردة في «الفطنة» معنى

٨- * (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ ، فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ . قَالَ : فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ ، فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ أَنْ يُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيْرَ ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرُ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَكِنْ أَخُوهُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ . لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ ، إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ » * (١).

٩ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ ، قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ : كَيْفَ أَغْتَسِلُ مِنَ الْمَحِيضِ ؟ قَالَ : « خُذِي فِرْصَةً مُمَسَّكَةً ، فَتَوَضَّئِي ثَلَاثًا » . ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَحْيَا فَأَعْرَضَ بَوَجهِهِ أَوْ قَالَ : « تَوَضَّئِي بِهَا » ، فَأَخَذَتْهَا فَجَذَبَتْهَا فَأَخْبَرَتْهَا بِمَا يُرِيدُ النَّبِيُّ ﷺ * (٢).

١٠ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ :

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا

ذَهَبٌ ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ : خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي ، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْأَرْضَ وَلَمْ أَبْتَغِ مِنْكَ الذَّهَبَ . وَقَالَ الَّذِي لَهُ الْأَرْضُ : إِنَّمَا بَعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا ، فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ ، فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ : أَلَكُمَا وَلَدٌ ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا : لِي غُلَامٌ ، وَقَالَ الْآخَرُ : لِي جَارِيَةٌ ، قَالَ : أَنْكِحُوا الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ ، وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ ، وَتَصَدَّقَا » * (٣).

١١ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ ؛ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ قَالَ : انْطَلَقْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ فَأَحْرَمَ أَصْحَابُهُ وَلَمْ أُحْرَمْ ، فَأُنْبِئْنَا بِعَدُوِّ بَغِيْقَةٍ (٤) ، فَتَوَجَّهْنَا نَحْوَهُمْ ، فَبَصُرَ أَصْحَابِي بِحِمَارٍ وَحِشٍ ، فَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَضْحَكُ إِلَى بَعْضٍ ، فَظَنَرْتُ فَرَأَيْتُهُ ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ الْفَرَسَ ، فَطَعَنْتُهُ فَأَثْبَتُهُ ، فَاسْتَعْنَتْهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُعِينُونِي ، فَأَكَلْنَا مِنْهُ . ثُمَّ لَحِقْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَشِينَا أَنْ نُقْتَطَعَ ، أَرْفَعُ فَرَسِي شَأْوًا وَأَسِيرُ عَلَيْهِ شَأْوًا (٥) . فَلَقِيتُ رَجُلًا مِنْ بَنِي غِفَارٍ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فَقُلْتُ لَهُ : أَيْنَ تَرَكْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟ فَقَالَ : تَرَكْتُهُ بِتَعْنٍ (٦) ، وَهُوَ قَائِلُ السُّقْيَا (٧) .

فَلَحِقْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَيْتُهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّ أَصْحَابَكَ أَرْسَلُوا يَقْرَأُونَ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَرَحْمَةَ

(٥) أرفع فرسي شأوا وأسير عليه شأوا: المراد أنه يركضه تارة ويسير بسهولة تارة أخرى .

(٦) تَعْنٍ : اسم موضع .

(٧) أي: وفي عزمه أن يقضي وقت القيلولة بالسقيا وهي قرية جامعة بين مكة والمدينة .

(١) البخاري - الفتح ٧ (٣٦٥٤) واللفظ له . ومسلم (٢٣٨٢) مختصرا . وعند الدارمي (٧٧) بلفظ فطن .

(٢) البخاري - الفتح ١ (٣١٥) واللفظ له . ومسلم (٣٣٢) .

(٣) البخاري - الفتح ٦ (٣٤٧٢) واللفظ له . ومسلم (١٧٢١) .

(٤) غيقة: ماء لبني غفار بين مكة والمدينة .

قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاللَّهِ إِنْ سَمِعْتُ بِالسَّكِينِ قَطُّ إِلَّا يَوْمِيذٍ . مَا كُنَّا نَقُولُ إِلَّا الْمُدِيَّةَ ^(٦) * ^(٧) .

١٤ - * (عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَ أَغْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَقَالَ عَلِمَنِي كَلَامًا أَقُولُهُ . قَالَ: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ» . قَالَ: فَهَؤُلَاءِ لِرَبِّي . فَمَا لِي؟ . قَالَ: «قُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي» * ^(٨) .

١٥ - * (عَنْ حُذَيْفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ: حَدَّثَنَا أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ . وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا . قَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتَقْبِضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظِلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ . ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتَقْبِضُ، فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ، كَجَمْرِ دَخَرَجْتُهُ عَلَى رِجْلِكَ فَفَطِطَ ^(٩) . فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ فَلَا يَكَادُ أَحَدُهُمْ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا . وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ، وَمَا أَظْرَفَهُ، وَمَا أَجْلَدَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ

اللَّهُ وَبَرَكَاتِهِ، وَإِنَّهُمْ قَدْ خَشَوْا أَنْ يَقْتَطِعَهُمُ الْعَدُوُّ دُونَكَ، فَاَنْظُرْهُمْ ^(١) . فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا اصْصَدْنَا ^(٢) حِمَارَ وَحْشٍ، وَإِنْ عِنْدَنَا فَاضِلَةٌ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «كُلُوا» وَهُمْ مُحْرَمُونَ * ^(٣) .

١٢ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا . وَإِنَّهَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ . فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟» . فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبُوَادِي . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ . فَاسْتَحْيَيْتُ . ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ . قَالَ: فَقَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ» . قَالَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُمَرَ . قَالَ: لَأَنْ تَكُونَ قُلْتُ: هِيَ النَّخْلَةُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا * ^(٤) .

١٣ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا . جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِأَبْنٍ إِحْدَاهُمَا . فَقَالَتْ هَذِهِ لِصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكَ أَنْتِ . وَقَالَتِ الْآخَرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكَ . فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ . فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى . فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ . فَأَخْبَرَتَاهُ . فَقَالَ: اتَّوْنِي بِالسَّكِينِ أَشَقُّهُ بَيْنَكُمَا . فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لَا، يَرْحَمُكَ اللَّهُ ^(٥) هُوَ ابْنُهَا . فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى» .

(٦) المدية: بضم الميم وفتحها وكسرهما، سميت به لأنها تقطع مدى حياة الحيوان.

(٧) مسلم (١٧٢٠).

(٨) مسلم (٢٦٩٦).

(٩) فَنَفِطَ: النَّفِطُ وَالتَّنْفِطُ: الذي يصير في اليد من العمل بالفأس أو نحوها ويصير كالقُبَّة فيه ماء قليل والمنْتَبِر: المرتفع في جسمه.

(١) فانظرهم: أي انتظرهم .

(٢) اصْصَدْنَا: أصله اصطدنا.

(٣) البخاري - الفتح ٤ (١٨٢٢) واللفظ له . ومسلم (١١٩٦).

(٤) البخاري - الفتح ١ (١٣١) . ومسلم (٢٨١١) واللفظ له .

(٥) لا . يرحمك الله: معناه: لا تشقه . ثم استأنفت فقالت: يرحمك الله هو ابنها . قال العلماء: ويستحب أن يقال في مثل هذا بالواو . فيقال: لا . ويرحمك الله.

مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ . وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أَبَالِي أَتَيْكُمْ بَايَعْتُ . لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامُ ، وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ أَبَايَعُ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا . قَالَ الْفَرَبْرِيُّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : حَدَّثْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ : سَمِعْتُ أَبَا أَحْمَدَ بْنَ عَاصِمٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا عُبَيْدٍ يَقُولُ : قَالَ الْأَصْمَعِيُّ وَأَبُو عَمْرٍو وَغَيْرُهُمَا جَذَرُ قُلُوبِ الرِّجَالِ (الْجَذَرُ الْأَصْلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَالْوَكْتُ أَثَرُ الشَّيْءِ الْيَسِيرُ مِنْهُ . وَالْمَجْلُ أَثَرُ الْعَمَلِ فِي الْكَفِّ إِذَا غُلِظَ) * (١) .

١٦ - * (عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَقْبِيَّةً^(٢) ، فَقَالَ لِي أَبِي مَخْرَمَةُ : انْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ عَسَى أَنْ يُعْطِينَا مِنْهَا شَيْئًا . فَقَامَ أَبِي عَلَى الْبَابِ فَتَكَلَّمَ ، فَعَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ صَوْتَهُ ، خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ قَبَاءٌ وَهُوَ يُرِيهِ مُحَاسِنَهُ وَهُوَ يَقُولُ « خَبَأْتُ هَذَا لَكَ ، خَبَأْتُ هَذَا لَكَ ») * (٤) .

١٧ - * (عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيِّ - رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كُنْتُ أَيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوءِهِ وَحَاجَّتِهِ . فَقَالَ لِي : « سَلْ » . فَقُلْتُ : أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ . قَالَ : « أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ؟ » . قُلْتُ : هُوَ ذَاكَ . قَالَ : « فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ » * (٥) .

١٨ - * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ : بُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ . فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ^(٦) . فَيَسْأَلُهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ . فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ . فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَتَانَا رَسُولُكَ . فَرَعَمَ^(٧) لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ ؟ قَالَ : « صَدَقَ » . قَالَ : فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ^(٨) قَالَ : « اللَّهُ » . قَالَ : فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ ؟ قَالَ : « اللَّهُ » . قَالَ : فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ ؟ قَالَ : « اللَّهُ » . قَالَ : فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَخَلَقَ الْأَرْضَ وَنَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ . اللَّهُ أَرْسَلَكَ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » . قَالَ : وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا وَلَيْلَتِنَا . قَالَ : « صَدَقَ » . قَالَ : فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ . اللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا ؟

إياه ، دليل على أن زعم ليس مخصوصا بالكذب والقول المشكوك فيه . بل يكون أيضا في القول المحقق والصدق الذي لا شك فيه .

(٨) فمن خلق السماء .. الخ : هذه جملة تدل على أنواع من العلم . قال صاحب التحرير : هذا من حسن سؤال هذا الرجل وملاحة سياقته وترتيبه . فإنه سأل أولاً عن صانع المخلوقات من هو ؟ ثم أقسم عليه به أن يصدق في كونه رسولا للصانع . ثم لما وقف على رسالته وعلمها أقسم عليه بحق مرسله وهذا ترتيب يفتقر إلى عقل رزين . ثم إن هذه الأيمان جرت للتأكيد وتقرير الأمر . لا لافتقاره إليها . كما أقسم الله تعالى على أشياء كثيرة .

(١) البخاري - الفتح ١١ (٦٤٩٧) .

(٢) الْأَقْبِيَّةُ : جمع قَبَاءٍ وهو الثوب الذي يلبس .

(٣) المعنى : فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ (انظر : الفتح ٥ / ٣١٥) .

(٤) البخاري - الفتح ٥ (٢٦٥٧) .

(٥) مسلم (٤٨٩) .

(٦) العاقل : لكونه أعرف بكيفية السؤال وآدابه والمهم منه . وحسن المراجعة . فإن هذه أسباب عظم الانتفاع بالجاب . ولأن أهل البادية هم الأعراب . ويغلب فيهم الجهل والجفاء . والبادية والبدو بمعنى . وهو ما عدا الحاضرة والعمران . والنسبة إليها بدوي . والبدواة الإقامة بالبادية . وهي بكسر الباء عند جمهور أهل اللغة .

(٧) زعم رسولك : قوله زعم وتزعم مع تصديق رسول الله ﷺ

وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ: «صَدَقَ». قَالَ، ثُمَّ وَلَّى. قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْنَ صَدَقَ لِيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ» *^(١).

قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا زَكَاةً فِي أَمْوَالِنَا. قَالَ: «صَدَقَ». قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ . اللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي سَنَتِنَا . قَالَ: «صَدَقَ» قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ . اللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ :

من الآثار وأقوال العلماء الواردة في «الفطنة»

فَلَقِيتُ أَبَا عَظِيمَةَ مَالِكَ بْنِ عَامِرٍ فَسَأَلْتُهُ، فَذَهَبَ يُحَدِّثُنِي حَدِيثَ سُبَيْعَةَ، فَقُلْتُ: هَلْ سَمِعْتَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ فِيهَا شَيْئًا ؟ فَقَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ: أَتَجْعَلُونَ عَلَيْهَا التَّغْلِيزَ وَلَا تَجْعَلُونَ عَلَيْهَا الرُّخْصَةَ؟ لَنَزَلَتْ^(٤) سُورَةُ النَّسَاءِ الْقُصْرَى^(٥) بَعْدَ الطُّوْلِ^(٦) * وَأُولَاتُ الْأَحْوَاجِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ * (الطلاق / ٤) *^(٧).

٣ - * (عَنْ عِيسَى قَالَ: سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ يَقُولُ: إِنَّمَا كَانَ يَطْلُبُ هَذَا الْعِلْمَ مَنْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ خَصْلَتَانِ: الْعَقْلُ وَالنُّسْكُ، فَإِنْ كَانَ نَاسِكًا وَلَمْ يَكُنْ عَاقِلًا قَالَ: هَذَا أَمْرٌ لَا يَنَالُهُ إِلَّا الْعُقَلَاءُ. فَلَمْ يَطْلُبْهُ، وَإِنْ كَانَ عَاقِلًا وَلَمْ يَكُنْ نَاسِكًا قَالَ: هَذَا أَمْرٌ لَا يَنَالُهُ إِلَّا النَّسَاكُ فَلَمْ يَطْلُبْهُ، فَقَالَ الشَّعْبِيُّ: وَلَقَدْ رَهَبْتُ أَنْ يَكُونَ يَطْلُبُهُ الْيَوْمَ مَنْ لَيْسَتْ فِيهِ وَاحِدَةٌ مِنْهُمَا، لَا عَقْلٌ وَلَا نُسْكٌ) *^(٨).

١ - * (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: «كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يُدْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: إِنَّ لَنَا أَبْنَاءَ مِثْلَهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ تَعْلَمُ، فَسَأَلَ عُمَرُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ * إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * (النصر / ١). فَقَالَ: أَجَلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ» *^(٢).

٢ - * (عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: «كُنْتُ فِي حَلَقَةٍ فِيهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى، وَكَانَ أَصْحَابُهُ يُعَظِّمُونَهُ، فَذَكَرَ آخِرَ الْأَجَلَيْنِ، فَحَدَّثْتُ بِحَدِيثِ سُبَيْعَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، قَالَ: فَضَمَرْتُ لِي^(٣) بَعْضَ أَصْحَابِهِ، قَالَ مُحَمَّدٌ فَفَطِنْتُ لَهُ فَقُلْتُ: إِنِّي إِذَا لَجَرِيءٌ إِنْ كَذَبْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، وَهُوَ فِي نَاحِيَةِ الْكُوفَةِ . فَاسْتَحْيَا وَقَالَ: لَكِنَّ عَمَّهُ لَمْ يَقُلْ ذَاكَ،

(٥) والقصرى: سورة الطلاق.

(٦) والطولى: سورة البقرة.

(٧) البخاري - الفتوح ٨ (٤٩١٠). ولمسلم (١٤٨٤) نحوه من

حديث أبي هريرة وابن عباس - رضي الله عنهما -.

(٨) الدارمي (٣٧١) المقدمة.

(١) مسلم (١٢). وعند البخاري نحوه ١ (٦٣).

(٢) البخاري - الفتوح ٧ (٤٤٣٠).

(٣) فضمر: معناه أشار إليه أن اسكت، ضمير إذا عض على شفتيه.

(٤) لنزلت: تأكيد لقسم محذوف تقديره: فوالله لقد نزلت.

٤ - * (مَنْ أَخْبَارِ الْأَذْكَيَاءِ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ جِيرَانًا يَسْرِقُونَ إِيَّيَ فَلَأُغْرِفَ السَّارِقَ . فَنَادَى الصَّلَاةَ جَامِعَةً ، ثُمَّ خَطَبَهُمْ وَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ : وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَسْرِقُ إِيَّيَ جَارِهِ ، ثُمَّ يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ وَالرَّيْشُ عَلَى رَأْسِهِ ، فَمَسَحَ الرَّجُلُ رَأْسَهُ ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ : خُذُوهُ فَهُوَ صَاحِبُكُمْ) * (١).

٥ - * (وَمِنْ أَخْبَارِ الْقَاضِي إِيَّاسَ : أَنَّ رَجُلًا قَصَدَ الْحَجَّ فَاسْتَوْدَعَ إِنْسَانًا مَالًا ، فَلَمَّا عَادَ طَلَبَهُ مِنْهُ فَجَحَدَهُ الْمُسْتَوْدِعُ ، فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ الْقَاضِي إِيَّاسًا . فَقَالَ : أَعَلِمَ بِأَنَّكَ جِئْتَنِي ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَعُدْ إِلَيَّ بَعْدَ يَوْمَيْنِ . ثُمَّ إِنَّ الْقَاضِي إِيَّاسًا بَعَثَ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ فَأَخْضَرَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : اأَعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ تَحَصَّلَتْ عِنْدِي أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ لِأَيَّتَامٍ وَغَيْرِهِمْ وَوَدَائِعُ لِلنَّاسِ ، وَإِنِّي مُسَافِرٌ سَفَرًا بَعِيدًا ، وَأُرِيدُ أَنْ أُودِعَهَا عِنْدَكَ لِمَا بَلَغَنِي مِنْ دِينِكَ وَتَحْصِينَ مَنْزِلِكَ . فَقَالَ : حُبًّا وَكَرَامَةً . قَالَ : فَاذْهَبْ وَهِيَءٌ مَوْضِعًا لِلْمَالِ ، وَقَوْمًا يَحْمِلُونَهُ ، فَذَهَبَ الرَّجُلُ وَجَاءَ صَاحِبُ الْوَدِيعَةِ ، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي إِيَّاسُ : امْضِ إِلَى صَاحِبِكَ ، وَقُلْ لَهُ ادْفَعْ إِلَيَّ مَالِي ، وَإِلَّا شَكَوْتُكَ لِلْقَاضِي إِيَّاسِ . فَلَمَّا جَاءَ قَالَ لَهُ ذَلِكَ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ مَالَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَهُ وَأَتَى إِلَى الْقَاضِي إِيَّاسِ وَأَخْبَرَهُ . ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَتَى الرَّجُلُ لَطَلَبِ الْأَمْوَالِ الَّتِي

ذَكَرَهَا لَهُ الْقَاضِي . فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي بَعْدَ أَنْ أَخَذَ الرَّجُلُ مَالَهُ مِنْهُ : امْضِ لِشَأْنِكَ لَا أَكْثَرَ اللَّهُ فِي النَّاسِ مِنْ أَمْثَالِكَ) * (٢).

٦ - * (قَالَ الْأَبْشَيْهِيُّ : « قَدْ يُخْصُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْطَّافَةِ الْخَفِيَّةِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، فَيَقْبِضُ عَلَيْهِ مِنْ خَزَائِنِ مَوَاهِبِهِ رِزَانَةً عَقْلٍ ، وَزِيَادَةً مَعْرِفَةٍ ، تُخْرِجُهُ عَنْ حَدِّ الْاِكْتِسَابِ ، وَيَصِيرُ بِهَا رَاجِحًا عَلَى ذَوِي التَّجَارِبِ وَالْآدَابِ ») * (٣).

٧ - * (قَالَ الْأَبْشَيْهِيُّ أَيْضًا : « يُسْتَدَلُّ عَلَى رَجَاحَةِ عَقْلِ الرَّجُلِ بِأُمُورٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْهَا : مَيْلُهُ إِلَى مُحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ ، وَإِعْرَاضُهُ عَنْ رَذَائِلِ الْأَعْمَالِ ، وَرَغْبَتُهُ فِي إِسْدَاءِ صَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ ، وَتَجَنُّبُهُ مَا يُكْسِبُهُ عَارًا ، وَيُورِثُهُ سُوءَ السُّمْعَةِ ») * (٤).

٨ - * (قَالَ عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدَةَ : « الْعَقْلُ مَلِكٌ وَالْخِصَالُ رَعِيَّةٌ ، فَإِذَا ضَعُفَ عَنِ الْقِيَامِ عَلَيْهَا وَصَلَ الْخَلَلُ إِلَيْهَا ، فَسَمِعَهُ أَغْرَابِيٌّ فَقَالَ : هَذَا كَلَامٌ يَقْطُرُ عَسْلُهُ ») * (٥).

٩ - * (قِيلَ : مَنْ بَيَضَتِ الْحَوَادِثُ سَوَادَ لِمَتِهِ (٦) ، وَأَخْلَقَتِ التَّجَارِبُ لِبَاسَ جِدَّتِهِ (٧) وَأَرَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لِكَثْرَةِ مُمَارَسَتِهِ تَصَارِيفَ أَقْدَارِهِ وَأَقْضِيَّتِهِ كَانَ جَدِيرًا بِرِزَانَةِ الْعَقْلِ وَرَجَاحَةِ الدِّرَايَةِ) * (٨).

١٠ - * (حَدَّثَ الشَّعْبِيُّ قَالَ : « جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى

(٥) المرجع السابق (١/٢٤).

(٦) لِمَتُهُ : شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن.

(٧) جِدَّتُهُ : أي لباسه الجديد.

(٨) المستطرف (١/٢٣).

(١) المستطرف (٢/٩٩).

(٢) المرجع السابق (٢/١٠٠).

(٣) المرجع السابق (١/٢٣).

(٤) المرجع السابق (١/٢٤).

عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَالَتْ: أَشْكُو إِلَيْكَ خَيْرَ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَّا رَجُلٌ سَبَقَهُ بِعَمَلٍ أَوْ عَمَلٍ مِثْلَ عَمَلِهِ، يَقُومُ اللَّيْلَ حَتَّى يُصْبِحَ، وَيَصُومُ النَّهَارَ حَتَّى يُمَسِيَ، ثُمَّ أَخَذَهَا الْحَيَاءُ، فَقَالَتْ: أَقْلَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَحْسَنْتِ الثَّنَاءَ. قَدْ أَقْلَيْتُكَ. فَلَمَّا وَلَّتْ، قَالَ كَعْبُ بْنُ سُورٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! لَقَدْ أَبْلَغْتَ إِلَيْكَ فِي الشَّكْوَى، فَقَالَ: مَا اشْتَكَيْتُ؟ قَالَ: زَوْجَهَا، قَالَ: عَلَيَّ بِالْمَرْأَةِ وَزَوْجِهَا، فَجِئْتُ بِهِمَا. فَقَالَ لِكَعْبٍ: اقْضِ بَيْنَهُمَا. قَالَ: أَأَقْضِي وَأَنْتَ شَاهِدٌ؟ قَالَ: إِنَّكَ قَدْ فَطِنْتَ مَا لَمْ أَفْطِنْ إِلَيْهِ قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ (النساء/٣) صُمُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَأَفْطِرْ عِنْدَهَا

يَوْمًا، وَقُمُ ثَلَاثَ لَيَالٍ وَبِتْ عِنْدَهَا لَيْلَةً. فَقَالَ عُمَرُ: لَهَذَا أَعْجَبُ إِلَيَّ مِنَ الْأَوَّلِ، فَرَحَلَهُ بِدَابَّةٍ وَبَعَثَهُ قَاضِيًا*)^(١).

١١-*) (سُرِقَ مِنْ رَجُلٍ خَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ، فَحَمَلَ الْمُتَتَهَمُونَ إِلَى الْوَالِي، فَقَالَ الْوَالِي: أَنَا مَا أَضْرِبُ أَحَدًا مِنْكُمْ، بَلْ عِنْدِي خَيْطٌ مَمْدُودٌ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ، فَادْخُلُوا فَلْيُمِرَّ كُلُّ مِنْكُمْ يَدَهُ عَلَيْهِ مِنْ أَوَّلِ الْخَيْطِ إِلَى آخِرِهِ، وَيُلَفَّ يَدَهُ فِي كُمِّهِ وَيَخْرُجَ، فَإِنَّ الْخَيْطَ، يُلَفُّ عَلَى يَدِ الَّذِي سَرَقَ، وَكَانَ قَدْ سَوَّدَ الْخَيْطَ بِسُخَامٍ، فَدَخَلُوا فَكُلُّهُمْ جَرَّ يَدَهُ عَلَى الْخَيْطِ فِي الظُّلْمَةِ إِلَّا وَاحِدًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا خَرَجُوا نَظَرَ إِلَى أَيْدِيهِمْ مُسْوَدَّةً إِلَّا وَاحِدًا، فَأَلْزَمَهُ بِالْمَالِ، فَأَقْرَبَهُ*)^(٢).

من فوائد «الفطنة»

- (٤) الْفِطْنُ يُحِبُّهُ مُجْتَمَعُهُ وَيُحِبُّ التَّقَرُّبَ إِلَيْهِ.
- (٥) وَالْفِطْنَةُ تُخْرِجُ صَاحِبَهَا مِنَ الْمَوَاقِفِ الْحَرِجَةِ سَالِمًا.
- (٦) الْفِطْنُ يَعِيشُ سَعِيدًا بَيْنَ أَفْرَادٍ مُجْتَمِعٍ، وَيَمُوتُ حَمِيدًا.

- (١) الْفِطْنَةُ هِبَةٌ مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - تَسْتَحِقُّ زِيَادَةَ الشُّكْرِ.
- (٢) تُعِينُ الْعَبْدَ عَلَى التَّفَكِيرِ فِي آلَاءِ اللَّهِ وَنِعَمِهِ.
- (٣) كُلَّمَا ازدَادَ تَفَكَّرًا فِي آلَاءِ اللَّهِ ازدَادَ خُشُوعًا لِلَّهِ وَتَعْظِيمًا.

الفقه

الآيات	الأحاديث	الآثار
١٨	٢١	٢٢

الفقه لغة:

مَصْدَرُ قَوْلِنَا: فِقْهٌ فَلَانٌ: أَيِ فَهْمٌ، وَهُوَ مَا خُودُ مِنْ مَادَّةٍ (ف ق هـ) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى إِدْرَاكِ الشَّيْءِ وَالْعِلْمِ بِهِ، تَقُولُ: فَقِهُتُ الْحَدِيثَ أَفْقَهُهُ، وَكُلُّ عِلْمٍ بِشَيْءٍ فَهُوَ فِقْهٌ ثُمَّ اخْتَصَّ بِذَلِكَ عِلْمُ الشَّرِيعَةِ^(١). وَقَالَ الرَّاعِبُ: الْفِقْهُ هُوَ التَّوَصُّلُ إِلَى عِلْمٍ غَائِبٍ بِعِلْمٍ شَاهِدٍ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ أَخْصَصُ مِنَ الْعِلْمِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا الْقَوْمَ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (النساء / ٧٨)، يُقَالُ: فِقْهَ الرَّجُلُ فِقَاهَةً إِذَا صَارَ فَقِيهًا وَفِقْهَ الرَّجُلُ فِقْهًا وَفِقْهًا وَفِقْهَهُ أَيِ فَهَمَهُ، وَتَفَقَّهَ إِذَا طَلَبَ (عِلْمَ) الْفِقْهِ فَتَخَصَّصَ بِهِ، قَالَ تَعَالَى ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ (التوبة: ١٢٢)^(٢). وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْفِقْهُ: الْفَهْمُ، قَالَ أَعْرَابِيٌّ لِعِيسَى بْنِ عُمَرَ: شَهِدْتُ عَلَيْكَ بِالْفِقْهِ. أَيِ بِالْفَهْمِ، ثُمَّ خُصَّ بِهِ عِلْمُ الشَّرِيعَةِ. وَالْعَالِمُ بِهِ فَقِيهٌ، يُقَالُ: فَاقَهِتَهُ إِذَا بَاحَثْتَهُ فِي الْعِلْمِ^(٣). وَقَالَ غَيْرُهُمْ: الْفِقْهُ الْعِلْمُ بِالشَّيْءِ وَالْفَهْمُ لَهُ، وَغَلَبَ عَلَى عِلْمِ الدِّينِ لِشَرَفِهِ وَفَضْلِهِ عَلَى سَائِرِ أَنْوَاعِ الْعِلْمِ، يُقَالُ: أُوتِيَ فَلَانٌ فِقْهًا فِي الدِّينِ أَيِ فَهَمًا فِيهِ، وَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ لِابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ»، أَيِ فَهَمَهُ تَأْوِيلَهُ وَمَعْنَاهُ، وَيُقَالُ فِقْهَ فِقْهًا أَيِ عِلْمَ عِلْمًا، قَالَ ابْنُ سِيدَةَ: وَيُقَالُ فِقْهَ فِقَاهَةً وَهُوَ فَقِيهٌ مِنْ قَوْمٍ فُقِّهَاءَ، وَالْأُنْثَى فَقِيهَةٌ مِنْ نِسْوَةِ فُقَّاهَةٍ وَحَكَى اللَّحْيَانِيُّ: نِسْوَةُ فُقِّهَاءَ، وَحَكَى بَعْضُهُمْ: فِقْهَ الرَّجُلِ

فِقْهًا وَفِقْهًا، وَفِقْهَ الشَّيْءِ عِلْمَهُ، وَأَفْقَهُهُ وَفَقَّهَهُ: عَلَّمَهُ. وَفِي التَّهْذِيبِ: أَفْقَهُتُهُ عَلَّمْتُهُ الْفِقْهَ، وَفِقْهَ عَنْهُ بِالْكَسْرِ: فَهَمَ، وَرَجُلٌ فِقْهٌ أَيِ فَقِيهٌ. وَأَمَّا فِقْهٌ (بِضْمٍ الْقَافِ) فَإِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ فِي النُّعُوتِ، يُقَالُ فِقْهَ يَفْقَهُ فَقَاهَةً أَيِ صَارَ فَقِيهًا، وَقَالَ ابْنُ شُمَيْلٍ: أَعْجَبَنِي فَقَاهَتُهُ أَيِ فِقْهَهُ، وَرَجُلٌ فَقِيهٌ أَيِ عَالِمٌ، وَكُلُّ عَالِمٍ بِشَيْءٍ فَهُوَ فَقِيهٌ، وَفَقِيهَ الْعَرَبِ عَالِمُ الْعَرَبِ، وَتَفَقَّهَ: تَعَاطَى الْفِقْهَ، وَمِنْ مَعَانِي الْفِقْهِ أَيْضًا الْفِطْنَةُ. وَفِي حَدِيثِ سَلْمَانَ، أَنَّهُ نَزَلَ عَلَى نَبْطِيَّةٍ بِالْعِرَاقِ فَقَالَ لَهَا: هَلْ هُنَا مَكَانٌ نَظِيفٌ أَصْلِي فِيهِ؟ فَقَالَتْ: طَهَّرْ قَلْبَكَ وَصَلِّ حَيْثُ شِئْتَ، فَقَالَ سَلْمَانُ: فَقِهْتُ أَيِ فَهَمْتُ وَفَطِنْتُ وَلَوْ قَالَ فَقِهْتُ كَانَ الْمَعْنَى صَارَتْ فَقِيهَةً^(٤)، وَيُقَالُ: فِقْهَ بِالضَّمِّ إِذَا صَارَ الْفِقْهُ سَجِيَّةً لَهُ وَفَاقَهُهُ فَفَقَّهَهُ أَيِ بَاحَثَهُ فِي الْعِلْمِ فَغَلَبَهُ فِيهِ^(٤).

الفقه اصطلاحًا:

قَالَ الرَّاعِبُ: هُوَ الْعِلْمُ بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ. وَقَالَ الْجُرْجَانِيُّ: هُوَ الْعِلْمُ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْعَمَلِيَّةِ مِنْ أَدْلَتِهَا التَّفْصِيلِيَّةِ، وَقِيلَ: هُوَ الْإِصَابَةُ وَالْوُقُوفُ عَلَى الْمَعْنَى الْخَفِيَّةِ الَّتِي يَتَعَلَّقُ بِهِ الْحُكْمُ، وَهُوَ عِلْمٌ مُسْتَنْبَطٌ بِالرَّأْيِ وَالْاجْتِهَادِ وَيُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى النَّظَرِ وَالتَّأَمُّلِ، وَلِهَذَا لَا يُجُوزُ أَنْ يُسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى فَقِيهًا لِأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ.

وَقَالَ الْمُنَاوِيُّ: الْفِقْهُ شَرْعًا: هُوَ الْعِلْمُ

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٤٤٢).

(٢) مفردات الراغب (٣٨٤).

(٣) الصحاح (٦/ ٢٢٤٣).

(٤) انظر: لسان العرب (١٣/ ٥٢٢)، والمصباح المنير (٢/ ١٣٤)، والقاموس المحيط (٤/ ٢٩١).

تَوَفَّرَتْ فِيهِمُ الشُّرُوطُ الَّتِي نَصَّ عَلَيْهَا الْعُلَمَاءُ فِي هَذَا الشَّانِ، وَقَدْ كَانَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مِنْ أَسْبَقِ مَنْ تَنَاوَلَ هَذِهِ الشُّرُوطَ عِنْدَمَا قَالَ: « لَا يَقْيَسُ إِلَّا مَنْ جَمَعَ الْآلَةَ الَّتِي لَهُ الْقِيَاسُ بِهَا، وَهِيَ الْعِلْمُ بِأَحْكَامِ كِتَابِ اللَّهِ، فَرَضِهِ وَأَدَبِهِ، وَنَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ، وَعَامِّهِ وَخَاصِّهِ وَإِرْشَادِهِ، وَيَسْتَدِلُّ عَلَى مَا اخْتِاجَ التَّأْوِيلَ مِنْهُ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا لَمْ يَجِدْ سُنَّةً فَبِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِجْمَاعٌ فَبِالْقِيَاسِ، وَلَا يَكُونُ أَنْ يَقْيَسَ حَتَّى يَكُونَ عَالِمًا بِمَا مَضَى فِيهِ مِنَ السُّنَّةِ وَأَقَاوِيلِ السَّلَفِ، وَإِجْمَاعِ النَّاسِ وَاخْتِلَافِهِمْ وَلِسَانِ الْعَرَبِ. وَعَلَيْهِ فِي ذَلِكَ بُلُوغُ غَايَةِ جُهِدِهِ، وَالْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِهِ حَتَّى يَعْرِفَ مِنْ أَيْنَ قَالَ مَا قَالَ، وَتَرَكَ مَا يَتْرُكُ. فَأَمَّا مَنْ تَمَّ عَقْلُهُ وَلَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِمَا وَصَفْنَا فَلَا يُجُوزُ أَنْ يَقُولَ بِقِيَاسٍ، وَمَنْ كَانَ عَالِمًا بِمَا وَصَفْنَا بِالْحِفْظِ لَا بِحَقِيقَةِ الْمَعْرِفَةِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْضًا أَنْ يَقُولَ بِقِيَاسٍ، لَأَنَّهُ قَدْ يَذْهَبُ عَلَيْهِ عَقْلُ الْمَعَانِي^(٥)، وَقَدْ اسْتَنْبَطَ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ شُرُوطًا أُخْرَى لِلْمُجْتَهِدِ لَيْسَ هُنَا مَحَلُّ تَفْصِيلِهَا^(٦). وَلْيَنْظُرْهَا مَنْ شَاءَ فِي مَظَانِّهَا مِنْ كُتُبِ الْأُصُولِيِّينَ.

[للاستزادة: انظر صفات: الحكمة - العلم - الفطنة.

وفي ضد ذلك: انظر صفتي: البلادة والغباء - الجهل].

بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي طَرِيقُهَا الْاجْتِهَادُ^(١).
وَقَالَ أَبُو الْخَطَّابِ: هُوَ الْعِلْمُ بِأَحْكَامِ أَفْعَالِ الْمُكَلَّفِينَ الشَّرْعِيَّةِ دُونَ الْعَقْلِيَّةِ، مِثْلُ الْحَرَامِ وَالْحَلَالِ وَالْحَظَرِ وَالْإِبَاحَةِ... وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ^(٢).

مصادر الفقه الإسلامي:

لِلْفِقْهِ الْإِسْلَامِيِّ مَصَادِرُ عَدِيدَةٌ أَجْمَعَ عُلَمَاءُ الْأُصُولِ عَلَى أَرْبَعَةٍ مِنْهَا، هِيَ:
الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وَالسُّنَّةُ الْمُطَهَّرَةُ، وَالْإِجْمَاعُ، وَالْقِيَاسُ، وَاخْتَلَفَ فِي الْمَصَادِرِ الْأُخْرَى، مِثْلُ الْاِسْتِحْسَانِ وَالْاِسْتِصْلَاحِ (الْمَصَالِحِ الْمُرْسَلَةِ)، وَالْعُرْفِ، وَالْاِسْتِصْحَابِ^(٣). وَيَقُومُ الْمُجْتَهِدُونَ بِاسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ هَذِهِ الْمَصَادِرِ، فَمَا هُوَ الْاجْتِهَادُ؟ وَهَلْ لَهُ شُرُوطٌ مُعَيَّنَةٌ؟

الاجْتِهَادُ: عَرَفَهُ الْغَزَالِيُّ بِقَوْلِهِ: هُوَ بَذْلُ الْمُجْتَهِدِ وَسَعَهُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ.

وَعَرَفَهُ ابْنُ الْحَاجِبِ: بِأَنَّهُ يَعْنِي اسْتِفْرَاغَ الْفَقِيهِ الْوُسْعَ لِتَحْصِيلِ ظَنٍّ بِحُكْمٍ شَرْعِيٍّ.

وَقَدْ لَخَّصَ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ جُمْلَةَ أَقْوَالِ عُلَمَاءِ الْأُصُولِ فِي الْمَعْنَى الْاِصْطِلَاحِيَّةِ لِلْاجْتِهَادِ، فَقَالَ:

الاجْتِهَادُ يَعْنِي بَذْلَ أَقْصَى الْجُهِدِ الْعَقْلِيِّ فِي اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْعَمَلِيَّةِ مِنْ أَدَلَّتِهَا التَّفْصِيلِيَّةُ^(٤).

أَمَّا مَنْ لَهُ حَقُّ الْاجْتِهَادِ فَهُمْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ

المجلس العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض ١٤٠٤ هـ.

(٥) بتلخيص من الرسالة للإمام الشافعي (٥٠٩ - ٥١٠).

(٦) انظر في ذلك مثلاً: كتاب الاجتهاد في الشريعة الإسلامية لمحمد فوزي فيض الله، والباحثان القيّان للشيخ زكريا البري (٢٣٣ - ٢٥٦)، والشيخ علي الخفيف (٢٣٢ - ٢٣٣) المنشوران ضمن منشورات المجلس العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض ١٤٠٤ هـ.

(١) المفردات للراغب (٣٨٤)، والتعريفات للجرجاني (١٧٥)، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٢٦٣).

(٢) انظر التمهيد للخطابي (٤/١)، وكتاب الأصول من علم الأصول للعشيمين (٦).

(٣) انظر في تفاصيل ذلك، مصادر التشريع فيما لا نص فيه للشيخ عبدالوهاب خلاف.

(٤) انظر بحث الدكتور حسن مرعي المعنون «الاجتهاد في الشريعة الإسلامية» (ج ٣ ص ١٦٢) ضمن منشورات

الآيات الواردة في « الفقه »

الفقه بمعناه الخاص (فهم أحكام الشريعة):

- ١- ﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١)

الفقه بمعناه العام (الفهم والإدراك):

- ٢- أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فِرْقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (٢)

أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مَن عِنْدَ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (٣)

- ٣- وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَاءً آيَةً

لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٤)

وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٥)

- ٤- قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَنْجِنَا مِنْ هَذِهِ

لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٦)

قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْكِرُونَ﴾ (٧)

قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ۗ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ (٨)

- ٥- ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۚ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَآفَنِي تَوْفَكُونَ﴾ (٩)

فَالِقُ الْأَصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (١٠)

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (١١)

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ
وَمُسْتَوْعٌ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَفْقَهُونَ ﴿١٨﴾^(١)

وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ
وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا
مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّلُولِ مِنْهُمْ
وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾
رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ
عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾^(٥)

٦- وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ
لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا
وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ
أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾^(٢)

١٠- وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ
زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا
فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾
وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ
رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ
كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾

٧- يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضٍ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ
إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ
وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا
مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾^(٣)

٨- فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ
اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ
اللهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ
أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾
فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا
جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾^(٤)

٩- وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ
إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا
وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾

١١- أَفَأَصْفَكَ رُحُومًا بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
إِنثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾

(٥) التوبة : ٨٤ - ٨٧ مدنية
(٦) التوبة : ١٢٤ - ١٢٧ مدنية

(٣) الأنفال : ٦٥ مدنية
(٤) التوبة : ٨١ - ٨٢ مدنية

(١) الأنعام : ٩٥ - ٩٨ مكية
(٢) الأعراف : ١٧٩ مكية

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾

قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا تَبْتَغُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾

سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾
تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾

وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾

وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُ بِكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ أَنَّ عَلَى آذَانِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾^(١)

١٢ - وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا

وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ

أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا

وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى

فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٥٧﴾^(٢)

١٣ - ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿١٢﴾

حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا

لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿١٣﴾

قَالُوا يَنْذِرُ الْفَرِيقَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ

مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا

عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿١٤﴾

قَالَ مَا مَكْنِيَ فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿١٥﴾^(٣)

١٤ - وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمْوَسَّى ﴿١٧﴾

قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا

وَأَهْشُبُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مِثَارِبٌ أُخْرَى ﴿١٨﴾

قَالَ أَلْقِهَا يَمْوَسَّى ﴿١٩﴾

فَالْقَنَاطِطُ فَإِذَا هِيَ حَبَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾

قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا

سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾

وَأَضْمَمْنَا يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ

مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ آيَةً أُخْرَى ﴿٢٢﴾

لِنُزِيلِكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾

أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾

قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾

وَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾

وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾

يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾

وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾

هَؤُلَاءِ أَخِي ﴿٣٠﴾

أَشَدُّ دَبِهُ أَزْرَى ﴿٣١﴾

وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾

كَيْ نَسِيحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾

وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾

إِنَّكَ كُنْتَ بِنَاصِرًا ﴿٣٥﴾

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمْوَسَّى ﴿٣٦﴾^(٤)

١٥ - سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى
مَغَائِمٍ لَتَأْخُذُوا هَٰذِرُونَ أَنَّا نَتَّبِعُكُمْ يُرِيدُونَ
أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ
قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا
بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾
قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى
بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا
يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ
مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾^(١)

١٦ - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ
لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن
قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾
لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا
لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ
الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾
لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾^(٢)

١٧ - إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾
اتَّخِذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ
إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ
فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾^(٥)

١٨ - وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأْ
رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾
سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ
لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾
هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ
رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾^(٤)

الأحاديث الواردة في «الفقه»

وَالْعُشْبُ^(٤) الْكَثِيرَ وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ^(٥) أَمْسَكْتَ
الْمَاءَ. فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ. فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا.
وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى. إِنَّمَا هِيَ قِيعَانُ^(٦) لَا تُمْسِكُ
مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ^(٧) فِي دِينِ اللَّهِ،
وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ. وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ
بِذَلِكَ رَأْسًا. وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ
بِهِ»*(^(٨)).

٤-*(عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ
النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الْخَلَاءَ فَوَضَعَتْ لَهُ وَضُوءًا. قَالَ: «مَنْ
وَضَعَ هَذَا؟». فَأُخْبِرَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي
الدِّينِ»*(^(٩)).

٥-*(عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ
خَرَجَ مِنْ عِنْدِ مَرْوَانَ نِصْفَ النَّهَارِ قُلْنَا (وَالْقَوْلُ هَذَا
لِأَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ): مَا بَعَثَ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا
لِشَيْءٍ سَأَلَهُ عَنْهُ، فَقُمْنَا فَسَأَلْنَاهُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، سَأَلْنَا
عَنْ أَشْيَاءَ سَمِعْنَاهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، سَمِعْتُ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «نَضَّرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ

١-*(عَنْ مُعَاوِيَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا
يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ، وَاللَّهُ يُعْطِي، وَلَنْ
تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ
خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»*(^(١)).

٢-*(عَنْ دُرَّةِ ابْنَةِ أَبِي لَهَبٍ قَالَتْ: كُنْتُ عِنْدَ
عَائِشَةَ فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «اَتُّونِي بِوَضُوءٍ». قَالَتْ
فَاِتَّبَعْتُ أَنَا وَعَائِشَةُ الْكُوزَ فَبَدَرْتُمَا فَأَخَذْتُهُ أَنَا فَتَوَضَّأَ
فَرَفَعَ إِلَيَّ عَيْنَهُ أَوْ بَصَرَهُ. قَالَ: «أَنْتِ مِنِّي وَأَنَا مِنْكِ».
قَالَتْ: فَأَتَيْتُ بِرَجُلٍ فَقَالَ: مَا أَنَا فَعَلْتُهُ إِنَّمَا قِيلَ لِي.
قَالَتْ: وَكَانَ يَسْأَلُهُ عَلَى الْمِنْبَرِ: مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ فَقَالَ:
«أَفْقَهُهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ وَأَوْصَلُهُمْ لِرَحِمِهِ». وَذَكَرَ شَرِيكَ
شَيْئَيْنِ آخَرَيْنِ فَلَمْ أَحْفَظْهُمَا»*(^(٢)).

٣-*(عَنْ أَبِي مُوسَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ
النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ - عَزَّ وَجَلَّ -
مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ^(٣) أَصَابَ أَرْضًا.
فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ. قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلًّا

محاسن جمع محسن . وكذا قالوا مشابه جمع شبه . وقياسه أن
يكون جمع مشبه .

(٦) قيعان: جمع القعاع . وهو الأرض المستوية ، وقيل الملساء ،
وقيل التي لا نبات فيها ، وهذا هو المراد في هذا الحديث
كما صرح به ﷺ . ويجمع أيضا على أقوع وأقواع .

(٧) فقه: الفقه في اللغة هو الفهم . يقال منه: فقه بكسر القاف
يفقه فقهًا ، بفتحها ، كفرح يفرح فرحًا . أما الفقه الشرعي
فقال صاحب العين والهروي وغيرهما: يقال منه فقه بضم
القاف . والمراد بقوله ﷺ « فقه في دين الله » هذا الثاني .
فيكون مضموم القاف على المشهور .

(٨) البخاري - الفتح ١ (٧٩) . ومسلم ٤ (٢٢٨٢) واللفظ له .

(٩) البخاري - الفتح ١ (١٤٣) واللفظ له . ومسلم (٢٤٧٧) .

(١) البخاري - الفتح ١ (٧١) .

(٢) أحمد (٦٨/٦) . والهيتمي في مجمع الزوائد (٢٥٨/٩)
وقال رجاله ثقات . واللفظ له .

(٣) غيث: الغيث هو المطر .

(٤) الكلأ والعشب: العشب والكلأ والحشيش كلها أسماء
للنبات . لكن الحشيش يختص باليابس . والعشب والكلأ،
مقصورًا ، مختصان بالرطب . والكلأ بالهمز يقع على
اليابس والرطب .

(٥) أجادب: هي الأرض التي لا تنبت كلاً . وقال الخطابي:
هي الأرض التي تملك الماء فلا يسرع فيه النضوب . قال
ابن بطال وصاحب المطالع وآخرون: هو جمع جذب على
غير قياس . كما قالوا في حسن جمعه محاسن . والقياس أن

حَتَّى يُبْلَغَهُ غَيْرُهُ ، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ،
وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ لَيْسَ بِفِقْهِهِ» * (١) .

٦- * (عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -
قَالَ: إِنِّي عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ
فَقَالَ: «اقْبُلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ»، قَالُوا: بَشَرْتَنَا
فَاعْطِنَا ، فَدَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ: «اقْبُلُوا
الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ»، قَالُوا:
قَبِلْنَا، جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا
الْأَمْرِ مَا كَانَ ، قَالَ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ ،
وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ،
وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ» ثُمَّ أَتَانِي رَجُلٌ فَقَالَ :
يَا عِمْرَانُ! أَدْرِكَ نَاقَتَكَ فَقَدْ ذَهَبَتْ ، فَاَنْطَلَقْتُ أَطْلُبُهَا
فَإِذَا السَّرَابُ يَنْقَطِعُ دُونَهَا ، وَآيِمُ اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّهَا قَدْ
ذَهَبَتْ وَلَمْ أَقُمْ» * (٢) .

٧- * (عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا مَعَهُ حَتَّى دَخَلْنَا
كَنِيسَةَ الْيَهُودِ ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ أَرُونِي اثْنَيْ
عَشَرَ رَجُلًا يَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ
اللَّهِ ، يُحِطُّ اللَّهُ عَنْ كُلِّ يَهُودِيٍّ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ الْغَضَبَ
الَّذِي غَضِبَ عَلَيْهِمْ» قَالَ : فَأُسْكِتُوا مَا أَجَابَهُ مِنْهُمْ

أَحَدٌ ، ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يُجِبْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، فَقَالَ : أَبَيْتُمْ ،
فَوَاللَّهِ لَأَنَا الْحَاشِرُ وَأَنَا الْعَاقِبُ وَأَنَا النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى ،
أَمَنْتُمْ أَوْ كَذَبْتُمْ ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَأَنَا مَعَهُ حَتَّى كِدْنَا أَنْ
نَخْرُجَ فَإِذَا رَجُلٌ مِنْ خَلْفِنَا يَقُولُ : كَمَا أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ
فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ : أَيَّ رَجُلٍ تَعْلَمُونِي فِيكُمْ يَا مَعْشَرَ
الْيَهُودِ ؟ قَالُوا : وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ فِينَا رَجُلٌ أَعْلَمَ
بِكِتَابِ اللَّهِ مِنْكَ وَلَا أَفْقَهُ مِنْكَ ، وَلَا مِنْ أَيْبِكَ قَبْلَكَ ،
وَلَا مِنْ جَدِّكَ قَبْلَ أَيْبِكَ ، قَالَ : فَإِنِّي أَشْهَدُ لَهُ بِاللَّهِ أَنَّهُ
نَبِيُّ اللَّهِ الَّذِي تَجِدُونَهُ فِي التَّوْرَةِ ، فَقَالُوا : كَذَبْتَ ثُمَّ رَدُّوا
عَلَيْهِ قَوْلَهُ وَقَالُوا فِيهِ شَرًّا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «كَذَبْتُمْ
لَنْ يُقْبَلَ قَوْلُكُمْ ، أَمَّا إِنِّي فَتُشْنُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا
أَنْتُمْ ، وَأَمَّا إِذَا آمَنَ فَكَذَّبْتُمُوهُ وَقُلْتُمْ فِيهِ مَا قُلْتُمْ فَلَنْ
يُقْبَلَ قَوْلُكُمْ . قَالَ : فَخَرَجْنَا وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
وَأَنَا وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ
إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ (الْأَحْقَافُ : الْآيَةُ
١٠) * (٣) .

٨- * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -
قَالَ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِفَنَاءِ بَيْتِهِ بِمَكَّةَ جَالِسٌ ، إِذْ مَرَّ
بِهِ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ ، فَكَشَرَ^(٤) إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ
لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَلَا تَجْلِسُ ؟» قَالَ : بَلَى ، قَالَ : فَجَلَسَ

(١) الترمذي: (٢٦٥٦) وقال: حديث حسن. وأبو داود:

(٣٦٦٠) وقال الألباني (٢/٦٩٧): صحيح وهو في سنن

ابن ماجه (٢٣٠). وقال محقق جامع الأصول:

١٨/٨ واللفظ له وهو حديث صحيح ورواه أيضاً أحمد

وابن ماجه والدارمي .

(٢) البخاري - الفتح ١٣ (٧٤١٨).

(٣) أحمد (٦/٢٥). والحاكم في المستدرک (٣/٤١٥) واللفظ له

وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(٤) فكشَرَ إلى رسول الله ﷺ، الكشَرَ ظهور الأسنان للضحك،

وكأشَره إذا ضحك في وجهه وبأسطه.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَقْبِلُهُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُحَدِّثُهُ إِذْ شَخَصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، فَنَظَرَ سَاعَةً إِلَى السَّمَاءِ ، فَأَخَذَ يَضَعُ بَصَرَهُ حَتَّى وَضَعَهُ عَلَى يَمِينِهِ فِي الْأَرْضِ ، فَتَحَرَّفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ جَلِيسِهِ عُثْمَانَ إِلَى حَيْثُ وَضَعَ بَصَرَهُ ، وَأَخَذَ يُنْغِضُ ^(١) رَأْسَهُ كَأَنَّهُ يَسْتَفْقَهُ مَا يُقَالُ لَهُ ، وَابْنُ مَطْعُونٍ يَنْظُرُ ، فَلَمَّا قَضَى حَاجَتَهُ وَاسْتَفْقَهُ مَا يُقَالُ لَهُ ، شَخَصَ بَصَرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ كَمَا شَخَصَ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَاتَّبَعَهُ بَصَرُهُ حَتَّى تَوَارَى فِي السَّمَاءِ ، فَأَقْبَلَ إِلَى عُثْمَانَ بِجِلْسَتِهِ الْأُولَى ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ ، فِيمَ كُنْتَ أَجَالِسُكَ وَآتِيكَ؟ مَا رَأَيْتُكَ تَفْعَلُ كَفِعْلِكَ الْغَدَاةَ! قَالَ: «وَمَا رَأَيْتَنِي فَعَلْتُ؟». قَالَ: رَأَيْتُكَ تَشْخَصُ بِبَصَرِكَ إِلَى السَّمَاءِ ، ثُمَّ وَضَعْتَهُ حَيْثُ وَضَعْتَهُ عَلَى يَمِينِكَ ، فَتَحَرَّفْتَ إِلَيْهِ ، وَتَرَكْتَنِي! ، فَأَخَذْتَ تُنْغِضُ رَأْسَكَ كَأَنَّكَ تَسْتَفْقَهُ شَيْئًا يُقَالُ لَكَ ، قَالَ: «وَفَطِنْتُ

لِذَاكَ؟». قَالَ عُثْمَانُ: نَعَمْ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنِفًا وَأَنْتَ جَالِسٌ»، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَمَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» (النحل / ٩٠). قَالَ عُثْمَانُ: فَذَلِكَ حِينَ اسْتَقَرَّ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِي وَأَحْبَبْتُ مُحَمَّدًا*» ^(٢).

٩- * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ ^(٣) فَاخِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا ^(٤) . وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ فِي هَذَا الْأَمْرِ ^(٥) ، أَكْرَهُهُمْ لَهُ . قَبْلَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ . وَتَجِدُونَ مِنْ شَرِّ النَّاسِ ^(٦) ذَا الْوُجْهِينِ . الَّذِي يَأْتِي هَوْلًا بِوَجْهِهِ وَهَوْلًا بِوَجْهِهِ» * ^(٧) .

١٠- * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ

(١) يُنْغِضُ رَأْسَهُ: أَيِ يَحْرُكُهُ وَيَمِيلُ إِلَيْهِ.

(٢) أحمد (٣١٨/١) واللفظ له. وقال الشيخ أحمد شاكر (٣٢٩/٤، ٢٩٢٢): إسناده صحيح. والحديث في تفسير ابن كثير (٥٨٤/٢) عن هذا الموضع، وقال: إسناده جيد متصل حسن، قد بين فيه السماع المتصل. ورواه ابن أبي حاتم من حديث عبد الحميد بن بهرام مختصراً. وفي مجمع الزوائد (٤٨/٧ - ٤٩)، وقال: رواه أحمد وإسناده حسن، وفي الدر المنثور (١٥٩/٥)، ونسبه أيضاً للبخاري في الأدب المفرد والطبراني وابن مردويه.

(٣) معادن: المعادن الأصول. وإذا كانت الأصول شريفة، كانت الفروع كذلك، غالباً. والفضيلة في الإسلام بالتقوى لكن إذا انضم إليها شرف النسب ازدادت فضلاً.

(٤) فَقَّهُوا: كَمَا فِي «الْفَتْحِ» وَهُوَ الْأَصْلُ وَيَجُوزُ كَسْرُ الْقَافِ.

(٥) وتجدون من خير الناس في هذا الأمر الخ: قال القاضي: يحتمل أن المراد به الإسلام، كما كان من عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو، وغيرهم من مسلمة الفتح، وغيرهم ممن كان يكره الإسلام كراهية شديدة. ثم لما دخل فيه أخلص وأحبه وجاهد فيه حق جهاده. قال: ويحتمل أن المراد بالأمر هنا: الولايات. لأنه إذا أعطيها من غير مسألة أعين عليها.

(٦) من شرار الناس: سببه ظاهر. لأنه نفاق محض وكذب وخداع وتحيل على اطلاعه على أسرار الطائفتين. وهو الذي يأتي كل طائفة بما يرضيها، ويظهر لها أنه منها في خير أو شر. وهي مداينة محرمة.

(٧) البخاري - الفتح ٦ (٣٤٩٦). مسلم (٢٥٢٦) واللفظ له.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ . هُمْ أَرْقُ أَفِيدَةً .
الْإِيمَانُ يَمَانٌ^(١) وَالْفِقْهُ^(٢) يَمَانٌ ، وَالْحِكْمَةُ^(٣)
يَمَانِيَّةٌ» *^(٤).

١١- * (عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -
قَالَ: جَاءَتْ مَلَائِكَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ فَقَالَ
بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ
وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ ، فَقَالُوا: إِنَّ لِمَصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا ، قَالَ
فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا . فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ ، وَقَالَ
بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ
كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا وَجَعَلَ فِيهَا مَادُّبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا ،
فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَادُّبَةِ ،
وَمَنْ لَمْ يُجِبْ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَادُّبَةِ
فَقَالُوا: أَوَّلُوهَا لَهُ يَفْقَهُهَا ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ ،
وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ ،
فَقَالُوا: فَالدَّارُ الْجَنَّةُ ، وَالدَّاعِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ ، فَمَنْ أَطَاعَ
مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ

عَصَى اللَّهَ ، وَمُحَمَّدٌ فَرَّقَ بَيْنَ النَّاسِ « تَابَعَهُ قُتَيْبَةُ عَنْ
لَيْثٍ عَنْ خَالِدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هَلَالٍ ، عَنْ جَابِرٍ
خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ » *^(٥).

١٢- * (عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: خَطَبَنَا عَمَارٌ .
فَأَوْجَزَ وَأَبْلَغَ . فَلَمَّا نَزَلَ قُلْنَا: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ لَقَدْ أَبْلَغْتَ
وَأَوْجَزْتَ . فَلَوْ كُنْتَ تَنَفَّسْتَ^(٦) فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ ، وَقِصَرَ
خُطْبَتِهِ مِثْنَةٌ مِنْ فِقْهِهِ . فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ وَأَقْصِرُوا
الْخُطْبَةَ . وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا» *^(٧).

١٣- * (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ
مِنْ أَلْفٍ عَابِدٍ» *^(٨).

١٤- * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلِّ مِنْ
ثَلَاثٍ» *^(٩).

١٥- * (حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ

(١) الإيْمَانُ يَمَانٌ: يَمَانٌ وَيَمَانِيَّةٌ هُوَ بِتَخْفِيفِ الْيَاءِ عِنْدَ جَمَاهِيرِ
أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ . لِأَنَّ الْأَلْفَ الْمَزِيدَةَ فِيهِ عَوْضٌ مِنْ يَاءِ النِّسْبِ
الْمُشَدَّدَةِ ، فَلَا يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا .

(٢) وَالْفِقْهُ: الْفَقْهُ هُنَا عِبَارَةٌ عَنِ الْفَهْمِ فِي الدِّينِ . وَاصْطَلَحَ بَعْدَ
ذَلِكَ الْفُقَهَاءُ وَأَصْحَابُ الْأَصُولِ عَلَى تَخْصِيصِ الْفَقْهِ
بِإِدْرَاكِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْعَمَلِيَّةِ ، بِالِاسْتِدْلَالِ عَلَى أَعْيَانِهَا .

(٣) وَالْحِكْمَةُ: الْحِكْمَةُ عِبَارَةٌ عَنِ الْعِلْمِ الْمُتَّصِفِ بِالْأَحْكَامِ
الْمُشْتَمِلِ عَلَى الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، الْمَصْحُوبِ بِنَفَازِ
الْبَصِيرَةِ وَتَهْذِيبِ النَّفْسِ وَتَحْقِيقِ الْحَقِّ وَالْعَمَلِ بِهِ . وَالصَّدَقُ
عَنِ اتِّبَاعِ الْهَوَى وَالْبَاطِلِ .

(٤) الْبُخَارِيُّ - الْفَتْحُ ٧ (٤٣٩٠) . وَمُسْلِمٌ (٥٢) وَاللَّفْظُ لَهُ .

(٥) الْبُخَارِيُّ - الْفَتْحُ ١٣ (٧٢٨١) .

(٦) تَنَفَّسَتْ: أَيُّ أَطْلَتَ قَلِيلًا .

(٧) مُسْلِمٌ (٨٦٩) . وَالْمِثْنَةُ: بَفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَتَشْدِيدِ
النُّونِ: أَيُّ عِلَامَةِ فَقْهِهِ .

(٨) التِّرْمِذِيُّ (٢٦٨١) وَقَالَ: غَرِيبٌ ، وَابْنُ مَاجَةَ (٢٢٢) وَفِي
سَنَدِهِ عِنْدَهُمَا رُوحُ بْنُ جَنَاحٍ الْأُمَوِيُّ وَهُوَ ضَعِيفٌ التَّقْرِيبُ
ص ٢١١ وَلِلْحَدِيثِ شَوَاهِدٌ كَثِيرَةٌ ضَعِيفَةٌ وَحَسَنَةٌ
وَصَحِيحَةٌ ، تُنْظَرُ فِي الدَّارِقُطَنِيِّ (٧٩ / ٣) وَمَجْمَعُ الزَّوَائِدِ
(١٢١ / ١١) وَأَقْوَاهَا حَدِيثُ مُعَاوِيَةَ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ: «مَنْ يَرِدُ
اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ» الْبُخَارِيُّ ٧١ وَمُسْلِمٌ ١٠٣٧ .

(٩) الْفَتْحُ (٧١٥ / ٨): مُشِيرًا إِلَى تَصْحِيحِ حَدِيثِ أَبِي دَاوُدَ
وَالْتِّرْمِذِيِّ هَذَا .

عَنْهُ - قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ خَرَجَ إِلَيْنَا نَاسٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِيهِمْ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَأَنَاسٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ . خَرَجَ إِلَيْكَ نَاسٌ مِنْ أَبْنَائِنَا وَإِخْوَانِنَا وَأَرْقَائِنَا وَلَيْسَ لَهُمْ فِقْهٌ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا خَرَجُوا فِرَارًا مِنْ أَمْوَالِنَا وَضِيَاعِنَا فَارْزُدْهُمْ إِلَيْنَا. قَالَ: «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِقْهٌ فِي الدِّينِ سَنَفَقَّهُهُمْ»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لَتَتَّهَنَ أَوْ لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَنْ يَضْرِبُ رِقَابَكُمْ بِالسَّيْفِ عَلَى الدِّينِ، قَدْ ائْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ عَلَى الْإِيمَانِ». قَالُوا: مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَقَالَ عُمَرُ: مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «هُوَ خَاصِفُ النَّعْلِ»، وَكَانَ أَعْطَى عَلِيًّا نَعْلَهُ يَخْصِفُهَا. ثُمَّ انْتَفَتَ إِلَيْنَا عَلِيٌّ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»*(١).

١٦-*(عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ:

سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ خَطِيبًا، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ

يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ . وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ، وَاللَّهُ يُعْطِي. وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»*(٢).

١٧-*(عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ . ثَائِرُ الرَّأْسِ*(٣). نَسَمِعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ وَلَا نَفْقَهُ مَا يَقُولُ. حَتَّى دَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ». فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لَا . إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ». وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ. فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ فَقَالَ: «لَا . إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ». وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزَّكَاةَ. فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لَا . إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ». قَالَ، فَأَذْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ»*(٤).

الأحاديث الواردة في الفقه «معنى»

الْمَرْأَةُ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ . فَغَطَّتْ أُمَّ سَلَمَةَ - تَغْنِي وَجْهَهَا - وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ،

١٨-*(عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ:

جَاءَتْ أُمَّ سُلَيْمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، فَهَلْ عَلَى

الكوفة. وللحديث روايات أخرى كثيرة. انظر: «جامع الأصول» و «موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف».

(٢) البخاري - الفتح ١ (٧١) واللفظ له. ومسلم (١٠٣٧).

(٣) ثَائِرٌ: هكذا هي في مسلم برفع ثائر صفة لرجل، وقيل يجوز نصبه على الحال، ومعنى ثائر الرأس: قائم الشعر منتفشه.

(٤) البخاري - الفتح ١ (٤٦). ومسلم (١١) واللفظ له.

(١) الترمذي: (٣٧١٥). وقال هذا حديث حسن صحيح

غريب لا نعرفه إلا من حديث ربعي عن علي قال:

وسمعت الجارود يقول: سمعت وكيعاً يقول لم يكذب

ربعي بن حراش في الإسلام كذبة . وأخبرني محمد بن

إسماعيل عن عبد الله بن أبي الأسود قال: سمعت

عبد الرحمن بن مهدي يقول: منصور بن المعتمر أثبت أهل

تَرَبَّتْ يَمِينُكَ^(١)، فَفِيمَ يُشَبِّهَهَا وَلَدُهَا؟»^(٢).

١٩- * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ:

سَأَلْتُ امْرَأَةَ النَّبِيِّ ﷺ: كَيْفَ تَغْتَسِلُ مِنْ حَيْضَتِهَا؟ قَالَ: فَذَكَرْتُ أَنَّهُ عَلَّمَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ. ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مِنْ مِسْكِ^(٣) فَتَطَهَّرُ بِهَا. قَالَتْ: كَيْفَ أَتَطَهَّرُ بِهَا؟. قَالَ: «تَطَهَّرِي بِهَا. سُبْحَانَ اللَّهِ^(٤)».

وَاسْتَتَرَ وَأَشَارَ لَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ بِيَدِهِ عَلَى وَجْهِهِ) قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: وَاجْتَذَبْتُهَا إِلَيَّ. وَعَرَفْتُ مَا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ. فَقُلْتُ: تَتَّبِعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ. وَقَالَ ابْنُ أَبِي عُمَرَ فِي رِوَايَتِهِ: فَقُلْتُ: تَتَّبِعِي بِهَا أَثَارَ الدَّمِ^(٥)*^(٦).

٢٠- * (عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: صَحِبْتُ ابْنَ عُمَرَ إِلَى

الْمَدِينَةِ فَلَمْ أَسْمَعْهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا حَدِيثًا

وَاحِدًا قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأُتِيَ بِجُمَارٍ^(٧) فَقَالَ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً مِثْلُهَا كَمِثْلِ الْمُسْلِمِ». فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ، فَإِذَا أَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ فَسَكَتُ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هِيَ النَّخْلَةُ»^(٨).

٢١- * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ: بُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ. فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ^(٩). فَيَسْأَلُهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ. فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ. فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَتَانَا رَسُولُكَ. فَزَعَمَ^(١٠) لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «صَدَقَ». قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ^(١١) قَالَ: «اللَّهُ». قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ قَالَ: «اللَّهُ». قَالَ: فَمَنْ نَصَبَ الْجِبَالَ، وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ؟. قَالَ: «اللَّهُ». قَالَ: فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَخَلَقَ

والجفاء. والبادية والبدو بمعنى. وهو ما عدا الحاضرة وال عمران. والنسبة إليها بدوي. والبدواة الإقامة بالبادية. وهي بكسر الباء عند جمهور أهل اللغة.

(١٠) فزعم رسولك: قوله زعم وتزعم مع تصديق رسول الله ﷺ إياه، دليل على أن زعم ليس مخصوصاً بالكذب والقول المشكوك فيه. بل يكون أيضاً في القول المحقق والصدق الذي لا شك فيه.

(١١) فمن خلق السماء الخ: هذه جملة تدل على أنواع من العلم. قال صاحب التحرير: هذا من حسن سؤال هذا الرجل وملاحة سياقته وترتيبه. فإنه سأل أولاً عن صانع المخلوقات من هو؟ ثم أقسم عليه به أن يصدق في كونه رسولاً للصانع. ثم لما وقف على رسالته وعلمها أقسم عليه بحق مرسله وهذا ترتيب يفتقر إلى عقل رصين. ثم إن هذه الأيمان جرت للتأكيد وتقرير الأمر. لا لافتقاره إليها. كما أقسم الله تعالى على أشياء كثيرة.

(١) تربت يمينك أي افتقرت وهي من الألفاظ التي يُزجر بها ولا يراد بها ظاهرها.

(٢) البخاري - الفتح ١ (١٣٠).

(٣) فرصة من مسك: مثال سدره. قطعة قطن أو خرقة تستعملها المرأة في مسح دم الحيض. والمعنى تأخذ فرصة مطيبة من مسك.

(٤) سبحان الله: يراد بها التعجب. ومعنى التعجب هنا: كيف يخفى مثل هذا الظاهر الذي لا يحتاج الإنسان في فهمه إلى فكر.

(٥) تتبعي بها آثار الدم: قال جمهور العلماء: عني به الفرج.

(٦) البخاري - الفتح ١ (٣١٤). ومسلم ١ (٣٣٢) واللفظ له.

(٧) الجُمَارُ: هو الذي يُؤْكَلُ من قلب النخل: يكون لنا.

(٨) البخاري - الفتح ١ (٧٢). واللفظ له ومسلم ١ (٢٨١١).

(٩) العاقل: لكونه أعرف بكيفية السؤال وآدابه والمهم منه. وحسن المراجعة. فإن هذه أسباب عظم الانتفاع بالجواب. ولأن أهل البادية هم الأعراب. ويغلب فيهم الجهل

صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي سَنَتِنَا. قَالَ: «صَدَقَ». قَالَ:
فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ. اللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟. قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ:
وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ
سَبِيلًا. قَالَ: «صَدَقَ». قَالَ: ثُمَّ وَلَّى. قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ
بِالْحَقِّ لَا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ. فَقَالَ النَّبِيُّ
ﷺ: «لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ» * (١).

الْأَرْضَ وَنَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ. اللَّهُ أَرْسَلَكَ؟. قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ:
وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا
وَلَيْلَتِنَا. قَالَ: «صَدَقَ». قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ. اللَّهُ أَمَرَكَ
بِهَذَا؟. قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا زَكَاةً
فِي أَمْوَالِنَا. قَالَ: «صَدَقَ». قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ. اللَّهُ
أَمَرَكَ بِهَذَا؟. قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في «الفقه»

لِلشَّمْسِ» * (٤).

٤- * (عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ وَأَصْحَابُ ابْنِ
عَبَّاسٍ حَلَقُوا فِي الْمَسْجِدِ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَعِكْرِمَةُ،
وَابْنُ عَبَّاسٍ قَائِمٌ يُصَلِّي، إِذْ وَقَفَ عَلَيْنَا رَجُلٌ فَقَالَ:
هَلْ مِنْ مُفْتٍ؟ فَقُلْنَا: سَلْ، فَقَالَ: إِنِّي كُلَّمَا بُلْتُ تَبِعَهُ
الْمَاءُ الدَّافِقُ، قَالَ قُلْنَا الَّذِي يَكُونُ مِنْهُ الْوَلَدُ قَالَ: نَعَمْ.
قُلْنَا عَلَيْكَ الْغُسْلُ. قَالَ: فَوَلَّى الرَّجُلُ وَهُوَ يُرْجَعُ. قَالَ
وَعَجَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي صَلَاتِهِ ثُمَّ قَالَ لِعِكْرِمَةَ: عَلَيَّ
بِالرَّجُلِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَفْتَيْتُمْ بِهِ هَذَا
الرَّجُلَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ؟ قُلْنَا: لَا. قَالَ: فَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ؟ قُلْنَا: لَا. قَالَ: فَعَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟
قُلْنَا: لَا. قَالَ: فَعَمَّهُ؟ قُلْنَا: عَنْ رَأِينَا. قَالَ فَقَالَ:
فَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى
الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ» قَالَ: وَجَاءَ الرَّجُلُ فَأَقْبَلَ

١- * (قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - :
تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تَسُودُوا، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ يَعْزِي
الْبُخَارِيُّ: وَبَعْدَ أَنْ تَسُودُوا، وَقَدْ تَعَلَّمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ
ﷺ فِي كِبَرِ سِنِهِمْ) * (٢).

٢- * (عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
قَالَ: «إِنَّ الْفَقِيهَ حَقَّ الْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقْنِطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ
اللَّهِ، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ فِي مَعَاصِي اللَّهِ، وَلَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ
عَذَابِ اللَّهِ، وَلَمْ يَدْعِ الْقُرْآنَ رَغْبَةً عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ إِنَّهُ لَأَحَيْرٌ
فِي عِبَادَةٍ لَا عِلْمَ فِيهَا، وَلَا عِلْمَ لَفَقِهِمْ فِيهِ، وَلَا قِرَاءَةً
لَا تَدَبُّرَ فِيهَا» * (٣).

٣- * (رَوَى قُتَيْبُ بْنُ الْعَبَّاسِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -
قَالَ: «قِيلَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - :
كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ قَالَ: دَعْوَةُ مُسْتَجَابَةٍ.
قِيلَ فَكَمْ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ؟ قَالَ: مَسِيرَةُ يَوْمٍ

(٣) الدارمي في المقدمة (١/١٠١) برقم (٢٩٧).

(٤) أدب الدنيا والدين (١٢).

(١) مسلم (١٢).

(٢) الفتح (١/١٩٩).

النَّبِيِّ ﷺ، دَعَا عَلَيْهِمْ بِسِنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ . فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ^(٤) . حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةَ الدُّخَانِ مِنَ الْجَهْدِ . وَحَتَّى أَكَلُوا الْعِظَامَ . فَاتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرِ اللَّهَ لِمُضَرٍّ^(٥) فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا . فَقَالَ: «لِمُضَرٍّ؟ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ»^(٦) . قَالَ فَدَعَا اللَّهُ لَهُمْ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿إِنَّا كَاشَفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ (الدخان/ ١٥) قَالَ فَمُطِرُوا فَلَمَّا أَصَابَتْهُمْ الرَّفَاهِيَّةُ ، قَالَ ، عَادُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ . قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الدخان/ ١٠-١١) ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ (الدخان/ ١٦) قَالَ: يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ^(٧) .

٨ - * (قَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : «نِعَمَ النِّسَاءِ نِسَاءَ الْأَنْصَارِ ، لَمْ يَمْنَعْنَهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ»^(٨) .

٩ - * (قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - «لَأَنَّ أَفْقَهُ

عَلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ذَلِكَ مِنْكَ أَتَجِدُ شَهْوَةً فِي قَلْبِكَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ فَهَلْ تَجِدُ خَدْرًا فِي جَسَدِكَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: إِنَّمَا هَذِهِ إِبْرَادَةٌ يُجْزِيكَ مِنْهَا (الْوُضُوءُ) *^(١) .

٥ - * (عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ: قِيلَ لَابْنِ عَبَّاسٍ: «هَلْ لَكَ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةَ فَإِنَّهُ مَا أَوْتَرَ إِلَّا بِوَاحِدَةٍ ، قَالَ: إِنَّهُ فَقِيهٌ»^(٢) .

٦ - * (قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : «كُونُوا رَبَّانِيِّينَ حُكَمَاءَ فَفَهَاءَ»^(٣) .

٧ - * (عَنْ مَسْرُوقٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ: جَاءَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ فَقَالَ: «تَرَكْتُ فِي الْمَسْجِدِ رَجُلًا يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ. يُفَسِّرُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ قَالَ: يَأْتِي النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دُخَانٌ فَيَأْخُذُ بِأَنْفُسِهِمْ. حَتَّى يَأْخُذَهُمْ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَّامِ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: مَنْ عِلْمَ عِلْمًا فَلْيَقُلْ بِهِ. وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَمُ. فَإِنَّ مِنْ فَتَاهِ الرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ ، لِمَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ: اللَّهُ أَعْلَمُ. إِنَّمَا كَانَ هَذَا ، أَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَتْ عَلَى

(١) الأجرى في أخلاق العلماء: ٢٦ وقال محققه: ذكر صاحب كنز العمال هذا الأثر وقال: أخرجه ابن عساكر بإسناد حسن.

(٢) البخاري - الفتح ٧ (٣٧٦٥)

(٣) الفتح (١/ ١٩٢) مقدمة باب العلم قبل القول.

(٤) وجهه: أي مشقة شديدة .

(٥) استغفر الله لمضر: هكذا وقع في جميع نسخ مسلم: استغفر الله لمضر . وفي البخاري: استسق الله لمضر . قال القاضي: قال بعضهم: استسق هو الصواب اللائق بالحال ، لأنهم كفار لا يدعى لهم بالمغفرة . قلت: كلاهما صحيح . فمعنى استسق: اطلب لهم المطر والسقيا . ومعنى استغفر: ادع الله

لهم بالهداية التي يترتب عليها الاستغفار .

(٦) لمضر؟ إنك لجريء: قال الأبي: هو على وجه التقرير والتعريف بكفرهم واستعظامه لهم . أي فكيف يستغفر أو يستسقي لهم وهم عدو الدين . ويصح هذا ، عندي ، على ما ذكر مسلم من لفظ استغفر . لأن الإنكار إنما هو للاستغفار الذي سأل لهم . بدليل أنه عدل عنه إلى الدعاء لهم بالسقي . ولو كان استعظامه إنما هو لطلب السقيا ، لم يستسق لهم .

(٧) مسلم (٢٧٩٨).

(٨) البخاري تعليقا. انظر: الفتح (١/ ٢٧٦) باب الحياء في العلم.

سَاعَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُخَيَّرَ لَيْلَةً أُصَلِّيَهَا حَتَّى أَصْبَحَ ،
وَفَقِيهٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ
دِعَامَةٌ وَدِعَامَةُ الدِّينِ الْفَقْهُ» *^(١).

١٠- * (قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - :
مَنْ فِقِهَ الْمَرْءُ ، إِقْبَالُهُ عَلَى حَاجَتِهِ حَتَّى يُقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ ،
وَقَلْبُهُ فَارِغٌ) *^(٢).

١١- * (عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : «أَنَّهُ نَزَلَ
عَلَى نَبْطِيَّةٍ بِالْعِرَاقِ ، فَقَالَ لَهَا: هَلْ هَاهُنَا مَكَانٌ نَظِيفٌ ،
أُصَلِّي فِيهِ ؟ فَقَالَتْ: طَهَّرْ قَلْبَكَ ، وَصَلِّ حَيْثُ شِئْتَ ،
فَقَالَ: فَقِهْتُ أَيُّ فَهْمْتُ وَفَطِنْتُ لِلْحَقِّ وَالْمَعْنَى الَّذِي
أَرَادَتْ» *^(٣).

١٢- * (قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: «الْفَقِيهُ الْوَرَعُ
الزَّاهِدُ الَّذِي لَا يَسْخَرُ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُ ، وَلَا يَهْمُزُ مِنْ
فَوْقَهُ ، وَلَا يَأْخُذُ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَهُ اللَّهُ ، حُطَامًا» *^(٤).

١٣- وَقَالَ أَيْضًا: (إِنَّمَا الْفَقِيهُ الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا
الرَّائِبُ فِي الْآخِرَةِ ، الْبَصِيرُ فِي أَمْرِ دِينِهِ ، الْمُدَاوِمُ عَلَى
عِبَادَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -) *^(٥).

١٤- * (وَرَوَى عَنْهُ قَالَ : مَا رَأَيْنَا فَقِيهًا
يُبَارِي) *^(٦).

١٥- * (وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَوْنٍ الْبَصْرِيُّ - مِنْ

صِغَارِ التَّابِعِينَ - : ثَلَاثٌ أَحَبُّهُنَّ لِنَفْسِي وَلِإِخْوَانِي: هَذِهِ
السُّنَّةُ - أَنْ يَتَعَلَّمُوها وَيَسْأَلُوا عَنْهَا ، وَالْقُرْآنُ أَنْ يَتَفَهَّمُوهُ
وَيَسْأَلُوا النَّاسَ عَنْهُ ، وَيَدْعُوا النَّاسَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ) *^(٧).

١٦- * (قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :
«خَمْسٌ إِذَا أَخْطَأَ الْقَاضِي مِنْهُنَّ خُطَّةً كَانَتْ فِيهِ وَصْمَةٌ:
أَنْ يَكُونَ فِيهَا ، حَلِيمًا ، عَفِيفًا ، صَلِيًّا ، عَالِمًا ، سَوْلًا عَنِ
الْعِلْمِ» *^(٨).

١٧- * (قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :
«مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ عَظُمَتْ قِيَمَتُهُ ، وَمَنْ تَعَلَّمَ الْفِقْهَ نَبَلَ
مِقْدَارُهُ ، وَمَنْ كَتَبَ الْحَدِيثَ قَوِيَتْ حُجَّتُهُ ، وَمَنْ تَعَلَّمَ
الْحِسَابَ جَزُلَ رَأْيُهُ ، وَمَنْ تَعَلَّمَ اللُّغَةَ رَقَّ طَبْعُهُ ، وَمَنْ لَمْ
يُصْنُ نَفْسَهُ ، لَمْ يَنْفَعَهُ عِلْمُهُ» *^(٩).

١٨- * (وَأَنْشَدَ الرَّبِيعُ عَنِ الشَّافِعِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -
وَمَنْزِلَةَ السَّفِيهِ مِنَ الْفَقِيهِ

كَمَنْزِلَةِ الْفَقِيهِ مِنَ السَّفِيهِ
فَهَذَا زَاهِدٌ فِي قُرْبِ هَذَا

وَهَذَا فِيهِ أَزْهَدُ مِنْهُ فِيهِ
إِذَا غَلَبَ الشَّقَاءُ عَلَى سَفِيهِ

تَنْطَعُ فِي مُخَالَفَةِ الْفَقِيهِ) *^(١٠).

١٩- * (قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: (فَإِنْ اتَّسَعَ الزَّمَانُ

(٦) أخلاق العلماء للأجري (٥٨).

(٧) فتح الباري (٢٦٣/١٣).

(٨) الفتح (١٥٦/١٣).

(٩) أدب الدنيا والدين للهاوردي (٢٨).

(١٠) أدب الدنيا والدين (٢٨).

(١) مفتاح دار السعادة (٦٩).

(٢) الفتح (١٨٦/٢).

(٣) النهاية في غريب الحديث (٤٦٥/٣).

(٤) الأجري في أخلاق العلماء (٧٤).

(٥) المصدر السابق . والدارمي (١٤٨٩/١).

تَوَامَنَ ، فَالِدَيْنِ أَصْلٌ ، وَالسُّلْطَانُ حَارِسٌ ، وَمَالًا أَصْلٌ لَهُ فَمَهْدُومٌ ، وَمَالًا حَارِسٌ لَهُ فَضَائِعٌ ، وَلَا يَتِمُّ الْمُلْكُ وَالضَّبْطُ إِلَّا بِالسُّلْطَانِ ، وَطَرِيقُ الضَّبْطِ فِي فَضْلِ الْحُكُومَاتِ بِالْفِقْهِ «^(٣)» .

٢٢- * (قَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ: «آيَةُ الْعَقْلِ سُرْعَةُ

الْفَهْمِ»^(٤) .

لِلتَزْيِيدِ مِنَ الْعِلْمِ ، فَلْيَكُنْ مِنَ الْفِقْهِ فَإِنَّهُ الْأَنْفَعُ»^(١) .

٢٠- * (أَنْشَدَ الْمُبَرِّدُ عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ الْغَنَوِيِّ:

فَسَلِ الْفَقِيهَ تَكُنْ فَقِيهًا مِثْلَهُ

لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ بِغَيْرِ تَدَبُّرٍ»^(٢) .

٢١- * (قَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ :-

«الْفَقِيهَ هُوَ الْعَالِمُ بِقَانُونِ السِّيَاسَةِ وَطَرِيقِ التَّوَسُّطِ بَيْنَ الْخَلْقِ إِذَا تَنَازَعُوا بِحُكْمِ الشَّهَوَاتِ ، وَالْمُلْكِ وَالِدَيْنِ

من فوائد «الفقه»

- (٥) الْعِبَادَةُ مِنْ غَيْرِ فِقْهِ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ .
- (٦) الرِّحْلَةُ وَالِاسْتِنْفَارُ لِلتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ سُنَّةُ السَّلَفِ .
- (٧) تَعَلُّمُ الْفِقْهِ مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ .
- (٨) قِرَاءَةُ الْفِقْهِ لِلْقُرْآنِ تَكُونُ بِتَبَصُّرٍ وَتَأَمُّلٍ وَتَمَعُّنٍ .
- (٩) بَعْضُ الْأَسْئَلَةِ الْمُخْرِجَةِ فِي الْفِقْهِ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ جُرْأَةٍ .
- (١٠) الْفِقْهُ يَهْدِي الْأَخْلَاقَ ، وَيَضَعُ لِلطَّيِّسِ حُدُودًا .

- (١) إِنَّ مَثَلَ الْفِقْهِ فِي دِينِ اللَّهِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ يَنْزِلُ فِي الْأَرْضِ الطَّيِّبَةِ فَيَنْبُتُ الْخَيْرُ لِلنَّاسِ .
- (٢) الْفِقْهُ فِي الدِّينِ يُعْلِي مَنْزِلَةَ صَاحِبِهِ بَيْنَ قَوْمِهِ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَقَلِّهِمْ شَأْنًا .
- (٣) يَصُونُ صَاحِبَهُ عَنِ الزَّلَلِ وَالْخَطَا ، فَيُحْسِنُ التَّحَدُّثَ وَالصَّمْتَ وَالتَّصَرُّفَ .
- (٤) أَهْلُ الْفِقْهِ: مَصَابِيحُ الْأُمَّةِ ، تُنِيرُ لَهُمْ طَرِيقَ الْهُدَى .

القسط

الآيات	الأحاديث	الآثار
٢٠	٦	١

القسط لغة :

قَسَطَ وَأَقْسَطَ لُغَتَانِ بِمَعْنَى عَدَلَ.

وَأَمَّا قَسَطَ الَّذِي مَصْدَرُهُ الْقِسْطُ فَهُوَ بِمَعْنَى جَارٍ ، فَكَأَنَّ الهمزة فِيهِ لِلْسَّلْبِ ، كَمَا يُقَالُ : شَكَأَ إِلَيْهِ فَأَشْكَاهُ.

وَالْقِسْطُ : الْمِيزَانُ ، سُمِّيَ بِهِ مِنَ الْقِسْطِ الْعَدْلُ ، فِي الْحَدِيثِ «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ ، وَلَا يَنبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ» أَرَادَ أَنَّ اللَّهَ يَخْفِضُ ، وَيَرْفَعُ مِيزَانَ أَعْمَالِ الْعِبَادِ الْمُتَرَفِّعَةِ إِلَيْهِ ، وَأَرْزَاقَهُمُ النَّازِلَةَ مِنْ عِنْدِهِ كَمَا يَرْفَعُ الْوِزَانَ يَدُهُ وَيَخْفِضُهَا عِنْدَ الْوِزْنِ ، وَقِيلَ : أَرَادَ بِالْقِسْطِ : الْقِسْمَ مِنَ الرِّزْقِ الَّذِي هُوَ نَصِيبُ كُلِّ مَخْلُوقٍ ، وَخَفَضَهُ تَقْلِيلَهُ ، وَرَفَعَهُ تَكْثِيرَهُ.

وَالْقِسْطُ : الْحِصَّةُ وَالنَّصِيبُ . وَتَقَسَّطُوا الشَّيْءَ بَيْنَهُمْ : تَقَسَّمُوهُ عَلَى الْعَدْلِ وَالسَّوَاءِ . وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ (الشعراء/ ١٨٢) فَالْمُرَادُ أَقْوَمُ الْمَوَازِينِ (١).

معنى اسم الله «المقسط» :

فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى «الْمُقْسِطُ» بِمَعْنَى الْعَادِلِ ، وَقَالَ الْحَلِيمِي : هُوَ الْمُعْطِي عِبَادَهُ الْقِسْطَ وَهُوَ الْعَدْلُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَقَدْ يَكُونُ مَعْنَاهُ : الْمُعْطِي لِكُلِّ مِنْهُمْ قِسْطًا مِنْ خَيْرِهِ (٢).

القسط اصطلاحاً :

قَالَ الْمُنَاوِي : الْقِسْطُ (بِالْكَسْرِ) هُوَ النَّصِيبُ بِالْعَدْلِ (٣).

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ : الْقِسْطُ هُوَ الْعَدْلُ فِي الْمُعَامَلَاتِ (٤).

الأمر بالقسط :

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : أَخْبَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَالْحَدِيدَ لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد/ ٢٥ مدنية).

وَلِهَذَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ بِتَوَلِيَةِ وُلاَةِ الْأُمُورِ عَلَيْهِمْ وَأَمَرَ وُلاَةِ الْأُمُورِ أَنْ يَرُدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ، وَإِذَا حَكَمُوا بَيْنَ النَّاسِ أَنْ يَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ (٥).

[للاستزادة: انظر صفات: الإنصاف - الحكم بما أنزل الله - العدل والمساواة - الإيمان - الإسلام - التقوى - الإحسان - الأمانة - المروءة - المراقبة. وفي ضد ذلك: انظر صفات: البغي - الظلم - الحكم بغير ما أنزل الله - التطفيف - الضلال - العتو].

والمراد بهذا القسط يعني أن يأخذ كل نصيبه بالعدل دون زيادة أو جور.

(٤) تفسير القرطبي (٩١).

(٥) الحسبة (١٩).

(١) لسان العرب (٥/ ٣٦٢٥ - ٢٦٢٧). وانظر الصحاح (٣/ ١١٥٢). وبصائر ذوي التمييز (٤/ ٢٦٩).

(٢) لسان العرب (٥/ ٣٦٢٦). وفتح الباري ، شرح صحيح البخاري (١٣/ ٥٣٩).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٧١).

الآيات الواردة في « القسط »

الله قائم بالقسط:

١ - شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو
الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلِيسَ لَهُمْ مَا اخْتَلَفَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ
الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِثَايِتِ اللَّهِ
فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ
وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُ
فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِثَايِتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ
يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٢﴾^(١)

القسط في المعاملات:

٢ - يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ
مُسَمًّى فَاصْكُتُوا وَلْيَكُتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ
بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ

اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ

وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ
الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ
أَنْ يُعْلِلَ هُوَ فليُكْتَبْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا

شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ
فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ
أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا

الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا
أَنْ تَكْتُوبَهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلٍ ذَٰلِكُمْ
أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ

أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً
تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكْتُوبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ

وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ
فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ
اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣﴾^(٢)

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ
فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي
يَتَمَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ

لَهُنَّ وَتَرَّغِبُونَ أَنْ تُنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضَعَّاتِ
مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى
بِالْقِسْطِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ

فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿٢٤﴾^(٣)

-٣-

٤ - ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ

شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّٰهُ أَوْلَىٰ
بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا
أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانِ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٧٥﴾

(١)

٥ - ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّٰهِ
شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شَتَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ
أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ
بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٧٦﴾

(٢)

٦ - ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ كُمْ
عَلَيْكُمْ ۖ لَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ
نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا
الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ
وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ۖ إِلَّا بِالْحَقِّ
ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧٧﴾
وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ
بِالْقِسْطِ ۖ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ
وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ
اللّٰهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴿١٧٨﴾

(٣)

وَأَنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ
وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ

ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾

(٣)

٧ - ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَرُمُ اعْبُدُوا
اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۚ وَلَا تَنْقُصُوا
الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ
وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿١٨٠﴾
وَيَقْرَأُ أَوْفُوا بِالْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ
وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا
فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨١﴾
يَقِيْتُ اللَّهَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ
وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمُحْفِظٍ ﴿١٨٢﴾

-٧

(٤)

(٥)

٨ - ﴿وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ إِذَا كَلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ ۖ السِّتْقِيمِ
ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿١٨٣﴾
وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿١٨٤﴾
وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ
وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿١٨٥﴾
كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿١٨٦﴾

-٨

(٦)

(٧)

٩ - ﴿وَلَيْنَ مَسْتَهْزِئَةٍ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ
لَيَقُولُنَّ يَنْتَوِيلُنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٨٧﴾
وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ
مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿١٨٨﴾

-٩

(٨)

(٩)

١٠ - ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٩﴾

إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٧٩﴾

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾

﴿١٨١﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨٢﴾

وزِنُوا بِالْقِسْطِ أَسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٣﴾

وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ

مُفْسِدِينَ ﴿١٨٤﴾

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٥﴾

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۖ وَمَا جَعَلَ

أَزْوَاجَكُمْ أَلْفًا تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ

أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ

يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿١٨٦﴾

أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ

فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ

فِي الدِّينِ وَمَوَالِكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ

فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ۚ بَلْ لَّيْكُنَ مَا تَعْمَدُونَ قُلُوبُكُمْ

وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٨٧﴾

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾

عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾

خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾

عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾

الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُحْسَبَانِ ﴿٥﴾

وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾

وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾

أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾

وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ

وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾

وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ

الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ

وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ

لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ

بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١١﴾

لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ

وَلَمْ يَخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٢﴾

القسط في الحكومات:

﴿١٣﴾ يَتَأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ

يُكَفِّرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا

بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ

هَادُوا وَسَمَّعُوا لِلْكَذِبِ

سَمَّعُوا لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ

الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ

أُوتِينَا هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا

وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ

اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ

يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ

فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾

سَمَّعُوا لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلشُّحِّ

فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ

وَأِنْ تَعْرَضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا
وَأِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾

١٦- إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ
إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ
فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾
إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُوُ
الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ
شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا
يَكْفُرُونَ ﴿٤٤﴾

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا
وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ
وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٤٥﴾

١٧- إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ
أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٦﴾

وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ
يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ
وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٧﴾
وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّئَنَّكَ فَاِلْتِنَا
مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٨﴾
وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ
بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٩﴾

١٨- وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ
بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ
بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٠﴾

١٩- وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا
بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا
الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ
فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٥١﴾
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٢﴾

القسط في العبادات:

٢٠- يَبْنِيَّ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ
أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا
سَوْءَٰتِهِمَا إِنَّهُ يَرَبُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مَن حَيْثُ
لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ
لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٣﴾

وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا
وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّمَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ
أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٤﴾
قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ
كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ
كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٥٥﴾

فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ
اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ
وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٥٦﴾

الأحاديث الواردة في « القسط »

قُرَيْشًا . فَقُلْتُ: رَبِّ إِذَا يَثْلَغُوا رَأْسِي ^(٧) فَيَدْعُوهُ خُبْرَةٌ .
 قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ . وَاغْزِهِمْ نُغْزِكَ ^(٨) .
 وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقُ عَلَيْكَ . وَأَبْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثُ خَمْسَةَ مِثْلَهُ
 . وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مِنْ عَصَاكَ . قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ
 ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ . وَرَجُلٌ
 رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى ، وَمُسْلِمٌ . وَعَفِيفٌ
 مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ . قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ
 الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ ^(٩) ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَتَّبِعُونَ ^(١٠)
 أَهْلًا وَلَا مَالًا . وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ ^(١١) . وَإِنْ
 دَقَّ ، إِلَّا خَانَهُ . وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمَسِي إِلَّا وَهُوَ
 يُحَادِّثُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ ، وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوْ الْكَذِبَ .

١ - * (عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمَجَاشِعِيِّ - رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ: « أَلَا إِنَّ
 رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلِمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي ، يَوْمِي
 هَذَا . كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا ، حَلَالٌ ^(١) . وَإِنِّي خَلَقْتُ
 عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ ^(٢) . وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ
 فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ . وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ
 . وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا . وَإِنَّ اللَّهَ
 نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ ^(٣) ، عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ ،
 إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ^(٤) . وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ
 لِأَبْتَلِيكَ وَأَبْتَلِي بِكَ ^(٥) . وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ
 الْمَاءُ ^(٦) . تَقْرُؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَان . وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحْرِقَ

يُظهر إيمانه ويُخلص في طاعته ، ومن يتخلف وينابذ
 بالعداوة والكفر ، ومن ينافق .
 (٦) كتابًا لا يغسله الماء: معناه محفوظ في الصدور لا يتطرق
 إليه الذهاب ، بل يبقى على مَرِّ الزمان .
 (٧) إِذَا يَثْلَغُوا رَأْسِي: أي يشدخوه ويشجوه كما يشدخ الخبز،
 أي يكسر .
 (٨) نُغْزِكَ: أي نعينك .
 (٩) لَا زَبْرَ لَهُ أي لا عقل له يزره ويمنعه مما لا ينبغي . وقيل:
 هو الذي لا مال له . وقيل: الذي ليس عنده ما يعتمد عليه .
 (١٠) لَا يَتَّبِعُونَ: مخفف ومشدد من الاتباع . أي يتبعون
 ويتبعون .
 (١١) وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ: معنى لا يخفى لا يظهر .
 قال أهل اللغة: يقال خفيت الشيء إذا أظهرته . وأخفيتها
 إذا سترته وكتمته . هذا هو المشهور . وقيل: هما لغتان فيها
 جميعًا .

(١) كل مال نحلته عبدًا حلال: في الكلام حذف . أي قال الله
 تعالى: كل مال الخ .. ومعنى نحلته أعطيته . أي كل مال
 أعطيته عبدًا من عبادي فهو له حلال . والمراد إنكار ما
 حرموا على أنفسهم من السائبة والوصيلة والبحيرة والحام
 وغير ذلك . وأنها لم تصر حرامًا بتحريمهم . وكل مال
 ملكه العبد فهو له حلال حتى يتعلق به حق .
 (٢) حنفاء كلهم: أي مسلمين ، وقيل: طاهرين من المعاصي .
 وقيل: مستقيمين منيين لقبول الهداية .
 (٣) فمقتهم: المقت أشد البغض . والمراد بهذا المقت والنظر، ما
 قبل بعثة رسول الله ﷺ .
 (٤) إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: المراد بهم الباقون على التمسك
 بدينهم الحق ، من غير تبديل .
 (٥) إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيكَ وَأَبْتَلِي بِكَ: معناه لأمتحنك بما يظهر
 منك من قيامك بما أمرتك به من تبليغ الرسالة ، وغير
 ذلك من الجهاد في الله حق جهاده ، والصبر في الله تعالى ،
 وغير ذلك . وَأَبْتَلِي بِكَ مِنْ أَرْسَلْتُكَ إِلَيْهِمْ . فمنهم من

«وَالشَّنْظِيرُ^(١) الْفَحَّاشُ». وَلَمْ يَذْكُرْ أَبُو غَسَّانَ فِي حَدِيثِهِ «وَأَنْفَقَ فَسَنُفِقَ عَلَيْكَ» *^(٢).

٢ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُّوا» *^(٣).

٣ - * (عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَانِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ» *^(٤).

٤ - * (عَنْ أَبِي مُوسَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَابِ بَيْتٍ فِيهِ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَامَ وَأَخَذَ بِعِضَادَةِ الْبَابِ، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ فِي الْبَيْتِ إِلَّا قُرَشِيٌّ؟»، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، غَيْرُ فَلَانِ ابْنِ أُخْتِنَا، فَقَالَ: «ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ»، قَالَ:

ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ مَا دَامُوا، إِذَا اسْتَرْجَحُوا رَحِمُوا، وَإِذَا حَكَمُوا عَدَلُوا، وَإِذَا قَسَمُوا أَقْسَطُوا، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ» *^(٥).

٥ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ، لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مِلْتُمْ ظُلْمًا وَجَوْرًا» *^(٦).

٦ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخَنَزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ» *^(٧).

(٥) أحمد (٣٩٦/٤) وبعضه في المسند من حديث أبي هريرة، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٧٢/١٤).

(٦) أبو داود (٤٢٨٢) واللفظ له. والترمذي (٢٢٣١). وقال: حسن صحيح. وأحمد من مسند أبي سعيد (٢٧/٣)، ٢٨، ٣٦، ٣٧، ٥٢، ٧٠.

(٧) البخاري - الفتح ٤ (٢٢٢٢). ومسلم (١٥٥) واللفظ له.

(١) الشنظير: فسره في الحديث بأنه الفحاش، وهو السيئ الخلق.

(٢) مسلم (٢٨٦٥).

(٣) مسلم (١٨٢٧).

(٤) أبو داود (٤٨٤٣) واللفظ له، وقال محقق جامع الأصول: للحديث شواهد يتقوى بها، وقد حسنه النووي والعراقي وابن حجر (٥٧٢/٦).

من الآثار الواردة في «القسط»

- ١ - ﴿قَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - لِعُرْوَةَ ابْنِ الزُّبَيْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ (النساء/ ٣): يَا ابْنَ أُخْتِي! هَذِهِ الْيَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حِجْرٍ وَلَيْيَها، تَشْرُكُهُ فِي مَالِهِ وَيُعْجِبُهُ مَا لَهَا وَجَمَالُهَا، فَيُرِيدُ وَلَيْيَها أَنْ يَتَزَوَّجَهَا بِغَيْرِ أَنْ يُقْسِطَ فِي صَدَاقِهَا فَيُعْطِيَهَا مِثْلَ مَا يُعْطِيهَا غَيْرُهُ، فَهُوَ عَنْ أَنْ يَنْكِحُوهَنَّ إِلَّا أَنْ يُقْسِطُوا لَهُنَّ وَيَبْلُغُوا لَهُنَّ أَعْلَى سُنَّتِهِنَّ فِي الصَّدَاقِ، فَأَمَرُوا أَنْ يَنْكِحُوا مَا طَابَ لَهُمْ
- مِنَ النِّسَاءِ سِوَاهُنَّ . وَقَالَتْ عَائِشَةُ: وَإِنَّ النَّاسَ اسْتَفْتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ ﴿قَالَتْ عَائِشَةُ: وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾: (النساء/ ١٢٧) رَغْبَةً أَحَدُكُمْ عَنْ يَتِيمَتِهِ حِينَ تَكُونُ قَلِيلَةَ الْمَالِ وَالْجَمَالِ . قَالَتْ: فَهُوَ أَنْ يَنْكِحُوا عَنْ مَنْ رَغِبُوا فِي مَالِهِ وَجَمَالِهِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ إِلَّا بِالْقِسْطِ مِنْ أَجْلِ رَغْبَتِهِمْ عَنْهُنَّ إِذَا كُنَّ قَلِيلَاتِ الْمَالِ وَالْجَمَالِ﴾*^(١).

الأحاديث الواردة في «القسط» معني

انظر صفة : العدل، والحكم بما أنزل الله.

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في «القسط»

انظر صفتي : «العدل، والحكم بما أنزل الله».

من فوائد «القسط»

- (١) فِيهِ مَرْضَاةٌ لِلرَّحْمَنِ وَاتِّبَاعٌ لِسَيِّدِ الْأَنَامِ .
- (٢) يَضْمَنُ الْحُقُوقَ وَيَحْفَظُ الْأَمَانَاتِ .
- (٣) الْقِيَامُ بِالْقِسْطِ سِمَةٌ مِنْ سِمَاتِ إِخْلَاصِ الشَّهَادَةِ لِلَّهِ .
- (٤) يَكْسُو صَاحِبَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .
- (٥) مَنْ قَامَ بِالْقِسْطِ عَظُمَ ثَوَابُهُ .
- (٦) فِيهِ الْحِفَاطُ عَلَى سَلَامَةِ الْمُجْتَمَعِ .
- (٧) يُعِيدُ صَاحِبَهُ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَالْمَلَأَيْكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ .

القصاص

الآثار	الأحاديث	الآيات
٦	٩	٤

القصاص لغةً :

اسمٌ بِمَعْنَى الْقَوْدِ مَاخُودٌ مِنْ مَادَّةٍ (ق ص ص) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى تَتَبُّعِ الشَّيْءِ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : اقْتَصَصْتُ الْأَثَرَ إِذَا تَتَبَعْتَهُ قَالَ ابْنُ فَارِسٍ : وَمِنْ ذَلِكَ اسْتِقَاقُ الْقِصَاصِ فِي الْجِرَاحِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُفْعَلُ بِهِ مِثْلُ فِعْلِهِ بِالْأَوَّلِ ، فَكَأَنَّهُ اقْتَصَّ أَثَرَهُ، وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ : الْقِصَاصُ الْقَوْدُ، وَقَدْ أَقَصَّ الْأَمِيرُ فَلَانًا مِنْ فَلَانٍ إِذَا اقْتَصَّ لَهُ مِنْهُ فَجَرَحَهُ مِثْلَ جُرْحِهِ، أَوْ قَتَلَهُ قَوْدًا، وَاسْتَقَصَّهُ سَأَلَهُ أَنْ يُقَصَّ مِنْهُ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ : قَصَّه الْمَوْتُ وَأَقَصَّه بِمَعْنَى دَنَا مِنْهُ، وَأَصْلُ الْكَلِمَةِ قَاصٌّ مُقَاصَّةً (مُشَدَّدٌ) ، مِثْلُ سَارَةٍ مُسَارَةً وَحَاجَةً مُحَاجَةً وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. وَالْقِصَاصُ (بِالْكَسْرِ) ، وَالْقِصَاصَاءُ (بِالْكَسْرِ) أَيْضًا) وَالْقِصَاصَاءُ (بِالضَّمِّ) لُغَاتٌ فِيهِ : هُوَ الْقَوْدُ وَالْقَتْلُ بِالْقَتْلِ، وَالْجَرْحُ بِالْجَرْحِ .

وَتَقَاصُّ الْقَوْمِ إِذَا قَاصَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ صَاحِبَهُ فِي حِسَابٍ أَوْ غَيْرِهِ ، وَالتَّقَاصُّ : التَّنَاصُفُ فِي الْقِصَاصِ، قَالَ قَائِلٌ :

فَرُمْنَا الْقِصَاصَ وَكَانَ التَّقَاصُّ

حُكْمًا وَعَدْلًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ ابْنُ سِيدَةَ : وَهَذَا الشَّاذُّ لاجْتِمَاعِ سَاكِنِينَ، وَلِذَلِكَ رَوَاهُ بَعْضُهُمْ ، وَكَانَ الْقِصَاصُ .

وَالْاِقْتِصَاصُ : أَخَذُ الْقِصَاصِ . وَالْاِقْصَاصُ أَنْ يُؤْخَذَ لَكَ الْقِصَاصُ ^(١) .

واصطلاحًا :

قَالَ الْجُرْجَانِيُّ : أَنْ يُفْعَلَ بِالْفَاعِلِ مِثْلُ مَا فَعَلَ ^(٢) .

وَعَرَفَهُ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ بِأَنَّهُ : تَتَبُّعُ جَنَايَةِ الْجَانِي لِيَأْخُذَ مِثْلَ جَنَايَتِهِ ^(٣) .

وَقَالَ الْمُنَاوِيُّ : الْقِصَاصُ : تَتَبُّعُ الدَّمِّ بِالْقَوْدِ ^(٤) .

أثر القصاص في استقرار المجتمع :

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ الشَّنْقِيطِيُّ : وَمِنْ هَذِهِ الْقُرْآنِ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ : الْقِصَاصُ ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا غَضِبَ وَهَمَّ بِأَنْ يَقْتُلَ إِنْسَانًا آخَرَ فَتَذَكَّرَ أَنَّهُ إِنْ قَتَلَهُ قُتِلَ بِهِ ، خَافَ الْعَاقِبَةَ فَتَرَكَ الْقَتْلَ ، فَحَيَّى ذَلِكَ الَّذِي يُرِيدُ قَتْلَهُ ، وَحَيَّى هُوَ لِأَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْ فَيَقْتُلْ قِصَاصًا، فَقَتْلُ الْقَاتِلِ يَحْيَا بِهِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ كَثْرَةً كَمَا ذَكَرْنَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ

(٢) التعريفات (٢٢٥).

(٣) الفتح (١١ / ٣٩٥).

(٤) التوقيف (٢٧٢).

(١) الصحاح (٣ / ١٠٥١-١٠٥٢) ، ولسان العرب

(٦ / ٣٦٥٢) ، مفردات القرآن (٦٧٢) ، المصباح المنير

(٥٠٦) . ومقاييس اللغة (٥ / ١١) .

الْمُجْتَمَعُ ، كُلُّهُ كَلَامٌ سَاقِطٌ ، عَارٍ مِنَ الْحِكْمَةِ ، لِأَنَّ
الْحَبْسَ لَا يَرُدُّعُ النَّاسَ عَنِ الْقَتْلِ ، فَإِذَا لَمْ تَكُنِ الْعُقُوبَةُ
رَادِعَةً فَإِنَّ السُّفَهَاءَ يَكْثُرُ مِنْهُمْ الْقَتْلُ فَيَتَضَاعَفُ نَقْصُ
الْمُجْتَمَعِ بِكَثْرَةِ الْقَتْلِ^(١).

[للاستزادة: الحكم بما أنزل الله - العدل

والمساواة - العفو - القسط - الإنصاف - الطاعة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات : الحكم بغير ما

أنزل الله - الظلم - الضلال - البغي - العدوان -

العصيان].

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿البقرة/ ١٧٩﴾ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا مِنْ
أَعْدَلِ الطُّرُقِ وَأَقْوَمِهَا ، وَلِذَلِكَ يُشَاهَدُ فِي أَنْظَارِ الدُّنْيَا
قَدِيمًا وَحَدِيثًا قَلَّةُ وَقُوعِ الْقَتْلِ فِي الْبِلَادِ الَّتِي تَحْكُمُ
بِكِتَابِ اللَّهِ ، لِأَنَّ الْقِصَاصَ رَدْعٌ عَنِ جَرِيمَةِ الْقَتْلِ ، كَمَا
ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي الْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ آنِفًا.

وَمَا يَزْعُمُهُ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ مَنْ أَنَّ الْقِصَاصَ غَيْرُ
مُطَابِقٍ لِلْحِكْمَةِ ، لِأَنَّ فِيهِ إِقْلَالَ عَدَدِ الْمُجْتَمَعِ بِقَتْلِ
إِنْسَانٍ ثَانٍ بَعْدَ أَنْ مَاتَ الْأَوَّلُ ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُعَاقَبَ
بِغَيْرِ الْقَتْلِ فَيُحْبَسَ ، وَقَدْ يُوَلَّدُ لَهُ فِي الْحَبْسِ فَيَزِيدُ

الآيات الواردة في « القصاص »

- ١- يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي
الْقَتْلِ الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ
فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَبْعَ بِالْمَعْرُوفِ
وَأَدَّ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ
وَرَحْمَةٌ مِّنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾
وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَىٰ الْأَلْبَبُ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾^(١)
- ٢- الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتِ قِصَاصٌ
فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ
عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾^(٢)
- ٣- إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا
النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا
وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا
- ٤- وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا
فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٢﴾^(٤)
- مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا
تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا
بِعَائَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾
وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ
وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ
وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ
قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ
لَّهُ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾^(٣)

الأحاديث الواردة في «القصاص»

١- * (عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيَتْ حسناته، قبل أن يُقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحَتْ عليه ثم طرَحَ في النار»*)^(١).

ولفظه عند الترمذي: «فيَقْعُ فيَقْتَصُّ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيَتْ حسناته قبل أن يُقْتَصَّ ما عليه من الخطايا أخذ من خطاياهم فطرحَ عليه ثم طرَحَ في النار»*)^(٢).

٢- * (عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: قال النبي ﷺ: «أول ما يُقضى بين الناس في الدماء»*)^(٣).

٣- * (قال أسيد بن حضير - رضي الله عنه -: بينما هو يحدث القوم - وكان فيه مزاح - بينما يضحكهم فطعنه النبي ﷺ في خصرته بعود، فقال: أصبرني. فقال: «اصْطَبِرْ»^(٤))، قال: إن عليك قميصاً وليس عليّ

قميص، فرفع النبي ﷺ عن قميصه، فاخْتَصَنَهُ وجعل يُقبِلُ كشحه^(٥)، قال: إنما أردتُ هذا يا رسول الله*)^(٦).

٤- * (عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنه قال: كسرت الربييع - وهي عمّة أنس بن مالك - ثنية جارية من الأنصار، فطلب القوم القصاص، فأتوا النبي ﷺ، فأمر النبي ﷺ بالقصاص. فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك: لا والله لا تكسر سنّها يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «يا أنس كتاب الله القصاص»، فرضى القوم وقبلوا الأرش^(٧)، فقال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره»*)^(٨).

٥- * (عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُخْلَصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فيُحْبَسُونَ على قنطرة بين الجنة والنار، فيَقْصُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمِ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُوا، أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لأحدُهم أهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»*)^(٩).

(١) مسلم (٢٥٨١).

(٢) الترمذي (٢٤١٨)، وقال: حسن صحيح.

(٣) البخاري - الفتح ١١ (٦٥٣٣).

(٤) أصبرني من نفسك. فقال اصطبر: أي أقْدني من نفسك. قال: استَقْد، يقال: صبر فلان من خصمه واصطبر: أي اقتص منه.

(٥) كشحه: أي خصره.

(٦) أبو داود (٥٢٢٤)، وقال الألباني (٩٨١/٣): صحيح.

(٧) الأرش: دية الجراحات.

(٨) البخاري - الفتح ٨ (٤٦١١) واللفظ له، ومسلم (١٦٧٥).

(٩) البخاري - الفتح ١١ (٦٥٣٥).

الأحاديث الواردة في «القصاص» معنى

فَقَالَتْ: نَعَمْ، وَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا. فَقَتَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
بَيْنَ حَجَرَيْنِ*^(٣).

٨- * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ
قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا كَانَتْ
لأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ فِي عَرِضٍ، أَوْ مَالٍ، فَجَاءَهُ
فَاسْتَحْلَهُ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ، وَلَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، فَإِنْ
كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ
حَسَنَاتٌ حَمَلُوهُ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ»)*^(٤).

٩- * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى
يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»)*^(٥).

٦- * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:
إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى
أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ خَادِمٍ بِقِصْعَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتْ
بِيَدِهَا فَكَسَرَتِ الْقِصْعَةَ، فَضَمَّهَا، وَجَعَلَ فِيهَا الطَّعَامَ،
وَقَالَ: «كُلُوا» وَحَبَسَ الرَّسُولُ ﷺ الْقِصْعَةَ حَتَّى فَرَّغُوا،
فَدَفَعَ الْقِصْعَةَ الصَّحِيحَةَ وَحَبَسَ الْمَكْسُورَةَ)*^(١).

٧- * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:
إِنَّ يَهُودِيًّا قَتَلَ جَارِيَةً عَلَى أَوْضَاحٍ لَهَا^(٢) فَقَتَلَهَا بِحَجَرٍ،
قَالَ: فَجِيءَ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَبِهَا رَمَقٌ. فَقَالَ لَهَا:
«أَقْتَلِكِ فُلَانٌ؟»، فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا أَنْ لَا، ثُمَّ قَالَ لَهَا
الثَّانِيَةَ. فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا أَنْ لَا. ثُمَّ سَأَلَهَا الثَّالِثَةَ.

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في «القصاص»

نَفْسِهِ)*^(٦).
٢- * (قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: «جَعَلَ
اللَّهُ الْقِصَاصَ حَيَاةً. فَكَمْ مِنْ رَجُلٍ يُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَ
فَتَمْنَعُهُ مَخَافَةً أَنْ يُقْتَلَ»)*^(٧).

٣- * (قَالَ الزَّجَّاجُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: «إِذَا عَلِمَ
الرَّجُلُ أَنَّهُ إِنْ قَتَلَ قُتِلَ أَمْسَكَ عَنِ الْقَتْلِ، فَكَانَ فِي
ذَلِكَ حَيَاةٌ لِلَّذِي هَمَّ بِقَتْلِهِ وَلِنَفْسِهِ، لِأَنَّهُ مِنْ أَجْلِ

١- * (قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي
خُطْبَةٍ لَهُ: «إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ عُمَّالِي لِيَضْرِبُوا أَبْشَارَكُمْ وَلَا
لِيَأْخُذُوا أَمْوَالَكُمْ، فَمَنْ فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ فَلْيَرْفَعْهُ إِلَيَّ، أَقْصُهُ
مِنْهُ».

قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «لَوْ أَنَّ
رَجُلًا أَدَبَ بَعْضَ رَعِيَّتِهِ أَتْقَصُهُ مِنْهُ؟. قَالَ: إِي وَالَّذِي
نَفْسِي بِيَدِهِ أَقْصُهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقْصَ مِنْ

وقال: حسن صحيح، واللفظ له.

(٥) مسلم (٢٥٨٢). والجلحاء: هي التي لا قرن لها.

(٦) أبو داود (٤٥٣٧).

(٧) تفسير ابن كثير (١/٢١٢).

(١) البخاري - الفتح ٥ (٢٤٨١).

(٢) أوضاع لها: أي لأجل حُلِّي لها من قطع فضه.

(٣) البخاري - الفتح ١٢ (٦٨٧٧)، ومسلم (١٦٧٢)،
واللفظ له.

(٤) البخاري - الفتح ١١ (٦٥٣٤)، الترمذي (٢٤١٩)،

الْقِصَاصِ أَمْسَكَ . وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى :- «أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى الشَّاعِرُ فَقَالَ :
أَبْلَغُ أَبَا مَالِكٍ عَنِّي مُغْلَغَلَةً»^(١)

وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةٌ بَيْنَ أَقْوَامٍ .
يُرِيدُ أَنَّهُمْ إِذَا تَعَاتَبُوا أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُمْ
الْعِتَابُ) *^(٢)

٤ - * (قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ
تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي
الْقَتْلِ﴾ (البقرة / ١٧٨) : «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : كُتِبَ عَلَيْكُمُ
الْعَدْلُ فِي الْقِصَاصِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ حُرِّكُم بِحُرِّكُمْ ،
وَعَبَدُكُمْ بِعَبْدِكُمْ ، وَأُنْثَاكُمْ بِأُنْثَاكُمْ ، وَلَا تَتَجَاوَزُوا
وَتَعْتَدُوا كَمَا اعْتَدَى مَنْ قَبْلَكُمْ ، وَغَيَّرُوا حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ .
فَأَمَرَ اللَّهُ بِالْعَدْلِ فِي الْقِصَاصِ ، وَلَا يَتَّبِعُ سَبِيلَ
الْمُفْسِدِينَ الْمُحَرِّفِينَ الْمُخَالِفِينَ لِأَحْكَامِ اللَّهِ فِيهِمْ كُفْرًا
وَبَغْيًا) *^(٣)

٥ - * (وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ...﴾ (البقرة / ١٧٩) : يَقُولُ
اللَّهُ تَعَالَى وَفِي شَرْعِ الْقِصَاصِ - وَهُوَ قَتْلُ الْقَاتِلِ - حِكْمَةٌ

عَظِيمَةٌ ، وَهِيَ بَقَاءُ الْمُهْجِ وَصَوْنُهَا ، لِأَنَّهُ إِذَا عَلِمَ الْقَاتِلُ
أَنَّهُ يُقْتَلُ انْكَفَى عَنْ صَنِيعِهِ ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ حَيَاةً لِلنُّفُوسِ
، وَفِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ : الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ فَجَاءَتْ هَذِهِ
الْعِبَارَةُ فِي الْقُرْآنِ أَفْصَحَ وَأَبْلَغَ وَأَوْجَزَ) *^(٤)

٦ - * (قَالَ الْمَعْرِيُّ :

يَدٌ بِخَمْسِ مِئِينَ عَسَجِدٍ فُديَتْ

مَا بِأَلْهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينَارٍ
فَرَدَّ عَلَيْهِ ابْنُ الْقَيْمِ :
عِزُّ الْأَمَانَةِ أَغْلَاهَا ، وَأَرْخَصَهَا
ذُلُّ الْخِيَانَةِ فَافْهَمْ حِكْمَةَ الْبَارِي
وَنُسِبَتْ لِلْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ فَتَوَى فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ،
قَبْلَ أَبِي الْعَلَاءِ وَهُوَ قَوْلُهُ :
هُنَاكَ مَظْلُومَةٌ غَالَتْ بِقِيَمَتِهَا

وَهَاهُنَا ظَلَمَتْ هَانَتْ عَلَى الْبَارِي
وَالْأُولَى : دِيَةُ الْيَدِ الَّتِي تُقَطَّعُ ظُلْمًا قَصْدًا ، فَفِدَاؤُهَا
خَمْسُمِائَةِ دِينَارٍ ذَهَبًا ؛ لِأَنَّهَا يَدٌ حُرٌّ شَرِيفٌ . وَالثَّانِيَةُ يَدُ
السَّارِقِ الَّتِي تُقَطَّعُ فِي رُبْعِ دِينَارٍ سَرَقَتُهُ بِالشُّرُوطِ الَّتِي
تَتَوَافَرُ لِقَطْعِهَا عِنْدَ الْفُقَهَاءِ) *^(٥)

من فوائد «القصاص»

- ٤ - الْقِصَاصُ حَيَاةٌ كَمَا قَالَتِ الْعَرَبُ : الْقَتْلُ أَنْفَى
لِلْقَتْلِ .
- ٥ - الرَّاضِي بِالْقِصَاصِ هُوَ الْمُتَنَصِّرُ .

- ١ - الْقِصَاصُ يَحْقِنُ الدِّمَاءَ .
- ٢ - الْقِصَاصُ يُرِيحُ النُّفُوسَ الْمَظْلُومَةَ .
- ٣ - الْقِصَاصُ زَجْرٌ لِمَنْ تُسَوَّلُ لَهُ نَفْسُهُ الْقَتْلُ .

(٤) المرجع السابق (٢١١) .
(٥) ديوان الشافعي (٦٠ ، ٦١) .

(١) مُغْلَغَلَةٌ : رسالة .
(٢) زاد المسير في علم التفسير (١ / ١٨١) .
(٣) تفسير ابن كثير (١ / ٢١٠) .

القناعة

الآيات	الأحاديث	الآثار
٣	٢٢	٢١

﴿وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ (الحج/ ٣٦). فَالْقَانِعُ الَّذِي يَسْأَلُ ، وَالْمُعْتَرُّ الَّذِي يَتَعَرَّضُ وَلَا يَسْأَلُ ، وَقِيلَ الْقَانِعُ: الْمُتَعَفِّفُ ، وَكُلُّ يَصْلُحُ . وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ الْقُنُوعَ يَكُونُ بِمَعْنَى الرِّضَا وَالْقَانِعُ بِمَعْنَى الرَّاضِي ، قَالَ وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «فَأَكَلَ وَأَطْعَمَ الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ». هُوَ مِنَ الْقُنُوعِ: الرِّضَا بِالْيَسِيرِ مِنَ الْعَطَاءِ^(١).

وَقَوْلُهُ مِنَ الْأَضْدَادِ ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الْقَانِعُ الرَّاضِي بِمَا قَسَمَ اللَّهُ ، وَمَصْدَرُهُ الْقَنَاعَةُ. وَالْقَانِعُ السَّائِلُ وَمَصْدَرُهُ الْقُنُوعُ ، وَرَأَيْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْقُنُوعِ وَالْخُنُوعِ وَالْخُضُوعِ وَمَا يَغُضُّ طَرْفَ الْمَرْءِ ، وَيُغْرِي بِهِ لِنَامَ النَّاسِ .
قَالَ عَدِي:

وَمَا خُنْتُ ذَا عَهْدٍ وَأُبْتُ بِعَهْدِهِ

وَلَمْ أَحْرِمِ الْمُضْطَرَّ إِذْ جَاءَ قَانِعًا

أَيَّ سَائِلًا^(٢) .

واصطلاحًا:

قَالَ ابْنُ السُّنِّيِّ: الْقَنَاعَةُ: الرِّضَا بِالْقِسْمِ^(٣) .

وَقَالَ الرَّاعِبُ: الْقَنَاعَةُ: الاجْتِرَاءُ بِالْيَسِيرِ

القناعة لغة:

مَصْدَرُ قَنَعَ يَقْنَعُ قَنَاعَةً. إِذَا رَضِيَ ، وَيَدُلُّ أَصْلُ الْمَادَّةِ عَلَى مَعْنَيْنِ : الْأَوَّلُ : الْإِقْبَالُ بِالْوَجْهِ عَلَى الشَّيْءِ ، وَالْآخَرُ: الْمُسْتَدِيرُ مِنَ الرَّمْلِ ، وَمِنَ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ أَخَذَتِ الْقَنَاعَةُ بِمَعْنَى الرِّضَا، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْقَانِعَ يَقْبَلُ عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَهُ رَاضِيًّا. قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: وَالْإِقْنَاعُ مَدُّ الْبَعِيرِ رَأْسَهُ إِلَى الْمَاءِ لِلشُّرْبِ، قَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ: قَنَعَتِ الْإِبِلُ وَالْغَنَمُ لِلْمَرْتَعِ ، إِذَا مَالَتْ لَهُ، وَفُلَانٌ شَاهِدٌ مَقْنَعٌ ، وَهَذَا مِنَ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ وَهُوَ الرِّضَا بِالشَّيْءِ وَجَمْعُهُ مَقَانِعُ ، تَقُولُ : إِنَّهُ رَضِيَ يَقْنَعُ بِهِ .
وَقَالَ الرَّاعِبُ : يُقَالُ : قَنَعَ يَقْنَعُ قَنَاعَةً وَقَنَعَانًا إِذَا رَضِيَ ، وَقَنَعَ يَقْنَعُ قُنُوعًا إِذَا سَأَلَ .. وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَصْلُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ مِنَ الْقِنَاعِ وَهُوَ غَطَاءُ الرَّأْسِ ، فَقَنَعَ أَيَّ لَيْسَ الْقِنَاعُ سَاتِرًا لِفَقْرِهِ ، وَقَنَعَ إِذَا رَفَعَ قِنَاعَهُ كَاشِفًا رَأْسَهُ بِالسُّؤَالِ . وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: يُقَالُ : رَجُلٌ قَانِعٌ مِنْ قَوْمٍ قَنَعَ ، وَقَنَعَ مِنْ قَنِيعٍ ، وَقَنِيعٌ مِنْ قَنِيعِينَ وَقُنَعَاءَ .
وَأَمْرَأَةٌ قَنِيعٌ وَقَنِيعَةٌ مِنْ نِسْوَةِ قَنَائِعَ .

قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: رَجَالٌ مَقَانِعُ وَقُنَعَانٌ إِذَا كَانُوا

مَرْضِيَيْنَ . وَرَجُلٌ قُنَعَانٌ : يَرْضَى بِالْيَسِيرِ . وَفِي التَّنْزِيلِ

(٣) القناعة (٤٠). والقسم - بفتح القاف وسكون السين - مصدر قسم الشيء يقسمه، والقسم - بكسر القاف وسكون السين - النصيب والحظ، وأشار إلى المعنيين ابن منظور في اللسان «قنع».

(١) لسان العرب: (٨/ ٢٩٨٢٩٧)، ومقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٣٣)، والمفردات للراغب (٢١٤).

(٢) الأضداد للأصمعي (٥٠)، وللسجستاني: (١١٦)، وابن السكيت (٢٠٢)، وذيل الأضداد للصاغاني: (٢٣٤) وانظر الأضداد للأنباري (٦٦-٦٧).

مِنَ الْأَعْرَاضِ الْمُحْتَاجِ إِلَيْهَا^(١).

وَقَالَ الْجَاحِظُ: الْقَنَاعَةُ هِيَ: الْاِقْتِصَارُ عَلَى مَا

سَنَحَ مِنَ الْعَيْشِ، وَالرِّضَا بِمَا تَسَهَّلَ مِنَ الْمَعَاشِ، وَتَرَكَ
الْحِرْصَ عَلَى اكْتِسَابِ الْأَمْوَالِ وَطَلَبِ الْمَرَاتِبِ الْعَالِيَةِ
مَعَ الرَّغْبَةِ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ وَإِثَارِهِ وَالْمِيلَ إِلَيْهِ وَقَهْرَ
النَّفْسِ عَلَى ذَلِكَ وَالتَّقَنُّعَ بِالْيَسِيرِ مِنْهُ^(٢).

وَقَالَ الْمُنَاوِيُّ: الْقَنَاعَةُ عُرْفًا: الْاِقْتِصَارُ عَلَى

الْكَفَافِ، وَقِيلَ: الْاِكْتِفَاءُ بِالْبُلْغَةِ، وَقِيلَ: سُكُونُ

الْجَاشِ عِنْدَ عَدَمِ الْمَأْلُوفَاتِ، وَقِيلَ: الْوُقُوفُ عِنْدَ
الْكِفَايَةِ^(٣).

[للاستزادة: انظر صفات: الرضا - الزهد -

التواضع - الورع - النزاهة - العفة - المروءة - مجاهدة
النفس - أكل الطيبات.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الطمع - طول الأمل -

أكل الحرام - التطفيف - اتباع الهوى - التناجش -
الاحتكار - السرقة - الغلول].

الآيات الواردة في « القناعة »

١- وَالْبَدْتَ جَعَلْنَهَا لَكُمْ مِنْ شَعِيرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا
خَيْرٌ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ
جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ
سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾

لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ
التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا
اللَّهَ عَلَى مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾^(٤)

الآيات الواردة في « القناعة » معني

٢- لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ
يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ
تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ
إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ
عَلِيمٌ ﴿٣٧﴾^(٥)

٣- وَأَبْلَوْا الَيَّنْمَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ
مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا
إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا
فَلْيَسْتَغْفِرْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ
فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ
وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٨﴾^(٦)

(٤) الحج : ٣٦ - ٣٧ مدنية.

(٥) البقرة : ٢٧٣ مدنية.

(٦) النساء : ٦ مدنية.

(١) المفردات للراغب (٤١٣).

(٢) تهذيب الأخلاق للجاحظ (٢٢).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف لابن المناوي (٢٧٥).

الأحاديث الواردة في «القناعة»

٣ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنَعًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ، وَأَحَبَّ لِلنَّاسِ مَا نُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحْسَنَ جَوَارَ مَنْ جَاوَزَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَأَقْلَّ الضَّحِكِ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُثِيْتُ الْقَلْبَ» * (٣).

١ - * (عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنَعَ» * (١).

٢ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ -

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرَزَقَ كَفَافًا، وَقَنَعَ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ» * (٢).

الأحاديث الواردة في «القناعة» مَعْنَى

٥ - * (عَنْ أَبِي أَمَامَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ

النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَغْبَطَ أَوْلِيَائِي عِنْدِي لِمُؤْمِنٍ خَفِيفُ الْحَازِ (٦)، ذُو حَظٍّ مِنَ الصَّلَاةِ، أَحْسَنَ عِبَادَةِ رَبِّهِ وَأَطَاعَهُ فِي السِّرِّ، وَكَانَ غَامِضًا فِي النَّاسِ، لَا يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ، وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافًا، فَصَبَرَ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ نَفَضَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: عَجَلْتُ مَنِيَّتَهُ، قُلْتُ بَوَاكِيه، قُلْتُ تُرَاثُهُ». وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءً مَكَّةَ ذَهَبًا، قُلْتُ: لَا يَارَبِّ، وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوْمًا، وَأَجُوعُ يَوْمًا وَقَالَ: ثَلَاثًا أَوْ

٤ - * (عَنْ عَمْرٍو بْنِ تَغْلِبَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ: أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْمًا وَمَنَعَ آخَرِينَ، فَكَأَنَّهُمْ عَتَبُوا عَلَيْهِ فَقَالَ: «إِنِّي أُعْطِي قَوْمًا أَخَافُ ظَلْعَهُمْ وَجَزَعَهُمْ» (٤)، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْغِنَى، مِنْهُمْ عَمْرٍو بْنُ تَغْلِبَ». فَقَالَ عَمْرٍو بْنُ تَغْلِبَ: مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُمْرُ النَّعَمِ». زَادَ أَبُو عَاصِمٍ عَنْ جَرِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: حَدَّثَنَا عَمْرٍو بْنُ تَغْلِبَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بِمَالٍ أَوْ بِسَبْيٍ فَقَسَمَهُ .. بِهَذَا * (٥).

(٤) ظلّهم: اعوجاجهم، وجزعهم: نقيض الصبر على الشر. وأطلق هنا على مرض القلب وضعف اليقين.

(٥) البخاري الفتح ٦ (٣١٤٥).

(٦) قال ابن الأثير: الحاذ في الأصل بطن الفخذ، وقيل: هو الظهر، والمراد في الحديث: الخفيف الظهر من العيال، القليل المال، القليل الحظ من الدنيا. جامع الأصول (١٠/١٣٨).

(١) الترمذي (٢٣٤٩) واللفظ له، وقال: هذا حديث حسن صحيح. والحاكم ١/٣٥ وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٢) مسلم (١٠٥٤).

(٣) ابن ماجه (٤٢١٧) واللفظ له وفي الزوائد إسناده حسن. والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/٥٦٠) وقال رواه ابن ماجه. والبيهقي في الزهد الكبير. وعند الترمذي بنحوه من حديث الحسن عن أبي هريرة.

نَحْوَ هَذَا - فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ ، وَإِذَا شَبِعْتُ شَكَرْتُكَ وَحَمَدْتُكَ» *^(١).

٦ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ . فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ» *^(٢).

٧ - * (عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَانِي ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ، ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيمُ ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَصْرَةٌ خُلُوءٌ ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ . الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى . قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرْزَأُ أَحَدًا ^(٣) بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا . فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى الْعَطَاءِ فَيَأْتِي أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ . ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا . فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أَشْهَدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ أَنِّي أَعْرِضُ

عَلَيْهِ حَقُّهُ مِنْ هَذَا الْفَيْءِ فَيَأْتِي أَنْ يَأْخُذَهُ فَلَمْ يَزِرْ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تُوَفِّي» *^(٤).

٨ - * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «اشْتَكَى سَلْمَانُ ، فَعَادَهُ سَعْدٌ ، فَرَأَاهُ يَبْكِي ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا يُبْكِيكَ يَا أَخِي؟ أَلَيْسَ قَدْ صَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ أَلَيْسَ أَلَيْسَ؟ قَالَ سَلْمَانُ: مَا أَبْكِي وَاحِدَةً مِنْ اثْنَتَيْنِ ، مَا أَبْكِي حَنِينًا لِلدُّنْيَا، وَلَا كَرَاهِيَةً لِلْآخِرَةِ، وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَهْدَ إِلَيَّ عَهْدًا ، فَمَا أُرَانِي إِلَّا قَدْ تَعَدَّيْتُ . قَالَ : وَمَا عَهْدُ إِلَيْكَ؟ . قَالَ : عَهْدُ إِلَيَّ أَنَّهُ يَكْفِي أَحَدَكُمْ مِثْلُ زَادِ الرَّائِبِ ، وَلَا أُرَانِي إِلَّا قَدْ تَعَدَّيْتُ ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا سَعْدُ ، فَاتَّقِ اللَّهَ عِنْدَ حُكْمِكَ إِذَا حَكَمْتَ ، وَعِنْدَ قَسَمِكَ إِذَا قَسَمْتَ، وَعِنْدَ هَمِّكَ إِذَا هَمَمْتَ، قَالَ ثَابِتٌ: فَبَلَغَنِي أَنَّهُ مَا تَرَكَ إِلَّا بِضْعَةَ وَعِشْرِينَ دِرْهَمًا مِنْ نَفَقَةٍ كَانَتْ عِنْدَهُ» *^(٥).

٩ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ ^(٦) . وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ» *^(٧).

(١) الترمذي (٢٣٤٧) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن .

وقال محقق جامع الأصول (١٣٧/١٠) إسناده حسن .

(٢) البخاري الفتح ١١ (٦٤٩٠) . ومسلم (٢٩٦٣) واللفظ له .

(٣) لا أَرْزَأُ أَحَدًا: أي لا أصيب من ماله بالطلب منه ولا أنقصه شيئًا .

(٤) البخاري الفتح ٣ (١٤٧٢) واللفظ له . ومسلم (١٠٣٥) .

(٥) ابن السني في القناعة (٤٨) وقال: حديث صحيح وللحديث طرق عدة عن سلمان يصح بها قطعاً وقد أخرجه من طريق الحسن: وكيع في الزهد (٦٧)، وأحمد في المسند (٤٣٨/٥) والزهد (٢٨، ٢٩)، وابن سعد في

الطبقات (٩١/٤) وغيرهم ، وطرق أخرى عن سلمان

منها: رواية أنس بن مالك عند ابن ماجه (٤١٠٤) واللفظ

له، والطبراني في الكبير (٢٧٩/٦) وقال ابن السني: وهذا

إسناد جيد قوي . وأخرى غيرها كثيرة .

(٦) العرض: هو متاع الدنيا . ومعنى الحديث: الغنى المحمود

غنى النفس وشبعها وقلة حرصها . لا كثرة المال مع حرص

على الزيادة . لأن من كان طالباً للزيادة لم يستغن بها معه ،

فليس له غنى .

(٧) البخاري الفتح ١١ (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١) متفق عليه .

١٠ - * (عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا وَبِجَنْبَيْهَا مَلَكَانِ، إِنْهُمَا يُسَمِعَانِ أَهْلَ الْأَرْضِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ: أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ، فَإِنَّ مَا قَلَّ

وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى، وَمَا غَرَبَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا وَبِجَنْبَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ: اللَّهُمَّ عَجِّلْ لِمُنْفِقٍ خَلْفًا وَعَجِّلْ لِمُسِيكِ تَلْفًا» * (١).

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في «القناعة»

قُوتًا» * (٥).

١١ - * (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو: «اللَّهُمَّ قَتِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي، وَبَارِكْ لِي فِيهِ، وَاخْلُفْ عَلَيَّ كُلَّ غَائِبَةٍ لِي بِخَيْرٍ» * (٢).

١٤ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَدَمٍ وَحَشْوُهُ لَيْفٌ) * (٦).

١٢ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: ابْنُ أُخْتِي، إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَتْ فِي آيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ فَقُلْتُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ لَهُمْ مَنَائِحُ (٣)، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ آيَاتِهِمْ، فَيَسْقِينَاهُ) * (٤).

١٥ - * (عَنْ قَتَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كُنَّا نَأْتِي أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ وَخَبَّازَهُ قَائِمٌ، وَقَالَ: كُلُوا، فَمَا أَعْلَمَ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَغِيفًا مُرَقَّقًا حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ، وَلَا رَأَى شَاةً سَمِيطًا (٧) بِعَيْنِهِ قَطُّ) * (٨).

١٦ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: لَقَدْ تُوَفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَا فِي رَفِيٍّ مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفِيٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكَلَّتُهُ فَفَنَيْ (٩) * (١٠).

١٣ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ

١٧ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - زَوْجِ

والقوت: ما يقوت البدن، ويكف عن الحاجة، وفيه دليل على فضل الكفاف، وأخذ البلغة من الدنيا والزهد فيما فوق ذلك.

(٦) البخاري الفتح ١١ (٦٤٥٦).

(٧) الشاة السميطة والمسموطة التي نحي شعرها بالماء الحار.

(٨) البخاري الفتح ١١ (٦٤٥٧).

(٩) فِكَلَّتُهُ فَفَنَيْ: أي قَسْتُهُ ففَرِغَ، وفيه أن الطعام المكيل يكون فناؤه معلومًا للعلم بكيله.

(١٠) البخاري الفتح ١١ (٦٤٥١) واللفظ له. ومسلم

٤ (٢٩٧٣).

(١) ابن السني في القناعة (٥٧) وقال مخرجه: سنده صحيح، ورجاله ثقات جميعًا. وذكره الحاكم في المستدرک (٤٤٥/٢) واللفظ له، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٢) الحاكم في المستدرک (٣٥٦/٢) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) المنائح جمع منيحة وهي العطية، والأصل فيها منحة اللبن كالناقة أو الشاة تعطيها غيرك يحتلبها ثم يردّها عليك.

(٤) البخاري الفتح ١١ (٦٤٥٩) واللفظ له. ومسلم (٢٩٧٣).

(٥) البخاري الفتح ١١ (٦٤٦٠) واللفظ له. ومسلم (١٠٥٥).

٢٠ - * (عَنْ عُرْوَةَ ؛ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَتْ: مَا أَكَلَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَكْلَتَيْنِ فِي يَوْمٍ إِلَّا إِحْدَاهُمَا تَمَرٌ) * (٥).

٢١ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّهَا قَالَتْ: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزٍ شَعِيرٍ ، يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ، حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) * (٦).

٢٢ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ طَعَامٍ بَرٍّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تَبَاعًا حَتَّى قُبِضَ) * (٧).

النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: لَقَدْ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَمَا شَبِعَ مِنْ خُبْزٍ وَزَيْتٍ ، فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، مَرَّتَيْنِ) * (١).

١٨ - * (عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «لَمْ يَأْكُلِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خِوَانٍ» (٢) حَتَّى مَاتَ ، وَمَا أَكَلَ خُبْزًا مُرَقَّقًا حَتَّى مَاتَ) * (٣).

١٩ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا يَسُرُّنِي أَنْ لَا يَمُرَّ عَلَيَّ ثَلَاثٌ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ ، إِلَّا شَيْءٌ أَرْصُدُهُ لِلدِّينِ») * (٤).

من الآثار وأقوال العلماء الواردة في «القناعة»

عَنْهُمْ) * (١١).

٣ - * (عَنْ أَبِي عَمْرِو الشَّيْبَانِيِّ قَالَ: «سَأَلَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - رَبَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: أَيُّ رَبِّ ، أَيُّ عِبَادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ: أَكْثَرُهُمْ لِي ذِكْرًا . قَالَ: يَارَبِّ ، فَأَيُّ عِبَادِكَ أَغْنَى ؟ قَالَ: أَقْنَعُهُمْ بِمَا أُعْطِيَتْهُ . قَالَ: يَارَبِّ ، فَأَيُّ عِبَادِكَ أَعْدَلُ ؟ قَالَ: مَنْ دَانَ لِنَفْسِهِ») * (١٢).

٤ - * (كَتَبَ بَعْضُ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَى أَبِي حَازِمٍ

١ - * (قَالَ عُمَرُ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا أَسْتَحِلُّ مِنْ مَالِ اللَّهِ تَعَالَى: حُلَّتَانِ لِشَتَائِي وَقَيْظِي» (٨) ، وَمَا يَسْعُنِي مِنَ الظَّهْرِ (٩) لِحَجِّي وَعُمْرَتِي ، وَقُوتِي بَعْدَ ذَلِكَ كَقُوتِ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ لَسْتُ بَارْفَعِهِمْ وَلَا بِأَوْضَعِهِمْ ، فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَيْحُلُ ذَلِكَ أَمْ لَا ؟») * (١٠).

٢ - * (وَقَالَ أَيْضًا: «إِنَّ الطَّمَعَ فَقْرٌ، وَإِنَّ الْيَأْسَ غِنًى ، إِنَّهُ مَنْ يَيْأَسُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ اسْتَغْنَى

(٧) البخاري - الفتح ١١ (٦٤٥٤) واللفظ له. ومسلم (٢٩٧٠).

(٨) حُلَّتَانِ لِشَتَائِي وَقَيْظِي: أَيُّ ثَوْبٍ لِلشَّتَاءِ وَثَوْبٍ لِلصَّيْفِ.

(٩) مِنَ الظَّهْرِ: أَيُّ مَا يَرْكَبُ مِنَ الدَّوَابِّ.

(١٠) الإحياء: (٣/٢٤٠).

(١١) إحياء علوم الدين (٣/٢٣٩).

(١٢) ابن السني في كتاب القناعة (٥١) ، وقال محققه: رجاله

ثقات مشهورون غير شيخ ابن السني واسمه جعفر بن عيسى أبو أحمد الحلواني.

(١) مسلم (٢٩٧٤).

(٢) الخِوَانُ - بضم الخاء وكسرهما لغتان - للذي يؤكل عليه. واقتصر ابن حجر على أن الخاء مكسورة. فتح الباري (١١/٢٨٤).

(٣) البخاري - الفتح ١١ (٦٤٥٠).

(٤) البخاري - الفتح ٥ (٢٣٨٩) واللفظ له. ومسلم (٩٩١).

(٥) البخاري - الفتح ١١ (٦٤٥٥) واللفظ له. ومسلم (٢٩٧١).

(٦) مسلم (٢٩٧٠).

يَعَزُّمُ عَلَيْهِ إِلَّا رَفَعَ إِلَيْهِ حَوَائِجَهُ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ: قَدْ رَفَعْتُ
حَوَائِجِي إِلَى مَوْلَايَ، فَمَا أَعْطَانِي مِنْهَا قَبْلْتُ، وَمَا أَمْسَكَ
عَنِّي قَنَعْتُ»*(١).

٥ - * (قَالَ أَبُو ذُوَيْبٍ الْهَذَلِيُّ:

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا

وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ) * (٢).

٦ - * (قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ يُحَاطِبُ نَفْسَهُ:

لَا تَحْسَبِي دَرَاهِمَ ابْنِي مُدْلَجٍ

تَأْتِيكَ حَتَّى تُدْلِجِي (٣) وَتُولِجِي (٤)

فَاقْنَعِي بِالْعَرْفَجِ (٥) الْمُسَحَّجِ (٦).

وَبِالْثَّامِ (٧) وَعَرَامِ (٨) الْعَوْسَجِ (٩) * (١٠).

٧ - * (قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ: «يَكْمُلُ غِنَى الْقَلْبِ

بِغِنَى آخَرَ، هُوَ غِنَى النَّفْسِ . وَآيَتُهُ: سَلَامَتُهَا مِنْ
الْحُطُوطِ وَبِرَاءَتُهَا مِنَ الْمُرَاءَةِ» * (١١).

٨ - * (قَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ: «كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ

وَاسِعٍ يَبُلُّ الْخُبْزَ الْيَابِسَ بِالْمَاءِ وَيَأْكُلُ وَيَقُولُ: مَنْ قَنَعَ
بِهَذَا لَمْ يَحْتَجْ إِلَى أَحَدٍ» * (١٢).

٩ - * (قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «وَجَدْتُ أَطْوَلَ

النَّاسِ غَمًّا الْحُسُودَ، وَأَهْنَاهُمْ عَيْشًا الْقَنُوعَ، وَأَصْبَرَهُمْ

عَلَى الْأَذَى الْحَرِيصَ إِذَا طَمِعَ ، وَأَخْفَضَهُمْ عَيْشًا
أَرْفَضَهُمْ لِلدُّنْيَا ، وَأَعْظَمَهُمْ نَدَامَةً الْعَالَمِ
الْمُفْرَطَ) * (١٣).

١٠ - * (قَالَ قِلَاحٌ لِأَبِي جَهْلٍ وَالْحَارِثِ ابْنِي

هَشَام:

فَهَلْ يُحْلِدَنَّ ابْنِي هَشَامٍ غِنَاهُمَا

وَمَا يَجْمَعَانِ مِنْ مِثْنٍ وَمِنْ أَلْفٍ

يَقُولَانِ نَسْتَعْنِي وَوَاللَّهِ مَا الْغِنَى

مِنَ الْمَالِ إِلَّا مَا يُعْفُ وَمَا يَكْفِي (١٤).

١١ - * (قَالَ شَاعِرٌ:

أَصْبِرْ عَلَى كِسْرَةٍ وَمِلْحٍ

فَالصَّبْرُ مِفْتَاحُ كُلِّ زَيْنٍ

وَلَا تَعْرِضْ لِمَدْحِ قَوْمٍ

يَدْعُ إِلَى ذِلَّةٍ وَشَيْنٍ

وَاقْنَعْ فَإِنَّ الْقُنُوعَ عِزٌّ

وَالذُّلُّ فِي شَهْوَةِ بَدَيْنٍ) * (١٥).

١٢ - * (وَقَالَ آخَرُ:

رَضِيتُ مِنَ الدُّنْيَا بِقُوْتٍ يُقِيمُنِي

فَلَا أَبْتَغِي مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا فَضْلًا

(١) الإحياء (٣/ ٢٣٩)، والقنعة لابن السني (٤٣).

(٢) جمهرة أشعار العرب (٢٤٢).

(٣) تدلجي: من أدلج إذا سار من أول الليل .

(٤) تولجي: من ولج يلج ولوجاً: أي دخل .

(٥) العرفج: نوع من الشجر البري .

(٦) المسحج: المقشر .

(٧) الثام: نبت ضعيف له خوص أو شبيهه بالخصوص وأحده ثامة .

(٨) العرام: ما سقط من قشر العوسج .

(٩) العوسج: واحده عوسجة وهي الشجرة الكبيرة من العضاء .

(١٠) جمهرة أشعار العرب (٢٤٢)

(١١) تهذيب مدارج السالكين (٤٧٤).

(١٢) الإحياء (٣/ ٢٩٣).

(١٣) القنعة لابن السني (٥٨).

(١٤) المصدر السابق نفسه ، والصفحة نفسها .

(١٥) المصدر السابق (٤٧).

وَلَسْتُ أَرُومُ الْقُوتَ إِلَّا لِأَنَّهُ

يُعِينُ عَلَى عِلْمٍ أَرَدْتُ بِهِ جَهْلًا

فَمَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِطِيبِ نَعِيمِهَا

لَأَيَّسِرَ مَا فِي الْعِلْمِ مِنْ نُكْتَةٍ عَدَلًا)*^(١).

١٣ - * (وَقَالَ آخَرُ:

وَلِلرِّزْقِ أَسْبَابٌ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي

وَإِنِّي مِنْهَا بَيْنَ غَادٍ وَرَائِحٍ

قِنَعْتُ بِثَوْبِ الْعُدَمِ مِنْ حُلَّةِ الْغِنَى

وَمِنْ بَارِدِ عَذْبٍ زُلَالٍ بِمَالِحٍ

١٤ - * (وَقَالَ آخَرُ:

كُنْ بِمَا أُوتِيَتْهُ مُقْتَنِعًا

تَقْتَفِي عَيْشَ الْقَنُوعِ الْمُكْتَفِي

كِسْرَاجِ دُهْنِهِ قُوتٌ لَهُ

فَإِذَا غَرَّقَتْهُ فِيهِ طُفِي)*^(٢).

١٥ - * (قَالَ بَعْضُهُمْ: «ازْهَدْ بِمَا عِنْدَ النَّاسِ

يُحِبُّكَ النَّاسُ، وَارْغَبْ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ يُحِبُّكَ اللَّهُ»)*^(٣).

١٦ - * (قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ: مَا الْغِنَى؟

قَالَ: «قِلَّةُ تَمَنِّيكَ، وَرِضَاكَ بِمَا يَكْفِيكَ»)*^(٤).

١٧ - * (وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ: مَا مَالُكَ؟

فَقَالَ: «التَّجَمُّلُ فِي الظَّاهِرِ، وَالْقَصْدُ فِي الْبَاطِنِ، وَالْيَأْسُ

مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ»)*^(٥).

١٨ - * (وَقِيلَ فِي الْقَنَاعَةِ:

اضْرَعْ إِلَى اللَّهِ لَا تَضْرَعْ إِلَى النَّاسِ

وَاقْنَعْ بِيَأْسٍ فَإِنَّ الْعِزَّ فِي الْيَأْسِ

وَاسْتَغْنِ عَنْ كُلِّ ذِي قُرْبَى وَذِي رَحِمٍ

إِنَّ الْغِنَى مَنْ اسْتَغْنَى عَنِ النَّاسِ)*^(٦).

١٩ - * (وَقِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا:

يَا جَائِعًا قَانِعًا وَالذَّهْرُ يَرْمُقُهُ

مُقَدَّرًا أَيَّ بَابٍ مِنْهُ يُغْلِقُهُ

مُفَكِّرًا كَيْفَ تَأْتِيهِ مَنِيَّتُهُ

أَغَادِيًا أَمْ بِهَا يَسْرِي فَتَطْرُقُهُ

جَمَعْتَ مَالًا فَقُلْ لِي هَلْ جَمَعْتَ لَهُ

يَا جَامِعَ الْمَالِ أَيَّامًا تُفَرِّقُهُ

الْمَالُ عِنْدَكَ مَخْزُونٌ لِيُورِثُهُ

مَا الْمَالُ مَالُكَ إِلَّا يَوْمَ تُنْفِقُهُ

أَرْفَهُ^(٧) بِيَالٍ فَتَى يَغْدُو عَلَى ثِقَةٍ

أَنَّ الَّذِي قَسَمَ الْأَرْزَاقَ يَرْزُقُهُ

فَالْعِرْضُ مِنْهُ مَصُونٌ مَا يَدْنِسُهُ

وَالْوَجْهُ مِنْهُ جَدِيدٌ لَيْسَ يُخْلِقُهُ

إِنَّ الْقَنَاعَةَ مَنْ يَحُلُّ بِسَاحَتِهَا

لَمْ يَلْقَ فِي ظِلِّهَا هَمٌّ يُورِّقُهُ^(٨).

٢٠ - يُرَوَّى أَنَّ الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيَّ

(١) القناعة لابن السني (٤٧).

(٢) المصدر السابق (٤١).

(٣) المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها. وفي معناه حديث

مرفوع أخرجه ابن ماجه عن سهل بن سعد الساعدي

مرفوعاً «ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس

يحبك الناس» وإسناده حسن كما في الأربعين النووية

رقم (٣١).

(٤) الإحياء (٤/٢١٢).

(٥) المرجع السابق (٤/٢١٣).

(٦) المرجع السابق (٤/٢١٣).

(٧) أَرْفَهُ: أي ما أَرْفَهُ (وهي صيغة تعجب).

(٨) الإحياء (٤/٢١٣).

(المتوفى سنة ١٧٠ هـ) رَفَضَ أَنْ يَكُونَ مُؤَدِّبًا لِابْنِ
سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ وَالِي الْأَهْوَازِ ثُمَّ أَخْرَجَ لِرَسُولِهِ خُبْرًا
يَابِسًا وَقَالَ لَهُ: مَا دُمْتُ أَجِدُ هَذَا فَلَا حَاجَةَ إِلَيَّ سُلَيْمَانُ،
ثُمَّ أَنْشَدَ:

أَبْلَغُ سُلَيْمَانَ أَنِّي عَنْهُ فِي سَعَةٍ

وَفِي غِنَى غَيْرَ أَنِّي لَسْتُ ذَا مَالٍ

شُحًّا بِنَفْسِي أَنِّي لَا أَرَى أَحَدًا

يَمُوتُ هَزَلًا وَلَا يَبْقَى عَلَى حَالٍ

وَالْفَقْرُ فِي النَّفْسِ لَا فِي الْمَالِ نَعْرِفُهُ

وَمِثْلُ ذَاكَ الْغِنَى فِي النَّفْسِ لَا الْمَالِ * (١)

٢١ - * (وَقَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

رَأَيْتُ الْقَنَاعَةَ رَأْسَ الْغِنَى

فَصِرْتُ بِأَذْيَالِهَا مُتَمَسِّكٌ

فَلَا ذَا يَرَانِي عَلَى بَابِهِ

وَلَا ذَا يَرَانِي بِهِ مِنْهُمْ مَكٌ

فَصِرْتُ غَنِيًّا بِلَا دِرْهَمٍ

أَمُرُّ عَلَى النَّاسِ شَبَهَ الْمَلِكِ * (٢)

من فوائد «القناعة»

(١) الْقَنَاعَةُ مِنْ كَمَالِ الْإِيمَانِ وَحُسْنِ الْإِسْلَامِ.

(٢) الْقَانِعُ تَعَزُّفُ نَفْسِهِ عَنْ حُطَامِ الدُّنْيَا رَغْبَةً فِيمَا عِنْدَ
اللَّهِ.

(٣) الْقَنُوعُ حُبُّ اللَّهِ وَحُبُّ النَّاسِ.

(٤) وَهُوَ سَعِيدُ النَّفْسِ بِمَا قُسِمَ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا.

(٥) لَوْ قَنَعَ النَّاسُ بِالْقَلِيلِ لَمَا بَقِيَ بَيْنَهُمْ فَقِيرٌ وَلَا
مَحْرُومٌ.

(٦) تُشِيعُ الْأَلْفَةَ وَالْمَحَبَّةَ بَيْنَ النَّاسِ.

القنوت

الآيات	الأحاديث	الآثار
١١	٢٣	٦

القنوت لغة:

مَصْدَرُ قَنْتَ يَقْنُتُ قُنُوتًا، وَهُوَ مَا أُخِذَ مِنْ مَادَّةٍ (ق ن ت) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى طَاعَةٍ وَخَيْرٍ فِي دِينٍ، وَالْأَصْلُ فِيهِ الطَّاعَةُ، ثُمَّ سُمِّيَ كُلُّ طَاعَةٍ فِي طَرِيقِ الدِّينِ قُنُوتًا، وَسُمِّيَ السُّكُوتُ فِي الصَّلَاةِ وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهَا قُنُوتًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة/ ٢٣٨) ^(١).

وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: الْقُنُوتُ دَوَامُ الطَّاعَةِ، وَقِيلَ: الدُّعَاءُ فِي الصَّلَاةِ، وَالْقُنُوتُ: الْخُشُوعُ وَالْإِقْرَارُ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَقِيلَ: الْقِيَامُ، وَزَعَمَ ثَعْلَبٌ أَنَّهُ الْأَصْلُ، وَقِيلَ: إِطَالَةُ الْقِيَامِ. وَيُقَالُ لِلْمُصَلِّي: قَانِتٌ. وَفِي الْحَدِيثِ: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كَمَثَلِ الْقَانِتِ الصَّائِمِ» أَيِ الْمُصَلِّي، وَيَرِدُ الْقُنُوتُ بِمَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ، كَالطَّاعَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَعْضُهَا. فَيُصْرَفُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي إِلَى مَا يَحْتَمِلُهُ لَفْظُ الْحَدِيثِ الْوَارِدِ فِيهِ. وَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: الْقُنُوتُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: الصَّلَاةُ، وَطُولُ الْقِيَامِ، وَإِقَامَةُ الطَّاعَةِ، وَالسُّكُوتُ. قَالَ ابْنُ سِيدَةَ: الْقُنُوتُ الطَّاعَةُ، هَذَا هُوَ الْأَصْلُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾ (الأحزاب/ ٣٥)، ثُمَّ

سُمِّيَ الْقِيَامُ فِي الصَّلَاةِ قُنُوتًا، وَمِنْهُ قُنُوتُ الْوُتْرِ.

وَالْقَانِتُ: الذَّاكِرُ لِلَّهِ تَعَالَى. كَمَا قَالَ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ (الزمر/ ٩). وَقِيلَ: الْقَانِتُ: الْعَابِدُ. وَالْقَانِتُ: الْقَائِمُ بِجَمِيعِ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَجَمَعَ الْقَانِتُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ: قُنْتُ، وَقَنْتَ لَهُ: ذَلَّ، وَقَنْتَ الْمَرْأَةَ لِبَعْلِهَا: أَقَرْتُ ^(٢).

وَنَقَلَ الْفَيْرُوزَابَادِيُّ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ قَوْلَهُ: أَقَنْتَ: دَعَا عَلَى عَدُوِّهِ، وَأَقَنْتَ: إِذَا أَطَالَ الْقِيَامُ فِي الصَّلَاةِ. وَأَقَنْتَ: إِذَا أَدَامَ الْحَجَّ، وَأَقَنْتَ: إِذَا أَطَالَ الْغَزْوُ، وَأَقَنْتَ إِذَا تَوَاضَعَ لِلَّهِ تَعَالَى ^(٣).

القنوت اصطلاحًا:

قَالَ الرَّاعِبُ: الْقُنُوتُ لُزُومُ الطَّاعَةِ مَعَ الْخُضُوعِ، وَفُسِّرَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ وَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ (البقرة/ ١١٦).

وَقَالَ الْمُنَاوِيُّ: الْقُنُوتُ: ثَبَاتُ الْقَائِمِ بِالْأَمْرِ عَلَى قِيَامِهِ تَحَقُّقًا بِتَمَكُّنِهِ فِيهِ.. وَدُعَاءُ الْقُنُوتِ: هُوَ دُعَاءُ الْإِنْتِصَابِ فِي الصَّلَاةِ ^(٤).

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٣١/٥).

(٢) انظر الصحاح للجوهري (٢٦١/١) ولسان العرب، لابن منظور (٧٣/٢، ٧٤) ومقاييس اللغة لابن فارس (٣١/٥).

(٣) بصائر ذوي التمييز (٢٩٨/٤).

(٤) مفردات الراغب (ص ٤١٣)، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص ٢٧٥).

أنواع القنوت:

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: الْقُنُوتُ الَّذِي يُعْمُ الْمَخْلُوقَاتِ أَنْوَاعٌ:

أَحَدُهَا: طَاعَةُ كُلِّ شَيْءٍ لِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَخَلْقِهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَخْرُجُ شَيْءٌ عَنْ مَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَمُلْكِهِ ، بَلْ هُوَ مُدَبَّرٌ مَعْبُودٌ .

وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ ، فَالْقَانِتُ قَدْ لَا يَشْعُرُ بِقُنُوتِهِ ، فَإِنَّ الْمُرَادَ بِقُنُوتِهِ كَوْنُهُ مُدَبَّرًا مُصَرَّفًا تَحْتَ مَشِيئَةِ الرَّبِّ مِنْ غَيْرِ امْتِنَاعٍ مِنْهُ بِوَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ ، وَهَذَا شَامِلٌ لِلْجَمَادَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَكُلِّ شَيْءٍ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾ (هود/ ٥٦) ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (يس/ ٨٣) .

النَّوعُ الثَّانِي مِنَ الْقُنُوتِ : هُوَ مَا يَشْعُرُ بِهِ الْقَانِتُ ، وَهُوَ اعْتِرَافُهُمْ كُلُّهُمْ بِأَنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ مَرْبُوبُونَ وَأَنَّهُ رَبُّهُمْ ، كَمَا تَقَدَّمَ .

الثَّالِثُ : أَنَّهُمْ يُضْطَرُّونَ إِلَيْهِ وَقَدْ حَوَائِجُهُمْ فَيَسْأَلُونَهُ وَيَخْضَعُونَ لَهُ ، وَإِنْ كَانُوا إِذَا أَجَابَهُمْ أَعْرَضُوا عَنْهُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ ﴾ (يونس/ ١٢) ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾

(الإسراء/ ٦٧) . وَهُوَ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَهُ قَانِتُونَ ، فَإِذَا قَنَتُوا لَهُ فَدَعَوْهُ ، وَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِ عِنْدَ حَاجَتِهِمْ كَانُوا قَانِتِينَ لَهُ ، وَإِنْ كَانَ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْهُمْ نَسُوا مَا كَانُوا يَدْعُونَ

إِلَيْهِ وَجَعَلُوا لَهُ أُنْدَادًا .

الرَّابِعُ : أَنَّهُمْ كُلُّهُمْ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ الْقُنُوتِ وَالطَّاعَةِ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَوَامِرِهِ وَإِنْ عَصَوْهُ فِي الْبَعْضِ ، وَإِنْ كَانُوا لَا يَقْصِدُونَ بِذَلِكَ طَاعَتَهُ ، بَلْ يُسَلِّمُونَ لَهُ وَيَسْجُدُونَ طَوْعًا وَكَرْهًا . وَذَلِكَ أَنَّهُ أَرْسَلَ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ بِالْعَدْلِ ، فَلَا صَلَاحَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِهِمْ إِلَّا بِهِ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعِيشَ فِي الْعَالَمِ مَعَ خُرُوجِهِ عَنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِهِ ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ دُخُولِهِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَدْلِ .

الخَامِسُ : خُضُوعُهُمْ لِحَزَائِهِ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، كَمَا ذَكَرَ مَنْ ذَكَرَ أَنَّهُمْ قَانِتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ يَجْزِي النَّاسَ فِي الدُّنْيَا فَيُهْلِكُهُمْ وَيَنْتَقِمُ مِنْهُمْ ، كَمَا أَهْلَكَ قَوْمَ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَفِرْعَوْنَ ، فَكَانُوا خَاضِعِينَ مُتَقَادِينَ لِحَزَائِهِ وَعِقَابِهِ قَانِتِينَ لَهُ كَرْهًا . وَالْجَزَاءُ يَكُونُ فِي الدُّنْيَا ، وَفِي الْبَرْزَخِ وَفِي الْآخِرَةِ ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، وَهُوَ قَائِمٌ بِالْقِسْطِ ، وَالْجَمِيعُ مُسْتَسْلِمُونَ لِحُكْمِهِ ، قَانِتُونَ لَهُ فِي جَزَائِهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ ، وَالْمَصَائِبِ الَّتِي تُصِيبُهُمْ فِي الدُّنْيَا جَزَاءٌ لَهُمْ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ (الشورى/ ٣٠) ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ (النساء/ ٧٩) .

فَهَذِهِ خَمْسَةُ أَنْوَاعٍ : قُنُوتُهُمْ لَخَلْقِهِ وَحُكْمِهِ وَأَمْرِهِ قَدْرًا ، وَاعْتِرَافُهُمْ بِرُبُوبِيَّتِهِ ، وَاضْطِرَارُّهُمْ إِلَى مَسْأَلَتِهِ وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ ، وَدُخُولُهُمْ فِيهَا يَاْمُرُ بِهِ وَإِنْ كَانُوا كَارِهِينَ ،

وَجَزَاؤُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ^(١).

وَقَالَ الْفَيْرُوزَابَادِيُّ: الْقُنُوتُ يَنْقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: الصَّلَاةُ، وَطُولُ الْقِيَامِ، وَإِقَامَةُ الطَّاعَةِ، وَالسُّكُوتُ. رُوِيَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِي الصَّلَاةِ، يُكَلِّمُ أَحَدُنَا صَاحِبَهُ فِي حَاجَتِهِ، حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة/ ٢٣٨)، فَأَمَرْنَا بِالسُّكُوتِ، وَسُئِلَ ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ الْقُنُوتِ، فَقَالَ: مَا أَعْرِفُ الْقُنُوتَ إِلَّا طُولَ الْقِيَامِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا...﴾

(الزمر/ ٩)، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَشْهُورُ فِي اللُّغَةِ أَنَّ الْقُنُوتَ الدُّعَاءُ، وَأَنَّ الْقَانِتَ: الدَّاعِيَ^(٢).

[للاستزادة: الخشوع - الرغبة - الصلاة - الضراعة - الطاعة - الإنابة - الرجاء - التوسل - الدعاء - الاستغاثة - الاستغفار - الإخبات - تذكّر الموت - الخوف - العبادة

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإعراض - العصيان - اتباع الهوى - الإصرار على الذنب - التفريط والإفراط - الغفلة - طول الأمل - القنوط].

الآيات الواردة في « القنوت »

القنوت بمعنى طاعة المخلوقات وخضوعها:

- ١- وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَشَمَّ وَجْهُ اللَّهِ
إِلَّكَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ ﴿١١٥﴾
وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ ﴿١١٦﴾
بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَإِذَا قُضِيَ أَمْرٌ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾^(١)

- ٢- وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ
ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾
وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ ﴿٢٦﴾^(٢)

القنوت بمعنى السكوت:

- ٣- حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى
وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾
فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ
فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ
تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾^(٣)

القنوت بمعنى طول القيام:

- ٤- وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ
ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ
مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّیُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾
أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ
الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ
يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا
الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾^(٤)

الأمر بالقنوت:

- ٥- وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ
وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾
يَمْرُؤَا اقْنِي لِلرَّبِّكِ وَاسْجُدِي
وَأَرْكَبِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾^(٥)

القنوت من صفات أنبياء الله وأوليائه
والمؤمنين (ومعناه إقامة الطاعة):

- ٦- زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ
وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ

وَالْفِضَّةَ وَالْخَيْلَ الْمُسَوَّمَةَ وَالْأَنْعَمَ
وَالْحَرْثَ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ

عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾

❖ قُلْ أُوْنِيْكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا

عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ

مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا

ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾

الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِيتِينَ

وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو

الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ (١)

٧- الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ

بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ

فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ

بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ

فَعِظُوهُنَّ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ

وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعَنَّكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ

سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٢٤﴾ (٢)

٨- إِنْ يَرَوْهُمْ كَانَتْ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَافًا وَلَمْ يَكُنْ

مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾

شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾

وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ

لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ (٣)

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌ لَّا زَوْجَكَ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيْنَتَهَا فَتَعَالَيْنِ

أُمْتَعِكُنَّ وَأُسْرِخَكُنَّ سَرًا حَاجِمِيلاً ﴿٢٨﴾

وَلِنْ كُنْتَ تُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ

فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

يَنْسَاءُ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ

يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ

عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

❖ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ

صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا

كَرِيمًا ﴿٣١﴾

يَنْسَاءُ النَّبِيُّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ

إِنْ أَتَقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ

الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ

الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ

وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ

عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾

وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ

اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ
وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ
وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ
وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ
فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ
اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ
مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (١)

إِنْ تُنُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا
عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾
عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَرْوَاحًا خَيْرًا مِنْكُنَّ
مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنَاتٍ تَتَّبِعْتِ عِدَاتِ سَيِّحَاتٍ
تَتَّبِعْتِ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ (٢)

١١ - وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا
فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا
وَكُتِبَ عَلَيْهَا ذِكْرٌ وَإِسْمٌ (٣)

١٠ - وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ
وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ
فَلَمَّا تَبَاهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا
قَالَ تَبَايَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٢﴾

الأحاديث الواردة في «القنوت»

القُنُوتُ . قُلْتُ: قَبْلَ الرُّكُوعِ أَوْ بَعْدَهُ؟ قَالَ: قَبْلَهُ .
قَالَ: فَإِنَّ فُلَانًا أَخْبَرَنِي عَنْكَ أَنَّكَ قُلْتَ: بَعْدَ الرُّكُوعِ .
فَقَالَ: كَذَبٌ، إِنَّمَا قَنَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ الرُّكُوعِ
شَهْرًا، أَرَاهُ كَانَ بَعَثَ قَوْمًا، يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَاءُ زُهَاءَ سَبْعِينَ
رَجُلًا، إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ دُونَ أَوْلِيكَ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَهْدٌ، فَقَنَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَهْرًا
يَدْعُو عَلَيْهِمْ)*^(٥).

٥ - * (عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -
قَالَ: عَلَّمَنِي جَدِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهَا فِي
قُنُوتِ الْوُتْرِ: «اللَّهُمَّ عَافِنِي فِيْمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّيْنِي
فِيْمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَاهْدِنِي فِيْمَنْ هَدَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا
قَضَيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيْمَا أَعْطَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا
يُقْضَى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَذُلُّ مَنْ وَالَيْتَ، سُبْحَانَكَ رَبَّنَا
تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ»)*^(٦).

٦ - * (عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَنَتَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَهْرًا يَدْعُو عَلَى رِغْلٍ وَذُكْوَانٍ)*^(٧).

٧ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:
قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - عَزَّ

١ - * (عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْسَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ
تَبِعَكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ قَالَ: «حُرٌّ وَعَبْدٌ» . قُلْتُ: مَا
الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «طِيبُ الْكَلَامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ» قُلْتُ:
مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «الصَّبْرُ وَالسَّهَابَةُ» قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ
الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ
وَيَدِهِ» قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الْإِيمَانِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «خُلُقٌ
حَسَنٌ» قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:
«طُولُ الْقُنُوتِ» . قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الْهَجْرَةِ أَفْضَلُ؟
قَالَ: «أَنْ تَهْجُرَ مَا هَجَرَ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ» .
[الْحَدِيثُ]*^(١).

٢ - * (عَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَفْضَلُ الصَّلَاةِ طُولُ الْقُنُوتِ)*^(٢))*^(٣).

٣ - * (عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْنُتُ فِي الصُّبْحِ
وَالْمَغْرِبِ)*^(٤).

٤ - * (عَنْ عَاصِمٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ
مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ الْقُنُوتِ فَقَالَ: قَدْ كَانَ

(٥) البخاري - الفتح ٢ (١٠٠٢). واللفظ له، ومسلم (٦٧٧)

(٦) أبوداود (١٤٢٥). وابن ماجه (١١٧٨) واللفظ له
وصححه الألباني، صحيح ابن ماجه (٩٦٧).

(٧) البخاري - الفتح ٢ (١٠٠٣) واللفظ له. ومسلم (٦٧٧).
ورعل وذكوان: قبيلتان من قبائل العرب.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٣/١١). وهو في
الصحيحه للألباني (٥٥١). والحديث أصله عند مسلم
(٨٣٢).

(٢) القنوت: المراد به هنا القيام.

(٣) مسلم (٧٥٦).

(٤) مسلم (٦٧٨).

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو فِي الْقُنُوتِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلَمَةَ بَنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، اللَّهُمَّ أَنْجِ عِيَّاشَ ابْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ سَنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ»^(٤) *^(٥).

وَجَلَّ؟ قَالَ: «لَا تَسْتَطِيعُوهُ»^(١) قَالَ: فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا. كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: «لَا تَسْتَطِيعُونَهُ». وَقَالَ فِي الثَّلَاثَةِ: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ»^(٢) بَايَاتِ اللَّهِ. لَا يَقْتَرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ. حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى» *^(٣).

٨ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

الأحاديث الواردة في «القنوت» معنى

مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، فَيَقُومُ طَوِيلًا وَيَدْعُو، وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ وَيَقُومُ طَوِيلًا، ثُمَّ يَرْمِي جَمْرَةَ ذَاتِ الْعَقَبَةِ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي، وَلَا يَقِفُ عِنْدَهَا، ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَيَقُولُ: هَكَذَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَفْعَلُهُ» *^(٩).

٩ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ» *^(٦).

١١ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْمُسْلِمَ الْمُسَدَّدَ لِيَذْرُكَ دَرَجَةَ الصَّوَامِ الْقَوَامِ بِآيَاتِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - لِكَرَمِ ضَرِيَّتِهِ وَحُسْنِ خُلُقِهِ» *^(١٠).

١٠ - * (عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ كَانَ يَرْمِي الْجَمْرَةَ الدُّنْيَا بِسَبْعِ حَصَيَّاتٍ يُكَبِّرُ عَلَى إِثْرِ كُلِّ حَصَاةٍ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ حَتَّى يُسْهَلَ^(٧) فَيَقُومُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، فَيَقُومُ طَوِيلًا وَيَدْعُو وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ، ثُمَّ يَرْمِي الْوُسْطَى ثُمَّ يَأْخُذُ ذَاتَ الشِّمَالِ^(٨) فَيَسْتَهْلُ وَيَقُومُ

١٢ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

(١) لا تستطيعوه: كذا في معظم النسخ، وفي بعضها لا تستطيعونه بالنون وهذا جار على اللغة المشهورة، والأول صحيح أيضًا وهي لغة فصيحة حذف النون من الأفعال الخمسة من غير ناصب ولا جازم.

(٢) القانت: معنى القانت هنا: المطيع.

(٣) مسلم (١٨٧٨).

(٤) كسني يوسف: أى اجعلها سنين شدادًا ذوات قحط وغلاء، والسنة - كما ذكره أهل اللغة - الجذب.

(٥) البخاري - الفتح ٦ (٢٩٣٢). واللفظ له ومسلم (٦٧٥).

(٦) مسلم (١١٦٣).

(٧) يسهل: أى يقصد السهل من الأرض أراد أنه صار إلى بطن الوادي.

(٨) يأخذ ذات الشمال: أى يقف داعيًا في مكان لا يصيبه الرمي إلى جهة شماله.

(٩) البخاري - الفتح ٣ (١٧٥١).

(١٠) أحمد في المسند (٢/ ٢٢٠) واللفظ له. والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٥٧). والهيثمي في المجمع (٨/ ٢٢)، وصححه الألباني، الصحيحة (٥٢٢).

١٣ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ - كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْخَاشِعِ الرَّكَعِ السَّاجِدِ»)* (٤).

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «السَّاعِي^(١) عَلَى الْأَرْمَلَةِ^(٢)، وَالْمُسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَأَحْسِبُهُ قَالَ - (يَشْكُ الْقَعْنَبِيُّ) كَالْقَائِمِ لَا يَفْطُرُ وَكَالصَّائِمِ لَا يَفْطِرُ»)* (٣).

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في «القنوت»

١٤ - * (عَنْ حُذَيْفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى فَكَانَ إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ رَحِمَهُ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةٍ عَذَابٍ اسْتَجَارَ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَنْزِيهٌ لِلَّهِ سَبَّحَ)* (٥).

١٥ - * (سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ اسْتِسْقَاءِ^(٦) رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ مُتَبَذِّلًا^(٧) مُتَوَاضِعًا مُتَضَرِّعًا حَتَّى أَتَى الْمُصَلَّى فَلَمْ يَخْطُبْ خُطْبَتَكُمْ هَذِهِ، وَلَكِنْ لَمْ يَزَلْ فِي الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالتَّكْبِيرِ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَمَا كَانَ يُصَلِّي فِي الْعِيدِ)* (٨).

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا؟»)* (٩).

١٦ - * (عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: إِنَّ كَانَ النَّبِيَّ ﷺ لَيَقُومُ أَوْ لَيُصَلِّي حَتَّى تَرِمَ قَدَمَاهُ

١٧ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: خَسَفَتِ^(١٠) الشَّمْسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي فَأَطَالَ الْقِيَامَ جِدًّا. ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ جِدًّا. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَأَطَالَ الْقِيَامَ جِدًّا.

١٨ - * (عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: إِنَّ كَانَ النَّبِيَّ ﷺ لَيَقُومُ أَوْ لَيُصَلِّي حَتَّى تَرِمَ قَدَمَاهُ

جهة التواضع.

(٨) الترمذي (٥٥٨) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه (١٢٦٦) وحسنه الألباني.

(٩) البخاري - الفتح ٣ (١١٣٠)، ٨ (٤٨٣٧) واللفظ له. ومسلم (٢١٢٠).

(١٠) خسفت الشمس: يقال خسفت الشمس والقمر، وخسفا. وذهب جمهور أهل اللغة على أن الكسوف والخسوف يكونان لذهاب ضوئها كله ويكون لذهاب بعضه.

(١) الساعي: الكاسب لهما، العامل لمؤنتهما.

(٢) الأرملة: من لا زوج لها، وسميت أرملة لما يحصل لها من الإرمال وهو الفقر وذهاب الزاد لفقد الزوج.

(٣) البخاري - الفتح ١٠ (٦٠٠٧) واللفظ له. ومسلم (٢٩٨٢).

(٤) النسائي (١٨/٦)، وهو في صحيح سنن النسائي (٢٩٣٠).

(٥) البخاري - الفتح ٩ (٥٣٥٣). ومسلم (٢٩٨٢).

(٦) استسقاء رسول الله: أي صلاته لطلب السقيا ونزول المطر.

(٧) التبذل: ترك التزين والتهيؤ بالهيئة الحسنة الجميلة، على

وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ جِدًّا. وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ. ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ قَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ. وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ. ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَامَ. فَأَطَالَ الْقِيَامَ. وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ. ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ. وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ. ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ. فَخَطَبَ النَّاسَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ « إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، وَإِنَّهُمَا لَا يَنْخَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ. فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَكَبِّرُوا، وَادْعُوا اللَّهَ وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا. يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! إِنْ مِنْ أَحَدٍ أَعْيَرَ مِنْ اللَّهِ ^(١) أَنْ يَزِنِي عَبْدُهُ أَوْ تَزِنِي أُمَّتُهُ. يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ ^(٢) لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا. أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ » * ^(٣).

١٨ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَفِي صَدْرِهِ أَزِيْرٌ كَأَزِيْرِ الرَّحَى مِنَ الْبُكَاءِ ﷺ) * ^(٤).

١٩ - * (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ

النَّبِيُّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: « رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنِّ عَلَيَّ، وَانصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ الْهُدَى لِي، وَانصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ. رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَارًا، لَكَ ذَكَرًا، لَكَ رَهَابًا، لَكَ مُطِيعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا ^(٥)، إِلَيْكَ أَوَاهًا ^(٦) مُنِيْبًا. رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي وَاغْسِلْ حَوْبَتِي ^(٧) وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاسْلُلْ ^(٨) سَخِيْمَةً ^(٩) قَلْبِي » * ^(١٠).

٢٠ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سُوءٍ، قِيلَ لَهُ: وَمَا هَمَمْتَ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَقْعُدَ وَأَذَرَ النَّبِيَّ ﷺ) * ^(١١).

٢١ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ ^(١٢) وَأَحْيَا لَيْلَهُ ^(١٣) وَأَيَقَظُ أَهْلَهُ) * ^(١٤).

٢٢ - * (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ

(١) إِنْ مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ: إِنْ نَافِيَةٌ بِمَعْنَى مَا . وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَمْنَعُ مِنَ الْمَعَاصِي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى . وَلَا أَشَدَّ كِرَاهِيَةً لَهَا مِنْهُ سَبْحَانَهُ .

(٢) لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ: أَيُّ لَوْ تَعْلَمُونَ مِنْ شِدَّةِ عِقَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَانْتِقَامِهِ مِنْ أَهْلِ الْجَرَائِمِ، وَأَهْوَالِ الْقِيَامَةِ وَمَا بَعْدَهَا، كَمَا عَلِمْتَ لِبِكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَقُلْ ضَحَكُكُمْ لِفِكْرِكُمْ وَخَوْفِكُمْ مِمَّا عَمَلْتُمُوهُ .

(٣) البخاري - الفتح ٢ (١٠٤٤) . ومسلم (٩٠١) واللفظ له

(٤) أبوداود ١ (٩٠٤) واللفظ له . والنسائي (١٣/٣) . وقال

محقق جامع الأصول (٥/٤٣٥): حديث صحيح .

(٥) مُخْبِتًا: أَيُّ خَاشِعًا مُتَوَاضِعًا .

(٦) أَوَاهًا: أَيُّ مَتَضَرِّعًا وَقِيلَ بَكَاءً .

(٧) الْحَوْبَةُ: الْمَأْثَمُ .

(٨) اسْلُلْ: أَيُّ انْزِعْ .

(٩) سَخِيْمَةً قَلْبِي: السَّخِيْمَةُ الْحَقْدُ .

(١٠) الترمذي (٣٥٥١) . وقال: حديث حسن صحيح . وأبوداود (١٥٧) . وابن ماجه (٣٨٣٠) واللفظ له .

(١١) البخاري - الفتح ٣ (١١٣٥) واللفظ له . ومسلم (٧٧٣) .

(١٢) شَدَّ مِئْزَرَهُ: أَيُّ اسْتَعَدَّ لِلْعِبَادَةِ وَشَمَّرَ لَهَا .

(١٣) أَحْيَا لَيْلَهُ: أَيُّ اسْتَغْرَقَهُ بِالسَّهْرِ فِي الصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ .

(١٤) البخاري - الفتح ٤ (٢٠٢٤) واللفظ له . ومسلم

(١١٧٤) .

قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَوْ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ» * (١).

٢٣ - * (عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ. ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي فَاعْفِرْ لِي

ذُنُوبِي جَمِيعًا. إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ. لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ. وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا. لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ. لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ. وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ. أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ. تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ. أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ». وَإِذَا رَكَعَ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ. وَبِكَ آمَنْتُ. وَلَكَ أَسْلَمْتُ. خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي. وَخُجِّي وَعَظْمِي وَعَصْبِي. وَإِذَا رَفَعَ قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلءَ الْأَرْضِ، وَمِلءَ مَا بَيْنَهُمَا وَمِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ». وَإِذَا سَجَدَ قَالَ «اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ وَبِكَ آمَنْتُ. وَلَكَ أَسْلَمْتُ. سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ. تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ. وَمَا أَسْرَفْتُ. وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي. أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» * (٢).

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في « القنوت »

وَمَا الْقَانِتُ ؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ أَعْلَمُ. فَقَالَ: الْأُمَّةُ الَّتِي يُعَلِّمُ الْخَيْرَ، وَالْقَانِتُ الْمُطِيعُ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ، وَكَانَ مُعَاذُ يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَمُطِيعًا لِلَّهِ وَلِرَّسُولِهِ» * (٣).

٢ - * (قَالَ لَيْدُ بْنُ رَبِيعَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -:

١ - * (قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - : «إِنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا. فَقِيلَ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا. فَقَالَ: مَا نَسِيتُ، هَلْ تَذَرِي مَا الْأُمَّةُ

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ٢٣٠).

(١) البخاري - الفتح ٣ (١١٢٠) واللفظ له. ومسلم (٧٦٩).

(٢) مسلم (٧٧١).

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اسْتَقَلَّتْ

بِأَمْرِهِ السَّمَاءُ وَاطْمَأَنَّتِ

وَشَدَّهَا بِالرَّاسِيَّاتِ الثُّبَّتِ

رَبُّ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ الْقُنَّتِ) * (١)

٣ - * (قَالَ مُجَاهِدٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى

﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ : قَالَ : مِنَ الْقُنُوتِ : الرُّكُوعُ ،

وَالْخُشُوعُ ، وَغَضُّ الْبَصَرِ ، وَخَفْضُ الْجَنَاحِ مِنْ رَهْبَةِ

اللَّهِ) * (٢)

٤ - * (رُويَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

«كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِي الصَّلَاةِ يُكَلِّمُ أَحَدُنَا صَاحِبَهُ فِي

حَاجَتِهِ، حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ فَأَمَرْنَا

بِالسُّكُوتِ) * (٣)

٥ - * (وَسُئِلَ ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ

الْقُنُوتِ فَقَالَ: «مَا أَعْرِفُ الْقُنُوتَ إِلَّا طُولَ الْقِيَامِ، ثُمَّ

قَرَأَ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾) * (٤)

٦ - * (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ قِيلَ:

خَاضِعُونَ، وَقِيلَ: طَائِعُونَ، وَقِيلَ: سَاكِتُونَ يَعْنِي عَنْ

كَلَامِ الْآدَمِيِّينَ، وَكُلُّ مَا لَيْسَ مِنَ الصَّلَاةِ فِي شَيْءٍ) * (٥)

من فوائد « القنوت »

(١) دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ الْإِيمَانِ وَسَلَامَتِهِ مِنَ الْغَوَائِلِ .

(٢) طَرِيقٌ مُوصِلٌ إِلَى الْجَنَّةِ .

(٣) يُورِثُ الْخَشْيَةَ مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - .

(٤) يُثْمِرُ مَحَبَّةَ اللَّهِ وَطَاعَتَهُ .

(٥) دَلِيلٌ صَلاَحِ الْعَبْدِ وَاسْتِقَامَتِهِ .

(٦) بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ اللُّجُوءِ إِلَى اللَّهِ .

(٧) اتِّبَاعٌ لَطُرُقِ النَّبِيِّينَ وَالصَّالِحِينَ .

(١) انظر الأدب العربي للزيات (٢٠).

(٢) شرح السنة للبخاري (٣/٣٦٢).

(٣) بصائر ذوي التمييز (٤/٢٩٨).

(٤) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٥) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

القوة والشدة

الآيات	الأحاديث	الآثار
٣٣	١٣	٨

أولاً: القوة لغة:

اسم مأخوذ من مادة (ق و ي) التي تدل كما يقول ابن فارس علي معنيين: أحدهما على شدة وخلاف ضعف، والآخر القواء وهو الأرض الخربة^(١)، والقوة هنا مأخوذة من المعنى الأول، والوصف من ذلك: القوي خلاف الضعيف، وأصل ذلك من القوى التي هي جمع قوة من قوى الحبل، والمقوي: الذي أصحابه وإبله أقوياء، ورجل شديد القوى أي شديد أسر الخلق^(٢)، وقال الراغب: القوة تستعمل تارة في معنى القدرة نحو قوله ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ (البقرة/ ٦٣، ٩٣)، وتارة للتهيؤ الموجود في الشيء نحو أن يقال: النوى بالقوة نخل، أي متهيئ ومترشح أن يكون منه ذلك، ويستعمل ذلك في البدن تارة وفي القلب أخرى، مثال الأول قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ (فصلت/ ١٥) فالقوة هنا قوة البدن ومثال الثاني قوله - عز وجل - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا الْقُرْآنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (مريم/ ١٢) أي بقوة قلب، وقد تستعمل القوة ويراد بها المعاونة من خارج كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ

لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾ (هود/ ٨٠) قيل معناه من أتقوى به من الجند أو من المال، وقد تستعمل في القدرة الإلهية نحو قوله - عز من قائل -: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد/ ٢٥)^(٣).

وقال الجوهري: القوة: خلاف الضعف، والقوة الطاقة من الحبل وجمعها قوى (بالضم) وقوى (بالكسر)، يقال: قوي الضعيف قوة فهو قوي، وتقوى مثله، وقويته أنا تقوية^(٤)، وقال ابن منظور: يقال: أقوى الحبل والوتر جعل بعض قواه أغلظ من بعض، وفي حديث ابن الديلمى: «يُنْقَضُ الْإِسْلَامُ عُرْوَةً عُرْوَةً كَمَا يُنْقَضُ الْحَبْلُ قُوَّةً قُوَّةً»، وقوله - عز وجل - لموسى حين كتب له الألواح: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ (الأعراف/ ١٤٥) قال الزجاج: أي خذها بقوة في دينك وحجتك. وقال ابن سيده: قوى الله ضعفك أي: أبدلك مكان الضعف قوة^(٥).

القوة اصطلاحاً:

قال الجرجاني: القوة: هي تمكن الحيوان (أي الكائن الحي) من الأفعال الشاقة، فإن كان الكائن نباتاً سميت قوته قوة طبيعية، وإن كان حيواناً

(١) من هذا الأصل الآخر قولهم: القواء: الأرض التي لا أهل بها، والمقوي: الشخص، الذي لا زاد معه، انظر المقاييس (٣٧/٥).

(٢) المرجع السابق (٣٦/٥).

(٣) المفردات للراغب (٤١٩).

(٤) الصحاح (٦/ ٢٤٧٠).

(٥) لسان العرب لابن منظور: (٢٠٧/ ١٥).

سُمِّيَتْ قُوَّتُهُ قُوَّةً نَفْسَانِيَّةً وَإِنْ كَانَ إِنْسَانًا سُمِّيَتْ قُوَّتُهُ قُوَّةً عَقْلِيَّةً، وَالْقُوَى الْعَقْلِيَّةُ بِاعْتِبَارِ إِدْرَاكِهَا لِلْكَلِّيَّاتِ تُسَمَّى الْقُوَّةُ النَّظَرِيَّةُ، وَبِاعْتِبَارِ اسْتِنْبَاطِهَا لِلصَّنَاعَاتِ الْفِكْرِيَّةِ مِنْ أَدْلَتِهَا بِالرَّأْيِ تُسَمَّى الْقُوَّةُ الْعَمَلِيَّةُ^(١)

وَقَالَ الرَّاعِبُ: الْقُوَّةُ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ لِلتَّهَيُّؤِ فِي الْبَدَنِ أَوْ الْقَلْبِ يُقَالُ بِهَا عَلَى وَجْهَيْنِ: الْأَوَّلُ: لِمَا هُوَ مَوْجُودٌ وَلَكِنَّهُ لَا يُسْتَعْمَلُ، وَالْآخِرُ لِمَنْ يُمَكِّنُ أَنْ يَحْصُلَ مِنْهُ الْفِعْلُ. مِثَالُ الْأَوَّلِ: فَلَانُ كَاتِبٌ بِالْقُوَّةِ لِمَنْ يَعْرِفُ الْكِتَابَةَ، وَلَكِنَّهُ لَا يَكْتُبُ، وَمِثَالُ الثَّانِي: فَلَانُ كَاتِبٌ لِمَنْ يُمَكِّنُهُ تَعَلُّمَ الْكِتَابَةِ^(٢).

ثانيًا: الشدة:

أَصْلُ الشِّدَّةِ: شِدَّةُ الْعَقْدِ، وَتَدُلُّ أَيْضًا عَلَى الْقُوَّةِ فِي الشَّيْءِ، وَفِي الْبَدَنِ، وَفِي قُوَى النَّفْسِ^(٣)، وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: الشِّدَّةُ الصَّلَابَةُ وَهِيَ نَقِيضُ اللَّيْنِ وَتَكُونُ فِي الْجَوَاهِرِ وَالْأَعْرَاضِ، وَكُلُّ شَيْءٍ أُحْكِمَ فَقَدْ شُدَّ، وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: «مَنْ يُشَادَّ هَذَا الدِّينَ يَغْلِبُهُ» أَيُّ يُقَاوِيهِ وَيُقَاوِمُهُ، وَيُكَلِّفُ نَفْسَهُ مِنَ الْعِبَادَةِ فَوْقَ طَاقَتِهِ وَالشِّدَّةُ أَيْضًا: النَّجْدَةُ وَثَبَاتُ الْقَلْبِ، وَكُلُّ شُجَاعٍ شَدِيدٌ^(٤).

الشِّدَّةُ اصطلاحًا:

لَمْ تَذْكُرْ كُتُبُ الْمُصْطَلَحَاتِ الشِّدَّةَ ضِمْنَ

مُصْطَلَحَاتِهَا وَيُمْكِنُ فِي ضَوْءِ مَا أوردَهُ اللُّغَوِيُّونَ وَالْمُفَسِّرُونَ أَنْ نَعْرِفَهَا بِأَنَّهَا: الْقُوَّةُ الزَّائِدَةُ فِي مُمَارَسَةِ التَّعَامُلِ مَعَ النَّفْسِ أَوْ مَعَ الْآخَرِينَ وَهِيَ حِينِيذٌ بِمَعْنَى التَّشَدُّدِ الزَّائِدِ فِي آدَاءِ الْأَعْمَالِ، وَضِدُّهَا الرِّفْقُ وَاللِّينُ، وَتَقَارِبُهَا الْغِلْظَةُ.

حكم الشدة:

الشِّدَّةُ تُطْلَبُ فِي مَوْضِعَيْنِ هُمَا:

١- عِنْدَ التَّعَامُلِ مَعَ الْكُفَّارِ مُضَدًّا لِقَوْلِهِ

تَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.

٢- عِنْدَمَا تُتْهَكُّ حُرْمَاتُ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ تُتَعَدَّى

حُدُودَهُ.

وَالشِّدَّةُ مِنْهِيَ عَنِهَا فِي مَوْضِعَيْنِ أَيْضًا:

الأَوَّلُ: فِي مُمَارَسَةِ الْعِبَادَةِ،

الْآخِرُ: فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ.

[للاستزادة: انظر صفات: الرجولة - العزم

والعزيمة - العفة - قوة الإرادة - كظم الغيظ - جهاد

الأعداء - الثبات - النشاط - الشهامة - النبل - علو

الهمة - الشجاعة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الضعف -

الوهن - التخاذل - صغر الهمة - التولي - الجبن -

الكسل - التهاون - التفريط والإفراط].

(١) التعريفات للجرجاني (١٨٨)، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٢٧٦) وَقَدْ تَصَرَّفْنَا فِي الْعِبَارَةِ تَصَرُّفًا يَسِيرًا بَأَن وَضَعْنَا لَفْظَ (الكَائِنِ) بَدَلًا مِنَ النَّفْسِ. وَقَدْ ذَكَرَ الْمُؤَلِّفَانِ أَنْوَاعًا عَدِيدَةً لِلْقُوَّةِ لَيْسَ هُنَا مَحَلُّ تَفْصِيلِهَا.

(٢) مفردات الراغب (٤١٩) بتصرف يسير.

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس ٣/ ١٨٠، والصحاح ٢/ ٤٥٣.

(٤) لسان العرب ٣/ ٢٣٢ (ط. بيروت) والنهاية لابن الأثير

أولاً : الآيات الواردة في « القوة »

قوة الإرادة في الطاعات:

قوة الله فوق كل شيء:

- ١- وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَاءَ آتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٣﴾^(١)
- ٢- وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَاءَ آتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾^(٢)
- ٣- وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذُّهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾^(٣)
- ٤- وَإِذْ نُنَقِّنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَاءَ آتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾^(٤)
- ٥- يَخِيخِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَايْتِنَهُ الْحَكَمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾^(٥)
- ٦- وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾^(٦)
- ٧- كَذَّابِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾^(٧)
- ٨- فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾^(٨)
- ٩- وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنَّا أَقْلَ مِنْكَ مَا لَا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾^(٩)
- ١٠- أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾
- الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الصَّوْمِعُ وَبِيعَ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾^(١٠)

(١) البقرة: ٦٣ مدنية
(٢) البقرة: ٩٣ مدنية
(٣) الأعراف: ١٤٥ مكية
(٤) الأعراف: ١٧١ مكية
(٥) مريم: ١٢ مكية
(٦) البقرة: ١٦٥ مدنية
(٧) الأنفال: ٥٢ مدنية
(٨) هود: ٦٦ مكية
(٩) الكهف: ٣٩ مكية
(١٠) الحج: ٣٩-٤٠ مدنية

- ١١- يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ
إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا
ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ. وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ
شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ
الطَّلَابُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾
مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ
عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾^(١)

- ١٢- وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِيظِهِمْ لَمْ يَأْلُوا خَيْرًا وَكَفَى
اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾^(٢)
١٣- اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ
وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾^(٣)

الإيمان يكسب قوة الإرادة:

- ٢٠- وَيَقُومُ اسْتَغْفِرُ وَأَرْبُكُم ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ
السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً
إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مَجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾^(١٠)
٢١- قَالَ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا
قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٢٨﴾
قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا أَنَا إِلَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ
مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٢٩﴾^(١١)
٢٢- قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَتَأْتَى اسْتَشْجَرُهُ إِنَّ خَيْرَ
مَنْ اسْتَشْجَرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾^(١٢)
٢٣- وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾
مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾
وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾
إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾
عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾^(١٣)

- ١٤- إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾^(٤)
١٥- لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ
الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ
وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ
لِّلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ
بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾^(٥)
١٦- كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبُ أَنَا أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ
قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾^(٦)

القوة في الحروب والأعمال والعهود:

- ١٧- وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ
وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ
وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ
اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾^(٧)

(١٠) هود: ٥٢ مكية
(١١) النمل: ٣٨-٣٩ مكية
(١٢) القصص: ٢٦ مكية
(١٣) النجم: ١-٥ مكية

(٦) المجادلة: ٢١ مدنية
(٧) الأنفال: ٦٠ مدنية
(٨) الكهف: ٩٤-٩٥ مكية
(٩) النحل: ٩٢ مكية

(١) الحج: ٧٣-٧٤ مدنية
(٢) الأحزاب: ٢٥ مدنية
(٣) الشورى: ١٩ مكية
(٤) الذاريات: ٥٨ مكية
(٥) الحديد: ٢٥ مدنية

٢٤ - إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾

ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ (١)

أطوار الإنسان قوة وضعف:

٢٥ - اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ (٢)

في الافتخار بالقوة مهلكة:

٢٦ - فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ (٣)

ثانيًا: الآيات الواردة في « الشِّدَّة »

٢٩ - فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَمَا مِمَّا بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلَهُمْ ﴿٤١﴾ (٦)

٣٠ - وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ (٧)

٢٧ - فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾ (٤)

٢٨ - أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرَكَ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ (٥)

ومن الآيات الواردة في « الشِّدَّة » معنى

٣٣ - وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ (١٠)

٣١ - يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ جَهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ (٨)

٣٢ - يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ (٩)

(٨) التوبة: ٧٣ مدنية
(٩) التوبة: ١٢٣ مدنية
(١٠) التحريم: ٧ مدنية

(٥) طه: ٣١ - ٣٢ مكية
(٦) محمد: ٤ مدنية
(٧) الفتح: ١٩ مدنية

(١) التكوين: ١٩ - ٢٠ مكية
(٢) الروم: ٥٤ مكية
(٣) فصلت: ١٥ مكية
(٤) الإسراء: ٥ مكية

الأحاديث الواردة في «القوة»

١ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ:

خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ وَلَيَالِي الْحَجِّ، وَحُرِّمِ الْحَجِّ، فَزَلْنَا بِسَرَفٍ^(١). قَالَتْ: فَخَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ مَعَهُ هَدْيٌ فَأَحَبُّ أَنْ يَجْعَلَهَا عُمْرَةً فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ الْهَدْيُ فَلَا». قَالَتْ: فَلَا خِذْ بِهَا وَالتَّارِكُ لَهَا مِنْ أَصْحَابِهِ. قَالَتْ: فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَكَانُوا أَهْلَ قُوَّةٍ وَكَانَ مَعَهُمُ الْهَدْيُ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى الْعُمْرَةِ. قَالَتْ: فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي... الْحَدِيثُ)*^(٢).

٢ - * (عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَبِي وَجَعٌ قَدْ كَادَ يُهْلِكُنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «امْسَحْ بِيَمِينِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَقُلْ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ». قَالَ: فَفَعَلْتُ. فَأَذْهَبَ اللَّهُ مَا كَانَ بِي، فَلَمْ أَزَلْ أَمُرُّ بِهِ أَهْلِي وَغَيْرَهُمْ)*^(٣).

٣ - * (عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «أَيَّ حِينَ تُوتِرُ؟». قَالَ: أَوَّلَ اللَّيْلِ، بَعْدَ الْعَتَمَةِ. قَالَ: «فَأَنْتَ يَا عُمَرُ؟». فَقَالَ: آخِرَ اللَّيْلِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا بَكْرٍ، فَأَخَذْتَ بِالْوُثْقَى. وَأَمَّا أَنْتَ يَا عُمَرُ، فَأَخَذْتَ بِالْقُوَّةِ)*^(٤).

٤ - * (عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ:

قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُو، بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَتَمَتُّعَنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوتِنَا مَا أَحْيَيْنَا وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا»)*^(٥).

٥ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ: اخِرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ. فَإِنْ لَوْ تَفَتَّحَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ)*^(٦).

٦ - * (عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ. أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ. أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ)*^(٧).

٧ - * (عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَمْرِو الْأَسْلَمِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَجِدُّ بِي قُوَّةً عَلَى الصِّيَامِ

ثَقَات.

(٥) الترمذي (٣٥٠٢). وحسنه الألباني: صحيح الترمذي

(٢٧٨٣). والبغوي في «شرح السنة» (١٧٤/٥) وابن

السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٤٨).

(٦) مسلم (٢٦٦٤).

(٧) مسلم (١٩١٧).

(١) سرف: - بفتح أوله وكسر ثانيه - موضع على ستة أميال من

مكة، تزوج به رسول الله ﷺ - ميمونة بنت الحارث وهناك

بنى بها، وهناك توفيت.

(٢) البخاري - الفتح ٣ (١٥٦٠).

(٣) مسلم (٢٢٠٢). والترمذي (٢٠٨٠) واللفظ له.

(٤) ابن ماجه (١٢٠٢). وفي الزوائد: إسناده صحيح ورجاله

فِي السَّفَرِ ، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
« هِيَ رُخْصَةٌ مِنَ اللَّهِ . فَمَنْ أَخَذَ بِهَا فَحَسَنٌ . وَمَنْ
أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ » * (١) .

٨ - * (عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ

ومن الأحاديث الواردة في «الشدة»

٩ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا
عَبْدَ اللَّهِ ، أَلَمْ أَخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ ؟ »
فَقُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « فَلَا تَفْعَلْ ، صُمْ وَأَفْطِرْ ،
وَقُمْ وَنَمْ ، فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِعَيْنَيْكَ عَلَيْكَ
حَقًّا ، وَإِنَّ لِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِرِزْوَرِكَ (٣) . عَلَيْكَ
حَقًّا ، وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ،
فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَةَ أَثْمَالِهَا ، فَإِذَا ذُنُوكَ صِيَامُ
الدَّهْرِ كُلِّهِ » ، (قَالَ عَبْدُ اللَّهِ :) فَشَدَّدْتُ فَشَدَّدَ عَلَيَّ ، قُلْتُ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً ، قَالَ : « فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ
دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا تَزِدْ عَلَيْهِ » ، قُلْتُ : وَمَا كَانَ صِيَامُ
دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟ قَالَ : « نِصْفُ الدَّهْرِ » ، فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ
يَقُولُ بَعْدَ مَا كَبُرَ : يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النَّبِيِّ ﷺ * (٤) .

١٠ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ
النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ
إِلَّا غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا (٥) ، وَقَارِبُوا (٦) ، وَأَبْشِرُوا (٧) ، وَاسْتَعِينُوا

ﷺ ، قَالَ : « يُعْطَى الْمُؤْمِنُ فِي الْجَنَّةِ قُوَّةٌ كَذَا وَكَذَا مِنْ
الْجَمَاعِ » . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوْ يُطِيقُ ذَلِكَ ؟ قَالَ :
« يُعْطَى قُوَّةٌ مِائَةً » * (٢) .

بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ ، وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ (٨) * (٩) .
١١ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ (١٠) ، إِنَّمَا
الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ » * (١١) .
١٢ - * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
قَالَ : « دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ ،
فَقَالَ : « مَا هَذَا الْحَبْلُ ؟ » قَالُوا هَذَا حَبْلٌ لِرِزْنَبَ ، فَإِذَا
فَتَرْتُ (١٢) تَعَلَّقْتُ (١٣) ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَا ، حُلُوهُ ،
لِيَصِلَ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ » * (١٤) .

١٣ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ :
كَانَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ فَقَالَ : مَنْ هَذِهِ ؟ قُلْتُ : فُلَانَةٌ ، لَا تَنَامُ اللَّيْلَ - تَذْكُرُ
مِنْ صَلَاتِهَا - فَقَالَ (ﷺ) : « مَهْ (١٥) عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ
مِنَ الْأَعْمَالِ ، فَإِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - لَا يَمَلُّ حَتَّى
تَمَلُّوا » * (١٦) .

(٨) الغدوة: السير أول النهار، والروحة: السير آخره، والدلجة: السر في الليل.

(٩) البخاري - الفتح (٣٩).

(١٠) الصرعة: هو الذي يصرع الناس كثيرًا بقوته، والتاء فيه للمبالغة.

(١١) البخاري - الفتح (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩) متفق عليه.

(١٢) فتרת: قل نشاطها في العبادة.

(١٣) أي تعلقت بهذا الحبل لتستعيد نشاطها وقوتها.

(١٤) البخاري - الفتح (١١٥٠).

(١٥) مه: اسم فعل أمر بمعنى كفوا.

(١٦) البخاري - الفتح (١١٥١).

(١) مسلم (١١٢١).

(٢) الترمذي (٢٥٣٦/٤) واللفظ له. وقال: هذا حديث صحيح غريب. والدارمي (٣٣٤/٢) وقال محقق جامع الأصول (٥٣٠/١٠): إسناده حسن.

(٣) الزور: يُراد به الزور.

(٤) البخاري - الفتح (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، واللفظ للبخاري.

(٥) سددوا: أي الزموا السداد من غير إفراط ولا تفريط، والسداد هو التوسط في العمل.

(٦) قاربوا: أي اعملوا بما يقرب من الكمال إن لم تستطيعوه.

(٧) أبشروا: أي بالشواب على العمل الدائم وإن قل.

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في «القوة والشدة»

أولاً: القوة :

على فريسته*^(٥).

١ - * (قَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خُذُوا مَا

ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ (البقرة/ ٦٣): بِقُوَّةٍ أَيْ بِعَمَلٍ مَا فِيهِ*^(١).

٢ - * (وَقَالَ قَتَادَةُ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ نَفْسَهَا:

الْقُوَّةُ: قُوَّةُ الْجِدِّ)*^(٢).

٣ - * (وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ فِي هَذِهِ

الْآيَةِ: بِقُوَّةٍ أَيْ بِطَاعَةٍ)*^(٣).

٤ - وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ

الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ (مريم/ ١٢): أَيْ بِجِدٍّ وَحِرْصٍ وَاجْتِهَادٍ)*^(٤).

ثانياً: الشدة :

٥ - * (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي

قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى

الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح/ ٢٩)، قَالَ: كَانَ أَهْلُ

الْحُدُودِ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ أَيْ غَلَاظٌ عَلَيْهِمْ كَالْأَسَدِ

٦ - * (وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ: هَذِهِ

صِفَةُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمْ شَدِيدًا عَنِيفًا عَلَى

الْكُفَّارِ، رَحِيمًا بَرًّا بِالْأَخْيَارِ عُبُوسًا غَضُوبًا فِي وَجْهِ

الْكَافِرِ، ضَحُوكًا بَشُوشًا فِي وَجْهِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ)*^(٦).

٧ - * (وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ نَفْسَهَا:

وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالَّذِينَ آمَنُوا جَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَوْنُ الصِّفَاتِ

الْمَذْكُورَةِ (مِنَ الشَّدَّةِ وَالرَّحْمَةِ فِي جُمْلَةٍ أَصْحَابِ النَّبِيِّ

ﷺ أَشْبَهُ أَيْ أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ)*^(٧).

٨ - * (قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ حَجَرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

تَعْلِيْقًا عَلَى الْبَابِ الَّذِي عَقَدَهُ الْبُخَارِيُّ لَمَّا يُجُوزُ مِنَ

الْغَضَبِ وَالشَّدَّةِ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى: يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ مَا

وَرَدَ مِنْ صَبْرِهِ مِنَ الْأَذَى إِنَّمَا هُوَ فِيْمَا كَانَ مِنْ حَقِّ

نَفْسِهِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ لِلَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ يَمْتَثِلُ فِيهِ أَمْرَ اللَّهِ مِنْ

الشَّدَّةِ)*^(٨).

من فوائد «القوة والشدة»

(٦) الشَّدَّةُ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْكُفَّارِ خَيْرٌ رَادِعٌ لَهُمْ.

(٧) الشَّدَّةُ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْمُتَشَكِّكِينَ لِحُدُودِ اللَّهِ مِنْهَا

رَدْعٌ لَأَمْثَالِهِمْ وَتَحْقِيقٌ لِلسَّلَامِ وَالْأَمْنِ بِالْمُجْتَمَعِ.

(٨) النَّهْيُ عَنِ التَّشَدُّدِ فِي الْعِبَادَةِ فِيهِ رَحْمَةٌ بِالنَّفْسِ

وَرَفْقٌ بِهَا وَهِيَ دَلِيلٌ عَلَى سَمَاحَةِ الْإِسْلَامِ وَسُموِّهِ.

(١) تُثْمِرُ مَحَبَّةَ اللَّهِ وَرِضَاهُ.

(٢) مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ الرُّجُولَةِ الْحَقَّةِ.

(٣) صِمَامٌ أَمْنٍ لِلْمُجْتَمَعِ مِنَ الْأَخْطَارِ وَالْأَعْدَاءِ.

(٤) صِيَانَةٌ لِلْعَرِضِ وَالنَّفْسِ وَالْمَالِ.

(٥) الْإِعْدَادُ لَهَا دَلِيلٌ وَعِي الْأُمَّةِ وَيَقْظَتُهَا.

(٦) تفسير ابن كثير ٢١٨/٤.

(٧) تفسير القرطبي ٢٦٢/١٦.

(٨) فتح الباري ٥٣٤/١٠.

(١)، (٢)، (٣) تفسير ابن كثير ١٠٩/١.

(٤) المرجع السابق، ١١٩/٣.

(٥) تفسير القرطبي ٢٩٢/١٦، والبحر المحيط ١٠٠/٨.

قوة الإرادة

الآيات	الأحاديث	الآثار
-	٣	٦

وَالْإِرَادَةُ أَنْ نَسْتَنْبِطَ تَعْرِيفًا يَجْمَعُ طَرَفَيْهِ فَنَقُولُ:
تَهَيُّؤُ الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ بِشِدَّةٍ وَعَزْمٍ لِإِحْدَاثِ الْفِعْلِ أَوْ
عَدَمِ إِحْدَاثِهِ.

مستويات الإرادة :

يَقُولُ الْمِيدَانِيُّ : لِلْإِرَادَةِ مُسْتَوَيَاتٌ ثَلَاثَةٌ :

- ١ - مُسْتَوَى أَدْنَى، وَهُوَ الَّذِي يُرَادُ مِنْ لَفْظِ الْإِرَادَةِ
عِنْدَ الْإِطْلَاقِ.
- ٢ - مُسْتَوَى أَوْسَطَ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَ فِي الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ
(أَيْضًا) لَفْظُ الْعَقْلِ^(٤).

أَنَّ هَذَا الْمُسْتَوَى الْأَعْلَى يُمَثِّلُ الْإِرَادَةَ الْقَوِيَّةَ الْحَازِمَةَ
الْجَازِمَةَ الَّتِي تُوَاجِهُ الْعَقَبَاتِ بِالثَّبَاتِ وَالصُّمُودِ، وَهَذَا
مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَنْهَضَ بِالْإِنْسَانِ إِلَى مَعَالِي الْأُمُورِ وَيُوصِّلُهُ
إِلَى مَرَاتِبِ الصَّابِرِينَ الْمُحْسِنِينَ الْمُجَاهِدِينَ وَأَنْ يَجْعَلَهُ
فِي تَنْفِيدِ مَا يُرِيدُ مِنْ أَهْلِ الْعَزْمِ^(٥).

وَلِقُوَّةِ الْإِرَادَةِ أَوْ الْعَزْلَامِ دَرَجَاتٌ أَيْضًا إِذْ يَتَفَاوَتْ
أَوَّلُو الْعَزْمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَقَدْ يَصِلُ ذَلِكَ فِي دَرَجَاتِهِ
الْعُلْيَا إِلَى تَنْفِيدِ الْمُرَادِ حَتَّى وَلَوْ اقْتَرَنَ بِهِ أَشَدُّ
الصُّعُوبَاتِ وَأَعْظَمُ الْأَلَامِ^(٦).

إِنَّ قُوَّةَ الْإِرَادَةِ تَحْتُلُ الْمَرْتَبَةَ الْعُلْيَا فِي سُلَّمِ
مُسْتَوَيَاتِ تَوَجُّهِ النَّفْسِ إِلَى الْأَعْمَالِ الْإِرَادِيَّةِ وَيَسْبِقُهَا
دَرَجَاتٌ خَمْسٌ هِيَ:

القوة لغة واصطلاحًا:

(انظر :صفة القوة).

أَمَّا الْإِرَادَةُ : فَأَصْلُ الْكَلِمَةِ : رَوَدَ (بِفَتْحَتَيْنِ) بِمَعْنَى
الْمَشِيئَةِ وَالطَّلَبِ وَالْاخْتِيَارِ . وَالرَّوْدُ : الْمُهْلَةُ فِي الشَّيْءِ
وَقَالُوا: رُوِيَذَا أَيَّ مَهْلًا.

وَالْإِرَادَةُ فِي الْأَصْلِ : قُوَّةٌ مُرَكَّبَةٌ مِنْ شَهْوَةٍ وَحَاجَةٍ
وَأَمَلٍ، وَجُعِلَ اسْمًا لِنُزُوعِ النَّفْسِ إِلَى الشَّيْءِ مَعَ الْحُكْمِ
فِيهِ بِأَنَّهُ يُفْعَلُ أَوْ لَا يُفْعَلُ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ مَرَّةً فِي الْمَبْدَأِ،
وَهُوَ نُزُوعُ النَّفْسِ إِلَى الشَّيْءِ، وَتَارَةً فِي الْمُنْتَهَى، وَهُوَ
الْحُكْمُ فِيهِ بِأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُفْعَلَ أَوْ لَا يُفْعَلَ. وَقَدْ تَكُونُ
بِحَسَبِ الْقُوَّةِ التَّسْخِيرِيَّةِ وَالْحِسِّيَّةِ، وَقَدْ تَكُونُ بِمَعْنَى
الْقُوَّةِ الْاخْتِيَارِيَّةِ، وَالْإِرَادَةُ قَدْ تَكُونُ مَحَبَّةً وَغَيْرَ مَحَبَّةٍ^(١).

الإرادة اصطلاحًا:

قَالَ الْجُرْجَانِيُّ: الْإِرَادَةُ: صِفَةٌ تُوجِبُ لِلْحَيِّ حَالًا
يَقَعُ مِنْهُ الْفِعْلُ عَلَى وَجْهِ دُونَ وَجْهِهِ، وَلَا تَتَعَلَّقُ إِلَّا
بِمَعْدُومٍ فَإِنَّهَا صِفَةٌ تُخَصِّصُ أَمْرًا بِحُصُولِهِ
وَوُجُودِهِ. وَقِيلَ: الْإِرَادَةُ: مَيْلٌ يَعْقُبُ اعْتِقَادَ النَّفْعِ^(٢).

قوة الإرادة اصطلاحًا:

لَمْ تَذْكُرْ كُتُبُ الْمُصْطَلَحَاتِ تَعْرِيفًا مُحَدَّدًا لِهَذَا
التَّرْكِيبِ الْإِضَافِيِّ (قُوَّةُ الْإِرَادَةِ)، بَيِّنًا أَنَّهُ يُمَكِّنُ مِنْ
خِلَالِ تَعْرِيفِ كُلِّ مِنْ عُضْرِي التَّرْكِيبِ (الْقُوَّةُ

الكريم: الأخلاق الإسلامية لحسن جنبكة
الميداني (١٢٨/٢) وما بعدها.

(٥) المرجع السابق (١٨٢/٢).

(٦) المرجع السابق (١١٤/١).

(١) الصحاح (٤٧٨/٢). واللسان (١٧٧١/٣ - ١٧٧٤).
والمصباح المنير (٢٤٥).

(٢) التعريفات (١٥)، وقارن بـ«التوقيف» (٤٤).

(٣) كتاب الأخلاق (٥٤).

(٤) انظر في تفصيل هذه الأنواع واستخداماتها في القرآن

١- تَوَجُّهُ النَّفْسِ نَحْوَ الشَّيْءِ الْمُرَادِ.

٢- الرَّغْبَةُ فِي حُصُولِ هَذَا الشَّيْءِ. ٣- اَلْهَمُّ بِالتَّنْفِيزِ.

٤- الْإِرَادَةُ الْجَازِمَةُ. ٥- تَعَقُّلُ الشَّيْءِ الْمُرَادِ.

٦- الْعَزْمُ أَوْ الْإِرَادَةُ الْقَوِيَّةُ^(١).

الإرادة القوية أو الإلزام الخُلُقِيّ :

تُشَكِّلُ الْإِرَادَةُ الْقَوِيَّةُ عُنْصُرًا مُمَيَّزًا مِنْ عَنَاصِرِ الْإِلْزَامِ الْخُلُقِيِّ، ذَلِكَ أَنَّهَا تُعَبِّرُ عَنْ بَوَاعِثِ نَفْسِيَّةٍ هِيَ الْحُبُّ أَوْ الْبُغْضُ، وَعَلَى أَسَاسِ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ تَكُونُ خُلُقِيَّةُ السُّلُوكِ قَوْلًا كَانَ أَوْ فِعْلًا، وَتَمْتَدُّ جُذُورُ هَذِهِ الْإِرَادَةِ فِي أَعْمَاقِ النَّفْسِ، وَمِنْ هُنَا يَكُونُ «فِعْلُ الْمَأْمُورِ بِهِ صَادِرًا عَنْ هَذِهِ الْقُوَّةِ الْإِرَادِيَّةِ»، وَلَا يَقِفُ الْأَمْرُ بِالْإِرَادَةِ عِنْدَ هَذَا الَّذِي تَتَّسِمُ فِيهِ بِالْعُمُقِ وَالْقُوَّةِ وَالثَّبَاتِ فِي مَجَالِي الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ، وَإِنَّمَا تَتَقَدَّمُ خُطْوَةً أُخْرَى لِتُعَبِّرَ عَنْ مَزِيدٍ مِنَ الْعُمُقِ وَالصَّلَابَةِ حِينَمَا تَتَّخِذُ لَهَا مَجَالًا يَتِمَثَّلُ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَبِذَا يُصْبِحُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ صَادِرًا عَنِ الْمَحَبَّةِ وَالْإِرَادَةِ. وَهَذَا يُؤَكِّدُ حَتْمِيَّةَ الصِّدْقِ النَّفْسِيِّ وَالْقَنَاعَةِ التَّامَّةِ فِي مَجَالِ الْإِرَادَةِ حَتَّى تَتَأَكَّدَ خُلُقِيَّةُ الْفِعْلِ^(٢).

قوة الإرادة والتصدي لكيد الشيطان:

لَقَدْ تَوَعَّدَ الشَّيْطَانُ بَنِي آدَمَ بِالْإِغْوَاءِ وَبِأَنَّهُ يَرْتَضِدُّهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ، وَقَدْ أَقْسَمَ بِعِزَّةِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ يُغْوِيهِمْ جَمِيعًا إِلَّا الْمُخْلِصِينَ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا غُورِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ (ص/ ٨٢ - ٨٣). وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ الْمَوْلَى - عَزَّ وَجَلَّ - فَقَالَ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الحجر/ ٤٢).

وَلَكِنِّي يُحَقِّقُ الشَّيْطَانُ هَذِهِ الْغَايَةَ وَضَعَ خُطَّةً مُحْكَمَةً لِإِغْوَاءِ كَشَفَتْ عَنْهَا الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا يَتَيْنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف/ ١٦ - ١٧).

نَحْنُ إِذْنُ فِي صِرَاعٍ مَعَ عَدُوٍّ لَدُوْدٍ لَهُ أَعْوَانٌ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَإِذَا كَانَتْ لَهُ خُطَّةٌ مُحْكَمَةٌ لِإِيقَاعِ بِنَا فَعَلَيْنَا أَنْ نَعِدَّ لَهُ الْعُدَّةَ كَيْ نَكُونَ مِنَ الْمُخْلِصِينَ الَّذِينَ يَنْتَصِرُونَ عَلَيْهِ بِقُوَّةِ إِيْمَانِهِمْ، وَأَوَّلُ خُطَوَاتِ هَذِهِ الْخُطَّةِ أَنْ نَتَسَلَّحَ بِإِرَادَةٍ قَوِيَّةٍ وَعَزْمٍ إِيْمَانِيٍّ لَا يَلِينُ، وَيَصْحَبُ ذَلِكَ التَّزَامُ صَارِمٌ بِأَوَامِرِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَالْإِبْتِعَادُ عَنْ نَوَاهِيهِ حَتَّى نَسْتَحِقَّ أَنْ نَكُونَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ، وَأَعْمُ عَنَاصِرِ هَذِهِ الْعِبُودِيَّةِ بَعْدَ الْإِيْمَانِ، التَّقْوَى وَالْيَقِينُ وَنَهْيُ النَّفْسِ عَنِ الْهَوَى، أَمَّا الْغَايَةُ أَوْ الْمَهْدَفُ النَّهَائِيُّ مِنْ هَذَا الصِّرَاعِ الْأَبَدِيِّ فَهُوَ الْجَنَّةُ وَمَا فِيهَا مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى.

كيف نقوي إرادتنا ؟

يَسْتَطِيعُ ضَعِيفُ الْإِرَادَةِ أَنْ يُقَوِّيَهَا بِوَسَائِلَ عَدِيدَةٍ أَهْمُهَا:

١ - تَقْوِيَةُ عَنَاصِرِ الْإِيْمَانِ بِاللَّهِ، وَبِصِفَاتِهِ الْعَظِيمَةِ، وَبِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَبِحُكْمَتِهِ الْعَالِيَةِ، وَتَقْوِيَةُ مَا يَقْتَضِيهِ الْإِيْمَانُ مِنَ الثِّقَةِ بِاللَّهِ، وَصِدْقِ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِهِ، فَتَقْوِيَةُ هَذِهِ الْعَنَاصِرِ تُعْتَبَرُ مِنَ الْوَسَائِلِ الْجَذَرِيَّةِ لَا كِتْسَابِ فَضِيلَةٍ قُوَّةِ الْإِرَادَةِ، فَضَعْفُ الْإِرَادَةِ مِنْ عَدَمِ الثِّقَةِ بِالنَّفْسِ. وَالثِّقَةُ بِاللَّهِ مَعَ صِدْقِ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَحُسْنِ الظَّنِّ بِهِ تَمْنَحُ الْإِنْسَانَ ثِقَةً

بِسَدَادٍ مَا بَيْنَهُ أَمْرًا مُتَوَكِّلًا فِيهِ عَلَى رَبِّهِ، وَأَمَلًا بِمَعُونَةِ اللَّهِ فِي تَحْقِيقِ النَّتَائِجِ الَّتِي يَرْجُوهَا، فَتَقْوَى بِذَلِكَ إِرَادَتُهُ.

٢- التَّدْرِيبُ الْعَمَلِيُّ عَلَى مُقَاوَمَةِ أَهْوَاءِ النَّفْسِ وَمُخَالَفَةِ شَهَوَاتِهَا، كُلَّمَا أَحْتَّ عَلَيْهِ بِمَطَالِبِهَا.

٣- مُمَارَسَةُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ تُعْتَبَرُ مِنَ الْوَسَائِلِ لِتَقْوِيَةِ الْإِرَادَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

فَتَادِيَةُ عِبَادَةِ الصَّلَاةِ بِالتَّزَامِ وَانْتِظَامِ وَسِيلَةٍ تُقَوِّي الْإِرَادَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ عَلَى مُخَالَفَةِ كَثِيرٍ مِنْ أَهْوَاءِ النَّفْسِ.

وَتَادِيَةُ عِبَادَةِ الصَّوْمِ بِالتَّزَامِ تَامٌ وَسِيلَةٌ أُخْرَى تُقَوِّي الْإِرَادَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ ضِدَّ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْوَاءِ النَّفْسِ. وَهَكَذَا سَائِرُ الْعِبَادَاتِ.

٤- وَالتَّزَامُ طَاعَةَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ مِنَ الْوَسَائِلِ النَّجِعةِ فِي تَقْوِيَةِ الْإِرَادَةِ^(١).

٥- يَسْتَطِيعُ الْمُؤْمِنُ أَنْ يُقَوِّي إِرَادَتَهُ بِوَسَائِلِ الذِّكْرِ وَالْوَجَلِ وَالِاسْتِعَانَةِ وَالِاسْتِخَارَةِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - إِذْ يَجْعَلُهُ ذَلِكَ فِي مَعِيَةِ مَوْلَاهُ وَيَزِيدُهُ أَمَانًا وَيَقِينًا وَيَصِيرُ بِذَلِكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (الأنفال / ٢ - ٤).

٦- وَمِمَّا يُقَوِّي إِرَادَةَ الْمُؤْمِنِ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ أَنْ يَضَعَ دَائِمًا ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهُ هَدَفًا وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ جَائِزَتَهُ الْعُظْمَى هِيَ الْجَنَّةُ وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ فِيهَا لِلْمُتَّقِينَ، وَأَنْ يَتَذَكَّرَ دَائِمًا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ

الْمَأْوَى﴾ (النازعات / ٤٠ - ٤١).

٧- وَمِمَّا يَزِيدُ قُوَّةَ الْإِرَادَةِ فِيهَا يَتَعَلَّقُ بِالِابْتِعَادِ عَنِ الْمَعَاصِي وَيَرْدَعُ عَنِ التَّهَاوُنِ وَالتَّكَاسُلِ فِي الطَّاعَاتِ، يَقِينُ الْمُؤْمِنُ بِأَنَّ جَزَاءَ ذَلِكَ الْعِصْيَانِ هُوَ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا، وَقَدْ سَجَّلَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِ الرَّسُولِ - وَلَنَا فِيهِ الْأُسْوَةُ الْحَسَنَةُ -: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الأنعام / ١٥)^(٢).

مظاهر قوة الإرادة:

لِقُوَّةِ الْإِرَادَةِ مَظَاهِيرُ عَدِيدَةٌ مِنْ أَهْمِهَا:

١- نَهْيُ النَّفْسِ عَنِ الْهَوَى وَالْقُدْرَةُ عَلَى السَّيْطَرَةِ عَلَى النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ وَكَبْحُ جَمَاحِ النَّفْسِ الْغَضَبِيَّةِ وَالشَّهْوِيَّةِ.

٢- الْجِدُّ فِي الْأُمُورِ وَالْأَخْذُ فِيهَا بِالْحَزْمِ وَالنِّظَامِ فِي الْأَعْمَالِ وَالْبُعْدُ عَنِ الْفَوْضَى.

٣- الْمُبَادَرَةُ بِفِعْلِ الْخَيْرِ قَبْلَ وُجُودِ الْمَوَانِعِ وَيَنْجُمُ عَنْ ذَلِكَ الْمُسَارَعَةُ إِلَى الْخَيْرَاتِ.

٤- مِنْ ظَوَاهِرِ قُوَّةِ الْإِرَادَةِ التَّفَاوُلُ بِالْخَيْرِ وَصَرْفُ النَّفْسِ عَنِ التَّشَاوُمِ.

٥- تَلَقِّي الْأَحْدَاثِ بِالصَّبْرِ وَعَدَمُ الْحُزْنِ عَلَى مَا فَاتَ وَعَدَمُ التَّطَلُّعِ إِلَى مَا هُوَ بَعِيدُ الْمَنَالِ مُسْتَحِيلُ التَّنْفِيدِ.

٦- امْتِلَاكُ النَّفْسِ عِنْدَ الْغَضَبِ^(٣) وَكَبْحُ جَمَاحِهَا عِنْدَ اشْتِدَادِهَا فِي مُعَامَلَةِ الْغَيْرِ^(٤).

[للاستزادة: انظر صفات: العزم والعزيمة - علو الهمة - القوة - كظم الغيظ - الرجولة - المروءة - الشهامة - مجاهدة النفس - الصبر والمصابرة. وفي ضد ذلك: انظر صفات: التخاذل - التهاون - صغر الهمة - الطيش - الكسل - اليأس].

(٣) انظر صفة «الغضب» ووسائل السيطرة عليها.

(٤) الأخلاق الإسلامية (٢/ ١٣٤ - ١٦٥).

(١) الأخلاق الإسلامية (٢/ ١٢٧).

(٢) المرجع السابق (٢/ ١٣٢).

الأحاديث الواردة في «قوة الإرادة»

١ - * (عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كِتَابَ يَهُودَ قَالَ: «إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابٍ»، قَالَ: فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ. قَالَ: فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ*)^(١).

٢ - * (عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ: كَانَ لِي عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ، فَقَالَ لِي: لَنْ أَقْضِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ. قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي لَنْ أَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ حَتَّى تَمُوتَ ثُمَّ تُبْعَثَ. قَالَ: وَإِنِّي لَمَبْعُوثٌ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ؟ فَسَوْفَ أَقْضِيكَ إِذَا رَجَعْتُ إِلَى مَالٍ وَوَلَدٍ. قَالَ: فَتَزَلْتُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ (مريم / ٧٧ - ٨٠)*)^(٢).

٣ - * (عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ: قَدِمْنَا الْحُدَيْبِيَّةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ مِائَةً... الْحَدِيثُ، وَفِيهِ: ثُمَّ إِنَّ الْمُشْرِكِينَ رَاسَلُونَا الصُّلْحَ. حَتَّى مَشَى بَعْضُنَا فِي بَعْضٍ^(٣). وَاصْطَلَحْنَا. قَالَ: وَكُنْتُ تَبِيعًا^(٤) لِبَطْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ. أَسْقِي فَرَسَهُ، وَأَحْسُهُ^(٥) وَأَخْدُمُهُ. وَآكُلُ مِنْ طَعَامِهِ. وَتَرَكْتُ أَهْلِي وَمَالِي، مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ. قَالَ: فَلَمَّا اصْطَلَحْنَا نَحْنُ وَأَهْلُ مَكَّةَ، وَاخْتَلَطَ بَعْضُنَا

بِبَعْضٍ، أَتَيْتُ شَجَرَةً فَكَسَحْتُ شَوْكَهَا^(٦) فَاضْطَجَعْتُ فِي أَصْلِهَا. قَالَ: فَأَتَانِي أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ. فَجَعَلُوا يَقْعُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَأَبْغَضْتُهُمْ. فَتَحَوَّلْتُ إِلَى شَجَرَةٍ أُخْرَى. وَعَلَّقُوا سِلَاحَهُمْ. وَاضْطَجَعُوا. فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ نَادَى مُنَادٍ مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ! قُتِلَ ابْنُ زُنَيْمٍ. قَالَ: فَاخْتَرْتُ سَيْفِي^(٧) ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَى أَوْلِيكَ الْأَرْبَعَةَ وَهُمْ رُقُودٌ. فَأَخَذْتُ سِلَاحَهُمْ. فَجَعَلْتُهُ ضِغْثًا^(٨) فِي يَدِي. قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ، لَا يَرْفَعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَأْسَهُ إِلَّا ضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاهُ^(٩). قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ بِهِمْ أَسْوَقَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: وَجَاءَ عَمِّي عَامِرٌ بِرَجُلٍ مِنَ الْعِبَلَاتِ^(١٠) يُقَالُ لَهُ مَكْرَزٌ. يَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. عَلَى فَرَسٍ مُجَفَّفٍ^(١١) فِي سَبْعِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «دَعُوهُمْ يَكُنْ لَهُمْ بَدْءُ الْفُجُورِ وَثَنَاهُ^(١٢)». فَعَفَا عَنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ (الفتح / ٢٤) الْآيَةَ كُلَّهَا. قَالَ: ثُمَّ خَرَجْنَا رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَتَزَلْنَا مَنْزِلًا. بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَنِي لَحْيَانَ جَبَلٌ. وَهُمْ الْمُشْرِكُونَ. فَاسْتَغْفَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَنْ رَقِيَ هَذَا الْجَبَلَ اللَّيْلَةَ. كَانَتْهُ طَلِيعَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ. قَالَ سَلَمَةُ: فَفَرَّقْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ

بعضه إلى بعض حتى جعله في يده حزمة. قال في المصباح: الأصل في الضغث أن يكون له قضبان يجمعها أصل واحد، ثم كثر حتى استعمل فيما يجمع.

(٩) ضربت الذي في عيناه: يريد رأسه.

(١٠) العبلات: قال الجوهرى في الصحاح: العبلات من قريش، هم أمية الصغرى. والنسبة إليهم عبل. تردده إلى الواحد.

(١١) مجفف: أي عليه تجفاف. وهو ثوب كالجل يلبسه الفرس ليقيه السلاح. وجمعه تجافيف.

(١٢) بدء الفجور وثناه: أي أوله وآخره والثنى الأمر يعاد مرتين.

(١) ذكره البخاري تعليقا ١٣ (٧١٩٥)، والترمذي (٢٧١٥) واللفظ له وقال: حسن صحيح. وأبو داود (٣٦٤٥).

(٢) مسلم (٢٧٩٥).

(٣) مشى بعضنا في بعض في هنا بمعنى إلى أي مشى بعضنا إلى بعض. وربما كانت بمعنى مع.

(٤) تبعا: أي خادما.

(٥) وأحسه: أي أحك ظهره بالمحسة لأزيل عنه الغبار ونحوه.

(٦) فكسحت شوكها: أي كنست ما تحتها من الشوك.

(٧) فاخترت سيفي: أي سللته.

(٨) ضغثا: الضغث الحزمة. يريد أنه أخذ سلاحهم وجمع

مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا. ثُمَّ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ . فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَظْهَرِهِ ^(١) مَعَ رَبَاحٍ غُلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا مَعَهُ . وَخَرَجْتُ مَعَهُ بِفَرَسٍ طَلْحَةَ أَنْدِيهِ ^(٢) مَعَ الظَّهْرِ . فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْفَزَارِيُّ قَدْ أَغَارَ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَهُ أَجْمَعٌ . وَقَتَلَ رَاعِيَهُ . قَالَ : فَقُلْتُ : يَا رَبَّاحُ ! خُذْ هَذَا الْفَرَسَ فَأَبْلِغْهُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ . وَأَخْبِرْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَغَارُوا عَلَى سَرَحِهِ . قَالَ : ثُمَّ قُمْتُ عَلَى أَكْمَةٍ فَاسْتَقْبَلْتُ الْمَدِينَةَ . فَنادَيْتُ ثَلَاثًا : يَا صَبَاحَاهُ ! ثُمَّ خَرَجْتُ فِي آثَارِ الْقَوْمِ أَرْمِيهِمْ بِالنَّبْلِ . وَأَرْتَجِزُ أَقُولُ :

أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ
فَأَلْحَقُ رَجُلًا مِنْهُمْ . فَأُصَكُّ سَهْمًا فِي رَحْلِهِ ^(٣) .
حَتَّى خَلَصَ نَصْلُ السَّهْمِ إِلَى كَتِفِهِ . قَالَ : قُلْتُ : خُذْهَا :
وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ
قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ وَأَعْقِرُ بِهِمْ ^(٤) . فَإِذَا رَجَعْتُ إِلَى فَارِسٍ أَتَيْتُ شَجَرَةً فَجَلَسْتُ فِي أَصْلِهَا . ثُمَّ رَمَيْتُهُ ، فَعَقَرْتُ بِهِ . حَتَّى إِذَا تَضَاقَقَ الْجَبَلُ فَدَخَلُوا فِي تَضَاقِقِهِ ^(٥) ، عَلَوْتُ الْجَبَلَ . فَجَعَلْتُ أُرْدِيهِمْ بِالْحِجَارَةِ . قَالَ : فَمَا زِلْتُ كَذَلِكَ أَتْبَعُهُمْ حَتَّى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ بَعِيرٍ مِنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا خَلَفْتُهُ وَرَاءَ ظَهْرِي . وَخَلَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُ . ثُمَّ أَتْبَعْتُهُمْ أَرْمِيهِمْ . حَتَّى أَلْقَوْا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً وَثَلَاثِينَ رُمْحًا . يَسْتَحِقُّونَ . وَلَا يَطْرَحُونَ شَيْئًا إِلَّا جَعَلْتُ عَلَيْهِ آرَامًا ^(٦) مِنَ الْحِجَارَةِ . يَعْرِفُهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ . حَتَّى أَتَوْا مُتَضَاقِقًا ^(٧) مِنْ ثَنِيَّةٍ فَإِذَا هُمْ

قَدْ أَتَاهُمْ فَلَانُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ . فَجَلَسُوا يَتَضَحَّوْنَ (يَعْنِي يَتَغَدَّوْنَ) . وَجَلَسْتُ عَلَى رَأْسِ قَرْنٍ ^(٨) . قَالَ الْفَزَارِيُّ : مَا هَذَا الَّذِي أَرَى ؟ قَالُوا : لَقِينَا مِنْ هَذَا الْبَرْحِ ^(٩) . وَاللَّهِ مَا فَارَقْنَا مُنْذُ غَلَسِ . يَرْمِينَا حَتَّى انْتَرَعَ كُلُّ شَيْءٍ فِي أَيْدِينَا . قَالَ : فَلْيَقُمْ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْكُمْ ، أَرْبَعَةٌ . قَالَ : فَصَعِدَ إِلَيَّ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ فِي الْجَبَلِ . قَالَ : فَلَمَّا أَمَكُنُونِي مِنَ الْكَلَامِ ، قَالَ : قُلْتُ : هَلْ تَعْرِفُونِي ؟ قَالُوا : لَا . وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : قُلْتُ : أَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ ، وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا أَطْلُبُ رَجُلًا مِنْكُمْ إِلَّا أَدْرَكْتُهُ . وَلَا يَطْلُبُنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ فَيُدْرِكْنِي . قَالَ أَحَدُهُمْ : أَنَا أَظُنُّ . قَالَ : فَارْجِعُوا ، فَمَا بَرَحْتُ مَكَانِي حَتَّى رَأَيْتُ فَوَارِسَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَخَلَّلُونَ الشَّجَرَ . قَالَ : فَإِذَا أَوَّلُهُمُ الْأَخْرَمُ الْأَسَدِيُّ . عَلَى إِثْرِهِ أَبُو قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ . وَعَلَى إِثْرِهِ الْمُقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيُّ . قَالَ : فَأَخَذْتُ بَعَنَانَ الْأَخْرَمِ . قَالَ : فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ . قُلْتُ : يَا أَخْرَمُ ! اخْذَرُهُمْ . لَا يَقْتَطِعُوكَ حَتَّى يَلْحَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ . قَالَ : يَا سَلَمَةُ ، إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتَعْلَمُ أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ ، فَلَا تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّهَادَةِ . قَالَ : فَخَلَيْتُهُ . فَالْتَقَى هُوَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ . قَالَ : فَعَقَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَرَسَهُ . وَطَعَنَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَتَلَهُ . وَتَحَوَّلَ عَلَى فَرَسِهِ ، وَلَحِقَ أَبُو قَتَادَةَ - فَارِسُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ . فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ . فَوَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَتَبِعْتُهُمْ أَعْدُو عَلَى رِجْلِي . حَتَّى مَا أَرَى وَرَائِي ، مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلَا

تضايقه أي المحل المتضايق منه بحيث استتروا به عنه وحتى لا يبلغهم ما يرميهم به من السهام .

(٦) آرامًا من الحجارة: الآرام هي الأعلام . وهي حجارة تجمع وتنصب في المفازة ليهتدى بها . واحده إرم كعنب وأعنان .

(٧) حتى أتوا متضايقا من ثنية: أي حتى أتوا طريقًا في الجبل ضيقة .

(٨) على رأس قرن: هو كل جبل صغير منقطع عن الجبل الكبير .

(٩) البرح: أي الشدة .

(١) بظهره: الظهر الإبل تعد للركوب وحمل الأثقال .

(٢) أنديته: معناه أن يورد الماشية الماء فتسقى قليلاً ثم ترسل في المرعى ، ثم ترد الماء فتد قليلاً ثم ترد إلى المرعى .

(٣) فأصك سهما في رحله: أي أضرب .

(٤) أرميهم وأعقر بهم: أي أرميهم بالنبل وأعقر خيلهم . وأصل العقر ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف . ثم اتسع حتى استعمل في القتل كما وقع هنا . وحتى صار يقال: عقرت البعير أي نحرته .

(٥) حتى إذا تضايق الجبل فدخلوا في تضايقه: أي فدخلوا في

غُبَارِهِمْ ، شَيْئًا . حَتَّى يَعْدِلُوا قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى شَعْبٍ فِيهِ مَاءٌ . يُقَالُ لَهُ ذَا قَرْدٍ ^(١) . لِيَشْرَبُوا مِنْهُ وَهُمْ عِطَاشٌ قَالَ : فَنَظَرُوا إِلَيَّ أَعْدُو وَرَاءَهُمْ . فَخَلَّيْتُهُمْ عَنْهُ ^(٢) (يَعْنِي أَجَلَيْتُهُمْ عَنْهُ) فَمَا ذَاقُوا مِنْهُ قَطْرَةً . قَالَ : وَيَخْرُجُونَ فَيَشْتَدُّونَ فِي ثَنِيَّةٍ . قَالَ : فَأَعْدُو فَأَلْحَقُ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَصُكُّهُ بِسَهْمٍ فِي نُغْصٍ ^(٣) كَتِفِهِ . قَالَ : قُلْتُ خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضْعِ قَالَ : يَا ثَكَلْتَهُ أُمَّهُ ، أَكْوَعُهُ بُكْرَةً ^(٤) ؟ . قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ . يَا عَدُوَّ نَفْسِهِ ! أَكْوَعُكَ بُكْرَةً . قَالَ : وَأَرَدُوا فَرَسَيْنِ عَلَى ثَنِيَّةٍ . قَالَ : فَجِئْتُ بِهِمَا أَسُوقَهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . قَالَ : وَلَحِقَنِي عَامِرٌ بِسَطِيحَةٍ فِيهَا مَذَقَةٌ مِنْ لَبَنٍ وَسَطِيحَةٍ فِيهَا مَاءٌ . فَتَوَضَّأْتُ وَشَرِبْتُ . ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمَاءِ الَّذِي حَلَّاهُمْ عَنْهُ ^(٥) . فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَخَذَ تِلْكَ الْإِبِلَ وَكُلَّ شَيْءٍ اسْتَنْقَذْتُهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَكُلَّ رُمَحٍ وَبُرْدَةٍ . وَإِذَا بِلَالٍ نَحَرَ نَاقَةً مِنَ الْإِبِلِ الَّذِي اسْتَنْقَذْتُ مِنَ الْقَوْمِ . وَإِذَا هُوَ يَشْوِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ كَبِدِهَا وَسَنَامِهَا . قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! خَلِّني فَأَتَّخِبَ مِنَ الْقَوْمِ مِائَةَ رَجُلٍ . فَاتَّبَعَ الْقَوْمَ فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ مُحِبٌّ إِلَّا قَتَلْتُهُ . قَالَ : فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فِي ضَوْءِ النَّارِ . فَقَالَ : « يَا سَلَمَةُ ، أَتُرَاكَ كُنْتَ فَاعِلًا ؟ » . قُلْتُ :

نَعَمْ . وَالَّذِي أَكْرَمَكَ ، فَقَالَ : « إِنَّهُمْ الْآنَ لَيُقْرُونَ ^(٦) فِي أَرْضِ غَطَفَانَ » . قَالَ : فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ غَطَفَانَ فَقَالَ : نَحَرَ لَهُمْ فُلَانٌ جُزُورًا . فَلَمَّا كَشَفُوا جِلْدَهَا رَأَوْا غُبَارًا . فَقَالُوا : أَتَاكُمْ الْقَوْمُ . فَخَرَجُوا هَارِبِينَ . فَلَمَّا أَصْبَحْنَا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كَانَ خَيْرٌ فُرْسَانَنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ . وَخَيْرٌ رَجَالِنَا سَلَمَةُ » . قَالَ : ثُمَّ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَهْمَيْنِ : سَهْمَ الْفَارِسِ وَسَهْمَ الرَّاجِلِ . فَجَمَعَهُمَا لِي جَمِيعًا . ثُمَّ أَرَدَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَاءَهُ عَلَى الْعُضْبَاءِ ^(٧) . رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ . قَالَ : فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ . قَالَ : وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا يُسَبِّقُ شَدًّا . قَالَ : فَجَعَلَ يَقُولُ : أَلَا مُسَابِقٌ إِلَى الْمَدِينَةِ ؟ هَلْ مِنْ مُسَابِقٍ ؟ فَجَعَلَ يُعِيدُ ذَلِكَ . قَالَ : فَلَمَّا سَمِعْتُ كَلَامَهُ ، قُلْتُ : أَمَا تُكْرِمُ كَرِيمًا ، وَلَا تَهَابُ شَرِيفًا ؟ قَالَ : لَا . إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بِأَبِي وَأُمِّي ، ذَرْنِي فَلَأُسَابِقَ الرَّجُلَ ، قَالَ : « إِنْ شِئْتَ » ، قَالَ : قُلْتُ : اذْهَبْ إِلَيْكَ . وَثْنَيْتُ رَجُلِي فَطَفَرْتُ ^(٨) فَعَدَوْتُ . قَالَ : فَرَبَطْتُ عَلَيْهِ شَرَفًا أَوْ شَرَفِينَ أَسْتَبْقِي نَفْسِي ^(٩) ثُمَّ عَدَوْتُ فِي إِثْرِهِ . فَرَبَطْتُ عَلَيْهِ شَرَفًا أَوْ شَرَفِينَ . ثُمَّ إِنِّي رَفَعْتُ حَتَّى أَلْحَقَهُ ^(١٠) . قَالَ : فَأَصُكُّهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ . قَالَ : قُلْتُ : قَدْ سَبَقَ وَاللَّهِ ! قَالَ : أَنَا أَظُنُّ ^(١١) . قَالَ : فَسَبَقْتُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ... (الْحَدِيثُ) * ^(١٢) .

بكرة يوم بعينه ، قلت أتيت بكرة ، غير مصروف . لأنهم من الظروف المتمكنة .

(٥) حَلَّاهُمْ عَنْهُ : أَي مَنَعْتُهُمْ عَنْهُ .

(٦) لَيَقْرُونَ : أَي يَصَافُونَ : وَالْقُرَى الضِّيَافَةُ .

(٧) الْعُضْبَاءُ : لِقَبِ نَاقَةِ النَّبِيِّ ﷺ .

(٨) فَطَفَرْتُ : أَي وَثَبْتُ وَقَفَزْتُ .

(٩) فَرَبَطْتُ عَلَيْهِ شَرَفًا أَوْ شَرَفِينَ أَسْتَبْقِي نَفْسِي : مَعْنَى رَبَطْتُ حَبَسْتُ نَفْسِي عَنِ الْجَرِيِّ الشَّدِيدِ . وَالشَّرَفُ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ . وَقَوْلُهُ : أَسْتَبْقِي نَفْسِي ، أَي لئَلَا يَقْطَعَنِي الْبَهْرُ .

(١٠) رَفَعْتُ حَتَّى أَلْحَقَهُ : أَي أَسْرَعْتُ . قَوْلُهُ : حَتَّى أَلْحَقَهُ . حَتَّى ، هُنَا ، لِلتَّعْلِيلِ بِمَعْنَى كَيْ . وَأَلْحَقُ مَنْصُوبٌ بِأَنْ مَضْمُورَةٌ بَعْدَهَا .

(١١) أَظُنُّ : أَي أَظُنُّ ذَلِكَ . حَذَفَ مَفْعُولُهُ لِلْعِلْمِ بِهِ .

(١٢) (١٨٠٧) مُسْلِمٌ .

(١) ذَا قَرْدٍ : مَاءٌ عَلَى لَيْلَتَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ خَيْبَرَ (حَوَالِي ٧٥ كِيلُو) . وَفِي بَعْضِ النُّسخِ : ذُو قَرْدٍ .

(٢) فَخَلَّيْتُهُمْ عَنْهُ : أَي طَرَدْتُهُمْ عَنْهُ . وَقَدْ فَسَّرَهَا فِي الْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ : يَعْنِي أَجَلَيْتُهُمْ عَنْهُ . قَالَ الْقَاضِي : كَذَا رَوَيْتُنَا فِيهِ هُنَا غَيْرَ مَهْمُوزٍ . قَالَ وَأَصْلُهُ الْهَمْزُ ، فَسَهْلُهُ . وَقَدْ جَاءَ مَهْمُوزًا بَعْدَ هَذَا فِي الْحَدِيثِ .

(٣) نُغْصٌ : هُوَ الْعَظْمُ الرَّقِيقُ عَلَى طَرَفِ الْكَتِفِ . سَمِيَ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ تَحْرِكِهِ . وَهُوَ النَّاغِضُ أَيْضًا .

(٤) قَالَ : يَا ثَكَلْتَهُ أُمَّهُ أَكْوَعُهُ بُكْرَةً : مَعْنَى ثَكَلْتَهُ أُمَّهُ ، فَقَدْتَهُ . وَقَوْلُهُ : أَكْوَعُهُ ، هُوَ بَرْفَعُ الْعَيْنِ ، أَي أَنْتَ الْأَكْوَعُ الَّذِي كُنْتَ بُكْرَةً هَذَا النَّهَارَ ؟ وَلِهَذَا قَالَ : نَعَمْ . وَبُكْرَةً مَنْصُوبٌ غَيْرُ مَنْوَنٍ . قَالَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ : يُقَالُ أَتَيْتَهُ بُكْرَةً بِالتَّنْوِينِ ، إِذَا أَرَدْتَ أَنْكَ لَقَيْتَهُ بَاكِرًا فِي يَوْمٍ غَيْرٍ مُعَيَّنٍ . قَالُوا : وَإِنْ أَرَدْتَ

من الآثار الوردية في «قوة الإرادة»

- وَمَا كُلُّ بَرْقٍ لَّاحٍ لِي يَسْتَفْزِنِي
وَلَا كُلُّ مَنْ لَاقَيْتُ أَرْضَاهُ مُنْعِمًا* (٣).
- ٤ - * (قَالَ الشَّاعِرُ :
إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ
وَنَكَبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبًا
وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي أَمْرِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ
وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبًا)* (٤).
- ٥ - * (نَظَرَ مُعَاوِيَةَ إِلَى عَسْكَرِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ - يَوْمَ صِفِّينَ، فَقَالَ: مَنْ طَلَبَ عَظِيمًا خَاطَرَ
بِعَظِيمَتِهِ، وَأَشَارَ إِلَى رَأْسِهِ)* (٥).
- ٦ - * (مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْأَهْوَالَ لَمْ يَنْلِ الرِّغَائِبَ،
وَمَنْ تَرَكَ الْأَمْرَ الَّذِي لَعَلَّهُ أَنْ يَنَالَ مِنْهُ حَاجَتُهُ مَخَافَةَ
مَالَعَلَّهُ يُوقَاهُ فَلَيْسَ بِبَالِغٍ جَسِيًّا، وَإِنَّ الرَّجُلَ ذَا الْمُرُوءَةِ
لَيَكُونُ خَامِلَ الذِّكْرِ خَافِضَ الْمَنْزِلَةِ، فَتَأْبَى مُرُوءَتُهُ إِلَّا
أَنْ يَسْتَعْلِيَ وَيَرْتَفِعَ، كَالشُّعْلَةِ مِنَ النَّارِ الَّتِي يَصُونُهَا
صَاحِبُهَا وَتَأْبَى إِلَّا ارْتِفَاعًا)* (٦).

- ١ - * (قَالَ حَبِيبُ الطَّائِي :
أَعَاذَلْتِي مَا أَحْشَنَ اللَّيْلَ مَرْكَبًا
وَأَحْشَنُ مِنْهُ فِي الْمَلَمَّاتِ رَاكِبُهُ
ذَرِينِي وَأَهْوَالَ الزَّمَانِ أَقَاسِهَا
فَأَهْوَالُهُ الْعُظْمَى تَلِيهَا رَغَائِبُهُ^(١))
- ٢ - قَالَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ :
وَلَيْسَ لِمَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْهَوَلَ بُغْيَةٌ
وَلَيْسَ لِرَحْلِ حَطَّةٍ اللَّهُ حَامِلٌ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْرِضْ عَنِ الْجَهْلِ وَالْخَنَاءِ
أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ)* (٢).
- ٣ - * (قَالَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْقَاضِي رَحِمَهُ
اللَّهُ تَعَالَى:
يَقُولُونَ لِي فِيكَ انْقِبَاضٌ وَإِنَّمَا
رَأَوْا رَجُلًا عَنْ مَوْقِفِ الدَّلِّ أَحْجَمًا
وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كَانَ كُلَّمَا
بَدَأَ طَمَعٌ صَيَّرْتُهُ لِي سُلْمًا

من فوائد «قوة الإرادة»

- ١١ - تُؤَدِّي قُوَّةُ الْإِرَادَةِ بِصَاحِبِهَا إِلَى الْقَنَاعَةِ وَعَدَمِ
الْأَسَى عَلَى مَا يُفَوِّتُهُ.
- ١٢ - قُوَّةُ الْإِرَادَةِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكْبَحَ غَضَبَهُ وَيُسَيِّطِرَ
عَلَيْهِ.
- ١٣ - تُؤَدِّي قُوَّةُ الْإِرَادَةِ بِصَاحِبِهَا إِلَى التَّحَمُّلِ وَالصَّبْرِ
وَالْمُثَابَرَةِ وَجَعْلِهِ مَعْدُودًا مِنْ أَوْلَى الْعَزْمِ.
- ١٤ - يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ بِقُوَّةِ إِرَادَتِهِ أَنْ يُعَمِّرَ الْكَوْنَ
فَيُصْبِحُ بِذَلِكَ أَهْلًا لِلِاسْتِخْلَافِ فِي الْأَرْضِ،
شَرِيطَةً أَنْ يَسْتَخْدِمَ هَذِهِ الْقُوَّةَ الْإِرَادِيَّةَ فِي طَاعَةِ
اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَلَا تَنْحُوهُ فِي اتِّجَاهِ الْفُسَادِ أَوْ
سَفْكِ الدِّمَاءِ.

- ١ - تُيسِّرُ الصِّعَابَ وَبِهَا تُنْخَطِى الْمَشَاقُّ.
- ٢ - دَلِيلٌ عَلَى قُوَّةِ النَّفْسِ وَصِدْقِ الْعَزِيمَةِ.
- ٣ - تُعِينُ عَلَى أَشْرَفِ الْعِبَادَاتِ وَأَشَقِّ الطَّاعَاتِ.
- ٤ - قُوَّةُ الْإِرَادَةِ تَصْنَعُ الْعِظَائِمَ.
- ٥ - تُثْمِرُ صِلَابَةَ الدِّينِ وَسَعَادَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
- ٦ - قُوَّةُ الْإِرَادَةِ تُسَاعِدُ عَلَى النَّجَاحِ فِي سَائِرِ الْأَعْمَالِ.
- ٧ - قُوَّةُ الْإِرَادَةِ يُحْسِنُ اسْتِخْدَامَ طَاقَاتِهِ.
- ٨ - قُوَّةُ الْإِرَادَةِ تُبْعِدُ صَاحِبَهَا عَنِ الْفَوْضَى وَتُؤَدِّي إِلَى
سُرْعَةِ انْجَازِ الْأَعْمَالِ.
- ٩ - فِي الْأَخْذِ بِقُوَّةِ الْإِرَادَةِ تَأْسُّ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِذَا كَانَتْ
حَيَاتُهُ ﷺ مَعَ أَصْحَابِهِ حَيَاةً جِدًّا وَحَزْمًا وَنِظَامًا.
- ١٠ - تُؤَدِّي الْإِرَادَةُ الْقَوِيَّةُ إِلَى الْمُسَارَعَةِ فِي الْخَيْرَاتِ.

(٤) أسرار البلاغة (١١٥).

(٥) العقد الفريد (١٨/٣).

(٦) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(١) العقد الفريد (١٩/٣).

(٢) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) أدب الدنيا والدين (٩٢).

كتمان السر

الآيات	الأحاديث	الآثار
١٠	٨	١٠

الكتمان لغة:

مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ: كَتَمَ يَكْتُمُ، كَتَمًا وَكِتْمَانًا، وَهُوَ مَا أُخُوذُ مِنْ مَادَّةٍ (ك ت م) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْإِخْفَاءِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُكَ: كَتَمْتُ الْحَدِيثَ كَتَمًا وَكِتْمَانًا، وَيُقَالُ: نَاقَةُ كُتُومٍ: لَا تَرْغُو إِذَا رُكِبَتْ، قُوَّةٌ وَصَبْرًا، وَسَحَابٌ مُكْتِيمٌ: لَا رَعْدَ فِيهِ، وَخَزَرٌ كَتِيمٌ: لَا يَنْضَحُ الْمَاءَ، وَقَوْسٌ كُتُومٌ لَا تَرِنُ^(١)، وَقَالَ الرَّاعِبُ: الْكِتْمَانُ: سِتْرُ الْحَدِيثِ، وَكِتْمَانُ الْفَضْلِ هُوَ كُفْرَانُ النِّعْمَةِ، وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ (النساء/ ٤٢)، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - إِنَّ الْمُشْرِكِينَ إِذَا رَأَوْا أَهْلَ الْقِيَامَةِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ لَمْ يَكُنْ مُشْرِكًا، قَالُوا: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام/ ٢٣) فَتَشْهَدُ عَلَيْهِمْ جَوَارِحُهُمْ، فَحِينَئِذٍ يَوَدُّونَ أَنْ لَمْ يَكْتُمُوا اللَّهَ حَدِيثًا.

وَقَالَ الْحَسَنُ: فِي الْآخِرَةِ مَوَاقِفٌ، فِي بَعْضِهَا يَكْتُمُونَ وَفِي بَعْضِهَا لَا يَكْتُمُونَ، وَعَنْ بَعْضِهِمْ: لَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا: هُوَ أَنْ تَنْطِقَ جَوَارِحُهُمْ^(٢). وَقَوْلُهُمْ: سِرٌّ كَاتِمٌ، أَيْ مَكْتُومٌ. وَمُكْتَمٌ (بِالتَّشْدِيدِ)

بُورِغٌ فِي كِتْمَانِهِ، وَاكْتَتَمْتُهُ مِثْلُ كَتَمْتُهُ، أَمَّا اسْتَكْتَمْتُهُ سِرِّي فَمَعْنَاهُ: سَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُمَهُ، وَكَاتَمَنِي سِرَّهُ: كَتَمَهُ عَنِّي، وَرَجُلٌ كَتَمَةٌ: إِذَا كَانَ يَكْتُمُ سِرَّهُ^(٣)، وَرَجُلٌ كَاتِمٌ لِلْسِرِّ وَكُتُومٌ، وَالْكُتَيْمُ وَالْكُتُومُ الْقَوْسُ، وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّهُ كَانَ اسْمُ قَوْسٍ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْكُتُومُ سُمِّيَتْ بِهِ لِانْخِفَاضِ صَوْتِهَا إِذَا رُمِيَ عَنْهَا، يُقَالُ: كَتَمْتُ (الْقَوْسَ) كُتُومًا، وَكَتَمْتُ الْمَرَادَةَ تَكْتُمُ كُتُومًا (أَيْضًا) إِذَا ذَهَبَ سَيْلَانُ الْمَاءِ مِنْ مَخَارِزِهَا أَوَّلَ مَا تُسَرَّبُ^(٤)، وَقَالَ الْفَيْرُوزَابَادِيُّ: يُقَالُ: كَتَمَ الشَّيْءُ كَتَمًا وَكِتْمَانًا، وَكَتَمَهُ تَكْتِيمًا، وَاكْتَتَمَهُ: أَخْفَاهُ، قَالَ زُهَيْرٌ: فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهَ مَا فِي نَفْسِكَ

لِيَخْفَى، وَمَهْمَا يَكْتُمِ اللَّهُ يَعْلَمَ يُؤَخَّرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْخَرُ

لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلَ فَيُنْقَمَ وَكِتْمَانُ الْحَقِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران/ ٧١) إِنَّمَا هُوَ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْرِفُونَ نُعُوتَ النَّبِيِّ ﷺ وَصِفَاتِهِ الْوَارِدَةَ فِي التَّوْرَةِ وَيُخْفُونَهَا^(٥).

(٤) لسان العرب (كتم) (٣٨٢٢ - ٣٨٢٤)، ط. دار المعارف.

(٥) بتصرف عن: بصائر ذوي التمييز، (٤/ ٣٣٥).

(١) مقاييس اللغة (٥/ ١٥٩).

(٢) المفردات (٤٢٦).

(٣) الصحاح (٥/ ٢٠١٨).

الكتبان اصطلاحًا:

قَالَ الْمُنَاوِي: الْكِتَابُ: هُوَ سِرُّ الْحَدِيثِ ^(١).

وَقَالَ الْكَفَوِيُّ: الْكِتَابُ: الصَّبْرُ فِي إِمْسَاكِ

الضَّمِيرِ ^(٢).

السِّرُّ لغة:

السِّرُّ فِي اللُّغَةِ: اسْمٌ لِمَا يُسَرُّ بِهِ الْإِنْسَانُ أَيْ

يَكْتُمُهُ، وَهُوَ مَا خُودٌ مِنْ مَادَّةٍ (س ر ر) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى

إِخْفَاءِ الشَّيْءِ ^(٣)، وَمِنْ ذَلِكَ السِّرُّ: خِلَافُ الْإِعْلَانِ.

يُقَالُ: أَسْرَرْتُ الشَّيْءَ إِسْرَارًا: خِلَافَ أَعْلَنَتْهُ. وَمِنْ

الْبَابِ: السِّرُّ وَهُوَ النِّكَاحُ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ أَمْرٌ

لَا يُعْلَنُ بِهِ، وَيُقَالُ: السَّرْسُورُ: الْعَالِمُ الْفَطِنُ، وَأَصْلُهُ مِنَ

السَّرِّ، كَأَنَّهُ أَطْلَعَ عَلَى أَسْرَارِ الْأُمُورِ ^(٤). وَقَالَ الرَّاعِبِيُّ:

الْإِسْرَارُ خِلَافُ الْإِعْلَانِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ

وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (البقرة/ ٧٧).

وَيُقَالُ: سَارَهُ إِذَا أَوْصَاهُ بِأَنْ يُسَرَّهُ، وَأَسْرَرْتُ إِلَى

فُلَانٍ حَدِيثًا: أَفْضَيْتُ إِلَيْهِ فِي خُفْيَةٍ، وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ﴾ (المتحنة/ ١) أَيْ يُطْلَعُونَهُمْ

عَلَى مَا يُسِرُّونَ مِنْ مَوَدَّتِهِمْ، وَقَدْ فُسِّرَ بِأَنْ مَعْنَاهُ:

يُظْهِرُونَ، وَهَذَا صَحِيحٌ لِأَنَّ الْإِسْرَارَ إِلَى الْغَيْرِ يَقْتَضِي

إِظْهَارَ ذَلِكَ لِمَنْ يُفْضَى إِلَيْهِ بِالسَّرِّ، وَإِنْ كَانَ يَقْتَضِي

إِخْفَاءَهُ عَنْ غَيْرِهِ، فَإِذَا قَوْلُهُمْ: أَسْرَرْتُ إِلَيْهِ يَقْتَضِي مِنْ

وَجْهِ الْإِظْهَارِ، وَمِنْ وَجْهِ الْإِخْفَاءِ، وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ

تَعَالَى: ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ (نوح/ ٩) ^(٥).

السِّرُّ اصطلاحًا:

قَالَ الرَّاعِبِيُّ: السِّرُّ: هُوَ الْحَدِيثُ الْمَكْتُمُ فِي

النَّفْسِ ^(٦).

كتبان السِّرِّ اصطلاحًا:

قَالَ الْجَا حِظُّ: وَمِنْهَا ^(٧) كِتَابُ السِّرِّ وَهَذَا الْخُلُقُ

مُرَكَّبٌ مِنَ الْوَقَارِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، فَإِنَّ إِخْرَاجَ السِّرِّ مِنْ

فُضُولِ الْكَلَامِ وَلَيْسَ بِوَقُورٍ مَنْ تَكَلَّمَ بِالْفُضُولِ.

وَأَيْضًا فَكَمَا أَنَّهُ مَنْ اسْتَوْدَعَ مَالًا فَأَخْرَجَهُ إِلَى

غَيْرِ مُودِعِهِ فَقَدْ خَفَرَ الْأَمَانَةَ، كَذَلِكَ مَنْ اسْتَوْدَعَ سِرًّا

فَأَخْرَجَهُ إِلَى غَيْرِ صَاحِبِهِ فَقَدْ خَفَرَ الْأَمَانَةَ، وَكِتَابُ

السِّرِّ مَحْمُودٌ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ وَخَاصَّةً مِمَّنْ يَصْحَبُ

السُّلْطَانَ فَإِنَّ إِخْرَاجَهُ أَسْرَارَهُ مَعَ أَنَّهُ قَبِيحٌ فِي نَفْسِهِ

يُؤَدِّي إِلَى ضَرَرٍ عَظِيمٍ يَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِهِ ^(٨).

السِّرُّ نوعان:

قَالَ الرَّاعِبِيُّ: السِّرُّ ضَرْبَانِ: أَحَدُهُمَا مَا يُلْقَى

الْإِنْسَانُ مِنْ حَدِيثٍ يُسْتَكْتَمُ، وَذَلِكَ إِمَّا لَفْظًا كَقَوْلِكَ

لِغَيْرِكَ: أَكْتَمْتُ مَا أَقُولُ لَكَ، وَإِمَّا حَالًا وَهُوَ أَنْ يَتَحَرَّى

الْقَائِلُ حَالَ انْفِرَادِهِ فِيمَا يُورِدُهُ، أَوْ يُخَفِّضُ صَوْتَهُ أَوْ

يُخَفِّيه عَنْ مُجَالِسِيهِ. وَلِهَذَا قِيلَ: إِذَا حَدَّثَكَ الْإِنْسَانُ

(١) التوقيف (٢٨٠).

(٢) الكلبيات (٥٦٠).

(٣) لهذه المادة معنى آخر هو: مَا كَانَ مِنْ خَالِصِ الشَّيْءِ

وَمُسْتَقَرِّهِ، انظر مقاييس اللغة (٦٧/٣).

(٤) المرجع السابق (٦٧/٣ - ٧٠).

(٥) المفردات (٢٢٨).

(٦) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الأصبهاني (١٩٤).

(٧) أي من الأخلاق المحمودة.

(٨) تهذيب الأخلاق للجاحظ (٢٥).

بِحَدِيثٍ فَالْتَفَتَ فَهُوَ أَمَانَةٌ^(١). والثاني: أَنْ يَكُونَ حَدِيثًا فِي نَفْسِكَ بِمَا تَسْتَقْبِحُ إِشَاعَتَهُ أَوْ شَيْئًا تُرِيدُ فِعْلَهُ. وَإِلَى الْأَوَّلِ مِنْ ذَلِكَ أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ: «مَنْ أَتَى مِنْكُمْ مِنْ هَذِهِ الْقَادُورَاتِ شَيْئًا فَلْيَسْتَرِ بِسِرِّ اللَّهِ» وَإِلَى الثَّانِي أَشَارَ مَنْ قَالَ: «مِنْ وَهْنِ الْأَمْرِ إِعْلَانُهُ قَبْلَ إِحْكَامِهِ». وَكِلَاهُمَا النَّوعُ الْأَوَّلُ مِنَ الْوَفَاءِ وَيَخْتَصُّ بِعَامَّةِ النَّاسِ، وَالثَّانِي مِنَ الْحَزْمِ وَالْإِحْتِيَاظِ وَهُوَ مُخْتَصٌّ بِالْمُلُوكِ وَأَصْحَابِ السِّيَاسَاتِ. وَإِذَا عَاةُ السِّرِّ مِنْ قِلَّةِ الصَّبْرِ وَضِيقِ الصَّدْرِ، وَتُوصَفُ بِهِ ضَعْفَةُ الرِّجَالِ وَالصَّبِيَّانِ وَالنِّسَاءِ، وَالسَّبَبُ فِي أَنَّهُ يَصْعَبُ كِتْمَانُ السِّرِّ هُوَ أَنَّ لِلْإِنْسَانَ قُوتَيْنِ: آخِذَةً، وَمُعْطِيَةً. وَكِلَتَاهُمَا تَتَشَوَّفُ إِلَى الْفِعْلِ الْمُخْتَصِّ بِهَا، وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَكَلَّ الْمُعْطِيَةَ بِإِظْهَارِ مَا عِنْدَهَا لَمَا أَتَاكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزِدْهُ، فَصَارَتْ هَذِهِ الْقُوَّةُ تَتَشَوَّفُ إِلَى فِعْلِهَا الْخَاصِّ بِهَا. فَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُمْسِكَهَا وَلَا يُطْلِقَهَا إِلَى حَيْثُ مَا يَجِبُ إِطْلَاقُهَا، وَلَا يَخْدَعَنَّكَ عَنْ سِرِّكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: وَأَكْتُمُ السِّرَّ فِيهِ ضَرْبَةُ الْعُنُقِ. وَقَوْلُ مَنْ يُشَدِّدُكَ: وَيَكَاتِمُ الْأَسْرَارَ حَتَّى كَأَنَّهُ

لِيَصُونَهَا عَنْ أَنْ تَمُرَّ بِبَالِهِ
فَذَلِكَ قَوْلُ مَنْ يَسْتَنْزِلُكَ عَمَّا فِي قَلْبِكَ، فَإِذَا اسْتَفْرَغَ مَا عِنْدَكَ لَمْ يَزَعْ فِيهِ حَقِّكَ، فَقَدْ قِيلَ: الصَّبْرُ عَلَى الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ أَيْسَرُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى كِتْمَانِ السِّرِّ. وَمَا أَصْدَقَ مَنْ أَنْبَأَ عَنْ حَقِيقَةِ حَالِهِ حَيْثُ قَالَ لَهُ صَدِيقُهُ: أُرِيدُ أَنْ أُفْشِيَ إِلَيْكَ سِرًّا تَحْفَظُهُ عَلَيَّ فَقَالَ:

لَا أُرِيدُ أَنْ أُؤْذِيَ قَلْبِي بِنَجْوَاكَ، وَأَجْعَلَ صَدْرِي خِزَانَةً شَكْوَاكَ، فَيَقْلِقُنِي مَا أَقْلَقَكَ، وَيُؤَرِّقُنِي مَا أَرَقَكَ فَتَبَيْتُ بِإِفْشَائِهِ مُسْتَرِيحًا وَيَبِيْتُ قَلْبِي بِحَرِّهِ جَرِيحًا.

وَقَدْ قِيلَ: أَكْثَرُ مَا يَسْتَنْزِلُ الْإِنْسَانُ عَنْ سِرِّهِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ: عِنْدَ الْاضْطِجَاعِ عَلَى فِرَاشِهِ، وَعِنْدَ خُلُوهِ بِعَرْسِهِ، وَفِي حَالِ سُكْرِهِ، وَمِنْ حَقِّ مَنْ يُسَارِرُ غَيْرَهُ أَنْ يَتَجَنَّبَ الْمُحَافِلَ لِأَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا: الْحَذَرُ مِنْ أَنْ يُسَاءَ بِهِ الظَّنُّ؛ فَهَذَا يَقُولُ قَدْ اغْتَابَنِي

وَذَا يَسْتَرِيْبُ، وَذَا يَتَّهِمُ
وَالثَّانِي: أَنَّهُ رُبَّمَا يَتَّبِعُ بِالْفَحْصِ فَيُطْلَعُ عَلَى مُرَادِهِ. وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «إِذَا كُتِمَ ثَلَاثَةٌ فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُخْرِئُهُ»^(٢).

والكتمان نوعان أيضا:

الأوّل: الكِتْمَانُ الْمَحْمُودُ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْأَمَانَةِ وَنَوْعٌ مِنَ الْوَفَاءِ، وَعَلَامَةٌ عَلَى الْوَقَارِ، وَهُوَ كِتْمَانُ سِرِّ الْغَيْرِ أَوْ النَّفْسِ وَهُوَ مَنَاطُ هَذِهِ الصِّفَةِ وَمَعْقِدُهَا.

الآخر: الكِتْمَانُ الْمَذْمُومُ وَهُوَ عَلَى ضَرِيْنِ أَيْضًا:

أ - كِتْمَانُ الشَّهَادَةِ: وَقَدْ ذَمَّهُ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ فِي قَوْلِهِ ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ (البقرة/ ٢٨٣).

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ أَيْضًا ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ (البقرة/ ١٤٠).

ب - كِتْمَانُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ: وَقَدْ أَخَذَ الْمَوْلَى عَزَّ

(١) أي التفت المتكلم يرى أيسمعه أحد أم لا.

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب (٢٩٧).

(انظرها في الصفات المنهي عنها) من قبيل اللغو الذي أمرنا بالإعراض عنه، ومن ثم يكون الكتمان وقاراً والإفشاء لغواً، ومن الوضوح بمكان أن الذي يؤتمن على سر فيحافظ عليه يكون مؤدياً للأمانة، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ «إذا حدث الرجل بالحديث ثم التفت فهي أمانة» (انظر الحديث رقم ٢).

ومن الوفاء أيضاً أن يحافظ المسلم على سر أخيه فيكتمه وإلا كان غادراً، ومن حق المسلم على المسلم أن يكتم عنه ما يكون قد وصل إليه من سره، خاصة إذا كان قد تعهد له بحفظ هذا السر وعدم إذاعته.

ومن هنا كان كتمان السر نوعاً من الوفاء بالعهد، وقد قال تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ (الإسراء / ٣٤).

[للاستزادة: انظر صفات: الأمانة - الشرف - الصمت وحفظ اللسان - المروءة - النبل - وفي ضد ذلك: انظر صفات: إفشاء السر - الخيانة - الفضح - الإساءة - الأذى].

وجل العهد على الأنبياء والمرسلين بألا يكتموا مما أوحى عليهم شيئاً، وتوعد من يفعل ذلك بذل الدنيا وعذاب الآخرة فقال عز من قائل ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة / ١٧٤). وقد لعنهم المولى عز وجل في آية أخرى فقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (البقرة / ١٥٩). قال العزُّبن عبد السلام: وكتمان ذلك وسيلة إلى تضييع أحكام الله، وما يتعلّق بها من طاعة^(١).

كتمان السر في القرآن الكريم:

ورد في الذكر الحكيم كل من لفظي «السر» و«الكتمان» على حدّته، ولكنهما لم يردا معاً بهذه الصيغة «كتمان السر» بيد أن المعنى المقصود بكتمان السر قد ورد في آيات عديدة لاندراج هذه الصفة في كل من الأمانة والوفاء من جهة، والوقار من جهة أخرى، وذلك أن نقيض هذه الصفة وهو إفشاء السر

(١) انظر شجرة المعارف والأحوال للعز بن عبد السلام (٣١٢).

الآيات الواردة في «كتمان السر» معنى

- ١ - ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ
وَعَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَى
وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ
وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ
وَعَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا
عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ
الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾^(١)
- ٢ - ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ
مَقْبُوضَةً فَإِنْ مِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضًا فليُؤَدِّ الَّذِي
أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا
الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءِثْمٌ قَلْبُهُ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾^(٢)
- ٣ - بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾
إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا
قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾^(٣)
- ٤ - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا
وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ
اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾^(٤)
- ٥ - وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ
بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا
وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ
اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾^(٥)
- ٦ - يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ
وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾
وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوْلَكُمُ وَأَوْلَدُكُمْ فَتَنَةٌ
وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾^(٦)
- ٧ - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ
ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٠﴾
وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا
الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ
عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١١﴾﴾^(٧)

(٦) الأنفال : ٢٧ - ٢٨ مدنية

(٧) النحل : ٩٠ - ٩١ مكية

(٤) النساء : ٥٨ مدنية

(٥) الأنعام : ١٥٢ مكية

(١) البقرة : ١٧٧ مدنية

(٢) البقرة : ٢٨٣ مدنية

(٣) آل عمران : ٧٦ - ٧٧ مدنية

٨- وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ. وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا^(١)

١٠- وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزُوجِهِمْ حَافِظُونَ^(٢) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ غَيْرُ مُلُومِينَ^(٣)

٩- قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ^(١)
الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ^(٢)
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ^(٣)
وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ^(٤)
وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزُوجِهِمْ حَافِظُونَ^(٥)
إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُلُومِينَ^(٦)

فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ^(٧)
وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ^(٨)
وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ^(٩)
وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ^(١٠)
أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ^(١١)

فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ^(٧)
وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ^(٨)
وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ^(٩)
أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ^(١٠)
الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(١١)

الأحاديث الواردة في «كتمان السر»

عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ إِلَّا ثَلَاثَةً: مَجَالِسُ سَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ، أَوْ فَرْجٍ حَرَامٍ، أَوْ اقْتِطَاعِ مَالٍ بِغَيْرِ حَقٍّ» * (٤).

٥ - * (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ مِنْ أَشْرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ» (٥)، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا» (٦).

٦ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يُحَدِّثُ حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتُوفِّيَ بِالْمَدِينَةِ - فَقَالَ عُمَرُ بْنُ

١ - * (عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «اسْتَعِينُوا عَلَى إِنْجَاحِ الْخَوَائِجِ بِالْكِتْمَانِ؛ فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مُحْسُودٌ» * (١).

٢ - * (عَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالْحَدِيثِ ثُمَّ التَفَتَ فِيهِ أَمَانَةٌ» (٢).

٣ - * (عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا يَتَجَالَسُ الْمُتَجَالِسَانِ بِالْأَمَانَةِ وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدِهِمَا أَنْ يُفْشِيَ عَلَى صَاحِبِهِ مَا يَكْرَهُ» (٣).

٤ - * (عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ

(٤) البيهقي في السنن (٢٤٧/١٠) واللفظ له، أبو داود (٤٨٦٩)، وأحمد في المسند (٣٤٢/٢) وصحيح الجامع الصغير حديث رقم (٦٦٧٨)، وحسنه الألباني، وتاريخ بغداد (١٦٩/١١)، والبيهقي في الشعب (٥٢١/٧)، وفردوس الديلمي (٦٦٥٠). وانظر: الإحياء (١٩٤/٢) والمعنى أن ما يحدث في المجالس أمانة إلا ما يؤدي إلى إراقة دم من مسلم بغير حق، أو استحلال فرج حرام على وجه الزنا، أو استحلال مال من غير حله سواء من مال مسلم أو ذمي، فمن قال في مجلس أريد قتل فلان والزنا بفلانة أو اقتطاع مال فلان ظلماً لا يجوز للمسلمين حفظ سره، بل عليهم إفشاؤه دفعاً للمفسدة. (تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، استخراج أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد. (١١٢٦/٣) برقم (١٦٤٤).

(٥) يفضي إلى امرأته: أي يصل إليها بالمباشرة والمجامعة.

(٦) مسلم (١٤٣٧).

(١) مجمع الزوائد (١٩٤/٨)، وقال: رواه الطبراني في الثلاثة، والحديث في المعجم الكبير (٩٤/٢٠)، والصغير (١٤٩/٢)، وكشف الخفاء (١٢٣/١) وقال رواه الطبراني وأبو نعيم بسند ضعيف عن معاذ بن جبل رفعه، والصغير للطبراني (٢٩٢/٢) واللفظ له. وذكره الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٩٤٣) وصححه.

(٢) أبو داود (٤٨٦٨) واللفظ له، والترمذي (١٩٥٩) وقال: حديث حسن، وأحمد في المسند (٣٢٤/٣) والبيهقي في السنن الكبرى (٢٤٧/١٠)، ومجمع الزوائد (٩٨/٨) والصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا (٤٤٩) حديث رقم (٤٠٤)، وقال محققه: حديث حسن، والألباني في صحيح الجامع، حديث رقم (٤٨٦) وحسنه.

(٣) مصنف عبد الرزاق (٢٢/١٣) برقم (١٩٧٩)، ابن حجر (٨٢/١١)، الزهد لابن المبارك (٢٤٠، ٢٤١)، وانظر: الإحياء (١٩٤/٢) هامش رقم (٥)، والبيهقي في الشعب (٥٢٠/٧) وقال: هذا مرسل جيد.

الخطاب. أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقال: سأنظر في أمري. فلبثت ليالي ثم لقيني فقال: قد بدالي أن لا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إلي شيئاً، وكنت أوجد عليه مني على عثمان، فلبثت ليالي، ثم خطبها رسول الله ﷺ فانكحها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ قال عمر: قلت: نعم. قال أبو بكر: لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت علي إلا أنني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ، ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها)* (١).

٧- * (عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كن أزواج النبي ﷺ عنده، لم يغادر منهن واحدة فأقبلت فاطمة تمشي. ما تخطي مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئاً، فلما رآها رحب بها. فقال: «مرحبا بابنتي» ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله. ثم سارها فبكت بكاء شديداً. فلما رأى جزعها سارها الثانية فضحك. فقلت لها: خصك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسرار، ثم أنت تبكين، فلما قام رسول الله ﷺ

سألها: ما قال لك رسول الله ﷺ قالت: ما كنت أفشي على رسول الله ﷺ سره. قالت: فلما توفي رسول الله ﷺ قلت: عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما حدثتني ما قال لك رسول الله ﷺ. فقالت: أما الآن فنعلم. أما حين سارني في المرة الأولى فأخبرني: «أن جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة أو مرتين، وأنه عارضه الآن مرتين (وقال) إني لا أرى (٢) الأجل إلا قد اقترب، فاتقي الله واصبري. فإنه نعم السلف أنا لك» قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارني الثانية فقال: يا فاطمة: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة؟ قالت: فضحك ضحكي الذي رأيت)* (٣).

٨- * (عن ثابت عن أنس - رضي الله عنهما - قال: أتى علي رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان - قال: فسلم علينا، فبعثني إلى حاجة. فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة. قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر. قالت: لا تحدثن بسر رسول الله ﷺ أحداً. قال أنس: والله لو حدثت به أحداً لحدثك ياثبت)* (٤).

(٣) البخاري - الفتح (٧/ ٣٧١٥، ٣٧١٦)، ومسلم (٢٤٥٠) واللفظ له.

(٤) مسلم (٢٤٨٢).

(١) البخاري - الفتح (٩/ ٥١٣٣) واللفظ له. وأحمد (٢٧).

(٢) لا أرى: أي لا أظن.

من الآثار وأقوال العلماء الواردة في «كتمان السر»

١ - * (قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ - :

لَا تُفْشِ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ

فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا

فَإِنِّي رَأَيْتُ غَوَاةَ الرَّجَا

لِ لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا) * (١).

٢ - * (وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - كَرَّمَ اللَّهُ

وَجْهَهُ - : «سِرُّكَ أَسِيرُكَ، فَإِنْ تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ

أَسِيرَهُ» * (٢).

٣ - * (أَسَرَّ مُعَاوِيَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِلَى

الْوَلِيدِ بْنِ عُثْبَةَ حَدِيثًا فَقَالَ لِأَبِيهِ: يَا أَبَتِي إِنَّ أَمِيرَ

الْمُؤْمِنِينَ أَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا وَمَا أَرَاهُ يَطْوِي عَنْكَ مَابَسْطَهُ

إِلَى غَيْرِكَ. قَالَ: فَلَا تُحَدِّثْنِي بِهِ، فَإِنَّ مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَ

الْخِيَارُ لَهُ، وَمَنْ أَفْشَاهُ كَانَ الْخِيَارُ عَلَيْهِ. قَالَ: قُلْتُ

يَا أَبَتِي وَإِنَّ هَذَا لَيَدْخُلُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ أَبِيهِ، قَالَ: لَا،

وَاللَّهُ يَا بَنِيَّ، وَلَكِنْ أَحَبُّ أَنْ لَا تُدَلِّلَ لِسَانَكَ بِأَحَادِيثِ

السِّرِّ، فَاتَيْتُ مُعَاوِيَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَحَدَّثْتُهُ فَقَالَ:

يَا وَلِيدُ أَعْتَقَكَ أَخِي مِنْ رِقِّ الْخَطَا) * (٣).

٤ - * (قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ - مَا وَضَعْتُ سِرِّي عِنْدَ أَحَدٍ أَفْشَاهُ عَلَيَّ فَلُمْتُهُ،

أَنَا كُنْتُ أَضِيقُ بِهِ حَيْثُ اسْتَوْدَعْتُهُ إِيَّاهُ) * (٤).

٥ - * (أَخْبَرَ الْمُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ) عَنِ الْحَسَنِ -

رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «إِنَّ مِنَ الْخِيَانَةِ أَنْ

تُحَدِّثَ بِسِرِّ أَخِيكَ» * (٥).

٦ - * (عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ - رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ - قَالَ: «كَتَبَ إِلَيَّ بَعْضُ إِخْوَانِي مِنْ أَصْحَابِ

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَنْ ضَعُ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ مَا لَمْ

يَأْتِكَ مَا يَغْلِبُكَ، وَلَا تَظُنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجْتَ مِنْ أَمْرِيءِ

مُسْلِمٍ شَرًّا وَأَنْتَ تَجِدُهَا فِي الْخَيْرِ مُحْمَلًا، وَمَنْ عَرَّضَ

نَفْسَهُ لِلتُّهْمِ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ. وَمَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتْ

الْخَيْرَةُ فِي يَدِهِ. وَمَا كَافَأَتْ مَنْ عَصَى اللَّهَ تَعَالَى فِيكَ

بِمِثْلِ أَنْ تُطِيعَ اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ...» (الْأَثَرُ) * (٦).

٧ - * (قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِابْنِهِ: يَا بَنِيَّ كُنْ

جَوَادًا بِالْمَالِ فِي مَوْضِعِ الْحَقِّ. ضَمِينًا بِالْأَسْرَارِ عَنْ

جَمِيعِ الْخَلْقِ، فَإِنَّ أَحْمَدَ جُودِ الْمَرْءِ، الْإِنْفَاقُ فِي وَجْهِ

الْبَرِّ، وَالْبُخْلُ بِمَكْتُومِ السِّرِّ) * (٧).

٨ - * (وَقَالَ بَعْضُ الْفُصَحَاءِ: مَا لَمْ تُغَيِّبْهُ

الْأَضَالِعُ فَهُوَ مَكْشُوفٌ ضَائِعٌ) * (٨).

٩ - * (وَقَدْ قِيلَ: الصَّبْرُ عَلَى الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ

أَيْسَرُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى كِتْمَانِ السِّرِّ) * (٩).

(٦) شعب الإيمان، تحقيق البسيوني زغلول (٦/ ٣٢٣) برقم

(٨٣٤٥).

(٧) أدب الدنيا والدين (٢٩٥).

(٨) المرجع السابق (٢٩٥).

(٩) الذريعة إلى مكارم الشريعة الأصفهاني (٢٩٨).

(١) كتاب الصمت وآداب اللسان، ابن أبي الدنيا (٤٥١).

(٢) أدب الدنيا والدين، الماوردي (٢٩٥).

(٣) كتاب الصمت وآداب اللسان، ابن أبي الدنيا (٤٥٢).

(٤) كتاب الصمت وآداب اللسان (٤٥١-٤٥٢).

(٥) المرجع السابق (٤٥٠-٤٥١).

١٠ - * (وَقِيلَ: أَكْثَرُ مَا يَسْتَنْزِلُ الْإِنْسَانُ عَنْ
سِرِّهِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ: عِنْدَ الْاضْطِجَاعِ عَلَى فِرَاشِهِ.
وَعِنْدَ خُلُوقِهِ بِعَرْسِهِ. وَفِي حَالِ سُكْرِهِ) * (١).

ومن أقوال الشعراء:

١ - قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا الْمَرْءُ أَفْشَى سِرَّهُ بِلِسَانِهِ
وَلَا مَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ فَهُوَ أَحَقُّ

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ

فَصَدْرُ الَّذِي يَسْتَوْدِعُ السِّرَّ أَضْيَقُ (٢)

٢ - وَقَالَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ:

لَا تُذِغْ سِرًّا إِلَى طَالِبِهِ

مِنْكَ فَالطَّالِبُ لِلْسِّرِّ مُذِيعٌ (٣)

٣ - وَقَالَ آخَرُ:

فَلَا تَنْطِقْ بِسِرِّكَ كُلِّ سِرِّ

إِذَا مَا جَاوَزَ الْاِثْنَيْنِ فَاشِي (٤)

٤ - قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ:

وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى نِسْيَانِ مَا اشْتَمَلْتُ

مِنِّي الضُّلُوعُ عَلَى الْأَسْرَارِ وَالْخَبَرِ

لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَنْسَى سَرَائِرَهُ

إِذْ كُنْتُ مِنْ نَشْرِهَا يَوْمًا عَلَى خَطَرٍ (٥)

٥ - وَقَالَ الشَّاعِرُ:

وَمُسْتَوْدِعِي سِرًّا تَضَمَّنْتُ سِرَّهُ

فَأَوْدَعْتُهُ مِنْ مُسْتَقَرِّ الْحَشَى قَبْرًا

وَلَكِنِّي أَخْفِيهِ عَنِّي كَأَنِّي

مِنَ الدَّهْرِ يَوْمًا مَا أَحَطْتُ بِهِ خُبْرًا

وَمَا السِّرُّ فِي قَلْبِي كَمَيِّتٍ بِحُفْرَةٍ

لَأَنِّي أَرَى الْمَدْفُونَ يَنْتَظِرُ النَّشْرَ (٦)

٦ - قَالَ الشَّاعِرُ:

وَأَكْتُمُ السِّرَّ فِيهِ ضَرْبَةُ الْعُنُقِ

٧ - وَقَالَ الْآخَرُ:

وَيَكْتُمُ الْأَسْرَارَ حَتَّى إِنَّهُ

لِيَصَوْنُهَا عَنْ أَنْ تَمُرَّ بِبَالِهِ (٧)

٨ - قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ:

وَمُسْتَوْدِعِي سِرًّا تَبَوَّأْتُ كَتَمَهُ

فَأَوْدَعْتُهُ صَدْرِي فَصَارَ لَهُ قَبْرًا (٨)

٩ - وَقِيلَ:

وَمَا السِّرُّ فِي صَدْرِي كَثَاوٍ بِقَبْرِهِ

لَأَنِّي أَرَى الْمَقْبُورَ يَنْتَظِرُ النَّشْرَ

وَلَكِنِّي أَنْسَاهُ حَتَّى كَأَنَّنِي

بِمَا كَانَ مِنْهُ لَمْ أَحِطْ سَاعَةً خُبْرًا (٩)

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة - الأصفهاني (٢٩٨).

(٢) أدب الدنيا والدين للهاوردي (٢٩٦).

(٣) المرجع السابق (٢٩٧).

(٤) المرجع السابق (٢٩٧).

(٥) المرجع السابق (٢٩٨).

(٦) المرجع السابق (٢٩٨).

(٧) الذريعة إلى مكارم الشريعة - الأصفهاني (٢٩٧).

(٨) إحياء علوم الدين (٢/ ١٩٤).

(٩) المرجع السابق (٢/ ١٩٥).

١٠ - وَقِيلَ:

وَتَرَى الْكَرِيمَ إِذَا تَقَضَّى وَضْلُهُ

وَتَرَى الْكَرِيمَ إِذَا تَصَرَّمَ وَضْلُهُ

يُخْفِي الْجَمِيلَ وَيُظْهِرُ الْبُهْتَانَ^(١).

يُخْفِي الْقَيِّحَ وَيُظْهِرُ الْإِحْسَانَ

من فوائد «كتمان السر»

(١) بِهِ يَتِمَكَّنُ الْإِنْسَانُ مِنْ قَضَاءِ مَصَالِحِهِ، وَلَا يُوَاجَهُ بِمَا يَعُوقُهُ عَنْهَا.

الْكَمَالِ.

(٥) يُوثِّقُ صِلَةَ الْإِنْسَانِ بِأَخِيهِ حِينَ يَحْفَظُ أَسْرَارَهُ.

(٢) كِتْمَانُ السِّرِّ لَوْنٌ مِنَ أَلْوَانِ الْأَمَانَةِ، وَالْأَمَانَةُ مِنْ عِلَامَاتِ الْإِيْمَانِ.

(٦) حِينَ يَثِقُ الْإِنْسَانُ بِأَنَّ صَاحِبَهُ يَحْفَظُ أَسْرَارَهُ يُمَهِّدُ ذَلِكَ لَهُ اسْتِشَارَتَهُ فِيْمَا لَا يُحِبُّ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ.

(٣) كِتْمَانُ السِّرِّ لَوْنٌ مِنَ الْوَقَارِ وَالْإِحْتِشَامِ وَدَلِيلٌ عَلَى الرِّزَانَةِ وَالْوَقَارِ..

(٧) يُؤَدِّي حِفْظُ السِّرِّ إِلَى تَوْثِيقِ عُرَى الْمَحَبَّةِ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَمَنْ يَحْفَظُ عَلَيْهِ سِرَّهُ.

(٤) هُوَ فَضِيلَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ بِهَا يَرْتَقِي الْمَرْءُ فِي دَرَجَاتِ

الكرم

الآيات	الأحاديث	الآثار
٤٠	٣٠	٢١

الكرم لغة:

مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ (كَرَمَ) فَلَانٌ يَكْرُمُ، وَهُوَ مَا خُوذَ مِنْ مَادَّةٍ (ك ر م) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى شَرَفٍ فِي الشَّيْءِ فِي نَفْسِهِ أَوْ شَرَفٍ فِي خُلُقٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ، يُقَالُ رَجُلٌ كَرِيمٌ، وَفَرَسٌ كَرِيمٌ، وَنَبَاتٌ كَرِيمٌ، أَمَّا الْكَرَمُ فِي الْخُلُقِ فَهُوَ الصَّفْحُ عَنْ ذَنْبِ الْمَذْنِبِ، قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الْكَرِيمُ: الصَّفْوَحُ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْكَرِيمُ الصَّفْوَحُ عَنْ ذُنُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْكَرَمُ ضِدُّ اللَّؤْمِ، وَقَدْ كَرَّمَ الرَّجُلُ بِالضَّمِّ فَهُوَ كَرِيمٌ، وَقَوْمٌ كِرَامٌ وَكِرْمَاءُ، وَنِسْوَةٌ كِرَائِمٌ، وَيُقَالُ رَجُلٌ كَرَمٌ، وَامْرَأَةٌ كَرَمٌ وَنِسْوَةٌ كَرَمٌ وَالْكِرَامُ بِالضَّمِّ مِثْلُ الْكَرِيمِ، فَإِذَا أَفْرَطَ فِي الْكَرَمِ قِيلَ كَرَامٌ، وَكَارَمْتُ الرَّجُلَ إِذَا فَاخَرْتَهُ فِي الْكَرَمِ فَكَرَمْتُهُ أَكْرَمُهُ (بِالضَّمِّ) إِذَا غَلَبَتْهُ فِيهِ. وَأَكْرَمْتُ الرَّجُلَ أَكْرَمُهُ وَأَصْلُهُ أَكْرَمُهُ مِثْلُ أُدْخِرْهُ فَحَذَفُوا الْهَمْزَةَ الثَّانِيَةَ اسْتِثْقَالًا، وَالتَّكْرُمُ: تَكَلُّفُ الْكَرَمِ، قَالَ الشَّاعِرُ الْمُتَلَمِّسُ:

تَكَرَّمْ لَتَعْتَادَ الْجَمِيلَ فَلَنْ تَرَى

أَخَا كَرَمٍ إِلَّا بِأَنْ يَتَكَرَّمَا

وَيُقَالُ (أَيْضًا): أَكْرَمَ الرَّجُلُ إِذَا أَتَى بِأَوْلَادٍ كِرَامٍ، وَاسْتَكْرَمَ: اسْتَحْدَثَ عِلْقًا كَرِيمًا، وَالْأَكْرُومَةُ مِنَ الْكَرَمِ كَالْأَعْجُوبَةِ مِنَ الْعَجَبِ، (وَقَدْ يَكُونُ) التَّكْرِيمُ وَالْإِكْرَامُ بِمَعْنَى، وَالْإِكْرَامُ: الْكَرَامَةُ، وَاسْتَكْرَمَ الشَّيْءُ: طَلَبَهُ كَرِيمًا، أَوْ وَجَدَهُ كَذَلِكَ. وَالْكَرِيمُ: الَّذِي كَرَّمَ نَفْسَهُ عَنِ التَّدَنُّسِ بِشَيْءٍ مِنْ مُخَالَفَةِ رَبِّهِ. وَيُقَالُ: هَذَا رَجُلٌ كَرَمٌ أَبَوُهُ، وَكَرَّمَ أَبَاؤُهُ. وَهُوَ أَيْضًا وَاسِعُ الْخُلُقِ. وَأَرْضٌ مَكْرَمَةٌ وَكَرَمٌ وَكَرِيمَةٌ: طَيِّبَةٌ، وَالْكَرِيمَانِ: الْحَجُّ وَالْجِهَادُ. وَالْإِكْرَامُ وَالتَّكْرِيمُ: أَنْ يُوصَلَ إِلَى الْإِنْسَانِ نَفْعٌ لَا تَلْحَقُهُ فِيهِ غَضَاظَةٌ، أَوْ يُوصَلَ إِلَيْهِ شَيْءٌ شَرِيفٌ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ (الأنبياء/٣٦)، أَيُّ جَعَلَهُمْ كِرَامًا^(١).

واصطلاحًا:

قَالَ ابْنُ مَسْكُويَةٍ: الْكَرَمُ انْفَاقُ الْمَالِ الْكَثِيرِ بِسُهُولَةٍ مِنَ النَّفْسِ فِي الْأُمُورِ الْجَلِيلَةِ الْقَدْرِ، الْكَثِيرَةِ النَّفْعِ^(٢).

وَقِيلَ: هُوَ التَّبَرُّعُ بِالْمَعْرُوفِ قَبْلَ السُّؤَالِ، وَالْإِطْعَامُ فِي الْمَحَلِّ، وَالرَّافَةُ بِالسَّائِلِ مَعَ بَذْلِ النَّائِلِ.

التمييز (٣/٣٤٣). ومقاييس اللغة لابن فارس (٥/١٧٢).

(٢) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه (٣٠).

(١) لسان العرب (٧/٣٦٨١-٣٦٨٤). وانظر الصحاح

(٦/٢٠١٩-٢٠٢١). ومختار الصحاح (٥٦٨). وبصائر ذوي

وَقِيلَ هُوَ: الْإِعْطَاءُ بِالسُّهُولَةِ .

وَقِيلَ: الْكَرْمُ هُوَ إِفَادَةُ مَا يَنْبَغِي لَا لِعَرَضٍ فَمَنْ يَهَبُ الْمَالَ لِعَرَضٍ جَلْبًا لِلنَّفْعِ ، أَوْ خَلَاصًا عَنِ الدَّمِّ ، فَلَيْسَ بِكَرِيمٍ . فَالْكَرِيمُ مَنْ يُوَصِّلُ النَّفْعَ بِلَا عَوَضٍ^(١) .

معنى اسم الله (الكريم):

قَالَ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ: وَالْكَرِيمُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ هُوَ الَّذِي إِذَا قَدَرَ عَفَا ، وَإِذَا وَعَدَ وَفَى ، وَإِذَا أَعْطَى زَادَ عَلَى مُنْتَهَى الرَّجَاءِ ، وَلَا يُبَالِي كَمْ أَعْطَى وَلِمَنْ أَعْطَى ، وَإِنْ رُفِعَتْ حَاجَةٌ إِلَى غَيْرِهِ لَا يَرْضَى ، وَإِذَا جُفِيَ عَاتِبَ ، وَلَا يُضِيعُ مَنْ لَادَ بِهِ وَالتَّجَا . وَيُغْنِيهِ عَنِ الْوَسَائِطِ وَالشُّفَعَاءِ ، فَمَنْ اجْتَمَعَ لَهُ جَمِيعُ ذَلِكَ لَا بِالتَّكْلُفِ ، فَهُوَ الْكَرِيمُ الْمُطْلَقُ وَذَلِكَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَقَطْ . وَقِيلَ: الْكَرِيمُ: هُوَ الْكَثِيرُ الْخَيْرِ، الْجَوَادُ الْمُعْطِي الَّذِي لَا يَنْفَدُ عَطَاؤُهُ ، وَهُوَ الْكَرِيمُ الْمُطْلَقُ . وَالْكَرِيمُ: الْجَامِعُ لَأَنْوَاعِ الْخَيْرِ وَالشَّرَفِ وَالْفَضَائِلِ . وَالْكَرِيمُ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحْمَدُ ، فَاللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - كَرِيمٌ حَمِيدُ الْفِعَالِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمُ الْعَظِيمُ^(٢) .

أنواع الكرم:

قَالَ الْكَفَوِيُّ: الْكَرْمُ إِنْ كَانَ بِمَالٍ فَهُوَ جُودٌ . وَإِنْ كَانَ بِكَفٍّ ضَرَرٍ مَعَ الْقُدْرَةِ فَهُوَ عَفْوٌ . وَإِنْ كَانَ بِبَذْلِ النَّفْسِ فَهُوَ شَجَاعَةٌ^(٣) .

الكرم أخلاق محمودة وأفعال مشهودة:

قَالَ الْفَيْرُزَابَادِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: وَالْكَرْمُ إِذَا وَصِفَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ اسْمٌ لِإِحْسَانِهِ وَإِنْعَامِهِ ، وَإِذَا وَصِفَ بِهِ الْإِنْسَانُ فَهُوَ اسْمٌ لِلْأَخْلَاقِ وَالْأَفْعَالِ الْمَحْمُودَةِ . الَّتِي تَظْهَرُ مِنْهُ ، وَلَا يُقَالُ: هُوَ كَرِيمٌ حَتَّى يَظْهَرَ مِنْهُ ذَلِكَ . قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: الْكَرْمُ كَالْحُرِّيَّةِ ، إِلَّا أَنَّ الْحُرِّيَّةَ قَدْ تُقَالُ فِي الْمَحَاسِنِ الصَّغِيرَةِ وَالْكَبِيرَةِ ، وَالْكَرْمُ لَا يُقَالُ إِلَّا فِي الْكَبِيرَةِ ؛ كَلِإِنْفَاقِ مَالٍ فِي تَجْهِيزِ جَيْشِ الْغَزَاةِ ، وَتَحْمُلِ حِمَالَةٍ تُرْقَأُ بِهَا دِمَاءُ قَوْمٍ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات / آية ١٣) ، إِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْكَرَمَ الْفِعَالُ الْمَحْمُودَةُ ، وَأَكْرَمُهَا مَا يُقْصَدُ بِهِ أَشْرَفُ الْوُجُوهِ ، وَأَشْرَفُ الْوُجُوهِ مَا يُقْصَدُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ ، فَمَنْ قَصَدَ بِهِ ذَلِكَ فَهُوَ التَّقِيُّ . فَإِذَا أَكْرَمَ النَّاسَ أَتَقَاهُمْ ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَشْرَفُ فِي بَابِهِ وَصِفَ بِالْكَرَمِ ، نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (الشعراء / ٧) ، ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ (الواقعة / ٧٧) . ﴿وَقُلْ لَهَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الإسراء / ٢٣)^(٤) .

الفرق بين الكرم والجود:

قَالَ الْكَفَوِيُّ: الْكَرْمُ يَكُونُ مَسْبُوقًا بِاسْتِحْقَاقِ السَّائِلِ وَالسُّؤَالِ مِنْهُ . وَالْجُودُ: صِفَةُ ذَاتِيَّةٌ لِلْجَوَادِ وَلَا يُسْتَحَقُّ بِالْإِسْتِحْقَاقِ وَالسُّؤَالِ ، وَالْجَوَادُ يُطْلَقُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى

(٣) الكلبيات للكفوي (٥٣) .

(٤) بصائر ذوي التمييز (٤ / ٣٤٣ ، ٣٤٤) .

(١) التعريفات للجرجاني (١٨٤) والإحياء للغزالي (٣ / ٢٤٦) ،

التوقيف على مهمات التعاريف لابن المناوي (٢٨١) .

(٢) لسان العرب (٧ / ٣٨٦١) .

دُونَ السَّخِيِّ.

وَقَالَ أَبُو هَلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ: الْجُودُ: كَثْرَةُ الْعَطَاءِ مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ مِنْ قَوْلِكَ: جَادَتِ السَّمَاءُ إِذَا جَاءَتْ بِمَطَرٍ غَزِيرٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى جَوَادٌ لِكَثْرَةِ عَطَائِهِ فِيمَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ.

أَمَّا الْكَرَمُ: فَيَتَصَرَّفُ عَلَى وَجْهِ: مِنْهَا: الْعِزَّةُ، وَمِنْهَا الْفَضْلُ، وَمِنْهَا الْحُسْنُ، وَمِنْهَا التَّفْضِيلُ، وَمِنْهَا: السِّيَادَةُ، وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: الْكَرَمُ هُوَ إِعْطَاءُ شَيْءٍ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا، وَالْجُودُ سَعَةُ الْعَطَاءِ سَوَاءً أَكَانَ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ أَوْ لَا، وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: الْكَرَمُ هُوَ إِعْطَاءُ مَنْ يُرِيدُ (الْمُعْطِي) إِكْرَامَهُ وَإِعْزَازَهُ، وَالْجُودُ قَدْ يَكُونُ كَذَلِكَ وَقَدْ لَا يَكُونُ^(١).

من معاني الكرم في القرآن الكريم:

١ - الْحَسَنُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ﴾ (النمل / ٢٩).

٢ - السَّهْلُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ لَهَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الإسراء / ٢٣).

٣ - الْكَثِيرُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ (الأحزاب / ٣١).

٤ - الْعَظِيمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ (المؤمنون / ١١٦).

٥ - الْفَضْلُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي (بَنِي آدَمَ): ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَنَا عَلَى﴾ (الإسراء / ٦٢). أَيْ فَضَّلْتَنَا عَلَى، وَفِيهَا^(٢): ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (آية / ٧٠).

٦ - الصَّفُوحُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي (الْإِنْفِطَارِ) (آية ٦) ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾^(٣).

[للاستزادة: انظر صفات: الإنفاق - الإيثار -

الجود - السخاء - المسارعة في الخيرات - تفريج الكربات - المواساة - الإحسان - الصدقة - كفالة اليتيم.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأثرة - البخل - الشح - الكنز - التفريط والإفراط].

(٣) المفردات للراغب (٢٤٦) وبصائر ذوي التمييز (٤ / ٣٤٤، ٣٤٥)، ونزهة الأعين النواظر (٥٢١، ٥٢٢).

(١) الكليات للكفوي (٣٥٣)، والفروق اللغوية لأبي هلال (١٦٧، ١٦٨) بتصرف.

(٢) أي سورة الإسراء.

الآيات الواردة في «الكرم»

الكرم بمعنى الإحسان:

- ١- وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مِرَاتٍ بِيَّ أَكْرَمِي
مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا
وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ
وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ
عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾

- ٤- إِنْ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾
وَأَنَّهُمْ لَنَا لَغَايِطُونَ ﴿٥٥﴾
وَلَنَا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾
فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾
وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾
كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾

الكرم بمعنى عظمة القدر والشأن:

- ٢- طَسَّرَ ﴿١﴾
تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾
لَعَلَّكَ بِبَيْعِ نَفْسِكَ لَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾
إِنْ نَشَاءُ نُزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ
أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾
وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ
إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾
فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِهِمْ أَنَبَتُوا مَا كَانُوا
بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾
أَوَلَمْ يَرْوُا إِلَى الْأَرْضِ كَمَا أَنبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾

- ٤- أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ
فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾
قَالَتْ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾
إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾
أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ أَنُوتِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾

- ٥- إِنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾
خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾
خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ
رُوسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ
كَرِيمٍ ﴿١٠﴾
هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ
مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾

- ٣- وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعَبَادِي إِنَّكَ
مُتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾
فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ خَشِيرِينَ ﴿٥٣﴾

٦- كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾

وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾

وَنَعْمَ كَانُوا فِيهَا فِكْهِينَ ﴿٢٧﴾

كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾

فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ

وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾^(١)

٧- مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ

وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾^(٢)

٨- إِنَّ الْمُضْذِقِينَ وَالْمُضْذِقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا

حَسَنًا يُضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾^(٣)

الكرم بمعنى السهل:

٩- ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ

إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا

أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أٰفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا

وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾^(٤)

الكرم بمعنى الكثير:

١٠- يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا

اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ

قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا

وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾

أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ

رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾^(٥)

١١- إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُ وَأَيَّامُ لِهَمَّ

وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأَ وَنَصَرُوا

أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا

وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ

حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ

فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم

مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ

تَكُن فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا فِي سَبِيلِ

اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأَ وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ

الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا مَعَكُمْ

فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ

فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾^(٦)

١٢ - قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٤٩﴾
فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾

وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ
أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾^(١)

١٣ - الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ
وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ
أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾^(٢)

١٤ - يَتَّيِبُهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تَرُدُّونَ

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنِ

أُمْتِعْكُنَّ وَأَسْرِحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾

وَلِئِنْ كُنْتُمْ تُرَدُّونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْأُخْرَى
فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾
يَنْفَسَاءُ النَّبِيُّ مِنْ يَدَاتِ مَنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ
يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ
عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ
صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا
كَرِيمًا ﴿٣١﴾^(٣)

١٥ - يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾
وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾

هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم
مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا
كَرِيمًا ﴿٤٤﴾

يَتَّيِبُهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا
وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾

وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾
وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْنَهُمْ
وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾^(٤)

الكرم بمعنى العظمة:

١٦ - قَالَ يَتَّيِبُهَا الْمَلَأُ أَيْكُمْ يَاتِنِي بِعَرْشِهَا

قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٢٨﴾

قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا إِنِّي بِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ

مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٢٩﴾

قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا إِنِّي بِهِ قَبْلَ

أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ

هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ

وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ^(٥)

وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾

١٧ - كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦٦﴾
وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٦٧﴾
فِي أَيِّ آيَةِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦٨﴾^(١)

١٨ - فِي أَيِّ آيَةِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٧٧﴾
نَبِّرُكَ أَتَمُّ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾^(٢)

١٩ - أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ
إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾
فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾
وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا
حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾
وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿١١٨﴾^(٣)

وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ﴿٦٩﴾
أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٧٠﴾
أَمَّا مَنْ اسْتَعْزَىٰ ﴿٧١﴾
فَأَن تَلَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٧٢﴾
وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي ﴿٧٣﴾
وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٧٤﴾
وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٧٥﴾
فَأَن تَعَنَّهُ تَلْهَىٰ ﴿٧٦﴾
كَلَّا إِنَّمَا تَذَكَّرُ ﴿٧٧﴾
فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٧٨﴾
فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿٧٩﴾
مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿٨٠﴾
بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿٨١﴾
كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿٨٢﴾^(٥)

الكرم بمعنى الفضل والشرف:

٢٠ - ﴿٧٥﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾
وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّا تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾
إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾
فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾
لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾
تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾^(٤)

٢١ - عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾
أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾

٢٢ - وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾
قَالَ أَرَأَيْتَ إِنِّي عَلَىٰ لَيْنٍ
أَخْرَجْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْبَيْعَةِ لِأَحْتَنِكَنَّ
ذُرِّيَّتَهُ ۖ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾^(٦)

٢٣ - ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ
عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾^(٧)

(٦) الإسراء : ٦١ - ٦٢ مكية

(٧) الإسراء : ٧٠ مكية

(٤) الواقعة : ٧٥ - ٨٠ مكية

(٥) عبس : ١ - ١٦ مكية

(١) الرحمن : ٢٦ - ٢٨ مكية

(٢) الرحمن : ٧٧ - ٧٨ مكية

(٣) المؤمنون : ١١٥ - ١١٨ مدنية

٢٤- يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ
أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ^(١)

الكرم بمعنى الفضل:

٢٥- فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ
رَبِّي أَكْرَمَنِ^(١٥)
وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ
رَبِّي أَهَنَنِ^(١٦)
كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ^(١٧)
وَلَا تَخْضَوْنَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ^(١٨)
وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا^(١٩)
وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا^(٢٠)^(٢)

٢٦- أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ^(١)
خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ^(٢)
أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ^(٣)
الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ^(٤)
عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ^(٥)^(٣)

الإكرام عاقبة المؤمنين في الجنة:

٢٧- إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ
عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا
كَرِيمًا^(٣)

٢٨-

يَسَ^(١)

وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ^(٢)
إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ^(٣)
عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^(٤)
تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ^(٥)

لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ^(٦)
لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ^(٧)
إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلًا فُهِىَ إِلَىٰ الْأَذْقَانِ
فَهُمْ مُّقْمَحُونَ^(٨)
وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا
فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ^(٩)
وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ^(١٠)
إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ
بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ^(١١)^(٥)

٢٩- وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ

يَسْعَىٰ قَالَ يَنْقُومُ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ^(١)
اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ^(٢)
وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ^(٣)
ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِنْ يُرَدِّ
الرَّحْمَنُ بَصِيرًا لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ
شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ^(٤)
إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ^(٥)
إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ^(٦)

قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾
بِمَا غَفَر لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٣٧﴾^(١)

إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ
غَيْرُ مُلْكُمِينَ ﴿٣٥﴾

فَمَنْ أَبْغَىٰ وِرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣٦﴾
وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴿٣٧﴾
وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٨﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٩﴾
أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَّمُونَ ﴿٤٠﴾^(٢)

الكرم صفة الملائكة والنبين:

٣٠- وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾
إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾
أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾
فَوَكَهٌ لَهُمْ مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾
فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾
عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾

يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾
بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾
لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾
وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾
كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾^(٣)

٣٢- إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿٤٥﴾
يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْقِمُونَ ﴿٤٦﴾
وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ
رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿٤٧﴾^(٤)

٣٣- فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٤٨﴾
وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٤٩﴾

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٥٠﴾
وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٥١﴾
وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَدَّكُرُونَ ﴿٥٢﴾
نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٣﴾^(٥)

٣١- ﴿٥٤﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿٥٥﴾
إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٥٦﴾
وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٥٧﴾
إِلَّا الْمَصْلِينَ ﴿٥٨﴾

الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٥٩﴾
وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٦٠﴾
لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٦١﴾
وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّوَاتِ الدِّينِ ﴿٦٢﴾
وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴿٦٣﴾
إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾
وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٦٥﴾

٣٤- فَلَا أَقْسِمُ بِالْخَنَسِ ﴿٥٩﴾
الْجَوَارِ الْكُنَسِ ﴿٦٠﴾
وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿٦١﴾
وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿٦٢﴾
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٦٣﴾
ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٦٤﴾
مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٦٥﴾^(٦)

٣٥- يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾

الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾

فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾

كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ ﴿٩﴾

وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ﴿١٠﴾

كِرَامًا كُنُيِينَ ﴿١١﴾

يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ (١)

٣٨- هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِ ﴿٢٤﴾

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ

مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ (٤)

لا يكرم من يهن الله:

٣٦- ﴿٢٠﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ

فَنَهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا

فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ

مُتَّكِنًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ

عَلَيْهِنَّ فَلَمَّارَاتُهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ

لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا لَمَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٢٢﴾ (٢)

٣٩- أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ

وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ

وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ

وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ

مِنْ مُّكْرَمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ (٥)

وصف الكافر بالكرم على سبيل التبكيت

والإهانة:

٤٠- إِنْ شَجَرْتَ الزُّقُومِ ﴿٤٣﴾

طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾

كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾

كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾

خَذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾

ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾

ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾

إِنْ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ (٦)

٣٧- وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ

أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ

بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾

لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ

بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ

إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصُرَ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ (٣)

الأحاديث الواردة في «الكرم»

بِالصَّالِحِينَ، أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَبَرَدَ
الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَمَاتِ وَلَذَّةَ نَظَرٍ إِلَى وَجْهِكَ، وَشَوْقًا إِلَى
لِقَائِكَ مِنْ غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، أَعُوذُ بِكَ
اللَّهُمَّ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَعْتَدِيَ أَوْ يُعْتَدَى عَلَيَّ، أَوْ
أَكْتَسَبَ خَطِيئَةً مُحِبَّةً، أَوْ ذَنْبًا لَا يُغْفَرُ، اللَّهُمَّ فَاطِرَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ذَا الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ، فَلِإِنِّي أَعْهَدُ إِلَيْكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَأُشْهِدُكَ وَكَفَى بِكَ شَهِيدًا، أَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، لَكَ الْمُلْكُ وَلَكَ الْحَمْدُ
وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ
وَرَسُولُكَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ وَعْدَكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةَ حَقٌّ،
وَالسَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنْتَ تَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ،
وَأَشْهَدُ أَنَّكَ إِنْ تَكَلَّمْتَ إِلَى نَفْسِي؛ تَكَلَّمْتَ إِلَى ضِيْعَةٍ
وَعَوْرَةٍ وَذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، وَإِنِّي لَا أَثِقُ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ فَاعْفِرْ
لِي ذَنْبِي كُلَّهُ إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَتُبْ عَلَيَّ
إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»*(٣).

٤ - * (عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ،

١ - * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا
بُعِثُوا، وَأَنَا خَطِيئُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيْسُوا،
لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى
رَبِّي، وَلَا فَخْرَ»*(١).

٢ - * (عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي إِذَا
رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»*(٢).

٣ - * (عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَّمَهُ دُعَاءً وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَعَاهَدَ بِهِ
أَهْلُهُ كُلَّ يَوْمٍ قَالَ: «قُلْ كُلَّ يَوْمٍ حِينَ تُصْبِحُ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ
لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ وَمِنْكَ وَبِكَ وَإِلَيْكَ،
اللَّهُمَّ مَا قُلْتُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ نَذَرْتُ مِنْ نَذْرٍ أَوْ حَلَفْتُ
مِنْ حَلْفٍ فَمَشِئَتُكَ بَيْنَ يَدَيْهِ، مَا شِئْتَ كَانَ، وَمَا لَمْ
تَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ وَمَا صَلَّيْتُ مِنْ صَلَاةٍ فَعَلَى مَنْ
صَلَّيْتُ، وَمَا لَعَنْتُ مِنْ لَعْنَةٍ فَعَلَى مَنْ لَعَنْتُ، إِنَّكَ أَنْتَ
وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي

صحيح سنن أبي داود (١٣٢٠) ورواية ابن ماجه،

(صحيح سنن ابن ماجه (٣١١٧)

(٣) أحمد (١٩١/٥) واللفظ له وذكره في المجمع وقال: رواه

أحمد والطبراني وأحد إسنادي الطبراني رجاله وثقوا وفي بقية

الأسانيد أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف.. ورواه

الطبراني في الكبير (١١٩/٥) رقم (٤٨٠٣)، رقم

(٤٩٣٢) (١٧٣/٥).

(١) الترمذي (٣٦١٠) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن

غريب. وقال محقق جامع الأصول: وهو كما قال (٥٢٧/٨)

- (٥٢٨) ومعناه في الصحيحين. وعزاه الحافظ في النكت

الظراف على الأطراف (٢١٨/١) إلى أبي يعلى.

(٢) الترمذي (٣٥٥٦) واللفظ له وقال: حديث حسن غريب،

وأبو داود (١٤٨٨) وابن ماجه (٣٨٦٥). وقال الألباني، في

مختصر العلو للعلی الغفار: صحيح وصحح رواية أبي داود،

وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا^(١)»*(^٢).

٥-*(عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ السَّاعِدِيِّ -

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ بَقِيَ مِنْ بَرِّ أَبَوَيْ شَيْءٍ أَبْرَهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَادُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوَصَّلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا»*(^٣).

٦-*(عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الصَّعْقِ - أَحَدِ بَنِي كِلَابٍ - إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَهُ عَنْ عَسْبٍ^(٤) الْفَحْلِ فَتَنَاهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنَّا نَكْرُمُ عَلَى ذَلِكَ»*(^٥)*(^٦).

٧-*(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟» قَالَا: الْجُوعُ. يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «وَأَنَا. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَخْرَجَنِي الَّذِي

أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا فَقَامُوا مَعَهُ. فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ، قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيْنَ فُلَانٌ؟». قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعِذُّ^(٧) لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبِيهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، قَالَ فَاَنْطَلَقَ فَجَاءَهُ هُمُ بَعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطْبٌ فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدِّيَةَ^(٨) فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكَ وَالْحُلُوبَ».

فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ. وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا؛ فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُّوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَتُسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمُ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ»*(^٩).

٨-*(عَنِ السَّائِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ: جِيءَ بِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ جَاءَ بِي عُثْمَانُ ابْنُ عَفَّانَ وَزُهَيْرٌ فَجَعَلُوا يُشْنُونَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ

(١) السَّفْسَافُ: الأمر الحقيق والردىء من كل شيء، وهو ضد المعالي والمكاره، وأصله ما يطير من غبار الدقيق إذا نخل، والتراب إذا أُثير.

(٢) الحاكم (٤٨/١) واللفظ له وقال: صحيح الإسناد. والطبراني في الكبير (١٨١/٦)، وقال العراقي في تخريج الإحياء: إسناده صحيح (٣٤٤/٣) وعزاه للخرائطي في مكارم الأخلاق والبيهقي، وذكره الألباني في الصحيحة (٣٣٦/٣)، (٣٣٧). وصححه في صحيح الجامع (١٨٠١).

(٣) أبو داود (٥١٤٢) واللفظ له. وابن ماجه (٣٦٦٤). وأحمد (٤٩٨/٣). وابن حبان رقم (٤١٨). والحاكم (١٥٤/٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه

الذهبي. وذكره الألباني في الصحيحة رقم (٩١٣).

(٤) عَسْبُ الْفَحْلِ: ماؤه فرسا كان أو بعيرا أو غيرها وضرايه أيضا، ولم ينه عنهما بل نهى عن الكراء الذي يؤخذ عليه.

(٥) أي يعطون عليه شيئا من باب الهدية والإكرام لا من باب الأجرة والثمن.

(٦) النسائي (٣١٠/٧) واللفظ له. وذكره الألباني في صحيحه (٩٦٧/٣) حديث (٤٣٥٧) وقال: صحيح.

(٧) يستعذب الماء: أي يأتي بالماء العذب الصافي.

(٨) المديّة: السكين.

(٩) مسلم (٢٠٣٨).

وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ (أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ). قَالَ:
حَتَّى تَمَيَّنْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْمَيِّتَ *^(٤).

١١ - * (عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ - قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ سَمِعَ
عِنْدَ وَجْهِهِ كَدَوِيَّ النَّحْلِ ، فَأُنْزِلَ عَلَيْهِ يَوْمًا فَمَكَّنَا
سَاعَةً ، فَسَرَّيَ عَنْهُ ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «
اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلَا تَقْصُصْنَا ، وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُثِنَّا ، وَأَعْظِمْنَا وَلَا
تَحْرِمْنَا ، وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا ، وَأَرْضِنَا وَارْضَ عَنَّا » ثُمَّ
قَالَ ﷺ: « أُنْزِلَ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ ، مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ
الْجَنَّةَ » ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ حَتَّى خَتَمَ عَشْرَ
آيَاتٍ *^(٥).

١٢ - * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
قَالَ: كَانَتْ الْأَنْصَارُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ تَقُولُ :

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا

عَلَى الْجِهَادِ مَا حَيَيْنَا أَبَدًا

فَأَجَابَهُمْ (أَيِ النَّبِيِّ ﷺ):

«اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ.

فَأَكْرِمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ» *^(٦).

١٣ - * (عَنْ ثَوْبَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ ، اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا

اللَّهُ ﷻ: «لَا تُعْلِمُونِي بِهِ قَدْ كَانَ صَاحِبِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ». قَالَ: قَالَ: نَعَمْ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَنِعَمَ الصَّاحِبُ كُنْتُ . قَالَ: فَقَالَ: «يَا سَائِبُ! انْظُرْ أَخْلَاقَكَ الَّتِي كُنْتَ تَصْنَعُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَاجْعَلْهَا فِي الْإِسْلَامِ . اِقْرِ الضَّيْفَ ، وَأَكْرِمِ الْيَتِيمَ ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ» *^(١)

٩ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:
قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَكْرَمُهُمْ
أَتَقَاهُمْ». قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ.
قَالَ: «فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ بْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ
اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ». قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ:
«أَفَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونَنِي؟». قَالُوا: نَعَمْ . قَالَ:
« فَخِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ . إِذَا
فَقَّهُوا^(٢) » *^(٣).

١٠ - * (عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ فَحَفِظْتُ
مِنْ دُعَائِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ ، وَعَافِهِ
وَاعْفُ عَنْهُ ، وَأَكْرِمْ نُزْلَهُ ، وَوَسِّعْ مَدْخَلَهُ ، وَاعْسِلْهُ بِالْمَاءِ
وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ
الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ ، وَأَهْلًا
خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ

(٣) البخاري - الفتح واللفظ له ٦ (٣٣٧٤). ومسلم (٢٣٧٨).

(٤) مسلم (٩٦٣).

(٥) الترمذي (٣١٧٣) واللفظ له. وأحمد (٣٤ / ١) وقال الشيخ

أحمد شاكر: إسناده صحيح (٢٥٥ / ١) حديث (٢٢٣).

والحاكم (٥٣٥) وقال: صحيح ووافقه الذهبي .

(٦) البخاري - الفتح ٧ (٣٧٩٦) واللفظ له. ومسلم (١٨٠٥).

(١) أحمد (٤٢٥ / ٣) واللفظ له وذكره الحافظ - في الإصابة

(١٠ / ٢) في ترجمته وقال لعله هو السائب بن أبي السائب

وكان شريك النبي ﷺ ، روى هذا أبو داود والنسائي وابن

أبي شيبة. وقال الهيثمي في المجمع: رواه أبو داود باختصار،

ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح (١٩٠ / ٨).

(٢) معناه: أن أصحاب المروءات ومكارم الأخلاق في الجاهلية

إذا أسلموا وفقهوا فهم خيار الناس.

وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» * (١).

١٤ - * (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» * (٢).

١٥ - * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْحُلُقَةِ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ جَلَسَ وَتَشَهَّدَ ثُمَّ دَعَا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْخَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ. إِنِّي أَسْأَلُكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَدْرُونَ بِمَ دَعَا؟». قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَقَدْ دَعَا اللَّهُ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ» * (٣).

١٦ - * (عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: لَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ، أَتَيْتُهُ، فَقَالَ: «يَا جَرِيرُ! لَأَيِّ شَيْءٍ جِئْتَ؟». قَالَ: جِئْتُ لِأُسَلِّمَ عَلَى يَدَيْكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: فَأَلْقَى إِلَيَّ كِسَاءَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَقَالَ: «إِذَا جَاءَ كُمْ كَرِيمٌ قَوْمٌ فَأَكْرِمُوهُ».

وَقَالَ: وَكَانَ لَا يَرَانِي بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ * (٤).

١٧ - * (عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ إِلَّا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ، وَقَالَ «اقْتُلُوهُمْ وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ». عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطْلٍ، وَمَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ. فَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطْلٍ، فَأَذْرَكَ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، فَاسْتَبَقَ إِلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ حُرَيْثٍ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، فَسَبَقَ سَعِيدٌ عَمَّارًا وَكَانَ أَشَبَّ الرَّجُلَيْنِ فَقَتَلَهُ، وَأَمَّا مَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ فَأَذْرَكَهُ النَّاسُ فِي السُّوقِ فَقَتَلُوهُ. وَأَمَّا عِكْرَمَةُ فَرَكِبَ الْبَحْرَ فَأَصَابَتْهُمْ عَاصِفَةٌ. فَقَالَ أَصْحَابُ السَّفِينَةِ: أَخْلِصُوا فَإِنَّ آلِهَتَكُمْ لَا تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا هَهُنَا، فَقَالَ عِكْرَمَةُ: وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ يُنَجِّنِي مِنَ الْبَحْرِ إِلَّا الْإِخْلَاصُ، لَا يُنَجِّنِي فِي الْبَرِّ غَيْرُهُ، اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ عَهْدًا إِنْ أَنْتَ عَافَيْتَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ أَنْ آتِيَ مُحَمَّدًا ﷺ حَتَّى أَضَعَ يَدِي فِي يَدِهِ فَلَأَجِدَنَّهُ عَفْوًا كَرِيمًا، فَجَاءَ فَأَسْلَمَ. وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ، فَإِنَّهُ اخْتَبَأَ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ جَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: بَايَعُ

(٤) ابن ماجه (٣٧١٢) من حديث ابن عمر بدون القصة. وسنن البيهقي (١٦٨/٨). وذكره الألباني في الصحيحة (٢٠٤/٣) رقم (١٢٠٥) فانظره هناك فقد ذكر له طرقا كثيرة.

(١) مسلم (٥٩١).
(٢) البخاري - الفتح ١١ (٦٣٤٦). ومسلم (٢٧٣٠) واللفظ له
(٣) النسائي (٥٢/٣) وذكره الألباني وقال: صحيح
(٢٧٩/١) رقم (١٢٣٣). وابن ماجه (٣٨٥٨). وأحمد (١٥٨/٣) واللفظ له.

عَبْدَ اللَّهِ ، قَالَ : فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلَاثًا ، كُلُّ ذَلِكَ يَأْتِي ، فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : « أَمَّا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَأَيْتُ كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلُهُ ؟ » . فَقَالُوا : وَمَا يُدْرِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فِي نَفْسِكَ ؟ هَلَّا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ ؟ قَالَ : « إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَائِنَةٌ أَعْيُنٌ » * (١) .

١٨ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا كَانَ مِنْ صَدَاقٍ أَوْ حِبَاءٍ ^(٢) أَوْ هَبَةٍ قَبْلَ عِصْمَةِ النِّكَاحِ ^(٣) فَهُوَ لَهَا ، وَمَا كَانَ بَعْدَ عِصْمَةِ النِّكَاحِ فَهُوَ لِمَنْ أُعْطِيَهِ أَوْ حُبِّي ، وَأَحَقُّ مَا يُكْرَمُ الرَّجُلُ بِهِ ابْنَتُهُ أَوْ أُخْتُهُ » * (٤) .

١٩ - * (عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ أَذْنَبَ فِي الدُّنْيَا ذَنْبًا فَعُوقِبَ بِهِ ، فَاللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يُثَنِّيَ عُقُوبَتَهُ عَلَى عَبْدِهِ ، وَمَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا فِي الدُّنْيَا فَسَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَفَا عَنْهُ ، فَاللَّهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَعُودَ فِي شَيْءٍ قَدْ عَفَا

عَنْهُ » * (٥) .

٢٠ - * (عَنْ أَبِي بَكْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ أَكْرَمَ سُلْطَانُ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فِي الدُّنْيَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ أَهَانَ سُلْطَانُ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فِي الدُّنْيَا أَهَانَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » * (٦) .

٢١ - * (عَنْ أَبِي شَرِيحٍ الْعَدَوِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ أَذْنَائِي وَأَبْصَرْتُ عَيْنَائِي حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَالَ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ ^(٧) ، قِيلَ : وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » * (٨) .

٢٢ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

(١) النسائي (١٠٥ / ٧) واللفظ له . وقال الألباني : صحيح (٨٥٣ / ٢) رقم (٣٧٩١) . وأبو داود (٢٦٨٣) .

(٢) الحِبَاءُ : العَطِيَّةُ وهو ما يُعْطِيهِ الزَّوْجُ سِوَى الصَّدَاقِ بِطَرِيقِ الْهَبَةِ ، أَوْ بِلَا تَصْرِيحٍ بِالْهَبَةِ .

(٣) قبل عصمة النكاح : أي قبل عقد النكاح .

(٤) أبو داود (٢١٢٩) . والنسائي (١٢٠ / ٦) . وابن ماجه (١٩٥٥) واللفظ له . وأحمد (١٨٢ / ٢) وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح (١٧٨ / ١٠) حديث (٦٧٠٩) . والبيهقي (٢٤٨ / ٧) .

(٥) الترمذي (٢٦٢٦) وقال : هذا حديث حسن غريب

صحيح . وابن ماجه (٢٦٠٤) . وأحمد (٩٩ / ١) واللفظ له وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح (١١٨ / ٢) رقم (٥٧٧) . والحاكم (٤٥٥ / ٢) وقال : صحيح على شرط البخاري ومسلم وأقره الذهبي .

(٦) أحمد في المسند (٢٤٢ / ٥) والترمذي (٢٢٢٤ / ٤) وابن أبي عاصم في السنة (٤٧٨ / ٢) وحسنه الألباني والبيهقي في السنن الكبرى (١٦٢ / ٨) وهو حديث حسن بشواهده .

(٧) أي يضاف ثلاثة أيام ، ثم يعطيه ما يجوز مسافة يوم وليلة .

(٨) البخاري - الفتح ١٠ (٦٠١٩) واللفظ له . مسلم (٤٨) .

فَلْيُكْرِمَ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ) * (١).

٢٣ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ غَرٌّ^(٢) كَرِيمٌ ، وَالْفَاجِرُ
خَبٌّ^(٣) لَيْيْمٌ» * (٤).

٢٤ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ
رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ ، فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ ، فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا
إِلَّا الْمَاءُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ
هَذَا؟ » فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا . فَاذْطَلَقَ بِهِ إِلَى

امْرَأَتِهِ ، فَقَالَ: أَكْرَمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَقَالَتْ:
مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صَبْيَانِي فَقَالَ: هَبِّي طَعَامَكَ
وَأَصْبِحِي^(٥) سِرَاجَكَ وَتَوَمِّي صَبْيَانِكَ إِذَا أَرَادُوا
عَشَاءً ، فَهَيَّاتِ طَعَامَهَا وَأَصْبَحْتِ سِرَاجَهَا وَتَوَمَّتِ
صَبْيَانَهَا ، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهُمَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأُطْفِئَتْهُ ،
فَجَعَلَ يُرِيَانِهِ أَنَّهَا يَأْكُلَانِ ، فَبَاتَا طَاوِينَ^(٦) ، فَلَمَّا
أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ: « ضَحِكَ اللَّهُ
اللَّيْلَةَ أَوْ عَجِبَ مِنْ فِعَالِكُمَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ » (الحشر / ٩) * (٧).

الأحاديث الواردة في «الكرم» معنى

٢٥ - * (عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا - قَالَ: إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفَرُ فَعَرَضْتُ كُذْيَةً^(٨)
شَدِيدَةً ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُذْيَةٌ عَرَضْتُ فِي
الْخَنْدَقِ فَقَالَ: أَنَا نَازِلٌ . ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ^(٩)
بِحَجَرٍ ، وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوْاقًا . فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ
الْمِعْوَلَ فَضْرَبَ فِي الْكُذْيَةِ ، فَعَادَ كَثِيرًا^(١٠) أَهْيَلٌ^(١١) أَوْ
أَهْيَمَ . فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ائْذَنْ لِي إِلَى الْبَيْتِ ، فَقُلْتُ

لَا مِرَاتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ .
فَعِنْدَكَ شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعِنَاقٌ . فَذَبَحْتُ
الْعِنَاقَ^(١٢) وَطَحَنْتِ الشَّعِيرَ ، حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ
بِالْبُرْمَةِ^(١٣) . ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْعَجِينُ قَدْ
انْكَسَرَ ، وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَثَافِي^(١٤) قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ ،
فَقُلْتُ: طُعِيمٌ لِي ، فَقُمِ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ أَوْ
رَجُلَانِ . قَالَ: «كَمْ هُو؟» . فَذَكَرْتُ لَهُ . فَقَالَ: كَثِيرٌ

(١) البخاري - الفتح ١٠ (٦٠١٨) واللفظ له . ومسلم (٤٧).

(٢) الغر: الرجل غير المجرب .

(٣) الخب: الرجل الخداع .

(٤) أبو داود (٤٧٩٠) واللفظ له وقال الألباني: صحيح
(٩٠٩/٣) . والترمذي (١٩٦٤) . والحاكم (٤٣/١).

والبخاري في الأدب المفرد (٤١٨) ص (١٥١) . وذكره

المنذري في الترغيب والترهيب (٣/٣٨٢) . وذكره الألباني

في الصحيحة (٦٤٤/٢) رقم (٩٣٥) . وقال محقق «جامع

الأصول» (٧٠١/١١) : وهو حديث حسن .

(٥) أصبَحِي السراج: يعني أوقديه .

(٦) طاويين: جائعين .

(٧) البخاري - الفتح ٧ (٣٧٩٨) واللفظ له . ومسلم (٢٠٥٤).

(٨) الكدية: القطعة الشديدة الصلبة من الأرض .

(٩) معصوب: مربوط .

(١٠) كثيبا: رملا .

(١١) أهيل: غير متماسك .

(١٢) العناق: أنثى المعز .

(١٣) البرمة: القدر .

(١٤) الأثافي: الحجارة التي توضع عليها القدور .

طَيِّبٌ . قَالَ : « قُلْ لَهَا لَا تَنْزِعِ الْبُرْمَةَ وَلَا الْخُبْزَ مِنَ الثُّنُورِ حَتَّى آتِيَ . فَقَالَ : « قُومُوا » . فَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ . قَالَ : وَيْحَكَ ، جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ . قَالَتْ : هَلْ سَأَلَكِ ؟ . قُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَ : « ادْخُلُوا وَلَا تَصَاغَطُوا » ^(١) . فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ وَيُخَمِّرُ ^(٢) الْبُرْمَةَ وَالثُّنُورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ ، وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ ^(٣) فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ . قَالَ : « كُلِي هَذَا وَأَهْدِي ، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ » * ^(٤) .

٢٦ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ :

جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقِدْنَ أَنْ لَا يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا . قَالَتِ الْأُولَى : زَوْجِي لَحْمٌ جَمَلٌ غَثٌّ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ ، لَا سَهْلٌ فَيُرْتَقَى ، وَلَا سَمِينٌ فَيُسْتَقَلُّ . قَالَتِ الثَّانِيَةُ : زَوْجِي لَا أَبْتُ خَبْرَهُ ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا أَذَرَهُ ، إِنْ أَذْكَرُهُ أَذْكَرُ عُجْرَهُ وَبُجْرَهُ . قَالَتِ الثَّالِثَةُ : زَوْجِي الْعَشَقُّ ، إِنْ أَنْطَقَ أَطْلَقَ ، وَإِنْ أَسْكُتَ أُعْلِقَ . قَالَتِ الرَّابِعَةُ : زَوْجِي كَلِيلُ تِهَامَةٍ ، لَا حَرٌّ وَلَا قُرٌّ وَلَا مَخَافَةٌ وَلَا سَامَةٌ . قَالَتِ الْخَامِسَةُ : زَوْجِي إِذَا دَخَلَ فَهَدَ ، وَإِنْ خَرَجَ أَسَدَ ، وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا عَهِدَ . قَالَتِ السَّادِسَةُ : زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفَّ ، وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفَّ ، وَإِنْ اضْطَجَعَ التَّفَّ ، وَلَا يُوَلِّجُ الْكَفَّ لِيَعْلَمَ الْبَثَّ . قَالَتِ السَّابِعَةُ : زَوْجِي غَيَايَاءُ أَوْ عَيَايَاءُ طَبَقَاءُ ، كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ ، شَجَكٍ أَوْ فَلَكَ أَوْ جَمَعَ

كُلًّا لَكَ . قَالَتِ الثَّامِنَةُ : زَوْجِي الْمُسُّ مَسُّ أَرْزَبٍ ، وَالرَّيْحُ رِيحُ زَرْبٍ . قَالَتِ التَّاسِعَةُ : زَوْجِي رَفِيعُ الْعِمَادِ ، طَوِيلُ النَّجَادِ ، عَظِيمُ الرَّمَادِ ، قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنَ النَّادِ . قَالَتِ الْعَاشِرَةُ : زَوْجِي مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ ، مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ ، لَهُ إِبْلٌ كَثِيرَاتُ الْمُبَارِكِ ، قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ ، وَإِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمِزْهَرِ ، أَيْقَنَنَّ أَنَّهُنَّ هَوَالِكُ . قَالَتِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ ، فَمَا أَبُو زَرْعٍ ، أَنَسٌ مِنْ حُلِيِّ أُذُنِي ، وَمَلَأٌ مِنْ شَحْمِ عَضْدِي ، وَبَجَحْنِي فَبَجَحْتُ إِلَى نَفْسِي ، وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشَقٍّ ، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ ، وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ ، فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أَقْبَحُ ، وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ ، وَأَشْرَبُ فَأَتَقَبَّحُ . أُمُّ أَبِي زَرْعٍ ، فَمَا أُمُّ أَبِي زَرْعٍ ؟ ، عُكُومُهَا رَدَاخٌ ، وَبَيْتُهَا فَسَاخٌ ، ابْنُ أَبِي زَرْعٍ فَمَا ابْنُ أَبِي زَرْعٍ ؟ ، مَضْجَعُهُ كَمَسَلٍ شَطْبَةٍ ، وَيُسْبِعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ ، بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ ، فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ ؟ طَوْعُ أَبِيهَا ، وَطَوْعُ أُمِّهَا ، وَمِلْءُ كِسَائِهَا ، وَغَيْظُ جَارَتِهَا . جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ ، فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ ؟ لَا تَبْتُ حَدِيثَنَا تَبْثِيثًا ، وَلَا تُنْقِثُ مِيرَتَنَا تُنْقِثًا ، وَلَا تَمْلَأُ بَيْتَنَا تَعْشِيشًا ؛ قَالَتْ : خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ وَالْأَوْطَابُ تُمَخَضُ ، فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَانَتَيْنِ ، فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا ، فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا ، رَكِبَ شَرِيًّا ، وَأَخَذَ خَطِيئًا ، وَأَرَاخَ عَلَيَّ نَعْمًا ثَرِيًّا ، وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا ، وَقَالَ : كُلِي أُمَّ زَرْعٍ ، وَمِيرِي أَهْلَكَ ، قَالَتْ : فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آنِيَةٍ

(٣) ثم ينزع: أي يأخذ اللحم من البرمة.

(٤) البخاري - الفتح ٧ (٤١٠١). ومسلم (٢٠٣٩).

(١) ولا تضاغطوا: أي لا تزدهوا.

(٢) يُخَمِّرُ البرمة: أي يغطيها.

أَبِي زَرْعٍ . قَالَتْ عَائِشَةُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ » * (١) .

٢٧ - * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: لَمَّا قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ الْمَدِينَةَ مِنْ مَكَّةَ ، وَلَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ ، (يَعْنِي شَيْئًا) ، وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ أَهْلَ الْأَرْضِ وَالْعَقَارِ ، فَقَاسَمَهُمُ الْأَنْصَارُ عَلَى أَنْ يُعْطُوهُمْ ثَمَارَ أَمْوَالِهِمْ كُلِّ عَامٍ وَيُكْفُوهُمْ الْعَمَلَ وَالْمُؤَنَةَ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أُمُّ أَنَسٍ ، أُمُّ سُلَيْمٍ كَانَتْ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ،

فَكَانَتْ أُعْطَتْ أُمُّ أَنَسٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عِذَاقًا (٢) . فَأَعْطَاهُنَّ النَّبِيُّ ﷺ أُمُّ أَيْمَنَ مَوْلَاتُهُ أُمُّ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ . قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : فَأَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا فَرَّغَ مِنْ قِتَالِ أَهْلِ خَيْبَرَ ، فَانْصَرَفَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، رَدَّ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى الْأَنْصَارِ مَنَائِحَهُمْ (٣) - مِنْ ثَمَارِهِمْ - فَرَدَّ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أُمِّهِ عِذَاقَهَا ، فَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُمُّ أَيْمَنَ مَكَانَهُنَّ (٤) مِنْ حَائِطِهِ (٥) * (٦) .

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في «الكرم»

٢٨ - * (عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: بَيْنَمَا أَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ النَّاسُ مَقْفَلَةٌ (٧) مِنْ حُنَيْنٍ ، فَعَلِقْتُ (٨) النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ فَوَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَالَ: « أَعْطُونِي رِدَائِي ، لَوْ كَانَ لِي عِدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ (٩) نَعْمًا لَقَسَمْتُهِ بَيْنَكُمْ ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بِخِيَلًا وَلَا كَذُوبًا وَلَا جَبَانًا » * (١٠) .

٢٩ - * (عَنِ الْمُقَدَّادِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي ، وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا

مِنَ الْجَهْدِ ، فَجَعَلْنَا نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبَلُنَا . فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ فَاَنْطَلَقَ بِنَا إِلَى أَهْلِهِ ، فَإِذَا ثَلَاثَةٌ أَعْنَزٍ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « ااخْتَلِبُوا هَذَا اللَّبَنَ بَيْنَنَا » . قَالَ : فَكُنَّا نَحْتَلِبُ فَيَشْرَبُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَّا نَصِيبَهُ . وَنَرْفَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَصِيبَهُ ... الْحَدِيثُ) * (١١) .

٣٠ - * (عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِبُرْدَةٍ . فَقَالَ سَهْلٌ لِلْقَوْمِ: أَتَذَرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ . فَقَالَ الْقَوْمُ: هِيَ شَمْلَةٌ .

(١) البخاري - الفتح ٩ (٥١٨٩) واللفظ له . مسلم

(٢) البخاري - الفتح ٥ (٢٦٣٠) واللفظ له . ومسلم (١٧٧١) .

(٣) مقفلة : زمان رجوعه .

(٤) فعلقت : أي طفقت وأخذت .

(٥) العِضَاه : شجر ذو شوك .

(٦) البخاري - الفتح ٦ (٢٨٢١) .

(٧) مسلم (٢٠٥٥) .

عديدة فأغنانا ذلك عن إعادته هنا .

(٢) العِذَاق : جمع عِذْق وهي النخلة .

(٣) منائِحهم : جمع منيحة والمنيحة هي المنحة .

(٤) مكانهن : أي بدلهن .

(٥) حائطه : أي بستانه .

عَلَيْهِ السَّلَامُ لَامَهُ أَصْحَابُهُ ، فَقَالُوا: مَا أَحْسَنْتَ حِينَ رَأَيْتَ
النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَهَا مُحْتَاجًا إِلَيْهَا. ثُمَّ سَأَلَتْهُ إِيَّاهَا وَقَدْ
عَرَفَتْ أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعُهُ . فَقَالَ: رَجَوْتُ بَرَكَتَهَا
حِينَ لَبَسَهَا النَّبِيُّ ﷺ لَعَلِّي أَكْفَنُ فِيهَا)*^(١).

فَقَالَ سَهْلٌ: هِيَ شَمْلَةٌ مَنْسُوجَةٌ فِيهَا حَاشِيَتُهَا فَقَالَتْ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَكْسُوكَ هَذِهِ . فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَلَبَسَهَا ،
فَرَأَاهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا
أَحْسَنَ هَذِهِ ، فَاكْسِنِيهَا. فَقَالَ: «نَعَمْ». فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ

من الآثار وأقوال العلماء الواردة في «الكرم»

أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى هَذَا فَبَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَبْعَثُ بِهِ
وَاحِدٌ إِلَى آخَرَ حَتَّى رَجَعَتْ إِلَى الْأَوَّلِ بَعْدَ
سَبْعَةٍ)*^(٤).

٤ - * (قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «مَا
أَحْتَذَى النَّعَالَ وَلَا انْتَعَلَ وَلَا رَكِبَ الْمَطَايَا، وَلَا لَبَسَ
الْكُورَ»^(٥) مِنْ رَجُلٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَفْضَلُ مِنْ جَعْفَرِ
ابْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي الْجُودِ وَالْكَرَمِ)*^(٦).

٥ - * (قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -
«أَمْطَرُ الْمَعْرُوفَ مَطَرًا، فَإِنْ أَصَابَ الْكَرَامَ كَانُوا لَهُ
أَهْلًا، وَإِنْ أَصَابَ اللَّيِّامَ كُنْتُ لَهُ أَهْلًا»)*^(٧).

٦ - * (قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -:
«الْمُرُوءَةُ: حِفْظُ الرَّجُلِ دِينَهُ، وَحِذْرُهُ نَفْسَهُ، وَحُسْنُ
قِيَامِهِ بِضَيْفِهِ وَحُسْنُ الْمَنَازَعَةِ، وَالْإِقْدَامُ فِي الْكَرَاهِيَةِ .
وَالنَّجْدَةُ: الذَّبُّ عَنِ الْجَارِ، وَالصَّبْرُ فِي الْمَوَانِ^(٨) ،
وَالْكَرَمُ: التَّبَرُّعُ بِالْمَعْرُوفِ قَبْلَ السُّؤَالِ ، وَالْإِطْعَامُ فِي

١ - * (قَالَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -:
«مَا أَصْبَحْتُ صَبَاحًا قَطُّ فَرَأَيْتُ بِفَنَائِي طَالِبَ حَاجَةٍ
قَدْ ضَاقَ بِهَا ذَرْعًا فَقَضَيْتُهَا إِلَّا كَانَتْ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي
أَحْمَدُ اللَّهُ عَلَيْهَا ، وَلَا أَصْبَحْتُ صَبَاحًا لَمْ أَرِ بِفَنَائِي
طَالِبَ حَاجَةٍ ، إِلَّا كَانَ ذَلِكَ مِنَ الْمَصَائِبِ الَّتِي أَسْأَلُ
اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - الْأَجْرَ عَلَيْهَا»)*^(٢).

٢ - * (قَالَ جُوَيْرِيَةُ بْنُ أَسْمَاءَ: «قُطِعَ بِرَجُلٍ
بِالْمَدِينَةِ فَقِيلَ لَهُ: عَلَيْكَ بِحَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ، فَأَتَاهُ وَهُوَ فِي
الْمَسْجِدِ فَذَكَرَ لَهُ حَاجَتَهُ ، فَقَامَ مَعَهُ ، فَاِنْطَلَقَ مَعَهُ إِلَى
أَهْلِهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ دَارَهُ رَأَى غُلَمًا نَالَ لَهُ يُعَالِجُونَ أَدَاةً مِنْ
أَدَاةِ الْإِبِلِ ، فَرَمَى إِلَيْهِمْ بِخِرْقَةٍ مَعَهُ فَقَالَ : اسْتَعِينُوا
بِهَذِهِ عَلَى بَعْضِ مَا تُعَالِجُونَ ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِرَاحِلَةٍ مُقْتَبَةِ
مُحَقَّبَةٍ ، وَزَادًا»)*^(٣).

٣ - * (قَالَ ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -:
«أُهْدِيَ لِرَجُلٍ رَأْسُ شَاةٍ ، فَقَالَ: إِنَّ أَخِي وَعِيَالَهُ

(٦) أحمد (٤١٤).

(٧) الإحياء (٢٤٧/٣).

(٨) الموان: يقال مان الرجل أهله يمونهن إذا كفاهم وأنفق
عليهم.

(١) البخاري - الفتح ١٠ (٦٠٣٦).

(٢) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (١٠٧).

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة.

(٤) الفتح (١٢٠/٧) وعزاه لابن مردويه.

(٥) الكور: العمامة.

المحل^(١)، والرأفة بالسائل مع بذل النائل^(٢).*

٧ - * (قال أبو الأسود: دخل على الحسن بن علي رضي الله عنهم - نفر من أهل الكوفة وهو يأكل طعاماً فسلموا عليه وقعدوا، فقال لهم الحسن: «الطعام أيسر من أن يقسم عليه، فإذا دخلتم على رجل منزله فقرب طعامه، فكلوا من طعامه، ولا تنتظروا، فتقدم القوم فأكلوا، ثم سأله حاجتهم فقضاها لهم»)*^(٣).

٨ - * (قال عبد الله بن الحارث: «من لم يكرم ضيفه فليس من محمد ﷺ ولا من إبراهيم عليه السلام»)*^(٤).

٩ - * (قال السلمي - رحمه الله تعالى - : «آداب الصُحبة على أوجه ذكر منها: صُحبة الوالدين فقال: تكون ببرهما بالخدمة بالنفس والمال في حياتهما، وإنجاز وعدهما بعد وفاتهما، والدعاء لهما في كل الأوقات، وإكرام أصدقائهما»)*^(٥).

١٠ - * (قال محمد بن سيرين - رحمه الله تعالى -: «كانوا يقولون: لا تكرم صديقك بما شق عليه»)*^(٦).

١١ - * (قال أحمد بن عبد الأعلى الشيباني وأحمد بن عبيد العنيزي: «إن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنهما - كان في سفر له فمر بفتيان

يوقدون تحت قدر لهم، فقام إليه أحدهم فقال: أقول له حين ألفيته

عليك السلام أبا جعفر فوقف، وقال: السلام عليك ورحمة الله. قال:

وهدي ثيابي قد أخلقت

وقد عَضَّني زمنٌ مُنكرٌ
قال له: فهدي ثيابي مكانها. وكان عليه جبة خزر وعمامة خزر.

فقال الرجل:

وأنت كريم بني هاشم

وفي البيت منها الذي يُذكر
قال له: يا ابن أخي ذلك رسول الله ﷺ)*^(٧).

١٢ - * (قال مالك بن دينار - رحمه الله تعالى -: «المؤمن كريم في كل حالة، لا يحب أن يؤذي جاره، ولا يفتقر أحد من أقربائه - ويبيكي وهو يقول -: وهو والله مع ذلك غني القلب، لا يملك من الدنيا شيئاً، إن أزلته عن دينه لم يزل، وإن خدعته عن ماله انخدع، لا يرى الدنيا من الآخرة عوضاً، ولا يرى البخل من الجود حظاً، منكسر القلب ذو هموم قد تفرَّد بها، مكتئب محزون ليس له في فرح الدنيا

(٥) آداب العشرة، للغزي (ص ٤٤).

(٦) الأدب المفرد، للبخاري (١٢٦).

(٧) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (١٠٨).

(١) المحل: الشدة، وقيل: الجوع الشديد، وقيل: الجذب.

(٢) الإحياء (٢٤٦/٣).

(٣) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (١١٠).

(٤) جامع العلوم والحكم (١٣٢).

نَصِيبٌ، إِنْ أَتَاهُ مِنْهَا شَيْءٌ فَرَّقَهُ ، وَإِنْ زُوِيَ عَنْهُ كُلُّ شَيْءٍ فِيهَا لَمْ يَطْلُبْهُ - وَيَبْكِي وَيَقُولُ - : هَذَا وَاللَّهِ الْكَرَمُ ، هَذَا وَاللَّهِ الْكَرَمُ* (١).

١٣ - * (قَالَ جَعْفَرُ الصَّادِقُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : «لَا مَالٌ أَعُونُ مِنَ الْعَقْلِ ، وَلَا مُصِيبَةٌ أَعْظَمُ مِنَ الْجَهْلِ ، وَلَا مُظَاهَرَةٌ كَالْمُشَاوَرَةِ ، أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَقُولُ : (إِنِّي جَوَادٌ كَرِيمٌ ، لَا يُجَاوِرُنِي لَيْثٌ) وَاللُّؤْمُ مِنَ الْكُفْرِ ، وَأَهْلُ الْكُفْرِ فِي النَّارِ ، وَالْجُودُ وَالْكَرَمُ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَأَهْلُ الْإِيمَانِ فِي الْجَنَّةِ »)* (٢).

١٤ - * (قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : «لِيَتَّقِ الرَّجُلُ دَنَاءَةَ الْأَخْلَاقِ كَمَا يَتَّقِي الْحَرَامَ ، فَإِنَّ الْكَرَمَ دِينٌ»)* (٣).

١٥ - * (قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْوَاسِطِيِّ : حَدَّثَنِي صَدِيقِي لِي : «أَنَّ أَعْرَابِيًّا انْتَهَى إِلَى قَوْمٍ فَقَالَ : يَا قَوْمِ أَرَى وُجُوهًا وَضِيئَةً ، وَأَخْلَاقًا رَضِيئَةً ، فَإِنْ تَكُنِ الْأَسْمَاءُ عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ فَقَدْ سَعِدَتْ بِكُمْ أُمُكُمْ ، تَسَمَّوْا بِأَبِي أَنْتُمْ ، قَالَ أَحَدُهُمْ : أَنَا عَطِيَّةُ ، وَقَالَ الْآخَرُ : أَنَا كَرَامَةُ ، وَقَالَ الْآخَرُ : أَنَا عَبْدُ الْوَاسِعِ ، وَقَالَ الْآخَرُ : أَنَا فَضِيلَةُ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ : كَرَمٌ وَبَذَلٌ وَاسِعٌ وَعَطِيَّةٌ

لَا أَيْنَ أَذْهَبُ أَنْتُمْ أَعَيْنُ الْكَرَمِ مَنْ كَانَ بَيْنَ فَضِيلَةٍ وَكَرَامَةٍ

لَا رَيْبَ يَفْقَهُوْا أَعَيْنُ الْعَدَمِ

قَالَ : فَكَسَّوْهُ وَأَحْسَنُوا إِلَيْهِ وَأَنْصَرَفَ شَاكِرًا)* (٤).

١٦ - * (قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَنِيُّ :

«جُلَسَاءُ الرَّحْمَنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ جَعَلَ فِي قَلْبِهِ خِصَالًا : الْكَرَمَ وَالسَّخَاءَ وَالْحِلْمَ وَالرَّأْفَةَ وَالشُّكْرَ وَالْبِرَّ وَالصَّبْرَ»)* (٥).

١٧ - * (قَالَ الْمَأُورِدِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : «اعْلَمْ أَنَّ الْكَرِيمَ يُجْتَزَى بِالْكَرَامَةِ وَاللُّطْفِ ، وَاللَّيِّمُ يُجْتَزَى بِالْمَهَانَةِ وَالْعُنْفِ ، فَلَا يُجُودُ إِلَّا خَوْفًا ، وَلَا يُجِيبُ إِلَّا عُنْفًا ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

رَأَيْتُكَ مِثْلَ الْجَوْرِ يَمْنَعُ لُبَّهُ

صَحِيحًا وَيُعْطِي خَيْرَهُ حِينَ يُكْسَرُ
فَاحْذَرِ أَنْ تَكُونَ الْمَهَانَةُ طَرِيقًا إِلَى اجْتِدَائِكَ ،
وَالْخَوْفُ سَبِيلًا إِلَى عَطَائِكَ ، فَيَجْرِي عَلَيْكَ سَفَهُ
الطُّغَامِ ، وَامْتِهَانُ اللَّئَامِ ، وَلْيَكُنْ جُودُكَ كَرَمًا وَرَغْبَةً ، لَا
لُؤْمًا وَرَهْبَةً»)* (٦).

١٨ - * (قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : «إِنَّ الْجَمِيعَ يَتِمَادُ حُونَ بِالشَّجَاعَةِ وَالْكَرَمِ ، حَتَّى إِنْ ذَلِكَ عَامَّةٌ مَا تَمْدَحُ بِهِ الشُّعْرَاءُ مَمْدُوحِيهِمْ فِي شِعْرِهِمْ ، وَكَذَلِكَ يَتَذَامُّونَ بِالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ ، ثُمَّ قَالَ : وَلَمَّا كَانَ صَلَاحُ بَنِي آدَمَ لَا فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ إِلَّا بِالشَّجَاعَةِ وَالْكَرَمِ ، بَيَّنَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّى عَنْهُ بِتَرْكِ الْجِهَادِ بِنَفْسِهِ أَبَدَلَ اللَّهُ بِهِ مَنْ يَقُومُ بِذَلِكَ ، وَمَنْ تَوَلَّى عَنْهُ بِإِنْفَاقٍ مَالِهِ أَبَدَلَ اللَّهُ بِهِ مَنْ يَقُومُ بِذَلِكَ . فَقَالَ : ﴿هَا

(٤) المنتقى من مكارم الأخلاق ، للخرائطي (١٣٥).

(٥) عدة الصابرين (١٤٤).

(٦) أدب الدنيا والدين (٢٤٣ - ٢٤٤).

(١) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (١٠٨).

(٢) الإحياء (٣/ ٢٦١).

(٣) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (١٢).

بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِنَّمَا يَحْصُلُ ذَلِكَ مِنَ الْمُتَّقِي . قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ وَكُلُّ فَائِقٍ فِي
بَابِهِ يُقَالُ لَهُ كَرِيمٌ ﴿ ٢ ﴾ .

٢٠ - ﴿ قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْغَزِّيِّ - رَحِمَهُ

اللَّهُ تَعَالَى :- « مِنْ آدَابِ الْعِشْرَةِ إِثَارُ الْإِخْوَانِ بِالْكَرَامَةِ
عَلَى نَفْسِهِ . ثُمَّ قَالَ : قَالَ أَبُو عُثْمَانَ : مَنْ عَاشَرَ النَّاسَ وَلَمْ
يُكْرِمُهُمْ ، وَتَكَبَّرَ عَلَيْهِمْ فَذَلِكَ لِقَلَّةِ رَأْيِهِ وَعَقْلِهِ ، فَإِنَّهُ
يُعَادِي صَدِيقَهُ وَيُكْرِمُ عَدُوَّهُ ، فَإِنَّ إِخْوَانَهُ فِي اللَّهِ
أَصْدِقَاؤُهُ ، وَنَفْسُهُ عَدُوُّهُ ﴾ ﴿ ٣ ﴾ .

٢١ - ﴿ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

لَيْسَ الْكَرِيمُ الَّذِي إِنْ زَلَّ صَاحِبُهُ

بَثَّ اللَّذِي كَانَ مِنْ أَسْرَارِهِ عِلْمًا

إِنَّ الْكَرِيمَ الَّذِي تَبَقَّى مَوَدَّتُهُ

وَيَحْفَظُ السِّرَّ إِنْ صَافَى وَإِنْ صَرَمَا ﴾ ﴿ ٤ ﴾

أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ
يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ
وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا
يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ (محمد / ٣٨) . ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :
وَبِالشَّجَاعَةِ وَالْكَرَمِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَضَّلَ اللَّهُ السَّابِقِينَ ،
فَقَالَ : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ
أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا
وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ (الحديد / ١٠) . وَقَدْ ذَكَرَ
الْجِهَادَ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ فِي سَبِيلِهِ وَمَدَحَهُ فِي غَيْرِ آيَةٍ مِنْ
كِتَابِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ الشَّجَاعَةُ وَالسَّامِحَةُ فِي طَاعَتِهِ -
سُبْحَانَهُ - وَطَاعَةُ رَسُولِهِ ﴾ ﴿ ١ ﴾ .

١٩ - ﴿ قَالَ ابْنُ حَجَرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :- « لَا

يُقَالُ لِلرَّجُلِ كَرِيمٌ حَتَّى يَظْهَرَ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَلَمَّا كَانَ أَكْرَمُ
الْأَفْعَالِ مَا يُقْصَدُ بِهِ أَشْرَفُ الْوُجُوهِ ، وَأَشْرَفُهَا مَا يُقْصَدُ

من فوائد «الكرم»

(٧) حُسْنُ ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ .

(٨) دَلِيلُ عِرَاقَةِ الْأَصْلِ .

(٩) يَبْعَثُ عَلَى التَّكَافُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ وَالتَّوَادُّ بَيْنَ النَّاسِ .

(١٠) هُوَ صِفَةُ كَمَالٍ فِي الْإِنْسَانِ .

(١١) دَلِيلُ زُهْدِ الْإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا .

(١٢) هُوَ مُوَافِقٌ لِلْفِطْرَةِ الصَّحِيحَةِ لِذَلِكَ كَانَ الْعَرَبُ

يَتِمَادَحُونَ بِهِ .

(١٣) الْكَرَمُ يَزِيدُ الْبَرَكَاتِ فِي الرِّزْقِ وَالْعُمُرِ .

(١) مِنْ كَمَالِ الْإِيمَانِ وَحُسْنِ الْإِسْلَامِ .

(٢) دَلِيلُ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى

(٣) الْكَرَامَةُ فِي الدُّنْيَا وَرَفْعُ الذِّكْرِ فِي الْآخِرَةِ .

(٤) الْكَرِيمُ مَحْبُوبٌ مِنَ الْخَالِقِ الْكَرِيمِ وَقَرِيبٌ مِنَ

الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ .

(٥) الْكَرِيمُ قَلِيلُ الْأَعْدَاءِ وَالْخُصُومِ لِأَنَّ خَيْرَهُ مَنْشُورٌ

عَلَى الْعُمُومِ .

(٦) الْكَرِيمُ نَفْعُهُ مُتَعَدٍّ غَيْرُ مَقْصُورٍ .

(٣) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة لأبي البركات محمد

الغزي (٢١) .

(٤) آداب العشرة ، للغزي (٢٣) .

(١) انتهى باختصار من الاستقامة (٢/ ٢٦٣ - ٢٧٠) .

(٢) الفتح (١٠/ ٤٥٧) .

كظم الغيظ

الآيات	الأحاديث	الآثار
٥	١٦	١١

الكظم لغة:

مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ كَظَمَ يَكْظِمُ وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنْ مَادَّةٍ (ك ظ م)، الَّتِي تَدُلُّ كَمَا يَقُولُ ابْنُ فَارِسٍ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ هُوَ الْإِمْسَاكُ وَالْجَمْعُ لِلشَّيْءِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْكَظْمُ لِلْغَيْظِ الَّذِي يَعْنِي: اجْتِرَاعَ الْغَيْظِ وَالْإِمْسَاكَ عَنْ إِبْدَائِهِ، وَكَأَنَّهُ يَجْمَعُهُ الْكَاطِمُ فِي جَوْفِهِ، وَالْكَظْمُ: السُّكُوتُ، وَالْكَظْمُ: إِمْسَاكُ الْبَعِيرِ عَنِ الْجَرَّةِ، وَالْكَظْمُ: مَخْرَجُ النَّفْسِ، لِأَنَّهُ كَأَنَّهُ مَنَعَ نَفْسَهُ أَنْ يَخْرُجَ، وَالْكَظَائِمُ خُرُوقُ تُخْفَرُ يَجْرِي فِيهَا الْمَاءُ مِنْ بئرٍ إِلَى بئرٍ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ كِظَامَةً لِإِمْسَاكِهَا الْمَاءَ، وَيُقَالُ: كَظَمْتُ الْغَيْظَ كَظْمًا وَكَظْمًا مِنْ بَابِ ضَرْبٍ، وَمَعْنَاهُ: أَمْسَكْتُ عَلَى مَا فِي نَفْسِكَ مِنْهُ عَلَى صَفْحٍ أَوْ غَيْظٍ. وَكَذَلِكَ مَعْنَاهُ: تَجَرَّعَهُ وَاحْتَمَلَ سَبَبَهُ وَرُبَّمَا قِيلَ فِيهِ كَظَمْتُ عَلَى الْغَيْظِ، وَكَظَمَنِي الْغَيْظُ فَأَنَا كَظِيمٌ. وَمَكْظُومٌ، كَمَا يُقَالُ: الْغَيْظُ مَكْظُومٌ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾ (آل عمران/ ١٣٤) مَعْنَاهُ: الْحَاسِبِينَ الْغَيْظَ أَيْ لَا يُجَازُونَ عَلَيْهِ^(١).

واصطلاحًا:

قَالَ الْمُنَاوِيُّ: الْكَظْمُ: الْإِمْسَاكُ عَلَى مَا فِي

النَّفْسِ مِنْ صَفْحٍ أَوْ غَيْظٍ^(٢).

الغيظ لغة:

مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ: غَاظَهُ يَغِيظُهُ، وَهُوَ مَا أُخِذَ مِنْ مَادَّةٍ (غ ي ظ) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ هُوَ «كَرْبٌ يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنْ غَيْرِهِ» يُقَالُ: غَاظَنِي يَغِيظُنِي، وَقَدْ غِظْتَنِي يَا هَذَا، وَيُقَالُ فِي الْوَصْفِ رَجُلٌ غَائِظٌ. وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْغَيْظُ: غَضَبٌ كَامِنٌ لِلْعَاجِزِ، يُقَالُ غَاظَهُ فَهُوَ مَغِيظٌ، وَلَا يُقَالُ: أَغَاظَهُ. وَقَالَتْ قَتِيلَةُ بِنْتُ النَّضْرِ:

مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا

مَنْ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيظُ الْمُخْنَقُ
وَجَاءَ فِي اللِّسَانِ: الْغَيْظُ: الْغَضَبُ، وَقِيلَ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ، وَقِيلَ: هُوَ سَوْرَتُهُ وَأَوَّلُهُ، يُقَالُ: غَاظَهُ فَاغْتَاطَ، وَغِيظَهُ فَتَغَيَّظَ، وَالتَّغَيُّظُ وَالْإِغْتِيَاظُ، وَفِي حَدِيثِ أُمِّ زَرْعٍ: وَغِيظُ جَارَتِهَا، لِأَنَّهَا تَرَى مِنْ حُسْنِهَا مَا يَغِيظُهَا، وَفِي الْحَدِيثِ: أَغِيظُ الْأَسْمَاءَ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسْمَى بـ «مَلِكِ الْأَمْلاكِ»^(٣).

واصطلاحًا:

قَالَ الْكَفَوِيُّ: الْغَيْظُ تَغَيُّرٌ يَلْحَقُ الْمُغْتَاطَ، وَذَلِكَ

(١) لسان العرب (٧/ ٣٨٨٦ — ١٨٨٧). والصحاح (٥/ ٢٠٢٢ — ٢٠٢٣). والمصباح المنير (٥٣٤) ومقاييس اللغة (٥/ ١٨٤).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٨٢).
(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٤٠٥)، والصحاح (٣/ ١١٧٦).

لَا يَصِحُّ إِلَّا عَلَى الْأَجْسَامِ كَالضَّحِكِ وَالْبُكَاءِ
وَنَحْوِهِمَا^(١).

وَقَالَ الْمُنَاوِيُّ: الْغَيْظُ: أَشَدُّ الْغَضَبِ، وَهُوَ
الْحَرَارَةُ الَّتِي يَجِدُهَا الْإِنْسَانُ مِنْ ثَوْرَانِ دَمٍ قَلْبِهِ، وَقِيلَ:
هُوَ الْغَضَبُ الْمُحِيطُ بِالْكَبِدِ، وَهُوَ أَشَدُّ الْحَقِّ^(٢).

كظم الغيظ اصطلاحاً:

لَقَدْ ذَكَرْتُ كُتُبَ الاصْطِلَاحِ كُلًّا مِنَ الْغَيْظِ
وَالْكُظْمِ عَلَى حِدَةٍ، وَقَدْ تَكَفَّلَ الْمُفَسِّرُونَ بَيَانِ الْمُرَادِ
مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ الطَّبْرِيُّ:

الكَاطِمِينَ الْغَيْظَ: يَعْنِي الْجَارِعِينَ الْغَيْظَ عِنْدَ
امْتِلَاءِ نُفُوسِهِمْ مِنْهُ، يُقَالُ: كَظَمَ فُلَانٌ غَيْظَهُ: إِذَا تَجَرَّعَهُ
فَحَفِظَ نَفْسَهُ أَنْ تُمَضِّي مَا هِيَ قَادِرَةٌ عَلَى إِمْضَائِهِ
بِاسْتِمْكَانِهَا مِنْ غَاظِهَا وَانْتِصَارِهَا مِنْ ظَلَمِهَا^(٣).

وَقَالَ النِّسَابُورِيُّ: كَظَمَ غَيْظَهُ: يَعْنِي: سَكَتَ
عَلَيْهِ وَلَمْ يُظْهِرْهُ لَا بِقَوْلٍ وَلَا بِفِعْلٍ، كَأَنَّهُ كَتَمَهُ عَلَى
امْتِلَائِهِ وَرَدَّهُ فِي جَوْفِهِ، وَكَفَّ غَضَبَهُ (الشَّدِيدَ) عَنِ
الْإِمْضَاءِ، وَهَذَا قِسْمٌ مِنْ أَقْسَامِ الصَّبْرِ وَالْحِلْمِ^(٤).

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: كَظَمَ الْغَيْظَ: رَدُّهُ فِي الْجَوْفِ،
وَالسُّكُوتُ عَلَيْهِ وَعَدَمُ إِظْهَارِهِ مَعَ قُدْرَةِ الْكَاطِمِ عَلَى
الْإِيقَاعِ بَعْدُوه^(٥).

وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: كَظَمَ الْغَيْظَ: رَدُّهُ فِي الْجَوْفِ
إِذَا كَادَ أَنْ يُخْرَجَ مِنْ كَثْرَتِهِ فَضَبَطَهُ وَمَنَعَهُ^(٦).

الفرق بين الغيظ والغضب:

قَالَ الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْحَقِّ بْنُ غَالِبِ بْنِ

عَطِيَّةَ الْأَنْدَلُسِيِّ (صَاحِبُ التَّفْسِيرِ الْمَشْهُورِ): الْغَيْظُ
أَصْلُ الْغَضَبِ، وَكَثِيرًا مَا يَتَلَازِمَانِ، وَلِذَلِكَ فَسَّرَ
بَعْضُ النَّاسِ الْغَيْظَ بِالْغَضَبِ قَالَ: وَلَيْسَ تَحْرِيرُ الْأَمْرِ
كَذَلِكَ. بَلِ الْغَيْظُ فِعْلُ النَّفْسِ لَا يَظْهَرُ عَلَى الْجَوَارِحِ،
وَالْغَضَبُ حَالٌ لَهَا مَعَهُ ظُهُورٌ فِي الْجَوَارِحِ وَفِعْلٌ مَا لَا
بُدَّ، وَلِهَذَا جَازَ إِسْنَادُ الْغَضَبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، إِذْ هُوَ
عِبَارَةٌ عَنْ أَفْعَالِهِ فِي الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ. وَلَا يُسْنَدُ إِلَيْهِ
تَعَالَى غَيْظٌ. وَالْكُظْمُ مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَةِ وَجِهَادِ النَّفْسِ.
وَقَالَ الْكَفَوِيُّ: الْغَضَبُ إِرَادَةُ الْإِضْرَارِ
بِالْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ، وَالْغَيْظُ تَغْيِيرٌ يَلْحَقُ الْمُغْتَاطَ، وَلِهَذَا لَا
يُوصَفُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْغَيْظِ.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: الْغَيْظُ أَصْلُ الْغَضَبِ وَكَثِيرًا مَا
يَتَلَازِمَانِ، لَكِنْ فُرْقَانُ مَا بَيْنَهُمَا، أَنَّ الْغَيْظَ لَا يَظْهَرُ عَلَى
الْجَوَارِحِ بِخِلَافِ الْغَضَبِ فَإِنَّهُ يَظْهَرُ فِي الْجَوَارِحِ، مَعَ
فِعْلِ مَا وَلَا بُدَّ، وَلِهَذَا جَاءَ إِسْنَادُ الْغَضَبِ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى^(٧).

[للاستزادة: انظر صفات: الحلم - الرفق -
الصفح - العفو - اللين - قوة الإرادة - العزم والعزيمة -
الرجولة - مجاهدة النفس - الصمت وحفظ اللسان -
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الغضب - الحمق -
العنف - الطيش - البذاءة - الانتقام - العجلة -
السفاهة].

بهامش الطبري).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٣٣).

(٦) المحرر الوجيز (٣/ ٢٣٣).

(٧) المرجع السابق نفسه، والكلية للكفوي (٦٧١)، والجامع

لأحكام القرآن (٤/ ١٣٣).

(١) الكليلة للكفوي (٦٧١).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٨٢)، وفي المفردات

للالعجب (٣٦٩) «الغيظ: أشد غضب وهو الحرارة التي

يجدها الإنسان من فوران دم قلبه»

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٦١).

(٤) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ٧٥) (منشور

الآيات الواردة في « كظم الغيظ »

- ١- ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٢﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
- ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ^(١)

الآيات الواردة في « كظم الغيظ » معني

- ٢- وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۖ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٣٧﴾ ^(٢)
- ٣- قَالُوا يَا بَنَاتَنَا إِنَّا دَهِبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَاهُ يَوْسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكُلْهُ الذِّبُّ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ^(٣) ﴿١٨﴾
- ٤- ﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ ۖ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَّكَانًا ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ^(٤) ﴿٧٧﴾
- ٥- أَرْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسَأَلَ الْقَرِيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِيَّ وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَاعْلَمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ^(٥) ﴿٨٦﴾

الأحاديث الواردة في «كظم الغيظ»

١- * (عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُورٌ يُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ يَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَئِنْ أَمْشَيْتَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ - شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمِضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثَبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ»*)^(١).

٢- * (عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَكْظَمَ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ جُرْعَةٍ غَيِظَ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءً وَجْهِ اللَّهِ»*)^(٢).

٣- * (عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ يَصْطَرِعُونَ، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟»

قَالُوا: فُلَانٌ، مَا يُصَارِعُ أَحَدًا إِلَّا صَرَعه، قَالَ: «أَفَلَا أَدْلُكُمْ عَلَى مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ؟ رَجُلٌ كَلَّمَهُ رَجُلٌ فَكَظَمَ غَيْظَهُ فَغَلَبَهُ وَغَلَبَ شَيْطَانَهُ وَغَلَبَ شَيْطَانُ صَاحِبِهِ»*)^(٣).

٤- * (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ وَهُوَ يَقُولُ بِيَدِهِ هَكَذَا، فَأَوْمَأَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِيَدِهِ إِلَى الْأَرْضِ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ وَقَاهُ اللَّهُ مِنْ فِتْحِ جَهَنَّمَ، أَلَا إِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزَنٌ»^(٤) بَرَبُوءَةَ (ثَلَاثًا)، أَلَا إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ بِشَهْوَةٍ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وَقِيَ الْفِتْنَ، وَمَا مِنْ جُرْعَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جُرْعَةٍ غَيِظَ يَكْظُمُهَا عَبْدٌ، مَا كَظَمَهَا عَبْدٌ لِلَّهِ إِلَّا مَلَأَ اللَّهُ جَوْفَهُ إِيْمَانًا»*)^(٥).

٥- * (عَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنَ الْحُورِ مَا شَاءَ»*)^(٦).

(١) رواه الطبراني في الكبير (٤٥٣/١٢)، واللفظ له وذكره الشيخ الألباني في الصحيحة (٦٠٨-٦٠٩) وعزاه كذلك لابن عساكر في التاريخ وقال: هذا إسناد ضعيف جدًا، ثم قال: ولكن رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج وأبو إسحاق الزكي في الفوائد المنتخبة وابن عساكر بأسانيد وهذا إسناد حسن.

(٢) ابن ماجه (٤١٨٩) واللفظ له، وقال في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات. وأحمد (١٢٨/٢) برقم (٦١١٦). وقال الشيخ أحمد شاكر (٢٩٥/٨): إسناده صحيح.

(٣) ذكره الحافظ في الفتح (٥٣٥/١٠) في شرح حديث رقم (٦١١٦) وقال: رواه البزار بسند حسن. والحديث في

كشف الأستار (٤٣٩/٢) برقم (٢٠٥٣).

(٤) الحزن: المكان الغليظ الخشن.

(٥) أحمد نسخة الشيخ أحمد شاكر (١٠٩-٩) حديث رقم (٣٠١٧). وقال ابن كثير في التفسير (٤٠٦/١): انفرد به أحمد وإسناده حسن ليس فيه مجروح ومثنته حسن.

(٦) الترمذي (٢٠٢١)، وأبو داود (٤٧٧٧) واللفظ له، وابن ماجه (٤١٨٦) وذكره ابن الأثير في جامع الأصول (٤٤٣/٨) وقال محققه: وخرجه أيضًا الطبراني وأبو نعيم وهو حديث حسن. قال ابن كثير (٤٠٦/١): رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه ونقل تحسين الترمذي.

الأحاديث الواردة في «كظم الغيظ» معنى

٦ - * (عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: إِنَّ

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَنَا: إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيُضْطَجِعْ) * (١).

٧ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ

رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي: قَالَ: «لَا تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مَرَارًا، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ» * (٢).

٨ - * (عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

أَنَّهُ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا تَحْمَرُّ عَيْنَاهُ وَتَتَفَخُّ أَوْدَاجُهُ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي أَعْرِفُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» فَقَالَ الرَّجُلُ: وَهَلْ تَرَى بِي مِنْ جُنُونٍ) * (٣).

٩ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ» (٤) فِيكُمْ؟ قَالَ: قُلْنَا: الَّذِي لَا يُوَلِّدُ لَهُ. قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يَقْدَمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا» قَالَ: «فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ؟» قَالُوا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرَّجَالُ. قَالَ: «لَيْسَ بِذَلِكَ وَلَكِنَّهُ الَّذِي

يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» * (٥).

١٠ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» * (٦).

١١ - * (عَنْ أَبِي بَرزَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ

قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَتَغَيَّظَ عَلَى رَجُلٍ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: تَأْذُنِي يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ قَالَ: فَأَذْهَبْتُ كَلِمَتِي غَضَبُهُ، فَقَامَ فَأَرْسَلَ إِلَيَّ فَقَالَ: «مَا الَّذِي قُلْتَ آنِفًا؟». قُلْتُ: أَتَذُنُنِي لِأَضْرِبَ عُنُقَهُ، قَالَ: «أَكُنْتَ فَاعِلًا لَوْ أَمَرْتُكَ؟». قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «لَا وَاللَّهِ! مَا كَانَتْ لِبَشَرٍ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ». قَالَ أَبُو دَاوُدَ: هَذَا لَفْظُ يَزِيدَ، قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: أَيُّ لَمْ يَكُنْ لِأَبِي بَكْرٍ أَنْ يَقْتُلَ رَجُلًا إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثِ الثَّلَاثِ قَالَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كُفْرٌ بَعْدَ إِيْمَانٍ، وَزِنًا بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ قَتْلُ نَفْسٍ بِغَيْرِ نَفْسٍ، وَكَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَقْتُلَ) * (٧).

١٢ - * (قَالَ أَبُو وَائِلٍ الْقَاصُّ: دَخَلْنَا عَلَى

عُرْوَةَ ابْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ السَّعْدِيِّ فَكَلَّمَهُ رَجُلٌ فَأَغْضَبَهُ، فَقَامَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ رَجَعَ وَقَدْ تَوَضَّأَ فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ

(١) رواه أبو داود (٤٧٨٢) واللفظ له، وأحمد (١٥٢/٥)، وذكره ابن الأثير في جامع الأصول، وقال محققه (٤٤٠/٨): إسناده حسن.

(٢) البخاري - الفتح ١٠ (٦١١٦).

(٣) البخاري - الفتح ١٠ (٦١١٥)، ومسلم (٢٦١٠) واللفظ له

(٤) الرقوب: أصل الرقوب في كلام العرب الذي لا يعيش له ولد. ومعنى الحديث: إنكم تعتقدون أن الرقوب المحزون هو المصاب بموت أولاده وليس هو كذلك شرعا بل هو

من لم يمت أحد من أولاده في حياته فيحتسبه ويكتب له ثواب مصيئته به وثواب صبره عليه.

(٥) رواه مسلم (٢٦٠٨).

(٦) البخاري - الفتح ١٠ (٦١١٤) ومسلم (٢٦٠٩) متفق عليه.

(٧) أبو داود (٤٣٦٣) وهذا لفظه، والنسائي (١٠٩/٧).

وصححه الألباني في صحيح النسائي (٨٥٤/٣) برقم (٣٨٠١).

جَدِّي عَطِيَّةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ» * (١) .

١٣ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ :

أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَاسْتَأْذَنْتْ عَلَيْهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مَعِيَ فِي مِرْطِي (٢) ، فَأَذِنَ لَهَا . فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلُنكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ . وَأَنَا سَاكِتَةٌ . قَالَتْ عَائِشَةُ : فَأَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَمْ أَرِ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ ، وَاتَّقَى اللَّهُ ، وَأَصْدَقَ حَدِيثًا ، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً ،

وَأَشَدَّ ابْتِدَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ ، وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، مَا عَدَا سُورَةً مِنْ حَدِّ (٣) كَانَتْ فِيهَا ، تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةُ . قَالَتْ : فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ عَائِشَةَ فِي مِرْطِهَا . عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي دَخَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا وَهُوَ بِهَا ، فَأَذِنَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلُنكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ . قَالَتْ : ثُمَّ وَقَعْتُ بِي فَاسْتَطَالَتْ عَلَيَّ ، وَأَنَا أَرْقُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَأَرْقُبُ طَرْفَهُ هَلْ يَأْذَنُ لِي فِيهَا ، قَالَتْ : فَلَمْ تَبْرَحْ زَيْنَبُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يَكْرَهُ أَنْ أَنْتَصِرَ . قَالَتْ : فَلَمَّا وَقَعْتُ بِهَا لَمْ أَنْشَبْهَا (٤) حِينَ أَنْحَيْتُ (٥) عَلَيْهَا . قَالَتْ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَبَسَّمَ : «إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ» * (٦) .

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في «كظم الغيظ»

١٤ - * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ نَجْرَانِي غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ ، فَأَذْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ (٧) بِرِدَائِهِ جَبَذَةً شَدِيدَةً . نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عُنُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبَذَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! مُرِّي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ) * (٨) .

١٥ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّهَا

قَالَتْ : قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أَحَدٍ ؟ فَقَالَ : «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ ، فَلَمْ

(٤) لم أنشئها: لم أمهلها.

(٥) أنحيت عليها: أي قصبتها واعتمدتها بالمعارضة.

(٦) البخاري - الفتح ٥ (٢٥٨١)، ومسلم (٢٤٤٢) واللفظ له.

(٧) فجذبته: جذب وجذب لغتان مشهورتان.

(٨) البخاري - الفتح ١٠ (٦٠٨٨)، ومسلم (١٠٥٧) واللفظ له.

(١) أبو داود (٤٧٨٤) وهذا لفظه ، وأحمد (٢٢٦/٤) ، وذكره

ابن الأثير في جامع الأصول (٤٣٩/٨) وقال محققه :

إسناده حسن.

(٢) مرطي: أي كسائي.

(٣) سورة: السورة الثوران وعجلة الغضب.

بِهِ شَيْئًا»*)^(١).

١٦ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْسَا فِي الْقِسْمَةِ فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَأَعْطَى أَنْسَا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ فَأَثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ ، قَالَ رَجُلٌ : وَاللَّهِ ! إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ . فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا أَخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ . فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ . فَقَالَ : «فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ؟ رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى . فَقَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»*)^(٢).

يُجِنِّي إِلَى مَا أَرَدْتُ ، فَاِنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَتْنِي ، فَنَظَرْتُ ، فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ فَنَادَانِي ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ . وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ » قَالَ : «فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ . فَمَا شِئْتَ ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ » . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ

من الآثار الواردة في «كظم الغيظ»

فَاسْتَأْذِنَ لِي عَلَيْهِ ، قَالَ : سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ ، فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ ، فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : هِيَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزَلَ ، وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف/ ١٩٩) وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ ، وَاللَّهُ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ »*)^(٤).

١ - * (قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ اتَّقَى اللَّهَ لَمْ يَشْفِ غَيْظُهُ ، وَمَنْ خَافَ اللَّهَ لَمْ يَفْعَلْ مَا يُرِيدُ ، وَلَوْلَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَكَانَ غَيْرَ مَا تَرَوْنَ)*)^(٣).

٢ - * (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : « قَدِمَ عُيَيْنَةُ ابْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ ابْنِ قَيْسٍ ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ ، وَكَانَ الْقُرَاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولًا أَوْ شُبَّانًا فَقَالَ عُيَيْنَةُ : لَا بَنَ أَخِيهِ : يَا بَنَ أَخِي ، لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ

وفيه زيادة أنه رضي الله عنه قال لابنه : يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسألة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك.

(٤) البخاري - الفتح ٨ (٤٦٤٢).

(١) البخاري - الفتح ٦ (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥) واللفظ له.

(٢) البخاري - الفتح ٦ (٣١٥٠) واللفظ له، ومسلم (١٠٦٢).

(٣) مختصر منهاج القاصدين (١٨٢)، والإحياء (١٧٦/٣).

٤ - * (جاء غلامٌ لأبي ذرٍّ - رضي الله عنه - وقد كسر رجل شاة له فقال له : مَنْ كسر رجل هذه؟ قال : أنا فعلته عمدًا لأغيظك فتضربني فتأثم. فقال : لأغيظن مَنْ حرّضك على غيظي، فأعقته) *^(١).

٥ - * (شتم رجلٌ عدي بن حاتم وهو ساكتٌ، فلما فرغ من مقالته قال : إن كان بقي عندك شيءٌ فقل قبل أن يأتي شباب الحَيِّ، فإنهم إن سمعوك تقول هذا لسيدهم لم يرضوا) *^(٢).

٦ - * (قال محمد بن كعب - رحمه الله تعالى - : ثلاث مَنْ كُنَّ فيه استكمل الإيمان بالله : إذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل ، وإذا غضب لم يخرجْه غضبه عن الحق ، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له) *^(٣).

٧ - * (قال رجلٌ لوهب بن مُبَيِّه - رحمه الله تعالى - : « إن فلانًا شتمك ، فقال : ما وجد الشيطان بريدًا غيرك ! ») *^(٤).

٨ - * (أمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجلٍ ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ فقال لِعُلامه : خل عنه) *^(٥).

٩ - * (قال الغزالي - رحمه الله تعالى - : إن كظم الغيظ يحتاج إليه الإنسان إذا هاج غيظه ويحتاج فيه إلى

مجاهدة شديدة ، ولكن إذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادًا فلا يهيج الغيظ ، وإن هاج فلا يكون في كظمه تعبٌ وحينئذ يوصف بالحلم) *^(٦).

١٠ - * (قال ابن قدامة المقدسي - رحمه الله : الكاظم إذا كظم لعجزٍ عن الشففي في الحال رجع إلى الباطن ، فاحتقن فيه فصار حقدًا وعلامة ذلك دوام بغض الشخص ، واستثقاله والنفور منه) *^(٧).

١١ - * (وذكر ابن كثير - رحمه الله - من صفات أصحاب الجنة عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ فقال : إذا ثار بهم الغيظ كظموه بمعنى كتموه فلم يعملوه وعفوا مع ذلك عمن أساء إليهم) *^(٨).

١٢ - * (ذكر ابن كثير في سيرة عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - أن رجلاً كلمه يومًا حتى أغضبه فهم به عمر ثم أمسك نفسه ثم قال للرجل : أردت أن يستفزني الشيطان بعزة السلطان فأنال منك ما تناله مني غدًا ؟ ثم عافاك الله ، لا حاجة لنا في مقاولتك) *^(٩).

(٦) المرجع السابق (٣/ ١٧٦) بتصرف.

(٧) مختصر منهاج القاصدين بتصرف يسير (١٨٥).

(٨) تفسير ابن كثير (١/ ٤٠٤).

(٩) البداية والنهاية (٩/ ٢١٠).

(١) مختصر منهاج القاصدين (١٨٣).

(٢) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) الإحياء (٣/ ١٧٦).

(٤) مختصر منهاج القاصدين (١٨٤).

(٥) الإحياء (٣/ ١٧٣).

من فوائد «كظم الغيظ»

- ١ - كَظُمُ الْغَيْظِ دَلِيلُ قُوَّةِ النَّفْسِ وَقَهْرِ شَهْوَةِ الْغَضَبِ.
- ٢ - كَظُمُ الْغَيْظِ دَلِيلُ تَقْوَى اللَّهِ وَإِثَارِ وَعْدِهِ بِالْجَنَّةِ.
- ٣ - كَاطِمُ الْغَيْظِ يَأْمَنُهُ النَّاسُ فَيَأْلَفُونَهُ وَيَقْتَرِبُونَ مِنْهُ وَلَا يَتَحَاشَوْنَهُ.
- ٤ - كَظُمُ الْغَيْظِ يُشِيعُ بَيْنَ النَّاسِ جَوْ الصَّفَاءِ وَالْوَدَادِ وَالْحُبِّ وَالْإِخَاءِ.
- ٥ - كَظُمُ الْغَيْظِ دَلِيلُ الصَّبْرِ وَالْعَفْوِ.
- ٦ - فِيهِ عِظَمُ الثَّوَابِ يَوْمَ الْعَرْضِ عَلَى رَبِّ الْأَرْبَابِ.
- ٧ - الْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، مَنْ ضَيَّقَ عَلَى نَفْسِهِ حِينَ الْغَضَبِ وَسَّعَ اللَّهُ فِي ثَوَابِهِ.
- ٨ - مَنْ كَظَمَ غَيْظًا مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
- ٩ - كَظُمُ الْغَيْظِ عَاقِبَتُهُ سَكَنُ الْإِيمَانِ فِي النَّفْسِ.

كفالة اليتيم

الآيات	الأحاديث	الآثار
٢٢	١٩	٢٥

الكفالة لغة:

مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ: كَفَلَ بِهِ يَكْفُلُ كَفَالَةً، وَهُوَ مَاخُودٌ مِنْ مَادَّةِ (ك ف ل) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى تَضَمُّنِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ. يَقُولُ ابْنُ فَارِسٍ: وَمِنْ الْبَابِ الْكَفِيلُ وَهُوَ الضَّامِنُ، وَالْكَافِلُ، وَهُوَ الَّذِي يَكْفُلُ إِنْسَانًا يَعُولُهُ^(١)، وَقَالَ صَاحِبُ الْبَصَائِرِ: الْكَفَالَةُ: الضَّمَانُ. يُقَالُ: هُوَ كَافِيهِ وَكَافِلُهُ، وَهُوَ يَكْفِينِي وَيَكْفُلُنِي: أَيُّ يَعُولُنِي وَيُنْفِقُ عَلَيَّ، وَأَكْفَلْتُهُ إِيَّاهُ وَكَفَّلْتُهُ (بِمَعْنَى)، وَهُوَ كَفِيلٌ بِنَفْسِهِ وَبِمَالِهِ.. وَالْكَافِلُ: الْعَائِلُ وَالضَّامِنُ^(٢)، وَالْكَافِلُ (أَيْضًا) الَّذِي لَا يَأْكُلُ أَوْ يَصِلُ الصِّيَامَ، وَالْجَمْعُ كِفْلٌ وَكُفْلَاءٌ. يُقَالُ: كَفَلَ بِالرَّجُلِ يَكْفُلُ كَنْصَرَ يَنْصُرُ، وَكَفَلَ يَكْفِلُ كَضْرَبَ يَضْرِبُ، وَكَفَلَ يَكْفُلُ كَكْرُمَ يَكْرُمُ، وَكَفَلَ يَكْفُلُ كَعَلِمَ يَعْلَمُ، وَالْمَصْدَرُ (مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ) كِفْلًا وَكُفُولَةً وَكَفَالَةً^(٣). وَقَالَ

الرَّاعِبُ: يُقَالُ: تَكَفَّلْتُ بِكَذَا وَكَفَّلْتُهُ إِيَّاهُ، وَقَدْ قُرِئَتْ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ (آل عمران/ ٣٧) بِالتَّشْدِيدِ «كَفَّلَهَا» وَبِالتَّخْفِيفِ «كَفَّلَهَا»^(٤) فَمَنْ شَدَّدَ فَعَلَ مَعْنَى كَفَّلَهَا اللَّهُ زَكَرِيَّا (جَعَلَهُ كَفِيلًا لَهَا)، وَمَنْ خَفَّفَ جَعَلَ الْفِعْلَ لِمَنْ زَكَرِيَّا وَالْمَعْنَى تَضَمَّنَهَا^(٥)، قَالَ قَتَادَةُ أَيُّ ضَمَّهَا إِلَيْهِ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: ضَمِنَ الْقِيَامَ بِهَا، قَالَ: وَمِنْ الْقَبُولِ الْحَسَنِ وَالنَّبَاتِ الْحَسَنِ أَنْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى كَافِلَهَا وَالْقِيَمَ بِأَمْرِهَا وَحَفِظَهَا نَبِيًّا، قِيلَ: وَإِنَّمَا كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا لِأَنَّ أُمَّهَا هَلَكَتْ وَكَانَ أَبُوهَا قَدْ هَلَكَ وَهِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهَا^(٦).

وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: يُقَالُ: تَكَفَّلْتُ بِالشَّيْءِ وَمَعْنَاهُ (كَمَا قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ) أَلْزَمْتُهُ نَفْسِي وَأَزَلْتُ عَنْهُ الضَّيْعَةَ وَالذَّهَابَ، وَهُوَ مَاخُودٌ مِنَ الْكِفْلِ، وَهُوَ مَا يَحْفَظُ الرَّكَّابَ مِنْ خَلْفِهِ، وَالْكَفْلُ أَيْضًا: النَّصِيبُ وَهُوَ

(٤) قرأ الكوفيون (حمزة - عاصم - الكسائي) بالتشديد، وباقي السبعة (أبوعمر وابن عامر ونافع وابن كثير) بالتخفيف (البحر المحيط ٢/ ٤٦٠). وعلى قراءة التخفيف (زكرياء) بالمد والرفع فاعل.
(٥) المفردات للراغب (٦٥٦).
(٦) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(١) مقاييس اللغة ١٨٧/٥، والصحاح (كفل).
(٢) بصائر ذوي التمييز (٣٠٦/٤)، ويلاحظ هنا أن الفيروزآبادي قد جعل الكافِلَ يشمل معنى الكفيل أيضاً وهو الضَّامِنُ، وذلك يختلف عما قال به الجوهري وابن فارس.
(٣) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «الرَّابُّ كَافِلٌ» الرَّابُّ: زَوْجُ أُمِّ الْيَتِيمِ لِأَنَّهُ يَكْفُلُ تَرْبِيَّتَهُ وَيَقُومُ بِأَمْرِهِ مَعَ أُمِّهِ^(٤)، وَالْمَكْفُولُ مَنْ كُفِّلَ فِي صِغَرِهِ وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ وَفِدِ هَوَازِنَ «وَأَنْتَ خَيْرُ الْمَكْفُولِينَ» يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: الْمُرَادُ خَيْرُ مَنْ كُفِّلَ فِي صِغَرِهِ، وَأَرْضَعَ وَرَبَّى حَتَّى نَشَأَ، وَكَانَ ﷺ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدِ^(٥).

اليتيم لغة:

الْيَتِيمُ فِي اللَّغَةِ اسْمٌ عَلَى وَزْنِ فَعِيلٍ مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: يَتِمُّ الصَّبِيُّ يَتَمُّ يَتَمًّا وَيَتَمًّا، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْيَتِيمُ فِي النَّاسِ مَنْ قَبَلَ الْآبَ، وَفِي الْبَهَائِمِ مَنْ قَبَلَ الْأُمَّ، يُقَالُ أَيْتَمَتِ الْمَرْأَةُ فَهِيَ مُوتِمٌ أَيْ صَارَ أَوْلَادُهَا أَيْتَمًا، وَكُلُّ شَيْءٍ مُفْرَدٍ يَعْزُّ نَظِيرُهُ فَهُوَ يَتِيمٌ، يُقَالُ: دُرَّةٌ يَتِيمَةٌ (تَنْبِيهَا عَلَى أَنَّهُ قَدْ انْقَطَعَ مَا دَتَهَا الَّتِي خَرَجَتْ مِنْهَا، وَيُقَالُ بَيْتٌ يَتِيمٌ تَشْبِيهَا بِالْذَّرَّةِ الْيَتِيمَةِ، وَقَوْلُهُمْ: يَتَمُّهُمْ اللَّهُ أَيْ جَعَلَهُمْ أَيْتَمًا^(٦)، قَالَ الْفَيْدُ الزَّمَانِيُّ:

بَضْرَبَ فِيهِ تَأْيِيمٌ وَتَيْتِيمٌ وَإِرْنَانٌ^(٧).

وَقَالَ آخَرُ يَصِفُ رَامِيًا أَصَابَ أَتَانًا (الْأَتَانُ

مَأْخُودٌ مِنْ هَذَا، وَفِي حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ (النخعي): لَا تَشْرَبْ مِنْ ثَلَمَةِ الْإِنَاءِ وَلَا عُرْوَتِهِ فَإِنَّهَا كِفْلُ الشَّيْطَانِ أَيْ مَرْكَبُهُ لِمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الْأَوْسَاحِ، وَالْكِفْلُ مِنَ الرِّجَالِ: الَّذِي يَكُونُ فِي مُؤَخَّرِ الْحَرْبِ وَهَمَّتُهُ فِي التَّأَخُّرِ وَالْفَرَارِ، وَالْكِفْلُ (أَيْضًا) الَّذِي لَا يَثْبُتُ عَلَى ظُهُورِ الْخَيْلِ وَجَمْعُهُ أَكْفَالٌ، وَالْكِفْلُ كَذَلِكَ الْحِطُّ وَالضَّعْفُ مِنَ الْأَجْرِ أَوْ الْإِثْمِ^(١)، وَالْكِفْلُ أَيْضًا: الْمِثْلُ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ (الحديد/ ٢٨)؛ قِيلَ مَعْنَاهُ: يُؤْتِكُمْ ضِعْفَيْنِ، وَقِيلَ مِثْلَيْنِ، وَقِيلَ حَظَّيْنِ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: أَيْ مِثْلَيْنِ مِنَ الْأَجْرِ عَلَى إِيْمَانِكُمْ بِعِيسَى وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَتَأْوِيلُهُ يُؤْتِكُمْ نَصِيبَيْنِ يَحْفَظَانِكُمْ مِنْ هَلَكَةِ الْمَعَاصِي كَمَا يَحْفَظُ الْكِفْلُ الرَّكَّابَ، وَقِيلَ أَجْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ^(٢). وَفِي الْحَدِيثِ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ، لَهُ وَلِغَيْرِهِ» الضَّمِيرُ فِي لَهُ وَلِغَيْرِهِ رَاجِعٌ إِلَى الْكَافِلِ أَيْ أَنَّ الْيَتِيمَ سَوَاءٌ كَانَ الْكَافِلُ مِنْ ذَوِي رَحِمِهِ وَأَنْسَابِهِ أَوْ كَانَ أَجْنَبِيًّا لِغَيْرِهِ، وَقَوْلُهُ كَهَاتَيْنِ إِشَارَةٌ إِلَى إِضْبَاعِهِ: السَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى^(٣).

(١) لسان العرب (١١/ ٥٨٨ - ٥٨٩) ط. بيروت.

(٢) تفسير القرطبي (١٧/ ٢٦٦).

(٣) النهاية لابن الأثير (٤/ ١٩٢).

(٤) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٥) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٦) الصحاح (٥/ ٢٠٦٤).

(٧) التأييم: جعل المرأة أَيْمًا والجمع أَيْامَى: وهي من فقدت

زوجها، والإِرْنَانُ: صوت الشَّهِيْقِ مَعَ الْبُكَاءِ (انظر

اللسان ١٣/ ١٨٦).

أُنْثَى الْحِمَارِ) وَأَيْتَمَ أَطْفَالَهَا:

فَنَاطَ بِهَا سَهْمًا شَدَادًا غَرَارُهَا

وَأَيْتَمَتِ الْأَطْفَالَ مِنْهَا وَجُوبُهَا^(١).

وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: الْيَتِيمُ: الْإِنْفِرَادُ، وَالْيَتِيمُ الْفَرْدُ،

وَالْيَتِيمُ وَالْيَتِيمُ فَقْدَانُ الْأَبِ، وَلَا يُقَالُ لِمَنْ فَقْدَ الْأُمِّ مَنْ

النَّاسِ يَتِيمٌ وَلَكِنْ مُنْقَطِعٌ، وَقِيلَ يُسَمَّى عَجِيًّا، وَالَّذِي

فَقَدَ أَبَوَيْهِ هُوَ اللَّطِيمُ، وَقَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ: يَنْبَغِي أَنْ

يَكُونَ الْيَتِيمُ فِي الطَّيْرِ مَنْ قَبَلَ الْأَبَ وَالْأُمَّ مَعًا لِأَنَّهَا

كِلَاهُمَا يَرْقَانِ فِرَاخَهُمَا، وَقَالَ الْمُفَضَّلُ: أَصْلُ الْيَتِيمِ

الْعَفْلَةُ، وَبِهِ سُمِّيَ الْيَتِيمُ يَتِيمًا لِأَنَّهُ يُتَغَفَّلُ عَنْ بَرِّهِ.

وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: الْيَتِيمُ: الْإِبْطَاءُ وَمِنْهُ أُخِذَ الْيَتِيمُ لِأَنَّ الْبِرَّ

يُطَيُّ عَنْهُ، وَيُقَالُ لِلْمَرْأَةِ يَتِيمَةً، وَلَا يَزُولُ عَنْهَا اسْمُ

الْيَتِيمِ أَبَدًا، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: تُدْعَى يَتِيمَةً مَا لَمْ تَتَزَوَّجْ فَإِذَا

تَزَوَّجَتْ زَالَ عَنْهَا اسْمُ الْيَتِيمِ.

وَأَنْشَدَ الْمُفَضَّلُ (الضَّبِّيُّ):

أَفَاطِمُ إِنِّي هَالِكٌ فَتَشَبَّيْ

وَلَا تَجْزَعِي، كُلُّ النِّسَاءِ يَتِيمٌ

وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ ﴿وَاتَّوَا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾

(النساء/ ٢) سُمُّوا يَتَامَى بَعْدَ أَنْ أُوْنِسَ مِنْهُمْ

الرُّشْدُ^(٢)، بِالْأَسْمِ الْأَوَّلِ الَّذِي كَانَ لَهُمْ قَبْلَ إِيْنَاسِهِ

مِنْهُمْ^(٣). وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: وَقَدْ يُطْلَقُ الْيَتِيمُ عَلَى الرَّجُلِ

وَالْمَرْأَةِ بَعْدَ الْبُلُوغِ كَمَا كَانُوا يُسَمُّونَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ

كَبِيرٌ: يَتِيمٌ أَبِي طَالِبٍ، لِأَنَّهُ رَبَّاهُ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ، وَمِنْ

ذَلِكَ الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ «تُسْتَأْمَرُ الْيَتِيمَةُ فِي نَفْسِهَا، فَإِنْ

سَكَتَتْ فَهُوَ إِذْنُهَا» أَرَادَ بِالْيَتِيمَةِ: الْبِكْرَ الْبَالِغَةَ الَّتِي

مَاتَ أَبُوْهَا قَبْلَ بُلُوغِهَا، فَلَزِمَهَا اسْمُ الْيَتِيمِ فَدُعِيَتْ بِهِ

وَهِيَ بَالِغَةٌ مَجَازًا، وَجَاءَ فِي حَدِيثِ الشَّعْبِيِّ: أَنَّ امْرَأَةً

جَاءَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ: إِنِّي امْرَأَةٌ يَتِيمَةٌ، فَضَحِكَ

أَصْحَابُهُ، فَقَالَ: النِّسَاءُ كُلُّهُنَّ يَتَامَى أَيُّ ضَعَائِفُ^(٤).

وَقَدْ لَخَّصَ التَّهَانَوِيُّ مَا قِيلَ فِي أَصْنَافِ الْيَتِيمِ عِنْدَمَا

قَالَ: الْيَتِيمُ إِنْسَانٌ بِلَا أَبٍ، وَحَيَوَانٌ بِلَا أُمٍّ، وَجَوْهَرٌ بِلَا

نَظِيرٍ^(٥).

كفالة اليتيم اصطلاحًا:

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: كَافِلُ الْيَتِيمِ: أَيُّ الْقِيَمِ بِأَمْرِهِ

وَمَصَالِحِهِ^(٦)، وَقَالَ صَاحِبُ الْقَامُوسِ الْفَقْهِي: كَافِلُ

الْيَتِيمِ: هُوَ الْقَائِمُ بِأَمْرِ الْيَتِيمِ الْمُرَبِّي لَهُ^(٧)، وَإِذَا كَانَ

(٤) النهاية لابن الأثير (٥/ ٢٩٢).

(٥) كشاف اصطلاحات الفنون (٦/ ١٥٤٤)، وقد قمنا بترجمة

عبارته من الفارسية إلى العربية (البركاوي).

(٦) فتح الباري (١٠/ ٤٥١).

(٧) القاموس الفقهي لسعدي أبوجيب (٣٢٢).

(١) مقاييس اللغة (٦/ ١٥٤)، وبصائر ذوي التمييز

(٥/ ٣٨٠).

(٢) يشير هنا إلى قوله سبحانه في نفس السورة في الآية

السادسة ﴿فَإِنْ أَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾.

(٣) لسان العرب (١٢/ ٦٤٥).

الْيَتِيمُ شَرَعًا هُوَ الصَّغِيرُ الَّذِي فَقَدَ أَبَاهُ^(١)، فَإِنْ كَفَّالَةَ
الْيَتِيمِ حِينَئِذٍ تَكُونُ: الْقِيَامُ بِأَمْرِ الطِّفْلِ الصَّغِيرِ وَرِعَايَةِ
مَصَالِحِهِ وَتَرْبِيَّتِهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْلُغَ مَبْلَغَ
الرِّجَالِ إِنْ كَانَ ذَكَرًا أَوْ تَتَزَوَّجَ إِنْ كَانَ بِنْتًا.

كفالة اليتيم ترقق القلب:

لَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي نُورِ نُبُوَّتِهِ،
وَجَلَالِ رَحْمَتِهِ يَضُمُّ إِصْبَعِيهِ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى،
وَيَقُولُ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ» وَيَقُولُ:
«امْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ...»^(٢). إِنَّهُ إِنْسَانٌ مَقْرُورٌ يَهْرُؤُهُ
فَقْدُ الْحَنَانِ، امْسَحْ رَأْسَهُ، اقْتَرِبْ مِنْهُ، ابْتَسِمْ لَهُ، طَيِّبْ
خَاطِرَهُ، أَذْخِلِ الْبَهْجَةَ عَلَى رُوحِهِ الظَّمَائَةِ، بِكَلِمَةٍ،
بَلَمْسَةٍ، بِبَسْمَةٍ، إِنَّ الْعَلَاqَاتِ الْإِنْسَانِيَّةَ تُحَقِّقُ كُلَّ مَجْدٍ
لَهَا حِينَ تُضْفِي عَلَى هَذَا الْيَتِيمِ الْمَحْرُومِ مِنْ حَنَانِهَا
وَدِفْئِهَا^(٣).

محمد ﷺ خير المكفولين:

فِي سِيرَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ مَا تَطِيبُ بِهِ خَوَاطِرُ
الْيَتَامَى فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ فَقَدْ تُوفِّيَ وَالِدُهُ قَبْلَ أَنْ
يُولَدَ وَنَشَأَ فِي كَفَالَةِ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَلْقَى مِنَ الرِّعَايَةِ
وَالْعِنَايَةِ مَا يُعَوِّضُهُ عَنْ فَقْدِ أَبِيهِ، يَقُولُ ابْنُ إِسْحَاقَ:

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ،
وَكَانَ يُوضَعُ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِرَاشٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَكَانَ
بَنُوهُ يَجْلِسُونَ حَوْلَ فِرَاشِهِ ذَلِكَ، حَتَّى يَخْرُجَ إِلَيْهِ، لَا
يَجْلِسُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ بَنِيهِ إِجْلَالًا لَهُ، قَالَ: (ابْنُ
إِسْحَاقَ): فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْتِي وَهُوَ غُلَامٌ جَفَرٌ،
حَتَّى يَجْلِسَ عَلَيْهِ، فَيَأْخُذُهُ أَعْمَامُهُ، لِيُؤَخِّرُوهُ عَنْهُ،
فَيَقُولُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ إِذَا رَأَى مِنْهُمْ ذَلِكَ: دَعُوا ابْنِي،
فَوَاللَّهِ، إِنَّ لَهُ لَشَأْنًا، ثُمَّ يَجْلِسُهُ مَعَهُ عَلَى الْفِرَاشِ،
وَيَمْسَحُ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ، وَيَسْرُهُ مَا يَرَاهُ يَصْنَعُ^(٤). وَبَعْدَ أَنْ
تُوفِّيَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَعُمُرُهُ ﷺ قَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِي سَنَوَاتٍ
بَقِيلٍ، انْتَقَلَتْ كِفَالَتُهُ - أَخْذًا بِوَصِيَّةِ جَدِّهِ - إِلَى عَمِّهِ
الشَّقِيقِ أَبِي طَالِبٍ^(٥)، فَهَضَّ أَبُو طَالِبٍ بِحَقِّ ابْنِ أَخِيهِ
عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ وَضَمِّهِ إِلَى وَلَدِهِ، وَقَدَّمَ عَلَيْهِمْ
وَاخْتَصَّه بِفَضْلِ احْتِرَامٍ وَتَقْدِيرٍ، فَكَانَ لَا يَنَامُ إِلَّا وَهُوَ
إِلَى جَوَارِهِ وَيَضْطَجِبُهُ مَعَهُ مَا أَمَكَّتَهُ الصُّحْبَةُ^(٦).

لَقَدْ كَانَتْ الْعَرَبُ تَعْرِفُ ذَلِكَ وَتُحَدِّثُ بِهِ،
وَتَعْرِفُ مِنْ وَفَاءِ الرَّسُولِ ﷺ لِمَنْ قَامَ بِكِفَالَتِهِ مَا جَعَلَ
خَطِيبَ وَفْدِ هَوَازِنَ يُخَاطِبُهُ مُسْتَشْفِعًا فِي أَمْوَالِ هَوَازِنَ
وَنِسَائِهَا قَائِلًا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّمَا فِي الْحَظَائِرِ عَمَّا تُكُّ

(١) القاموس الفقهي لسعدي أبوجيب (٣٢٢)، ويُقصد
بالصغر عَدَمُ بُلُوغِ الْحُلُمِ فِي الذُّكُورِ وَعَدَمُ الزَّوْجِ فِي
الْإِنَاثِ.

(٢) انظر الحديث رقم (١) ورقم (٦).

(٣) كما تحدث الرسول - للأستاذ خالد محمد خالد (٢/ ٢٠٤ -

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٩٤).

(٥) انظر: خاتم النبیین للشيخ أبي زهرة (١/ ١٦٦)، والرحيق
المختوم للمباركفوري (٦٦)، وقارن بالمراجع التي ذكرت
هناك.

(٦) المرجعان السابقان نفسيهما، والصفحات نفسها.

وَحَالَاتُكَ وَحَوَاضَتُكَ اللَّاتِي كُنَّ يَكْفُلُنَكَ ... وَأَنْتَ
خَيْرُ الْمَكْفُولِينَ. وَمَا كَانَ مِنْ رَسُولٍ لِلَّهِ ﷺ إِلَّا أَنْ وَفَّى
لِمَنْ كَفَلَهُ وَقَامَ بِرِعَائَتِهِ حَقَّ كَافِلِيهِ قَائِلًا: «أَمَّا مَا كَانَ لِي
وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ»^(١)، وَهَكَذَا كَانَ ﷺ
مَضْرِبَ الْمَثَلِ فِي الْوَفَاءِ وَالْعِرْفَانِ بِالْجَمِيلِ.

[للاستزادة: انظر صفات: الإنفاق - البر -
التعاون على البر والتقوى - تكريم الإنسان - تفريج
الكربات - المواساة - العطف - الكرم - الحنان -
الشفقة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: التخاذل -
القسوة - الإعراض - التفريط والإفراط - التهاون -
القسوة].

(١) انظر قصة وفد هوازن وما كان من أمر رسول الله ﷺ
معهم، سيرة ابن هشام (٤ / ١٢٨).

الآيات الواردة في « كفالة اليتيم »

- ١ - ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ
وَعَالِ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾
ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾
إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي
بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾
فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا وَضَعْتُ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا
مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا
مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾
فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا
وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ
وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُؤْمُؤُا لَكَ هَذَا
قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ
مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾^(١)
- ٢ - وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِيكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ
وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِيْنَ ﴿٤٢﴾
يَمْرِيْمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي
وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِيْنَ ﴿٤٣﴾
ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ
لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ
مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ^(٢) ﴿٤٤﴾
- ٣ - ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ
هَلْ أَتَاكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ
وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾
فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ
وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ^(٣) ﴿١٣﴾

الآيات الواردة في « كفالة اليتيم » معنى

- أولاً : الإحسان إلى اليتامى من البر :
- ٤ - ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَأِيكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ
وَأَتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَكِيْنَ وَأَبْنَ السَّبِيلِ
وَالسَّالِيْنَ فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ
وَأَتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفِقُ بَعْدَهُمْ إِذَا
عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ
الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُتَّقُونَ^(٤) ﴿١٧٧﴾

ثانيًا : أمر الله - عز وجل - بالإحسان إلى اليتامى

وإصلاح أحوالهم :

٥- وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ (١)

٦- وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ (٢)

٧- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿١١١﴾﴾
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ عَنْ اللَّهِ غَيْرُ حَكِيمٌ ﴿١١٢﴾ (٣)

٨- وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨٤﴾

وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١١٣﴾

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١١٤﴾ (٤)

٩- ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ (٥)

ثالثًا : حق اليتامى في أموال الغنائم والفبيء :

١٠- ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَاقِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ (٦)

١١- مَا آفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ

(٥) النساء : ٣٦ مدنية

(٦) الأنفال : ٤١ مدنية

(٣) البقرة : ٢١٩ - ٢٢٠ مدنية

(٤) النساء : ٨ - ١٠ مدنية

(١) البقرة : ٨٣ مدنية

(٢) البقرة : ١١٠ مدنية

كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا إِلَهُكُمُ
الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَنْ نَهَكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُمْ وَأَنْتَقُوا
إِلَّاهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ^(١)

رابعًا : إكرام الله عز وجل لليتامى ونعيه
على من لم يكرمهم :

١٢ - وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ
وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا
فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا
كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي
ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ^(٢)

١٣ - فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ
رَبِّي أَكْرَمَنِ ^(٣)
وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَرَهُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ
رَبِّي أَهَنَنِ ^(٤)

كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ^(٥)
وَلَا تَحْضُرُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ^(٦)
وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ^(٧)
وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ^(٨)

١٤ - وَالضُّحَى ^(٩)
وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ^(١٠)
مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ^(١١)

وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ^(١٢)
وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ^(١٣)
أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ^(١٤)
وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ^(١٥)
وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ^(١٦)
فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ^(١٧)
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ^(١٨)
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ^(١٩)

١٥ - أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِاللِّدِينِ ^(٢٠)
فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ^(٢١)
وَلَا يُحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ^(٢٢)

فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ^(٢٣)
الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ^(٢٤)
الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ^(٢٥)
وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ^(٢٦)

خامسًا : الإقساط إلى اليتامى وعدم ظلمهم :

١٦ - وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ^(٢٧)
وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا
كَبِيرًا ^(٢٨)

١٧ - وَلَا تَتَّبِعُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالِكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا ^(٢٩)
وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ^(٣٠)

١٨- وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ

فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي

يَتَمَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ

لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ

مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَمَى

بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ

فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (١٢٧)

١٩- وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ

بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ

اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ (١٥٢)

٢٠- وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ

أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ

مَسْئُولًا (٣٤)

سادسًا : جزاء إكرام اليتيم :

٢١- إِنْ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا

كَافُورًا (٥)

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦)

يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧)

وَيُطْعَمُونَ الْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨)

إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا (٩)

إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا (١٠)

فَوَقَّهَمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهَمُ نَصْرَهُ وَسُرُورًا (١١)

وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢)

٢٢- فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١)

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢)

فَكُرْبَةُ (١٣)

أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤)

يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥)

أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦)

ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا

بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧)

أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمُنَنَّى (١٨)

الأحاديث الواردة في «كفالة اليتيم»

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَأَنْطَلَقْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَجَدْتُ
امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى الْبَابِ، حَاجَتُهَا مِثْلُ حَاجَتِي،
فَمَرَّ عَلَيْنَا بِلَالٌ، فَقُلْنَا: سَلِ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُجْزِي عَنِّي
أَنْ أَنْفِقَ عَلَى زَوْجِي وَأَيْتَامٍ لِي فِي حِجْرِي؟ وَقُلْنَا لَا تُخْبِرْ
بِنَا. فَدَخَلَ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: «مَنْ هُمَا؟» قَالَ: زَيْنَبُ.
قَالَ: «أَيُّ الزَّيَانِبِ؟» قَالَ: امْرَأَةُ عَبْدِ اللَّهِ. قَالَ: «نَعَمْ،
لَهَا أَجْرَانِ»^(٤): أَجْرُ الْقَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ»^(٥).

٤- * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ
النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْرَجُ»^(٦) حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ
الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ»^(٧)).

٥- * (عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ:
قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلِي أَجْرٌ أَنْ أَنْفِقَ عَلَى بَنِي أَبِي سَلَمَةَ؟
إِنَّمَا هُمْ بَنِي. فَقَالَ ﷺ: «أَنْفِقِي عَلَيْهِمْ، فَلَكَ أَجْرٌ مَا
أَنْفَقْتِ عَلَيْهِمْ»^(٨)).

١- * (عَنْ سَهْلِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا»
وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ^(١) وَالْوُسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا)^(٢).

٢- * (عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
«مَنْ مَسَحَ رَأْسَ يَتِيمٍ لَمْ يَمْسَحْهُ إِلَّا اللَّهُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ
شَعْرَةٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَاتٌ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى يَتِيمَةٍ
أَوْ يَتِيمٍ عِنْدَهُ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ» وَفَرَّقَ بَيْنَ
أَصْبَعَيْهِ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى)^(٣).

٣- * (عَنْ زَيْنَبِ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا - قَالَتْ: كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ.
فَقَالَ: «تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ، وَكَانَتْ زَيْنَبُ تُنْفِقُ
عَلَى عَبْدِ اللَّهِ وَأَيْتَامٍ فِي حِجْرِهَا، فَقَالَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ: سَلِ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُجْزِي عَنِّي أَنْ أَنْفِقَ عَلَيْكَ وَعَلَى
أَيْتَامِي فِي حِجْرِي مِنَ الصَّدَقَةِ؟ فَقَالَ: سَلِي أَنْتِ

(١) وفي رواية الكشميهني «بالسباحة» وهما بمعنى والسباحة:
هي الأصبع التي تلي الإبهام، سُمِّيَتْ بذلك لأنها يُسَبَّحُ بها
في الصلاة، فيُشار في التشهُد لذلك، وهي السبابة أيضًا
لأنها يُسَبُّ بها الشيطان حينئذٍ.

(٢) البخاري - الفتح ٩ (٥٣٠٤)، ١٠ (٦٠٠٥) واللفظ له،
ومسلم (٢٩٨٣) ولفظه: «كافل اليتيم له أو لغيره، أنا
وهو كهاتين في الجنة» وأشار مالك بالسبابة والوسطى..
ومعنى قوله «له أو لغيره» الذي له: أن يكون قريبًا له كجده
وأمه وجدته وأخيه وأخته وعمه وخاله وعمته وخالته،
وغيرهم من أقاربه. والذي لغيره أن يكون أجنبيًا.

(٣) أحمد (٢٥٠/٥)، وقال الهيثمي في المجمع (١٩٠/٨):

رواه أبوداود باختصار ورواه أحمد ورجاله رجال صحيح.

(٤) ولها أجران: أجر القرابة وأجر الصدقة: أي أجر صلة
الرحم وأجر منفعة الصدقة.

(٥) البخاري - الفتح ٥ (١٤٦٦) واللفظ له، ومسلم
(١٠٠٠).

(٦) أخرج: المعنى: أخرج عن هذا الإثم، بمعنى أن يُضَيَّعَ
حقهما، وأحذر من ذلك تحذيرًا بليغًا، وأزجر عنه زجرًا
أكيدًا. قاله النووي.

(٧) أحمد (٤٣٩/٢)، وابن ماجه برقم (٣٦٧٨) في الزوائد:
إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

(٨) البخاري - الفتح ٣ (١٤٦٧) واللفظ له، ومسلم (١٠٠١).

٦- * (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ فَقَالَ: «إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ. فَقِيلَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ تُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ وَلَا يُكَلِّمُكَ؟ فَرَأَيْنَا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ. قَالَ: فَمَسَحَ عَنْهُ الرُّخْصَاءُ فَقَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» - وَكَانَتْ حَمْدُهُ - فَقَالَ: «إِنَّهُ لَا يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ، وَإِنْ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّيْعُ يَقْتُلُ أَوْ يُلْمُ، إِلَّا أَكَلَةَ الْخَضِرَاءِ، أَكَلْتُ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ فَتَلَطَّتْ وَبَالَتْ وَرَتَعَتْ. وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ مَا أُعْطِيَ مِنْهُ الْمُسْكِينِ وَالْيَتِيمِ وَابْنِ السَّبِيلِ - أَوْ كَمَا قَالَ ﷺ - وَإِنْ مَنْ يَأْخُذُهُ بَغَيْرِ حَقِّهِ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَيَكُونُ شَهِيدًا عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» * (١).

٧- * (عَنِ السَّائِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: جِيءَ بِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ - جَاءَ بِي عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ وَزُهَيْرٌ - فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُعْلِمُونِي بِهِ، قَدْ كَانَ صَاحِبِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ». قَالَ: قَالَ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَنِعْمَ الصَّاحِبُ

كُنْتُ. قَالَ: فَقَالَ: «يَا سَائِبُ: انْظُرْ أَخْلَاقَكَ الَّتِي كُنْتُ تَصْنَعُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَاجْعَلْهَا فِي الْإِسْلَامِ: اِقْرِ الضَّيْفَ، وَأَكْرِمِ الْيَتِيمَ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ» * (٢).

٨- * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ» (٣) قَالَ أَحَدُهُمَا: صَالِحُ نِسَاءٍ قُرَيْشٍ. وَقَالَ الْآخَرُ: نِسَاءُ قُرَيْشٍ) أَحْنَاهُ (٤) عَلَى يَتِيمٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ (٥) * (٦).

٩- * (عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ». فَقَالَ لَهُ عَمْرُو: أَبْصِرْ مَا تَقُولُ. قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: لَنْ قُلْتَ ذَلِكَ، إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا: إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ، وَخَيْرُهُمْ لِمُسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ: وَأَمْنُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمَلُوكِ» * (٧).

١٠- * (عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: حَفِظْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُتِمَّ بَعْدَ اخْتِلَامٍ، وَلَا صُمَاتٍ يَوْمٍ إِلَى اللَّيْلِ» * (٨).

أحناهم.

(٥) ذات يده: أي شأنه المضاف إليه.

(٦) مسلم (٢٥٢٧).

(٧) مسلم (٢٨٩٨).

(٨) أبوداود (٢٨٧٣)، وأورده السيوطي في الجامع الصغير وصححه إسناده الشيخ الألباني (٧٤٨٥) وفي إرواء الغليل (١٢٣١). وقال الأرناؤوط في تعليقه على «جامع الأصول» (٦٤٢/١١): حسن بشواهده.

(١) البخاري - الفتح ٣ (١٤٦٥)، ٦ (٢٨٤٢).

(٢) أحمد (٤٢٥/٣). وأبو داود (٤٨٣٦) وصححه الألباني (٩١٧/٣).

(٣) ركن الإبل: أي نساء العرب، ولهذا قال أبوهريرة في الحديث: لم تركب مريم بنت عمران بعيراً قط. والمقصود أن نساء قريش خير نساء العرب.

(٤) أحناه: أي أشفقه. والحنانية على ولدها: التي تقوم عليهم بعد يتم فلا تتزوج. فإن تزوجت فليست بحنانية. والمعنى:

الْخُمْسِ^(٦) لِمَنْ هُوَ؟ وَإِنَّا كُنَّا نَقُولُ: هُوَ لَنَا، فَأَبَى عَلَيْنَا قَوْمُنَا ذَلِكَ^(٧))*^(٨).

١٢ - * (عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي فَقِيرٌ لَيْسَ لِي شَيْءٌ، وَلِي يَتِيمٌ. قَالَ، فَقَالَ: «كُلْ مِنْ مَالِ يَتِيمِكَ»^(٩) غَيْرَ مُسْرِفٍ، وَلَا مُبَاذِرٍ، وَلَا مُتَأَثِّلٍ^(١٠))*^(١١).

١٣ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ^(١٢) الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»)*^(١٣).

١٤ - * (عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أَحِبُّ لَكَ مَا أَحَبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأْمُرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ،

١١ - * (عَنْ يَزِيدَ بْنِ هُرْمَزٍ أَنَّ نَجْدَةَ (بْنَ عَامِرٍ الْحُرَوْرِيِّ)^(١) كَتَبَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ يَسْأَلُهُ عَنْ خُمْسٍ خِلَالٍ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَوْلَا أَنْ أَكْتُمَ عِلْمًا مَا كَتَبْتُ إِلَيْهِ^(٢). كَتَبَ إِلَيْهِ نَجْدَةُ: أَمَّا بَعْدُ. فَأَخْبِرْنِي هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَغْزُو بِالنِّسَاءِ؟ وَهَلْ كَانَ يَضْرِبُ لَهُنَّ بِسَهْمٍ؟ وَهَلْ كَانَ يَقْتُلُ الصَّبِيَّانَ؟ وَمَتَى يَنْقُضِي يَتِيمٌ الْيَتِيمَ؟ وَعَنِ الْخُمْسِ لِمَنْ هُوَ؟ فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَتَبْتَ تَسْأَلُنِي هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَغْزُو بِالنِّسَاءِ؟ وَقَدْ كَانَ يَغْزُو بِهِنَّ فَيُدَاوِينَ الْجَرْحَى وَيُحْذِينَ^(٣) مِنَ الْغَنِيمَةِ. وَأَمَّا بِسَهْمٍ فَلَمْ يَضْرِبْ لَهُنَّ. وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَقْتُلُ الصَّبِيَّانَ، فَلَا تَقْتُلِ الصَّبِيَّانَ. وَكَتَبْتَ تَسْأَلُنِي: مَتَى يَنْقُضِي يَتِيمٌ الْيَتِيمَ^(٤) فَلَعَمْرِي إِنَّ الرَّجُلَ لَتَنَبَّأَ لِحَيْثُهُ وَإِنَّهُ لَضَعِيفٌ الْأَخَذِ لِنَفْسِهِ، ضَعِيفُ الْعَطَاءِ مِنْهَا. فَإِذَا أَخَذَ لِنَفْسِهِ مِنْ صَالِحٍ مَا يَأْخُذُ^(٥) النَّاسُ فَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُ الْيَتِيمُ. وَكَتَبْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ

أنه لا يتعين صرفه إلينا، بل في المصالح.

(٨) مسلم (١٨١٢).

(٩) كل من مال يتيملك: حملوه على ما يستحقه من الأجرة، بسبب ما يعمل فيه ويصلح له.

(١٠) متأثل: أي متخذًا منه أصل مال للتجارة ونحوها. وقال ابن الأثير: أي غير جامع.

(١١) أبوداود (٢٨٧٢)؛ والنسائي (٣٦٦٨) ولفظهما واحد؛ وابن ماجه (٢٧١٨)، وأحمد (١٨٦/٢)، ٢١٥، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(١٢) المحصنات: العفائف.

(١٣) البخاري - الفتح ٥ (٢٧٦٦) واللفظ له؛ ومسلم برقم (١٤٥) وفي روايته قدّم «أكل مال اليتيم» على «أكل الربا».

(١) هو من الخوارج.

(٢) لولا أن أكتم علمًا ما كتبت إليه: يعني أن ابن عباس يكرهه لبدعته، وهي كونه من الخوارج الذين يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية. ولكن لما سأله عن العلم لم يمكنه كتمه فاضطر إلى جوابه.

(٣) يُحْذِينَ: أي يُعْطِينَ الحُدُوءَ وهي العطية، وتُسمَّى الرضخ وهو العطية القليلة.

(٤) متى ينقضي يَتِيمٌ الْيَتِيمَ: أي متى ينتهي حكم يَتِيمِهِ. أما نفس اليتيم فإنه ينقضي بالبلوغ.

(٥) فإذا أخذ لنفسه من صالح ما يأخذ: أي فإذا صار حافظًا لماله، عارفًا بوجوه أخذه وعطائه.

(٦) الخُمس: أي خمس الغنيمة الذي جعله الله لذوي القربى.

(٧) فأبى علينا قومنا ذلك: أي أن ولاية أمرنا من بني أمية رأوا

وَلَا تَوَلَّيْنَ مَالَ يَتِيمٍ»*(١).

١٥ - * عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -

أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ (النساء/ ٣) فَقَالَتْ: يَا بَنَ أَخْتِي! هِيَ الْيَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حَجَرٍ وَلِيَّهَا، تُشَارِكُهُ فِي مَالِهِ فَيُعْجِبُهُ مَا لَهَا وَجَمَالُهَا، فَيُرِيدُ وَلِيَّهَا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا بِغَيْرِ أَنْ يُقْسِطَ فِي صَدَاقِهَا، فَيُعْطِيهَا مِثْلَ مَا يُعْطِيهَا غَيْرُهُ، فَهِيَ عَنْ أَنْ يَنْكِحُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يُقْسِطُوا لَهُنَّ وَيَبْلُغُوا بِهِنَّ أَعْلَى سُنَّتِهِنَّ مِنَ الصَّدَاقِ، وَأَمْرُوا أَنْ يَنْكِحُوا مَا طَابَ لَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ سِوَاهُنَّ. قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ اسْتَفْتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ - إِلَى قَوْلِهِ - وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ وَالَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ أَنَّهُ يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ الْآيَةُ الْأُولَى الَّتِي قَالَ فِيهَا ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ: وَقَوْلُ اللَّهِ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ يَعْنِي هِيَ رَغْبَةُ أَحَدِكُمْ لِيَتِيمَتِهِ الَّتِي تَكُونُ فِي حَجَرِهِ حِينَ تَكُونُ قَلِيلَةَ الْمَالِ وَالْجَمَالَ، فَهِيَ أَنْ يَنْكِحُوا مَا

رَغَبُوا فِي مَالِهَا مِنْ يَتَامَى النِّسَاءِ إِلَّا بِالْقِسْطِ مِنْ أَجْلِ رَغْبَتِهِمْ عَنْهُنَّ»*(٢).

١٦ - * (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الإسراء/ ٣٤) وَ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى﴾ (النساء/ ١٠) الْآيَتَيْنِ: انْطَلَقَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ يَتِيمٌ، فَعَزَلَ طَعَامَهُ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرَابَهُ مِنْ شَرَابِهِ، فَجَعَلَ يَفْضُلُ لَهُ الشَّيْءَ مِنْ طَعَامِهِ فَيَجْلِسُ لَهُ حَتَّى يَأْكُلَهُ أَوْ يَفْسُدَ فَيَرْمِي بِهِ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى...﴾ الْآيَةَ. فَخَلَطُوا طَعَامَهُمْ بِطَعَامِهِمْ وَشَرَابَهُمْ بِشَرَابِهِمْ»*(٣).

١٧ - * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ: كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ يَتِيمَةٌ، وَهِيَ أُمُّ أَنَسٍ (٤). فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْيَتِيمَةَ فَقَالَ: «أَنْتِ هِيَ؟ لَقَدْ كَبُرَتْ، لَا كِبَرَ سِنَّكِ» فَارْجَعَتِ الْيَتِيمَةُ إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ تَبْكِي. فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: مَالِكِ يَا بَنِيَّةُ؟! قَالَتْ الْجَارِيَةُ: دَعَا عَلِيَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا يَكْبَرَ سِنِّي. فَالآنَ لَا يَكْبُرُ سِنِّي أَبَدًا. أَوْ قَالَتْ قَرْنِي (٥). فَخَرَجَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مُسْتَعْجِلَةً تَلُوثُ خِمَارَهَا (٦). حَتَّى لَقِيَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

(٢) البخاري - الفتح ٥ (٢٤٩٤) واللفظ له، ومسلم (٣٠١٨).

(٣) أبوداود (٢٨٧١)، والنسائي (٣٦٦٩).

(٤) أم أنس: يعني أم سليم.

(٥) قرني: السن والقرن واحد.

(٦) تلوث خمارها: أي تديره على رأسها.

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٦)، والنسائي برقم (٣٦٦٧)؛ قال القرطبي: «قوله (ضعيفاً) أي عن القيام بما يتعين على الأمير من مراعاة مصالح الرعية الدنيوية والدينية، ووجه ضعفه عن ذلك أن الغالب عليه كان الزهد واحتقار الدنيا، ومن هذا حاله لا يعتني بمصالح الدنيا ولا أموالها اللذين بمراعاتهما تنتظم مصالح الدين ويتم أمره...».

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَالِكِ يَا أُمِّ سُلَيْمٍ!» فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَدَعَوْتَ عَلَى يَتِيمَتِي؟. قَالَ: «وَمَا ذَاكَ يَا أُمِّ سُلَيْمٍ؟» قَالَتْ: زَعَمْتُ أَنَّكَ دَعَوْتَ أَنْ لَا يَكْبَرَ سِنُّهَا وَلَا يَكْبَرَ قَرْنُهَا. قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «يَا أُمِّ سُلَيْمٍ، أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ شَرْطِي عَلَى رَبِّي، أَنِّي

اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي فَقُلْتُ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ. وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ. فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِي بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَزَكَاةً وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» * (١).

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في «كفالة اليتيم»

١٨ - * (عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فِي مَسِيرٍ لَهُ فَأَدْجُنَا لَيْلَتَنَا. حَتَّى إِذَا كَانَ فِي وَجْهِ الصُّبْحِ عَرَّسْنَا، فَغَلَبْتَنَا أَعْيُنُنَا حَتَّى بَزَغَتِ الشَّمْسُ. قَالَ: فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ اسْتَيْقَظَ مِنَّا أَبُو بَكْرٍ، وَكُنَّا لَا نُوقِظُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَنَامِهِ إِذَا نَامَ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ عُمَرُ، فَقَامَ عِنْدَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يُكَبِّرُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ حَتَّى اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ وَرَأَى الشَّمْسَ قَدْ بَزَغَتْ قَالَ: «ارْتَحِلُوا» فَسَارَ بِنَا، حَتَّى إِذَا ابْيَضَّتِ الشَّمْسُ، نَزَلَ فَصَلَّى بِنَا الْغَدَاةَ، فَاعْتَزَلَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ لَمْ يُصَلِّ مَعَنَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا فُلَانُ، مَا مَنَعَكَ أَنْ

تُصَلِّيَ مَعَنَا؟» قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَصَابَتْني جَنَابَةٌ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَتِمُّمُ بِالصَّعِيدِ، فَصَلَّى، ثُمَّ عَجَّلَنِي فِي رُكْبٍ بَيْنَ يَدَيْهِ، نَطْلُبُ الْمَاءَ، وَقَدْ عَطِشْنَا عَطَشًا شَدِيدًا. فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ إِذَا نَحْنُ بِأَمْرَأَةٍ سَادِلَةٍ (٢). رَجُلَيْهَا بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ (٣). فَقُلْنَا لَهَا: أَيْنَ الْمَاءُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا. أَيُّهَا (٤). لَا مَاءَ لَكُمْ. قُلْنَا: فَكَمْ بَيْنَ أَهْلِكَ وَبَيْنَ الْمَاءِ؟ قَالَتْ: مَسِيرَةُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. قُلْنَا: انْطَلِقِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَتْ: وَمَنْ رَسُولُ اللَّهِ؟ فَلَمْ نَمْلِكْهَا مِنْ أَمْرِهَا شَيْئًا (٥). حَتَّى انْطَلَقْنَا بِهَا، فَاسْتَقْبَلَنَا بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَهَا فَأَخْبَرَتْهُ مِثْلَ الَّذِي أَخْبَرْتَنَا، وَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا مُوتَمَةٌ (٦)، لَهَا صَبِيَانُ أَيْتَامٌ. فَأَمَرَ بِرَاوِيَتِهَا (٧)، فَأَنِخَتْ،

(١) مسلم (٢٦٠٣).

(٢) سادلة: أي مرسله مدلية.

(٣) مزادتين: المزايدة: أكبر من القربة، والمزادتان: حمل بعير، وسميت مزايدة لأنه يُزاد فيها من جلد آخر من غيرها.

(٤) أيها. أيها: بمعنى هيهات. هيهات، ومعناها البعد عن المطلوب واليأس منه.

(٥) لم نملكها من أمرها شيئاً: أي لم نخلها وشأنها حتى تملك أمرها.

(٦) موتمة: أي ذات أيتام.

(٧) براويتها: الراوية هي الجمل الذي يحمل الماء وقد يُسمى مزادة.

فَمَجَّ فِي الْعَزْلَاوَيْنِ الْعُلْيَاوَيْنِ^(١)، ثُمَّ بَعَثَ بِرِوَايَتِهَا، فَشَرَبْنَا، وَنَحْنُ أَرْبَعُونَ رَجُلًا عَطَاشٌ حَتَّى رَوَيْنَا. وَمَلَأْنَا كُلَّ قَرَبَةٍ مَعَنَا وَإِدَاوَةٍ، وَغَسَلْنَا صَاحِبَنَا^(٢)، غَيْرَ أَنَّا لَمْ نَسْقِ بَعِيرًا، وَهِيَ تَكَادُ تَنْضَرُجُ^(٣). مِنَ الْمَاءِ (يَعْنِي الْمَزَادَتَيْنِ) ثُمَّ قَالَ: «هَاتُوا مَا كَانَ عِنْدَكُمْ» فَجَمَعْنَا لَهَا مِنْ كِسْرٍ^(٤) وَتَمْرٍ، وَصَرَّ لَهَا صُرَّةً^(٥)، فَقَالَ لَهَا: «اذْهَبِي فَأَطْعِمِي هَذَا عِيَالَكِ، وَاعْلَمِي أَنَّا لَمْ نَزُرْ^(٦) مِنْ مَائِكَ». فَلَمَّا أَتَتْ أَهْلَهَا قَالَتْ: لَقَدْ لَقِيتُ أَسْحَرَ الْبَشَرِ. أَوْ إِنَّهُ لَنَبِيٌّ كَمَا زَعَمَ. كَانَ مِنْ أَمْرِهِ ذَيْتٌ وَذَيْتٌ^(٧). فَهَدَى اللَّهُ

ذَاكَ الصَّرْمَ^(٨) بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ، فَأَسْلَمَتْ وَأَسْلَمُوا^(٩).*
 ١٩ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَيْشًا اسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، وَقَالَ: «إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ أَوْ اسْتُشْهِدَ فَأَمِيرُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ...» وَفِيهِ: أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ» قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَارٍ. قَالَ (أَيُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ) فَجَاءَتْ أُمُّنَا فَذَكَرَتْ لَهُ يَتْمَنَّا، وَجَعَلَتْ تُفْرِحُ لَهُ، فَقَالَ: الْعَيْلَةُ تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟)*^(١٠).

(١) فمَجَّ في العزلاوين العلياوين: المَجَّ: زرق الماء بالفم. والعزلاء: هو الشعب الأسفل للمزادة الذي يفرغ منه الماء، ويُطلق أيضًا على فمها الأعلى.

(٢) وغسلنا صاحبنا: يعني الجنب، أعطيناه ما يغتسل به.

(٣) تنضرج من الماء: أي تنشق.

(٤) كِسْر: جمع كسرة وهي القطعة من الشيء المكسور.

(٥) وَصَرَّ لَهَا صُرَّة: أي شد ما جمعه لها في لفافة.

(٦) لم نَزُرْ: لم ننقص من مائك شيئاً.

(٧) ذَيْتٌ وَذَيْتٌ: بمعنى كَيْتٌ وَكَيْتٌ وكذا وكذا.

(٨) الصرم: أبيات مجتمعة.

(٩) البخاري - الفتح ٦ (٣٥٧١)، ومسلم (٦٨٢) واللفظ له.

(١٠) أحمد (١/٢٠٤، ٢٠٥)، وقال الشيخ أحمد شاكر:

إسناده صحيح؛ وهو في مجمع الزوائد (٦/١٥٦ - ١٥٧)،

وقال: روى أبوداود وغيره بعضه.

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في « كفالة اليتيم »

١ - * (قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: حَقٌّ عَلَى مَنْ سَمِعَ هَذَا الْحَدِيثَ - يَعْنِي قَوْلَ الرَّسُولِ ﷺ - : «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ - الْحَدِيثُ» - أَنْ يَعْمَلَ بِهِ لِيَكُونَ رَفِيقَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، وَلَا مَنْزِلَةَ فِي الْآخِرَةِ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ) * (١).

٢ - * (عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: إِنِّي أَنْزَلْتُ نَفْسِي مِنْ مَالِ اللَّهِ بِمَنْزِلَةِ وَلِيِّ الْيَتِيمِ، إِنْ اسْتَغْنَيْتُ اسْتَعْفَفْتُ، وَإِنْ احْتَجَجْتُ أَخَذْتُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، فَإِذَا أَيْسَرْتُ قَضَيْتُ) * (٢).

٣ - * (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ: «إِنَّ فِي حِجْرِي أَيْتَامًا، وَإِنَّ لَهُمْ إِبِلًا فَمَاذَا يَحِلُّ لِي مِنْ أَلْبَانِهَا؟ فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ تَبْغِي ضَالَّتَهَا، وَتَهْنَأُ جَرْبَاهَا، وَتَلُوطُ حَوْضَهَا، وَتَسْعَى عَلَيْهَا فَاشْرَبْ غَيْرَ مُضِرٍّ بِنَسْلِ وَلَا نَاهِكٍ فِي الْحَلَبِ) * (٣).

٤ - * (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ نَاسًا يَزْعُمُونَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نُسِخَتْ ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ...﴾ (النساء / ٨) الْآيَةَ . وَلَا وَاللَّهِ مَا نُسِخَتْ، وَلَكِنَّهُ مِمَّا تَهَاوَنَ بِهِ النَّاسُ، هُمَا وَالْيَتَامَى: وَالْإِبِلُ يَرِثُ فَذَاكَ الَّذِي يَرْزُقُ وَيَكْسُو، وَوَالِ لَيْسَ بِوَارِثٍ فَذَاكَ الَّذِي يَقُولُ قَوْلًا مَعْرُوفًا. يَقُولُ: إِنَّهُ مَالُ يَتِيمٍ

وَمَالُهُ فِيهِ شَيْءٌ) * (٤).

٥ - * (وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ: أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ قِسْمَةِ مَوَارِيثِهِمْ أَنْ يَصِلُوا أَرْحَامَهُمْ وَأَيْتَامَهُمْ وَمَسَاكِينَهُمْ مِنَ الْوَصِيَّةِ إِنْ كَانَ أَوْصَى لَهُمْ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَصِيَّةٌ وَصَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَوَارِيثِهِمْ) * (٥).

٦ - * (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿... وَمَنْ كَانَ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ...﴾ الْآيَةَ. قَالَ: وَلِيُّ الْيَتِيمِ إِنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ، وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا أَخَذَ مِنْ فَضْلِ اللَّبَنِ وَأَخَذَ بِالْقُوتِ لَا يُجَاوِزُهُ، وَمَا يَسْتُرُ عَوْرَتَهُ مِنَ الثِّيَابِ، فَإِنْ أَيْسَرَ قَضَاهُ، وَإِنْ أَعْسَرَ فَهُوَ فِي حِلٍّ) * (٦).

٧ - * (وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَيْضًا قَالَ: إِنْ كَانَ غَنِيًّا فَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ شَيْئًا، وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَسْتَقْرِضْ مِنْهُ، فَإِذَا وَجَدَ مَيْسَرَةً فَلْيُعْطِهِ مَا اسْتَقْرِضَ مِنْهُ فَذَلِكَ أَكْلُهُ بِالْمَعْرُوفِ) * (٧).

٨ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَانَ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أَنْزَلْتُ فِي وَلِيِّ الْيَتِيمِ أَنْ يُصِيبَ مِنْ مَالِهِ إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا بِقَدْرِ مَالِهِ بِالْمَعْرُوفِ) * (٨).

(٥) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٦) المرجع السابق (٤/٤٣٦).

(٧) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٨) البخاري - الفتوح (٥/٤٦٠)، واللفظ له، ومسلم

(٣٠١٩) ولفظه (ولي اليتيم).

(١) الفتوح (١٠/٤٥١).

(٢) الدر المنثور (٤/٤٣٦) وانظر: «التفسير المأثور عن عمر

ابن الخطاب» جمع وتعليق إبراهيم بن حسن (ط. الدار

العربية للكتاب (٢٧٧).

(٣) الدر المنثور (٤/٤٣٧).

(٤) المرجع السابق (٤/٤٤٠).

٩- * (قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿...وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَغْفِرْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فِي الْأَكْلِ بِالْمَعْرُوفِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ الْأَخْذُ عَلَى وَجْهِ الْقَرْضِ، وَهُوَ مَرْوِيُّ عَنْ عُمَرَ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ جُبَيْرٍ، وَأَبِي الْعَالِيَةِ، وَعُبَيْدَةَ، وَأَبِي وَائِلٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَمُقَاتِلٍ.

وَالثَّانِي: الْأَكْلُ بِمِقْدَارِ الْحَاجَةِ مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ، وَهَذَا مَرْوِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ وَعِكْرَمَةَ وَعَطَاءٍ وَالنَّخَعِيِّ وَقَتَادَةَ وَالسُّدِّيَّ.

وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ الْأَخْذُ بِقَدْرِ الْأَجْرَةِ إِذَا عَمِلَ لِلْيَتِيمِ عَمَلًا. رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَائِشَةَ.

وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ الْأَخْذُ عِنْدَ الضَّرُورَةِ فَإِنْ أَيْسَرَ قَضَاهُ، وَإِنْ لَمْ يُوسِرْ فَهُوَ فِي حِلٍّ. وَهَذَا قَوْلُ الشَّعْبِيِّ* (١).

١٠- * (عَنْ نَافِعٍ قَالَ: مَا رَدَّ ابْنُ عُمَرَ عَلَى أَحَدٍ وَصِيَّتَهُ. وَكَانَ ابْنُ سِيرِينَ أَحَبَّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِ فِي مَالِ الْيَتِيمِ أَنْ يَجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَصَحَاؤُهُ وَأَوْلِيَاؤُهُ فَيَنْظُرُوا الَّذِي هُوَ خَيْرٌ لَهُ. وَكَانَ طَاوُسٌ إِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْيَتَامَى قَرَأَ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾. وَقَالَ عَطَاءٌ فِي يَتَامَى الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ: يُنْفَقُ الْوَلِيُّ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ بِقَدْرِهِ مِنْ حِصَّتِهِ* (٢).

١١- * (عَنِ الضَّحَّاكِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ

تَعَالَى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ أَيَّ يَدْفَعُهُ عَنْ حَقِّهِ* (٣).

١٢- * (وَقَالَ قَتَادَةُ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ يَدْعُ الْيَتِيمَ: يَقْهَرُهُ وَيَظْلِمُهُ)* (٤).

١٣- * (عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَالنَّاسَ عَلَى أَمْرِ جَاهِلِيَّتِهِمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمَرُوا بِشَيْءٍ وَيُنْهَوْا عَنْهُ، فَكَانُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْيَتَامَى وَلَمْ يَكُنْ لِلنِّسَاءِ عَدَدٌ وَلَا ذِكْرٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾ الْآيَةَ. وَكَانَ الرَّجُلُ يَتَزَوَّجُ مَا شَاءَ فَقَالَ: كَمَا تَخَافُونَ أَنْ لَا تَعْدِلُوا فِي الْيَتَامَى فَخَافُوا فِي النِّسَاءِ أَنْ لَا تَعْدِلُوا فِيهِنَّ، فَقَصَرَهُمْ عَلَى الْأَرْبَعِ)* (٥).

١٤- * (قَالَ الشَّنْقِيطِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ الْآيَةَ: وَيُؤْخَذُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ - أَيْضًا - أَنَّ مَنْ كَانَ فِي حِجْرِهِ يَتِيمَةٌ لَا يَجُوزُ لَهُ نِكَاحُهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ حُقُوقَهَا كَامِلَةً، وَأَنَّهُ يَجُوزُ نِكَاحُ أَرْبَعٍ، وَيَحْرُمُ الزِّيَادَةُ عَلَيْهَا، كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا إِجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ ظُهُورِ الْمُخَالَفِ الضَّالِّ)* (٦).

١٥- * (عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: إِنَّ رَجُلًا مِنْ غَطَفَانَ، كَانَ مَعَهُ مَالٌ كَثِيرٌ لِابْنِ أَخٍ لَهُ يَتِيمٌ، فَلَمَّا بَلَغَ الْيَتِيمُ طَلَبَ مَالَهُ فَمَنَعَهُ عَنْهُ، فَخَاصَمَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ

(٤) المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(٥) الدر المنثور (٤/ ٤٢٨).

(٦) أضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (٤/ ٣٦٩).

(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٢/ ١٦) وابن

حجر في الفتح (٥/ ٤٦١).

(٢) البخاري - الفتح ٥ (٢٧٦٧).

(٣) القرطبي (٢٠/ ٢١١).

فَنَزَلَتْ ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ يَعْنِي الْأَوْصِيَاءَ، يَقُولُ: أَعْطُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ، ﴿وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ يَقُولُ: لَا تَبَدَّلُوا الْحَرَامَ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْحَلَالِ مِنْ أَمْوَالِكُمْ. يَقُولُ: لَا تُبَدِّلُوا أَمْوَالَكُمْ الْحَلَالَ وَتَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمُ الْحَرَامَ ﴿١﴾.

١٦ - ﴿قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾. الْيَتِيمُ: هُوَ مَنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: دُرَّةٌ يَتِيمَةٌ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا مِثْلٌ، فَمَجَازُ الْآيَةِ: أَلَمْ يَجِدْكَ وَاحِدًا فِي شَرَفِكَ لَا نَظِيرَ لَكَ، فَأَوَّاكَ اللَّهُ بِأَصْحَابٍ يَحْفَظُونَكَ وَيَحُوطُونَكَ﴾ ﴿٢﴾.

١٧ - ﴿قَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (الضحى / ٩): لَا تَحْتَقِرْهُ. وَقَالَ ابْنُ سَلَامٍ: لَا تَسْتَذِلَّهُ. وَقَالَ سُفْيَانُ: لَا تَظْلِمُهُ بِتَضْيِيعِ مَالِهِ. وَقَالَ الْفَرَاءُ: لَا تَمْنَعُهُ حَقَّهُ. وَالْقَهْرُ: هُوَ التَّسْلِيْطُ بِمَا يُؤْذِي﴾ ﴿٣﴾.

١٨ - ﴿وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ السَّابِقَةِ: أَيْ لَا تَسَلِّطْ عَلَيْهِ بِالظُّلْمِ، ادْفَعْ إِلَيْهِ حَقَّهُ، وَادْكُرْ يَتَمَكَ. قَالَ: وَخَصَّ الْيَتِيمَ؛ لِأَنَّهُ لَا نَاصِرَ لَهُ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى، فَغَلَّظَ فِي أَمْرِهِ، بِتَغْلِيْظِ الْعُقُوبَةِ عَلَى ظَالِمِهِ... وَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى اللَّطْفِ بِالْيَتِيمِ، وَبِرِّهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، حَتَّى قَالَ قَتَادَةُ: كُنْ لِلْيَتِيمِ كَالأَبِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿٤﴾.

١٩ - ﴿قَالَ أَبُو حَيَّانٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا

الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى / ٩-١١): وَيُظْهِرُ أَنَّهُ لَمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُ الْاِمْتِنَانِ عَلَيْهِ ﷺ بِذِكْرِ الثَّلَاثَةِ ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ أَمْرُهُ بِثَلَاثَةٍ: فَذَكَرَ الْيَتِيمَ أَوَّلًا، وَهِيَ الْبَادِيَةُ، ثُمَّ ذَكَرَ السَّائِلَ ثَانِيًا وَهُوَ الْعَائِلُ، وَكَانَ أَشْرَفُ مَا اِمْتَنَّ بِهِ عَلَيْهِ هِيَ الْهَدَايَةُ ﴿٥﴾.

٢٠ - ﴿قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (الماعون / ١-٢) يَقُولُ تَعَالَى أَرَأَيْتَ يَا مُحَمَّدُ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ وَهُوَ الْمَعَادُ وَالْجَزَاءُ وَالثَّوَابُ ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ أَيْ هُوَ الَّذِي يَقْهَرُ الْيَتِيمَ وَيَظْلِمُهُ حَقَّهُ، وَلَا يُطْعِمُهُ، وَلَا يُحْسِنُ إِلَيْهِ﴾ ﴿٦﴾.

٢١ - ﴿قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمَاعُونِ: نَزَلَتْ فِي الْعَاصِ بْنِ وَائِلِ السَّهْمِيِّ، وَقِيلَ: فِي رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَقِيلَ: فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ، وَقِيلَ: فِي أَبِي جَهْلٍ، وَقِيلَ: فِي عَمْرِو بْنِ عَائِدٍ. وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ، نَزَلَتْ فِي أَبِي سُفْيَانَ، وَكَانَ يَنْحَرُ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ جُزُورًا، فَطَلَبَ مِنْهُ يَتِيمٌ شَيْئًا فَقَرَعَهُ بِعَصَاهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ السُّورَةَ﴾ ﴿٧﴾.

٢٢ - ﴿قَالَ أَبُو حَيَّانٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿

(٥) البحر المحيط (٤/ ٤٨٢).

(٦) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٩٢).

(٧) تفسير القرطبي (٢٠ / ٢١٠).

(١) الدر المنثور (٤/ ٤٢٥).

(٢) تفسير القرطبي (٢٠ / ٩٦).

(٣) البحر المحيط (٨/ ٤٨٢).

(٤) تفسير القرطبي (٢٠ / ١٠٠).

وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿١٧-٢٠﴾ (الفجر ١٧-٢٠): (كَلَّا) رَدْعٌ لِلْإِنْسَانِ عَنْ قَوْلِهِمْ، ثُمَّ قَالَ: بَلْ هُنَا شَرٌّ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُكْرِمُهُمْ بِكَثْرَةِ الْمَالِ فَلَا يُؤَدُّونَ فِيهِ مَا يُلْزِمُهُمْ مِنْ إِكْرَامِ الْيَتِيمِ بِالتَّقَدُّ وَالْمَبَرَّةِ، وَحَضُّ أَهْلِهِ عَلَى إِطْعَامِ الْمَسْكِينِ، وَيَأْكُلُونَهُ أَكْلَ الْأَنْعَامِ، وَيُحِبُّونَهُ فَيَشْحُونُ بِهِ) * (١).

٢٣ - * (قَالَ أَبُو حَيَّانَ: قَالَ الْمُفَسِّرُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿... وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا...﴾ الآية (آل عمران/ ٣٧): إِنَّ حَنَّةَ حِينَ وَلَدَتْ مَرْيَمَ لَفَتَهَا فِي خِرْقَةٍ وَحَمَلَتْهَا إِلَى الْمَسْجِدِ فَوَضَعَتْهَا عِنْدَ الْأَخْبَارِ أَبْنَاءِ هَارُونَ وَهُمْ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ كَالْحَجَبَةِ فِي الْكَعْبَةِ، فَقَالَتْ لَهُمْ: دُونَكُمْ هَذِهِ النَّذِيرَةُ، فَتَنَافَسُوا فِيهَا، لِأَنَّهَا كَانَتْ بِنْتُ إِمَامِهِمْ وَصَاحِبِ قُرْبَانِهِمْ، وَكَانَتْ بَنُو مَائِثَانَ رُؤُوسَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَحْبَارُهُمْ وَمُلُوكُهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ زَكَرِيَّا: «أَنَا أَحَقُّ بِهَا، عِنْدِي خَالَتُهَا»، فَقَالُوا: لَا، حَتَّى نَقْتَرَعَ عَلَيْهَا، فَاَنْطَلَقُوا وَكَانُوا سَبْعَةً وَعِشْرِينَ إِلَى نَهْرٍ، قِيلَ: هُوَ نَهْرُ الْأَزْدَنْ، وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ، وَقِيلَ: فِي عَيْنِ مَاءٍ كَانَتْ هُنَاكَ فَالْقُوا فِيهِ أَقْلَامَهُمْ فَارْتَفَعَ قَلَمُ زَكَرِيَّا،

وَرَسَبَتْ أَقْلَامُهُمْ فَتَكَفَّلَهَا، قِيلَ: وَاسْتَرْضَعَ لَهَا، وَقَالَ الْحَسَنُ: لَمْ تَلْتَقِمْ نَذِيًّا قَطُّ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: أَلْقُوا أَقْلَامَهُمْ فَجَرَى قَلَمُ زَكَرِيَّا عَكْسَ جَرِيَةِ الْمَاءِ، وَمَضَتْ أَقْلَامُهُمْ مَعَ جَرِيَةِ الْمَاءِ، وَقِيلَ: عَامَتْ مَعَ الْمَاءِ مَعْرُوضَةً وَبَقِيَ قَلَمُ زَكَرِيَّا وَاقِفًا كَأَنَّمَا رُكِّزَ فِي طِينٍ.

قَالَ ابْنُ اسْحَاقَ: إِنَّ زَكَرِيَّا كَانَ تَزَوَّجَ خَالَتَهَا، لِأَنَّهُ وَعِمْرَانُ كَانَا سَلَفَيْنِ عَلَى أُخْتَيْنِ، وَلَدَتْ امْرَأَةً زَكَرِيَّا يَحْيَى، وَوَلَدَتْ امْرَأَةً عِمْرَانَ مَرْيَمَ. وَقَالَ السُّدِّيُّ وَغَيْرُهُ: كَانَ زَكَرِيَّا تَزَوَّجَ ابْنَةَ أُخْرَى لِعِمْرَانَ، وَيُعْضَدُ هَذَا الْقَوْلَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي يَحْيَى وَعِيسَى «ابْنَا الْخَالَةِ» وَقِيلَ: إِنَّمَا كَفَّلَهَا لِأَنَّ أُمَّهَُا هَلَكَتْ، وَكَانَ أَبُوهَا قَدْ هَلَكَ وَهِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهَا) * (٢).

٢٤ - * (قِيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ: لِمَ أُوتِمَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَبَوَيْهِ؟ فَقَالَ: لِئَلَّا يَكُونَ لِمَخْلُوقٍ عَلَيْهِ حَقٌّ) * (٣).

٢٥ - * (قَالَ النَّسَابُورِيُّ: قَالَ أَهْلُ التَّحْقِيقِ: الْحِكْمَةُ فِي يُتِمُّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَ الْإِيْتَامِ، فَيَقُومَ بِأَمْرِهِمْ، وَأَنْ يُكْرِمَ الْيَتِيمَ الْمُشَارِكَ لَهُ فِي الْأَسْمِ) * (٤).

(٣) تفسير القرطبي (٢٠ / ٩٦).

(٤) غرائب القرآن و رغائب الفرقان - بهامش تفسير الطبري (٣٠ / ١١١).

(١) البحر المحيط (٨ / ٤٦٦).

(٢) تفسير الطبري المجلد الثالث (٣ / ١٦٣، ١٦٤)، والقرطبي (٤ / ٧١)، والبحر المحيط (٢ / ٤٦٠) والنص منه.

من فوائد « كفالة اليتيم »

- (١) صُحِبَهُ الرَّسُولُ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، وَكَفَى بِذَلِكَ شَرَفًا وَفَخْرًا.
- (٢) كَفَالَةُ الْيَتِيمِ صَدَقَةٌ يُضَاعَفُ لَهَا الْأَجْرُ إِنْ كَانَتْ عَلَى الْأَقْرَبَاءِ (أَجْرُ الصَّدَقَةِ وَأَجْرُ الْقَرَابَةِ).
- (٣) كَفَالَةُ الْيَتِيمِ وَالْإِنْفَاقُ عَلَيْهِ دَلِيلٌ طَبَعَ سَلِيمٍ وَفِطْرَةٌ نَقِيَّةٌ.
- (٤) كَفَالَةُ الْيَتِيمِ وَالْمَسْحُ عَلَى رَأْسِهِ وَتَطْيِيبُ خَاطِرِهِ يُرَقِّقُ الْقَلْبَ وَيُزِيلُ عَنْهُ الْقَسْوَةَ.
- (٥) كَفَالَةُ الْيَتِيمِ تَعُودُ عَلَى الْكَافِلِ بِالْخَيْرِ الْعَمِيمِ فِي الدُّنْيَا فَضْلًا عَنِ الْآخِرَةِ.
- (٦) كَفَالَةُ الْيَتِيمِ تُسَاهِمُ فِي بِنَاءِ مُجْتَمَعٍ سَلِيمٍ خَالٍ مِنَ الْحَقْدِ وَالْكَرَاهِيَّةِ، وَتُسَوِّدُهُ رُوحُ الْمَحَبَّةِ وَالْوُدِّ.
- (٧) فِي إِكْرَامِ الْيَتِيمِ وَالْقِيَامِ بِأَمْرِهِ إِكْرَامٌ لِمَنْ شَارَكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي صِفَةِ الْيَتِيمِ، وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى مَحَبَّتِهِ ﷺ.
- (٨) كَفَالَةُ الْيَتِيمِ تُزَكِّي الْمَالَ وَتُطَهِّرُهُ وَتَجْعَلُهُ نِعَمَ الصَّاحِبِ لِلْمُسْلِمِ.
- (٩) كَفَالَةُ الْيَتِيمِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ الَّتِي أَقْرَهَا الْإِسْلَامُ وَامْتَدَحَ أَهْلُهَا ^(١).
- (١٠) كَفَالَةُ الْيَتِيمِ دَلِيلٌ عَلَى صَلَاحِ الْمَرْأَةِ إِذَا مَاتَ زَوْجُهَا فَعَالَتْ أَوْلَادَهَا وَخَيْرَتَتْهَا فِي الدُّنْيَا وَفَوَّزَهَا بِالْجَنَّةِ وَمُصَاحَبَةِ الرَّسُولِ ﷺ فِي الْآخِرَةِ.
- (١١) فِي كَفَالَةِ الْيَتِيمِ بَرَكَةٌ تَحُلُّ عَلَى الْكَافِلِ وَتَزِيدُ مِنْ رِزْقِهِ.

الكلم الطيب

الآيات	الأحاديث	الآثار
٧٤	١٨	٥١

الكلم لغة:

جَمْعُ كَلِمَةٍ^(١)، وَقِيلَ: اسْمٌ جِنْسٍ جَمْعِي^(٢)،
وَاحِدُهُ كَلِمَةٌ أَمَّا الْكَلَامُ فَهُوَ اسْمٌ جِنْسٍ إِفْرَادِيٍّ
يَقَعُ عَلَى الْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مَا اخُذَ مِنْ مَادَّةٍ
(ك ل م) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى مَعْنَيْنِ أَصْلِيَيْنِ:
الْأَوَّلُ: نُطْقُ مُفْهِمٍ، وَالْآخَرُ: الْجُرْحُ.
وَمِنْ الْأَوَّلِ: الْكَلَامُ، تَقُولُ: كَلَّمْتُهُ تَكْلِيمًا، وَهُوَ
كَلِيمِي إِذَا كَلَّمَكَ أَوْ كَلَّمْتَهُ.

قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: ثُمَّ يَتَّسِعُونَ فَيَسْمُونَ اللَّفْظَةَ
الْوَحِيدَةَ الْمُفْهِمَةَ كَلِمَةً، وَالْقِصَّةَ كَلِمَةً، وَالْقَصِيدَةَ
بَطْوِهَا كَلِمَةً، وَيَجْمَعُونَ الْكَلِمَةَ كَلِمَاتٍ وَكَلِمًا، وَمِنْ
الْأَصْلِ الْآخِرِ قَوْلُهُمْ: الْكَلِمُ الْجُرْحُ، وَالْكَلَامُ
الْجِرَاحَاتُ، وَجَمْعُ الْكَلِمِ كُلُومٌ، وَرَجُلٌ كَلِيمٌ (مَجْرُوحٌ)،
وَالْجَمْعُ كَلَمَى^(٣).

وَقَدْ أَرْجَعَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مَعْنَى الْكَلَامِ إِلَى مَعْنَى
الْجُرْحِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: الْكَلَامُ الَّذِي هُوَ

قَوْلٌ مِنْ هَذَا (أَيُّ مِنْ مَعْنَى الْجُرْحِ) وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ
لَأَنَّهُ يَشُقُّ الْأَسْمَاءَ بِوُضُوْلِهِ إِلَيْهَا كَمَا يَشُقُّ الْكَلِمُ الَّذِي
هُوَ الْجُرْحُ الْجِلْدَ وَاللَّحْمَ، وَقِيلَ: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِتَشْقِيقِهِ
الْمَعَانِي الْمَطْلُوبَةَ مِنْ أَنْوَاعِ الْخِطَابِ وَأَقْسَامِهِ^(٤). وَقَدْ
جَمَعَ الرَّاعِبُ بَيْنَ الْمَعْنَيْنِ (الْقَوْلُ وَالْجُرْحُ) فِي أَمْرٍ وَاحِدٍ
هُوَ التَّأْثِيرُ عِنْدَمَا قَالَ: تَدُلُّ الْمَادَّةُ عَلَى التَّأْثِيرِ الْمَذْكُورِ
بِإِحْدَى الْحَاسَتَيْنِ السَّمْعِ أَوْ الْبَصَرِ، فَالْكَلَامُ وَالْكَلِمَةُ
وَنَحْوُهُمَا يُدْرِكُ بِحَاسَةِ السَّمْعِ وَالْكَلِمُ أَيْ الْجُرْحُ يُدْرِكُ
بِحَاسَةِ الْبَصَرِ^(٥).

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْكَلَامُ اسْمٌ جِنْسٍ يَقَعُ عَلَى
الْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ، أَمَّا الْكَلِمُ فَلَا يَكُونُ أَقْلٌ مِنْ ثَلَاثِ
كَلِمَاتٍ، وَلِهَذَا قَالَ سِيبَوَيْهِ: هَذَا بَابٌ عِلْمٌ مَا الْكَلِمُ مِنْ
الْعَرَبِيَّةِ^(٦)، وَلَمْ يَقُلْ مَا الْكَلَامُ، فَجَاءَ بِمَا لَا يَكُونُ إِلَّا
جَمْعًا.

وَحَكَى الْفَرَّاءُ فِي الْكَلِمَةِ ثَلَاثَ لُغَاتٍ: كَلِمَةٌ
(وَهِيَ لُغَةُ الْحِجَازِ) وَكَلِمَةٌ (وَهِيَ لُغَةُ تِمِيمٍ)، وَكَلِمَةٌ

(١) مِمَّنْ قَالَ بِأَنَّهُ جَمْعٌ: الْجَوْهَرِيُّ فِي الصَّحَاحِ (٥/٢٠٢٣)،
وَابْنُ فَارِسٍ فِي الْمَقَائِيسِ (٥/١٢١).

(٢) مِمَّنْ قَالَ بِأَنَّهُ اسْمُ جِنْسٍ جَمْعِي يَفْرُقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاحِدِهِ بِالتَّاءِ
غَالِبًا ابْنُ هِشَامٍ فِي أَوْضَحِ الْمَسَالِكِ (١/١٢)، وَابْنُ عَقِيلٍ
فِي شَرْحِهِ عَلَى الْأَلْفِيَةِ (١/١٥)، وَالْفَرْقُ بَيْنَ اسْمِ الْجِنْسِ
الْجَمْعِيِّ وَالْإِفْرَادِيِّ أَنَّ الْأَوَّلَ يَدُلُّ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ اثْنَيْنِ، أَمَّا
الْآخِرُ فَقَدْ يَدُلُّ عَلَى الْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ وَذَلِكَ مِثْلُ مَاءٍ - ذَهَبٍ

- كَلَامٌ ... إلخ.

(٣) مَقَائِيسُ اللُّغَةِ (٥/١٣١).

(٤) نَزْهَةُ الْأَعْيُنِ النَّوَظِرِ (٥٢٣).

(٥) الْمَفْرَدَاتُ لِلرَّاعِبِ (٦٦) بِتَصْرِيفٍ يَسِيرٍ، وَإِلَى مِثْلِ هَذَا
ذَهَبَ الْفَيْرُوزْآبَادِيُّ فِي بَصَائِرِ ذَوِي التَّمْيِيزِ (٤/٣٧٦).

(٦) انْظُرِ الْكِتَابَ لِسِيبَوَيْهِ - تَحْقِيقُ عَبْدِ السَّلَامِ هَارُونَ
(٦/١).

الآفات وتكفيه، أمّا ما جاء في قوله: (سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ كَلِمَاتِهِ) فَكَلِمَاتُ اللَّهِ كَلَامُهُ، وَهُوَ صِفَتُهُ، وَصِفَاتُهُ تَعَالَى لَا تَنْحَصِرُ وَذَكَرَ الْعَدَدَ هُنَا مُبَالَغَةً فِي الْكَثَرَةِ، وَقِيلَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ عَدَدَ الْأَذْكَارِ، أَوْ عَدَدَ الْأَجُورِ عَلَى ذَلِكَ^(٦).

لفظ الكلمات في القرآن الكريم:

وَرَدَ لَفْظُ الْكَلِمَاتِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي سِيَاقَاتٍ عَدِيدَةٍ وَمَعَانٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْهَا:

١- الْكَلِمَاتُ الَّتِي ابْتَلَى اللَّهُ تَعَالَى بِهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهِيَ الْوَارِدَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ (البقرة/ ١٢٤)، وَقَدْ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي الْمُرَادِ بِهَا اخْتِلَافَاتٍ كَثِيرَةً، فَقِيلَ الْمُرَادُ بِهَا شَرَائِعُ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ ثَلَاثُونَ سَهْمًا، عَشْرَةٌ مِنْهَا فِي سُورَةِ بَرَاءَةِ (التَّوْبَةِ/ ١١٢) وَهِيَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وَعَشْرَةٌ فِي (الْأَحْزَابِ) ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الآيَةُ/ ٣٥)، وَعَشْرَةٌ فِي (الْمُؤْمِنُونَ) مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ ﴿يُحَافِظُونَ﴾ (الآيَاتِ/ ١-٩). وَسَأَلَ سَائِلُ (الْمَعَارِجِ) الْآيَاتِ ٢٢/ ٣٤ مِنْ أَوَّلِ قَوْلِهِ ﴿إِلَّا الْمُصْلِينَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿يُحَافِظُونَ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -

(لِبَعْضِ الْعَرَبِ)، وَذَلِكَ مِثْلُ كَبِدٍ، وَكَبِدٍ وَكَبِدٍ، وَالْفِعْلُ مِنْ ذَلِكَ: كَلَّمْتُهُ تَكْلِيمًا وَكِلَامًا مِثْلُ: كَذَّبْتُهُ تَكْذِيبًا وَكِذَابًا، وَتَكَلَّمْتُ كَلِمَةً وَبِكَلِمَةٍ^(١)، وَكَالَمْتُهُ إِذَا جَاوَبْتُهُ، وَتَكَا لَمْنَا بَعْدَ التَّهَاجُرِ. يُقَالُ: كَانَا مُتَصَارِمِينَ فَأَصْبَحَا يَتَكَا لِمَانِ، وَقَوْلُهُمْ مَا أَجِدُ مُتَكَلِّمًا أَيَّ مَوْضِعٍ كَلَامٍ، وَالْكَلِمَانِي: الْمِنْطِيقُ^(٢)، وَقَدْ ذَكَرَ الْفَيْرُوزَابَادِيُّ لِلْكَلَامِ مَعَانٍ عَدِيدَةً فَالْكَلَامُ (عِنْدَهُ): إِمَّا الْقَوْلُ (مُطْلَقًا)، أَوْ مَا كَانَ مُكْتَفِيًا بِنَفْسِهِ (وَهُوَ الْجُمْلَةُ)، أَوْ الْكَلَامُ: مَا كَانَ أَلْفَاظًا مَنْظُومَةً تَحْتَهَا مَعَانٍ مَجْمُوعَةٌ^(٣).

وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ الْكَلَامُ فِي غَيْرِ الْإِنْسَانِ كَمَا فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ:

فَصَبَّحَتْ وَالطَّيْرُ لَمْ تَكَلِّمْ

جَابِيَةً حُفَّتْ بِسَيْلٍ مُفْعَمٍ
قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: وَكَأَنَّ الْكَلَامَ فِي هَذَا الْإِتْسَاعِ مَحْمُولٌ عَلَى الْقَوْلِ، أَلَا تَرَى إِلَى قِلَّةِ الْكَلَامِ وَكَثْرَةِ الْقَوْلِ^(٤)، وَقَالَ أَيْضًا: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، وَكَلِمُ اللَّهِ وَكَلِمَاتُهُ وَكَلِمَتُهُ، وَكَلَامُ اللَّهِ لَا يُحَدُّ وَلَا يُعَدُّ، وَهُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُفْتَرُونَ عُلُوءًا كَبِيرًا^(٥)، وَكَلِمَاتُ اللَّهِ التَّامَّاتُ، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: قِيلَ: الْمُرَادُ بِهَا الْقُرْآنُ، وَإِنَّمَا وَصَفَ كَلَامَهُ بِالتَّامِّ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ فِي شَيْءٍ مِنْ كَلَامِهِ نَقْصٌ أَوْ عَيْبٌ كَمَا يَكُونُ فِي كَلَامِ النَّاسِ، وَقِيلَ مَعْنَى التَّامِّ هُنَا أَنَّهَا تَنْفَعُ الْمُتَعَوِّذَ بِهَا وَتَحْفَظُهُ مِنْ

(٤) لسان العرب (١٢/ ٥٢٣).

(٥) النهاية (٤/ ١٩٩، ١/ ١٩٧).

(٦) المرجع السابق (٤/ ١٩٨).

(١) يشير الجوهري بذلك إلى أَنَّ الْفِعْلَ «تَكَلَّمَ» يَتَعَدَّى بِالْبَاءِ وَبِنَفْسِهِ.

(٢) الصحاح (٥/ ٢٠٢٣).

(٣) بتصرف عن بصائر ذوي التمييز (٤/ ٣٧٧).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: مَا ابْتَلَى اللَّهُ أَحَدًا بِهِنَّ فَقَامَ بِهَا كُلُّهَا إِلَّا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ابْتُلِيَ بِالْإِسْلَامِ فَأَتَمَّهُ فَكَتَبَ اللَّهُ لَهُ الْبَرَاءَةَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْكَلِمَاتُ (هُنَا) مَا أُمِرَ بِهِ أَوْ نُهِيَ عَنْهُ، وَقِيلَ ابْتُلِيَ بِذَبْحِ ابْنِهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ابْتُلِيَ بِأَدَاءِ الرِّسَالَةِ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وَالْمَعْنَى فِي ذَلِكَ مُتَقَارِبٌ^(١).

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: اخْتَلَفَ فِي تَعْيِينِ الْكَلِمَاتِ، فَقَالَ قَتَادَةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِالْمَنَاسِكِ، وَقِيلَ بِالطَّهَّارَةِ: خَمْسٌ فِي الرَّأْسِ وَخَمْسٌ فِي الْجَسَدِ، فَأَمَّا الَّتِي فِي الرَّأْسِ فَهِيَ قَصُّ الشَّارِبِ، وَالْمَضْمَضَةُ، وَالِاسْتِنْشَاقُ، وَالسِّوَاكُ، وَفَرْقُ الرَّأْسِ، وَأَمَّا الَّتِي فِي الْجَسَدِ فَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَالْحِثَانِ، وَنَتْفُ الْإِبْطِ، وَغَسْلُ أَثَرِ الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ بِالْمَاءِ (الِاسْتِنْجَاءُ)^(٢). وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ^(٣).

٢- الْكَلِمَاتُ الَّتِي تَلَقَّاهَا آدَمُ مِنْ رَبِّهِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة/ ٣٧)، قَالَ الزَّجَّاجُ: الْمُرَادُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - اعْتِرَافُ آدَمَ وَحَوَّاءَ بِالذَّنْبِ لَأَنَّهُمَا

قَالَا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف/ ٢٣)^(٤). وَقَالَ الْحَسَنُ: هِيَ قَوْلُهُ: أَلَمْ تَخْلُقْنِي بِيَدِكَ؟ أَلَمْ تُسَكِّنِي جَنَّتِكَ؟ أَلَمْ تُسَجِّدْ لِي مَلَائِكَتَكَ؟ أَلَمْ تَسْبِقْ رَحْمَتَكَ غَضَبَكَ أَرَأَيْتَ إِنْ تُبْتُ كُنْتُ مُعِيدِي إِلَى الْجَنَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَقِيلَ هِيَ الْأَمَانَةُ الْمَعْرُوضَةُ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^(٥). قَالَ أَبُو حَيَّانَ: وَمَعْنَى تَلَقَّى الْكَلِمَاتِ: أَخَذَهَا وَقَبُولَهَا، أَوْ الْفَهْمُ، أَوْ الْفَطَانَةُ، أَوْ الْإِلْهَامُ، أَوْ التَّعَلُّمُ، أَوْ الْعَمَلُ بِهَا^(٦).

٣- الْكَلِمَاتُ بِمَعْنَى الْقُرْآنِ وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى (فِي الْأَعْرَافِ/ ١٥٨) ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾^(٧).

٤- الْكَلِمَاتُ بِمَعْنَى عِلْمِ اللَّهِ وَعَجَائِبِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ (فِي الْكَهْفِ/ ١٠٩) ﴿قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾^(٨).

٥- الْكَلِمَاتُ مُرَادًا بِهَا الدِّينُ^(٩)، وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (فِي الْأَنْعَامِ/ ١١٥) ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١٠).

٦- الْكَلِمَاتُ مُرَادًا بِهَا الْحُجَجُ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ

(١) تفسير القرطبي (٩/ ٢)، وقد ذكر آراء أخرى، تنظر
تفصيلاً في الموضع المذكور.

(٢) اقتصر ابن منظور في اللسان (٥٢٤/ ١٢)؛ وابن الجوزي في نزهة الأعين النواظر (٥٢٤) على هذه الخصال العشر في تفسير معنى الكلمات التي ابتلي بها إبراهيم عليه السلام.

(٣) تفسير ابن كثير (١٧١/ ١).

(٤) لسان العرب (٥٢٤/ ١٢).

(٥) بصائر ذوي التمييز (٣٧٨/ ٤).

(٦) تفسير البحر المحیط (٣١٨/ ١)، وقد ذكر آراء عديدة في

معنى «الكلمات» التي تلقاها آدم، تنظر هناك.

(٧) بصائر ذوي التمييز (٥١٤).

(٨) المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(٩) نزهة الأعين النواظر (٥٢٥).

(١٠) قال الفيروزآبادي: غُني بِالكَلِمَاتِ هُنَا الْآيَاتُ

والمعجزات، ونبه بذلك إلى أن ما أرسل من الآيات تامٌ

وفيه بلاغٌ، وقيل ردُّ لقولهم: ﴿أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا. أَوْ

بَدَلُهُ﴾ (يونس/ ١٥). وقيل: أريد بها الأحكام (بصائر

ذوي التمييز ٣٧٨/ ٤ - ٣٧٩).

تَعَالَى ﴿وَيُحَقِّقُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ (الشورى / ٢٤) ^(١).

لفظ الكلمة في القرآن الكريم:

ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ وَعُلَمَاءُ الْوُجُوهِ وَالنَّظَائِرِ لِلْكَلِمَةِ

فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَعَانٍ عَدِيدَةٌ مِنْهَا:

١ - الْكَلِمَةُ يُرَادُ بِهَا «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَذَلِكَ كَمَا

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾

(التوبة / ٤٠) ^(٢).

٢ - الْكَلِمَةُ يُرَادُ بِهَا قَوْلٌ «كُنْ» وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ

عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ

وَكَالِمَتُهُ﴾ (النساء / ١٧١) ^(٣).

٣ - الْكَلِمَةُ يُرَادُ بِهَا الْقَضِيَّةُ وَذَلِكَ كَمَا فِي قَوْلِهِ

تَعَالَى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ

لِكَلِمَاتِهِ﴾ (الأنعام / ١١٥)، قَالَ الْفَيْرُوزَابَادِيُّ: وَكُلُّ

قَضِيَّةٍ تُسَمَّى كَلِمَةً سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ مَقَالًا أَوْ فِعَالًا، وَفِي

هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى نَحْوِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ

لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة / ٣). وَقِيلَ: إِشَارَةٌ إِلَى مَا قَالَهُ

رَبُّنَا ﷺ: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اجْرِبْ بِمَا هُوَ كَائِنٌ

إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، وَقِيلَ: الْكَلِمَةُ هِيَ الْقُرْآنُ ^(٤).

٤ - الْكَلِمَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ

الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الأعراف / ١٣٧)، هِيَ

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا

فِي الْأَرْضِ﴾ (القصص / ٥) ^(٥).

٥ - الْكَلِمَةُ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ

سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾

(طه / ١٢٩) يُرَادُ بِهَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ

حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء / ١٥)، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي

تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: لَوْلَا الْكَلِمَةُ السَّابِقَةُ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ أَنَّهُ

لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ وَالْأَجَلِ

الْمُسَمًّى الَّذِي ضَرَبَهُ اللَّهُ لَهُوْلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ إِلَى مُدَّةٍ مُعَيَّنَةٍ

لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً ^(٦).

الكلم والكلام والكلمة اصطلاحًا:

قَالَ الْجُرْجَانِيُّ: الْكَلَامُ: مَا تَضَمَّنَ كَلِمَتَيْنِ

بِالْإِسْنَادِ ^(٧) (أَيَّ إِسْنَادٍ إِحْدَاهُمَا إِلَى الْأُخْرَى) وَذَلِكَ كَمَا

فِي قَوْلِنَا: اللَّهُ رَحِيمٌ.

وَالْكَلِمَةُ: هِيَ اللَّفْظُ الْمَوْضُوعُ لِمَعْنَى مُفْرَدٍ ^(٨)

(كَقَوْلِنَا: مُحَمَّدٌ، أَسَدٌ ... إلخ).

وَقَالَ الْمُتَاوِيُّ: الْكَلَامُ: إِظْهَارُ مَا فِي الْبَاطِنِ عَلَى

الظَّاهِرِ لِمَنْ يَشْهَدُ ذَلِكَ الظَّاهِرَ عَلَى نَحْوِ مَنْ أَنْحَاءِ

الْإِظْهَارِ، وَهُوَ فِي اصْطِلَاحِ النُّحَاةِ: الْمَعْنَى الْمُرَكَّبُ

الَّذِي فِيهِ الْإِسْنَادُ التَّامُّ، وَعَبَّرَ عَنْهُ أَيْضًا بِأَنَّهُ مَا تَضَمَّنَ

مِنْ الْكَلَامِ إِسْنَادًا مُفِيدًا مَقْصُودًا لِدَاتِهِ ^(٩).

وَقَالَ ابْنُ الْجَوَازِيِّ: الْكَلَامُ عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ لَا

(١) بصائر ذوي التمييز (٣٧٩ / ٤).

(٢)، (٣) نزهة الأعين النواظر (٥٢٥).

(٤) بصائر ذوي التمييز (٣٧٨ / ٤).

(٥) المرجع السابق (٣٧٩ / ٤)، تفسير القرطبي (٢٧٢ / ٧).

(٦) تفسير ابن كثير (١٧٨ / ٣)، وقال الفيروزآبادي: هذه الآية

إشارة إلى ما سبق من حكمه الذي اقتضته كلمته وأنه لا

تبديل لكلماته، انظر بصائر ذوي التمييز (٣٧٩ / ٤).

(٧) التعريفات (١٩٤).

(٨) السابق، الصفحة نفسها، وانظر التوقيف على مهمات

التعاريف (٢٨٣).

(٩) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٨٣).

يُطْلَقُ إِلَّا عَلَى الْمُفِيدِ فَإِنْ أَوْقَعُوهُ عَلَى غَيْرِ الْمُفِيدِ قَيِّدُوهُ بِصِفَةٍ فَقَالُوا: كَلَامٌ مُهْمَلٌ، وَكَلَامٌ مَتْرُوكٌ ... إلخ^(١).

وَقَالَ ابْنُ عَقِيلٍ: الْكَلَامُ: هُوَ اللَّفْظُ الْمُفِيدُ فَائِدَةً يَحْسُنُ السُّكُوتُ عَلَيْهَا، وَلَا يَتَرَكَّبُ إِلَّا مِنْ أَسْمَيْنِ مِثْلُ: زَيْدٌ قَائِمٌ، أَوْ اسْمٍ وَفِعْلٍ مِثْلُ قَامَ زَيْدٌ. وَهُوَ فِي اصطلاح اللُّغَوِيِّينَ: اسْمٌ لِكُلِّ مَا يُتَكَلَّمُ بِهِ مُفِيدًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مُفِيدٍ.

وَالْكَلِمُ: مَا تَرَكَّبَ مِنْ ثَلَاثِ كَلِمَاتٍ فَأَكْثَرَ (سَوَاءً أَفَادَ أَوْ لَمْ يُفِدْ)^(٢).

وَقَالَ الْكَفَوِيُّ: الْكَلِمَةُ: تَقَعُ عَلَى وَاحِدٍ مِنَ الْأَنْوَاعِ الثَّلَاثَةِ: الْأِسْمِ وَالْفِعْلِ وَالْحَرْفِ وَتَقَعُ عَلَى الْأَلْفَاظِ الْمَنْظُومَةِ وَالْمَعَانِي الْمَجْمُوعَةِ، وَلِهَذَا اسْتَعْمِلَتْ فِي الْقَضِيَّةِ وَالْحُكْمِ وَالْحُجَّةِ، وَبِجَمِيعِ هَذِهِ الْمَعَانِي وَرَدَ التَّنْزِيلُ^(٣)، وَمِنْ اسْتِعْمَالِهَا فِي مَعْنَى الْكَلَامِ ﴿كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ (التوبة/ ٤٠) أَيْ كَلَامُهُ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ» أَيْ الْكَلَامُ. وَالْكَلِمَةُ (أَيْضًا) لَفْظٌ بِالْقُوَّةِ أَوْ بِالْفِعْلِ مُسْتَقِلٌّ دَالٌّ بِجُمْلَتِهِ (أَيْ بِجُمْلَةِ حُرُوفِهِ) عَلَى مَعْنَى بِالْوَضْعِ^(٤).

وَالْكَلَامُ: فِي اصطلاح الفقهاء: هُوَ مَا تَرَكَّبَ مِنْ حَرْفَيْنِ فَصَاعِدًا، وَعَلَى ذَلِكَ فَالْحَرْفُ الْوَاحِدُ لَيْسَ

بِكَلَامٍ فَلَا يُفْسِدُ الصَّلَاةَ، وَالْحَرْفَانِ يُفْسِدَانِهَا وَيُشْتَرَطُ فِي الْكَلَامِ الْقَصْدُ، وَمِنْ ثَمَّ لَا يُسَمَّى مَا يَنْطِقُ بِهِ النَّائِمُ وَالسَّاهِي وَمَا تَحْكِيهِ الْحَيَوَانَاتُ الْمُعْلَمَةُ كَلَامًا^(٥). ثُمَّ قَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وَالْكَلَامُ فِي الْعُرْفِ: صَوْتُ مُقْتَطَعٌ مَفْهُومٌ يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ، أَمَّا الْكَلَامُ عِنْدَ أَهْلِ الْكَلَامِ (أَيَّ عُلَمَاءِ التَّوْحِيدِ): مَا يُضَادُّ السُّكُوتَ سَوَاءً كَانَ مُرَكَّبًا أَوْ لَا، مُفِيدًا فَائِدَةً تَامَةً أَوْ لَا^(٦)، وَهُوَ عِنْدَ أَهْلِ الْعَرُوضِ: مَا تَضَمَّنَ كَلِمَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ سَوَاءً حَسَنَ السُّكُوتِ عَلَيْهِ أَوْ لَا، مَعَ الدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى صَحِيحٍ.

أَمَّا الْكَلِمُ: فَهُوَ جِنْسُ الْكَلِمَةِ وَحَقُّهُ أَنْ يَقَعَ عَلَى الْكَثِيرِ وَالْقَلِيلِ وَلَكِنْ غَلَبَ عَلَى الْكَثِيرِ وَلَمْ يَقَعْ إِلَّا عَلَى مَا فَوْقَ الْاِثْنَيْنِ^(٧).

وَأَمَّا التَّكَلُّمُ: فَهُوَ اسْتِخْرَاجُ اللَّفْظِ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ وَيُعَدَّى بِنَفْسِهِ (فَيَقَالُ: تَكَلَّمْتُه)، وَبِالْبَاءِ (فَيَقَالُ تَكَلَّمْتُ بِهِ)^(٨).

الْقَوْلُ وَالْكَلَامُ وَاللَّفْظُ:

قَالَ الْكَفَوِيُّ: الْقَوْلُ وَالْكَلَامُ وَاللَّفْظُ مِنْ حَيْثُ أَصْلُ اللَّغَةِ بِمَعْنَى (وَاحِدٍ) يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ (أَيَّ حُرُوفِ الْمَبْنِيِّ مِثْلُ الضَّادِ فِي ضَرَبَ مَثَلًا) أَوْ مِنْ حُرُوفِ الْمَعَانِي (مِثْلُ فِي وَمِنْ)،

(٥) الكليات للكفوي (٤/ ١٠٠) وقد أفاض - رحمه الله - في الحديث عن نوعي الكلام: النفسي والحسي واختلاف علماء الكلام من معتزلة وغيرهم، واستقصاء ذلك ليس من أغراض هذه الموسوعة فليُنظره هناك من أراد.

(٦) المرجع السابق (٤/ ١٠٢).

(٧) المرجع السابق نفسه، و الصفحة نفسها.

(٨) المرجع السابق (٢/ ١٠٧).

(١) نزهة الأعين النواظر (٥٢٣)، قال ابن الجوزي: أمّا عند أهل اللغة فإنهم يطلقونه على المفيد وعلى غير المفيد.

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (١/ ١٤، ١٥).

(٣) انظر معاني الكلمة في القرآن الكريم في الفقرة السابقة، ويُضاف إليها ما ذكره الكفوي هنا من أن كلمة التقوى هي: «بسم الله الرحمن الرحيم» وأن الكلمة الباقية هي كلمة التوحيد. انظر الكليات للكفوي (٤/ ٩٨ - ٩٩).

(٤) المرجع السابق نفسه، و الصفحة نفسها.

الخامس: نفس القول (أي الكلام مطلقاً)،
ومنه قوله عز من قائل: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ
الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ (البقرة/ ٥٩).

الطيب لغة واصطلاحاً:

الطيب في اللغة ضد الخبيث ويختلف في
الاصطلاح باختلاف ما يوصف به، فإذا وصف به المولى
عز وجل أريد أنه منزّه عن النقائص مقدّس عن الآفات
والعيوب، وإذا وصف به العبد مطلقاً أريد به أنه المتعري
عن رذائل الخلق وقبائح الأعمال والمتحلّي بأضداد ذلك،
وإذا وصف به الأموال أريد به كونه حلالاً من خيار
المال^(٥)، قلت: وهو إذا وصفت به الأقوال أريد به كونها
مما يطيب به صاحبها أمام مولاه لكونها ذكراً أو دعاءً أو
تلاوةً للقرآن أو مما يستطيبها سامعها لكونها تحيةً أو
نحوها مما يسعد الخاطر ويجلب السرور.

الكلم الطيب اصطلاحاً:

قال الكفوي: الكلم الطيب: هو الذكر
والدعاء وقراءة القرآن وعنه عليه السلام: «هو: سبحان الله
والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»^(٦).

وقال القرطبي: الكلم الطيب هو التوحيد
الصادر عن عقيدة طيبة، وقيل هو التحميد والتمجيد
وذكر الله ونحو ذلك^(٧).

ومن الكلم الطيب أيضاً حديث المصطفى صلى الله عليه وآله
لأنه يبلغ عن الله - عز وجل - ويدعو إليه وقد قال
سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾
(فصلت/ ٣٣) وقد كان صلى الله عليه وآله إمام الدعوة إلى الله عز

وعلى أكثر من ذلك مفيداً كان أو لا، لكن القول
اشتهر في المفيد، بخلاف اللفظ، واشتهر الكلام في
المركب من جزئين فصاعداً، ولفظ القول يقع على
الكلام التام وعلى الكلمة الواحدة على سبيل الحقيقة،
ولفظ الكلمة مختص بالمفرد^(١).

وقال ابن عقيل: القول يعُم الجميع أي الكلمة
والكلام والكلم^(٢). وقال أبو الفتح ابن جني: القول:
كل ما مدّل به اللسان تاماً كان أو ناقصاً^(٣). وقال ابن
الجوزي: القول والكلام واحد، قال: وقد فرق قوم بين
الكلام والقول فقالوا: كل كلام قول، وليس كل قول
كلاماً، لأن الكلام ما أفاد والقول قد يفيد وقد لا يفيد
وقد يطلق القول ويراد به الظن^(٤).

لفظ القول في القرآن الكريم:

قال ابن الجوزي: ذكر بعض المفسرين أن
القول في القرآن الكريم على خمسة أوجه:
أحدها: القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ
الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾
(الزمر/ ١٧-١٨).

الثاني: الشهادتان، ومنه قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ﴾ (إبراهيم/ ٢٧).

الثالث: السابق في العلم، ومنه قوله تعالى:
﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي...﴾ (السجدة/ ١٣).

الرابع: العذاب، ومن ذلك قول الله تعالى:
﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ (النمل/ ٨٢).

(٥) كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي (٢/ ٩٠٤).

(٦) الكليات للكفوي (٤/ ٩٩).

(٧) تفسير القرطبي (١٤/ ٣٢٩).

(١) الكليات (٤/ ١٨).

(٢) شرح ابن عقيل على الألفية (١/ ١٦).

(٣) الخصائص (١/ ١٧).

(٤) نزهة الأعين النواظر (٤٨٧).

وَجَلَّ، وَقَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَنَّهُ ﷺ مُؤْتَمَنٌ عَلَى
الْوَحْيِ وَذُو قُوَّةٍ عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ:
﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ
مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾^(١)
(التكوير ١٩ / ٢٢). وَقَدْ دَعَا ﷺ لِمَنْ سَمِعَ قَوْلَهُ
الكَرِيمُ فَبَلَّغَهُ إِلَى غَيْرِهِ فَقَالَ: «نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ
مَقَالَتِي فَبَلَّغَهَا» وَقَالَ أَيْضًا: «نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا
حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ»^(٢). وَقَدْ أُوتِيَ ﷺ
جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَاخْتَصَرَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ اخْتِصَارًا^(٣).

أَمَّا الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ: فَهِيَ قَوْلُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»
وَقِيلَ: الْإِيْمَانُ^(٤).

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: الْكَلِمُ الطَّيِّبُ: الذِّكْرُ وَالتِّلَاوَةُ
وَالدُّعَاءُ^(٥).

أَمَّا الطَّيِّبُ مِنَ الْقَوْلِ فَقَدْ قِيلَ فِيهِ إِنَّهُ الْقُرْآنُ،
وَقِيلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَقِيلَ الْأَذْكَارُ الْمَشْرُوعَةُ^(٦)، وَيُؤْخَذُ
مِنْ تَفْسِيرِهِ لآيَةِ النُّورِ / ٢٦ ﴿الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ أَنَّ
الْمُرَادَ الطَّيِّبَاتُ مِنَ الْقَوْلِ لِلطَّيِّبِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالطَّيِّبُونَ
مِنَ الرِّجَالِ لِلطَّيِّبَاتِ مِنَ الْقَوْلِ، قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَائِشَةَ
وَأَهْلِ الْإِفْكِ وَوَجْهُهُ أَنَّ الْكَلَامَ الْقَبِيحَ أَوْلَى بِأَهْلِ الْقُبْحِ
مِنَ النَّاسِ وَالْكَلامُ الطَّيِّبُ أَوْلَى بِالطَّيِّبِينَ مِنَ النَّاسِ، فَمَا
نَسَبَهُ أَهْلُ الْإِفْكِ إِلَى عَائِشَةَ مِنْ كَلَامٍ (خَبِيثٍ) هُمْ أَوْلَى
بِهِ وَهِيَ أَوْلَى بِالْبَرَاءَةِ وَالنِّزَاهَةِ مِنْهُمْ^(٧).

وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْتَنْبِطَ مِنْ هَذَا التَّفْسِيرِ أَنَّ الْمُرَادَ
بِالْكَلِمِ الطَّيِّبِ أَوِ الْقَوْلِ الطَّيِّبِ: مَا يَطِيبُ بِهِ خَاطِرُ
الْمُؤْمِنِ مِنْ تَبَرُّئِهِ سَاحَتِهِ وَدَفْعِ الرِّيْبَةِ عَنْهُ وَأَنَّ هَذَا
حَقِيقٌ بِالْمُؤْمِنِينَ.

أقسام الكلم الطيب:

يَنْقَسِمُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ تَبَعًا لِمَا جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ إِلَى
ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

الْأَوَّلُ: الذِّكْرُ وَالدُّعَاءُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي الدُّنْيَا،
وَتَمْجِيدُ اللَّهِ وَتَحْمِيدُهُ وَتَسْبِيحُهُ فِي الْآخِرَةِ.

الثَّانِي: كَلَامُ النَّبِيِّ ﷺ وَكُلُّ كَلَامٍ تَضَمَّنَ
الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سَوَاءً أَكَانَ ذَلِكَ الْقَوْلُ قُرْآنًا أَوْ
حَدِيثًا

الثَّالِثُ: ذَلِكَ الْكَلَامُ الَّذِي يَسْتَطِيعُهُ السَّامِعُ،
وَيَطِيبُ بِهِ خَاطِرُهُ، وَفِي هَذَا الْمَعْنَى فَإِنَّ الْقَوْلَ أَوْ الْكَلِمَ
قَدْ يُوصَفُ بِالْحُسْنِ وَبِالْمَعْرُوفِ وَبِالْكَرَمِ وَنَحْوِ ذَلِكَ
مِنَ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ^(٨).

[للاستزادة: انظر صفات: إفشاء السلام -
التفاؤل - تلاوة القرآن - الدعاء - الذكر - إقامة
الشهادة - الأدب - الصدق - الرجاء - الاستغفار -
الضراعة والتضرع - البشارة - القنوت.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: إفشاء السر -
الإفك - البهتان - السخرية - الغيبة - الكذب -
النميمة - السفاهة - التطير - شهادة الزور - البذاءة.]

ص ٨٩٠ وقد ذكرنا تحريجهما هناك.

(٤) المرجع السابق (٩ / ٣٥٩).

(٥) تفسير ابن كثير (٣ / ٥٥٧).

(٦) المرجع السابق (٣ / ٢٢٣)، وانطلاقًا من ذلك أطلق الإمام

ابن القيم على كتابه في الأذكار «الوابل الصيب في الكلم
الطيب».

(٧) تفسير ابن كثير (٣ / ٢٨٨).

(٨) انظر في ذلك الآيات الواردة في الكلم الطيب معني.

(١) هذا أحد تفسيريْن للآية الكريمة، وهناك تفسير آخر بأن
المقصود بصاحب القول هو جبريل عليه السلام، انظر في
هذين الرأيين، تفسير القرطبي ج ١٩ ص ٢٣٦، وقد ورد
التفسيران أيضًا في الآية ٤٠ من سورة الحاقة، انظر المرجع
السابق ١٨ / ٢٧٤.

(٢) انظر ذلك بتفصيل أكثر في فضائل أقواله ﷺ في الجزء
الأول (المقدمة) ص ٣٩١.

(٣) انظر هذين الحديثين في صفة التبليغ ج ٣ ص ٨٨٩،

الآيات الواردة في «الكلم الطيب»

- ١- أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً
كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا
فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾
تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ
اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾
وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ
مِنَ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾
يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ
الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾^(١)
- ٢- إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
يُحْكَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا
وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٢﴾
وَهُدُوءًا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوءًا
إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾^(٢)
- ٣- الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ
وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ
أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٣٦﴾^(٣)
- ٤- لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ
وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ
أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَائِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَالِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ
مَفَاحِشُهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ
جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا
دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكََةً طَيِّبَةً
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾^(٤)
- ٥- مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ
الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ
يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ ﴿١٠﴾^(٥)

(٤) النور: ٦١ مدنية

(٥) فاطر: ١٠ مكية

المفسرون من أن المراد بالطَّيِّبَاتِ:
الطَّيِّبَاتُ مِنَ الْقَوْلِ، انظر في ذلك
تفسير القرطبي (٢١١/١٢) وابن
كثير (٢٨٩/٣).

(١) إبراهيم: ٢٤ - ٢٧ مكية

(٢) الحج: ٢٣ - ٢٤ مدنية

(٣) النور: ٢٦ مدنية. أثبتنا هذه الآية
الكريمة هنا اعتماداً على ما قاله

الآيات الواردة في «الكلم الطيب» معنى *

أولاً : الكلم الطيب ذكراً أو دعاءً أو دالاً

على التوحيد :

٦- وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ

مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ

الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾

الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ

رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾

أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

٧- وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا

رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا

وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٥٨﴾

فَهَزَمُوهُمْ بِذَنبِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ

جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ

وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا

دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ

لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ

ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٥٩﴾

٨- ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ

وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَيْكِهِ وَكُتُبِهِ

وَرُسُلِهِ لَا تَفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ

وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا

وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٠﴾

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ

وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا

أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا

كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا

وَلَا تُحِمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا

وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا

عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٦١﴾

٩- هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ

هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ

فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ

وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ

وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا

وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٦٢﴾

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ

رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿١٦٣﴾

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ

إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٦٤﴾

١٠- الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا

ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦٥﴾

١١- وَكَانَ مِنْ نَّبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا

وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا

وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٦٦﴾

(٣) البقرة : ٢٨٥ - ٢٨٦ مدنية

(٤) آل عمران : ٧ - ٩ مدنية

(٥) آل عمران : ١٦ مدنية

لخاطر المؤمن (وهو النوع الثاني). انظر

أنواع الكلم الطيب في الفقرة السابقة.

(١) البقرة : ١٥٥ - ١٥٧ مدنية

(٢) البقرة : ٢٥٠ - ٢٥١ مدنية

* القرآن الكريم كله كلم طيب، وقد

اقتصرنا على ما كان منه ذكراً أو دعاءً أو

دالاً على التوحيد (وهو النوع الأول من

الكلم الطيب) أو ما كان فيه تطيب

وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا

ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا

وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾

فَكَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ ثَوَابٌ دُنْيَا وَحُسْنُ ثَوَابٍ آخِرَةٍ

وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

١٢ - الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ

فَاخْشَوْهُمْ فزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ

وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

١٣ - وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي

وَبِرِسُولِي قَالُوا أَمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾

١٤ - مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي

وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ

فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ

وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾

إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ

أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾

قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ

لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾

١٥ - وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ

الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ

الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا

وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ

رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ

أُورِثْتُمْوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

١٦ - قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ

لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ

اتَّعْلَمُونَ أَنْتَ صَاحِبُ أَمْرِ سُلَيْمَانَ مِنْ رَبِّهِ

قَالُوا إِنَّا بِكَ أَرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾

١٧ - وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ

تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾

فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾

فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾

وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ بَنِي إِسْرَءِيلَ

قَالُوا أَمَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾

رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾

قَالَ فِرْعَوْنُ أَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا

لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لَخُجْرُؤُا مِنْهَا أَهْلُهَا

فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾

لَا تُقِطْعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ

ثُمَّ لَا تُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾

قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾

١٨ - وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا

بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا

عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾

١٩- وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾
وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ

وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾

٢٠- لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

٢١- فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾
وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾

٢٢- وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ ﴿٤٥﴾
قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَلَوَّنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾

قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْكَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٤٧﴾

٢٣- وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾

يَنْقُورِ لَا أَشْكُرُ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾
وَيَنْقُورِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾

٢٤- وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾

٢٥- وَإِلَى مَذْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴿٨٤﴾
وَيَنْقُورِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾
بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾

٢٦- رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تُوفِّني مُسْلِمًا وَالْحَقِّقْني بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾

(٧) هود: ٨٤ - ٨٦ مكية

(٨) يوسف: ١٠١ مكية

(٤) هود: ٤٥ - ٤٧ مكية

(٥) هود: ٥٠ - ٥٢ مكية

(٦) هود: ٦١ مكية

(١) التوبة: ٥٨ - ٥٩ مدنية

(٢) التوبة: ١٢٨ - ١٢٩ مدنية

(٣) يونس: ٨٥ - ٨٦ مكية

٢٧- وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا
وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾

رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ
مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾

رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ
عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ

فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ
وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾

رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا نَخْفَى عَلَى اللَّهِ
مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾

رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي
رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾

رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
الْحِسَابُ ﴿٤١﴾

٢٨- وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾
إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ
وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾

٢٩- أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا
مِّنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا ﴿١﴾

إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا
مِنَ لَّدُنكَ رَحِمَةٌ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿٣﴾

٣٠- وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا
لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾

٣١- وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ
إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾

فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ
عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا
زَلَقًا ﴿٤٠﴾

أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾

٣٢- كَهَيْعَتِ

ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾

إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾

قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ
شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾

٣٣- قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي
فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي

هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾

إِنَّا ءَامَنَابِرَبَّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا
عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾

٣٤- وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ
عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ

وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

(٦) مريم: ١ - ٤ مكية
(٧) طه: ٧٢ - ٧٣ مكية

(٤) الكهف: ١٤ مكية
(٥) الكهف: ٣٩ - ٤١ مكية

(١) إبراهيم: ٣٥ - ٤١ مكية
(٢) الحجر: ٥١ - ٥٢ مكية
(٣) الكهف: ٩ - ١٠ مكية

وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا
وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ
وَأَصْلَحْنَاهُ دُرُوجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا
يُسرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا
رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا الْوَاضِعِينَ ﴿٩٠﴾

٣٥- وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾
وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾

٣٦- فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ ﴿٩٦﴾
قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾
رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٩٨﴾

قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ
الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ
وَأُزْجَلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَتَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٩﴾
قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٠٠﴾

٣٧- قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ﴿٩٤﴾
إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ ﴿٩٥﴾

٣٨- وَإِذْ أَنبَأْنَا عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا
إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٩٦﴾

٣٩- وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا
اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ
إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

٤٠- وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ
حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ
قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾

٤١- وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ
أَهْلُوا لَاءِ إِنَّا كُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾
قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا
يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾

٤٢- الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا
فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ
فِيمَوْتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ
نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾

٤٣- وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا
حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ
خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا
خَالِدِينَ ﴿٧٢﴾

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا
وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنْ الْجَنَّةِ
حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾
وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ
يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ
وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

(٨) سبأ : ٤٠ - ٤١ مكية
(٩) فاطر : ٣٥ - ٣٦ مكية
(١٠) الزمر : ٧٣ - ٧٥ مكية

(٥) القصص : ٥٣ مكية
(٦) الأحزاب : ٢٢ مدنية
(٧) سبأ : ٢٣ مكية

(١) الأنبياء : ٨٧ - ٩٠ مكية
(٢) المؤمنون : ٩٧ - ٩٨ مكية
(٣) الشعراء : ٤٦ - ٥٠ مكية
(٤) النمل : ٥٩ مكية

٤٤ - وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ

صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾

وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ

أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي

بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾

وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا

إِلَّا الذُّوْحُ عَظِيمٌ ﴿٣٥﴾

٤٥ - فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ

أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ

وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ

لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَأُحْجَةَ

بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣٦﴾

٤٦ - وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا

أَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا

بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ

ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٣٧﴾

٤٧ - قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ

إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ

اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ

أَبَدًا حَتَّى تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ

لَا تَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ

رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٣٨﴾

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا

رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٩﴾

٤٨ - قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْلَمُونَ

مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٠﴾

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ

بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٤١﴾

٤٩ - قَالَ أَوْسَطُ طُفْمُ الرَّاغِلِ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٤٢﴾

قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٣﴾

٥٠ - إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ أَنْ تَزِيلَا ﴿٤٤﴾

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٤٥﴾

وَاذْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٦﴾

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٤٧﴾

٥١ - رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ

مِنْهُ خِطَابًا ﴿٤٨﴾

يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ

إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٤٩﴾

٥٢ - قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُوتُ ﴿٥٠﴾

لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٥١﴾

وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥٢﴾

وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٥٣﴾

وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥٤﴾

لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٥٥﴾

(٧) الإنسان : ٢٣ - ٢٦ مدنية

(٨) النبأ : ٣٧ - ٣٨ مكية

(٩) الكافرون : ١ - ٦ مكية

(٤) المتحنة : ٤ - ٥ مدنية

(٥) الملك : ٢٩ - ٣٠ مكية

(٦) القلم : ٢٨ - ٢٩ مكية

(١) فصلت : ٣٣ - ٣٥ مكية

(٢) الشورى : ١٥ مكية

(٣) الحشر : ١٠ مدنية

٥٣- قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①

اللَّهُ الصَّمَدُ ②

لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④^(١)

٥٤- قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①

مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ②

وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③

وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④

وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤^(٢)

٥٥- قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ①

مَلِكِ النَّاسِ ②

إِلَهِ النَّاسِ ③

مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④

الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤

مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥^(٣)

ثانيًا : الكلم الذي يستطيه السامع ويسر منه :

٥٦- وَإِذَا خَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ

إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ

وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ

حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ

وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ④^(٤)

٥٧- وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةٍ

النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ

أَنَّكُمْ سَتَذَكَّرُوْنَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ

سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا

عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ ⑤^(٥)فَاخْذُرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ⑥^(٦)

٥٨- الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ

مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ

وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ⑦^(٦)

❖ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ

يَتَّبِعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ⑧^(٦)

٥٩- أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ

فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي

أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ⑨^(٦)

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ

اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ

فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ

لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ⑩^(٧)

٦٠- ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ

الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمِ الْبَالِيَ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ

(٦) البقرة : ٢٦٢ - ٢٦٣ مدنية

(٧) النساء : ٦٣ - ٦٤ مدنية

(٤) البقرة : ٨٣ مدنية

(٥) البقرة : ٢٣٥ مدنية

(١) الإخلاص : ١ - ٤ مكية

(٢) الفلق : ١ - ٥ مكية

(٣) الناس : ١ - ٦ مكية

ثالثاً : جزاء الكلم الطيب :

هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾^(١)

٦١ - ﴿١٢٥﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا
أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا
وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿١٢٦﴾
وَآخِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ
وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿١٢٧﴾^(٢)

٦٢ - وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ أُتْبِعَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا
فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿١٢٨﴾^(٣)

٦٣ - أَذْهَبَ أَنتَ وَآخُوكَ بَيِّنَتِي وَلَا نَبِيَّاءَ فِي ذِكْرِي ﴿١٢٩﴾
أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٣٠﴾
فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْلَمَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿١٣١﴾^(٤)

٦٤ - وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا
وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿١٣٢﴾^(٥)

٦٥ - الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ
هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٣٣﴾^(٦)

٦٦ - وَقِيلَ ۖ يَكْرِبَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٣٤﴾
فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾^(٧)

٦٧ - وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ
تَفِضُّ مِمَّن الدَّمْعَ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ
رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٣٦﴾
وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ
وَنَطْمَعُ أَنْ يَدْخُلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٧﴾
فَأَثْبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٨﴾^(٨)

٦٨ - ﴿١٣٨﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَبَرًا
لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ
الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿١٣٩﴾
جَنَّاتٌ عِدْنُ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿١٤٠﴾
الَّذِينَ تَوْفَّقَهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ
عَلَيْكُمْ أَذْخَلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾^(٩)

٦٩ - قَالَ اخْشَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا
إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا
ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٤٢﴾
فَاتَّخَذَتْهُمْ سَخِرَاءًا حَتَّىٰ أَنْسَوُكُمْ ذِكْرِي
وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١٤٣﴾
إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ
هُمْ الْفَٰئِزُونَ ﴿١٤٤﴾^(١٠)

(٨) المائدة : ٨٣ - ٨٥ مدنية
(٩) النحل : ٣٠ - ٣٢ مكية
(١٠) المؤمنون : ١٠٨ - ١١١ مكية

(٥) الفرقان : ٦٣ مكية
(٦) الزمر : ١٨ مكية
(٧) الزخرف : ٨٨ - ٨٩ مكية

(١) النحل : ١٢٥ مكية
(٢) الإسراء : ٢٣ - ٢٤ مكية
(٣) الإسراء : ٢٨ مكية
(٤) طه : ٤٢ - ٤٤ مكية

٧٠- وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ

لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٢﴾

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا

وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا

لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾

أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا

وَيُلْقَوْنَ فِيهَا قُحُوفًا وَنَارًا ﴿٧٥﴾

(١) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾

٧١- الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ

هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

وَإِذْ آتَيْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا

إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾

أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَذَرُونَ

بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾

وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا

أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ

لَا تَبْغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ (٢)

٧٢- يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَنَّا مُوسَى

فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا

سَدِيدًا ﴿٧٠﴾

يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ (٣)

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾

٧٣- إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ

عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا

وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ (٤)

٧٤- إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا

جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ (٥)

الأحاديث الواردة في «الكلم الطيب»

١ - * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا عَدُوَّ وَلَا طَيْرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأَلُ». قَالُوا: وَمَا الْفَأَلُ؟ قَالَ: «كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ» * (١).

٢ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ أَتَى

النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا رَأَيْتَكَ طَابَتْ نَفْسِي، وَقَرَّتْ عَيْنِي، فَأَنْبِئْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ. فَقَالَ: «كُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ» قَالَ: فَأَنْبِئْنِي بِعَمَلٍ إِنْ عَمِلْتُ بِهِ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ. قَالَ: «أَفْشِ السَّلَامَ، وَأَطِيبِ الْكَلَامَ، وَصِلِ الْأَرْحَامَ، وَقُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلِ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ» * (٢).

٣ - * (عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الْحَيْرَةَ؟» قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُنبِئْتُ عَنْهَا. قَالَ: فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيْنَ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحَيْرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ - قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي - فَأَيْنَ دُعَارُ طَيِّبِ الَّذِينَ قَدْ سَعَرُوا الْبِلَادَ؟ «وَلَيْنَ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى». قُلْتُ: كِسْرَى بِنِ هُرْمُزٍ؟ قَالَ: «كِسْرَى

ابْنِ هُرْمُزٍ. وَلَيْنَ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيْنَ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ. وَلَيَلْقَيْنَ اللَّهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يَتَرَجِّمُ لَهُ، فَيَقُولَنَّ: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وَأُفْضِلَ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ». قَالَ عَدِيُّ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ». قَالَ عَدِيُّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحَيْرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَكُنْتُ فِيمَنْ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بِنِ هُرْمُزٍ، وَلَيْنَ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرُونَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: «يُخْرِجُ مِلءَ كَفِّهِ» * (٣).

٤ - * (وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ (أَيْضًا) قَالَ: قَالَ

النَّبِيُّ ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ»، ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ (٤)، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ»، ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ ثَلَاثًا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» * (٥).

٥ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

(٤) أشاح: أي أظهر الحذر منها، وقيل: أشاح بوجهه عن الشيء: نحاه عنه. وقيل: أشاح: أي صد وانكمش، وقيل: صرف وجهه كالخائف أن تناله.

(٥) البخاري - الفتح ١١ (٦٥٤٠، ٦٥٦٣) واللفظ له، ومسلم (١٠١٦)، وأحمد (٢٥٦/٤).

(١) البخاري - الفتح ١٠ (٥٧٧٦). ومسلم (٢٢٢٤).

(٢) أحمد (٤٩٣/٢)، وقال الشيخ أحمد شاكر (١٠٤/٤): إسناده صحيح.

(٣) البخاري - الفتح ٣ (١٤١٣)، ٦ (٣٥٩٥) واللفظ له، ومسلم (١٠١٦).

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ سُلَامَى^(١) مِنْ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: يَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ^(٢)، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَانِيَةٍ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا - أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ - صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيَمِيطُ الْأَدَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»*(٣).

٦- * (عَنْ سَمُرَةَ (بْنِ جُنْدَبٍ) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا حَدَّثْتُكُمْ حَدِيثًا فَلَا تَزِيدَنَّ عَلَيْهِ»، وَقَالَ: «أَرْبَعٌ مِنْ أَطْيَبِ الْكَلَامِ، وَهِنَّ مِنَ الْقُرْآنِ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ...» (الْحَدِيثُ)*^(٤).

٧- * (عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْسَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ تَبِعَكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ؟ قَالَ: «حُرٌّ وَعَبْدٌ». قُلْتُ: مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «طَيِّبُ الْكَلَامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ». قُلْتُ: مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «الصَّبْرُ وَالسَّامَحَةُ» قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ». قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الْإِيمَانِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «خُلِقَ حَسَنٌ». قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «طُولُ الْقُنُوتِ». قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الْهَجْرَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:

«أَنْ تَهْجُرَ مَا كَرِهَ رَبُّكَ - عَزَّ وَجَلَّ - . قَالَ: قُلْتُ: فَأَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ عَقَرَ جَوَادُهُ وَأَهْرَيْقَ دَمُهُ». قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ السَّاعَاتِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «جَوْفُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، ثُمَّ الصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ مَشْهُودَةٌ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ، فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ فَلَا صَلَاةَ إِلَّا الرُّكْعَتَيْنِ حَتَّى تُصَلِّيَ الْفَجْرَ، فَإِذَا صَلَّيْتَ صَلَاةَ الصُّبْحِ فَأَمْسِكَ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ فَإِنَّهَا تَطْلُعُ فِي قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَإِنَّ الْكُفَّارَ يُصَلُّونَ لَهَا»*(٥).

٨- * (عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَائِشٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَيْهِمْ ذَاتَ غَدَاةٍ، وَهُوَ طَيِّبُ النَّفْسِ، مُسْفِرُ الْوَجْهِ - أَوْ مُشْرِقُ الْوَجْهِ - فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَرَاكَ طَيِّبَ النَّفْسِ، مُسْفِرَ الْوَجْهِ - أَوْ مُشْرِقَ الْوَجْهِ - فَقَالَ: «وَمَا يَمْنَعُنِي وَأَتَانِي رَبِّي - عَزَّ وَجَلَّ - اللَّيْلَةَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّي وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي أَيُّ رَبِّ، قَالَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا. قَالَ: فَوَضَعَ كَفَّيْهِ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ حَتَّى تَجَلَّى لِي مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

مسلم: «أحب الكلام إلى الله أربع:»، وهي رواية أحمد أيضاً في (١٠/٥، ٢١/٥) وفي (٢٠/٥) لفظه: «أفضل الكلام بعد القرآن أربع ...»؛ وابن ماجه (٣٨١١) ولفظه: «أربع أفضل الكلام ...».

(٥) أحمد (٣٨٥/٤)، وقال الهيثمي في المجمع (٥٤/١): رواه أحمد وفيه شهر بن حوشب، وقد وثق على ضعف فيه. وأصله عند مسلم.

(١) السُّلَامَى: بضم السين وتخفيف اللام هو المفصل، وجمعه: سلاميات، بفتح الميم وتخفيف الياء. وفي القاموس: السُّلَامَى: كجبارى: عظام صغار طول الإصبع في اليد والرجل.

(٢) يعدل بين الاثنين صدقة: أي يصلح بينهما بالعدل.

(٣) البخاري - الفتح ٦ (٢٩٨٩) واللفظ له، ومسلم (١٠٠٩).

(٤) مسلم (٢١٣٧)، وأحمد (١١/٥) واللفظ له، ولفظ

وَمِنَ الدَّرَجَاتِ: طِيبُ الْكَلَامِ، وَبَذُلُ السَّلَامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ. قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِذَا صَلَّيْتَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الطَّيِّبَاتِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَتُوبَ عَلَيَّ، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي النَّاسِ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ»*(١).

وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (الأنعام/ ٧٥). ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الْكَفَّارَاتِ. قَالَ: وَمَا الْكَفَّارَاتُ؟ قُلْتُ: الْمَشْيُ عَلَى الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَالْجُلُوسُ فِي الْمَسْجِدِ خِلَافَ الصَّلَوَاتِ، وَإِبْلَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكَارِهِ. قَالَ: مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ، وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ،

الأحاديث الواردة في «الكلم الطيب» معنى

عَلَيْنَا، فَقَالَ: «مَا لَكُمْ وَلِمَجَالِسِ الصُّعَدَاتِ»*(٢)؟ اجْتَنِبُوا مَجَالِسَ الصُّعَدَاتِ فَقُلْنَا: إِنَّمَا قَعَدْنَا لِغَيْرِ مَا بَاسٍ. قَعَدْنَا نَتَذَكَّرُ وَنَتَحَدَّثُ. قَالَ: «إِمَّا لَا»*(٣) فَأَدُّوا حَقَّهَا: غَضُّ الْبَصَرِ، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَحُسْنُ الْكَلَامِ»*(٤).

١٢ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرْفَةً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا». فَقَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ لِلَّهِ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ»*(٥).

١٣ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ

النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ

٩ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرِيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرِي أَحَدُكُمْ فَلَوْهَ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»*(٦).

١٠ - * (عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْكَلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَا اصْطَفَاهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»*(٧).

١١ - * (عَنْ أَبِي طَلْحَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

كُنَّا قُعُودًا بِالْأَفْنِيَةِ نَتَحَدَّثُ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَامَ

فأدغمت النون في الميم، وما زائدة في اللفظ لا حكم لها. ومعناه هنا: إن لم تتركوها فأدوا حقها.

(٦) مسلم (٢١٢٠).

(٧) أحمد في المسند (١٧٣/٢) واللفظ له، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، وهو في مجمع الزوائد (١٠/٤٢٠) وقال: رواه أحمد، ورجاله وثقوا، على ضعف في بعضهم. وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/٢٥٤) وقال: رواه الطبراني والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما. وصححه ابن حبان (٦٤١)، والحاكم (٣٢١/) وصححه ووافقه الذهبي.

(١) أحمد في المسند (٦٦/٤، ٣٧٨/٥)، ورواه الترمذي (٣٢٣٥) من حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) البخاري - الفتح ١٣ (٧٤٣٠) واللفظ له؛ ومسلم (١٠١٥).

(٣) أحمد (١٤٨/٥) واللفظ له، والترمذي (٣٥٩٣) ولفظه «أي الكلام أحب إلى الله عز وجل...». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) الصعدات: هي الطرقات، واحدها صعيد كطريق.

(٥) إمَّا لا: قال ابن الأثير: أصل هذه الكلمة: إن وما،

الله لا يُلقِي لها بالاً يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لها بالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»^(١).

١٤ - * (عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ فِي عَقَبَةٍ - أَوْ قَالَ فِي ثَنِيَّةٍ - قَالَ: فَلَمَّا عَلَا عَلَيْهَا رَجُلٌ نَادَى فَرَفَعَ صَوْتَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ. قَالَ: وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا». ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا مُوسَى - أَوْ يَا عَبْدَ اللهِ - أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ؟» قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(٢).

١٥ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ. كَانَتْ لَهُ عِدَلُ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِزْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ. وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.

وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(٣).

١٦ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ^(٤) ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ^(٥): سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ»^(٦).

١٧ - * (عَنْ أَبِي مُوسَى - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْأُتْرَجَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالَّذِي لَا يَقْرَأُ كَالْتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا. وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلَا رِيحَ لَهَا»^(٧).

١٨ - * (عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ شَرِيحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ حَدِّثْنِي بِشَيْءٍ يُوجِبُ لِي الْجَنَّةَ، قَالَ: «مُوجِبُ الْجَنَّةِ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَحُسْنُ الْكَلَامِ»^(٨).

التفريط فيه.

(٥) حبيبتان إلى الرحمن: المراد أن قائلها محبوب لله، وخص الرحمن من الأسماء الحسنى للتنبيه على سعة رحمة الله، حيث يجازي على العمل القليل بالشواب الجزيل. فتح الباري (١١/٢١٢).

(٦) البخاري - الفتح ١١ (٦٤٠٦)، مسلم (٢٦٩٤) واللفظ له.

(٧) البخاري - الفتح ١٣ (٧٥٦٠)، ومسلم (٧٩٧).

(٨) الترغيب والترهيب (٣/٤٢٣)، قال المنذري: رواه الطبراني بإسنادين رواة أحدهما ثقات.

(١) البخاري - الفتح ١١ (٦٤٧٨).

(٢) البخاري - الفتح ١١ (٦٤٠٩) واللفظ له، ومسلم (٢٧٠٤).

(٣) البخاري - الفتح ١١ (٦٤٠٣)، ومسلم (٢٦٩١) واللفظ له.

(٤) شبه سهولة جريان هذا الكلام على اللسان بما يخف على الحامل من بعض المحمولات فلا يشق عليه. وفي الحديث حث على المواظبة على هذا الذكر وتحريض على ملازمته، لأن جميع التكاليف شاقة على النفس، وهذا سهل ومع ذلك يثقل في الميزان كما تثقل الأفعال الشاقة فلا ينبغي

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في «الكلم الطيب»

انظر المثل التطبيقي في صفات: «تلاوة القرآن، الدعاء، الذكر».

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في «الكلم الطيب»

مِنْهُ كَلَامٌ طَيِّبٌ وَعَمَلٌ صَالِحٌ يَصْعَدُ إِلَيْهِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ قَالَ: ذَلِكَ مَثَلُ الْكَافِرِ، لَا يَصْعَدُ لَهُ كَلِمٌ طَيِّبٌ وَلَا عَمَلٌ صَالِحٌ ﴿٤﴾.

٥- ﴿وَعَنْ عِكْرَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ قَالَ: هِيَ النَّخْلَةُ، لَا يَزَالُ فِيهَا شَيْءٌ يُتَنَفَّعُ بِهِ، إِمَّا ثَمَرَةً وَإِمَّا حَطَبٌ، قَالَ: وَكَذَلِكَ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ، تَنْفَعُ صَاحِبَهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ ﴿٥﴾.

٦- ﴿وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً.. الْآيَةَ﴾ (إبراهيم / ٢٤): شَبَّهَ سُبْحَانَهُ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ بِالشَّجَرَةِ الطَّيِّبَةِ، لِأَنَّ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ تُثْمِرُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ وَالشَّجَرَةَ الطَّيِّبَةَ تُثْمِرُ الثَّمَرَ النَّافِعَ، وَهَذَا ظَاهِرٌ عَلَى قَوْلِ جُمْهُورِ الْمُفَسِّرِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ: هِيَ شَهَادَةُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّهَا تُثْمِرُ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، فَكُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ مَرْضِيٌّ لِلَّهِ تَعَالَى فَهُوَ ثَمَرَةُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ﴾ ﴿٦﴾.

٧- ﴿وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - (أَيْضًا): أَخْبَرَ

١- ﴿عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً.. الْآيَةَ﴾ (إبراهيم / ٢٤) قَالَ: كَلِمَةُ طَيِّبَةٍ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ وَهُوَ الْمُؤْمِنُ﴾ ﴿١﴾.

٢- ﴿وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَابْنُ جُرَيْجٍ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ: الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ الْإِيمَانُ. وَعَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ: هِيَ الْمُؤْمِنُ نَفْسُهُ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَصْلُ الْكَلِمَةِ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ وَهُوَ الْإِيمَانُ، شَبَّهَهُ بِالنَّخْلَةِ فِي الْمَنْبِتِ، وَشَبَّهَ ارْتِفَاعَ عَمَلِهِ فِي السَّمَاءِ بِارْتِفَاعِ فُرُوعِ النَّخْلَةِ، وَثَوَابَ اللَّهِ لَهُ بِالثَّمَرِ﴾ ﴿٢﴾.

٣- ﴿وَنَقَلَ أَبُو حَيَّانَ قَوْلَ بَعْضِهِمْ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ جَمِيعُ الطَّاعَاتِ أَوْ الْقُرْآنِ، وَقِيلَ: هِيَ دَعْوَةُ الْإِسْلَامِ، وَقِيلَ هِيَ الثَّنَاءُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ التَّسْبِيحُ وَالتَّنْزِيهُ﴾ ﴿٣﴾.

٤- ﴿عَنْ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً.. الْآيَةَ﴾ (إبراهيم / ٢٤) قَالَ: ذَلِكَ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ، لَا يَزَالُ يُخْرَجُ

(٤) الدر المنثور (٥ / ٢١) والتفسير القِيم لابن القِيم (٣٢٩)،

وتفسير الطبري (١٢ / ١٣٦).

(٥) الدر المنثور (٥ / ٢٣).

(٦) التفسير القِيم (٣٢٧).

(١) تفسير الطبري (١٢ / ١٣٥).

(٢) تفسير الطبري (٩ / ٣٥٩)، وانظر أيضًا البحر المحيط

حيث نقل أبو حيان هذه الأقوال في (٥ / ٤١٠).

(٣) انظر في هذه الآراء في البحر المحيط (٥ / ٤١٠).

﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾: هُوَ قَوْلُهُمُ: الْحَمْدُ
لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ، يُلْهِمُهُمُ اللَّهُ ذَلِكَ - أَيْ فِي
الْآخِرَةِ - ﴿٦﴾.

١٣ - ﴿وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - (أَيْضًا): يُرِيدُ
بِالطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ﴿٧﴾.

١٤ - ﴿وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَقِيلَ: الْقُرْآنُ، ثُمَّ
قِيلَ: هَذَا فِي الدُّنْيَا، هُدُوا إِلَى الشَّهَادَةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ،
وَقِيلَ هُدُوا فِي الْآخِرَةِ إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُوَ
الْحَمْدُ لِلَّهِ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ غَدًا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ
عَنَّا الْحَزْنَ، فَلَيْسَ فِي الْجَنَّةِ لَغْوٌ وَلَا كَذِبٌ فَمَا يَقُولُونَهُ
فَهُوَ طَيِّبُ الْقَوْلِ، وَقِيلَ: الطَّيِّبُ مِنَ الْقَوْلِ مَا يَأْتِيهِمْ
مِنْ اللَّهِ مِنَ الْبَشَارَاتِ الْحَسَنَةِ﴾ ﴿٨﴾.

١٥ - ﴿وَقَالَ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ السَّابِقَةِ:
﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾: يَعْنِي هَدَاهُمْ
رَبُّهُمْ فِي الدُّنْيَا إِلَى شَهَادَةِ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ﴿٩﴾.

١٦ - ﴿وَقَالَ أَبُو حَيَّانٍ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ
الْكَرِيمَةِ: إِنْ كَانَتْ الْهَدَايَةُ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ وَالْأَقْوَالُ الطَّيِّبَةُ مِنَ الْأَذْكَارِ وَغَيْرِهَا، وَإِنْ كَانَ
إِخْبَارًا عَمَّا يَقَعُ مِنْهُمْ فِي الْآخِرَةِ فَهُوَ قَوْلُهُمُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ

الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ عَنْ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ فِي الْفَرِيقَيْنِ:
أَصْحَابِ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ، وَأَصْحَابِ الْكَلِمِ الْخَبِيثِ،
فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يُثَبِّتُ الَّذِينَ آمَنُوا بِإِيمَانِهِمْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ
أَحْوَجَ مَا يَكُونُونَ إِلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنَّهُ يُضِلُّ
الظَّالِمِينَ وَهُمْ الْمُشْرِكُونَ عَنِ الْقَوْلِ الثَّابِتِ، فَأَصْلُ
هَؤُلَاءِ بَعْدْلِهِ لِظُلْمِهِمْ وَثَبَّتَ الْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِهِ
لِإِيمَانِهِمْ﴾ ﴿١١﴾.

٨ - ﴿عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَهْدُوا
إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ (الحج / ٢٤) قَالَ: فِي
الْخُصُومَةِ، إِذْ قَالُوا: اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ﴾ ﴿٢﴾.

٩ - ﴿وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ خَالِدٍ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ
قَالَ: الطَّيِّبُ مِنَ الْقَوْلِ: الْقُرْآنُ﴾ ﴿٣﴾.

١٠ - ﴿وَعَنِ الضَّحَّاكِ فِي نَفْسِ الْآيَةِ قَالَ:
الطَّيِّبُ مِنَ الْقَوْلِ هُوَ الْإِخْلَاصُ﴾ ﴿٤﴾.

١١ - ﴿وَعَنْ ابْنِ زَيْدٍ فِي نَفْسِ الْآيَةِ قَالَ:
الْقَوْلُ الطَّيِّبُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا
قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، الَّذِي قَالَ: إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ
الطَّيِّبُ﴾ ﴿٥﴾.

١٢ - ﴿عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -

بذلك إلى قوله تعالى في سورة فاطر ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ
الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ...﴾ (الآية ١٠)؛ وانظر
تفسير الطبري (١٧/ ١٠٢).

(٦) تفسير غرائب القرآن للنيسابوري (بهامش الطبري)
(١٧/ ٧٩).

(٧) تفسير القرطبي (١٢/ ٣٠).

(٨) المرجع السابق (١٢/ ٣١).

(٩) المرجع السابق (١٧/ ١٠٢).

(١) المرجع السابق (٣٣٢).

(٢) الدر المنثور (٦/ ٢٤)، وفي هذا إشارة إلى ما ردَّ به
المسلمون بإرشاد النبي ﷺ على أبي سفيان بن حرب يوم
وقعة أحد عندما قال: لنا العزى ولا عزى لكم. فقال
المسلمون: الله مولانا ولا مولى لكم.

(٣) المرجع السابق (٦/ ٢٤).

(٤) المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(٥) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها، ويشير ابن زيد

الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ ﴿الزمر/ ٧٤﴾، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ مُحَاوَرَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ﴿١﴾.

١٧ - ﴿وَرَوَى أَبُو حَيَّانَ عَنِ الْمَاوَرِدِيِّ أَنَّ الْقَوْلَ الطَّيِّبَ هُوَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ ﴿٢﴾.

١٨ - ﴿وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ أَيَّ إِلَى الْقُرْآنِ، وَقِيلَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَقِيلَ: الْأَذْكَارُ الْمَشْرُوعَةُ﴾ ﴿٣﴾.

١٩ - ﴿عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ..﴾ (النور/ ٢٦) قَالَ: وَالطَّيِّبَاتُ مِنَ الْكَلَامِ لِلطَّيِّبِينَ مِنَ النَّاسِ وَالطَّيِّبُونَ مِنَ النَّاسِ لِلطَّيِّبَاتِ مِنَ الْكَلَامِ. نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ قَالُوا فِي زَوْجَةِ النَّبِيِّ ﷺ مَا قَالُوا مِنَ الْبُهْتَانِ﴾ ﴿٤﴾.

٢٠ - ﴿وَعَنْ قَتَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ قَالَ: وَالطَّيِّبَاتُ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ لِلطَّيِّبِينَ مِنَ النَّاسِ وَالطَّيِّبُونَ مِنَ النَّاسِ لِلطَّيِّبَاتِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ﴾ ﴿٥﴾.

٢١ - ﴿وَعَنْ عَطَاءٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي الْآيَةِ

السَّابِقَةِ قَالَ: وَالطَّيِّبَاتُ مِنَ الْقَوْلِ لِلطَّيِّبِينَ مِنَ النَّاسِ. أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَسْمَعُ بِالْكَلِمَةِ الْخَبِيثَةِ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ فَتَقُولُ: غَفَرَ اللَّهُ لِفُلَانٍ مَا هَذَا مِنْ خُلُقِهِ، وَلَا مِنْ شِمَمِهِ، وَلَا مِمَّا يَقُولُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ أَيَّ لَا يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ شِمَمِهِمْ، وَلَا مِنْ أَخْلَاقِهِمْ، وَلَكِنَّ الزَّلَلَ قَدْ يَكُونُ﴾ ﴿٦﴾.

٢٢ - ﴿عَنْ مُجَاهِدٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ... الْآيَةِ﴾ (النور/ ٢٦) قَالَ: الطَّيِّبَاتُ الْقَوْلُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ مِنَ الْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ فَهُوَ لِلْمُؤْمِنِ، وَالْخَبِيثَاتُ الْقَوْلُ الْخَبِيثُ يَخْرُجُ مِنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ فَهُوَ لِلْكَافِرِ، أُولَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ بَرَأَ كُلَّيْهَا مِمَّا لَيْسَ بِحَقٍّ مِنَ الْكَلَامِ﴾ ﴿٧﴾.

٢٣ - ﴿وَعَنْ مُجَاهِدٍ (أَيْضًا) فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ: الْخَبِيثَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ: الْقَوْلُ الْحَسَنُ وَالسَّيِّئُ، لِلْمُؤْمِنِينَ الْحَسَنُ، وَلِلْكَافِرِينَ السَّيِّئُ، أُولَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ، وَذَلِكَ بِأَنَّهُ مَا قَالَ الْكَافِرُونَ مِنْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ فَهِيَ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَمَا قَالَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ فَهِيَ

(١) تفسير البحر المحيط (٦/ ٣٣٥).

(٢) المرجع السابق (٦/ ٣٣٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٢٣).

(٤) تفسير الطبري (١٨/ ٨٤، ٨٥)، وقد ذكر هذا التفسير

عن كثير من التابعين؛ الدر المنثور (٦/ ١٦٧)، وقد نسب

القرطبي في تفسيره (١٢/ ٢١١) هذا القول لمجاهد وابن

جبير وعطاء، ونقل عن أبي جعفر النحاس قوله: وهذا من

أحسن ما قيل في هذه الآية، ودل على صحة هذا القول

قوله سبحانه ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ أي عائشة

وصفوان مما يقول الخبيثون والخبيثات.

(٥) الدر المنثور (٦/ ١٦٧)، وتفسير الطبري (١٨/ ٨٥، ٨٦).

(٦) الدر المنثور (٦/ ١٦٧).

(٧) تفسير الطبري (١٨/ ٨٩).

لِلْكَافِرِينَ، وَكُلُّ بَرِيٍّ مِمَّا لَيْسَ بِحَقِّهِ مِنَ الْكَلَامِ) * (١).

٢٤ - * (وَعَنْ مُجَاهِدٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي قَوْلِهِ

تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ قَالَ: مَنْ كَانَ طَيِّبًا فَهُوَ مُبَرَّأً مِنْ كُلِّ قَوْلٍ خَبِيثٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾، وَمَنْ كَانَ خَبِيثًا فَهُوَ مُبَرَّأً مِنْ كُلِّ قَوْلٍ صَالِحٍ يَقُولُهُ إِذْ يَرُدُّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَا يَقْبَلُهُ مِنْهُ) * (٢).

٢٥ - * (عَنْ يَحْيَى الْجَزَارِي قَالَ: جَاءَ أُسَيْرُ بْنُ

جَابِرٍ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ (بْنِ مَسْعُودٍ) فَقَالَ: قَدْ سَمِعْتُ الْوَلِيدَ ابْنَ عُقْبَةَ الْيَوْمَ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ أَعْجَبَنِي. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ الرَّجُلَ الْمُؤْمِنَ يَكُونُ فِي فِيهِ الْكَلِمَةُ غَيْرَ طَيِّبَةٍ تَتَجَلَّجَلُ فِي صَدْرِهِ مَا تَسْتَقِرُّ حَتَّى يَلْفِظَهَا، فَيَسْمَعَهَا رَجُلٌ عِنْدَهُ مِثْلُهَا فَيَضُمُّهَا إِلَيْهِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ الْفَاجِرَ تَكُونُ فِي قَلْبِهِ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ تَتَجَلَّجَلُ فِي صَدْرِهِ مَا تَسْتَقِرُّ حَتَّى يَلْفِظَهَا، فَيَسْمَعَهَا الرَّجُلُ الَّذِي عِنْدَهُ مِثْلُهَا فَيَضُمُّهَا إِلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ... (الْآيَةُ)﴾ * (٣).

٢٦ - * (عَنِ ابْنِ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ ﴿الْخَبِيثَاتُ

لِلْخَبِيثِينَ... (الْآيَةُ) قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَائِشَةَ حِينَ رَمَاهَا الْمُنَافِقُونَ بِالْبُهْتَانِ وَالْفَرِيَةِ فَبَرَّأَهَا اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي هُوَ الْخَبِيثُ، فَكَانَ هُوَ أَوْلَى بِأَنْ تَكُونَ لَهُ (الْكَلِمَةُ) الْخَبِيثَةُ، وَيَكُونُ لَهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَيِّبًا، وَكَانَ أَوْلَى أَنْ تَكُونَ لَهُ الطَّيِّبَةُ، وَكَانَتْ عَائِشَةُ

الطَّيِّبَةُ، فَكَانَتْ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ لَهَا الطَّيِّبُ) * (٤).

٢٧ - * (قَالَ الطَّبْرِيُّ - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْأَرْاءَ

الْمُخْتَلِفَةَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ - : وَأَوْلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُ مَنْ قَالَ عَنْهُ بِالْخَبِيثَاتِ الْخَبِيثَاتُ مِنَ الْقَوْلِ، وَذَلِكَ قَبِيحُهُ وَسَيِّئُهُ، لِلْخَبِيثِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَالْخَبِيثُونَ مِنَ النَّاسِ لِلْخَبِيثَاتِ مِنَ الْقَوْلِ، هُمْ بِهَا أَوْلَى لِأَنَّهُمْ أَهْلُهَا، وَالطَّيِّبَاتُ مِنَ الْقَوْلِ وَذَلِكَ حَسَنُهُ وَجَمِيلُهُ لِلطَّيِّبِينَ مِنَ النَّاسِ، وَالطَّيِّبُونَ مِنَ النَّاسِ لِلطَّيِّبَاتِ مِنَ الْقَوْلِ لِأَنَّهُمْ أَهْلُهَا وَأَحَقُّ بِهَا، وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ هَذَا الْقَوْلَ أَوْلَى بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ، لِأَنَّ الْآيَاتِ قَبْلَ ذَلِكَ إِنَّمَا جَاءَتْ فِي تَوْيِخِ اللَّهِ لِلْقَائِلِينَ فِي عَائِشَةَ الْإِفْكَ وَالرَّامِينَ الْمُخَصَّنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ، فَكَانَ خَتْمُ الْخَبَرِ عَنْ أَوْلَى الْفَرِيقَيْنِ بِالْإِفْكَ مِنَ الرَّامِي وَالْمَرْمِي بِهِ، أَشْبَهَ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ غَيْرِهِمْ) * (٥).

٢٨ - * (وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -

قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً... (النور/ ٦١) يَقُولُ: إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَهُوَ السَّلَامُ، لِأَنَّهُ اسْمُ اللَّهِ، وَهُوَ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ) * (٦).

٢٩ - * (عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: إِذَا دَخَلْتَ

عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً، قَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ: مَا رَأَيْتُهُ إِلَّا أَوْجَبَهُ - أَيِ السَّلَامِ -) * (٧).

(٥) تفسير الطبري (١٨/ ٨٦).

(٦) الدر المنثور (٦/ ٢٢٥).

(٧) تفسير الطبري (١٨/ ١٣٢).

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٨٩).

(٢) الدر المنثور (٦/ ١٦٧).

(٣) المرجع السابق (٦/ ١٦٨).

(٤) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

- ٣٠- * (عَنْ عَطَاءٍ قَالَ: إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا أَحَدٌ فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْنَا مِنْ رَبِّنَا) * (١).
- ٣١- * (عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ قَالَ: جَاءَ الْأَشْعَثُ ابْنُ قَيْسٍ وَجَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ إِلَى سَلْمَانَ، فَقَالَا: جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: فَأَيْنَ هَدِيَّتُهُ الَّتِي أَرْسَلَهَا مَعَكُمْ؟ قَالَا: مَا أَرْسَلَ مَعَنَا بِهِدِيَّةً. قَالَ: اتَّقِ اللَّهَ، وَأَدِّبَا الْأَمَانَةَ، مَا جَاءَنِي أَحَدٌ مِنْ عِنْدِهِ إِلَّا جَاءَ مَعَهُ بِهِدِيَّةً. قَالَا: وَاللَّهِ مَا بَعَثَ مَعَنَا شَيْئًا إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: أَفَرِئُوهُ مِنِّي السَّلَامَ. قَالَ: فَأَيُّ هَدِيَّةٍ كُنْتُ أُرِيدُ مِنْكُمْ غَيْرَ هَذِهِ؟ وَأَيُّ هَدِيَّةٍ أَفْضَلُ مِنَ السَّلَامِ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً؟) * (٢).
- ٣٢- * (وَقَالَ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾: وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ التَّحِيَّةَ بِأَنَّهَا مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ لِمَا فِيهَا مِنَ الْأَجْرِ الْجَزِيلِ وَالثَّوَابِ الْعَظِيمِ) * (٣).
- ٣٣- * (وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَصَفَهَا بِالْبَرَكَةِ لِأَنَّ فِيهَا الدُّعَاءَ وَاسْتِجْلَابَ مَوَدَّةِ الْمُسْلِمِ عَلَيْهِ، وَوَصَفَهَا بِالطَّيِّبَةِ لِأَنَّ سَامِعَهَا يَسْتَطِيعُهَا) * (٤).
- ٣٤- * (وَقَالَ أَبُو حَيَّانَ: وَصَفَ التَّحِيَّةَ بِالْبَرَكَةِ وَالطَّيِّبِ لِأَنَّهَا دَعْوَةٌ مُؤْمِنٍ لِمُؤْمِنٍ يُرْجَى بِهَا مِنَ اللَّهِ

زِيَادَةُ الْخَيْرِ وَطَيِّبُ الرِّزْقِ) * (٥).

- ٣٥- * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ قَالَ: الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ذِكْرُ اللَّهِ. ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ قَالَ: أَدَاءُ الْفَرَائِضِ، فَمَنْ ذَكَرَ اللَّهَ فِي أَدَاءِ فَرَائِضِهِ حَمَلَ عَمَلُهُ ذِكْرَ اللَّهِ فَصَعَدَ بِهِ إِلَى اللَّهِ، وَمَنْ ذَكَرَ اللَّهَ وَلَمْ يُؤَدِّ فَرَائِضَهُ حَمَلَ كَلَامَهُ عَلَى عَمَلِهِ وَكَانَ عَمَلُهُ أَوْلَى بِهِ) * (٦).
- ٣٦- * (عَنْ مُجَاهِدٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ: الْعَمَلُ الصَّالِحُ هُوَ الَّذِي يَرْفَعُ الْكَلَامَ الطَّيِّبَ) * (٧).
- ٣٧- * (وَعَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ نَفْسَهَا قَالَ: (الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) الْقُرْآنُ) * (٨).
- ٣٨- * (وَعَنْ مَطَرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: (الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) الدُّعَاءُ) * (٩).
- ٣٩- * (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - (الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) ذِكْرُ اللَّهِ) * (١٠).
- ٤٠- * (قَالَ الْفَرَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾: مَعْنَاهُ: أَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ يَرْفَعُ الْكَلَامَ الطَّيِّبَ، أَيْ يُتَقَبَّلُ الْكَلَامُ الطَّيِّبُ إِذَا كَانَ مَعَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ) * (١١).
- ٤١- * (عَنْ مُجَاهِدٍ: الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُ

(١) تفسير الطبري (١٨/١٣٢).

(٢) الدر المنثور (٦/٢٢٦).

(٣) تفسير الطبري (١٨/١٣٣).

(٤) تفسير القرطبي (١٢/٣١٨).

(٥) تفسير البحر المحيط (٦/٤٣٥).

(٦) الدر المنثور ٩/٧؛ وقد ذكر الطبري نفس الأثر - مع اختلاف طفيف منسوباً لابن عباس، انظر تفسير الطبري

الكَلِمِ الطَّيِّبِ) * (١).

٤٢ - * (قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: صُعُودُ الْكَلَامِ الطَّيِّبِ وَالصَّدَقَةِ الطَّيِّبَةِ عِبَارَةٌ عَنِ الْقَبُولِ) * (٢).

٤٣ - * (عَنِ الْحَسَنِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ قَالَ: الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُ الْكَلَامَ الطَّيِّبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَيُعْرَضُ الْقَوْلُ عَلَى الْعَمَلِ، فَإِنْ وَافَقَهُ رُفِعَ وَإِلَّا رُدَّ) * (٣).

٤٤ - * (عَنِ الْمُخَارِقِ بْنِ سُلَيْمٍ قَالَ: قَالَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ (بْنُ مَسْعُودٍ) إِذَا حَدَّثْنَاكُمْ بِحَدِيثٍ أَتَيْنَاكُمْ بِتَصْدِيقِ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، إِنَّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ إِذَا قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، تَبَارَكَ اللَّهُ، أَخَذَهُنَّ مَلَكٌ، فَجَعَلَهُنَّ تَحْتَ جَنَاحَيْهِ، ثُمَّ صَعَدَ بِهِنَّ إِلَى السَّمَاءِ، فَلَا يَمُرُّ بِهِنَّ عَلَى جَمْعٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا اسْتَغْفَرُوا لِقَائِلِهِنَّ حَتَّى يُجِيبِي بِهِنَّ وَجْهَ الرَّحْمَنِ ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾) * (٤).

٤٥ - * (قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: ... وَالْكَلِمَةُ الَّتِي تُرْفَعُ بِهَا الدَّرَجَاتُ وَيُكْتَبُ بِهَا الرِّضْوَانُ هِيَ الَّتِي يَدْفَعُ بِهَا (صَاحِبُهَا) عَنِ الْمُسْلِمِ مَظْلَمَةً، أَوْ يُفَرِّجُ بِهَا عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ يَنْصُرُ بِهَا مَظْلُومًا) * (٥).

٤٦ - * (قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: ... يَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْطِقَ أَنْ يَتَدَبَّرَ مَا يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَنْطِقَ، فَإِنْ ظَهَرَتْ فِيهِ مَصْلَحَةٌ تَكَلَّمَ وَإِلَّا أَمْسَكَ) * (٦).

٤٧ - * (قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: طِيبُ الْكَلَامِ مِنْ جَلِيلِ عَمَلِ الْبِرِّ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ الْآيَةَ، وَالِدَفْعُ قَدْ يَكُونُ بِالْقَوْلِ كَمَا يَكُونُ بِالْفِعْلِ) * (٧).

٤٨ - * (قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: وَجْهُ كَوْنِ الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ صَدَقَةً أَنْ إِعْطَاءَ الْمَالِ يَفْرَحُ بِهِ قَلْبُ الَّذِي يُعْطَاهُ وَيُذْهِبُ مَا فِي قَلْبِهِ، كَذَلِكَ الْكَلَامُ الطَّيِّبُ، فَاشْتَبَهَا مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ) * (٨).

٤٩ - * (قَالَ الْمَاوَرِدِيُّ: مَعْنَى حُسْنِ الْخُلُقِ أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُ سَهْلَ الْعَرِيكَةِ، لَيْسَ الْجَانِبِ، طَلَقَ الْوَجْهَ، قَلِيلَ النُّفُورِ، طِيبَ الْكَلِمَةِ) * (٩).

٥٠ - * (عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَمْرٍو. قَالَ: «نَزَلَ عُيَيْدُ اللَّهِ ابْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَنْزِلًا مُنْصَرَفَهُ مِنَ الشَّامِ نَحْوَ الْحِجَازِ، فَطَلَبَ غُلَامُهُ طَعَامًا، فَلَمْ يَجِدُوا فِي ذَلِكَ الْمَنْزِلِ مَا يَكْفِيهِمْ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مَرَّ بِهِ زِيَادُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، أَوْ عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ، فَاتَوَا عَلَى مَا فِيهِ، فَقَالَ عُيَيْدُ اللَّهِ لَوَكِيلِهِ: اذْهَبْ فِي هَذِهِ الْبَرِّيَّةِ (١٠)، فَلَعَلَّكَ أَنْ تَجِدَ رَاعِيًا، أَوْ تَجِدَ أَخْبِيَّةً (١١) فِيهَا لَبَسٌ أَوْ

(٧) الفتح (١٠/٤٦٣).

(٨) الفتح (١٠/٤٦٣).

(٩) انظر أدب الدنيا والدين (٢٣٧) وما بعدها.

(١٠) البرِّيَّة: الصحراء.

(١١) أَخْبِيَّة: جمع خباء وهو البيت من الوبر أو الشعر أو الصوف يكون على عمودين أو ثلاثة.

(١) المرجع السابق (١٣/٤٢٦).

(٢) المرجع السابق (١٣/٤٢٧).

(٣) الدر المنثور (٧/٩).

(٤) تفسير القرطبي (٢/٨٠).

(٥) فتح الباري (١١/٣١٧)، في شرح الحديث «إن العبد ليتكلم بالكلمة...».

(٦) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

طَعَامٌ، فَمَضَى الْقِيَمَ وَمَعَهُ غُلْمَانُ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَدَفَعُوا إِلَى عَجُوزٍ فِي خَبَاءٍ، فَقَالُوا: هَلْ عِنْدَكَ مِنْ طَعَامٍ نَبْتَاةُ^(١) مِنْكَ؟ قَالَتْ: أَمَّا طَعَامُ أَبِيْعَه فَلَا، وَلَكِنْ عِنْدِي مَا إِلَيْهِ حَاجَةٌ لِي وَلِبْنِي، قَالُوا: وَأَيْنَ بَنُوكِ؟ قَالَتْ: فِي رَعِي لَهُمْ. وَهَذَا أَوَانٌ أَوْبَتِهِمْ^(٢)، قَالُوا: فَمَا أَعَدَدْتَ لَكَ وَلَهُمْ؟ قَالَتْ: خُبْزَةٌ وَهِيَ تَحْتَ مَلَّتِهَا^(٣) أَنْتَظِرُ بِهَا أَنْ يَحْيُوا، قَالُوا: فَمَا هُوَ غَيْرُ ذَلِكَ؟- قَالَتْ: لَا. قَالُوا: فَجُودِي لَنَا بِنِصْفِهَا، قَالَتْ: أَمَّا النِّصْفُ فَلَا أَجُودُ بِهِ، وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتُمْ الْكُلَّ فَشَانُكُمْ بِهَا، قَالُوا: وَلِمَ تَمْنَعِينَ النِّصْفَ وَتَجُودِينَ بِالْكُلِّ؟ قَالَتْ: لِأَنَّ إِعْطَاءَ الشَّطْرِ نَقِصَةٌ. وَإِعْطَاءَ الْكُلِّ فَضِيلَةٌ، فَأَنَا أَمْنَعُ مَا يَضْعُنِي، وَأَمْنَحُ مَا يَرْفَعُنِي، فَأَخَذُوا الْمَلَّةَ، وَلَمْ تَسْأَلْهُمْ مَنْ هُمْ؟ وَلَا مِنْ أَيْنَ جَاؤُوهَا؟ فَلَمَّا أَتَوْا بِهَا عُبَيْدَ اللَّهِ، وَأَخْبَرُوهُ بِقِصَّةِ الْعَجُوزِ، عَجِبَ وَقَالَ: ارْجِعُوا إِلَيْهَا فَاحْمِلُوهَا إِلَيَّ السَّاعَةَ، فَارْجِعُوا فَقَالُوا: انْطَلِقِي نَحْوَ صَاحِبِنَا فَإِنَّهُ يُرِيدُكَ، قَالَتْ: وَمَنْ هُوَ صَاحِبُكُمْ أَصْحَبَهُ اللَّهُ السَّلَامَةَ؟ قَالُوا: عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ، قَالَتْ: مَا أَعْرِفُ هَذَا الْاسْمَ، فَمَنْ بَعْدَ الْعَبَّاسِ؟ قَالُوا: الْعَبَّاسُ عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: هَذَا وَأَبْيَكُمْ الشَّرَفُ الْعَالِي ذِرْوَتُهُ، الرَّفِيعُ عِمَادُهُ، هِيَه، أَبُو هَذَا عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَتْ: عَمُّ قَرِيبٌ أَمْ عَمُّ بَعِيدٌ؟ قَالُوا: عَمُّ هُوَ

صِنُو أَبِيْهِ، وَهُوَ عَصْبَتُهُ، قَالَتْ: وَيُرِيدُ مَاذَا؟ قَالُوا: يُرِيدُ مُكَافَأَتَكَ وَبِرَّكَ، قَالَتْ: عَلَامَ؟ قَالُوا: عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ. قَالَتْ: أَوْه^(٤). لَقَدْ أَفْسَدَ الْهَاشِمِيُّ بَعْضَ مَا أَثَلُ لَهُ ابْنُ عَمِّهِ^(٥)، وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَا فَعَلْتُ مَعْرُوفًا مَا أَخَذْتُ بِذَنْبِهِ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يَجِبُ عَلَى الْخَلْقِ أَنْ يُشَارِكَ بَعْضُهُمْ فِيهِ بَعْضًا. قَالَ: فَانْطَلِقِي، فَإِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يَرَكَ، قَالَتْ: قَدْ تَقَدَّمَ مِنْكُمْ وَعَيْدٌ مَا أَجِدُ نَفْسِي تَسْخُو بِالْحَرَكَةِ مَعَهُ، قَالُوا: فَأَنْتِ بِالْخِيَارِ إِنْ بَدَا لَكَ شَيْءٌ بَيْنَ أَخْذِهِ أَوْ تَرْكِهِ. قَالَتْ: لَا حَاجَةَ لِي بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا إِذْ كَانَ هَذَا أَوَّلَهُ. قَالُوا: فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَنْطَلِقِي إِلَيْهِ. قَالَتْ: فَإِنِّي أَنْهَضُ عَلَى كُرْهِهِ إِلَّا لِوَاحِدَةٍ، قَالُوا: وَمَاهِي؟ قَالَتْ: أَرَى وَجْهًا هُوَ جَنَاحُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعُضْوٌ مِنْ أَعْضَائِهِ، ثُمَّ قَامَتْ فَحَمَلُوهَا عَلَى دَابَّةٍ مِنْ دَوَابِّهِ، فَلَمَّا صَارَتْ إِلَيْهِ سَلَّمَتْ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهَا السَّلَامَ، وَقَرَّبَ مَجْلِسَهَا، وَقَالَ: مِمَّنْ أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا مِنْ كَلْبٍ، قَالَ: فَكَيْفَ حَالُكَ؟ قَالَتْ: أَجِدُ الْقَائِتَ^(٦) وَأُسْتَمْرِيهِ، وَأَهْجَعُ أَكْثَرَ اللَّيْلِ، وَأَرَى قُرَّةَ الْعَيْنِ مِنْ وَلَدِ بَارٍ، وَكِئَةٍ^(٧) رَضِيَّةٍ. فَلَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ وَجَدْتُهُ وَأَخَذْتُهُ وَإِنَّمَا أَنْتَظِرُ أَنْ يَأْخُذَنِي، قَالَ: مَا أَعْجَبَ أَمْرَكَ كُلَّهُ. قَالَتْ: قَفْنِي عَلَى أَوَّلِ عَجَبٍ، قَالَ: بِذَلِكَ لَنَا مَا كَانَ فِي حَوَاكِ^(٨)، فَرَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى الْقِيَمِ

(٦) القَائِتُ : ما يقتات به الإنسان.

(٧) الْكِئَةُ : البيت، والكنة أيضًا زوجة الابن.

(٨) حَوَا: مقصور حواء وهي بيوت للعرب مجتمعة تكون من الوبر. انظر: لسان العرب، مادة (ح و ا).

(١) نبتاؤه : أي نشريه .

(٢) أوان أو بتهم : أي وقت رجوعهم .

(٣) الملة : الرماد الحار والجمر.

(٤) أوه : كلمة توجع أو تحزن أو شكاية.

(٥) أثل له ابن عمه : أي ما تركه له رسول الله ﷺ من مجد أثيل

أي عميق الجذور.

فَقَالَتْ: هَذَا مَا قُلْتُ لَكَ؟ قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: وَمَا قَالَتْ لَكَ؟ فَأَخْبَرَهُ، فَازْدَادَ تَعَجُّبًا وَقَالَ: خَبِّرِينِي، فَمَا ادَّخَرْتَ لِبَنِيكَ إِذَا انْصَرَفُوا؟ قَالَتْ: مَا قَالَ حَاتِمٌ طَيِّءٌ:

وَلَقَدْ أَبَيْتُ عَلَى الطَّوَى ^(١) وَأَظْلُهُ

حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَأْكَلِ
فَازْدَادَ مِنْهَا عُبَيْدُ اللَّهِ تَعَجُّبًا. وَقَالَ: أَرَأَيْتِ لَوْ
انْصَرَفَ بَنُوكَ وَهُمْ جِيَاعٌ، وَلَا شَيْءَ عِنْدَكَ، مَا كُنْتَ
تَصْنَعِينَ بِهِمْ؟ قَالَتْ: يَا هَذَا، لَقَدْ عَظُمَتْ هَذِهِ
الْحُبْزَةُ عِنْدَكَ وَفِي عَيْنِكَ حَتَّى أَنْ صِرْتَ لَتَكْثُرُ فِيهَا
مَقَالِكَ، وَتُشْغَلُ بِذِكْرِهَا بِأَلَاكَ، أَلَمْ عَنْ هَذَا وَمَا أَشْبَهُهُ؛
فَإِنَّهُ يُفْسِدُ النَّفْسَ، وَيُؤَثِّرُ فِي الْحِسِّ. فَازْدَادَ تَعَجُّبًا، ثُمَّ
قَالَ لِغُلَامِهِ: انْطَلِقْ إِلَى فِتْيَانِهَا فَإِذَا أَقْبَلَ بَنُوهَا فَجِئْنِي
بِهِمْ، فَقَالَتِ الْعَجُوزُ: أَمَّا إِنَّهُمْ لَا يَأْتُونَكَ إِلَّا بِشَرِيطَةٍ.
قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَتْ: لَا تَذْكُرْ لَهُمْ مَا ذَكَرْتَهُ لِي، فَإِنَّهُمْ
شَبَابٌ حَدَاثٌ، تُخْرِجُهُمُ الْكَلِمَةُ، وَلَا آمَنُ بِوَادِرِهِمْ
إِلَيْكَ، وَأَنْتِ فِي هَذَا الْبَيْتِ الرَّفِيعِ وَالشَّرَفِ الْعَالِي،
فَإِذَا نَحْنُ مِنْ شَرِّ الْعَرَبِ جَوَارًا، فَازْدَادَ عُبَيْدُ اللَّهِ
تَعَجُّبًا، وَقَالَ لَهَا: سَأَفْعَلُ مَا أَمَرْتَ بِهِ. فَقَالَتِ الْعَجُوزُ
لِلْغُلَامِ: انْطَلِقْ. فَاقْعُدْ بِحِذَاءِ الْخَبَاءِ الَّذِي رَأَيْتَنِي فِي
ظِلِّهِ، فَإِذَا أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ أَحَدُهُمْ دَائِمُ الطَّرْفِ نَحْوَ
الْأَرْضِ، قَلِيلُ الْحَرَكَةِ، كَثِيرُ السُّكُونِ، فَذَلِكَ الَّذِي إِذَا
خَاصَمَ أَفْصَحَ وَإِذَا طَلَبَ أَنْجَحَ. وَالْآخِرُ دَائِمُ النَّظَرِ،

كَثِيرُ الْحَذَرِ، لَهُ أَهْبَةٌ قَدْ كَلِمَتْ مِنْ حَدِّهِ. وَأَثَرَتْ فِي
نَسَبِهِ، فَذَلِكَ الَّذِي إِذَا قَالَ فَعَلَ، وَإِذَا ظَلِمَ قَتَلَ.
وَالْآخِرُ كَأَنَّهُ شُعْلَةُ نَارٍ، وَكَأَنَّهُ يَطْلُبُ الْخَلْقَ بِنَارٍ، فَذَلِكَ
الْمَوْتُ الْمَائِتُ، وَهُوَ وَاللَّهُ وَالْمَوْتُ قِسْمَانِ. فَاقْرَأْ عَلَيْهِمْ
سَلَامِي، وَقُلْ لَهُمْ تَقُولُ لَكُمْ وَالِدَتُكُمْ: لَا يُجِدُنَّ أَحَدًا
مِنْكُمْ أَمْرًا حَتَّى تَأْتُوَهَا. فَانْطَلَقَ الْغُلَامُ، فَلَمَّا جَاءَ الْفِتْيَةُ
أَخْبَرَهُمْ. فَمَا قَعَدَ قَائِمُهُمْ، وَلَا شَدَّ جَمْعُهُمْ حَتَّى تَقَدَّمُوا
سِرَاعًا. فَلَمَّا دَنَوْا مِنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَرَأَوْا أُمَّهُمْ، سَلَّمُوا،
فَأَذْنَاهُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ مِنْ مَجْلِسِهِ، وَقَالَ: إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكُمْ
وَلَا إِلَى أُمِّكُمْ لِمَا تَكْرَهُونَ. قَالُوا: فَمَا بَعْدَ هَذَا؟ قَالَ:
أَحَبُّ أَنْ أَصْلَحَ مِنْ أَمْرِكُمْ، وَأَلَمْ مِنْ شَعَثِكُمْ ^(٢). قَالُوا:
إِنَّ هَذَا قَلَّ مَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ سُؤَالٍ أَوْ مَكَافَأَةٍ لِفِعْلٍ
قَدِيمٍ. قَالَ: مَا هُوَ لَشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ. وَلَكِنْ جَاوَزْتُكُمْ فِي
هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَخَطَرَ بِيَالِي أَنْ أَضَعَ بَعْضَ مَالِي فِيمَا يُحِبُّ
اللَّهُ، قَالُوا: يَا هَذَا، إِنَّ الَّذِي يُحِبُّ اللَّهُ لَا يُحِبُّ لَنَا. إِذْ كُنَّا
فِي خَفِضٍ مِنَ الْعَيْشِ. وَكَفَافٍ مِنَ الرِّزْقِ، فَإِنْ كُنْتَ
هَذَا أَرَدْتَ فَوَجَّهْهُ نَحْوَ مَنْ يَسْتَحِقُّ، وَإِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ
النَّوَالَ مُبْتَدِئًا لَمْ يَتَقَدَّمْهُ سُؤَالٌ، فَمَعْرُوفُكَ مَشْكُورٌ وَبِرُّكَ
مَقْبُولٌ، فَأَمَرَ لَهُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ
وَعِشْرِينَ نَاقَةً، وَحَوَّلَ أَثْقَالَهُ إِلَى الْبِغَالِ
وَالدَّوَابِّ، وَقَالَ: مَا ظَنَنْتُ أَنَّ فِي الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ مَنْ
يُشَبِّهُ هَذِهِ الْعَجُوزَ وَهَؤُلَاءِ الْفِتْيَانَ، فَقَالَتِ الْعَجُوزُ
لِفِتْيَانِهَا: لِيَقُلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بَيْتًا مِنَ الشَّعْرِ فِي هَذَا

الشَّريْف، وَلَعَلِّي أَنْ أُعِينَكُم:

فَقَالَ الْكَبِيرُ:

شَهِدْتُ عَلَيْكَ بِطِيبِ الْكَلَامِ

مِ وَطِيبِ الْفِعَالِ وَطِيبِ الْخَبَرِ

وَقَالَ الْأَوْسَطُ:

تَبَرَّعْتَ بِالْجُودِ قَبْلَ الشُّوَا

لِ فِعَالٍ كَرِيمٍ عَظِيمٍ الْخَطَرِ

وَقَالَ الْأَصْغَرُ:

وَحُقِّ لِمَنْ كَانَ ذَا فِعْلُهُ

بِأَنْ يَسْتَرْقِ رِقَابَ الْبَشَرِ*^(١).

٥١ - * (قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ: سَمِعْتُ

الثَّوْرِيَّ يَقُولُ: لَوْ رَمَيْتُ رَجُلًا بِسَهْمٍ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ

أَرْمِيَهُ بِلِسَانِي، لِأَنَّ رَمِيَ اللِّسَانِ لَا يَكَادُ يُخْطِئُ)*^(٢).

من فوائد «الكلم الطيب»

ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا (انْظُرِ

الْحَدِيثَ: ٩).

(٥) الْكَلِمُ الطَّيِّبُ يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - خَاصَّةً

مَعَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ.

(٦) الْكَلِمُ الطَّيِّبُ فِيهِ أَدَاءٌ لِحَقِّ الْمَجَالِسِ.

(٧) الْكَلِمُ الطَّيِّبُ يَرْفَعُ دَرَجَاتِ صَاحِبِهِ.

(٨) الْكَلِمُ الطَّيِّبُ مَدْعَاةٌ لِلتَّذَكُّرِ وَالْخَشْيَةِ.

(٩) الْكَلِمُ الطَّيِّبُ يُزِيلُ الْعَدَاوَةَ وَيُجِلُّ مَحَلَّهَا الصَّدَاقَةَ

الْحَمِيمَةَ.

أَوَّلًا: الْكَلِمُ الطَّيِّبُ إِنْ كَانَ ذِكْرًا أَوْ دُعَاءً أَوْ

تِلَاوَةً لِلْقُرْآنِ لَهُ فَوَائِدُ هَذِهِ الصِّفَاتِ مُجْتَمِعَةً، انْظُرِ

فَوَائِدَ هَذِهِ الصِّفَاتِ.

ثَانِيًا: أَمَّا إِذَا كَانَ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ قَوْلًا يَطِيبُ بِهِ

نَفْسٌ سَامِعُهُ فَإِنَّ مِنْ فَوَائِدِهِ:

(١) لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ أَجْرُ الصَّدَقَةِ (انْظُرِ فَوَائِدَ

الصَّدَقَةِ).

(٢) يُدْخِلُ صَاحِبَهُ الْجَنَّةَ وَيَقِيهِ مِنَ النَّارِ.

(٣) طِيبُ الْكَلَامِ شَطْرُ الْإِسْلَامِ (انْظُرِ الْحَدِيثَ: ٧).

(٤) لِمَنْ طَابَ كَلَامُهُ غُرْفٌ مَخْصُوصَةٌ فِي الْجَنَّةِ يُرَى

اللين

الآيات	الأحاديث	الآثار
٣	١٢	١٠

اللين لغة:

مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ: لَانَ يَلِينُ، وَهُوَ مَا أُخِذَ مِنْ مَادَّةٍ (ل ي ن) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْخُسُونَةِ، يُقَالُ: هُوَ فِي لَيَانٍ مِنْ عَبْسِهِ أَيْ نِعَمَةٍ، وَفُلَانٌ مَلِينَةٌ أَيْ لَيِّنُ الْجَانِبِ^(١)، وَيُقَالُ أَيْضًا: فُلَانٌ لَيِّنٌ، وَلَيِّنٌ مُخَفَّفٌ مِنْهُ، وَلَيِّنْتُ الشَّيْءَ: صَيَّرْتُهُ لَيِّنًا، وَيُقَالُ فِيهِ (كَذَلِكَ) أَلْتُهُ وَأَلَيَّنْتُهُ، وَاللَّيَّانُ: الْمَلَأَيْنَةُ وَاللُّطْفُ وَهُوَ الْاسْمُ مِنَ اللَّيِّنِ، وَاسْتَلَانَ الشَّيْءُ: عَدَّهُ لَيِّنًا^(٢)، أَوْ رَأَاهُ كَذَلِكَ. وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: يُقَالُ فِي فِعْلِ الشَّيْءِ اللَّيِّنِ: لَانَ الشَّيْءُ يَلِينُ لَيِّنًا وَلَيَّانًا، وَفِي الْحَدِيثِ: «يَتَلَوَّنَ كِتَابُ اللَّهِ لَيِّنًا، أَيْ سَهْلًا عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ»^(٣)، وَتَقُولُ الْعَرَبُ: فُلَانٌ هَيِّنٌ لَيِّنٌ، وَهَيِّنٌ لَيِّنٌ، بِالتَّخْفِيلِ وَالتَّخْفِيفِ، وَقَوْلُهُمْ: أَلَيَّنَاءُ إِنَّمَا هُوَ جَمْعُ لَيِّنٍ (بِالتَّشْدِيدِ)، وَلَيْسَ جَمْعًا لـ «لَيِّنٍ» بِالتَّخْفِيفِ، لَأَنَّ فَعْلًا لَا يُجْمَعُ عَلَى أَفْعَلَاءَ^(٤).

وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ (آل عمران/ ١٥٩) مَعْنَاهُ - كَمَا يَقُولُ الْقُرْطُبِيُّ: أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمَّا رَفَقَ بِمَنْ تَوَلَّى يَوْمَ أُحُدٍ وَلَمْ يُعَنَّفْهُمْ بَيْنَ الرَّبِّ تَعَالَى أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى

إِيَّاهُ^(٥)، وَالْقَوْلُ اللَّيِّنُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾ (طه/ ٤٤) يُرَادُ بِهِ: الْكَلَامُ الرَّقِيقُ السَّهْلُ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: الْحَاصِلُ مِنْ أَقْوَالِهِمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ دَعْوَةَ مُوسَى وَهَارُونَ (لِفِرْعَوْنَ) تَكُونُ بِكَلَامٍ رَقِيقٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ رَفِيقٍ لِيَكُونَ (ذَلِكَ) أَوْقَعَ فِي النُّفُوسِ وَأَبْلَغَ وَأَنْجَعَ^(٦)، أَمَّا لَيِّنُ الْجُلُودِ وَالْقُلُوبِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ تَلَيَّنَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الزمر/ ٢٣) فَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى إِذْعَانِهِمْ لِلْحَقِّ وَقَبُولِهِمْ لَهُ بَعْدَ تَأْيِيدِهِمْ مِنْهُ وَإِنْكَارِهِمْ إِيَّاهُ^(٧)، وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: هَذِهِ صِفَةُ الْأَبْرَارِ عِنْدَمَا يَسْمَعُونَ كَلَامَ الْجَبَّارِ^(٨).

اللين اصطلاحًا:

لَمْ تَذْكُرْ كُتُبُ الْمُصْطَلَحَاتِ - الَّتِي وَقَفْنَا عَلَيْهَا - اللَّيِّنَ مُصْطَلَحًا، وَقَدْ اكْتَفَى اللُّغَوِيُّونَ وَالْمُفَسِّرُونَ بِذِكْرِ الْمَعْنَى الْإِسْتِعْمَالِيَّةِ أَوْ الْمَعْنَى الْمُرَادِ، وَقَدْ ذَكَرَ الْفَيْرُوزَابَادِيُّ اللَّيِّنَ - بِحَسَبِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ - إِمَّا لَيِّنٌ فِي الْأَجْسَادِ كَلَيْنِ الشَّمْعِ وَالْحَدِيدِ وَغَيْرِهِمَا، وَإِمَّا لَيِّنٌ فِي الْمَعَانِي، كَلَيْنِ الطَّبَعِ وَلَيْنِ الْقَوْلِ^(٩).

وَقَالَ الرَّاعِبُ: اللَّيِّنُ ضِدُّ الْخُسُونَةِ، وَيُسْتَعْمَلُ ذَلِكَ فِي الْأَجْسَامِ ثُمَّ يُسْتَعَارُ لِلْخُلُقِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَعَانِي،

(١) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ٢٢٥/٥.

(٢) الصحاح ٢١٩٨/٦.

(٣) النهاية لابن الأثير ٢٨٦/٤.

(٤) لسان العرب (بتصرف يسير) ٢٩٤/١٣ - ٢٩٥.

(٥) تفسير القرطبي ٢٤٨/٤.

(٦) تفسير ابن كثير ١٦١/٣.

(٧) المفردات للراغب ص ٤٥٧ (ت: كيلاني).

(٨) انظر نص كلام ابن كثير في قسم الآثار.

(٩) بصائر ذوي التمييز ٤٧٢/٤.

فَيَقَالُ: فَلَانٌ لَيِّنٌ وَفَلَانٌ خَشِنٌ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُمدَّحُ بِهِ طَوْرًا، وَيُذَمُّ بِهِ طَوْرًا بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْمَوَاقِعِ^(٢).

وَفِي ضَوْءِ ذَلِكَ يُمكنُنَا أَنْ نَسْتَخْلِصَ لِلَّيِّنِ بِمعْنَاهُ الْأَخْلَاقِيَّ تَعْرِيفًا اصطِلَاحِيًّا فنَقُولُ:

اللَّيِّنُ: هُوَ سُهولةُ الانْقِيَادِ لِلْحَقِّ، وَالتَّلَطُّفُ فِي مُعَامَلَةِ النَّاسِ وَعِنْدَ التَّحَدُّثِ إِلَيْهِمْ.

أقسام اللين:

يَنْقَسِمُ اللَّيِّنُ بِحَسَبِ مَا يُضَافُ إِلَيْهِ إِلَى:

١ - لَيْنِ الْقَوْلِ، وَيَعْنِي التَّلَطُّفَ فِي الْحَدِيثِ مَعَ النَّاسِ وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ ذَلِكَ مَرْغُوبًا فِي مَجَالِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -.

٢ - لَيْنِ الْقَلْبِ، وَيَعْنِي رِقَّةَ وَخَشْيَتَهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ ذَلِكَ عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ.

٣ - لَيْنِ الْمُعَامَلَةِ، وَيَعْنِي الرِّفْقَ فِي مُعَامَلَةِ

الْمُقَصِّرِينَ وَالتَّيَّاسَ الْعُذْرَ لَهُمْ وَعَدَمَ تَعْنِيفِهِمْ كَمَا حَدَّثَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، حَيْثُ لَمْ يُعَنِّفِ الْمُقَصِّرِينَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَبِرَحْمَةِ مِنْهُ.

الفرق بين اللين والرفق:

كَمَا يَتَّضِحُ مِنْ أَقْسَامِ اللَّيِّنِ فَإِنَّ بَيْنَ الرِّفْقِ وَاللَّيِّنِ عُمُومًا وَخُصُوصًا يَتَّفِقَانِ فِي مَجَالِ الْمُعَامَلَةِ، وَيَنْفَرِدُ اللَّيِّنُ بِمَجَالِي اللِّسَانِ وَالْقَلْبِ، وَمَنْ ثَمَّ يَكُونُ اللَّيِّنُ أَعَمَّ مِنَ الرِّفْقِ.

[للاستزادة: انظر صفات: الرحمة - الرفق - الشفقة -

حُسن المعاملة - حُسن العشرة - الحنان - العطف - الرأفة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الغضب - العنف - القسوة - الجفاء - العبوس - سوء المعاملة].

الآيات الواردة في «اللين»

١ - فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ

الْقَلْبِ لَافْتَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ

لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ

عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ^(٣) ﴿١٥٩﴾

٢ - أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى^(٤) ﴿٤٣﴾

فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى^(٥) ﴿٤٤﴾

قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُقْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى^(٤) ﴿٤٥﴾

٣ - اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِي

نُقْشِعُرُّ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ

ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ

ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ

وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ^(٥) ﴿٢٣﴾

الآيات الواردة في «اللين» معني

انظر الآيات الواردة في صفات: «التيسير - الرأفة - الرحمة - الرفق - الشفقة».

الأحاديث الواردة في «اللين»

١ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ^(١) رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «اُذْنُوا لَهُ، بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ أَوْ ابْنُ الْعَشِيرَةِ»، فَلَمَّا دَخَلَ أَلَانَ لَهُ الْكَلَامَ. قُلْتُ: يَارَسُولَ اللَّهِ، قُلْتُ الَّذِي قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ الْكَلَامَ. قَالَ: «أَيُّ عَائِشَةَ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ - أَوْ وَدَعَهُ - اتَّقَاءَ فُحْشِهِ» * (٢).

٢ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَلَيْنُ قُلُوبًا وَأَرْقُ أَفْئِدَةً، الْإِيمَانُ يَمَانٌ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ، رَأْسُ الْكُفْرِ قَبْلَ الْمَشْرِقِ» * (٣).

٣ - * (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَارَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَرَى اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ ظِلَّةً^(٤) تَنْطَفُ^(٥) السَّمْنُ وَالْعَسَلُ، فَأَرَى النَّاسَ يَتَكَفَّفُونَ^(٦) مِنْهَا بِأَيْدِيهِمْ. فَأَلْمُسْتُكْبِرُ وَالْمُسْتَقِيلُ، وَأَرَى سَبَبًا^(٧) وَاصِلًا^(٨) مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَرَاكَ

أَخَذْتَ فَانْقَطَعَ بِهِ. ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكَ فَعَلَا، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَنَقَطَ بِهِ ثُمَّ وَصَلَ لَهُ فَعَلَا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَارَسُولَ اللَّهِ! بِأَبِي أَنْتَ، وَاللَّهِ! لَتَدْعَنِي فَلَاغْبِرَّهَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اغْبِرَّهَا» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَّا الظِّلَّةُ فَظِلَّةُ الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا الَّذِي يَنْطَفُ مِنَ السَّمْنِ وَالْعَسَلِ فَالْقُرْآنُ، حَلَاوَتُهُ وَلِينُهُ، وَأَمَّا مَا يَتَكَفَّفُ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ فَالْمُسْتَكْبِرُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْمُسْتَقِيلُ، وَأَمَّا السَّبَبُ الْوَاصِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فَالْحَقُّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، تَأْخُذُ بِهِ فَيُعْلِيكَ اللَّهُ بِهِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكَ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَنْقَطِعُ بِهِ ثُمَّ يُوصِلُ لَهُ فَيَعْلُو بِهِ، فَأَخْبَرَنِي، يَارَسُولَ اللَّهِ! بِأَبِي أَنْتَ! أَصَبْتُ أَمْ أَخْطَأْتُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا»^(٩)، قَالَ: فَوَاللَّهِ! يَارَسُولَ اللَّهِ! لَتَحْدِثَنِي مَا الَّذِي أَخْطَأْتُ؟ قَالَ: «لَا

(٦) يتكففون: يأخذون بأكفهم.

(٧) سببًا: السبب الحبل.

(٨) واصلًا: الواصل بمعنى الموصول.

(٩) «أصبت بعضًا وأخطأت بعضًا»: اختلف العلماء في معناه.

فقال ابن قتيبة وآخرون: معناه: أصبت في بيان تفسيرها وصادفت حقيقة تأويلها وأخطأت في مبادرتك بتفسيرها من غير أن أمرك بها. وقال آخرون: هذا الذي قاله ابن قتيبة وموافقوه فاسد لأنه ﷺ قد أذن له في ذلك وقال: «اعبرها».

وإنما أخطأت في تركه تفسير بعضها. فإنَّ الراي قال: رأيت

ظله تنطف السمن والعسل. ففسره الصديق - رضي الله

عنه - بالقرآن حلاوته ولينه. وهذا إنما هو تفسير العسل.

وترك تفسير السمن، وتفسيره السنة. فكان حقه أن يقول:

القرآن والسنة. وإلى هذا أشار الطحاوي. وقال آخرون: =

(١) «أَنَّ رَجُلًا ... إلخ» قال القاضي: هذا الرجل هو عيينة بن حصن، ولم يكن أسلم حينئذٍ، وإن كان قد أظهر الإسلام، فأراد النبي ﷺ أن يبين حاله ليعرفه الناس ولا يغتر به من لم يعرف حاله. قال: وكان في حياة النبي ﷺ، وبعده، ما دل على ضعف إيمانه، وارتد مع المرتدين. وجيء به أسيرًا إلى أبي بكر - رضي الله عنه - ووصف النبي ﷺ إياه بأنه بئس أخو العشيرة، من أعلام النبوة، لأنه ظهر كما وصف، وإنما أَلَانَ له القول تألفاً له ولأمثاله على الإسلام، والمراد بالعشيرة: قبيلته، أي بئس هذا الرجل منها.

(٢) البخاري - الفتح (٦٠٥٤).

(٣) البخاري - الفتح (٤٣٨٨)، ومسلم (٥٢) واللفظ له.

(٤) ظلة: أي سحابة.

(٥) تنطف: أي تقطر قليلاً قليلاً.

تُقَسِّمُ) * (١).

٤ - * (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْيَمَنِ بِذَهَبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ ^(٢) لَمْ تُحْصَلْ مِنْ تَرَاهَا ^(٣)، قَالَ: فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: كُنْ نَحْنُ أَحَقُّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ... الْحَدِيثُ، وَفِيهِ: فَقَامَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا أَضْرِبُ عَنْقَهُ؟ قَالَ: «لَا»، فَقَالَ: «إِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِيءٍ هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ لَيْتَا رَطْبًا ^(٤)» * (٥).

٥ - * (عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: اخْتَبَسَ عَنَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ غَدَاةٍ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى كِدْنَا نَتَرَاءَى ^(٦) عَيْنَ الشَّمْسِ، فَخَرَجَ سَرِيعًا فَثَوَّبَ بِالصَّلَاةِ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَجَوَّزَ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ دَعَا بِسَوْطِهِ قَالَ لَنَا عَلَى مَصَافِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ ثُمَّ انْفَتَلَ ^(٧) إِلَيْنَا ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنْكُمْ الْغَدَاةَ: إِنِّي قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ فَتَوَضَّأْتُ وَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي حَتَّى اسْتَقَلْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ. قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟

قُلْتُ: لَا أَدْرِي، قَالَ: فَرَأَيْتَهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيْ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيْ فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الْكَفَّارَاتِ، قَالَ: مَا هُنَّ؟ قُلْتُ: مَشْيُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْحَسَنَاتِ، وَالْجُلُوسُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ حِينَ الْكَرِيهَاتِ، قَالَ: فِيمَ؟ قُلْتُ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَلَيْنُ الْكَلَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، قَالَ: سَلْ، قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْثُونٍ، أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا» * (٨).

٦ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَقِيمُوا الصُّفُوفَ، فَإِنَّمَا تُصَفُّونَ بِصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَحَازُوا بَيْنَ الْمَنَاقِبِ، وَسُدُّوا الْخُلُلَ، وَلِينُوا فِي أَيْدِي إِخْوَانِكُمْ، وَلَا تَذَرُوا فُرُجَاتٍ لِلشَّيْطَانِ، وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللَّهُ» * (٩).

٧ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (ابْنِ الْعَاصِ)

= الخطأ وقع في خلع عثمان لأنه ذكر في المنام أنه أخذ بالسبب فانقطع به، وذلك يدل على انخلاءه بنفسه وفسره الصديق بأنه يأخذ به رجل فينقطع به ثم يوصل به فيعلو به. وعثمان قد خلع قهراً وقتل وولى غيره. فالصواب في تفسيره أن يحمل وصلة على ولاية غيره من قومه (أي بني أمية).

(١) مسلم (٢٢٦٩).

(٢) أديم مقروظ: أي جلد مدبوغ بالقرظ.

(٣) لم تحصل من تراهها: أي لم تُصَفَّ مِنَ التُّرَابِ الَّذِي يَخَالِطُهَا.

(٤) ليناً رطباً: هكذا هو في أكثر النسخ: ليناً، بالنون أي سهلاً،

وفي كثير من النسخ ليناً، ومعناه: سهلاً لكثرة حفظهم.

(٥) انظر الحديث كاملاً في: مسلم (١٠٦٤)، وله روايات عديدة).

(٦) نترأى: أي نرى عين الشمس.

(٧) انفتل: أقبل علينا.

(٨) الترمذي (٣٢٣٥٨)، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٩) المسند (٩٨/٢)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح

(حديث رقم ٥٧٢٤)، وأبوداود (٦٦٦)، وذكره الألباني في

صحيح أبي داود ١٣١/١ حديث (٦٢٠).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ»*(٢).

٩ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْكَلِمَةُ اللَّيِّنَةُ»^(٣) صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ - أَوْ قَالَ: إِلَى الْمَسْجِدِ - صَدَقَةٌ»*(٤).

- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرْفَةً يَرَى ظَاهِرَهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنَهَا مِنْ ظَاهِرِهَا»، فَقَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ لِلَّهِ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ»*(١).

٨ - * (عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ

الأحاديث الواردة في «اللين» معنى

الْحَامَةِ^(٨)، مِنَ الزَّرْعِ، تُفِيئُهَا الرِّيحُ، تَصْرَعُهَا مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا أُخْرَى، حَتَّى تَهِيَجَ. وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأَرْزَةِ الْمُجْذِبَةِ^(٩) عَلَى أَصْلِهَا لَا يُفِيئُهَا شَيْءٌ حَتَّى يَكُونَ أَنْجَعًا فَهَا مَرَّةً وَاحِدَةً»*(١٠).

١٢ - * (عَنِ الْعَرَبَابِضِ بْنِ سَارِيَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجَلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ

١٠ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ، لَا تَزَالُ الرِّيحُ تُثْمِلُهُ، وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يُصِيبُهُ الْبَلَاءُ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الْأَرْزِ^(٥)، لَا تَهْتَرُ حَتَّى تَسْتَحْصِدَ»*(٦).

١١ - * (عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ

(٥) «الأرز»: قال العلايلي في معجمه: الأرز جنس شجر حي من فصيلة الصنوبريات، واحدته أرزة، وليس هو الشربين ولا الصنوبر، كما وقع في الأصول القديمة، وعند من جاراها. والأرز من أئمن الأشجار وأعظمها. يعلو قرابة (٧٠ - ٨٠) قدمًا. وأغصانه طويلة غليظة تمتد أفقيًا من الجذع، وكثيرًا ما يبلغ محيط جذع الشجرة عشرين قدمًا أو يزيد. يفوخ من قشره وأغصانه عبير هو أزكى من المسك.

(٦) تستحصد: أي لا تتغير حتى تنقلع مرة واحدة كالزراع الذي انتهى يسه.

(٧) مسلم (٢٨٠٩).

(٨) الحامة: الطاقة الغضة اللينة من الزرع، وألفها منقلبة عن واو.

(٩) المجذبة: الثابتة المنتصبة.

(١٠) مسلم (٢٨١٠).

(١) أحمد (١٧٣/٢) واللفظ له، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، وهو في مجمع الزوائد (٤٢٠/١٠) وقال: رواه أحمد، ورجاله وثقوا، على ضعف في بعضهم. وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢٥٤/٤) وقال: رواه الطبراني والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما. وصححه ابن حبان (٦٤١)، والحاكم (٣٢١) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) المسند (٤١٥/١)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، واللفظ له، والترمذي (٢٤٨٨)، وقال: حسن غريب، وقال محقق جامع الأصول (١١٦٩٨): حديث حسن. ورواه المنذري في الترغيب والترهيب (٤١٨/٣).

(٣) ورد في بعض النسخ «الطيبة» بدلًا من «اللينة» وهي بمعناها.

(٤) المسند (٢١٣/٢)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (حديث رقم ٨٠٩٦).

عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنْفِ^(١) حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادًا^(٢) *.

هَذِهِ لَمَوْعِظَةٌ مُودِعٌ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْتَدِينَ،

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في «اللين»

جُلُودُهُمْ، وَتَبْكِي أَعْيُنُهُمْ، وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ، وَلَمْ يَنْعَتَهُمْ بِذَهَابِ عُقُولِهِمْ وَالْغَشْيَانِ عَلَيْهِمْ، إِنَّمَا هَذَا فِي أَهْلِ الْبِدْعِ^(٦) *.

١ - * (قَالَ عَلِيٌّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي وَصْفِ الْعُلَمَاءِ الْأَتْقِيَاءِ: فَبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ، وَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَخْشَنَ الْمُتَرَفُونَ، وَاسْتَوْحَشُوا مِمَّا أَنْسَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ)^(٣) *.

٥ - * (وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ نَفْسَهَا هَذِهِ (أَيُّ لَيْنِ الْجُلُودِ وَالْقُلُوبِ) صِفَةُ الْأَبْرَارِ، عِنْدَ سَمَاعِ كَلَامِ الْجَبَّارِ، لِمَا يَفْهَمُونَ مِنْهُ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَالتَّخْوِيفِ وَالتَّهْدِيدِ، تَقْشَعِرُّ مِنْهُ أَيْ مِنْ خَوْفِهِ وَخَشْيَتِهِ جُلُودُهُمْ فَتَنْقَبِضُ ثُمَّ تَلِينُ لِمَا يَرْجُونَ وَيُؤْمَلُونَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ)^(٧) *.

٢ - * (عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا﴾ (طه/ ٤٤)، قَالَ: كُنْهُ)^(٤) *.

٦ - * (عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا﴾ (طه/ ٤٤): أَعْذَرَا إِلَيْهِ^(٨)، فَقُولَا لَهُ: إِنَّ لَكَ رَبًّا وَلَكَ مَعَادًا، وَإِنَّ بَيْنَ يَدَيْكَ جَنَّةً وَنَارًا)^(٩) *.

٣ - * (عَنِ ابْنِ عَمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: خِيَارُكُمْ أَلَا يَنْكُمُ مَنَاقِبَ فِي الصَّلَاةِ)^(٥) *.

٤ - * (عَنْ قَتَادَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الزمر/ ٢٣): هَذَا نَعْتُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، نَعْتُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّهُ تَقْشَعِرُّ

والمراد: السُّكُونُ والخُشُوعُ والوقار. وانظر اللسان (٢٩٥/١٣).

(٦) تفسير ابن كثير (٥٦/٤).

(٧) المرجع السابق (٥٥/٤).

(٨) أَعْذَرَا إِلَيْهِ: أي اقطعاً عذره في التجبر من قوله: أَعْذَر مَنْ أَنْذَر.

(٩) تفسير ابن كثير (١٦١/٣).

(١) الجمل الأنف: الذي جعل الزمام من أنفه فيجره من يشاء من صغير أو كبير إلى حيث يريد.

(٢) ابن ماجه (٤٣).

(٣) لسان العرب لابن منظور (٣٩٤/١٣).

(٤) المراد: ناديه بِكُنْيَتِهِ، وقد روي عن سفيان الثوري: كُنْهُ بِأَبِي مُرَّة، تفسير ابن كثير (١٦٣/٣).

(٥) النهاية لابن الأثير (٢٨٦/٤)، وفيه: أَلَا يَنْكُمُ جمع ألين،

٧ - * (وَعَنِ السُّدِّيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، قَالَ: ﴿ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾، قَالَ: إِلَى وَعْدِ اللَّهِ) * (١).

٨ - * (وَرَدَ فِي شِعْرِ مَنْسُوبٍ لِزَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ بَعِيلٍ، وَقِيلَ لِأُمِّيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ مَا يُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْقَوْلِ اللَّيِّنِ:

فَقُلْتُ لَهُ: فَادْهَبْ وَهَارُونَ فَادْعُوا

إِلَى اللَّهِ فِرْعَوْنَ الَّذِي كَانَ بَاغِيًّا
فَقُولَا لَهُ: هَلْ أَنْتَ سَوَّيْتَ هَذِهِ

بِلَا وَتَدٍ، حَتَّى اسْتَقَلَّتْ كَمَا هِيََا
وَقُولَا لَهُ: آأَنْتَ رَفَعْتَ هَذِهِ

بِلَا عَمَدٍ، أَرْفَقَ إِذْنُ بِكَ بَانِيَا
قُولَا لَهُ: مَنْ يُخْرِجُ الشَّمْسَ بُكْرَةً

فَيُصْبِحُ مَا مَسَّتْ مِنَ الْأَرْضِ ضَاحِيَا

وَقُولَا لَهُ: مَنْ يُنْبِتَ الْحَبَّ فِي الثَّرَى
فَيُصْبِحُ مِنْهُ الْبَقْلُ يَهْتَزُّ رَايَا
وَيُخْرِجُ مِنْهُ حَبَّهُ فِي رُءُوسِهِ

فَفِي ذَلِكَ آيَاتٌ لِمَنْ كَانَ وَاعِيَا) * (٢).

٩ - * (وَقَالَ الْكَمِيتُ (فِي وَصْفِ آلِ الْبَيْتِ):

هَيْنُونَ لَيِّنُونَ فِي بَيُوتِهِمْ

سِنْخُ الثَّقَى وَالْفَضَائِلُ الرُّتَبِ) * (٣).

١٠ - * (قَالَتْ جَدَّةُ سُفْيَانَ (لَعَلَّهُ الثَّوْرِيُّ)
لِسُفْيَانَ:

بُنَيَّ إِنَّ الْبَرَّ شَيْءٌ هَيْنٌ

الْمَفْرُشُ اللَّيِّنُ، الطُّعِيمُ

وَمَنْطِقٌ إِذَا نَطَقْتَ لَيِّنٌ) * (٤)، (٥).

(٤) وتروى هذه الأبيات أيضاً بتخفيف هَيْنٍ وَلَيِّنٍ: أَي هَيْنٌ وَلَيِّنٌ.

(٥) تفسير ابن كثير (٥٦/٤).

(١) المرجع السابق (٥٦/٤).

(٢) المرجع السابق (١٦١/٣).

(٣) المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

من فوائد «اللين»

- (١) اللين من صفات المؤمنين البررة.
- (٢) اللين أثر من آثار رحمة الله تعالى.
- (٣) اللين في القول أدعى إلى الإجابة والقبول خاصة في مجال الدعوة إلى الله عز وجل.
- (٤) اللين في المعاملة يعطف قلوب الناس ويجمعهم حول من يلين لهم.
- (٥) اللين في القلب عند سماع آيات الله دليل على كمال الإيمان وقوة الإسلام.
- (٦) اللين يورث الدرجات العلى من الجنة.
- (٧) لين المرء مع أخيه (في تسوية الصف في الصلاة) يسد فرجات الشيطان ويساعد في تسوية الصفوف.
- (٨) اللين يباعد من النار في الآخرة، ومن الشر والعدوات في الدنيا.
- (٩) اللين يورث المحبة والتعاطف بين الرؤساء والمرؤسين ويجعلهم صفاً واحداً.
- (١٠) اللين يجلب السحابة والمودة ويستدعي رحمة الله تعالى.

مجاهدة النفس

الآيات	الأحاديث	الآثار
٦	١٨	٢٥

المجاهدة لغةً :

مَصْدَرٌ جَاهَدَ يُجَاهِدُ جِهَادًا وَمُجَاهِدَةً، وَهُوَ مَاخُودٌ مِنْ مَادَّةٍ (ج ه د) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى «الْمَشَقَّةِ» يُقَالُ: جَهَدْتُ نَفْسِي وَأَجْهَدْتُ، وَالْجُهْدُ الطَّاقَةُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ (التوبة/ ٧٩) وَيُقَالُ: إِنَّ الْمَجْهُودَ اللَّبَنُ الَّذِي أُخْرِجَ زُبْدُهُ، وَلَا يَكَادُ ذَلِكَ يَكُونُ إِلَّا بِمَشَقَّةٍ وَنَصَبٍ، وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْجُهْدُ وَالْجُهْدُ: الطَّاقَةُ، وَقُرِئَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ بِالْوَجْهَيْنِ: ﴿جُهْدَهُمْ﴾ و ﴿جَهْدَهُمْ﴾ قَالَ الْفَرَّاءُ: الْجُهْدُ بِالضَّمِّ الطَّاقَةُ، وَالْجُهْدُ الْمَشَقَّةُ، يُقَالُ: جَهَدَ دَابَّتَهُ وَأَجْهَدَهَا: إِذَا حَمَلَ عَلَيْهَا فِي السَّيْرِ فَوْقَ طَاقَتِهَا، وَجَهَدَ الرَّجُلُ فِي كَذَا، أَيْ جَدَّ فِيهِ وَبَالَغَ، وَجُهْدَ الرَّجُلُ فَهُوَ مَجْهُودٌ، مِنَ الْمَشَقَّةِ، يُقَالُ: أَصَابَهُمْ قُحُوطٌ مِنَ الْمَطَرِ فَجَهِدُوا جَهْدًا شَدِيدًا، وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُجَاهِدَةً وَجِهَادًا، وَلَا جِتْهَادًا وَالتَّجَاهُدُ: بِذَلِكَ الْوُسْعِ وَالْمَجْهُودُ.

وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: الْجُهْدُ وَالْجُهْدُ: الطَّاقَةُ وَالْمَشَقَّةُ وَبِذَلِكَ الْوُسْعِ مَصْدَرٌ مِنْ جَهْدٍ، وَالْمُجَاهِدَةُ مَصْدَرٌ جَاهَدَ.

وَالْمُجَاهِدَةُ فِطَامُ النَّفْسِ عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَنَزْعُ الْقَلْبِ عَنِ الْأَمَانِيِّ وَالشَّهَوَاتِ^(١).

النفس لغةً:

النَّفْسُ فِي اللُّغَةِ: الرُّوحُ، يُقَالُ فَرِحَتْ نَفْسُهُ، وَالنَّفْسُ (أَيْضًا) الدَّمُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا فُقِدَ الدَّمُ مِنْ

الْإِنْسَانِ فَقَدْ نَفْسُهُ. أَوْ لِأَنَّ النَّفْسَ تَخْرُجُ بِخُرُوجِهِ، يُقَالُ: سَالَتْ نَفْسُهُ، وَفِي الْحَدِيثِ «مَا لَيْسَ لَهُ نَفْسٌ سَائِلَةٌ لَا يُنَجِّسُ الْمَاءَ إِذَا مَاتَ فِيهِ».

وَالنَّفْسُ أَيْضًا الْجَسَدُ، وَالنَّفْسُ الْعَيْنُ، يُقَالُ: أَصَابَتْ فُلَانًا نَفْسٌ، أَيْ عَيْنٌ، وَالنَّافِسُ الْعَائِنُ، وَنَفْسُ الشَّيْءِ عَيْنُهُ يُوكِّدُ بِهِ، يُقَالُ رَأَيْتُ فُلَانًا نَفْسَهُ.

وَالنَّفْسُ بِالتَّحْرِيكِ وَاحِدُ الْأَنْفَاسِ، وَقَدْ تَنَفَّسَ الرَّجُلُ وَتَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ، وَتَنَفَّسَ الصُّبْحُ، أَيْ تَبَلَّجَ، وَيُقَالُ: أَنْتَ فِي نَفْسٍ مِنْ أَمْرِكَ: أَيْ فِي سَعَةٍ، وَشَيْءٍ نَفِيسٍ. أَيْ يُتَنَافَسُ فِيهِ وَيُرْغَبُ، وَهَذَا أَنْفَسُ مَالِي أَيْ أَحَبُّهُ وَأَكْرَمُهُ عِنْدِي، وَيُقَالُ: نَفْسُ الشَّيْءِ نَفَاسَةٌ أَيْ صَارَ نَفِيسًا، وَنَافَسْتُ فِي الشَّيْءِ مُنَافَسَةً وَنَفَاسًا، إِذَا رَغِبْتَ فِيهِ عَلَى وَجْهِ الْمُبَارَاةِ فِي الْكَرَمِ، وَتَنَافَسُوا فِيهِ: أَيْ رَغَبُوا.

وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: النَّفْسُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَى ضَرْبَيْنِ: أَحَدُهُمَا: قَوْلُكَ خَرَجَتْ نَفْسُ فُلَانٍ أَيْ رُوحُهُ، وَفِي نَفْسٍ فُلَانٍ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا، أَيْ فِي رُوعِهِ.

وَالْآخَرُ: جُمْلَةُ الشَّيْءِ وَحَقِيقَتُهُ، تَقُولُ قَتَلَ فُلَانٌ نَفْسَهُ، وَأَهْلَكَ نَفْسَهُ، أَيْ أَوْقَعَ الْإِهْلَاكَ بِذَاتِهِ كُلِّهَا، وَجَمَعَ النَّفْسَ أَنْفُسُ (فِي الْقِلَّةِ) وَنَفُوسُ (فِي الْكَثَرَةِ)، قَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ: النَّفْسُ: الرُّوحُ، وَالنَّفْسُ: مَا يَكُونُ بِهِ التَّمْيِيزُ، وَالنَّفْسُ الدَّمُ، وَالنَّفْسُ: الْأَخْ، وَالنَّفْسُ بِمَعْنَى عِنْدَ، أَمَّا النَّفْسُ بِمَعْنَى الرُّوحِ، وَالنَّفْسُ مَا يَكُونُ بِهِ

(١) لسان العرب (٣/ ١٣٣-١٣٥). والصحاح (٢/ ٤٦٠).

ومقاييس اللغة (١/ ٤٨٦).

النَّفْس مِنْهَا وَاتَّصَالِهِ بِهَا، كَمَا سَمَّوُا الرُّوحَ رُوحًا لِأَنَّ
الرُّوحَ مَوْجُودٌ بِهَا.

وَمِنْ مَعَانِي النَّفْسِ أَيْضًا: الْعِزَّةُ وَالْكِبَرُ،
وَالْعِزَّةُ، وَالْهَيْمَةُ، وَعَيْنُ الشَّيْءِ وَكُنْهَهُ وَجَوْهَرُهُ، وَالْأَنْفَةُ،
وَالْعَيْنُ (الَّتِي تُصِيبُ الْمَعِينُ أَيْ مَنْ أَصَابَتْهُ الْعَيْنُ
الْحَاسِدَةُ) ^(١).

النفس اصطلاحًا:

النَّفْسُ: هِيَ الْجَوْهَرُ الْبُخَارِيُّ اللَّطِيفُ الْحَامِلُ
لِقُوَّةِ الْحَيَاةِ وَالْحِسِّ وَالْحَرَكَةِ الْإِرَادِيَّةِ ^(٢).

أنواع النفس:

١ - النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ: وَهِيَ الَّتِي تَمِيلُ إِلَى الطَّبِيعَةِ
الْبَدَنِيَّةِ وَتَأْمُرُ بِاللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ الْحَسِّيَّةِ، وَتَجْذِبُ
الْقَلْبَ إِلَى الْجِهَةِ السُّفْلِيَّةِ، فَهِيَ مَأْوَى الشُّرُورِ، وَمَنْبَعُ
الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ (وَهَذِهِ هِيَ النَّفْسُ الَّتِي يَنْبَغِي
مُجَاهَدَتَهَا).

٢ - النَّفْسُ اللَّوَّامَةُ: وَهِيَ الَّتِي تَنْوَرُتُ بِنُورِ
الْقَلْبِ قَدَرًا مَا تَنْبَهَتْ بِهِ عَنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ، وَكُلَّمَا صَدَرَتْ
عَنْهَا سَيِّئَةٌ بِحُكْمِ جِبَلَّتِهَا أَخَذَتْ تَلُومُ نَفْسَهَا.

٣ - النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ: وَهِيَ الَّتِي تَمَّ تَنْوَرُهَا
بِنُورِ الْقَلْبِ، حَتَّى انْخَلَعَتْ عَنْ صِفَاتِهَا الذَّمِيمَةِ
وَتَخَلَّقَتْ بِالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ ^(٣).

وَقَالَ الْجَاحِظُ: وَلِلنَّفْسِ ثَلَاثُ قُوى وَهِيَ
تُسَمَّى أَيْضًا نَفُوسًا، وَهِيَ:

النَّفْسُ الشَّهَوَانِيَّةُ: وَيَشْتَرِكُ فِيهَا الْإِنْسَانُ وَسَائِرُ
الْحَيَوَانِ.

النَّفْسُ الْغَضَبِيَّةُ: وَهِيَ أَيْضًا قَاسِمٌ مُشْتَرِكٌ بَيْنَ

التَّمْيِيزُ فَشَاهِدُهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ
حِينَ مَوْتِهَا﴾ (الزمر/ ٤٢)، فَالنَّفْسُ هِيَ الَّتِي تَزُولُ
بِزَوَالِ الْحَيَاةِ، وَالنَّفْسُ الثَّانِيَّةُ هِيَ الَّتِي تَزُولُ بِزَوَالِ
الْعَقْلِ، وَأَمَّا النَّفْسُ بِمَعْنَى الدَّمِ فَشَاهِدُهُ قَوْلُ
السَّمَوَّالِ:

تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الطُّبَّاتِ نَفُوسَنَا

وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الطُّبَّاتِ تَسِيلُ
وَأَمَّا النَّفْسُ بِمَعْنَى الْأَخِ فَشَاهِدُهُ قَوْلُ اللَّهِ
تَعَالَى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾
(النور/ ٦١).

وَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: النَّفْسُ: الْغَيْبُ، لِأَنَّ النَّفْسَ
لَمَّا كَانَتْ غَائِبَةً أُوقِعَتْ عَلَى الْغَيْبِ، كَأَنَّهُ قَالَ: تَعْلَمُ
غَيْبِي يَا عَلَّامُ الْغُيُوبِ.

وَالْعَرَبُ قَدْ تَجَعَّلُ النَّفْسَ الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا التَّمْيِيزُ
نَفْسَيْنِ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ قَدْ تَأْمُرُ بِالشَّيْءِ وَتَنْهَى
عَنْهُ، وَذَلِكَ عِنْدَ الْإِقْدَامِ عَلَى أَمْرٍ مَكْرُوهٍ، فَجَعَلُوا الَّتِي
تَأْمُرُهُ نَفْسًا، وَجَعَلُوا الَّتِي تَنْهَاهُ كَأَنَّهَا نَفْسٌ أُخْرَى.

وَالنَّفْسُ يُعَبَّرُ بِهَا عَنِ الْإِنْسَانِ جَمِيعِهِ، كَقَوْلِهِمْ
عِنْدِي ثَلَاثَةُ أَنْفُسٍ، وَذَلِكَ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنْ
تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾
(الزمر/ ٥٦) وَرُويَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -:

لِكُلِّ إِنْسَانٍ نَفْسَانِ: إِحْدَاهُمَا نَفْسُ الْعَقْلِ الَّذِي يَكُونُ
بِهِ التَّمْيِيزُ، وَالْأُخْرَى: نَفْسُ الرُّوحِ الَّذِي بِهِ الْحَيَاةُ، وَقَالَ
بَعْضُ اللُّغَوِيِّينَ: النَّفْسُ وَالرُّوحُ وَاحِدٌ، وَقَالَ آخَرُونَ:
هُمَا مُتَغَايِرَانِ إِذِ النَّفْسُ هِيَ الَّتِي بِهَا الْعَقْلُ، وَالرُّوحُ
هِيَ الَّتِي بِهَا الْحَيَاةُ، وَسُمِّيَتِ النَّفْسُ نَفْسًا لِتَوَلَّدَ

(٣) التعريفات (٢٦٣) (بإيجاز وتصرف يسير)، وهناك أقسام
أخرى ذكرها الجرجاني إلا أنها لا تتعلق بما نحن فيه مثل
النفس النباتية والإنسانية والناطقة الخ.

(١) انظر الصحاح (٩٨٤/٣)، والمقاييس (٤٦٠/٥)، ولسان
العرب (٢٣٣-٢٣٧) ط. بيروت.
(٢) التعريفات للجرجاني (٢٦٢).

الإنسان والحيوان.

النفس الناطقة: وهي التي يَتَمَيَّزُ بها الإنسان على سائر الحيوان^(١).

مجاهدة النفس اصطلاحاً:

مُحَارَبَةُ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ بِتَحْمِيلِهَا مَا يَشُقُّ عَلَيْهَا بِمَا هُوَ مَطْلُوبٌ فِي الشَّرْعِ^(٢).

وَقَالَ الْمُنَاوِيُّ: وَقِيلَ (الْمُجَاهِدَةُ) هِيَ حَمْلُ النَّفْسِ عَلَى الْمَشَاقِّ الْبَدَنِيَّةِ وَمُخَالَفَةُ الْهَوَى، وَقِيلَ: هِيَ بَذْلُ الْمُسْتَطَاعِ فِي أَمْرِ الْمَطَاعِ (أَيِ الْمَوْلَى - عَزَّ وَجَلَّ)^(٣).

منزلة مجاهدة النفس:

قَالَ ابْنُ عَلَانَ: الْمُجَاهِدَةُ: مُفَاعَلَةٌ مِنَ الْجُهْدِ: أَيْ الطَّاقَةِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يُجَاهِدُ نَفْسَهُ بِاسْتِعْمَالِهَا فِيمَا يَنْفَعُهَا حَالًا وَمَالًا، وَهِيَ تُجَاهِدُهُ بِمَا تَرْكُنُ إِلَيْهِ^(٤).

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي قَوْلِهِ - يَعْنِي الْبُخَارِيُّ - (بَابُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -): يَعْنِي بَيَانُ فَضْلِ مَنْ جَاهَدَ، وَالْمُرَادُ بِالْمُجَاهِدَةِ: كَفُّ النَّفْسِ عَنْ إِرَادَتِهَا مِنَ الشُّغْلِ بِغَيْرِ الْعِبَادَةِ.

وَقَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: جِهَادُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ هُوَ الْجِهَادُ الْأَكْمَلُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ (النازعات/ ٤٠). وَيَقَعُ بِمَنْعِ النَّفْسِ عَنِ الْمَعَاصِي، وَبِمَنْعِهَا مِنَ الشُّبُهَاتِ، وَبِمَنْعِهَا مِنَ الْإِكْثَارِ مِنَ الشَّهَوَاتِ الْمُبَاحَةِ لِتَتَوَقَّرَ لَهَا فِي الْآخِرَةِ. قُلْتُ: وَلَيْلًا يَعْتَادُ الْإِكْثَارَ فَيَأْلَفُهُ فَيَجْرُهُ إِلَى الشُّبُهَاتِ، فَلَا يَأْمَنُ أَنْ يَقَعَ فِي الْحَرَامِ.

كيفية المجاهدة:

وَعَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ بُجَيْدٍ: مَنْ كَرَّمَ عَلَيْهِ دِينُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ. قَالَ الْقُشَيْرِيُّ: أَصْلُ مُجَاهِدَةِ النَّفْسِ فَطْمُهَا عَنِ الْمَالُوفَاتِ، وَحَمْلُهَا عَلَى غَيْرِ هَوَاهَا. وَلِلنَّفْسِ صِفَتَانِ: انْهَاكَ فِي الشَّهَوَاتِ، وَامْتِنَاعٌ عَنِ الطَّاعَاتِ، فَالْمُجَاهِدَةُ تَقَعُ بِحَسَبِ ذَلِكَ. قَالَ بَعْضُ الْأَيْمَةِ: جِهَادُ النَّفْسِ دَاخِلٌ فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ، فَإِنَّ الْأَعْدَاءَ ثَلَاثَةٌ: رَأْسُهُمُ الشَّيْطَانُ، ثُمَّ النَّفْسُ لِأَنَّهَا تَدْعُو إِلَى اللَّذَاتِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى الْوُقُوعِ فِي الْحَرَامِ الَّذِي يُسَخِّطُ الرَّبَّ، وَالشَّيْطَانُ هُوَ الْمُعِينُ لَهَا عَلَى ذَلِكَ وَيُزَيِّنُهَا. فَمَنْ خَالَفَ هَوَى نَفْسِهِ قَمَعَ شَيْطَانَهُ، فَمُجَاهِدَةُ نَفْسِهِ حَمْلُهَا عَلَى اتِّبَاعِ أَوَامِرِ اللَّهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ. وَإِذَا قَوِيَ الْعَبْدُ عَلَى ذَلِكَ سَهَّلَ عَلَيْهِ جِهَادُ أَعْدَاءِ الدِّينِ، فَلَاوُلُ: الْجِهَادُ الْبَاطِنُ وَالثَّانِي: الْجِهَادُ الظَّاهِرُ. وَجِهَادُ النَّفْسِ أَرْبَعُ مَرَاتِبٍ: حَمْلُهَا عَلَى تَعَلُّمِ أُمُورِ الدِّينِ، ثُمَّ حَمْلُهَا عَلَى الْعَمَلِ بِذَلِكَ، ثُمَّ حَمْلُهَا عَلَى تَعْلِيمِ مَنْ لَا يَعْلَمُ، ثُمَّ الدُّعَاءُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَقِتَالِ مَنْ خَالَفَ دِينَهُ وَجَحَدَ نِعَمَهُ. وَأَقْوَى الْمُعِينِ عَلَى جِهَادِ النَّفْسِ جِهَادُ الشَّيْطَانِ بِدَفْعِ مَا يُلْقِي إِلَيْهِ مِنَ الشُّبُهَةِ وَالشَّكِّ، ثُمَّ تَحْسِينِ مَا نُهِيَ عَنْهُ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ، ثُمَّ مَا يُفْضِي الْإِكْثَارُ مِنْهُ إِلَى الْوُقُوعِ فِي الشُّبُهَاتِ، وَتَمَامُ الْمُجَاهِدَةِ أَنْ يَكُونَ مُتَقَيِّظًا لِنَفْسِهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، فَإِنَّهُ مَتَى غَفَلَ عَنْ ذَلِكَ اسْتَهْوَاهُ شَيْطَانُهُ وَنَفْسُهُ إِلَى الْوُقُوعِ فِي الْمُنْهَيَّاتِ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ^(٥).

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : قَدْ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ

تجليات الصوفية.

(٤) دليل الفالحين (١/ ٣٠٢).

(٥) فتح الباري (١١/ ٣٤٥-٣٤٦).

(١) تهذيب الأخلاق للجاحظ (ص ١٥).

(٢) كتاب التعريفات (٢٠٤).

(٣) التوقيف (ص ٢٩٧)، وقد ذكر تعريفات أخرى أقرب إلى

الَّذِي هُوَ عَلَى مَنَوَالٍ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران / ٣١) أَنَّ الْقُرْبَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى . وَأَنَّ الْقُرْبَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُنَالُ إِلَّا بِالْقُرْبِ مِنْ رَسُولِهِ ﷺ . فَالْقُرْبَانِ مُتَلَاذِمَانِ لَا انفِكَاكَ لِأَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ الْبَتَّةَ . وَمِنْ ثَمَّ أَوْقَعَ تَعَالَى مُتَابَعَةَ رَسُولِهِ بَيْنَ تِلْكَ الْمَحَبَّتَيْنِ لِيُعَلِّمَنَا أَنَّ مَحَبَّةَ الْعَبْدِ لِلَّهِ وَمَحَبَّةَ الْعَبْدِ لِمُتَوَقِّفَتَانِ عَلَى مُتَابَعَةِ رَسُولِهِ (٢) .

النفس التي ينبغي مجاهدتها :

لَا شَكَّ أَنَّ كُلًّا مِنَ النَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ وَاللَّوَامَةِ ، لَا يَصْدُرُ عَنْهَا إِلَّا الْأَخْلَاقُ الْحَمِيدَةُ ، فَعَنِ النَّفْسِ الْأُولَى يَكُونُ الْيَقِينُ وَالطَّمَأْنِينَةُ وَالْخُشُوعُ وَالْإِحْبَاتُ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ ، أَمَّا النَّفْسُ اللَّوَامَةُ فَإِنَّهَا مَبْعَثُ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالْإِنَابَةِ وَنَحْوِهَا ، وَلَا يَبْقَى سِوَى النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ ، وَهِيَ مَبْنَعُ الشُّرُورِ وَأَسَاسُ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ مِنَ الْحَسَدِ وَالْكِبْرِ وَالْغَضَبِ وَالْعُدْوَانِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

أَمَّا إِذَا نَظَرْنَا إِلَى قُوَى النَّفْسِ الْغَضَبِيَّةِ وَالشَّهْوَانِيَّةِ وَالنَّاطِقَةِ ، وَهِيَ كُلُّهَا تُسَمَّى أَيْضًا نَفْسًا فَإِنَّهَا جَمِيعًا فِي حَاجَةٍ إِلَى الْمُجَاهَدَةِ ، لِأَنَّهَا جَمِيعًا تُؤَثِّرُ فِي الْأَخْلَاقِ ، مَحْمُودَهَا وَمَذْمُومَهَا ، فَالنَّفْسُ الشَّهْوَانِيَّةُ قَوِيَّةٌ جَدًّا مَتَى لَمْ يَقْهَرَهَا الْإِنْسَانُ وَيُؤَدِّبَهَا مَلَكَتُهُ وَاسْتَوَلَتْ عَلَيْهِ وَانْقَادَ لَهَا فَكَانَ بِالْبَهَائِمِ أَشْبَهَ مِنْهُ بِالْإِنْسَانِ وَمَتَى كَانَ كَذَلِكَ اتَّصَفَ بِالْفُجُورِ وَغَلَبَ عَلَيْهِ اللَّهْوُ وَاللَّعِبُ وَارْتَكَبَ الْفَوَاحِشَ .

أَمَّا النَّفْسُ الْغَضَبِيَّةُ فَلَا بُدَّ أَيْضًا مِنْ مُجَاهَدَتِهَا وَتَمْلِكُهَا وَإِلَّا كَثُرَ غَضَبُ الْإِنْسَانِ وَظَهَرَ خَرْقُهُ وَاشْتَدَّ

عَلَى أَنْ لَا طَرِيقَ إِلَى سَعَادَةِ الْآخِرَةِ إِلَّا بِنَهْيِ النَّفْسِ عَنِ الْهَوَى وَمُخَالَفَةِ الشَّهَوَاتِ . فَالْإِيْمَانُ بِهَذَا وَاجِبٌ . وَأَمَّا عِلْمُ تَفْصِيلِ مَا يُتْرَكُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَمَا لَا يُتْرَكُ فَلَا يُدْرِكُ إِلَّا بِطَرِيقِ الشَّرْعِ . وَطَرِيقُ الْمُجَاهَدَةِ وَالرِّيَاضَةِ لِكُلِّ إِنْسَانٍ تَخْتَلِفُ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ أَحْوَالِهِ . وَالْأَصْلُ فِيهِ أَنْ يُتْرَكَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا بِهِ فَرْحُهُ مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا ، فَالَّذِي يَفْرَحُ بِالْمَالِ ، أَوْ بِالْجَاهِ ، أَوْ بِالْقَبُولِ فِي الْوَعْظِ ، أَوْ بِالْعِزِّ فِي الْقَضَاءِ وَالْوِلَايَةِ ، أَوْ بِكَثْرَةِ الْأَتْبَاعِ فِي التَّدْرِيسِ وَالْإِفَادَةِ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُتْرَكَ أَوَّلًا مَا بِهِ فَرْحُهُ ، فَإِنَّهُ إِنْ مُنِعَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَقِيلَ لَهُ : ثَوَابُكَ فِي الْآخِرَةِ لَمْ يَنْقُصْ بِالْمُنْعِ ، فَكَرِهَ ذَلِكَ وَتَأَلَّمَ بِهِ فَهُوَ مِمَّنْ فَرَحَ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّ بِهَا ، وَذَلِكَ مُهْلِكٌ فِي حَقِّهِ . ثُمَّ إِذَا تَرَكَ أَسْبَابَ الْفَرَحِ فَلْيَعْتَزِلِ النَّاسَ ، وَلْيَنْفَرِدْ بِنَفْسِهِ ، وَلْيَر_اقِبْ قَلْبَهُ ، حَتَّى لَا يَشْتَغَلَ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَالفِكْرِ فِيهِ . وَلْيَتَرَصَّدْ لِمَا يَبْدُو فِي نَفْسِهِ مِنْ شَهْوَةٍ وَوَسْوَاسٍ ، حَتَّى يَقْمَعَ مَادَّتَهُ مَهْمًا ظَهَرَ ، فَإِنَّ لِكُلِّ وَسْوَسَةٍ سَبَبًا ، وَلَا تَزُولُ إِلَّا بِقَطْعِ ذَلِكَ السَّبَبِ وَالْعَلَاقَةِ . وَلْيَلْزِمِ ذَلِكَ بَقِيَّةَ الْعُمُرِ فَلَيْسَ لِلْجِهَادِ آخِرٌ إِلَّا بِالْمَوْتِ (١) .

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي شَرْحِ الْمَشْكَاةِ فِي شَرْحِ حَدِيثِ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ عِنْدَمَا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ الْمُرَافَقَةَ فِي الْجَنَّةِ : جَاهَدَ نَفْسَهُ بِكَثْرَةِ سُجُودِهِ حَصَلَتْ لَهُ تِلْكَ الدَّرَجَةُ الْعَلِيَّةُ الَّتِي لَا مَطْمَعُ فِي الْوُصُولِ إِلَيْهَا إِلَّا بِمَزِيدِ الزُّلْفَى عِنْدَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا بِكَثْرَةِ السُّجُودِ الْمُومِإِ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (العلق / ١٩) فَكُلُّ سَجْدَةٍ فِيهَا قُرْبٌ مَخْصُوصٌ لِتَكْفِيلِهَا بِالرُّقِيِّ إِلَى دَرَجَةٍ مِنْ دَرَجَاتِ الْقُرْبِ وَهَكَذَا حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى دَرَجَةِ الْمُرَافَقَةِ لِحَبِيبِهِ ﷺ ، فَتَنْجُ مِنْ هَذَا

النَّفْسِ عَنْ قَضَاءِ وَطَرِ الْخَوْفِ وَعَنِ الْحِرْصِ
الْمَذْمُومِينَ، وَبِإِصْلَاحِ هَذِهِ الْقُوَى الثَّلَاثِ يَحْصُلُ
لِلنَّفْسِ الْعَدَالَةُ وَالْإِحْسَانُ^(٢).

مراتب مجاهدة النفس :

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : جِهَادُ النَّفْسِ
عَلَى أَرْبَعِ مَرَاتِبٍ :

الْأُولَى : مُجَاهَدَتُهَا عَلَى تَعَلُّمِ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ .
الثَّانِيَّةُ : مُجَاهَدَتُهَا عَلَى الْعَمَلِ بِهِ (أَيَّ بِالْهُدَى
وَدِينِ الْحَقِّ) بَعْدَ عِلْمِهِ .

الثَّلَاثَةُ : مُجَاهَدَتُهَا عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى الْحَقِّ .
الرَّابِعَةُ : مُجَاهَدَتُهَا عَلَى الصَّبْرِ عَلَى مَشَاقِّ الدَّعْوَةِ
إِلَى اللَّهِ، وَأَذَى الْخَلْقِ، وَيَتَحَمَّلُ ذَلِكَ كُلَّهُ اللَّهُ .

ثُمَّ قَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَقِبَ ذَلِكَ : فَإِذَا اسْتَكْمَلَ
(الْمُسْلِمُ) هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَ صَارَ مِنَ الرَّبَّانِيِّينَ، فَإِنَّ
السَّلَفَ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ الْعَالَمَ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى
رَبَّانِيًّا حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ وَيَعْمَلَ بِهِ وَيَعْلَمَهُ، فَمَنْ عِلْمَ
وَعَمَلَ وَعَلَّمَ فَذَاكَ يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ
السَّمَوَاتِ^(٢) .

[للاستزادة: انظر صفات: محاسبة النفس -
التواضع - جهاد الأعداء - العزم والعزيمة - كظم
الغيظ - القوة والشدة - قوة الإرادة - الصبر والمصابرة -
الرجولة - التقوى - أكل الطيبات - المراقبة .
وفي ضد ذلك: انظر صفات: اتباع الهوى -
التفريط والإفراط - أكل الحرام - الغرور - الغلول -
الكبر والعجب - التطفيف - الغش .]

حَقْدُهُ وَمَالَ إِلَى الْإِنْتِقَامِ، وَهَذِهِ كُلُّهَا أَفْعَالٌ تُورِطُ
صَاحِبَهَا وَتُوقِعُهُ فِي الْمَهَاوِي وَالْمَهَالِكِ إِذْ يَغْلِبُ الْحَسَدُ
وَالطَّيْسُ وَالْقِحَّةُ وَاللَّجَاجُ .

أَمَّا النَّفْسُ النَّاطِقَةُ وَهِيَ الَّتِي يَكُونُ بِهَا الْفِكْرُ
وَالذِّكْرُ، وَهَذِهِ صِفَاتٌ حَمِيدَةٌ، وَلَكِنْ لِهَذِهِ النَّفْسِ إِلَى
جَانِبِ ذَلِكَ رِذَائِلٌ لَا بُدَّ مِنْ مُجَاهَدَتِهَا عَلَيْهَا، وَهِيَ
الْخُبْثُ وَالْحِيلَةُ وَالْمَلَقُ وَالْمَكْرُ وَالرِّيَاءُ وَنَحْوُ ذَلِكَ^(١) .

جهاد النفس يوصل إلى الأخلاق الحميدة:

وَجِهَادُ النَّفْسِ أَسَاسٌ كَبِيرٌ فِي تَهْيُؤِ الْإِنْسَانِ
لِلْخِلَافَةِ فِي الْأَرْضِ، وَحَتَّى تَطْهَّرَ تِلْكَ النَّفْسُ
بِالْمُجَاهَدَةِ فَإِنَّ لِدَلِكِ أَسْبَابَهُ وَدَوَاعِيَهُ، يَقُولُ
الرَّاعِبُ: وَالَّذِي يُطَهِّرُ النَّفْسَ : الْعِلْمُ وَالْعِبَادَاتُ
الْمُوظَّفَةُ الَّتِي هِيَ سَبَبُ الْحَيَاةِ الْآخِرِيَّةِ، كَمَا أَنَّ الَّذِي
يُطَهِّرُ بِهِ الْبَدَنُ هُوَ الْمَاءُ الَّذِي هُوَ سَبَبُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَوِيَّةِ، وَلِذَلِكَ سَمَّاهَا : الْحَيَاةَ وَسَمَّى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى
فِي كِتَابِهِ : الْمَاءَ، فَقَالَ ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا
دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال / ٢٤) . فَسَمَّى الْعِلْمَ
وَالْعِبَادَةَ حَيَاةً مِنْ حَيْثُ إِنَّ النَّفْسَ مَتَى فَقَدَتْهُمَا هَلَكَتْ
هَلَاكَ الْأَبَدِ، كَمَا قَالَ فِي وَصْفِ الْمَاءِ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ
كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء ٣٠) .

وَطَهَارَةُ النَّفْسِ تَتَحَقَّقُ بِإِصْلَاحِ الْفِكْرِ بِالتَّعَلُّمِ
حَتَّى يَمِيزَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فِي الْإِعْتِقَادِ، وَبَيْنَ
الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ فِي الْمَقَالِ، وَبَيْنَ الْجَمِيلِ وَالْقَبِيحِ فِي
الْفِعَالِ، وَإِصْلَاحُ الشَّهْوَةِ بِالْعِفَّةِ حَتَّى تَسْلُسَ
بِالْجُودِ، وَالْمُؤَاسَاةِ الْمُحْمُودَةِ بِقَدْرِ الطَّاقَةِ، وَإِصْلَاحُ
الْحَمِيَّةِ بِإِسْلَاسِهَا حَتَّى يَحْصُلَ التَّحَكُّمُ، وَهُوَ كَفُّ

(١) تهذيب الأخلاق للجاحظ (١٥-٢٠) بتصرف واختصار.

(٣) زاد المعاد (٣/ ١٠-١١) بتصرف.

(٢) الذريعة للراغب (٣٨، ٤٨) .

الآيات الواردة في « مجاهدة النفس » معنى

- ١- وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾^(١)
- ٢- وَرَوَدَتْهُ الْمَلَأَى هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣﴾
- ٣- وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾^(٢)
- ٤- لَا أَقْسِمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿١﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَى قَدَرِينَ عَلَى أَنْ نَسْوِي بَنَانَهُ ﴿٤﴾^(٤)
- ٥- وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿١٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿١١﴾^(٥)
- ٦- وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾^(٦)
- ١- وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾^(١)
- ٢- وَرَوَدَتْهُ الْمَلَأَى هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣﴾
- ٣- وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾^(٢)
- ٤- لَا أَقْسِمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿١﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَى قَدَرِينَ عَلَى أَنْ نَسْوِي بَنَانَهُ ﴿٤﴾^(٤)
- ٥- وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿١٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿١١﴾^(٥)
- ٦- وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾^(٦)

(٥) النازعات : ٤٠ - ٤١ مكية

(٦) الشمس : ٧ - ٩ مكية

(٣) الكهف : ٢٨ مكية

(٤) القيامة : ١ - ٤ مكية

(١) الأنعام : ٥٢ مكية

(٢) يوسف : ٢٣ - ٣٠ مكية

الأحاديث الواردة في « مجاهدة النفس »

وَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهَجْرَةِ ، فَقَالَ : تُهَاجِرُ وَتَذَرُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ ؟ وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطَّوْلِ ^(٣) ، فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ ، فَقَالَ : تُجَاهِدُ ؟ فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ ، فَتُنَكِّحُ الْمَرْأَةَ وَيُقَسِّمُ الْمَالَ ؟ فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ^(٤) .

١ - * (عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ يُنَمَّى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ » وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ » ^(١) .

٢ - * (عَنْ سَبْرَةَ بْنِ أَبِي فَاكِهٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ ^(٢) لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرَقِهِ ، قَعَدَ فِي طَرِيقِ الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ : تُسَلِّمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَأَبَاءِ آبَائِكَ ؟ فَعَصَاهُ وَأَسْلَمَ ،

الأحاديث الواردة في « مجاهدة النفس » معني

اللَّهُ ، قَالَ : « إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ . فَذَلِكَ الرِّبَاطُ » ^(٥) * ^(٦) .

٣ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ » قَالُوا : بَلَى . يَا رَسُولَ

وَأَيْمَنَ ، فَإِنْ كَانَ نَظَرُ فِي جَمْعِ طَرِيقٍ إِلَى جَوَازِ تَأْنِيْهَا ، فَجَمَعَهَا جَمْعَ الْمُؤْنِثِ ، فَقَالَ طَرِيقٌ وَأَطْرَقَ ، فَيَجُوزُ فَإِنْ الطَّرِيقُ يُذَكَّرُ وَيُؤْنِثُ ، تَقُولُ : الطَّرِيقُ الْأَعْظَمُ ، وَالطَّرِيقُ الْعَظْمَى .

(٣) الطَّوْلُ : الْحَبْلُ .

(٤) النَّسَائِيُّ (٦/٢١-٢٢) . فِي الْجِهَادِ . وَقَالَ مُحَقِّقُ جَامِعِ الْأَصُولِ (٩/٥٤٠-٥٤١) وَاللَّفْظُ لَهُ إِسْنَادُهُ حَسَنٌ وَصَحَّحَهُ ابْنُ حَبَانَ وَحَسَنَهُ الْحَافِظُ فِي الْإِصَابَةِ (٣/٦٤)

(٥) فَذَلِكَ الرِّبَاطُ : أَيُّ الرِّبَاطِ الْمَرْغَبِ فِيهِ ، وَأَصْلُ الرِّبَاطِ عَلَى الشَّيْءِ ، كَأَنَّهُ حَبَسَ نَفْسَهُ عَلَى هَذِهِ الطَّاعَاتِ .

(٦) مُسْلِمٌ بِرَقْمٍ (٢٥١) .

(١) أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ (٦/٢٠-٢٢) ، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٦٢١) وَاللَّفْظُ لَهُ . وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . وَأَبُو دَاوُدَ (٢٥٠٠) إِلَى قَوْلِهِ « فِتْنَةُ الْقَبْرِ » وَقَالَ مُحَقِّقُ جَامِعِ الْأَصُولِ (١١/٢١) : إِسْنَادُهُ حَسَنٌ .

(٢) إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ : قَدْ جَاءَ فِي لَفْظِ الْحَدِيثِ ، قَالَ « قَعَدَ الشَّيْطَانُ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرَقِهِ » يُرِيدُ جَمْعَ طَرِيقٍ ، وَالْمَعْرُوفُ فِي جَمْعِ طَرِيقٍ : أَطْرَقَ ، وَهُوَ جَمْعُ قَلْعَةٍ ، وَكَثْرَةُ : طَرَقَ ، فَأَمَّا أَطْرَقَ فِي جَمْعِ طَرِيقٍ فَلَمْ أَسْمَعْهُ وَلَا رَأَيْتُهُ ، وَأَمَّا أَفْعَلُهُ فِي جَمْعِ فَعِيلٍ ، فَقَدْ جَاءَ كَثِيرًا ، قَالُوا : رَغِيفٌ وَأَرْغَفَةٌ ، وَجَرِيبٌ وَأَجْرِبَةٌ ، وَكَثِيبٌ وَأَكْثَبَةٌ ، وَسَرِيرٌ وَأَسْرَةٌ ، فَأَمَّا أَفْعُلُ فِي جَمْعِ فَعِيلٍ : فَلَمْ يَجِئْ إِلَّا فِيهَا كَانَ مُؤْنِثًا نَحْوُ : يَمِينُ

٤ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا^(١) فَقَدْ أَدْبَنَهُ^(٢) بِالْحَرْبِ. وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ. وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَ بِي لأُعِذَّنَّهُ. وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»)*^(٣).

٥ - * (عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ^(٤)»)*^(٥).

٦ - * (عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ

اللَّهِ! غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنْ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيْنَّ اللَّهَ مَا أَصْنَعُ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ، يَغْنِي أَصْحَابَهُ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ، يَغْنِي الْمُشْرِكِينَ. ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ ابْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، الْجَنَّةُ وَرَبِّ النَّضْرِ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ. قَالَ سَعْدُ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ. قَالَ أَنَسُ: فَوَجَدْنَا بِهِ بَضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمَحٍ، أَوْ رَمِيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتَهُ بَيْنَانَهُ^(٦). قَالَ أَنَسُ: كُنَّا نَرَى - أَوْ نَظُنُّ - أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾

التحذير من إيذاء قلوب أولياء الله ليس على الإطلاق بل يستثنى منه ما إذا كانت الحال تقتضي نزاعاً بين وليين في مخاصمة أو محاكمة ترجع إلى استخراج حق أو كشف غامض. فإنه جرى بين أبي بكر وعمر مشاجرة، وبين العباس وعلي، إلى غير ذلك من الوقائع: - فتح الباري (١١/ ٣٥٠).

(٢) فقد آذنته: بالمد وفتح المعجمة بعدها نون أي أعلمته، والإيذان الإعلام، ومنه أخذ الأذان، فتح الباري (١١/ ٣٥٠).

(٣) البخاري. انظر الفتح ١١ (٦٥٠٢).

(٤) العبادة في الهرج كهجرة إلي: المراد بالهرج هنا الفتن واختلاط أمور الناس وأن أفراداً هم الذين يجاهدون أنفسهم على لزوم العبادة.

(٥) مسلم برقم (٢٩٤٨).

(٦) البنان: أطراف الأصابع.

(١) من عادى لي ولياً: المراد بولي الله العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته. وقد استشكل وجود أحد يعاديه لأن المعادة إنما تقع من الجانبين ومن شأن الولي الحلم والصفح عمن يجهل عليه، وأجيب بأن المعادة لم تنحصر في الخصومة والمعاملة الدنيوية مثلاً، بل قد تقع عن بغض ينشأ عن التعصب كالرافضي في بغضه لأبي بكر، والمبتدع في بغضه للسني، فتقع المعادة من الجانبين، أما من جانب الولي فلله تعالى وفي الله، وأما من جانب الآخر فلما تقدم، وكذا الفاسق المجاهر ببغضه الولي في الله وببغضه الآخر لإنكاره عليه ملازمته لنهي عن شهواته. وقد تطلق المعادة ويراد بها الوقوع من أحد الجانبين بالفعل ومن الآخر بالقوة، قال الكرمانى: قوله «لي» هو في الأصل صفة لقوله «ولياً» لكنه لما تقدم صار حالاً. وقال ابن هبيرة في الإفصاح: قوله «عادى لي ولياً» أي اتخذته عدواً ولا أرى المعنى إلا أنه عاداه من أجل ولايته وهو وإن تضمن

(الأحزاب / ٢٣) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ﴿١﴾.

٧ - * (عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كَانَ رَجُلٌ لَا أَعْلَمُ رَجُلًا أَبْعَدَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنْهُ . وَكَانَ لَا تُحِطُهُ صَلَاةٌ . قَالَ : - فَقِيلَ لَهُ : أَوْ قُلْتُ لَهُ : - لَوْ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا تَرْكَبُهُ فِي الظَّلَمَاءِ وَفِي الرَّمْضَاءِ . قَالَ : مَا يَسُرُّنِي أَنْ مَنَزِلِي إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ . إِنْني أُرِيدُ أَنْ يُكْتُبَ لِي مَمْشَايَ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَرَجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ » * (٢).

٨ - * (عَنْ رَبِيعَةَ بِنِ كَعْبِ الْأَسْلَمِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كُنْتُ أَبِيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ . فَقَالَ لِي : « سَلْ » فَقُلْتُ : أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ . قَالَ « أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ؟ » قُلْتُ : هُوَ ذَاكَ . قَالَ : « فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ » * (٣).

٩ - * (عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ . قَالَ : « لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ ، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسِّرُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، تَعْبُدُ

اللَّهُ ، وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ » ، ثُمَّ قَالَ : « أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ : « الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ شِعَارُ الصَّالِحِينَ » (٤) ، قَالَ : ثُمَّ تَلَا ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ (السجدة / ١٦-١٧) ثُمَّ قَالَ : أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ » ، ثُمَّ قَالَ : « أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ (٥) ذَلِكَ كُلِّهِ ؟ » قُلْتُ : بَلَى ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ ، قَالَ : « كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا » فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، وَإِنَّا لُمُؤَاخِدُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ قَالَ : « ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ قَالَ : عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ؟ ! » * (٦).

١٠ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ : اذْهَبْ فَاَنْظُرْ إِلَيْهَا ، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ، ثُمَّ جَاءَ ، فَقَالَ : أَيُّ رَبٍّ ، وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا ، ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا جِبْرِيلُ ، اذْهَبْ فَاَنْظُرْ

(٥) الملاك - بكسر الميم وفتحها - قوام الشيء ونظامه وما يعتمد عليه فيه.

(٦) الترمذي (٢٦١٦) واللفظ له وقال : حسن صحيح. وأحمد في المسند ، وابن ماجه ، وقال محقق جامع الأصول (٩ / ٥٣٤-٥٣٥) : هو حديث صحيح بطرقه.

(١) البخاري - الفتح ٦ (٢٨٠٥) واللفظ له ومسلم برقم (١٩٠٣).

(٢) مسلم (٦٦٣).

(٣) مسلم (٤٨٩).

(٤) شعار الصالحين : الشعار العلامة ، وهو : ما يتنادى به الناس في الحرب مما يكون بينهم علامة يتعارفون بها.

١٢ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ^(٣) . وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي . فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي . وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأْ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأْ خَيْرٍ مِنْهُمْ . وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا ، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا . وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا . وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً ») * ^(٤) .

١٣ - * (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ ^(٥) وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ ^(٦) يَفْرُ بَدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ ») * ^(٧) .

إِلَيْهَا ، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : أَيُّ رَبِّ ، وَعِزَّتِكَ ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ » قَالَ : « فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ قَالَ : يَا جَبْرِيلُ ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا ، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : أَيُّ رَبِّ ، وَعِزَّتِكَ ، لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا ، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا جَبْرِيلُ ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا ، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : أَيُّ رَبِّ ، وَعِزَّتِكَ ، لَقَدْ خَشِيتُ إِلَّا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا ») * ^(١) .

١١ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ ») * ^(٢) .

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في «مجاهدة النفس»

له: أَتَكَلَّفُ هَذَا ^(٨) ؟ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ. فَقَالَ « أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ») * ^(٩) .

١٤ - * (عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى حَتَّى انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ . فَقِيلَ

(٤) البخاري . انظر الفتح ١٣ (٧٤٠٥) واللفظ له ومسلم برقم (٢٦٧٥). وكذلك عند البخاري من حديث أنس (٧٥٣٦) مختصراً.

(٥) شعف الجبال: يريد به رأس جبل من الجبال.

(٦) مواقع القطر: أي مواطن المطر.

(٧) البخاري - الفتح ١ (١٩).

(٨) أَتَكَلَّفُ هَذَا؟ أي أَتَكَلَّفُ هَذَا؟ فحذفت إحدى التاءين.

(٩) البخاري - الفتح ٣ (١١٣٠). ومسلم (٢٨١٩) واللفظ له.

(١) أبو داود (٤٧٤٤) واللفظ له وقال الألباني (٨٩٨/٣) : حسن صحيح. والترمذي (٢٥٦٣) وقال: حسن وأصله في الصحيحين. انظر صحيح مسلم رقم (٢٨٢٢، ٢٨٢٣). والنسائي (٤٣/٧) الأيمان والنذور.

(٢) البخاري - الفتح ١٠ (٦١١٤) واللفظ له . ومسلم برقم (٢٦٠٩).

(٣) أنا عند ظن عبدي بي : قال القاضي : قيل معناه بالغفران له إذا استغفر ، والقبول إذا تاب ، والإجابة إذا دعا ، والكفاية إذا طلب الكفاية . وقيل : المراد به الرجاء وتأميل العفو . وهذا أصح .

١٥ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً ، فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سُوءٍ . قُلْنَا : وَمَا هَمَمْتَ ؟ قَالَ : أَنْ أَفْعَدَ وَأَذَرَ النَّبِيَّ ﷺ) * (١)

١٦ - * (عَنْ حُذَيْفَةَ ؛ قَالَ : صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ . فَافْتَتَحَ الْبَقْرَةَ . فَقُلْتُ (٢) : يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ . ثُمَّ مَضَى . فَقُلْتُ (٣) : يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ . فَمَضَى . فَقُلْتُ : يَرْكَعُ بِهَا . ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا . ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا . يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا . إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ . وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ . وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ . ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ : «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ» فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ . ثُمَّ قَالَ : «سَمِعَ

اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا . قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ . ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ : «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى» فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ) * (٤)

١٧ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ :

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ (٥) ، أَحْيَا اللَّيْلَ ، وَأَيَقَظَ أَهْلَهُ ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمُنْزَرَ) * (٦)

١٨ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ :

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى ، قَامَ حَتَّى تَفْطَرَ (٧) رَجُلَاهُ . فَقَالَتْ عَائِشَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتَصْنَعُ هَذَا ، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقْدَمُ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخَرُ ؟ فَقَالَ : «يَا عَائِشَةُ ، أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا») * (٨)

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في «مجاهدة النفس»

١ - * (قَالَ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : «طُوبَى لِمَنْ تَرَكَ شَهْوَةً حَاضِرَةً لِمَوْعُودٍ غَائِبٍ لَمْ يَرَهُ») * (٩)

٢ - * (قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي وَصِيَّتِهِ لِعُمَرَ حِينَ اسْتَخْلَفَهُ : «إِنَّ أَوَّلَ مَا أَحْذَرُكَ : نَفْسَكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ») * (١٠)

٣ - * (قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا ، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا ، وَتَزَيِّنُوا لِلْعَرَضِ الْأَكْبَرِ عَلَى مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَعْمَالُكُمْ») * (١١)

(١) البخاري - الفتح ٣ (١١٣٥).

(٢) فقلت أي في نفسي ، يعني ظننت أنه يركع عند مائة آية.

(٣) فقلت يصلي بها في ركعة : معناه ظننت أنه يسلم بها ، فيقسمها ركعتين . وأراد بالركعة الصلاة بكاملها ، وهي ركعتان ، ولا بد من هذا التأويل لينتظم الكلام بعده ، وعلى هذا فقوله : ثم مضى ، معناه قرأ معظمها بحيث غلب على ظني أنه لا يركع الركعة الأولى إلا في آخر البقرة . فحيث قلت : يركع الركعة الأولى بها ، فجاوز وافتتح النساء.

(٤) مسلم (٧٧٢).

(٥) إذا دخل العشر: أي العشر الأواخر من رمضان.

(٦) البخاري - الفتح ٤ (٢٠٢٤). ومسلم (١١٧٤) واللفظ له

(٧) تفتط: أصلها تتفتط. حذفت إحدى التاءين. أي تتشقق.

(٨) البخاري - الفتح ٨ (٤٨٣٧). ومسلم (٢٨٢٠) واللفظ له.

(٩) إحياء علوم الدين (٣/٧١).

(١٠) جامع العلوم والحكم (١٧٢).

(١١) مدارج السالكين (١/١٨٩-١٩٠).

٤ - * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - وَخَرَجْتُ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ حَائِطًا فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ وَيَبْنِي وَبَيْنَهُ جِدَارٌ وَهُوَ فِي جَوْفِ الْحَائِطِ - : «عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَخٍ بَخٍ . وَ اللَّهُ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ لَتَتَّقِيَنَّ اللَّهَ، أَوْ لَيُعَذِّبَنَّكَ»*)^(١).

٥ - * (قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : «أَوَّلُ مَا تُنْكِرُونَ مِنْ جِهَادِكُمْ أَنْفُسَكُمْ»*)^(٢).

٦ - * (فِي السُّنَنِ لِسَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ قَالَ : «حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ: أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ ابْنَ رَوَاحَةَ - فَذَكَرَ شِعْرًا لَهُ - قَالَ: فَلَمَّا التَّقُوا أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدُ ابْنِ حَارِثَةَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرُ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ رَوَاحَةَ فَحَادَ حَيْدَةً فَقَالَ : أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّ

كَارِهَةً أَوْ لَتُطَاوِعَنَّ مَا لِي أَرَاكَ تَكْرِهِينَ الْجَنَّةَ ثُمَّ نَزَلَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ*)^(٣).

٧ - * (سَأَلَ أَحَدُهُمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ الْجِهَادِ، فَقَالَ لَهُ: «ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَجَاهِدْهَا، وَابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَاغْزُهَا»*)^(٤).

٨ - * (عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ : ثَلَاثُ مَنْ جَمَعَهُنَّ جَمَعَ الْإِيْمَانَ : «الْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِهِ، وَالْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ»*)^(٥).

٩ - * (قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلْقَمَةَ لِقَوْمٍ جَاءُوا مِنَ الْغَزْوِ : قَدْ جِئْتُمْ مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ فَمَا فَعَلْتُمْ فِي الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ ؟ قَالُوا : وَمَا الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ ؟ قَالَ : جِهَادُ الْقَلْبِ*)^(٦).

١٠ - * (قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : مَا عَاجَلْتُ شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي، مَرَّةً لِي وَمَرَّةً عَلَيَّ*)^(٧).

١١ - * (كَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُوصِلِيُّ، يَقُولُ لِنَفْسِهِ: يَا نَفْسُ، لَا فِي الدُّنْيَا مَعَ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ تَتَنَعَّمِينَ، وَلَا فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ مَعَ الْعِبَادِ تَجْتَهِدِينَ، كَأَنِّي بِكَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ تُحْبِسِينَ، يَا نَفْسُ أَلَا تَسْتَحْيِينَ*)^(٨).

١٢ - * (قَالَ الْحَسَنُ : مَا الدَّابَّةُ الْجَمُوحُ بِأَخْوَجَ إِلَى اللَّجَامِ الشَّدِيدِ مِنْ نَفْسِكَ*)^(٩).

١٣ - * (قَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : لَا يَكُونُ الرَّجُلُ تَقِيًّا حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ مُحَاسَبَةَ شَرِيكِهِ وَحَتَّى يَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ مَلْبَسُهُ وَمَطْعَمُهُ وَمَشْرَبُهُ*)^(١٠).

١٤ - * (قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: فَقَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّ النَّصْرَ

(١) أخرجه في الموطأ (٢/٩٩٢). وقال محقق جامع

الأصول (١١/١٩) : إسناده صحيح.

(٢) جامع العلوم والحكم (١٧١).

(٣) فتح الباري (٧/٥٨٤).

(٤) جامع العلوم والحكم (١٧١).

(٥) كتاب الزهد لوكيع (٢/٥٠٤).

(٦) جامع العلوم والحكم (١٧١).

(٧) إحياء علوم الدين (٣/٧١).

(٨) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٩) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(١٠) كتاب الزهد لوكيع (٢/٥٠١-٥٠٢).

مَعَ الصَّبْرِ يَشْمَلُ النَّصْرَ فِي الْجِهَادَيْنِ: جِهَادِ الْعَدُوِّ الظَّاهِرِ وَجِهَادِ الْعَدُوِّ الْبَاطِنِ. فَمَنْ صَبَرَ فِيهِمَا نَصَرَ وَظَفَرَ بَعْدُوهُ، وَمَنْ لَمْ يَصْبِرْ فِيهِمَا وَجَزَعَ قَهَرَ وَصَارَ أَسِيرًا لِلْعَدُوِّ أَوْ قَتِيلًا لَهُ^(١).*

١٥ - * (قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : لَا يُسِيءُ الظَّنُّ بِنَفْسِهِ إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا . وَمَنْ أَحْسَنَ الظَّنَّ بِنَفْسِهِ فَهُوَ مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ بِنَفْسِهِ) *^(٢).

١٦ - * (قَالَ الْغَزَالِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : إِنَّ النَّفْسَ عَدُوٌّ مُنَارِعٌ ، يَجِبُ عَلَيْنَا مُجَاهَدَتُهَا) *^(٣).

١٧ - * (نَقَلَ ابْنُ رَجَبٍ فِي مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ قَوْلَهُ : وَهَذَا الْجِهَادُ يَحْتَاجُ أَيْضًا إِلَى صَبْرٍ ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى مُجَاهَدَةِ نَفْسِهِ وَهَوَاهُ وَشَيْطَانِهِ غَلِبَهُمْ ، وَحَصَلَ لَهُ النَّصْرُ وَالظَّفَرُ ، وَمَلَكَ نَفْسَهُ فَصَارَ مَلِكًا عَزِيزًا ، وَمَنْ جَزَعَ وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى مُجَاهَدَةِ ذَلِكَ غُلِبَ وَقَهَرَ وَأُسِرَ ، وَصَارَ عَبْدًا ذَلِيلًا أَسِيرًا فِي يَدِ شَيْطَانِهِ وَهَوَاهُ كَمَا قِيلَ : إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَغْلِبْ هَوَاهُ أَقَامَهُ

بِمَنْزِلَةٍ فِيهَا الْعَزِيزُ ذَلِيلٌ^(٤)

١٨ - * (وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بَعْدَ أَنْ سَاقَ كَثِيرًا مِنْ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ الْخَارِجِيِّ : «وَكَذَلِكَ جِهَادُ الْعَدُوِّ الْبَاطِنِ ، وَهُوَ جِهَادُ النَّفْسِ وَالْهَوَى ؛ فَإِنَّ جِهَادَهُمَا مِنْ أَعْظَمِ الْجِهَادِ») *^(٥).

١٩ - * (قَالَ الشَّاعِرُ :

يَا مَنْ يُجَاهِدُ غَازِيًا أَعْدَاءَ دِينِ

نِ اللَّهِ يَرْجُو أَنْ يُعَانَ وَيُنْصَرَ

هَلَّا غَشِيَتِ النَّفْسَ غَزْوًا إِنَّهَا

أَعْدَى عَدُوِّكَ كَيْ تَفُوزَ وَتُظْفَرَ

مَهْمَا عَنَيْتَ جِهَادَهَا وَعِنَادَهَا

فَلَقَدْ تَعَاطَيْتَ الْجِهَادَ الْأَكْبَرَ^(٦).

٢٠ - * (قَالَ الْفَيُّوزُ أَبَادِيُّ : وَالْحَقُّ أَنْ يُقَالَ :

الْمُجَاهِدَةُ ثَلَاثَةٌ أَضْرِبُ : مُجَاهِدَةُ الْعَدُوِّ الظَّاهِرِ وَمُجَاهِدَةُ الشَّيْطَانِ ، وَمُجَاهِدَةُ النَّفْسِ . وَالْمُجَاهِدَةُ تَكُونُ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ) *^(٧).

٢١ - * (لِلَّهِ دَرٌّ مَنْ يَقُولُ : كُلَّمَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ

فِي قَلْبِكَ ، صَغُرَتْ نَفْسُكَ عِنْدَكَ ، وَتَضَاعَلَتِ الْقِيَمَةُ الَّتِي تَبْذُلُهَا فِي تَحْصِيلِهِ ، وَكُلَّمَا شَهِدْتَ حَقِيقَةَ الرُّبُوبِيَّةِ وَحَقِيقَةَ الْعُبُودِيَّةِ ، وَعَرَفْتَ اللَّهَ وَعَرَفْتَ النَّفْسَ ، وَتَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ مَا مَعَكَ مِنَ الْبِضَاعَةِ لَا يَصْلُحُ لِلْمَلِكِ الْحَقِّ ، وَلَوْ جِئْتَ بِعَمَلِ الثَّقَلَيْنِ خَشِيتَ عَاقِبَتَهُ وَإِنَّمَا يَقْبَلُهُ بِكَرَمِهِ وَجُودِهِ وَتَفَضُّلِهِ . وَيُشِيكَ عَلَيْهِ أَيْضًا بِكَرَمِهِ وَجُودِهِ وَتَفَضُّلِهِ) *^(٨).

٢٢ - * (قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ الرَّازِيُّ : أَعْدَاءُ

الْإِنْسَانِ ثَلَاثَةٌ : دُنْيَاهُ ، وَشَيْطَانُهُ ، وَنَفْسُهُ ، فَاحْتَرَسْ مِنَ الدُّنْيَا بِالزُّهْدِ فِيهَا ، وَمِنَ الشَّيْطَانِ بِمُخَالَفَتِهِ ، وَمِنَ النَّفْسِ بِتَرْكِ الشَّهَوَاتِ) *^(٨).

(٦) بصائر ذوي التمييز (٢/ ٤٠٢).

(٧) المرجع السابق (٢/ ٤٠٣).

(٨) مدارج السالكين (١/ ١٩٦).

(٨) إحياء علوم الدين (٣/ ٧١).

(١) جامع العلوم والحكم (١٧٢).

(٢) مدارج السالكين (١/ ١٩١).

(٣) إحياء علوم الدين (٣/ ٦٥).

(٤) جامع العلوم والحكم (١٧٢).

(٥) المرجع السابق (١٧١).

٢٣ - * (وَقَالَ أَيْضًا : جَاهِدْ نَفْسَكَ بِأَسْيَافِ الرِّيَاضَةِ . وَالرِّيَاضَةُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجِهٍ : الْقُوَّةُ مِنَ الطَّعَامِ ، وَالْغَمُضُ مِنَ الْمَنَامِ ، وَالْحَاجَةُ مِنَ الْكَلَامِ ، وَحَمْلُ الْأَذَى مِنْ جَمِيعِ الْأَنَامِ ، فَيَتَوَلَّدُ مِنْ قِلَّةِ الطَّعَامِ مَوْتُ الشَّهَوَاتِ ، وَمِنْ قِلَّةِ الْمَنَامِ صَفْوُ الْإِرَادَاتِ ، وَمِنْ قِلَّةِ الْكَلَامِ السَّلَامَةُ مِنَ الْآفَاتِ ، وَمِنْ احْتِمَالِ الْأَذَى الْبُلُوغُ إِلَى الْغَايَاتِ . وَلَيْسَ عَلَى الْعَبْدِ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْحِلْمِ عِنْدَ الْجَفَاءِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى ، وَإِذَا تَحَرَّكَتْ مِنَ النَّفْسِ إِرَادَةُ الشَّهَوَاتِ وَالْآثَامِ ، وَهَاجَتْ مِنْهَا حَلَاوَةٌ فَضُولِ الْكَلَامِ جَرَدَتْ سِيُوفَ قِلَّةِ الطَّعَامِ مِنْ غَمْدِ التَّهَجُّدِ وَقِلَّةِ الْمَنَامِ ، وَضَرَبَتْهَا بِأَيْدِي الْخُمُولِ وَقِلَّةِ الْكَلَامِ ، حَتَّى تَقْطَعَ عَنِ الظُّلْمِ وَالْإِنْتِقَامِ ، فَتَأْمَنَ مِنْ بَوَائِقِهَا مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَنَامِ ،

وَتُصَفِّيَهَا مِنْ ظُلْمَةِ شَهَوَاتِهَا فَتَنْجُو مِنْ غَوَائِلِ آفَاتِهَا ، فَتَصِيرُ عِنْدَ ذَلِكَ نَظِيفَةً وَنُورِيَّةً خَفِيفَةً رُوحَانِيَّةً ، فَتَجُولُ فِي مَيْدَانِ الْخَيْرَاتِ ، وَتَسِيرُ فِي مَسَالِكِ الطَّاعَاتِ ، كَالْفَرَسِ الْفَارِهِ فِي الْمَيْدَانِ وَكَالْمَلِكِ الْمُتَنَزِّهِ فِي الْبُسْتَانِ) * (١) .

٢٤ - * (كَانَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ يَطُوفُ فِي السُّوقِ فَإِذَا رَأَى الشَّيْءَ يَشْتَهِيهِ قَالَ لِنَفْسِهِ : اصْبِرِي ، فَوَاللَّهِ مَا أَمْنَعُكَ إِلَّا مِنْ كَرَامَتِكَ عَلَيَّ) * (٢) .

٢٥ - * (قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ (العنكبوت / ٦٩) : وَمِنْ جُمْلَةِ الْمُجَاهِدَاتِ مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْإِبْتِلَاءِ ، لِيُعْقِبَ ذَلِكَ أَنْسَ الصَّفَاءِ ، وَيَنْزِعَ عَنْهُ لِبَاسَ الْجَفَاءِ) * (٣) .

من فوائد «مجاهدة النفس»

- (٦) نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فِيهِ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .
- (٧) مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ وَأَدَّبَهَا سَمًا بَيْنَ أَقْرَانِهِ وَفِي مُجْتَمَعِهِ .
- (٨) سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّفْسِ يُعِينُ عَلَى مُحَاسَبَتِهَا ، وَتَأْدِيبِهَا .
- (٩) مَنْ يُجَاهِدُ نَفْسَهُ يَمْتَلِكُ نَاصِيَةَ الْخَيْرِ وَيُصْبِحُ حَسَنَ الْأَخْلَاقِ .
- (١٠) تُحَقِّقُ انْكَارَ الذَّاتِ وَتُصَفِّي الْجَمَاعَةَ مِنَ الْأَثَرِ الضَّارِّ بِالْجَمَاعَةِ وَالْمُجْتَمَعِ .

- (١) إِخْضَاعُ النَّفْسِ وَالْهَوَى لِبَطَاةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .
- (٢) إِبْعَادُهَا عَنِ الشَّهَوَاتِ وَصَدُّ الْقَلْبِ عَنِ التَّمَنِّيِ وَالتَّشَهِّيِ .
- (٣) تَعَوُّدُ الصَّبْرِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ عَلَى الطَّاعَاتِ وَعَنِ الْمَعَاصِي .
- (٤) طَرِيقُ قَوِيمٍ يُوصِلُ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْجَنَّةِ .
- (٥) قَمْعٌ لِلشَّيْطَانِ وَوَسَاوِسِهِ .

محاسبة النفس

الآيات	الأحاديث	الآثار
-	٢	١٤

المحاسبة لغة:

مَصْدَرٌ حَاسَبٌ يُحَاسِبُ، وَهُوَ مَا أُخِذَ مِنْ مَادَّةٍ (ح س ب) الَّتِي تَذُلُّ عَلَى الْعَدِّ، تَقُولُ: حَسَبْتُ الشَّيْءَ أَحْسَبُهُ حَسَبًا وَحُسْبَانًا، وَحِسَابًا وَحِسَابَةً إِذَا عَدَدْتَهُ، وَالْمَعْدُودُ: مُحْسُوبٌ وَحَسَبٌ أَيْضًا وَالْأَخِيرُ فَعْلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: لِيَكُنْ عَمَلُكَ بِحَسَبِ ذَلِكَ أَيْ عَلَى قَدْرِهِ وَعَدَدِهِ، وَحَاسِبَتُهُ مِنَ الْمُحَاسَبَةِ، وَاحْتَسَبْتُ عَلَيْهِ كَذَا: إِذَا أَنْكَرْتَهُ عَلَيْهِ، وَشَيْءٌ حِسَابٌ أَيْ كَافٍ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَطَاءٌ حِسَابًا﴾ (النبا/ ٣٦) أَيْ كَافِيًا، وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ (الطلاق/ ٨). إِشَارَةٌ إِلَى نَحْوِ مَا رَوَى «مَنْ نُوقِشَ فِي الْحِسَابِ مُعَذِّبٌ» وَالْحَسِيبُ وَالْمُحَاسِبُ: مَنْ يُحَاسِبُكَ، ثُمَّ عَبَّرَ بِهِ عَنِ الْمُكَافِئِ فِي الْحِسَابِ. وَفِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (البقرة/ ٢١٢) أَوْجُهُ عَدِيدَةٌ مِنْهَا: أَنَّهُ يُعْطَى الْمُؤْمِنَ وَلَا يُحَاسِبُهُ عَلَيْهِ، وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَأْخُذُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا قَدْرَ مَا يَجِبُ، وَكَمَا يَجِبُ، وَفِي وَقْتٍ مَا يَجِبُ، وَلَا يُنْفِقُ إِلَّا كَذَلِكَ، وَيُحَاسِبُ نَفْسَهُ فَلَا يُحَاسِبُهُ اللَّهُ حِسَابًا يَضُرُّهُ كَمَا رَوَى: مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ يُحَاسِبْهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: الْحِسَابُ وَالْمُحَاسَبَةُ: عَدُّكَ الشَّيْءَ، وَحَسَبَ الشَّيْءَ يُحْسِبُهُ، بِالضَّمِّ، حَسَبًا وَحِسَابًا وَحِسَابَةً: عَدَّهُ. وَحَاسَبَهُ: مِنَ الْمُحَاسَبَةِ. وَرَجُلٌ حَاسِبٌ مِنْ قَوْمٍ حُسِبَ وَحُسَابٍ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، أَيْ حِسَابُهُ وَقَعَ لَا مُحَالَةَ، وَكُلُّ وَقَعَ فَهُوَ سَرِيعٌ، وَسُرْعَةُ حِسَابِ اللَّهِ، أَنَّهُ لَا يَشْغَلُهُ حِسَابٌ وَاحِدٌ عَنْ مُحَاسَبَةِ الْآخَرِ، وَقَوْلُهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (الإسراء/ ١٤)، أَيْ كَفَىٰ بِكَ لِنَفْسِكَ مُحَاسِبًا^(١).

النفس لغة واصطلاحًا:

(انظر مجاهدة النفس)

المحاسبة اصطلاحًا:

قَالَ الْمُنَاوِيُّ: الْمُحَاسَبَةُ: هِيَ اسْتِيفَاءُ الْأَعْدَادِ فِيمَا لِلْمَرْءِ أَوْ عَلَيْهِ^(٢).

محاسبة النفس اصطلاحًا:

قَالَ الْإِمَامُ الْمَاوَرَدِيُّ: مُحَاسَبَةُ النَّفْسِ: أَنْ يَتَصَفَّحَ الْإِنْسَانُ فِي لَيْلِهِ مَا صَدَرَ مِنْ أَفْعَالِ نَهَارِهِ فَإِنْ كَانَ مُحْمُودًا أَمْضَاهُ وَأَتْبَعَهُ بِهَا شَاكِلَهُ وَضَاهَاهُ، وَإِنْ كَانَ مَذْمُومًا اسْتَذْرَكَهُ إِنْ أَمَكَ، وَانْتَهَى عَنْ مِثْلِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ^(٣).

(١) لسان العرب (١/ ٣١٣-٣١٤)، ومقاييس اللغة

(٢/ ٥٩)، والصحاح (١/ ١١٠)، والمفردات (١١٧).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٩٨) وفي الأصل «فيما

للمراد وعليه» وهو تصحيف واضح.

(٣) أدب الدنيا والدين (٣٤٢).

أهمية محاسبة النفس :

قَالَ الْغَزَالِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : اَعْلَمْ أَنَّ مَطَالِبَ الْمُتَعَامِلِينَ فِي التِّجَارَاتِ الْمُشْتَرِكِينَ فِي الْبَضَائِعِ عِنْدَ الْمُحَاسَبَةِ سَلَامَةُ الرَّبْحِ، وَكَمَا أَنَّ التَّاجِرَ يَسْتَعِينُ بِشَرِيكِهِ فَيَسْلِمُ إِلَيْهِ الْمَالَ حَتَّى يَتَجَرَّ ثُمَّ يُحَاسِبُهُ، فَكَذَلِكَ الْعَقْلُ هُوَ التَّاجِرُ فِي طَرِيقِ الْآخِرَةِ وَإِنَّمَا مَطْلَبُهُ وَرَبْحُهُ تَرْكِهُ النَّفْسَ لِأَنَّ بِذَلِكَ فَلَاحَهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس / ٩-١٠) وَإِنَّمَا فَلَاحُهَا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ. وَالْعَقْلُ يَسْتَعِينُ بِالنَّفْسِ فِي هَذِهِ التِّجَارَةِ إِذْ يَسْتَعْمِلُهَا وَيَسْتَسْخِرُهَا فِيمَا يُزَكِّيْهَا كَمَا يَسْتَعِينُ التَّاجِرُ بِشَرِيكِهِ وَغُلَامِهِ الَّذِي يَتَجَرُّ فِي مَالِهِ، وَكَمَا أَنَّ الشَّرِيكَ يَصِيرُ خَصْمًا مُنَازِعًا يُجَادِبُهُ فِي الرَّبْحِ فَيَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُشَارِطَهُ أَوَّلًا وَيُرَاقِبَهُ ثَانِيًا، وَيُحَاسِبُهُ ثَالِثًا، وَيُعَاقِبُهُ أَوْ يُعَاتِبَهُ رَابِعًا؛ الْعَقْلُ يَحْتَاجُ إِلَى مُشَارَطَةِ النَّفْسِ أَوَّلًا فَيُوظِّفُ عَلَيْهَا الْوُظَائِفَ، وَيَشْرُطُ عَلَيْهَا الشُّرُوطَ، وَيُرْشِدُهَا إِلَى طَرِيقِ الْفَلَاحِ، وَيَجْزِمُ عَلَيْهَا الْأَمْرَ بِسُلُوكِ تِلْكَ الطَّرِيقِ، ثُمَّ لَا يَغْفُلُ عَنْ مُرَاقِبَتِهَا لَحْظَةً، فَإِنَّهُ لَوْ أَهْمَلَهَا لَمْ يَرِ مِنْهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَتَضْيِيعَ رَأْسِ الْمَالِ، كَالْعَبْدِ الْخَائِنِ إِذَا خَلَا لَهُ الْجُودُ وَانْفَرَدَ بِالْمَالِ. ثُمَّ بَعْدَ الْفَرَاغِ يَنْبَغِي أَنْ يُحَاسِبَهَا، وَيُطَالِبَهَا بِالْوَفَاءِ بِمَا شَرَطَ عَلَيْهَا، فَإِنَّ هَذِهِ تِجَارَةُ رَبْحِهَا الْفِرْدَوْسُ الْأَعْلَى، وَبُلُوغُ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالشُّهَدَاءِ، فَتَدْقِيقُ الْحِسَابِ فِي هَذَا مَعَ النَّفْسِ أَهَمُّ كَثِيرًا مِنْ تَدْقِيقِهِ فِي أَرْبَاحِ الدُّنْيَا مَعَ أَنَّهَا مُحْتَقَرَةٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى نَعِيمِ الْعُقْبَى، ثُمَّ كَيْفَمَا كَانَتْ فَمَصِيرُهَا إِلَى التَّصَرُّمِ وَالْإِنْقِضَاءِ، وَلَا خَيْرَ فِي

خَيْرٍ لَا يَدُومُ، بَلْ شَرٌّ لَا يَدُومُ خَيْرٌ مِنْ خَيْرٍ لَا يَدُومُ، لِأَنَّ الشَّرَّ الَّذِي لَا يَدُومُ إِذَا انْقَطَعَ بَقِيَ الْفَرْحُ بِانْقِطَاعِهِ دَائِمًا وَقَدْ انْقَضَى الشَّرُّ وَالْخَيْرُ الَّذِي لَا يَدُومُ يَبْقَى الْأَسْفُ عَلَى انْقِطَاعِهِ دَائِمًا، وَقَدْ انْقَضَى الْخَيْرُ. وَلِذَلِكَ قِيلَ :

أَشَدُّ الْغَمِّ عِنْدِي فِي سُرُورٍ

تَيَقَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ انْتِقَالًا

فَحَتَمْتُ عَلَى ذِي حَزْمٍ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ لَا يَغْفَلَ عَنْ مُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ وَالتَّضْيِيقِ عَلَيْهَا فِي حَرَكَاتِهَا وَسَكَنَاتِهَا وَخَطَرَاتِهَا وَخُطُوتَاتِهَا، فَإِنَّ كُلَّ نَفْسٍ مِنْ أَنْفَاسِ الْعُمَرِ جَوْهَرَةٌ نَفِيسَةٌ لَا عَوْضَ لَهَا يُمَكِّنُ أَنْ يُشْتَرَى بِهَا كَنْزٌ مِنَ الْكُنُوزِ لَا يَتَنَاهَى نَعِيمُهُ أَبَدَ الْآبَادِ، فَانْقِبَاضُ هَذِهِ الْأَنْفَاسِ - ضَائِعَةٌ أَوْ مَصْرُوفَةٌ إِلَى مَا يَجْلِبُ الْهَلَاكَ - خُسْرَانٌ عَظِيمٌ هَائِلٌ، لَا تَسْمَحُ بِهِ نَفْسٌ عَاقِلٌ. فَإِذَا أَصْبَحَ الْعَبْدُ وَفَرَّغَ مِنْ فَرِيضَةِ الصُّبْحِ يَنْبَغِي أَنْ يَفْرُغَ قَلْبُهُ سَاعَةً لِمُشَارَطَةِ النَّفْسِ كَمَا أَنَّ التَّاجِرَ عِنْدَ تَسْلِيمِ الْبِضَاعَةِ إِلَى الشَّرِيكَ الْعَامِلِ يَفْرُغُ الْمَجْلِسَ لِمُشَارَطَتِهِ. فَيَقُولُ لِلنَّفْسِ : مَالِي بِضَاعَةٌ إِلَّا الْعُمُرُ، وَمَهْمَا فَنِي فَقَدْ فَنِيَ رَأْسُ الْمَالِ، وَوَقَعَ الْيَأْسُ مِنَ التِّجَارَةِ وَطَلَبَ الرَّبْحِ، وَهَذَا الْيَوْمُ الْجَدِيدُ قَدْ أَمْهَلَنِي اللَّهُ فِيهِ، وَأَنْسَأَ فِي أَجَلِي وَأَنْعَمَ عَلَيَّ بِهِ، وَلَوْ تَوَفَّانِي لَكُنْتُ أَتَمَّنَّى أَنْ يُرْجِعَنِي إِلَى الدُّنْيَا يَوْمًا وَاحِدًا حَتَّى أَعْمَلَ فِيهِ صَالِحًا، فَاحْسَبِي أَنَّكَ قَدْ تُوَفِّيتِ، ثُمَّ قَدْ رُدِدْتَ فَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تُضَيِّعِي هَذَا الْيَوْمَ، فَإِنَّ كُلَّ نَفْسٍ مِنَ الْأَنْفَاسِ جَوْهَرَةٌ لَهَا قِيَمَةٌ^(١).

محاسبة النفس نوعان :

نوع قبل العمل ، ونوع بعده .

فَأَمَّا النَّوعُ الْأَوَّلُ : فَهُوَ أَنْ يَقِفَ عِنْدَ أَوَّلِ هَمِّهِ وَإِرَادَتِهِ ، وَلَا يُبَادِرَ بِالْعَمَلِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ رُجْحَانُهُ عَلَى تَرْكِهِ .

قَالَ الْحَسَنُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا وَقَفَ عِنْدَ هَمِّهِ ، فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ مَضَى ، وَإِنْ كَانَ لِغَيْرِهِ تَأَخَّرَ .

وَشَرَحَ هَذَا بَعْضُهُمْ فَقَالَ : إِذَا تَحَرَّكَتِ النَّفْسُ لِعَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ وَهَمَّ بِهِ الْعَبْدُ ، وَقَفَ أَوَّلًا وَنَظَرَ : هَلْ ذَلِكَ الْعَمَلُ مَقْدُورٌ لَهُ أَوْ غَيْرُ مَقْدُورٍ وَلَا مُسْتَطَاعٍ ؟ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَقْدُورًا لَمْ يُقَدِّمْ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ مَقْدُورًا وَقَفَ وَقْفَةً أُخْرَى وَنَظَرَ : هَلْ فِعْلُهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ تَرْكِهِ ، أَوْ تَرْكُهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ فِعْلِهِ ؟ فَإِنْ كَانَ الثَّانِي تَرْكُهُ وَلَمْ يُقَدِّمْ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ الْأَوَّلُ وَقَفَ وَقْفَةً ثَالِثَةً وَنَظَرَ : هَلِ الْبَاعِثُ عَلَيْهِ إِرَادَةُ وَجْهِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَثَوَابُهُ أَوْ إِرَادَةُ الْجَاهِ وَالشَّئَاءِ وَالْمَالِ مِنَ الْمَخْلُوقِ ؟ فَإِنْ كَانَ الثَّانِي لَمْ يُقَدِّمْ عَلَيْهِ ، وَإِنْ أَفْضَى بِهِ إِلَى مَطْلُوبِهِ ، لِئَلَّا تَعْتَادَ النَّفْسُ الشَّرْكَ . وَيَخِيفُ عَلَيْهَا الْعَمَلُ لِغَيْرِ اللَّهِ ، فَيَقْدِرُ مَا يَخِيفُ عَلَيْهَا ذَلِكَ يَنْقُلُ عَلَيْهَا الْعَمَلُ لِلَّهِ تَعَالَى ، حَتَّى يَصِيرَ أَثْقَلَ شَيْءٍ عَلَيْهَا ، وَإِنْ كَانَ الْأَوَّلُ وَقَفَ وَقْفَةً أُخْرَى ، وَنَظَرَ : هَلْ هُوَ مُعَانٌ عَلَيْهِ ، وَلَهُ أَعْوَانٌ يُسَاعِدُونَهُ وَيَنْصُرُونَهُ إِذَا كَانَ الْعَمَلُ مُحْتَاجًا إِلَى ذَلِكَ أَمْ لَا ؟ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَعْوَانٌ أَمْسَكَ عَنْهُ ، كَمَا أَمْسَكَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْجِهَادِ بِمَكَّةَ حَتَّى صَارَ لَهُ شَوْكَةٌ وَأَنْصَارٌ . وَإِنْ وَجَدَهُ مُعَانًا عَلَيْهِ فَلْيُقَدِّمْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْصُورٌ ، وَلَا يَفُوتُ النَّجَاحُ إِلَّا مِنْ فَوْتٍ خَصَلَةٍ مِنْ

هَذِهِ الْخِصَالِ ، وَإِلَّا فَمَعَاجِزُهَا لَا يَفُوتُهُ النَّجَاحُ .

فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ مَقَامَاتٍ يَحْتَاجُ إِلَى مُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ عَلَيْهَا قَبْلَ الْعَمَلِ ؛ فَمَا كُلُّ مَا يُرِيدُ الْعَبْدُ فِعْلَهُ يَكُونُ مَقْدُورًا لَهُ ، وَلَا كُلُّ مَا يَكُونُ مَقْدُورًا لَهُ يَكُونُ فِعْلُهُ خَيْرًا لَهُ مِنْ تَرْكِهِ ، وَلَا كُلُّ مَا يَكُونُ فِعْلُهُ خَيْرًا لَهُ مِنْ تَرْكِهِ يَفْعَلُهُ اللَّهُ ، وَلَا كُلُّ مَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ يَكُونُ مُعَانًا عَلَيْهِ ، فَإِذَا حَاسَبَ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ تَبَيَّنَ لَهُ مَا يُقَدِّمُ عَلَيْهِ ، وَمَا يُجَحِّمُ عَنْهُ .

النَّوعُ الثَّانِي : مُحَاسَبَةُ النَّفْسِ بَعْدَ الْعَمَلِ ، وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ :

أَحَدُهَا : مُحَاسَبَتُهَا عَلَى طَاعَةٍ قَصَرَتْ فِيهَا مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى ؛ فَلَمْ تُوقِعْهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَنْبَغِي . وَحَقُّ اللَّهِ تَعَالَى فِي الطَّاعَةِ سِتَّةُ أُمُورٍ وَهِيَ : الْإِخْلَاصُ فِي الْعَمَلِ ، وَالنَّصِيحَةُ لِلَّهِ فِيهِ ، وَمُتَابَعَةُ الرَّسُولِ فِيهِ ، وَحُصُولُ الْمُرَاقَبَةِ فِيهِ ، وَشُهُودُ مَنْنَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَشُهُودُ تَقْصِيرِهِ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ . فَيَحَاسِبُ نَفْسَهُ : هَلْ وَفَّى هَذِهِ الْمَقَامَاتِ حَقَّهَا ، وَهَلْ أَتَى بِهَا فِي هَذِهِ الطَّاعَةِ .

الثَّانِي : أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ عَلَى كُلِّ عَمَلٍ كَانَ تَرْكُهُ خَيْرًا لَهُ مِنْ فِعْلِهِ .

الثَّالِثُ : أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ عَلَى أَمْرِ مُبَاحٍ ، أَوْ مُعْتَادٍ : لَمْ فَعَلَهُ ؟ وَهَلْ أَرَادَ بِهِ اللَّهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ ؟ فَيَكُونُ رَابِعًا ، أَوْ أَرَادَ بِهِ الدُّنْيَا وَعَاجِلَهَا ؛ فَيَخْسَرُ ذَلِكَ الرِّبْحَ وَيَفُوتُهُ الظَّفَرُ بِهِ ^(١) .

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ فِي بَيَانِ حَقِيقَةِ الْمُحَاسَبَةِ بَعْدَ الْعَمَلِ : اعْلَمْ أَنَّ الْعَبْدَ كَمَا يَكُونُ لَهُ وَقْتُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ يُشَارِطُ فِيهِ نَفْسَهُ عَلَى سَبِيلِ التَّوَصِيَةِ بِالْحَقِّ فَيَنْبَغِي أَنْ

طُولَ نَهَارِهِ ، وَلِيَتَكْفَلَ بِنَفْسِهِ مِنَ الْحِسَابِ مَا سَيَتَوَلَّاهُ
غَيْرُهُ فِي صَعِيدِ الْقِيَامَةِ^(١) .

أركان المحاسبة:

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : قَالَ صَاحِبُ
الْمَنَازِلِ : الْمُحَاسَبَةُ أَرْكَانٌ ثَلَاثَةٌ :

أَحَدُهَا : أَنْ تُقَاسَ بَيْنَ نِعَمَتِكَ وَجِنَايَتِكَ يَعْنِي
أَنْ تُقَاسَ بَيْنَ مَا مِنْ اللَّهِ وَمَا مِنْكَ ، فَحِينَئِذٍ يَظْهَرُ لَكَ
التَّفَاوُتُ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَّا عَفْوُهُ وَرَحْمَتُهُ ، أَوِ الْهَلَاكُ
وَالْعَطْبُ وَبِهَذِهِ الْمُقَاسَةِ تَعْلَمُ حَقِيقَةَ النَّفْسِ وَصِفَاتِهَا
وَعَظَمَةَ جَلَالِ الرُّبُوبِيَّةِ وَتَفَرُّدِ الرَّبِّ بِالْكَمَالِ وَالْإِفْضَالِ
وَأَنَّ كُلَّ نِعْمَةٍ مِنْهُ فَضْلٌ ، وَكُلُّ نِقْمَةٍ مِنْهُ عَذْلٌ . ثُمَّ
تُقَاسُ بَيْنَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ، فَتَعْلَمُ بِهَذِهِ الْمُقَاسَةِ
أَيُّهُمَا أَكْثَرُ وَأَرْجَحُ قَدْرًا وَصِفَةً .

وِثَانِي هَذِهِ الْأَرْكَانِ : أَنْ تُمَيِّزَ مَا لِلْحَقِّ عَلَيْكَ مِنْ
وُجُوبِ الْعُبُودِيَّةِ وَالتَّزَامِ الطَّاعَةِ وَاجْتِنَابِ الْمَعْصِيَةِ
وَبَيْنَ مَا لَكَ وَمَا عَلَيْكَ ، فَالَّذِي لَكَ هُوَ الْمُبَاحُ الشَّرْعِيُّ ،
فَعَلَيْكَ حَقٌّ وَلَكَ حَقٌّ ، فَأَدِّ مَا عَلَيْكَ يُؤْتِكَ مَا لَكَ .

الثَّالِثُ : أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ كُلَّ طَاعَةٍ رَضِيَّتْهَا مِنْكَ
فَهِيَ عَلَيْكَ ، وَكُلُّ مَعْصِيَةٍ عَيَّرْتَ بِهَا أَخَاكَ فَهِيَ إِلَيْكَ ؛
لَأَنَّ رِضَاءَ الْعَبْدِ بِطَاعَتِهِ دَلِيلٌ عَلَى حُسْنِ ظَنِّهِ بِنَفْسِهِ ،
وَجَهْلُهُ بِحُقُوقِ الْعُبُودِيَّةِ ، وَعَدَمُ عَمَلِهِ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ
الرَّبُّ - جَلَّ جَلَالُهُ - وَيَلِيقُ أَنْ يُعَامَلَ بِهِ^(٢) .

[للاستزادة: انظر صفات: مجاهدة النفس -

التقوى - المراقبة - الورع - الوقاية - الرجولة .

وفي ضد ذلك: انظر صفات: اتباع الهوى -

الإهمال - التفريط والإفراط - الغلول - التهاون .]

يَكُونُ لَهُ فِي آخِرِ النَّهَارِ سَاعَةٌ يُطَالِبُ فِيهَا النَّفْسَ
وَيُحَاسِبُهَا عَلَى جَمِيعِ حَرَكَاتِهَا وَسَكَنَاتِهَا ، كَمَا يَفْعَلُ
التَّجَارُ فِي الدُّنْيَا مَعَ الشُّرَكَاءِ فِي آخِرِ كُلِّ سَنَةٍ أَوْ شَهْرٍ
أَوْ يَوْمٍ ، حِرْصًا مِنْهُمْ عَلَى الدُّنْيَا ، وَخَوْفًا مِنْ أَنْ يَفُوتَهُمْ
مِنْهَا مَا لَوْ فَاتَهُمْ لَكَانَتْ الْخَيْرَةُ لَهُمْ فِي فَوَاتِهِ ! وَلَوْ حَصَلَ
ذَلِكَ لَهُمْ فَلَا يَبْقَى إِلَّا أَيَّامًا قَلِيلًا ، فَكَيْفَ لَا يُحَاسِبُ
الْعَاقِلُ نَفْسَهُ فِيَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ خَطَرُ الشَّقَاوَةِ وَالسَّعَادَةِ أَبَدَ
الْآبَادِ؟ مَا هَذِهِ الْمُسَاهَلَةُ إِلَّا عَنِ الْعَفْلَةِ وَالْخِذْلَانِ وَقِلَّةِ
التَّوْفِيقِ - نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ - . وَمَعْنَى الْمُحَاسَبَةِ مَعَ
الشَّرِيكِ أَنْ يَنْظُرَ فِي رَأْسِ الْمَالِ وَفِي الرِّبْحِ وَالْخُسْرَانِ
لِيَتَبَيَّنَ لَهُ الزِّيَادَةُ مِنَ النُّقْصَانِ ، فَإِنْ كَانَ مِنْ فَضْلِ
حَاصِلِ اسْتَوْفَاهُ وَشَكَرَهُ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ خُسْرَانٍ طَالَبَهُ
بِضْمَانِهِ ، وَكَلَّفَهُ تَدَارُكُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ . فَكَذَلِكَ رَأْسُ مَا لِ
الْعَبْدِ فِي دِينِهِ الْفَرَائِضُ ، وَرِبْحُهُ النَّوَافِلُ وَالْفَضَائِلُ ،
وِخُسْرَانُهُ الْمَعَاصِي . وَمَوْسِمُ هَذِهِ التِّجَارَةِ جُمْلَةُ النَّهَارِ
وَمُعَامَلَةُ نَفْسِهِ الْأَمَّارَةِ بِالشُّوْءِ ، فَيُحَاسِبُهَا عَلَى
الْفَرَائِضِ أَوَّلًا ، فَإِنْ أَذَاهَا عَلَى وَجْهِهَا شَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى
عَلَيْهِ وَرَغَّبَهَا فِي مِثْلِهَا ، وَإِنْ فَوَّتَهَا مِنْ أَصْلِهَا طَالَبَهَا
بِالْقَضَاءِ ، وَإِنْ أَذَاهَا نَاقِصَةً كَلَّفَهَا الْجُبْنَ بِالنَّوَافِلِ ،
وَإِنْ ارْتَكَبَ مَعْصِيَةً اشْتَغَلَ بِعُقُوبَتِهَا وَتَعْذِيبِهَا
وَمُعَاتَبَتِهَا لِيَسْتَوْفِيَ مِنْهَا مَا يَتَدَارَكُ بِهِ مَا فَرَطَ - كَمَا
يَصْنَعُ التَّاجِرُ بِشَرِيكِهِ - وَكَمَا أَنَّهُ يُفْتَشُّ فِي حِسَابِ
الدُّنْيَا عَنِ الْحَبَّةِ وَالْقِيرَاطِ فَيَحْفَظُ مَدَاخِلَ الزِّيَادَةِ
وَالنُّقْصَانِ حَتَّى لَا يُغْبَنَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَتَّقِيَ
غِيْنَةَ النَّفْسِ وَمَكْرَهَا فَإِنَّهَا خَدَاعَةٌ مُلْبِسَةٌ مَكَّارَةٌ ،
فَلْيُطَالِبْهَا أَوَّلًا بِتَصْحِيحِ الْجَوَابِ عَنْ جَمِيعِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ

الأحاديث الواردة في «محاسبة النفس» معنى

١ - * (عَنِ ابْنِ شِمَاسَةَ الْمُهَرِّيِّ قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ - فَبَكَى طَوِيلًا، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا؟ قَالَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نَعُدُّ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلَاثٍ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ مِنِّي، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدْ اسْتَمَكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ. فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلَأَبَايَعَكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: «مَالِكَ يَا عَمْرُو؟». قَالَ: قُلْتُ أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: «أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟» وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا أَجَلَ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أَطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ. وَلَوْ سَأَلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ، لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنِي مِنْهُ. وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَذْرِي مَا حَالِي فِيهَا. فَإِذَا أَنَا

مُتُّ فَلَا تَصْحَبْنِي نَائِحَةً وَلَا نَارًا. فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنَا ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ^(١) وَيُقَسَّمُ لَحْمُهَا. حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرُ مَاذَا أَرَا جُعَ بِهِ رُسُلَ رَبِّي) *^(٢).

٢ - * (عَنْ حَنْظَلَةَ الْأَسِيدِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ: لَقِينِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ. قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ. حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْنَا عَيْنَ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا^(٣) الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ، إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا. فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ. تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْنَا عَيْنَ. فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ، (سَاعَةً وَسَاعَةً) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) *^(٤).

(٣) عافسنا : عالجنا معايشنا وحفظنا

(٤) مسلم (٢٧٥٠).

(١) الجزور: هي الناقة التي تنحر.

(٢) مسلم (١٢١).

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في «محاسبة النفس»

١ - * (قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -:
حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ
أَنْ تُوزَنُوا. فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكُمْ فِي الْحِسَابِ غَدًا، أَنْ
تُحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ، وَتَزِينُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ
﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾
(الحاقة/ ١٨) *^(١).

٢ - * (كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
إِلَى بَعْضِ عُمَّالِهِ، فَكَانَ فِي آخِرِ كِتَابِهِ : « أَنْ حَاسِبْ
نَفْسَكَ فِي الرَّخَاءِ، قَبْلَ حِسَابِ الشَّدَّةِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ
حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الرَّخَاءِ، قَبْلَ حِسَابِ الشَّدَّةِ، عَادَ
مَرْجِعُهُ إِلَى الرِّضَى وَالْغِبْطَةِ. وَمَنْ أَلْهَتْهُ حَيَاتُهُ وَشَغَلَتْهُ
أَهْوَاؤُهُ، عَادَ أَمْرُهُ إِلَى النَّدَامَةِ، وَالْحَسْرَةِ. فَتَذَكَّرْ مَا
تُوَعِّظُ بِهِ، لِكَيْمَا تَنْتَهِيَ، عَمَّا يُنْهَى عَنْهُ، وَتَكُونَ عِنْدَ
التَّذَكُّرِ وَالْعِظَةِ مِنْ أُولَى النَّهْيِ » *^(٢).

٣ - * (قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَوْمًا، وَقَدْ
خَرَجْتُ مَعَهُ، حَتَّى دَخَلَ حَائِطًا فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ،
وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ جِدَارٌ، وَهُوَ فِي جَوْفِ الْحَائِطِ : عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَخٍ، وَاللَّهُ لَتَتَّقِيَنَّ اللَّهُ ابْنَ
الْخَطَّابِ، أَوْ لَيُعَذِّبَنَّكَ *^(٣).

٤ - * (قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
لِفُضَيْلِ بْنِ زَيْدِ الرَّقَاشِيِّ : لَا يُلْهِيَنَّكَ النَّاسُ عَنْ ذَاتِ
نَفْسِكَ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَخْلُصُ إِلَيْكَ دُونَهُمْ، وَلَا تَقْطَعْ النَّهَارَ
بِكَيْتٍ وَكَيْتٍ، فَإِنَّهُ مُحْفُوظٌ عَلَيْكَ مَا قُلْتَهُ، وَلَمْ تَرَ شَيْئًا
أَحْسَنَ طَلَبًا وَلَا أَسْرَعَ إِدْرَاكًا مِنْ حَسَنَةِ حَدِيثَةٍ لِدَنْبٍ
قَدِيمٍ) *^(٤) ..

٥ - * (عَنْ سَلَمَةَ بْنِ مَنْصُورٍ عَنْ مَوْلَى لَهُمْ كَانَ
يُصْحَبُ الْأَخْنَفَ بْنَ قَيْسٍ، قَالَ : كُنْتُ أَصْحَبُهُ،
فَكَانَ عَامَّةَ صَلَاتِهِ الدُّعَاءُ، وَكَانَ يَجِيءُ الْمُصْبِحَ
، فَيَضَعُ أَصْبَعَهُ فِيهِ، ثُمَّ يَقُولُ : حَسَّ^(٥)، ثُمَّ يَقُولُ :
يَا حَنِيفُ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ يَوْمَ كَذَا، مَا حَمَلَكَ
عَلَى مَا صَنَعْتَ يَوْمَ كَذَا) *^(٦).

٦ - * (قَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ : مَثَلْتُ نَفْسِي فِي
الْجَنَّةِ أَكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا، وَأَشْرَبُ مِنْ أَنْهَارِهَا، وَأُعَانِقُ
أَبْكَارَهَا، ثُمَّ مَثَلْتُ نَفْسِي فِي النَّارِ أَكُلُ مِنْ زُقُومِهَا،
وَأَشْرَبُ مِنْ صَدِيدِهَا، وَأُعَالِجُ سَلَاسِلَهَا، وَأَغْلَاهَا،
فَقُلْتُ لِنَفْسِي : أَيُّ نَفْسِي، أَيُّ شَيْءٍ تُرِيدِينَ؟ قَالَتْ :
أُرِيدُ أَنْ أُرَدَّ إِلَى الدُّنْيَا، فَأَعْمَلَ صَالِحًا، قَالَ : قُلْتُ :
فَأَنْتِ فِي الْأُمْنِيَّةِ، فَأَعْمَلِي) *^(٧).

٧ - * (قَالَ الْحَسَنُ - رَحِمَهُ اللَّهُ :- « إِنَّ الْعَبْدَ لَا

(٤) المرجع السابق (٣٨).

(٥) حَسَّ: كلمة تقال عند الألم المفاجئ.

(٦) إغاثة اللفهان لابن القيم (٦٨).

(٧) محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (٣٤).

(١) محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (٢٢)، وإغاثة اللفهان لابن القيم (٩٤).

(٢) محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (٥٩)، وإغاثة اللفهان (٩٥).

(٣) محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (٢٣).

يَزَالُ بِخَيْرٍ مَا كَانَ لَهُ وَاعِظٌ مِنْ نَفْسِهِ ، وَكَانَتْ
الْمُحَاسَبَةُ مِنْ هِمَّتِهِ*^(١) .

٨ - * (وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : الْمُؤْمِنُ قَوَّامٌ عَلَى
نَفْسِهِ ، يُحَاسِبُ نَفْسَهُ لِلَّهِ ، وَإِنَّمَا خَفَّ الْحِسَابُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ عَلَى قَوْمٍ حَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنَّمَا شَقَّ
الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَوْمٍ أَخَذُوا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ
مُحَاسَبَةٍ . إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُفَاجِئُهُ الشَّيْءُ وَيُعْجِبُهُ ، فَيَقُولُ :
وَاللَّهِ إِنِّي لِأَشْتَهِيكَ . وَإِنَّكَ لَمِنْ حَاجَتِي ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ
مَا مِنْ صِلَةٍ إِلَيْكَ ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ . حِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ،
وَيَفْرُطُ مِنْهُ الشَّيْءُ فَيَرْجِعُ إِلَى نَفْسِهِ ، فَيَقُولُ : مَا أَرَدْتُ
إِلَى هَذَا؟ مَالِي وَهَذَا؟ وَاللَّهِ لَا أَعُودُ إِلَى هَذَا أَبَدًا ، إِنَّ
الْمُؤْمِنِينَ قَوْمٌ أَوْقَفَهُمُ الْقُرْآنُ ، وَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
هَلَكَتِهِمْ ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَسِيرٌ فِي الدُّنْيَا يَسْعَى فِي فَكَاكِ
رَقَبَتِهِ ، لَا يَأْمَنُ شَيْئًا حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ ؛ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَأْخُودٌ
عَلَيْهِ فِي سَمْعِهِ وَفِي بَصَرِهِ ، وَفِي لِسَانِهِ ، وَفِي جَوَارِحِهِ ،
مَأْخُودٌ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ*^(٢) .

٩ - * (قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : رَحِمَ
اللَّهُ عَبْدًا قَالَ لِنَفْسِهِ : أَلَسْتُ صَاحِبَةً كَذَا؟ أَلَسْتُ
صَاحِبَةً كَذَا؟ ثُمَّ زَمَّهَا ، ثُمَّ خَطَمَهَا ، ثُمَّ أَلَزَمَهَا كِتَابَ
اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَكَانَ لَهَا قَائِدًا*^(٣) .

١٠ - * (عَنِ الْحَسَنِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : ﴿ وَلَا
أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ (القيامة/ ٢) قَالَ : لَا تَلْقَى

الْمُؤْمِنَ إِلَّا يُعَاتِبُ نَفْسَهُ ، مَاذَا أَرَدْتُ بِكَلِمَتِي ، مَاذَا
أَرَدْتُ بِأَكَلَتِي*^(٤) .

١١ - * (عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنْبِهِ ، قَالَ : مَكْتُوبٌ فِي
حِكْمَةِ آلِ دَاوُدَ : حُقَّ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يَغْفَلَ عَنْ أَرْبَعِ
سَاعَاتٍ : سَاعَةٍ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ ، وَسَاعَةٍ يُحَاسِبُ فِيهَا
نَفْسَهُ ، وَسَاعَةٍ يَخْلُو فِيهَا مَعَ إِخْوَانِهِ الَّذِينَ يُخْبِرُونَهُ
بِعُيُوبِهِ وَيَصُدِّقُونَهُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَسَاعَةٍ يَخْلُو فِيهَا بَيْنَ
نَفْسِهِ ، وَبَيْنَ لَذَاتِهَا ، فِيمَا يَحِلُّ وَيُحْمَدُ ، فَإِنَّ فِي هَذِهِ
السَّاعَةِ عَوْنًا عَلَى تِلْكَ السَّاعَاتِ ، وَإِجْمَامًا لِلْقُلُوبِ*^(٥) .
وَحُقَّ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يُرَى ظَاعِنًا إِلَّا فِي ثَلَاثٍ : زَادَ
لِمِيعَادِهِ ، أَوْ مَرَمَّةً^(٦) لِمَعَاشِهِ ، أَوْ لَذَّةً فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ . وَحُقَّ
عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ عَارِفًا بِزَمَانِهِ ، حَافِظًا
لِللِّسَانِ ، مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ*^(٧) .

١٢ - * (عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ : لَا يَكُونُ
الرَّجُلُ تَقِيًّا حَتَّى يَكُونَ لِنَفْسِهِ أَشَدَّ مُحَاسَبَةً مِنَ الشَّرِيكِ
لِشَرِيكِهِ*^(٨) .

١٣ - * (قَالَ الْغَزَالِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : عَرَفَ
أَرْبَابُ الْبَصَائِرِ مِنْ جُمْلَةِ الْعِبَادِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَهُمْ
بِالْمِرْصَادِ ، وَأَتَمُّهُمْ سَيَاقِشُونَ فِي الْحِسَابِ ، وَيُطَالِبُونَ
بِمَثَاقِيلِ الدَّرِّ مِنَ الْخَطَرَاتِ وَاللَّحْظَاتِ ، وَتَحَقَّقُوا أَنَّهُ
لَا يُنْجِيهِمْ مِنْ هَذِهِ الْأَخْطَارِ إِلَّا لُزُومُ الْمُحَاسَبَةِ ،
وَصِدْقُ الْمُرَاقَبَةِ ، وَمُطَابَقَةُ النَّفْسِ فِي الْأَنْفَاسِ

(٥) إجماماً للقلوب: راحة لها، والجمام بالفتح الراحة.

(٦) مَرَمَّة: متاع البيت.

(٧) محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (٣٠)، وإغاثة اللفهان لابن القيم (٩٥).

(٨) محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (٢٥)، وإغاثة اللفهان: (٩٥)، وإحياء علوم الدين (٤/ ٤٢٩).

(١) محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (٣٤).

(٢) المرجع السابق (٣٢).

(٣) محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (ص ٢٦)، وإغاثة اللفهان لابن القيم (٩٦) ..

(٤) محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (٢٤)، وإغاثة اللفهان لابن القيم (٩٦).

فَبَعْدَ مُشَارَطَةٍ وَمُرَاقَبَةٍ، وَيَتَّبَعُهُ عِنْدَ الْخُسْرَانِ الْمُعَاتِبَةُ
وَالْمُعَاقِبَةُ*^(١).

١٤ - * (قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : قَدْ دَلَّ
عَلَى وُجُوبِ مُحَاسَبَةِ النَّفْسِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾
(الحشر/ ١٨) يَقُولُ تَعَالَى : لِيَنْظُرَ أَحَدُكُمْ مَا قَدَّمَ لِيَوْمِ
الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَعْمَالِ : أَمِنَ الصَّالِحَاتِ الَّتِي تُنَجِّيه ، أَمْ
مِنَ السَّيِّئَاتِ الَّتِي تُوبِقُهُ؟.

قَالَ قَتَادَةُ : مَا زَالَ رَبُّكُمْ يُقَرِّبُ السَّاعَةَ حَتَّى
جَعَلَهَا كَغَدٍ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ صَلَاحَ الْقَلْبِ بِمُحَاسَبَةِ النَّفْسِ،
وَفَسَادُهُ بِإِهْمَالِهَا وَلَا سِرِّسَالٍ مَعَهَا*^(٢).

وَالْحَرَكَاتِ وَمُحَاسَبَتِهَا فِي الْخَطَرَاتِ وَاللَّحْظَاتِ ، فَمَنْ
حَاسَبَ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ يُحَاسَبَ خَفَّ فِي الْقِيَامَةِ حِسَابُهُ
وَحَضَرَ عِنْدَ السُّؤَالِ جَوَابُهُ، وَحَسُنَ مُنْقَلَبُهُ وَمَآبُهُ ، وَمَنْ
لَمْ يُحَاسِبْ نَفْسَهُ دَامَتْ حَسْرَاتُهُ، وَطَالَتْ فِي عَرَصَاتِ
الْقِيَامَةِ وَقَفَاتُهُ، وَقَادَتْهُ إِلَى الْخِزْيِ وَالْمَقْتِ سَيِّئَاتُهُ ، فَلَمَّا
انْكَشَفَ لَهُمْ ذَلِكَ عَلِمُوا أَنَّهُ لَا يُنْجِيهِمْ مِنْهُ إِلَّا طَاعَةُ
اللَّهِ وَقَدْ أَمَرَهُمْ بِالصَّبْرِ وَالْمُرَابَطَةِ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿يَا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ آل
عمران/ (٢٠٠) فَرَابِطُوا أَنْفُسَهُمْ أَوَّلًا بِالْمُشَارَطَةِ ، ثُمَّ
بِالْمُرَاقَبَةِ ، ثُمَّ بِالْمُحَاسَبَةِ ، ثُمَّ بِالْمُعَاقِبَةِ ، ثُمَّ بِالْمُجَاهَدَةِ.
ثُمَّ بِالْمُعَاتِبَةِ. فَكَانَتْ لَهُمْ فِي الْمُرَابَطَةِ سِتَّةُ مَقَامَاتٍ ، وَلَا
بُدَّ مِنْ شَرْحِهَا وَبَيَانِ حَقِيقَتِهَا وَفَضِيلَتِهَا وَتَفْصِيلِ
الْأَعْمَالِ فِيهَا وَأَصْلُ ذَلِكَ الْمُحَاسَبَةُ، وَلَكِنْ كُلُّ حِسَابٍ

من فوائد «محاسبة النفس»

- (٤) الْبُعْدُ عَنْ مَزَالِقِ الشَّيْطَانِ .
- (٥) دَلِيلٌ عَلَى الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ، وَمَنْ خَافَ مِنَ اللَّهِ بَلَغَ
الْمَنْزِلَةَ.

- (١) تَحْقِيقُ السَّعَادَةِ فِي الدَّارَيْنِ.
- (٢) ثَمَرُ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ.
- (٣) دَلِيلٌ عَلَى صَلَاحِ الْإِنْسَانِ.

المحبة

الآيات	الأحاديث	الآثار
٣٩	٧٦	١٩

المحبة لغة:

هي الاسم من الحب وكلاهما مأخوذ من مادة (ح ب ب) التي تدل على اللزوم والثبات^(١)، قال ابن فارس: واشتقاق الحب والمحبة من أحبه إذا لزمه، والمحبة هو البعير الذي يجسر فيلزم مكانه، وقال الراغب: حببت فلاناً في الأصل بمعنى أصبت حبة قلبه، نحو: شغفته وكبدته وفأذته (أي أصبت شغفته وكبدته وفؤاده). وأما قولهم: أحببت فلاناً فمعناه: جعلت قلبي معرضاً لحبه واستعمل حببت في موضع: أحببت، قال: والمحبة: إرادة ما تراه أو تظنه خيراً، والاستحباب أن يتحرى الإنسان في الشيء أن يحبه كما في قوله تعالى ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ (فصلت/ ١٨) ومحبة الله تعالى للعبد: إنعامه عليه ومحبة العبد له طلب الزلفى إليه.

وقال الجوهري: والحب: المحبة وكذلك الحب بالكسر، والحب أيضاً: الحبيب، وتقول: ما كنت حبيباً، ولقد حببت بالكسر: أي صرت حبيباً، وحب بفلان معناه: ما أحبه إليّ، وأصله حبب بضم الباء ومن ذلك قولهم حبذا زيد، فحب أصله حبب وذا فاعله، وقد

جعلاً شيئاً واحداً بمنزلة اسم يرفع ما بعده، وزيد خبره، وتحابوا: أحب بعضهم بعضاً، وتحبب إليه: تودد، وقال ابن منظور:

الحب: الوداد. والمحبة والحب: نقيض البغض. وكذلك الحب بالكسر ويقال للمحبوب. وأحبه فهو محب، وهو محبوب على غير قياس، وقد قيل: محب على القياس. قال الأزهري: وحبته يحبه بالكسر، فهو محبوب. قال الجوهري: وهذا شاذ. وحكى سيبويه: حببته وأحببته بمعنى. قال: أبوزيد: أحبه الله فهو محبوب. واستحبه كآحبه والاستحباب كالأستحسان. والمحبة: اسم للحب. وتحبب إليه تودد. والأنثى: حبة، ومنه حديث فاطمة رضوان الله عليها، قال لها رسول الله ﷺ، عن عائشة: «إنها حبة أليك». وجمع الحب: أحباب وحبان، والحبيب والحباب بالضم: الحب والأنثى بالهاء. وحبب إليه الأمر: جعله محبوباً. وهم يتحابون: أي يحب بعضهم بعضاً. والتحبب: إظهار الحب. وحبان وحبان: اسمان موضوعان من الحب. والمحبة والمحبوبة جميعاً: من أسماء مدينة النبي ﷺ لحب النبي ﷺ وأصحابه إياها^(٢).

(١/ ١٢٧). وانظر مختار الصحاح (١١٩)، المقاييس (٢/ ٢٦)، والمفردات للراغب (١٠٥). والصحاح للجوهري (١/ ١٠٦).

(١) وهذه المادة معنيان أصليان هما: المحبة من الشيء ذي الحب، والثاني: القصر (انظر في معاني المادة وأمثلة مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٢٦).

(٢) لسان العرب (١/ ٢٨٩-٢٩٠). والمصباح المنير

المحبة اصطلاحًا:

قَالَ الرَّاعِبُ: الْمَحَبَّةُ مِيلُ النَّفْسِ إِلَى مَا تَرَاهُ وَتَظُنُّهُ خَيْرًا، وَذَلِكَ ضَرْبَانِ: أَحَدُهُمَا طَبِيعِيٌّ وَذَلِكَ يَكُونُ فِي الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ، وَقَدْ يَكُونُ فِي الْجَمَادَاتِ، وَالْآخَرُ اخْتِيَارِيٌّ وَيَخْتَصُّ بِهِ الْإِنْسَانُ^(١).

وَقَالَ الْكَفَوِيُّ: الْمَحَبَّةُ إِفْرَاطُ الرِّضَا، وَهُوَ قِسْمَانِ: قِسْمٌ يَكُونُ لِكُلِّ مُكَلَّفٍ، وَهُوَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ فِي الْإِيمَانِ، وَحَقِيقَتُهُ قَبُولُ مَا يَرِدُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ اعْتِرَاضٍ عَلَى حُكْمِهِ وَتَقْدِيرِهِ، وَقِسْمٌ لَا يَكُونُ إِلَّا لِأَرْبَابِ الْمَقَامَاتِ وَحَقِيقَتُهُ ابْتِهَاجُ الْقَلْبِ وَسُرُورُهُ بِالْمَقْضِيِّ، وَالرِّضَا فَوْقَ التَّوَكُّلِ لِأَنَّهُ الْمَحَبَّةُ فِي الْجُمْلَةِ^(٢).

وَالْمَحَبَّةُ الْمِيلُ إِلَى مَا يُوَافِقُ الْمُحَبَّ، وَقَدْ تَكُونُ بِحَوَاسِهِ كَحُسْنِ الصُّورَةِ، أَوْ بِفِعْلِهِ إِمَّا لِذَاتِهِ كَالْفَضْلِ وَالْكَمَالِ، وَإِمَّا لِإِحْسَانِهِ كَجَلْبِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضَرَرٍ. انْتَهَى مُلَخَّصًا قَالَهُ النَّوَوِيُّ وَنَقَلَهُ عَنْهُ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْفَتْحِ^(٣).

أنواع المحبة:

الْمَحَبَّةُ ضَرْبَانِ: طَبِيعِيٌّ وَاخْتِيَارِيٌّ، وَهَذَا الْآخِرُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَضْرُبٍ.

الْأَوَّلُ: مَا كَانَ لِلشَّهْوَةِ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ بَيْنَ الْأَحْدَاثِ.

الثَّانِي: مَا كَانَ لِلْمَنْفَعَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا يَكُونُ بَيْنَ التُّجَّارِ وَأَصْحَابِ الصِّنَاعَاتِ وَالْمَذَاهِبِ.

الثَّالِثُ: مَا كَانَ مُرَكَّبًا مِنَ الضَّرِيئِينَ، وَذَلِكَ كَمَنْ يُحِبُّ غَيْرَهُ لِنَفْعٍ، وَذَلِكَ الْغَيْرُ يُحِبُّهُ لِلشَّهْوَةِ.

الرَّابِعُ: مَا كَانَ لِلْفَضِيلَةِ كَمَحَبَّةِ الْمُتَعَلِّمِ لِلْعَالِمِ وَهِيَ الْمَحَبَّةُ الْبَاقِيَّةُ عَلَى مُرُورِ الْأَوْقَاتِ، أَمَّا الثَّلَاثَةُ الْأَوَّلُ فَقَدْ تَطَوَّلَ مُدَّتُهَا وَقَدْ تَقْصُرُ^(٤).

وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : إِنَّ الْمَحَبَّةَ ضُرُوبٌ فَأَفْضَلُهَا مَحَبَّةُ الْمُتَحَابِّينَ فِي اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - : إِمَّا لِاجْتِهَادٍ فِي الْعَمَلِ، وَإِمَّا لِاتِّقَانٍ فِي أَصْلِ النِّحْلَةِ وَالْمَذْهَبِ، وَإِمَّا لِفَضْلِ عِلْمٍ يُمْنَحُهُ الْإِنْسَانُ، وَمَحَبَّةِ الْقَرَابَةِ، وَمَحَبَّةِ الْأُلْفَةِ وَالْإِشْرَاقِ فِي الْمَطَالِبِ، وَمَحَبَّةِ التَّصَاحِبِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَمَحَبَّةِ الْبِرِّ يَضَعُهُ الْمَرْءُ عِنْدَ أَرْضِهِ، وَمَحَبَّةِ الطَّمَعِ فِي جَاهِ الْمُحْبُوبِ، وَمَحَبَّةِ الْمُتَحَابِّينَ بِسِرٍّ يَجْتَمِعَانِ عَلَيْهِ يُلْزِمُهُمَا سِرُّهُ، وَمَحَبَّةُ بُلُوغِ اللَّذَّةِ، وَقَضَاءِ الْوَطْرِ، وَمَحَبَّةُ الْعِشْقِ الَّتِي لَا عِلَّةَ لَهَا إِلَّا اتِّصَالُ النُّفُوسِ^(٥).

محبة الله:

قِيلَ: أَنَّ تَهَبَ كُلِّكَ لِمَنْ أَحْبَبْتَ . فَلَا يَبْقَى لَكَ مِنْكَ شَيْءٌ . وَهُوَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيِّ وَهُوَ أَيْضًا مِنْ مُوجِبَاتِ الْمَحَبَّةِ وَأَحْكَامِهَا . وَالْمُرَادُ: أَنَّ تَهَبَ إِزَادَتَكَ وَعَزَمَكَ وَأَفْعَالَكَ وَنَفْسَكَ وَمَالَكَ وَوَقْتَكَ لِمَنْ تُحِبُّهُ، وَتَجْعَلَهَا حَبْسًا فِي مَرْضَاتِهِ وَمَحَابِّهِ . فَلَا تَأْخُذُ لِنَفْسِكَ مِنْهَا إِلَّا مَا أَعْطَاكَ، فَتَأْخُذُهُ مِنْهُ لَهُ^(٦).

معقد نسبة العبودية:

وَمَعْقَدُ نِسْبَةِ الْعُبُودِيَّةِ هُوَ الْمَحَبَّةُ . فَالْعُبُودِيَّةُ مَعْقُودَةٌ بِهَا، بِحَيْثُ مَتَى انْحَلَّتِ الْمَحَبَّةُ انْحَلَّتِ

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٣٦٣).

(٥) طوق الحمامة (٦٣).

(٦) تهذيب مدارج السالكين (٥١٢).

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٣٦٣).

(٢) الكليات للكفوي (٤٧٨).

(٣) فتح الباري (١/٧٤).

الْعُبُودِيَّةُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَهِيَ رُوحُ الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ ،
وَالْمَقَامَاتِ وَالْأَحْوَالِ . الَّتِي مَتَى خَلَتْ مِنْهَا فَهِيَ
كَالْجَسَدِ الَّذِي لَا رُوحَ فِيهِ . تَاللَّهِ لَقَدْ ذَهَبَ أَهْلُهَا
بِشَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . إِذْ لَهُمْ مِنْ مَعِيَّةِ مَحْبُوبِهِمْ أَوْفَرُ
نَصِيبٍ . وَقَدْ قَضَى اللَّهُ يَوْمَ قَدَرٍ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ
بِمَشِيَّتِهِ وَحِكْمَتِهِ الْبَالِغَةِ : أَنَّ الْمَرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ . فَيَأْخُذُ
مِنْ نِعْمَةٍ عَلَى الْمُحِبِّينَ سَابِغَةً . تَاللَّهِ لَقَدْ سَبَقَ الْقَوْمُ
السَّعَاءَ ، وَهُمْ عَلَى ظَهْرِ الْفُرْشِ نَائِمُونَ . وَقَدْ تَقَدَّمُوا
الرَّكْبَ بِمَرَّاحِلَ ، وَهُمْ فِي سَيْرِهِمْ وَاقِفُونَ .

مَنْ لِي بِمِثْلِ سَيْرِكَ الْمُدَّلِّلِ

تَمْشِي رُويْدًا ؟ وَتَجِي فِي الْأَوَّلِ

أَجَابُوا مُنَادِيَ الشُّوقِ إِذْ نَادَى بِهِمْ : حَيَّ عَلَى
الْفَلَاحِ . وَبَذَلُوا نُفُوسَهُمْ فِي طَلَبِ الْوُصُولِ إِلَى
مَحْبُوبِهِمْ . تَاللَّهِ لَقَدْ حَمِدُوا عِنْدَ الْوُصُولِ سُرَاهُمْ^(١) .
وَشَكَرُوا مَوْلَاهُمْ عَلَى مَا أَعْطَاهُمْ . وَإِنَّمَا يَحْمَدُ الْقَوْمُ
السُّرَى عِنْدَ الصَّبَاحِ .

إِقَامَةُ الْبَيِّنَةِ : لَمَّا كَثُرَ الْمَدْعُونَ لِلْمَحَبَّةِ طُوبُوا
بِقِيَامَةِ الْبَيِّنَةِ عَلَى صِحَّةِ الدَّعْوَى . فَلَوْ يُعْطَى النَّاسُ
بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى الْخَلِيُّ^(٢) حُرْقَةَ الشَّجِيِّ^(٣) . فَتَنَوَّعَ
الْمَدْعُونَ فِي الشُّهُودِ . فَقِيلَ : لَا تُقْبَلُ هَذِهِ الدَّعْوَى إِلَّا
بَبَيِّنَةٍ ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾
(آل عمران / ٣١) . فَتَأَخَّرَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ . وَثَبَتَ أَتْبَاعُ
الْحَبِيبِ فِي أَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ . فَطُوبُوا بِعَدَالَةِ
الْبَيِّنَةِ بِتَرْكِئَةٍ ﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ

لَا ئِمٍ ﴾ (المائدة / ٥٤) . فَتَأَخَّرَ أَكْثَرُ الْمُحِبِّينَ وَقَامَ
الْمُجَاهِدُونَ ، فَقِيلَ لَهُمْ : إِنَّ نُفُوسَ الْمُحِبِّينَ وَأَمْوَالَهُمْ
لَيْسَتْ لَهُمْ . فَهَلُمُّوا إِلَى بَيْعَةِ ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ
الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾ (التوبة /
١١١) . فَلَمَّا عَرَفُوا عَظَمَةَ الْمُشْتَرَى ، وَفَضْلَ الثَّمَنِ ،
وَجَلَالَتهِ مَنْ جَرَى عَلَى يَدَيْهِ عَقْدُ التَّبَايُعِ : عَرَفُوا قَدْرَ
السِّلْعَةِ ، وَأَنَّ لَهَا شَأْنًا . فَرَأَوْا مِنْ أَعْظَمِ الْعَبَنِ أَنَّ
يَبِيعُوهَا لِغَيْرِهِ بِثَمَنِ بَخْسٍ . فَعَقَدُوا مَعَهُ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ
بِالْتَّرَاضِي ، مِنْ غَيْرِ ثُبُوتِ خِيَارٍ . وَقَالُوا : « وَاللَّهِ لَا
نُقِيلُكَ وَلَا نَسْتَقِيلُكَ » . فَلَمَّا تَمَّ الْعَقْدُ وَسَلَّمُوا الْمَبِيعَ ،
قِيلَ لَهُمْ : مُذْ صَارَتْ نُفُوسُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ لَنَا رَدْدَنَاهَا
عَلَيْكُمْ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ ، وَأَضْعَافُهَا مَعَهَا ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ
الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ
يُرْزَقُونَ ﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴿ . إِذَا غُرِسَتْ
شَجَرَةُ الْمَحَبَّةِ فِي الْقَلْبِ ، وَسُقِيَتْ بِمَاءِ الْإِخْلَاصِ
وَمُتَابَعَةِ الْحَبِيبِ أَثْمَرَتْ أَنْوَاعَ الثَّمَارِ . وَآتَتْ أَكْلَهَا كُلَّ
حِينَ يَأْذَنُ رَبُّهَا . أَصْلُهَا ثَابِتٌ فِي قَرَارِ الْقَلْبِ . وَفَرْعُهَا
مُتَّصِلٌ بِسِدْرَةِ الْمُتَهَيَّ . لَا يَزَالُ سَعْيُ الْمُحِبِّ صَاعِدًا
إِلَى حَبِيبِهِ لَا يَحْجُبُهُ دُونُهُ شَيْءٌ ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ
الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (فاطر / ١٠) .

وَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ النَّاسُ فِي أَسْبَابِهَا وَمُوجِبَاتِهَا ،
وَعَلَامَاتِهَا وَشَوَاهِدِهَا ، وَثَمَرَاتِهَا وَأَحْكَامِهَا . فَحُدُودُهُمْ
وَرُسُومُهُمْ دَارَتْ عَلَى هَذِهِ السِّتَةِ . وَتَنَوَّعَتْ بِهِمْ
الْعِبَارَاتُ . وَكَثُرَتِ الْإِشَارَاتُ ، بِحَسَبِ إِدْرَاكِ

شج: حزين، والشجي - بتخفيف الياء - هو الذي أصابه
الشجي وهو الغصص، وأما الحزين فهو الشجي - بتشديد
الياء. ومعنى المثل: ويل للمحب من عاذله.

(١) سراهم: مسيرهم إلى آخر الليل أي في وقت السرى.

(٢) الخلي: يقال رجل خلي لا زوجة له وامرأة خلية لا زوج لها.

(٣) الشجي: الحزين يقال: أشجاه الشيء أغصه، ورجل

تَتَكَلَّمُ إِلَّا إِذَا تَرَجَّحَتْ مَصْلَحَةُ الْكَلَامِ ، وَعَلِمْتَ أَنَّ
فِيهِ مَزِيدًا لِحَالِكَ ، وَمَنْفَعَةً لِّغَيْرِكَ .

الْعَاشِرُ: مُبَاعَدَةُ كُلِّ سَبَبٍ يَحُولُ بَيْنَ الْقَلْبِ
وَبَيْنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - . وَالْكَلَامُ فِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ مُعَلَّقٌ
بِطَرَفَيْنِ: طَرَفِ مَحَبَّةِ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ ، وَطَرَفِ مَحَبَّةِ الرَّبِّ
لِعَبْدِهِ . وَالَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْعَارِفُونَ: أَنَّهُ يُحِبُّهُمْ ، وَأَنَّهُمْ
يُحِبُّونَهُ ، عَلَى إِثْبَاتِ الطَّرَفَيْنِ ، وَأَنَّ مَحَبَّةَ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ فَوْقَ
كُلِّ مَحَبَّةٍ تُقَدَّرُ . وَلَا نِسْبَةَ لِسَائِرِ الْمَحَابِّ إِلَيْهَا . وَهِيَ
حَقِيقَةُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَكَذَلِكَ عِنْدَهُمْ مَحَبَّةُ الرَّبِّ
لَأَوْلِيَائِهِ وَرُسُلِهِ: صِفَةُ زَائِدَةٌ عَلَى رَحْمَتِهِ ، وَإِحْسَانِهِ
وَعَطَائِهِ . فَإِنَّ ذَلِكَ أَثَرُ الْمَحَبَّةِ وَمُوجِبُهَا . فَإِنَّهُ لَمَّا أَحَبَّهُمْ
كَانَ نَصِيبُهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَإِحْسَانِهِ وَبِرِّهِ أَتَمَّ نَصِيبٍ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي
يُحِبِّكُمْ اللَّهُ﴾ وَهِيَ تُسَمَّى آيَةَ الْمَحَبَّةِ .

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وَغَيْرُهُ مِنْ
السَّلَفِ: ادَّعَى قَوْمٌ مَحَبَّةَ اللَّهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الْمَحَبَّةِ
﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمْ اللَّهُ﴾ . وَقَالَ:
«يُحِبِّكُمْ» إِشَارَةٌ إِلَى دَلِيلِ الْمَحَبَّةِ وَثَمَرَتِهَا ، وَفَائِدَتِهَا .
فَدَلِيلُهَا وَعَلَامَتُهَا: اتِّبَاعُ الرَّسُولِ . وَفَائِدَتُهَا وَثَمَرَتُهَا:
مَحَبَّةُ الْمُرْسَلِ لَكُمْ . فَهَلَمْ تَحْصُلِ الْمُتَابَعَةُ فَلَيْسَتْ مُحِبَّتُكُمْ
لَهُ حَاصِلَةً وَمَحَبَّتُهُ لَكُمْ مُتَتَّبِعَةً .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ
عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا
يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ (المائدة/ ٥٤) .

فَقَدْ ذَكَرَ أَرْبَعَ عِلَامَاتٍ:

الشَّخْصِ وَمَقَامِهِ وَحَالِهِ ، وَمِلْكِهِ لِلْعِبَارَةِ .

الْأَسْبَابُ الْجَالِبَةُ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ وَالْمَوْجِبَةُ لَهَا:
وَهِيَ عَشْرَةٌ:

أَحَدُهَا: قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ وَالتَّفَهُّمِ لِمَعَانِيهِ وَمَا
أُرِيدَ بِهِ .

الثَّانِي: التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ بِالنَّوَافِلِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ .
فَإِنَّهَا تُوَصِّلُهُ إِلَى دَرَجَةِ الْمَحْبُوبِيَّةِ بَعْدَ الْمَحَبَّةِ .

الثَّالِثُ: دَوَامُ ذِكْرِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ: بِاللِّسَانِ
وَالْقَلْبِ ، وَالْعَمَلِ وَالْحَالِ . فَنَصِيبُهُ مِنَ الْمَحَبَّةِ عَلَى قَدْرِ
نَصِيبِهِ مِنْ هَذَا الذِّكْرِ .

الرَّابِعُ: إِثَارُ مَحَابِّهِ عَلَى مَحَابِّكَ عِنْدَ غَلَبَاتِ
الْهَوَى .

الخَامِسُ: مُطَالَعَةُ الْقَلْبِ لِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ ،
وَمُشَاهَدَتِهَا وَمَعْرِفَتِهَا . وَتَقْلُبُهُ فِي رِيَاضِ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ
وَمَبَادِيهَا . فَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ:
أَحَبَّهُ لَا مَحَالَةَ .

السَّادِسُ: مُشَاهَدَةُ بِرِّهِ وَإِحْسَانِهِ وَآلَائِهِ ،
وَنِعْمِهِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ . فَإِنَّهَا دَاعِيَةٌ إِلَى مَحَبَّتِهِ .

السَّابِعُ: وَهُوَ مِنْ أَعْجَبِهَا، انْكِسَارُ الْقَلْبِ
بِكُلِّيَّتِهِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى . وَلَيْسَ فِي التَّعْبِيرِ عَنْ هَذَا
الْمَعْنَى غَيْرُ الْأَسْمَاءِ وَالْعِبَارَاتِ .

الثَّامِنُ: الْخُلُوعُ بِهِ وَقْتَ النُّزُولِ الْإِلَهِيِّ ، لِمُنَاجَاتِهِ
وَتِلَاوَةِ كَلَامِهِ ، وَالْوُقُوفُ بِالْقَلْبِ وَالتَّأَدُّبُ بِأَدَبِ
الْعُبُودِيَّةِ بَيْنَ يَدَيْهِ . ثُمَّ خَتَمَ ذَلِكَ بِالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ .

التَّاسِعُ: مُجَالَسَةُ الْمُحِبِّينَ الصَّادِقِينَ ، وَالتَّقَاطُ
أَطْيَبِ ثَمَرَاتِ كَلَامِهِمْ كَمَا تُتَقَى أَطْيَبُ الثَّمَرِ . وَلَا

الأولى والثانية: أَنَّهُمْ: أَذَلَّةٌ، أَعِزَّةٌ. قِيلَ: مَعْنَاهُ: أَرْقَاءَ رَحْمَاءَ مُشْفِقِينَ عَلَيْهِمْ. عَاطِفِينَ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا ضَمَّنَ «أَذَلَّةً» هَذَا الْمَعْنَى عَدَّاهُ بِأَدَاةِ «عَلَى» قَالَ عَطَاءٌ: لِلْمُؤْمِنِينَ كَالْوَلَدِ لِوَالِدِهِ، وَالْعَبْدِ لِسَيِّدِهِ، وَعَلَى الْكَافِرِينَ كَالْأَسَدِ عَلَى فَرَسِيَّتِهِ ﴿أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.

العلامة الثالثة: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِالنَّفْسِ وَالْيَدِ، وَاللِّسَانِ وَالْمَالِ، وَذَلِكَ تَحْقِيقُ دَعْوَى الْمَحَبَّةِ.

العلامة الرابعة: أَنَّهُمْ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ. وَهَذَا عَلَامَةٌ صِحَّةِ الْمَحَبَّةِ، فَكُلُّ مُحِبٍّ يَأْخُذُهُ اللَّوْمُ عَنْ مَحَبُّوبِهِ فَلَيْسَ بِمُحِبٍّ عَلَى الْحَقِيقَةِ. وَالْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ مَمْلُوءَانِ بِذِكْرِ مَنْ يُحِبُّهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ. وَذَكَرَ مَا يُحِبُّهُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران/١٤٦)، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران/١٣٤، ١٤٨). فَلَوْ بَطَلَتْ مَسْأَلَةُ الْمَحَبَّةِ لَبَطَلَتْ جَمِيعُ مَقَامَاتِ الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ. وَلَتَعَطَّلَتْ مَنَازِلُ السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ. فَإِنَّهَا رُوحُ كُلِّ مَقَامٍ وَمَنْزِلَةٍ وَعَمَلٍ. فَإِذَا خَلَا مِنْهَا فَهُوَ مَيِّتٌ لَا رُوحَ فِيهِ. وَنَسَبْتُهَا إِلَى الْأَعْمَالِ كَنِسْبَةِ الْإِخْلَاصِ إِلَيْهَا. بَلْ هِيَ حَقِيقَةُ الْإِخْلَاصِ، بَلْ هِيَ نَفْسُ الْإِسْلَامِ. فَإِنَّهُ الْإِسْتِسْلَامُ بِالذُّلِّ وَالْحُبِّ وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ. فَمَنْ لَا مَحَبَّةَ لَهُ لَا إِسْلَامَ لَهُ الْبَتَّةَ. بَلْ هِيَ حَقِيقَةُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَإِنَّ «الْإِلَهَ» هُوَ الَّذِي يَأْلَهُهُ الْعِبَادُ حُبًّا وَذُلًّا، وَخَوْفًا وَرَجَاءً، وَتَعْظِيمًا وَطَاعَةً لَهُ،

بِمَعْنَى «مَأْلُوهُ» وَهُوَ الَّذِي تَأْلَهُهُ الْقُلُوبُ. أَيْ تُحِبُّهُ وَتَذِلُّ لَهُ^(١).

فضيلة المحبة ومنزلتها:

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ — رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى —: هِيَ الْمَنْزِلَةُ الَّتِي فِيهَا تَنَافَسَ الْمُتَنَافِسُونَ. وَإِلَيْهَا شَخَصَ الْعَامِلُونَ. وَإِلَى عِلْمِهَا شَمَّرَ السَّابِقُونَ. وَعَلَيْهَا تَفَانَى الْمُحِبُّونَ. وَبِرُوحِ نَسِيمِهَا تَرَوَّحَ الْعَابِدُونَ. فِيهِ قُوَّةُ الْقُلُوبِ، وَغِذَاءُ الْأَرْوَاحِ. وَقُرَّةُ الْعُيُونِ. وَهِيَ الْحَيَاةُ الَّتِي مَنْ حَرَمَهَا فَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمْوَاتِ. وَالنُّورُ الَّذِي مَنْ فَقَدَهُ فَهُوَ فِي بَحَارِ الظُّلُمَاتِ. وَالشِّفَاءُ الَّذِي مَنْ عَدِمَهُ حَلَّتْ بِقَلْبِهِ جَمِيعُ الْأَسْقَامِ. وَاللَّذَّةُ الَّتِي مَنْ لَمْ يَطْفَرْ بِهَا فَعَيْشُهُ كُلُّهُ هُمُومٌ وَآلَامٌ^(٢).

قَالَ أَبُو عُثْمَانَ الْجَا حِظُّ: يَنْبَغِي لِمُحِبِّ الْكَمَالِ أَنْ يُعَوِّدَ نَفْسَهُ مَحَبَّةَ النَّاسِ، وَالتَّوَدُّدَ إِلَيْهِمْ، وَالتَّحَنُّنَ عَلَيْهِمْ، وَالرَّفَافَةَ وَالرَّحْمَةَ لَهُمْ، فَإِنَّ النَّاسَ قَبِيلٌ وَاحِدٌ مُتَنَاسِبُونَ تَجْمَعُهُمُ الْإِنْسَانِيَّةُ، وَحِلْيَةُ الْقُوَّةِ الْإِلَهِيَّةُ هِيَ فِي جَمِيعِهِمْ، وَفِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَهِيَ قُوَّةُ الْعَقْلِ، وَبِهَذِهِ النَّفْسِ صَارَ الْإِنْسَانُ إِنْسَانًا. وَإِذَا كَانَتْ نَفُوسُ النَّاسِ وَاحِدَةً، وَالْمَوَدَّةُ إِنَّمَا تَكُونُ بِالنَّفْسِ، فَوَاجِبٌ أَنْ يَكُونُوا كُلُّهُمْ مُتَحَابِّينَ مُتَوَادِّينَ، وَذَلِكَ فِي النَّاسِ طَبِيعَةٌ، لَوْ لَمْ تَقْدُهُمُ الْأَهْوَاءُ الَّتِي تُحِبُّ لِصَاحِبِهَا التَّرُّوسَ فَتَقُودُهُ إِلَى الْكِبَرِ وَالْإِعْجَابِ وَالتَّسَلُّطِ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِ، وَاسْتِصْغَارِ الْفَقِيرِ وَحَسَدِ الْغَنِيِّ وَبُغْضِ ذِي الْفَضْلِ، فَتُسَبِّبُ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤٣٦) مختصرًا. وانظر بصائر ذوي

(٢) المرجع السابق، نفس الموضع.

العداوات، وتتأكد البغضاء بينهم.

فإذا ضبط الإنسان نفسه الغضبيّة، وانقاد
لنفسه العاقلة، صار الناس كلهم له إخواناً وأحباباً،
وإذا عمل الإنسان فكره رأى أن ذلك واجب، لأن
الناس إما أن يكونوا فضلاء أو نقصاء، فالفضلاء
يجب عليهم محبتهم لموضع فضلهم، والنقصاء يجب
عليهم رحتهم لأجل نقصهم فيحق لمحب الكمال أن
يكون رحيماً لجميع الناس، متحنناً عليهم رؤوفاً بهم،
وبخاصّة الملك والرئيس، فإن الملك ليس يكون ملكاً
مالم يكن محباً لرعيته رؤوفاً بهم، وذلك أن الملك
ورعيته بمنزلة رب الدار وأهل داره، وما أقبح رب
الدار أن يبغيض أهل داره، فلا يتحنن عليهم، ولا
يجب مصالحتهم^(١).

وقال الراغب: المحبة والعدل من أسباب نظام
أمر الناس، ولو تحاب الناس، وتعاملوا بالمحبة
لاستغنوا بها عن العدل، فقد قيل: العدل خليفة
المحبة يستعمل حيث لا توجد المحبة، ولذلك عظم
الله تعالى المنّة بإيقاع المحبة بين أهل الملّة، فقال عز من

قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ
الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ أي محبة في القلوب، تنبئها على أن ذلك
أجلب للعقائد، وهي أفضل من المهابة لأن المهابة
تنفر، والمحبة تؤلف، وقد قيل: طاعة المحبة أفضل من
طاعة الرهبة، لأن طاعة المحبة من داخل، وطاعة
الرهبة من خارج، وهي تزول بزوال سببها، وكل قوم
إذا تحابوا تواصلوا وإذا تواصلوا تعاونوا، وإذا تعاونوا
عملوا، وإذا عملوا عمروا، وإذا عمروا عبثوا وبورك
لهم^(٢).

[للاستزادة: انظر صفات: الاتباع - الإخاء -
التعارف - الحنان - الألفة - الرأفة - الرحمة - الرفق -
العطف - بر الوالدين - حسن العشرة - حسن المعاملة -
الإيثار - صلة الرحم - المواساة - تفريج الكربات -
المعاقبة.
وفي ضد ذلك: انظر صفات: البغض - الجفاء -
القسوة - الهجر - الإساءة - الإعراض - العنف - الأثرة -
الجحود - العبوس - عقوق الوالدين - البذاءة].

الآيات الواردة في « المحبة »

آيات محبة الله منها لموسى (ﷺ) وهى رمز

محبه لانبياؤه:

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
وَالْكُظُمِينَ الْفَيْظِ وَالْعَافِينَ
عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ^(٣)

١- قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى^(٣٦)

وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى^(٣٧)

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أَمِّكَ مَا يُوحَى^(٣٨)

أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ

بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ

عَلَيْكَ مُحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي^(٣٩)

إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ

عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا

وَلَا تَحْزَنَ وَقُلْتُ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ

وَفَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ

ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمُوسَى^(٤٠)

٤- فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا
قُلُوبَهُمْ قَلَسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ
عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ
وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ^(٤١)

٥- لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا ءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ^(٤٢)

آيات محبة الله فيها للمحسنين:

آيات محبة الله فيها للمتقين:

٢- وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمُ إِلَى التَّهْلُكَةِ

وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ^(٢)

٣- وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ

عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ

لِلْمُتَّقِينَ^(٣)

٦- وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنُ إِذَا تَأَمَّنَهُ بِقِنْطَارٍ
يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنُ إِذَا تَأَمَّنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ
إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ فَإِيمًا ذَلِكَ بَانَهُمْ قَالُوا
لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ
عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ^(٤)

بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾^(١)

١٠ - وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ

مِّنَ الْأَمْرِ لَعِنْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ

وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ

وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧٧﴾

فَضَلَّاهُم مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٧٨﴾

وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا

بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا

الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ

فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ

يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٧٩﴾^(٥)

٧ - وَأَذِّنْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ

الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ

فَإِنْ بُيِّتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا

أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا

بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨٠﴾

إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ

يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا

فَاتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُتَّقِينَ ﴿٨١﴾^(٢)

١١ - لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ

وَلَمْ يَخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨٢﴾

إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ

وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ

أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٨٣﴾^(٦)

٨ - كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ

اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ

عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ^(٣)

فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٨٤﴾^(٧)

آيات محبة الله فيها للمقسطين :

آيات محبة الله فيها للمتطهرين :

٩ - سَتَعْلَمُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلسَّخَةِ

فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ

وَإِنْ تَعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا

وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ^(٤)

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨٥﴾

١٢ - وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ

فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ

حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ

أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ

وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٣٣﴾

نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ
وَقَدِّمُوا لِنَفْسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا
أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٣﴾^(١)

١٦- سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ

مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾

كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا

مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ

صَفًا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصٍ ﴿٤﴾^(٥)

آيات محبة الله فيها للصابرين:

١٧- وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا

وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا

وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٦٦﴾

وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا

ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا

وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٦٧﴾

فَإِنَّهُمْ لِلَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَحُسْنُ ثَوَابِ الْآخِرَةِ

وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٨﴾^(٦)

١٣- وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا

وَتَفَرِّقَابَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ

حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلِيَحْلِفُنَ إِنْ أَرَدْنَا

إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾

لَا نَقُصُّ فِيهِ أَبَدًا الْمَسْجِدَ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ

مِنْ أَوَّلٍ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ

يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ حُرَمًا

وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّخِذِينَ ﴿١٠٨﴾^(٢)

آيات محبة الله فيها ثمرة اتباع الرسل

والثبات على الإيمان والجهاد:

١٤- قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ

لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾^(٣)

١٥- يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ

يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

آيات محبة الله فيها ادعاء مجرد:

١٨ - وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ^(١)

آيات الحب فيها لله ولمغفرته والإيمان به:

١٩ - وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ^(١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ^(١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ لَسَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي حَبَشٍ أَوْ فِي عِلِّيِّينَ وَمَا لَهُمْ فِيهِمْ مِنْ حَافِظٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ ^(١٦٧) ^(٢)

٢٠ - وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ^(٣)

آيات الحب فيها للمال والجاه:

٢١ - * لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ^(٤)

٢٢ - زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ^(٥)

٢٣ - لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ^(٦)

٢٤ - وَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ^(٣٠) إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ الصَّافِئَاتُ الْجِيَادُ ^(٣١)

(٥) آل عمران : ١٤ مدنية

(٦) آل عمران : ٩٢ مدنية

(٣) النور : ٢٢ مدنية

(٤) البقرة : ١٧٧ مدنية

(١) المائدة : ١٨ مدنية

(٢) البقرة : ١٦٥ - ١٦٧ مدنية

فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي

حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾

رُدُّوْهَا عَلَى فُطُفِقٍ مَّسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾^(١)

وَلَا تَخْضُوتَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾

وَتَأْكُلُوا ثَرَاتِ أَكْلًا لَّمَّا ﴿١٩﴾

وَتُحِبُّوا الْمَالَ حُبَّاجِمًا ﴿٢٠﴾^(٥)

٢٥- كَلَّابِلٌ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٥﴾

وَيَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢٦﴾^(٢)

٢٩- إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾

وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾

وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾^(٦)

٢٦- إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا

كَافُورًا ﴿٥﴾

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾

يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾

وَيُطْعَمُونَ السَّعْيَاءُ عَلَىٰ حَبِّ مَسْكِينَةٍ وَيَتِيمًا وَاسِيرًا ﴿٨﴾^(٣)

آيات الحب من الإنسان لغيره:

٣٠- يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ

مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ

صُدُّوهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ

إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾

هَٰئِنتُمْ أَزْوَاجًا تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ

بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا الْقُوكُمُ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا

عَصَوْا عَلَيْكُمْ أَلَا نَمْلِكُ مِنَ الْغَيْظِ قُلُومًا

بَغِيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾^(٧)

٢٧- فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾

وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾

إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ

يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾^(٤)

٣١- ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾

ءَايَاتٌ لِّلسَّالِقِينَ ﴿٧﴾

إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا

وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾

اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ

أَيْكُمُ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾

٢٨- فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ

رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾

وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ

رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾

كَلَّا بَلْ لَّا تُكْرَمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾

(٦) العاديات : ٦ - ٨ مكية

(٧) آل عمران : ١١٨ - ١١٩ مدنية

(٤) الإنسان : ٢٤ - ٢٧ مكية

(٥) الفجر : ١٥ - ٢٠ مكية

(١) ص : ٣٠ - ٣٣ مكية

(٢) القيامة : ٢٠ - ٢١ مكية

(٣) الإنسان : ٥ - ٨ مكية

قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقُوَّةُ فِي غَيْبَتِ
الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ
فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾^(١)

٣٢ - إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾^(٢)

٣٣ - لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ
وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾
وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ
مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ
حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾^(٣)

آيات الحب للنصر:

٣٤ - كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى
أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى
أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾

٣٥ - وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ

إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ
وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ
مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ
الذُّنُوبَ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ
ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ
عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾^(٥)

٣٦ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجْرَمٍ تُشِجِكُمْ

مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٥٣﴾
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ
وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾
يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ
ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾
وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾^(٦)

آيات الحب لما يرضي الله:

٣٧ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا أِبَاءَكُمْ
وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ
عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣﴾

(٥) آل عمران : ١٥٢ مدنية

(٦) الصف : ١٠ - ١٣ مدنية

(٣) الحشر : ٨ - ٩ مدنية

(٤) البقرة : ٢١٦ مدنية

(١) يوسف : ٧ - ١٠ مكية

(٢) القصص : ٥٦ مكية

قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ
وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا
وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا
أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ
فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۚ وَاللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾^(١)

٣٨- وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ
فَتُهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا
فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٥﴾
فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ
مُتْكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ
عَلَيْهِنَّ فَلَمَّارَاتُهُنَّ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ
لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ
عَنْ نَفْسِهِ ۖ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا آَمُرُهُ
لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٢٢﴾
قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ
وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ
مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٢٣﴾
فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٤﴾^(٢)

الحب لمجرد الشهرة:

٣٩- لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَاوَا وَيُحِبُّونَ
أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ
بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾^(٣)

الأحاديث الواردة في «المحبة»

يَكُونُونَ بَعْدِي ، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَأَى ، بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ»^(٦) .

٦ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصٌ^(٧) وَأَقْرَعٌ وَأَعْمَى . فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ^(٨) . فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا . فَأَتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْ نُحَسِّنُ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ . قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ. وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا. قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ (أَوْ قَالَ الْبَقَرُ) . شَكَّ (إِسْحَاقُ) - إِلَّا أَنَّ الْأَبْرَصَ أَوْ الْأَقْرَعَ ، قَالَ أَحَدُهُمَا: الْإِبِلُ . وَقَالَ الْآخَرُ: الْبَقَرُ - قَالَ فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُسْرَاءً^(٩) . قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا . قَالَ: فَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَذَرَنِي النَّاسُ . قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا. قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ. فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا . فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا . قَالَ: فَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

١ - * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: «آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ»^(١) .

٢ - * (عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ . فَقَالَ: «اسْتَعِدَّ لِلْفَاقَةِ»^(٢) .

٣ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ ، كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا. وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ . كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ»^(٣) .

٤ - * (عَنْ عَمْرٍو بْنِ الْحَمِقِ الْخَزَاعِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا عَسَلَهُ»^(٤) ، فَقِيلَ: وَمَا عَسَلُهُ؟ . قَالَ: «يُوفَّقُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا بَيْنَ يَدَيْ أَجَلِهِ ، حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ جِيرَانُهُ» - أَوْ قَالَ - «مَنْ حَوْلَهُ»^(٥) .

٥ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَشَدَّ أُمْتِي لِي حُبًّا، نَاسٌ

(٥) أحمد (٤/ ٢٠٠) عن أبي عتبة عن سريج. وابن حبان في الموارد (١٨٢٢). والحاكم (١/ ٣٤٠) واللفظ له. وصححه ووافقه الذهبي.

(٦) مسلم (٢٨٣٢).

(٧) أبرص: البرص بياض يظهر في ظاهر البدن ، لفساد مزاج . برص ، كفرح ، فهو أبرص . وأبرصه الله .

(٨) يبتليهم: أي يختبرهم .

(٩) ناقة عسراء: هي الحامل القريبة الولادة .

(١) البخاري - الفتح ٧ (٣٧٨٤) واللفظ له. ومسلم (٧٥).

(٢) الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٧٤) وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

(٣) البخاري - الفتح ٣ (١١٣١). ومسلم (١١٥٩) واللفظ له.

(٤) عسله: العسل: طيب الثناء، مأخوذ من العسل، يقال: عَسَلَ الطعام يَعْسِلُهُ: إِذَا جَعَلَ فِيهِ الْعَسْلَ. شَبَّهَ مَا رَزَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي طَابَ بِهِ ذِكْرُهُ بَيْنَ قَوْمِهِ بِالْعَسَلِ الَّذِي يُجْعَلُ فِي الطَّعَامِ فَيَحْلُولِي بِهِ وَيُطِيبُ.

قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ . قَالَ :
فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصْرَهُ . قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ
إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ . فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا^(١) . فَأَنْتَجَ
هَذَانِ ، وَوُلِدَ هَذَا^(٢) . قَالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ .
وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ . وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ . قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ
أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ . فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ .
قَدْ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ^(٣) فِي سَفَرِي . فَلَا بَلَاعَ لِي الْيَوْمَ
إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ . أَسْأَلُكَ ، بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ
الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ ، بَعِيرًا أَتَبْلَغُ عَلَيْهِ فِي
سَفَرِي . فَقَالَ: الْحَقُّوْكَ كَثِيرَةٌ . فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ .
أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَفْذُرُكَ النَّاسُ ؟ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ ؟
فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ^(٤) . فَقَالَ: إِنْ
كُنْتَ كَاذِبًا ، فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ . قَالَ وَأَتَى الْأَقْرَعَ
فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا . وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا
رَدَّ عَلَى هَذَا . فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا
كُنْتَ . قَالَ: وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ . فَقَالَ:
رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ . انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي
سَفَرِي . فَلَا بَلَاعَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ . أَسْأَلُكَ،

بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ ، شَاةً أَتَبْلَغُ بِهَا فِي سَفَرِي .
فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي . فَخُذْ مَا
شِئْتَ . وَدَعْ مَا شِئْتَ . فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ^(٥) شَيْئًا
أَخَذْتَهُ اللَّهُ . فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ . فَإِنَّمَا ابْتَلَيْتُمْ . فَقَدْ
رَضِيَ عَنْكَ وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ^(٦) .

٧ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ
النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخَاهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى .
فَأَرْصَدَ^(٧) اللَّهُ لَهُ ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ^(٨) مَلَكًا . فَلَمَّا أَتَى
عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخَا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ .
قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا^(٩) ؟ قَالَ: لَا . غَيْرَ
أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - . قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ
اللَّهِ إِلَيْكَ ، بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتُهُ فِيهِ^(١٠) .

٨ - * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟
قَالَ: « مَا أَعَدَدْتُ لَهَا ؟ » . قَالَ: مَا أَعَدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ
صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
. قَالَ: « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ »^(١١) .

٩ - * (عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

(١) شاة والدأ: أي وضعت ولدها ، وهو معها .

(٢) فأنج هذان وولد هذا: هكذا الرواية: فأنج ، رباعي وهي
لغة قليلة الاستعمال . والمشهور نتج ، ثلاثي . وممن حكى
اللغتين الأخفش . ومعناه تولى الولادة ، وهي النتج
والإنتاج . ومعنى ولد هذا ، بتشديد اللام ، معنى أنتج .
والنتاج للإبل ، والمولد للغنم وغيرها ، هو كالتقابلة للنساء .

(٣) انقطعت بي الحبال: هي الأسباب . وقيل: الطرق .

(٤) إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر: أي ورثته من آبائي
الذين ورثوه من آبائهم ، كبيرًا عن كبير ، في العز والشرف
والثروة .

(٥) لا أجهدك: معناه لا أشق عليك برد شيء تأخذه .

(٦) البخاري - الفتح ٦ (٣٤٦٤) . ومسلم (٢٩٦٤) واللفظ له .

(٧) فأرصد: أي أقعده يرقبه .

(٨) على مدرجته: المدرجة هي الطريق . سميت بذلك لأن
الناس يدرجون عليها . أي يمضون ويمشون .

(٩) تربها: أي تقوم بإصلاحها ، وتنهض إليه بسبب ذلك .

(١٠) مسلم (٢٥٦٧)

(١١) البخاري - الفتح ١٠ (٦١٧١) واللفظ له . ومسلم
(٢٦٣٩) .

بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ
مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ^(٥)
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ لَنْ تَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ بِشَيْءٍ
أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ خَرَجَ مِنْهُ» يَعْنِي الْقُرْآنَ^(٦) *.

١٣ - * (عَنْ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَّازِ^(٧) ،
فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : «إِنَّ
اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - حَيٌّ سِتِيرٌ ، يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسِّرَّ ، فَإِذَا
اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتِرْ»^(٨) *.

١٤ - * (عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَادَهُ ، وَأَنَّ أَبَا ذَرٍّ عَادَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ،
فَقَالَ: يَا أَبَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ الْكَلَامِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟
فَقَالَ: «مَا اصْطَفَاهُ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ ، سُبْحَانَ رَبِّي
وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ رَبِّي وَبِحَمْدِهِ»^(٩) *.

١٥ - * (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -
قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: «إِنَّ فِيكَ
لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاءُ»^(١٠) *.

١٦ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ

أَنَّ رَجُلًا كَانَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ ، كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ
وَكَانَ يُلقَّبُ حِمَارًا ، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَكَانَ
النَّبِيُّ ﷺ ، قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ
فَجُلِدَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنَّهُ ، مَا أَكْثَرَ مَا
يُؤْتَى بِهِ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَلْعَنُوهُ ، فَوَاللَّهِ مَا
عَلِمْتُ^(١) أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»^(٢) *.

١٠ - * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ
رَجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ
اللَّهِ ، إِنِّي لِأُحِبُّ هَذَا ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَعْلَمْتَهُ؟»
قَالَ: لَا ، قَالَ: «أَعْلَمْتَهُ» فَلَحِقَهُ ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي
اللَّهِ. قَالَ: «أَحَبَّكَ اللَّهُ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ»^(٣) *.

١١ - * (عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ
السَّلَاسِلِ ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ النَّاسِ
أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ» . قَالَ: مِنْ الرِّجَالِ؟
قَالَ: «أَبُوهَا»^(٤) *.

١٢ - * (عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ - قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَلَا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) يحتمل أن تكون (ما) موصولة وعلم بمعنى عرف وجملة إنه
يجب الخ خبر الموصول والتقدير: الذي علمته أنه يحب الله
ورسوله ، ويحتمل أن تكون زائدة والتقدير: فوالله علمت
أنه الخ وجملة أن واسمها وخبرها سدت مسد معمولي
(علم).

(٢) البخاري - الفتح ١٢ (٦٧٨٠).

(٣) أبوداود (٥١٢٥) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود
(٩٦٥/٣).

(٤) الترمذي (٣٨٨٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح.
وقال محقق جامع الأصول (٩/١٣٥): هو حديث صحيح

(٥) فصلت: ٤١ - ٤٢.

(٦) الحاكم في المستدرک (٤٤١/٢) وقال: هذا حديث صحيح
الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي

(٧) بالبراز: بالخلاء.

(٨) أحمد (٢٢٤/٤) . والنسائي (٢٠٠/١) واللفظ له . وأبوداود

(٤٠١٢) وقال الألباني (٧٥٨) صحيح.

(٩) الترمذي (٣٥٩٣) واللفظ له . والحاكم (٥٠١/١)
وصححه ووافقه الذهبي.

(١٠) مسلم (١٧).

فَرِيْشًا أَهْمَهُمْ شَأْنُ الْمَخْزُومِيَّةِ ، فَقَالُوا: «مَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» * (١).

١٧ - * (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - لِيَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُ ، كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمْ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَخَافُونَ عَلَيْهِ» * (٢).

١٨ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ . قَالَ: فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ . ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ . فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ . قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ . وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أَبْغَضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ . قَالَ: فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيلُ . ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ . قَالَ: فَيَبْغِضُونَهُ . ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ» * (٣).

١٩ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ . وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ . وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ

بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لأَعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَ بِي لأُعِيذَنَّهُ . وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» * (٤).

٢٠ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ» * (٥).

٢١ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعُطَّاسَ ، وَيَكْرَهُ التَّائِبَ ، إِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَحَقَّقَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُشَمِّتَهُ . وَأَمَّا التَّائِبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَلْيُرَدِّهِ مَا اسْتَطَاعَ ، فَإِذَا قَالَ: هَاءُ (٦) ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ» * (٧).

٢٢ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيُّنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي (٨) الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي . يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي» * (٩).

٢٣ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

جامع الأصول (١٠/٦٥٨): إسناده حسن.

(٦) فإذا قال: هاء: أي تثائب ، وهاء اسم للصوت الذي يصدر من الإنسان في تلك الحال.

(٧) البخاري - الفتح ١٠ (٦٢٢٣) واللفظ له. ومسلم (٢٩٩٤).

(٨) بجلالي: أي بعظمتي وطاعتي ، لا للدنيا .

(٩) مسلم (٢٥٦٦).

(١) البخاري - الفتح ٧ (٣٧٣٢).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک: (٤/٢٠٨) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) البخاري - الفتح ١٣ (٧٤٨٥) إلى قوله في الأرض. ومسلم (٢٦٣٧) واللفظ له.

(٤) البخاري - الفتح ١١ (٦٥٠٢).

(٥) الترمذي (٢٨١٩) وقال: هذا حديث حسن. وقال محقق

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا - مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدَةً»^(١) - لَا يُحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ^(٢)، وَهُوَ وَثَرٌ يُحِبُّ الْوَتَرَ»^(٣).

٢٤ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ رَجُلًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ مِنْ غَيْرِ مَالٍ أَعْطَاهُ، فَذَلِكَ الْإِيمَانُ»^(٤)).

٢٥ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِ فَيَخْتِمُ بِ«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟». فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ»^(٥)).

٢٦ - * (عَنِ الْبَرَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَوْ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يَبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ. فَمَنْ أَحَبَّهُمْ

أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ»^(٦)).

٢٧ - * (عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ»^(٧)).

٢٨ - * (عَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ هُنَّ حَقٌّ، لَا يَجْعَلُ اللَّهُ مَنْ لَهُ سَهْمٌ فِي الْإِسْلَامِ كَمَنْ لَا سَهْمَ لَهُ، وَلَا يَتَوَلَّى اللَّهُ عَبْدًا فَيُؤَلِّيَهُ غَيْرَهُ»^(٨). وَلَا يُحِبُّ رَجُلٌ قَوْمًا إِلَّا حُسْرًا مَعَهُمْ»^(٩)).

٢٩ - * (عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَ أَغْرَابِيٌّ جَهْوَريُّ الصَّوْتِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»^(١٠)).

٣٠ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ

(١) إلا واحدة: كذا ورد، وهو لا يجوز في العربية، وجاءت رواية إلا واحدًا، بالتذكير، وهو الصواب، وخرج التائيت على إرادة التسمية لا الاسم، وقيل: بل المراد بالاسم الصفة.

(٢) لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة: أي يقر بها ويخضع لها، ومن حفظها عبدًا ولم يعمل بها كان كمن حفظ القرآن ولم يعمل بما فيه، وقيل: المراد العمل بها والتعقل بمعاني الأسماء والإيمان بها.

(٣) البخاري - الفتح ١١ (٦٤١٠) واللفظ له. ومسلم (٢٦٧٧). والوتر: بفتح الواو وكسرهما: الفرد، ومعناه في حق الله أنه الواحد الذي لا نظير له في ذاته.

(٤) المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٦) واللفظ له وقال: رواه الطبراني في الأوسط. وقال الهيثمي (١٠/ ٢٧٤): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

(٥) البخاري - الفتح ١٣ (٧٣٧٥) واللفظ له. ومسلم (٨١٣).

(٦) البخاري - الفتح ٧ (٣٧٨٣) واللفظ له. ومسلم (٧٤).

(٧) البخاري - الفتح ١ (٢١) واللفظ له. ومسلم (٤٣).

(٨) أي إن العبد إذا جعل الله وليه فإن الله لا يتخلى عنه.

(٩) المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٧، ٢٨) واللفظ له وقال: رواه الطبراني في الصغير (٢/ ١١٤ برقم ٨٧٤) بإسناد جيد. وقال الهيثمي (١٠/ ٢٨٠): رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن ميمون الخياط وقد وثق.

(١٠) الترمذي (٢٣٨٧) واللفظ له، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وقال محقق جامع الأصول (٦/ ٥٥٨): إسناده حسن. وعند البخاري ومسلم (٢٦٤٠، ٢٦٤١) من حديث عبد الله بن مسعود وحديث: أبي موسى بدون ذكر الأعرابي.

(١) البخاري - الفتح ١٠ (٦١٦٩) واللفظ له. ومسلم (٢٦٤٠).

عَنْهُ - جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» * (١).

٣١ - * (عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَهَمَّتْهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ. قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ لَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ» * (٢).

٣٢ - * (عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ، فَإِذَا فَتَى بَرَّاقُ الثَّنَائِيَا (٣) وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ، فَإِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ، أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ، وَصَدَرُوا عَنْ رَأْيِهِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِيلَ: هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ، هَجَرْتُ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهْجِيرِ، وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، قَالَ: فَاَنْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ، ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: وَاللَّهِ إِنَّنِي لِأُحِبُّكَ اللَّهُ، فَقَالَ: اللَّهُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ، فَأَخَذَنِي بِحَبْوَةِ رِدَائِي، فَجَبَذَنِي إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَبْشِرْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ

اللَّهُ تَعَالَى: وَجَبَتْ مُحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ» (٤) * (٥).

٣٣ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّهَا قَالَتْ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» * (٦).

٣٤ - * (عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا». قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» * (٧).

٣٥ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ» * (٨).

٣٦ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا

مراجع رياض الصالحين (١/١٥٦): إسناده صحيح واللفظ له. وصححه ابن حبان (٥/٥٧٥)، والحاكم في المستدرک (٤/١٦٩) ووافقه الذهبي.

(٦) البخاري - الفتح ١ (٤٣). ومسلم (٧٨٢) واللفظ له.

(٧) البخاري - الفتح ١ (٥٢٧) واللفظ له. ومسلم (٨٥).

(٨) البخاري - الفتح ٣ (١٤٢٣) واللفظ له. ومسلم (١٠٣١).

(١) البخاري - الفتح ١٠ (٦١٦٩) واللفظ له. ومسلم (٢٦٤٠).

(٢) البخاري - الفتح ١٠ (٦٠٢٤) واللفظ له. ومسلم (٢١٦٣).

(٣) بَرَّاقُ الثَّنَائِيَا: أي أبيض الثغر حسنه أو كثير التبسم.

(٤) المتبَاذِلِينَ فِي: الذين يبدلون أنفسهم في مرضاة الله أو يبدل كل واحد منهم لصاحبه نفسه وماله في مهماته في جميع حالاته في الله.

(٥) رواه مالك في الموطأ بإسناد صحيح (٢/٩٥٣) وقال

الْقَدْرِ ، مَا أَقُولُ فِيهَا ؟ قَالَ : « قُولِي : اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوفٌ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي » * (٥) .

٤٠ - * (عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : كَانَ سَعْدُ ابْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فِي إِيلِهِ . فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ . فَلَمَّا رَأَاهُ سَعْدٌ ، قَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّكَبِ . فَنَزَلَ . فَقَالَ لَهُ : أَنْزَلْتَ فِي إِيْلِكَ وَغَنَمِكَ وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمَلِكَ بَيْنَهُمْ ؟ فَضَرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ فَقَالَ : اسْكُتْ . سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ ، الْغَنِيَّ ، الْخَفِيَّ » * (٦) .

٤١ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَاسْمَعْتَنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ مَا أَكْرَهُ ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَأَنَا أَبْكِي . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَاسْمَعْتَنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ » . فَخَرَجْتُ

سَمِعَ وَلَا طَاعَةَ » * (١) .

٣٧ - * (عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا الصُّبْحَ فَقَالَ : « أَشَاهِدُ فُلَانٌ ؟ » . قَالُوا : لَا ، قَالَ : « أَشَاهِدُ فُلَانٌ ؟ » . قَالُوا : لَا ، قَالَ : « إِنَّ هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ ^(٢) أَثْقَلُ الصَّلَوَاتِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَيْتُمُوهَا وَلَوْ حَبَوًا عَلَى الرُّكْبِ ، وَإِنَّ الصَّفَّ الْأَوَّلَ عَلَى مِثْلِ صَفِّ الْمَلَائِكَةِ ، وَلَوْ عَلِمْتُمْ مَا فِي فَضِيلَتِهِ لَابْتَدَرْتُمُوهُ ، وَإِنَّ صَلَاةَ الرَّجُلِ مَعَ الرَّجُلِ أَزْكَى مِنْ صَلَاتِهِ وَحْدَهُ ، وَصَلَاتُهُ مَعَ الرَّجُلَيْنِ أَزْكَى مِنْ صَلَاتِهِ مَعَ الرَّجُلِ ، وَمَا كَثُرَ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى » * (٣) .

٣٨ - * (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « قَالَ لِي جِبْرِيلُ : إِنَّهُ قَدْ حُبِّبَ إِلَيْكَ الصَّلَاةُ ، فَخُذْ مِنْهَا مَا شِئْتَ » * (٤) .

٣٩ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ

رجاله رجال الصحيح .

(٥) أحمد (١٧١ / ٦) . والترمذي (٣٥١٣) واللفظ له ، وقال : حسن صحيح . والحاكم (٥٣٠ / ١) وقال : صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي

(٦) إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي : المراد بالغنى غنى النفس . هذا هو الغنى المحبوب ، لقوله ﷺ : « وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ » . وأما الخفي ، فبالخاء المعجمة . ومعناه الخامل المنقطع إلى العبادة والاشتغال بأمور نفسه . وفي هذا الحديث حجة لمن يقول : الاعتزال أفضل من الاختلاط .

(٧) مسلم (٢٩٦٥)

(١) البخاري - الفتح ١٣ (٧١٤٤) واللفظ له . ومسلم (١٨٣٩)

(٢) يريد صلاة العشاء وصلاة الفجر كما جاء في مسند أحمد (١٤٠ / ٥) برقم (٢١٣٢٤) .

(٣) أحمد (١٤٠ / ٥) . وأبوداود (٥٥٤) واللفظ له . والحاكم (٢٤٧ / ١) وقال : حكم أئمة الحديث لهذا الحديث بالصحة . وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (١١١ / ١) : حسن

(٤) أحمد (٢٤٥ / ١) واللفظ له ، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح وهو في الجامع الصغير (٦٠٧٨) . وذكره الهيثمي في المجمع (٢٧٠ / ٢) وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير وفيه على بن يزيد وفيه كلام ، وبقيّة

مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى
الْبَابِ ، فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ ^(١) فَسَمِعْتُ أُمِّي خَشَفَ
قَدَمَيَّ ^(٢) ، فَقَالَتْ : مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ! وَسَمِعْتُ
خَضْخَضَةَ الْمَاءِ ^(٣) قَالَ : فَاغْتَسَلْتُ وَلَبِسْتُ دِرْعَهَا ،
وَعَجَلْتُ عَنْ خِمَارِهَا ، فَفَتَحَتِ الْبَابَ ثُمَّ قَالَتْ : يَا أَبَا
هُرَيْرَةَ ! أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ . قَالَ : فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا
أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ . قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَبْشِرْ قَدْ
اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ . فَحَمِدَ اللَّهُ
وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ : « خَيْرًا » . قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ادْعُ
اللَّهَ أَنْ يُحِبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُحِبِّبَهُمْ
إِلَيْنَا . قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ
هَذَا - يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ - وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ » . فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا
يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي * ^(٤) .

٤٢ - * (عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ - قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ كَأَنَّمَا عَلَى
رُءُوسِنَا الطَّيْرُ مَا يَتَكَلَّمُ مِنَّا مُتَكَلِّمٌ ، إِذْ جَاءَهُ أَنْاسٌ
فَقَالُوا : مَنْ أَحَبُّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ : « أَحْسَنُهُمْ
خُلُقًا » * ^(٥) .

٤٣ - * (عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ
قَالَ : دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ
جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ . وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ .
فَأَتَيْتُهُمْ . فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ . فَقَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فِي سَفَرٍ . فَتَزَلْنَا مَنْزِلًا . فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ . وَمِنَّا مَنْ
يَتَنَضَّلُ ^(٦) - وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ ^(٧) . إِذْ نَادَى مُنَادِي
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ . فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ فَقَالَ « إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي ، إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ
أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ ، وَيُنْذِرُهُمْ شَرًّا مَا
يَعْلَمُهُ لَهُمْ . وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا .
وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكَرُونَهَا . وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ
فَيَرِقُّ بَعْضُهَا بَعْضًا ^(٨) . وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ :
هَذِهِ مُهْلِكَتِي . ثُمَّ تَنْكَشِفُ . وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ
الْمُؤْمِنُ : هَذِهِ هَذِهِ . فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْخَرَ عَنِ النَّارِ
وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ . وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ .
وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا ، فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ وَثَمَرَةً قَلْبِهِ ، فَلْيُطْعِمْهُ
إِنْ اسْتَطَاعَ . فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عَنْقَ الْآخِرِ ،
فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ لَهُ : أَنْشُدَكَ اللَّهَ ! أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا
مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فَأَهْوَى إِلَى أُذُنِيهِ وَقَلْبِهِ بِيَدَيْهِ .

رجاله رجال الصحيح .

- (٦) ومنا من ينتضل : هو من المناضلة ، وهي المراماة بالنشاب .
(٧) في جشره : الجشهر هم القوم يخرجون بدوابهم إلى المرعى
ويبيتون مكانهم ولا يأوون إلى البيوت .
(٨) فيرقق بعضها بعضًا : أي يصير بعضها رقيقًا أي خفيفًا
لعظم ما بعده ، وقيل معناه يشبه بعضه بعضًا .

(١) مجاف : مغلق .

(٢) الخشف : أي صوتها في الأرض .

(٣) خضخضة الماء : أي صوت تحريكه .

(٤) مسلم (٢٤٩١) .

(٥) المنذري في الترغيب والترهيب (٤٠٨/٣) واللفظ له وقال
الطبراني في الكبير : ورواته محتج بهم في الصحيح ، وابن
حبان في صحيحه ، وقال الهيثمي في المجمع (٢٤/٨) :

وَقَالَ: سَمِعْتُهُ أُذْنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي. فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مُعَاوِيَةُ يَأْمُرُنَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ، وَنَقْتُلَ أَنْفُسَنَا وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء/ ٢٩). قَالَ: فَسَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «أَطِعْهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَاعْصِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ» *^(١).

٤٤ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ» *^(٢).

٤٥ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا. وَلَا تُؤْمِنُوا^(٣) حَتَّى تَحَابُّوا. أَوْ لَا أَذِلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» *^(٤) *^(٥).

٤٦ - * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ، وَحَتَّى أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ،

وَحَتَّى يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا» *^(٦).
٤٧ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ». قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنًا. قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ. الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ»^(٧) وَغَمَطُ النَّاسِ^(٨) *^(٩).

٤٨ - * (عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» *^(١٠).

٤٩ - * (عَنْ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّهُ قَالَ: لَقَدْ كُنْتُ أَرَى الرُّؤْيَا فَتَمَرُّضَنِي، حَتَّى سَمِعْتُ أَبَا قَتَادَةَ يَقُولُ: وَأَنَا كُنْتُ أَرَى الرُّؤْيَا تَمَرُّضَنِي، حَتَّى سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ مِنَ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ فَلَا يُحَدِّثْ بِهِ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ. وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ، وَلْيَتَفَلَّ ثَلَاثًا، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا، فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ» *^(١١).

٥٠ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَعَكَ^(١٢) أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ،

(٢) البخاري - الفتح ١١ (٦٤٠٦). ومسلم (٢٦٩٤) متفق عليه.

(٣) ولا تؤمنوا: بحذف النون من آخره. وهي لغة معروفة صحيحة. ومعنى الحديث: «لا يكمل إيمانكم ولا يصلح حالكم في الإيمان إلا بالتَّحَابِّ».

(٤) أفشوا السلام بينكم: فيه حث على إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم، من عرفت ومن لم تعرف.

(٥) مسلم (٥٤).

(٦) البخاري - الفتح ١٠ (٦٠٤١) واللفظ له. ومسلم (٤٣).

(٧) بطر الحق: دفعه وإنكاره ترفعًا وتجبُّرًا.

(٨) غمط الناس: احتقارهم.

(٩) مسلم (٩١).

(١٠) البخاري الفتح ١ (١٣) واللفظ له. ومسلم (٤٥).

(١١) البخاري - الفتح ١٢ (٧٠٤٤) واللفظ له. ومسلم (٢٢٦١).

(١٢) وَعَكَ: أصابه الوعك وهو الحمى.

(١) رفع عقيرته: أي رفع صوته.

فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَحَذَتْهُ الْحُمَى يَقُولُ:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبِّحٌ فِي أَهْلِهِ

وَالْمَوْتُ أَذْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا أَقْلَعَ عَنْهُ الْحُمَى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ^(١)

يَقُولُ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً

بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرُ^(٢) وَجَلِيلُ

وَهَلْ أَرَدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ

وَهَلْ يَبْدُونُ لِي شَامَةً وَطَفِيلُ

وَقَالَ: «اللَّهُمَّ الْعَنْ شَيْبَةَ بَنَ رَبِيعَةَ وَعُتْبَةَ بَنَ

رَبِيعَةَ وَأُمَيَّةَ بَنَ خَلْفٍ، كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى

أَرْضِ الْوَبَاءِ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ

إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ. اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي

صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا، وَصَحِّحْهَا لَنَا، وَانْقُلْ حُمَاهَا إِلَى

الْجُحْفَةِ» قَالَتْ: وَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَهِيَ أَوْبًا أَرْضِ اللَّهِ،

فَكَانَ بَطْحَانُ^(٣) يَجْرِي نَجْلًا^(٤). تَعْنِي مَاءً

أَجَنًا^(٥) *^(٦).

٥١ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ:

مَا أَحَبَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا ذَا ثَقْيٍ) *^(٧).

٥٢ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ

لِقَاءَهُ. وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ». فَقُلْتُ: يَا

نَبِيَّ اللَّهِ! أَكْرَاهِيَّةُ الْمَوْتِ؟ فَكُلُّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ. فَقَالَ:

«لَيْسَ كَذَلِكَ. وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ

وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ، أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، فَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ.

وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ،

وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» *^(٨).

٥٣ - * (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ أَيَّامِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ

فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ». فَقَالُوا:

يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ: «وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ

وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ» *^(٩).

٥٤ - * (عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ، وَأَبْغَضَ

لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ» *^(١٠).

٥٥ - * (عَنْ جَابِرِ بْنِ عَتِيكَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ، كَانَ يَقُولُ: «مِنْ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ،

(٨) البخاري - الفتح ١١ (٦٥٠٧). ومسلم (٢٦٨٤) واللفظ له

(٩) أبوداود (٢٤٣٨)، وأخرجه أحمد (٢٢٤ / ١)، والترمذي

(٧٥٧).

(١٠) أبوداود (٤٦٨١) واللفظ له. وأحمد (٤٣٨ / ٣)، (٤٤٠)

وقال محقق جامع الأصول (٢٣٩ / ١): حديث حسن

ورجال إسناده ثقات غير عبدالرحمن الشامي، لكن ذكروا

أن أحاديث الثقات عنه مستقيمة وهذا منها ويشهد له

حديث معاذ بن أنس فيصح به. وقال الألباني

(٣ / ٨٨٦): صحيح. وهو في الصحيحة (٣٨٠).

(١) رفع عقيرته: أي رفع صوته.

(٢) الإذخر: حشيش أخضر طيب الرائحة.

(٣) بطحان: بالضم ثم السكون هو وادي من وديان المدينة

الثلاثة، وورد ضبطها: بَطْحَان، وَبَطْحَان.

(٤) نجلا: أي نزا، وهو الماء القليل.

(٥) ماء أجنا: الماء المتغير الطعم واللون.

(٦) البخاري - الفتح ٤ (١٨٨٩) واللفظ له. مسلم (١٣٧٦)

(٧) الهيثمي في المجمع (٢٧٤ / ١٠) وقال: رواه أبو يعلى

وإسناده حسن.

الحديث»*)^(٥).

٥٨ - *) (عن عمرو بن عبسة - رضي الله عنه -

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله - عز وجل - قد حقت محبتي للذين يتحابون من أجلي، وقد حقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي، وقد حقت محبتي للذين يتبذلون من أجلي، وقد حقت محبتي للذين يتصدقون من أجلي. ما من مؤمن ولا مؤمنة يُقدم الله له ثلاثة أولاد من صلبه، لم يبلغوا الحنث^(٦) إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم». وفي رواية: «وحقت محبتي للذين يتناصرون من أجلي، وحقت محبتي للذين يتصدقون من أجلي»*)^(٧).

٥٩ - *) (عن زر، قال: قال علي - رضي الله

عنه - والذي فلق الحبة وبرأ النسمة^(٨) إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إلي: «أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق»*)^(٩).

٦٠ - *) (عن أبي مالك الأشعري - رضي الله

عنه - أن رسول الله ﷺ أقبل على الناس بوجهه، فقال: «يأيها الناس، اسمعوا وعقلوا، واعلموا أن الله - عز وجل - عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله» فجاء

ومنها ما يبغض الله؛ فأما التي يحبها الله فالغيرة في الريّة، وأما الغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريّة. وإن من الخيلاء ما يبغض الله، ومنها ما يحب الله؛ فأما الخيلاء التي يحب الله فاختيال الرجل بنفسه عند القتال، واختياله عند الصدقة، وأما التي يبغض الله فاختياله في البغي والفخر»*)^(١).

٥٦ - *) (عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال:

قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»*)^(٢).

٥٧ - *) (عن فاطمة بنت قيس أنها قالت:

نكحت ابن المغيرة. وهو من خيار شباب قريش يومئذ، فأصيب في أول الجهاد^(٣) مع رسول الله ﷺ. فلما تأيمت^(٤) خطبني عبدالرحمن بن عوف، في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ. وخطبني رسول الله ﷺ على مولاه أسامة بن زيد. وكنت قد حدثت؛ أن رسول الله ﷺ قال: «من أحبني فليحب أسامة...»

(١) النسائي (٧٩، ٧٨/٥). وأحمد (٤٤٦، ٤٤٥/٥). وأبو داود (٢٦٥٩) واللفظ له وقال الألباني (٥٠٥/٢): حديث حسن.

(٢) مسلم (٢٦٦٤).

(٣) فأصيب في أول الجهاد: قال العلماء: ليس معناه أنه قتل في الجهاد مع النبي ﷺ، وتأيمت بذلك. إنما تأيمت بطلاقه البائن.

(٤) تأيمت: أي صارت أياً، وهي التي لا زوج لها.

(٥) مسلم (٢٩٤٢).

(٦) يبلغوا الحنث: أي لم يبلغوا مبلغ الرجال.

(٧) الهيثمي (٢٧٩/١٠) واللفظ له وقال: رواه الطبراني في الثلاثة وأحمد بن حنبل وأحمد بن حنبل وأحمد بن حنبل (٣٨٦، ١١٣/٤). وذكر الحاكم نحوه في موضعين (١٦٩/٤ و ١٧٠) في المستدرک وصححها ووافقه الذهبي في الثاني وسكت عن الأول. والحديثان من رواية أبي إدريس الخولاني عن معاذ وتصديق عبادة بن الصامت - رضي الله عنه -.

(٨) يقسم بالله - عز وجل -.

(٩) مسلم (٧٨).

رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ مِنْ قَاصِيَةِ النَّاسِ وَأَلْوَىٰ بِيَدِهِ إِلَىٰ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! نَاسٌ مِنَ النَّاسِ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَىٰ مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ؟! انْعَتْهُمْ لَنَا - يَعْنِي: صِفْهُمْ لَنَا - فَسَرَّ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِسُؤَالِ الْأَعْرَابِيِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُمْ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ» ^(١) وَنَوَازِعِ الْقَبَائِلِ ^(٢)، لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ، تَحَابُّوا فِي اللَّهِ، وَتَصَافَوْا، يَضَعُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، وَيُجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا، فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُورًا وَثِيَابَهُمْ نُورًا. يَفْزَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَفْزَعُونَ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» * ^(٣).

٦١ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - زَوْجِ

النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ. وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ. وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى سِوَاهُ» * ^(٤).

٦٢ - * (عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرَأُ مِنْ سُورَةِ يُوسُفَ وَسُورَةِ هُودٍ؟ فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ، أَقْرَأُ بِ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ فَإِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ بِسُورَةِ أَحَبِّ إِلَيَّ اللَّهِ، وَأَبْلَغَ عِنْدَهُ مِنْهَا، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تَفُوتَكَ فَافْعَلْ» * ^(٥).

الأحاديث الواردة في «المحبة» معنى

٦٣ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي: إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا. وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ

هَرَوَلَةً» * ^(٦).

٦٤ - * (عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَلِيطٍ، قَالَ: أَتَيْتُ

النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ فِي أَزْفَلَةٍ ^(٧) مِنَ النَّاسِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَىٰ هَاهُنَا (وَأَشَارَ إِلَى صَدْرِهِ). وَمَا تَوَادَّ رَجُلَانِ فِي اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فَيَفَرِّقُ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِحَدَثٍ ^(٨) يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا» * ^(٩).

(١) أفناء الناس: أي لم يعلم ممن هو، الواحد فنء.

(٢) نوازع القبائل: جمع نازع ونزيع، وهو الغريب الذي نزع أهله وعشيرته، أي بعد وغاب.

(٣) أحمد (٣٤٣/٥) في المسند واللفظ له. والهيثمي في المجمع

(٢٧٦/١٠) وقال: رواه كله أحمد والطبراني بنحوه ورجاله

وثقوا. وله شاهد جيد عنده وقال: رواه أبو يعلى ورجاله

رجال الصحيح. وقال المنذري في الترغيب (٢٢/٤): رواه

الحاكم وقال صحيح الإسناد.

(٤) مسلم (٢٥٩٣).

(٥) رواه الحاكم (٥٤٠/٢) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه

الطبراني (٨٦١/١٧)، وابن حبان (١٨٤٣) وإسناده قوي.

(٦) مسلم (٢٦٧٥).

(٧) أزفلة: أي جماعة من الناس.

(٨) حدث: الأمر المنكر الذي ليس بمعتاد ولا معروف في السنة. والمعنى: أنه لا ينبغي أن يفترقا إلا بذلك.

(٩) الهيثمي في المجمع (٢٧٥/١٠) واللفظ له وقال: رواه أحمد

وإسناده حسن (٦٦/٤). والحديث بنحوه عند جمع من =

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في «المحبة»

٦٥ - * (عَنِ الْمُسَوِّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُونِي فِي أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَلَا آذَنْ لَهُمْ، ثُمَّ لَا آذَنْ لَهُمْ، ثُمَّ لَا آذَنْ لَهُمْ، إِلَّا أَنْ يُحِبَّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطْلَقَ ابْنَتِي وَيُنْكِحَ ابْنَتَهُمْ فَإِنَّمَا ابْنَتِي بَضْعَةٌ مِنِّي، يُرِيدُنِي مَا رَابَهَا وَيُؤْذِنُنِي مَا آذَاهَا»*)^(١).

٦٦ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ

نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُنَّ حَزْبَيْنِ: فَحِزْبٌ فِيهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَصَفِيَّةُ وَسُودَةُ، وَالْحِزْبُ الْآخَرُ أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ عَلِمُوا حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَائِشَةَ، فَإِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةً يُرِيدُ أَنْ يَهْدِيَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخْرَجَهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ بَعَثَ صَاحِبُ الْهَدِيَّةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ. فَكَلَّمَ حِزْبُ أُمِّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ لَهَا: كَلِّمِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُكَلِّمُ النَّاسَ فَيَقُولُ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَهْدِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَدِيَّةً فَلْيُهْدِهَا حَيْثُ كَانَ مِنْ بُيُوتِ نِسَائِهِ، فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِمَا قُلْنَ، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا، فَسَأَلْنَهَا فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئًا، فَقُلْنَ لَهَا: فَكَلِّمِيهِ، قَالَتْ: فَكَلَّمْتُهُ حِينَ

دَارَ إِلَيْهَا أَيْضًا، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا. فَسَأَلْنَهَا فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئًا. فَقُلْنَ لَهَا: كَلِّمِيهِ حَتَّى يُكَلِّمَكَ. فَدَارَ إِلَيْهَا فَكَلَّمَتْهُ، فَقَالَ لَهَا: لَا تُؤْذِنُنِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي وَأَنَا فِي ثَوْبِ امْرَأَةٍ إِلَّا عَائِشَةَ. قَالَتْ: أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. ثُمَّ إِنَّهُنَّ دَعَوْنَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَقُولُ: إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ الْعَدْلَ^(٢) فِي بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ. فَكَلَّمَتْهُ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّةُ، أَلَا تُحِبِّينَ مَا أَحَبُّ؟ قَالَتْ: بَلَى. فَارْجَعْتِ إِلَيْهِنَّ فَأَخْبَرْتُهُنَّ، فَقُلْنَ: ارْجِعِي إِلَيْهِ، فَأَبَتْ أَنْ تَرْجِعَ. فَأَرْسَلْنَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، فَأَتَتْهُ فَأَغْلَظَتْ وَقَالَتْ: إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ اللَّهُ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ، فَارْفَعْتَ صَوْتَهَا حَتَّى تَنَاولَتْ عَائِشَةَ - وَهِيَ قَاعِدَةٌ - فَسَبَّتَهَا، حَتَّى إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيَنْظُرُ إِلَى عَائِشَةَ هَلْ تَكَلَّمُ؟ قَالَ: فَتَكَلَّمْتُ عَائِشَةَ تَرُدُّ عَلَى زَيْنَبَ حَتَّى أَسْكَنْتُهَا. قَالَتْ: فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى عَائِشَةَ وَقَالَ: «إِنَّهَا بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ»^(٣)*)^(٤).

٦٧ - * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ: «الْتَمِسْ لِي غُلَامًا مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَى خَيْبَرَ»، فَخَرَجَ بِي أَبُو

= أئمة الحديث عن عدد من الصحابة - رضوان الله

عليهم - انظر «جامع الأصول» رقم (٥٢) و (٤٧٩٢) و

(٤٧٩٤) وتعليق محققه عليها.

(١) البخاري - الفتح ٧ (٣٧٦٧). ومسلم (٢٤٤٩) واللفظ له.

(٢) ينشدنك العدل: أي يطلبن منك العدل.

(٣) إنها بنت أبي بكر: أي إنها شريفة عاقلة عارفة كأييها.

(٤) البخاري - الفتح ٥ (٢٥٨١) واللفظ له. ومسلم (٢٤٤٢)

طَلْحَةَ مُرْدِفِي وَأَنَا غُلَامٌ رَاهِقْتُ الْحُلُمَ ، فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا نَزَلَ ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمٍّ وَالْحَزَنِ ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ ، وَضَلَعِ الدِّينِ ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ» . ثُمَّ قَدِمْنَا خَيْبَرَ ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحِصْنَ ذَكَرَ لَهُ جَمَالَ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبٍ - وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا ، وَكَانَتْ عَرُوسًا - فَاصْطَفَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ ، فَخَرَجَ بِهَا حَتَّى بَلَغْنَا سَدَّ الصَّهْبَاءِ حَلَّتْ ، فَبَنَى بِهَا ^(١) ، ثُمَّ صَنَعَ حَيْسًا فِي نَطْعٍ ^(٢) صَغِيرٍ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِذَنْ مِنْ حَوْلِكَ» . فَكَانَتْ تِلْكَ وَلِيمَةً رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى صَفِيَّةَ . ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ : فَرَأَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَوِّي ^(٣) لَهَا وَرَاءَهُ بَعَاءَةً ، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ ، فَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرْكَبَ ، فسيرنا حَتَّى إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ نَظَرَ إِلَى أَحَدٍ فَقَالَ : « هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ » ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقَالَ : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْرَمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا بِمِثْلِ مَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ . اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَدِّهِمْ وَصَاعِهِمْ» * ^(٤) .

٦٨ - * (عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ؛

حَدَّثَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : « أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُهُ وَالْحَسَنُ

فَيَقُولُ : «اللَّهُمَّ أَحِبَّهُمَا فَإِنِّي أَحِبُّهُمَا» ^(٥) .

٦٩ - * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « حُبِّبَ إِلَيَّ : النِّسَاءُ وَالطِّيبُ ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ » * ^(٦) .

٧٠ - * (عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : رَأَى

النَّبِيَّ ﷺ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ مُقْبِلِينَ - قَالَ : حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ : مِنْ عُرْسٍ - فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ مُثَلًّا ^(٧) فَقَالَ : «اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ» . قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَارٍ * ^(٨) .

٧١ - * (عَنِ الْبَرَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ :

رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَى عَاتِقِهِ يَقُولُ : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ» * ^(٩) .

٧٢ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - زَوْجِ

النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَتْ : كَانَ أَوَّلَ مَا بَدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ . فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ . ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ . فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّنُ فِيهِ (وَهُوَ التَّعَبُّدُ) اللَّيَالِي أُولَاتِ الْعَدَدِ . قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَرَوَّدَ لِذَلِكَ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا . حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ : اقْرَأْ . قَالَ : « مَا أَنَا بِقَارِئٍ » . قَالَ : فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي

واللفظ لهما وقال محقق جامع الأصول (٧٦٦/٤) : حديث حسن .

(٧) ممثلاً - بضم أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه - : هكذا ورد من الرباعي ، والذي ذكره أهل اللغة أنه من مَثَلٍ - بفتح الميم وضم الثاء - أي انتصب قائماً وهو ثلاثي .

(٨) البخاري - الفتح ٧ (٣٧٨٥) .

(٩) البخاري - الفتح ٧ (٣٧٤٩) .

(١) فَبَنَى بِهَا : أي تزوجها .

(٢) النِّطْعُ : بالكسر والفتح : بساط من الجلد . والحيس : تمر يخلط بسمن وأقط بعد نزع النوى منه ، ويعجن بشدة .

(٣) التحوية : أي تدوير كساء حول سنام البعير ثم تركبه .

(٤) البخاري - الفتح ٦ (٢٨٩٣) واللفظ له . ومسلم (١٣٦٥) ، (١٣٩٢) .

(٥) البخاري - الفتح ٧ (٣٧٣٥) .

(٦) النسائي (٦١/٧) باب عشرة النساء . وأحمد (١٢٨/٣) .

أَيَّ عَمٍّ! اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ . قَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: يَا ابْنَ أَخِي! مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَاهُ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ ^(٥) الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى ﷺ، يَالَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا ^(٦)، يَالَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟». قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ^(٧)».

٧٣ - * (عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ». قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ ^(٨) لَيْلَتَهُمْ: أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا؟ فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟». فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. قَالَ: «فَارْسُلُوا إِلَيْهِ» فَأَتِي بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ، حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ. فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا. فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ

حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي . فَقَالَ: اقْرَأ . قَالَ: قُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِيءٍ». قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ. ثُمَّ أَرْسَلَنِي . فَقَالَ: اقْرَأ . فَقُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِيءٍ». فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ. ثُمَّ أَرْسَلَنِي . فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق / ١-٥) . فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ ^(١) حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ . فَقَالَ: «زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي». فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ ^(٢) . ثُمَّ قَالَ لَخَدِيجَةَ: «أَيَّ خَدِيجَةٍ! مَالِي؟!»، وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ. قَالَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي». قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلَّا. أَبْشِرْ. فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا . وَاللَّهُ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ^(٣)، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ^(٤)، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ . فَاِنْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ ابْنَ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا، وَكَانَ أَمْرًا تَنْصَرُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، وَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ . فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ:

(١) ترجف بوادره: تضطرب في جسده الشريف اللحمتان فوق الشدين أو الثديين وهذا كناية عن شدة اضطرابه ﷺ.

(٢) الروع: الفزع.

(٣) الكل - بفتح الكاف - هو الثقل من كل ما يُتَكَلَّف.

(٤) تكسب المعدوم: أي تعين الفقير على كسبه، وقيل: المراد أنك تعطي الناس الشيء المعدوم عندهم وتوصله إليهم.

(٥) هذا الناموس: هو جبريل ﷺ. قال أهل اللغة وغريب

الحديث: الناموس في اللغة صاحب سر الخبر. يقال نمست السر أنمسه أي كتمته.

(٦) ياليتني فيها جذعًا: الضمير يعود إلى أيام النبوة ومدتها، وجذعًا: يعني قويًا، حتى أبلغ في نصرك.

(٧) البخاري - الفتح ١ (٣). ومسلم (١٦٠) واللفظ له.

(٨) يدوكون ليلتهم: أي باتوا في اختلاف واختلاط (العيني).

حَقَّ اللَّهُ فِيهِ، فَوَ اللَّهُ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»*(١).

٧٤ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ حُمُولَةً، وَلَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ، وَيَشُقُّ عَلَيَّ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقُتِلْتُ ثُمَّ أُحْيِيْتُ، ثُمَّ قُتِلْتُ، ثُمَّ أُحْيِيْتُ»*(٢).

٧٥ - * (عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا. وَإِنِّي أَحِبُّ لَكَ مَا أَحِبُّ لِنَفْسِي. لَا تَأْمَرَنَّ^(٣) عَلَى اثْنَيْنِ وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ»*(٤).

٧٦ - * (عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ»، فَقَالَ: «أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»*(٥).

من الآثار وأقوال العلماء الواردة في «المحبة»

١ - * (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ:

وُضِعَ عُمَرُ عَلَى سَرِيرِهِ، فَتَكَنَّفَهُ^(٦) النَّاسُ يَدْعُونَ وَيُصَلُّونَ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ، وَأَنَا فِيهِمْ، فَلَمْ يَرْعِنِي إِلَّا رَجُلٌ أَخَذَ مِنْكَبِي، فَإِذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَتَرَحَّمَ عَلَى عُمَرَ وَقَالَ: مَا خَلَّفْتُ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ. وَإِيمُ اللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأُظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، وَحَسِبْتُ أَنِّي كَثِيرًا أَسْمَعُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ

وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»*(٧).

٢ - * (عَنْ حَرَمَلَةَ مَوْلَى أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ - رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ إِذْ دَخَلَ الْحَجَّاجُ بْنُ أَيْمَنَ، فَلَمْ يُتِمَّ رُكُوعَهُ وَلَا سُجُودَهُ فَقَالَ: أَعِدْ. فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ لِي ابْنُ عُمَرَ: مَنْ هَذَا؟ قُلْتُ: الْحَجَّاجُ بْنُ أَيْمَنَ بْنِ أُمِّ أَيْمَنَ. فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «لَوْ رَأَى هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَحَبَّهُ. فَذَكَرَ حُبَّهُ وَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّ أَيْمَنَ». قَالَ: «وَزَادَنِي بَعْضُ أَصْحَابِي عَنْ سُلَيْمَانَ:

(١) البخاري - الفتح ٧ (٤٢١٠) واللفظ له. ومسلم (٢٤٠٦).

(٢) البخاري - الفتح ٦ (٢٩٧٢).

(٣) لا تأمرن: يحذف إحدى التاءين أي لا تتأمرن وكذلك قوله: تَوَلَّيَنَّ.

(٤) مسلم (١٨٢٦).

(٥) أبو داود (١٥٢٢) وقال الألباني (٢٨٤/١): صحيح.

وقال الأرناؤوط في تعليقه على «جامع الأصول»

(٤/٢٠٩): إسناده صحيح.

(٦) تكنفه الناس: أحاطوا به.

(٧) البخاري - الفتح ٧ (٣٦٨٥).

وَكَاثَتْ حَاضِنَةَ النَّبِيِّ ﷺ) * (١).

٣ - * (عَنْ مُجَاهِدٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ: «مَرَّ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا يُحِبُّنِي . فَقِيلَ: أَنَّى عَلِمْتَ ذَلِكَ؟ قَالَ: إِنِّي أُحِبُّهُ» * (٢).

٤ - * (عَنْ أَبِي حَيَّانَ التِّيمِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ: «رُؤِيَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ثَوْبٌ كَأَنَّهُ كَانَ يُكْثِرُ لُبْسَهُ، فَقِيلَ لَهُ فِيهِ . فَقَالَ: هَذَا كَسَانِيهِ خَلِيلِي وَصَفِيِّي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِنَّ عُمَرَ نَاصَحَ اللَّهِ فَصَحَّحَهُ» * (٣).

٥ - * (عَنْ ابْنِ عَوْنٍ قَالَ: «ثَلَاثٌ أُحِبُّهُنَّ لِنَفْسِي وَلِإِخْوَانِي: هَذِهِ السُّنَّةُ أَنْ يَتَعَلَّمُوَهَا وَيَسْأَلُوا عَنْهَا، وَالْقُرْآنُ أَنْ يَتَفَهَّمُوهُ وَيَسْأَلُوا النَّاسَ عَنْهُ، وَيَدْعُوا النَّاسَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ» * (٤).

٦ - * (قَالَ رَجُلٌ لِحَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ: «أَخُوكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ صَدِيقُكَ؟». فَقَالَ: إِنَّ أَخِي إِذَا لَمْ يَكُنْ لِي صَدِيقًا لَمْ أُحِبَّهُ» * (٥).

٧ - * (عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، قَالَ: «سَمِعْتُ مُسَاوِرَ الْوَرَّاقِ يَحْلِفُ بِاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مَا كُنْتُ أَقُولُ لِرَجُلٍ إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَأَمْنَعُهُ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا» * (٦).

٨ - * (قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ - رَحِمَهُ

اللَّهُ - : «مَا حَفِظْتُ حُدُودَ اللَّهِ وَمَحَارِمُهُ، وَوَصَلَ الْوَاصِلُونَ إِلَيْهِ بِمِثْلِ خَوْفِهِ وَرَجَائِهِ وَمَحَبَّتِهِ . وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ: الْحُبُّ وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ، هِيَ الَّتِي تَبْعَثُ عَلَى عِمَارَةِ الْوَقْتِ بِمَا هُوَ الْأَوْلَى لِصَاحِبِهِ، وَالْأَنْفَعُ لَهُ، وَهِيَ أَسَاسُ السُّلُوكِ، وَالسَّيْرُ إِلَى اللَّهِ . وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ هِيَ قُطْبُ رَحَى الْعُبُودِيَّةِ، وَعَلَيْهَا دَارَتْ رَحَى الْأَعْمَالِ . فَمَتَى خَلَا الْقَلْبُ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ فَسَدَ فَسَادًا لَا يُرْجَى صَلَاحُهُ أَبَدًا، وَمَتَى ضَعُفَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ ضَعُفَ إِيْمَانُهُ بِحَسَبِهِ» * (٧).

٩ - * (وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «إِنَّكَ إِذَا أَحْبَبْتَ الشَّخْصَ لِلَّهِ، كَانَ اللَّهُ هُوَ الْمَحْبُوبَ لِذَاتِهِ، فَكُلَّمَا تَصَوَّرْتَهُ فِي قَلْبِكَ، تَصَوَّرْتَ مَحْبُوبَ الْحَقِّ فَأَحْبَبْتَهُ، فَازْدَادَ حُبُّكَ لِلَّهِ، كَمَا إِذَا ذَكَرْتَ النَّبِيَّ ﷺ وَالْأَنْبِيَاءَ قَبْلَهُ وَالْمُرْسَلِينَ وَأَصْحَابَهُمُ الصَّالِحِينَ، وَتَصَوَّرْتَهُمْ فِي قَلْبِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَجْذِبُ قَلْبَكَ إِلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ الْمُنْعِمِ عَلَيْهِمْ، وَبِهِمْ، إِذَا كُنْتَ تُحِبُّهُمْ لِلَّهِ. فَالْمَحْبُوبُ لِلَّهِ يَجْذِبُ إِلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ، وَالْمُحِبُّ لِلَّهِ إِذَا أَحَبَّ شَخْصًا لِلَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَحْبُوبُهُ. فَهُوَ يُجِبُّ أَنْ يَجْذِبَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَكُلُّ مَنْ الْمُحِبِّ لِلَّهِ وَالْمَحْبُوبِ لِلَّهِ يُجْذِبُ إِلَى اللَّهِ» * (٨).

١٠ - * (قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «عَلَى حَسَبِ الْمَحَبَّةِ وَقُوَّتِهَا يَكُونُ الرَّجَاءُ، فَكُلُّ مُحِبٍّ رَاجٍ،

(٥) الإخوان (١٣٤).

(٦) كتاب الإخوان (٢٠٤).

(٧) مجموع الفتاوى (٢١/١٥). و مدارج السالكين (١٣٣/٣).

(٨) مجموع الفتاوى (٦٠٨/١٠).

(١) البخاري - الفتح ٧ (٣٧٣٧).

(٢) كتاب الإخوان (ص ١٤٣)، وقال الهيثمي في المجمع (٢٧٥/١٠): رواه أبو يعلى ورجاله ثقات .

(٣) كتاب الإخوان (٢٣٨).

(٤) فتح الباري (١٣/٢٦٣).

خَائِفٌ بِالضَّرُورَةِ، فَهُوَ أَرْجَى مَا يَكُونُ لِحَبِيبِهِ وَأَحَبُّ مَا يَكُونُ إِلَيْهِ، وَكَذَلِكَ خَوْفُهُ فَإِنَّهُ يَخَافُ سُقُوطَهُ مِنْ عَيْنِهِ، وَطَرْدَ مَحَبُّوبِهِ لَهُ وَإِبْعَادَهُ، وَاحْتِجَابَهُ عَنْهُ. فَخَوْفُهُ أَشَدُّ خَوْفٍ، وَرَجَاؤُهُ ذَاتِيٍّ لِلْمَحَبَّةِ، فَإِنَّهُ يَرْجُوهُ قَبْلَ لِقَائِهِ وَالْوُصُولِ إِلَيْهِ. فَتَأَمَّلْ هَذَا الْمَوْضِعَ حَقَّ التَّأَمُّلِ يُطْلِعَكَ عَلَى أَسْرَارٍ عَظِيمَةٍ مِنْ أَسْرَارِ الْعُبُودِيَّةِ وَالْمَحَبَّةِ. فَكُلُّ مَحَبَّةٍ فَهِيَ مَصْحُوبَةٌ بِالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَعَلَى قَدَرِ تَمَكُّنِهَا مِنْ قَلْبِ الْمُحِبِّ يَشْتَدُّ خَوْفُهُ وَرَجَاؤُهُ»*(١).

١١ - * (وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : « الْمَحَبَّةُ هِيَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ وَغِذَاءُ الْأَزْوَاجِ ، وَلَيْسَ لِلْقَلْبِ لَذَّةٌ ، وَلَا نَعِيمٌ ، وَلَا فَلَاحٌ ، وَلَا حَيَاةٌ إِلَّا بِهَا . وَإِذَا فَقَدَهَا الْقَلْبُ كَانَ أَلَمُهُ أَعْظَمَ مِنْ أَلَمِ الْعَيْنِ إِذَا فَقَدَتْ نُورَهَا ، وَالْأُذُنُ إِذَا فَقَدَتْ سَمْعَهَا ، وَالْأَنْفُ إِذَا فَقَدَتْ شَمَّهُ ، وَاللِّسَانُ إِذَا فَقَدَ نُطْقَهُ ، بَلْ فَسَادُ الْقَلْبِ إِذَا خَلَا مِنْ مَحَبَّةِ فَاطِرِهِ وَبَارِئِهِ وَإِلَهِهِ الْحَقِّ أَعْظَمُ مِنْ فَسَادِ الْبَدَنِ إِذَا خَلَا مِنَ الرُّوحِ ، وَهَذَا الْأَمْرُ لَا يُصَدِّقُ بِهِ إِلَّا مَنْ فِيهِ حَيَاةٌ »)*(٢).

١٢ - * (وَقَالَ أَيُّضًا : « لَا يُنَالُ رِضَا الْمَحْبُوبِ وَقُرْبُهُ وَلَا يَبْتَهَاجُ وَالْفَرَحُ بِالْدُّنْيَا مِنْهُ ، وَالزُّلْفَى لَدَيْهِ ، إِلَّا عَلَى جِسْرِ مِنَ الدَّلَّةِ وَالْمُسْكَنَةِ وَعَلَى هَذَا قَامَ أَمْرُ الْمَحَبَّةِ فَلَا سَبِيلَ إِلَى الْوُصُولِ إِلَى الْمَحْبُوبِ إِلَّا بِذَلِكَ »)*(٣).

١٣ - * (وَقَالَ : « الْمُحِبُّ الصَّادِقُ : لَا بُدَّ أَنْ

يُقَارِنَهُ أَحْيَانًا فَرَحَ بِمَحَبُّوبِهِ ، وَيَشْتَدُّ فَرَحُهُ بِهِ ، وَيَرَى مَوَاقِعَ لُطْفِهِ بِهِ ، وَبِرِّهِ بِهِ ، وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِ ، وَحُسْنَ دِفَاعِهِ عَنْهُ ، وَالتَّلَطُّفَ فِي إِيْصَالِهِ الْمَنَافِعَ وَالْمَسَارَّ وَالْمُبَارَّ إِلَيْهِ بِكُلِّ طَرِيقٍ ، وَدَفَعَ الْمَضَارَّ وَالْمَكَارِهِ عَنْهُ بِكُلِّ طَرِيقٍ »)*(٤).

١٤ - * (وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : « قُرَّةُ عَيْنِ الْمُحِبِّ وَلَذَّتُهُ وَنَعِيمُ رُوحِهِ : فِي طَاعَةِ مَحَبُّوبِهِ ، بِخِلَافِ الْمُطِيعِ كُرْهًا ، الْمُتَحَمِّلِ لِلْخِدْمَةِ ثِقَلًا ، الَّذِي يَرَى أَنَّهُ لَوْلَا ذَلِكَ قَهْرُهُ لَمَا أَطَاعَ ، فَهُوَ يَتَحَمَّلُ طَاعَتَهُ كَمَا تَكْرَهُ الَّذِي أَذَلَّهُ مُكْرَهُهُ وَقَاهِرُهُ ، بِخِلَافِ الْمُحِبِّ الَّذِي يُعِدُّ طَاعَةَ مَحَبُّوبِهِ قُوَّةً وَنَعِيمًا ، وَلَذَّةً وَسُرُورًا ، فَهَذَا لَيْسَ الْحَامِلُ لَهُ ذَلِكَ إِلَّا كِرَاهٍ »)*(٥).

١٥ - * (وَقَالَ أَيُّضًا - رَحِمَهُ اللَّهُ - : « إِنَّ مَا يَفْعَلُهُ الْمُحِبُّ الصَّادِقُ ، وَيَأْتِي بِهِ فِي خِدْمَةِ مَحَبُّوبِهِ ، هُوَ أَسْرُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ ، وَأَلَذُّهُ عِنْدَهُ ، وَلَا يَسْرَى ذَلِكَ تَكْلِيفًا »)*(٦).

١٦ - * (وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : « الْمُحِبُّ الصَّادِقُ إِنْ نَطَقَ نَطَقَ لِلَّهِ وَبِاللَّهِ ، وَإِنْ سَكَتَ سَكَتَ لِلَّهِ ، وَإِنْ تَحَرَّكَ فَبِأَمْرِ اللَّهِ ، وَإِنْ سَكَتَ فَسُكُونُهُ اسْتِعَانَةٌ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ ، فَحُبُّهُ لِلَّهِ وَبِاللَّهِ وَمَعَ اللَّهِ »)*(٧).

١٧ - * (قَالَ ابْنُ قَدَامَةَ : « عَلَامَةُ الْمَحَبَّةِ ، كَمَالُ الْأَنْسِ بِمُنَاجَاةِ الْمَحْبُوبِ ، وَكَمَالُ التَّعَمُّقِ بِالْخُلُوةِ ، وَكَمَالُ الْاسْتِيْحَاشِ مِنْ كُلِّ مَا يَنْقُضُ عَلَيْهِ الْخُلُوةَ .

(٥) تهذيب مدارج السالكين (٣٢٨).

(٦) مدارج السالكين (١٦٥ / ٣).

(٧) مفتاح دار السعادة (١٦٠ / ١).

(١) مدارج السالكين (٤٢ / ٢ ، ٤٣).

(٢) الجواب الكافي (٢٨٢ - ٢٨٣).

(٣) مفتاح دار السعادة (٢٤ / ١).

(٤) مدارج السالكين (٤٢ / ٢ - ٤٣).

وَمَتَى غَلَبَ الْحُبُّ وَالْأُنْسُ صَارَتْ الْخُلُوعُ وَالْمَنَاجَاةُ
قُرَّةَ عَيْنٍ تَدْفَعُ جَمِيعَ الْهُمُومِ ، بَلْ يَسْتَغْرِقُ الْحُبُّ
وَالْأُنْسُ قَلْبَهُ»^(١) *

١٨ - * (قَالَ بَعْضُهُمْ:

تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تَرْعُمُ حُبَّهُ

هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعٌ

لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ

إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ^(٢) .

١٩ - * (قَالَ الشَّيْخُ سَيِّدُ قُطْبٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

«حُبُّ اللَّهِ لِعَبْدٍ مِنْ عِبِيدِهِ، أَمْرٌ هَائِلٌ عَظِيمٌ، وَفَضْلٌ

غَامِرٌ جَزِيلٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى إدْرَاكِ قِيَمَتِهِ إِلَّا مَنْ يَعْرِفُ

اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِصِفَاتِهِ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ»^(٣) * .

من فوائد «المحبة»

(٧) حَمْدُ الْمُحْبُوبِ وَالرِّضَى عَنْهُ وَشُكْرُهُ وَخَوْفُهُ وَرَجَاؤُهُ

وَالْتَّعَمُّ بِذِكْرِهِ وَالشُّكُونُ إِلَيْهِ وَالْأُنْسُ بِهِ

وَالْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِهِ .

(٨) حُبُّ النَّبِيِّ ﷺ يُوجِبُ السَّعْيَ إِلَى إِحْيَاءِ سُنَّتِهِ .

وَالْحِفَاطُ عَلَى دَعْوَتِهِ .

(٩) وَحُبُّهُ ﷺ يَسْتَوْجِبُ حُبَّ مَنْ أَحَبَّهُ وَمَا أَحَبَّهُ .

(١٠) مَحَبَّةُ الْإِخْوَانِ فِي اللَّهِ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

(١) دَلَالَةٌ عَلَى كَمَالِ الْإِيمَانِ وَحُسْنِ الْإِسْلَامِ .

(٢) وَعَلَامَةٌ الشُّوقِ إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ .

(٣) قَلْبٌ صَاحِبُهَا تَغْشَاهُ مُبَارَكَةُ اللَّهِ وَنِعْمُهُ عَلَى

الدَّوَامِ .

(٤) تَظْهَرُ آثَارُ الْمَحَبَّةِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكُرْبَاتِ

(٥) النَّعِيمُ وَالسُّرُورُ فِي الدُّنْيَا الْمُوَصِّلُ إِلَى نَعِيمٍ وَسُرُورٍ

الْآخِرَةِ .

(٦) فِيهَا التَّسْلِي عَنْ الْمَصَائِبِ .

المدارة

الآيات	الأحاديث	الآثار
٦	٦	١٩

المدارة لغة:

مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ دَارَى فُلَانٌ فُلَانًا بِمَعْنَى خَتَلَهُ وَخَدَعَهُ، يَقُولُ ابْنُ فَارِسٍ: الدَّالُّ وَالرَّاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ (الياء) أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا: قَصْدُ الشَّيْءِ وَاعْتِمَادُهُ طَلَبًا، وَالْآخَرُ حَدَّةٌ تَكُونُ فِي الشَّيْءِ، وَأَمَّا الْمَهْمُوزُ (دَرَأَ) فَأَصْلُ وَاحِدٌ وَهُوَ دَفَعَ الشَّيْءِ، وَمِنْ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ لِلْمُعْتَلِّ (دَرَى) قَوْلُهُمْ: ادَّرَى بَنُو فُلَانٍ مَكَانَ كَذَا، أَيْ اعْتَمَدُوهُ بِغَزْوٍ أَوْ غَارَةٍ، وَالدَّرِيَّةُ الدَّابَّةُ الَّتِي يَسْتَتِرُ بِهَا الَّذِي يَرْمِي الصَّيْدَ لِيَصِيدَهُ، وَمِنْ الْأَصْلِ الْآخَرِ قَوْلُهُمْ: شَاءَ مُدْرَاةً: حَدِيدَةُ الْقَرْنَيْنِ، وَأَمَّا الْأَصْلُ الْمَهْمُوزُ فَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: دَرَأْتُ الشَّيْءَ دَفَعْتُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَذَرُهَا الْعَذَابُ﴾ (النور/٨).

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَمُدَارَاةُ النَّاسِ تَهْمَزُ وَلَا تُهْمَزُ، وَهِيَ الْمُدَاجَاةُ (أَيِ الْمُسَانَدَةُ لِلْعِدَاوَةِ) وَالْمَلَايِنَةُ، وَتَدْرَاهُ وَادْرَاهُ بِمَعْنَى أَيْ خَتَلَهُ، قَالَ سُحَيْمٌ:

وَمَاذَا تَدْرِي الشُّعْرَاءُ مِنِّي

وَقَدْ جَاوَزْتُ حَدَّ الْأَرْبَعِينَ

وَقَوْلُهُمْ: السُّلْطَانُ ذُو تُدْرٍ أَيْ ذُو عُدَّةٍ وَقُوَّةٍ عَلَى دَفْعِ أَعْدَائِهِ عَنْ نَفْسِهِ، وَالْمُدَارَاةُ: الْمُخَالَفَةُ وَالْمُدَافَعَةُ وَيُقَالُ: فُلَانٌ لَا يُدَارِيءُ وَلَا يُبَارِيءُ، فَأَمَّا الْمُدَارَاةُ فَفِي

حُسْنِ الْخُلُقِ وَالْمُعَاشَرَةِ؛ لِأَنَّهُ يَهْمَزُ وَلَا يَهْمَزُ، تَقُولُ دَارِيئُهُ وَدَارَاتُهُ، إِذَا اتَّقَيْتُهُ وَلَايْتُهُ.

وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: الْمُدَارَاةُ: الْمُخَالَفَةُ وَالْمُدَافَعَةُ، يُقَالُ فُلَانٌ: ذُو تُدْرٍ، أَيْ حِفَاطٍ وَمَنْعَةٍ وَقُوَّةٍ عَلَى أَعْدَائِهِ وَمُدَافَعَةٍ، وَذَلِكَ فِي الْحَرْبِ وَالْخُصُومَةِ. وَأَصْلُهُ مَهْمُوزٌ، فَيُقَالُ: دَارَاتُهُ مُدَارَاةٌ وَغَيْرُ مَهْمُوزٍ فَيُقَالُ: دَارِيئُهُ وَذَلِكَ إِذَا اتَّقَيْتُهُ وَلَايْتُهُ. وَمِنْهُمْ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الْمَهْمُوزِ وَغَيْرِهِ فَجَعَلَ الْمَهْمُوزَ بِمَعْنَى الْإِتْقَانِ لِشَرِّهِ وَغَيْرِ الْمَهْمُوزِ بِمَعْنَى الْخَلَلِ، فَيُقَالُ: فُلَانٌ لَا يُدَارِي وَلَا يُبَارِي، وَكَذَلِكَ فِي حَدِيثِ قَيْسِ بْنِ السَّائِبِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ شَرِيكِي فَكَانَ خَيْرَ شَرِيكٍ، لَا يُدَارِي وَلَا يُبَارِي. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: مَعْنَاهُ هُنَا الْمَشَاغِبَةُ وَالْمُخَالَفَةُ عَلَى الشَّرِيكِ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْمَهْمُوزِ يَعْنِي دَرَأْتُ، وَمِنْهُ كَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَادَارَأْتُمْ فِيهَا﴾ (البقرة/٧٢) يَعْنِي اخْتِلَافَهُمْ فِي الْقَتْلِ. وَالْمُدَارَاةُ أَيْضًا: الْأَعْوَجَاجُ وَالْإِخْتِلَافُ وَالنُّشُورُ، قَالَ الشَّعْبِيُّ فِي الْمَرْأَةِ الْمُخْتَلَعَةِ: إِذَا كَانَ الدَّرُّ مِنْ قِبَلِهَا فَلَا بَأْسَ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهَا. وَيُقَالُ: دَرَأَ الدَّرِيَّةَ لِلصَّيْدِ يَذَرُ وَهِيَ: إِذَا سَاقَهَا وَاسْتَتَرَ بِهَا فَإِذَا أَمَكَنَهُ الصَّيْدُ رَمَى، كَمَا يُقَالُ: ادَّرَأْتُ لِلصَّيْدِ إِذَا اتَّخَذْتُ لَهُ دَرِيَّةً^(١).

(١) لسان العرب (٣/ ١٣٤٧ - ١٣٤٩)، ومقاييس اللغة لابن

فارس (٢/ ٢٧٢)، والصحاح (١/ ٤٩، ٦/ ٢٣٣٦).

واصطلاحًا:

قَالَ الْمُنَاوِيُّ: الْمُدَارَةُ: الْمَلَايَنَةُ وَالْمَلَاظَفَةُ، وَأَصْلُهَا الْمُخَاتَلَةُ وَمِنْهُ: الدَّرَايَةُ وَهُوَ الْعِلْمُ مَعَ تَكْلُفٍ وَحِيلَةٍ^(١).

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: الْمُدَارَةُ: خَفْضُ الْجَنَاحِ لِلنَّاسِ، وَلِئِنْ الْكَلَامَ وَتَرَكُ الْإِغْلَاطَ لَهُمْ فِي الْقَوْلِ. وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ: الْمُدَارَةُ الدَّفْعُ بِرِفْقٍ^(٢).

المدارة لا بد منها في الحياة:

قَالَ ابْنُ حَبَّانٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: الْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُلْزِمَ الْمُدَارَةَ مَعَ مَنْ دَفَعَ إِلَيْهِ فِي الْعِشْرَةِ مِنْ غَيْرِ مُفَارَقَةٍ الْمُدَاهَنَةِ، إِذِ الْمُدَارَةُ مِنَ الْمُدَارِي صَدَقَةٌ لَهُ، وَالْمُدَاهَنَةُ مِنَ الْمُدَاهِنِ تَكُونُ خَطِيئَةً عَلَيْهِ، وَالْفَصْلُ بَيْنَ الْمُدَارَةِ وَالْمُدَاهَنَةِ: هُوَ أَنْ يَجْعَلَ الْمَرْءُ وَقْتَهُ فِي الرِّيَاضَةِ لِإِصْلَاحِ الْوَقْتِ الَّذِي هُوَ لَهُ مُقِيمٌ بِلُزُومِ الْمُدَارَةِ مِنْ غَيْرِ ثَلَمٍ فِي الدِّينِ مِنْ جِهَةٍ مِنَ الْجِهَاتِ، فَمَتَى مَا تَخَلَّقَ الْمَرْءُ بِخُلُقٍ شَابَهُ بَعْضُ مَا كَرِهَ اللَّهُ مِنْهُ فِي تَخْلُقِهِ فَهَذَا هُوَ الْمُدَاهَنَةُ، لِأَنَّ عَاقِبَتَهَا تَصِيرُ إِلَى قُلٍّ وَيُلَازِمُ الْمُدَارَةَ لِأَنَّهَا تَدْعُو إِلَى صِلَاحِ أَحْوَالِهِ، وَمَنْ لَمْ يُدَارِ النَّاسَ مَلَّوهُ، وَقَدْ أَنْشَدَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَسَامِيُّ:

دَارِ مِنَ النَّاسِ مَلَالَتِهِمْ

مَنْ لَمْ يُدَارِ النَّاسَ مَلَّوهُ

وَمُكْرِمُ النَّاسِ حَبِيبٌ لَهُمْ

مَنْ أَكْرَمَ النَّاسَ أَحَبُّوهُ

فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُدَارِيَ النَّاسَ مُدَارَةَ

الرَّجُلِ السَّابِحِ فِي الْمَاءِ الْجَارِي، وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى عِشْرَةِ النَّاسِ مِنْ حَيْثُ هُوَ كَدَّرَ عَلَى نَفْسِهِ عَيْشَهُ، وَلَمْ تَصِفْ لَهُ مَوَدَّتِهِمْ، لِأَنَّ وِدَادَ النَّاسِ لَا يُسْتَجْلَبُ إِلَّا بِمُسَاعَدَتِهِمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ. إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَأْثَمًا، فَإِذَا كَانَتْ حَالَةُ مَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ، وَالْبَشَرُ قَدْ رُكِبَ فِيهِمْ أَهْوَاءٌ مُخْتَلِفَةٌ وَطَبَائِعُ مُتَبَايِنَةٌ، فَكَمَا يَشُقُّ عَلَيْكَ تَرْكُ مَا جُبِلْتَ عَلَيْهِ فَكَذَلِكَ يَشُقُّ عَلَى غَيْرِكَ مُجَانَبَةُ مِثْلِهِ، فَلَيْسَ إِلَى صَفْوِ وِدَادِهِمْ سَبِيلٌ إِلَّا بِمُعَاشَرَتِهِمْ مِنْ حَيْثُ هُمْ، وَالْإِغْضَاءُ عَنْ مُخَالَفَتِهِمْ فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ، إِذِنْ مَنْ لَمْ يُعَاشِرِ النَّاسَ عَلَى لُزُومِ الْإِغْضَاءِ عَمَّا يَأْتُونَ مِنَ الْمَكْرُوهِ، وَتَرَكِ التَّوَقُّعَ لِمَا يَأْتُونَ مِنَ الْمَحْبُوبِ كَانَ إِلَى تَكْدِيرِ عَيْشِهِ أَقْرَبَ مِنْهُ إِلَى صَفَائِهِ، وَإِلَى أَنْ يَدْفَعَهُ الْوَقْتُ إِلَى الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ أَقْرَبَ مِنْهُ إِلَى أَنْ يَنَالَ مِنْهُمْ الْوِدَادَ، وَتَرَكِ الشَّحْنَاءَ، وَمَنْ لَمْ يُدَارِ صَدِيقَ السُّوءِ كَمَا يُدَارِي صَدِيقَ الصِّدْقِ لَيْسَ بِحَازِمٍ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ الَّذِي يَقُولُ:

تَجَنَّبْ صَدِيقَ السُّوءِ وَاصْرَمْ حِبَالَهُ

وَإِنْ لَمْ تَجِدْ عَنْهُ مَحِيصًا فَدَارِهِ

وَأَحِبِّ حَبِيبَ الصِّدْقِ وَاحْذَرْ مِرَاءَهُ

تَنَلْ مِنْهُ صَفْوَ الْوُدِّ مَا لَمْ تُمَارِهِ

وَذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ كُلُّمَا رَأَى مِنْ أَحَدٍ زَلَّةَ رَفَضَهُ

لَزَلَّتْهُ بَقِيَّةٌ وَحِيدًا، لَا يَجِدُ مَنْ يُعَاشِرُ، وَفَرِيدًا لَا يَجِدُ مَنْ يُخَادِنُ، بَلْ يُغْضِي عَلَى الْأَخِ الصَّادِقِ زَلَاتِهِ وَلَا يُنَاقِشُ

الصَّدِيقَ السَّيِّئَ عَلَى عَثَرَاتِهِ.

وَقَدْ قَالَ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَرِيزِيُّ:

أَغْمَضُ عَيْنِي عَنْ صَدِيقِي كَأَنِّي

لَدَيْهِ بِمَا يَأْتِي مِنَ الْقُبْحِ جَاهِلُ

وَمَا بِيَ جَهْلٌ غَيْرَ أَنَّ خَلِيقَتِي

تُطِيقُ احْتِمَالَ الْكُزْهِ فِيمَا أَحَاوِلُ

مَتَى مَا يَرِبْنِي مِفْصَلٌ فَقَطَعْتُهُ

بَقِيتُ وَمَالِي فِي هُوَ ضِي مَفَاصِلُ

وَلَكِنْ أَدَارِيهِ ، وَإِنْ صَحَّ شَدَنِي

فَإِنْ هُوَ أَعْيَا كَانَ فِيهِ تَحَامُلٌ^(١)

مداراة الأعداء واجب للحد من شرهم:

قَالَ الْمَأُورِدِيُّ — رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى —: إِذَا كَانَ

لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ وَقَدْ اسْتَحْكَمَتْ شَحَنَاؤُهُ ، وَاسْتَوْعَرَتْ

سَرَاؤُهُ ، وَاسْتَخْشَنَتْ ضَرَاؤُهُ ، فَهُوَ يَتَرَبَّصُّ بِدَوَائِرِ الشُّوءِ

إِنْتِهَازَ فُرْصَةٍ وَيَتَجَرَّعُ بِمَهَانَةِ الْعَجْزِ مَرَارَةَ غُصَّةٍ ، فَإِذَا

ظَفَرَ بِنَائِبَةٍ سَاعَدَهَا ، وَإِذَا شَاهَدَ نِعْمَةً عَانَدَهَا ، فَالْبُعْدُ

عَنْ هَذَا حَذَرًا أَسْلَمَ ، وَالْكَفُّ عَنْهُ مُتَارَكَةٌ أَغْنَمَ ، لِأَنَّهُ

لَا يُسَلِّمُ مِنْ عَوَاقِبِ شَرِّهِ ، وَلَا يُفَلِّتُ مِنْ غَوَائِلِ مَكْرِهِ

إِلَّا بِالْبُعْدِ عَنْهُ أَوْ مُدَارَاتِهِ . وَقَدْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ: يَا بُنَيَّ ،

كَذَبَ مَنْ قَالَ إِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ يُطْفَأُ ، فَإِنْ كَانَ صَادِقًا

فَلْيُوقِدْ نَارَيْنِ ، وَلْيَنْظُرْ هَلْ تُطْفِئُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ،

وَإِنَّمَا يُطْفِئُ الْخَيْرُ الشَّرَّ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ .

وَأَمَّا إِذَا كَانَ هَذَا الْعَدُوُّ لَيْسَ الطَّبَعِ خَبِيثَ

الْأَصْلِ فَمِثْلُ هَذَا لَا يَسْتَقْبَحُ الشَّرَّ ، وَلَا يَكْفُ عَنْ

الْمَكْرُوهِ فَهَذَا حَالُهُ أَطْمَ وَضَرُّهُ أَعْمٌ وَلَا سَلَامَةٌ مِنْ مِثْلِهِ

إِلَّا بِالْبُعْدِ عَنْهُ وَالْإِنْقِبَاضِ ، وَلَا خَلَاصَ مِنْهُ إِلَّا

بِالصَّفْحِ وَالْإِعْرَاضِ لِأَنَّهُ كَالسَّبْعِ الضَّارِي فِي سَوَارِحِ

الْغَنَمِ وَكَالنَّارِ بِطَبْعِ لَا يَزُولُ ، وَجَوْهَرٍ لَا يَتَغَيَّرُ ، وَقَالَ

الشَّاعِرُ:

وَإِذَا عَجَزْتَ عَنِ الْعَدُوِّ فَدَارِهِ

وَأَمْرُخْ لَهُ إِنَّ الْمِرَاحَ وَفَاقُ

فَالنَّارُ بِالمَاءِ الَّذِي هُوَ ضِدُّهَا

تُعْطِي النَّضَاجَ وَطَبْعُهَا الْإِحْرَاقُ^(٢) .

[للاستزادة: انظر صفات: التودد - الحكمة -

الشفقة - حُسن الخلق - الحلم - حُسن المعاملة - الستر .

وفي ضد ذلك: انظر صفات: البذاءة - الفحش

- الفضح - المجاهرة بالمعصية - الطيش - الحمق -

الإساءة - سوء الخلق - سوء المعاملة] .

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستي

(٢) أدب الدنيا والدين (٢٢٣ - ٢٢٤) بتصرف يسير .

الآيات الواردة في «المدارة» معنى

- ١- ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا أَلْمِ كَيْالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَنْقُورُ أَوْفُوا أَلْمِ كَيْالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمُحْفِظٍ ۖ﴾^(١)
- ٢- أَدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾^(٢)
- ٣- وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَأْتِبِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَأْتِبِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَأْتِبِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾
- ٤- وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ ۖ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَلَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَّكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَّىٰ ﴿٤٠﴾ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ أَذْهَبَ أَنتَ وَآخُوكَ بِأَيَّتِي وَلَانِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾

قَالَ لَا تَخَافُ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٤٦﴾
فَأَنبَاهُ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا
بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْبُدْ بِهِمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِثَابِتَةٍ
مِّنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴿٤٧﴾^(١)

٥- وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ

وَهَنَّا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ

أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾

وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ

فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا

وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَى ثَمَرٍ إِلَى مَرْجِعِكُمْ

فَأَنبِئْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾^(٢)

٦- وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ

مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾

وَقَالَ رَجُلٌ مُُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ

يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ

اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ

كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا

يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ

لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٢٨﴾

يَقُومُ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ

فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ

مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ

إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾

وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ

مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾

مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ

وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾

وَيَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّارِ ﴿٣٢﴾

يَوْمَ تُولَوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ

وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾^(٣)

الأحاديث الواردة في «المدارة»

- ١ - * (عَنِ السَّائِبِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيَّ وَيَذْكُرُونِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِهِ، قُلْتُ: صَدَقْتَ - بِأَبِي وَأُمِّي - كُنْتَ شَرِيكِي فَنِعَمَ الشَّرِيكَ، كُنْتَ لَا تُدَارِي وَلَا تُمَارِي»*)^(١).
- ٢ - * (عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مُدَارَاةُ النَّاسِ صَدَقَةٌ»*)^(٢).

الأحاديث الواردة في «المدارة» معنًى

- ٣ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ: ثِتْنَيْنِ فِي ذَاتِ اللَّهِ^(٣)، قَوْلُهُ: إِنِّي سَقِيمٌ، وَقَوْلُهُ: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا. وَوَاحِدَةٌ فِي شَأْنِ سَارَةَ. فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ، وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهَا: إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ، إِنْ يَعْلَمَ أَنَّكَ أُمْرَأَتِي يَغْلِبْنِي عَلَيْكَ. فَإِنْ سَأَلَكَ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكَ أُخْتِي، فَإِنَّكَ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ. فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرِكَ. فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَهُ رَأَاهَا بَعْضُ أَهْلِ الْجَبَّارِ
- أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ دَخَلَ أَرْضَكَ امْرَأَةٌ لَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَكَ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأَتَتْ بِهَا. فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الصَّلَاةِ. فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتِمَّ لَكَ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا فَقَبِضَتْ يَدَهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً، فَقَالَ لَهَا: ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي وَلَا أَضْرُكَ. فَعَلَتْ. فَعَادَ. فَقَبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَةِ الْأُولَى. فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ. فَفَعَلَتْ. فَعَادَ، فَقَبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ. فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي فَلَكَ اللَّهُ^(٤) أَنْ لَا أَضْرُكَ، فَفَعَلَتْ. وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ. وَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا فَقَالَ لَهُ:

الحكماء بسند أحسن منه. وذكره ابن مفلح في الآداب الشرعية (٢/٩٦) وقال: رواه ابن حبان في صحيحه وهو حديث حسن. وانظر المقاصد الحسنة (ص ٣٧٧) والميزان للذهبي (٤/٤٦٢).

(٣) ثنتين في ذات الله: معناه أن الكذبات المذكورة إنما هي بالنسبة إلى فهم المخاطب والسماع، وأما في نفس الأمر فليست كذباً مذمومًا لوجهين: أحدهما أنه ورى بها، فقال في سارة: أختي في الإسلام، وهو صحيح في باطن الأمر، والوجه الثاني أنه لو كان كذباً لا تورية فيه، لكان جائزاً في دفع الظالمين، فنبه النبي ﷺ على أن هذه الكذبات ليست داخلية في مطلق الكذب المذموم.

(٤) فلك الله: أي شاهد وضامن أن لا أضرك. وهو قسم.

(١) أبوداود (٤٨٣٦) واللفظ له. وقال المنذري في مختصر أبي داود: أخرجه النسائي. وذكره الألباني في صحيحه (٣/٩١٧) رقم (٤٠٤٩). قال أبو عبيد: معناه هنا المشاغبة والمخالفة على الشريك لأنه من المهموز يعني درأت، ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿فَادَارَأْتُمْ فِيهَا﴾ (البقرة/٧٢) يعني اختلافهم في القتل. والمدارة أيضاً: الاعوجاج والاختلاف والنشوز، قال الشعبي في المرأة المختلعة: إذا كان الدرء من قبلها فلا بأس أن يأخذ منها.

(٢) رواه ابن حبان (٢/٢١٦) (٤٧١)، وذكره في الفتح (١٠/٥٤٥)، وقال: رواه والطبراني في الأوسط وفي سنده يوسف بن محمد بن المنكدر، ضعفه وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به. وكذا أخرجه ابن أبي عاصم في آداب

إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ ، وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ ، فَأَخْرِجْهَا مِنْ أَرْضِي ، وَأَعْطِهَا هَاجِرًا . قَالَ : فَأَقْبَلْتُ تَمْشِي ، فَلَمَّا رَأَاهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ انْصَرَفَ ، فَقَالَ لَهَا : مَهَيْمٌ؟^(١)
قَالَتْ : خَيْرًا . كَفَّ اللَّهُ يَدَ الْفَاجِرِ . وَأَخْدَمَ خَادِمًا)*^(٢)

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في «المداراة»

- ٤ - * (عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ ﷺ : « ائْذِنُوا لَهُ ، فَبَسَّ ابْنُ الْعَشِيرَةِ أَوْ بَسَّ أَخُو الْعَشِيرَةِ » . فَلَمَّا دَخَلَ أَلَانَ لَهُ الْكَلَامَ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قُلْتَ مَا قُلْتُ ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ فِي الْقَوْلِ . فَقَالَ : « أَيُّ عَائِشَةَ ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ تَرَكَهُ أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ »)*^(٣)
- ٥ - * (عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّا نَكْشِرُ^(٤) فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ وَإِنْ قُلُوبُنَا لَتَلْعَنُهُمْ »)*^(٥)
- ٦ - * (عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَهْدَيْتَ لَهُ أَقْبِيَّةً مِنْ دِيْبَاجٍ مُزْرَدَةٌ بِالذَّهَبِ ، فَقَسَمَهَا فِي أَنْاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَعَزَلَ مِنْهَا وَاحِدًا لِمُخْرَمَةِ بْنِ نُوْفَلٍ فَجَاءَ وَمَعَهُ ابْنُهُ الْمِسُورُ بْنُ مُخْرَمَةَ ، فَقَامَ عَلَى الْبَابِ ، فَقَالَ : ادْعُهُ لِي ، فَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ صَوْتَهُ فَأَخَذَ قَبَاءً فَتَلَقَّاهُ بِهِ وَاسْتَقْبَلَهُ بِأَزْرَارِهِ فَقَالَ : يَا أَبَا الْمِسُورِ ، خَبَأْتُ هَذَا لَكَ ، وَكَانَ فِي خُلُقِهِ شَيْءٌ)*^(٦)

من الآثار وأقوال العلماء الواردة في «المداراة»

- ١ - * (رُوي أَنَّ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - جَلَسَ كَتِيبًا خَالِيًا فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ يَا دَاوُدُ ، مَا لِي أَرَاكَ خَالِيًا ؟ قَالَ : « هَجَرْتُ النَّاسَ فَيْكَ قَالَ : أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ
- ٢ - * (قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لَأُمِّ

الضحك بقرينة مقابلته بلعن القلوب .

- (٥) ذكره البخاري معلقًا موقوفًا على أبي الدرداء . وقال الحافظ في الفتح (١٠ / ٥٤٤) : وصله ابن أبي الدنيا وإبراهيم الحربي في غريب الحديث والدينوري في المجالسة وأخرجه أبو نعيم في الحلية ، فهو على شرطه إما حسن أو صحيح .
- (٦) البخاري - الفتح ٦ (٣١٢٧) .
- (٧) الآداب الشرعية (٣ / ٤٧٠) .

(١) مهيم : يعني ما شأنك وما خبرك .

- (٢) البخاري الفتح ٦ (٣٣٥٨) . ومسلم (٢٣٧١) واللفظ له ، وأخدم خادماً : أي وهبني خادماً وهي هاجر .
- (٣) البخاري الفتح ١٠ (٦١٣١) . وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : ولفظه عند الحارث بن أسامة « إنه منافق أداريه عن نفاقه ، وأخشى أن يفسد علي غيره (الفتح : ١٠ / ٥٢٩) .
- (٤) نكشر في وجوه أقوام : نبسم في وجوههم . يقال : كشر عن أسنانه أبدى يكون ذلك في الضحك وغيره ، والمقصود هنا

الدَّرْدَاءِ: «إِذَا غَضِبْتُ فَرَضِينِي، وَإِذَا غَضِبْتَ رَضِيْتُكَ
فَإِذَا لَمْ نَكُنْ هَكَذَا مَا أَسْرَعَ مَا نَفْتَرِقُ» *^(١).

٣ - * (قَالَ مُعَاوِيَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «لَوْ أَنَّ
بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ شَعْرَةً مَا انْقَطَعَتْ، قِيلَ: وَكَيْفَ؟
قَالَ: لِأَنَّهُمْ إِنْ مَدُّوَهَا خَلَّتْهَا، وَإِنْ خَلَّوْا مَدَدْتُهَا» *^(٢).

٤ - * (قَالَ ابْنُ مُفْلِحٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -:
«أَعْطَى الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - شَاعِرًا فَقِيلَ
لَهُ: لِمَ تُعْطِي مَنْ يَقُولُ الْبُهْتَانَ وَيَعْصِي الرَّحْمَنَ؟ فَقَالَ:
إِنَّ خَيْرَ مَا بَدَلْتَ مِنْ مَالِكَ مَا وَقَيْتَ بِهِ مِنْ عَرَضِكَ،
وَمَنْ ابْتَغَى الْخَيْرَ اتَّقَى الشَّرَّ» *^(٣).

٥ - * (قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَفِيَّةِ - رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى -: «لَيْسَ بِحَكِيمٍ مَنْ لَا يُعَاشِرُ بِالْمَعْرُوفِ مَنْ لَا
يَجِدُ مِنْ مُعَاشَرَتِهِ بُدًّا، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُ فَرْجًا - أَوْ قَالَ
مُخْرَجًا - وَأَنْشَدَ الْمُتَنَبِّي:

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى

عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صِدَاقَتِهِ بُدٌّ»^(٤)

٦ - * (قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -:
«كَانُوا يَقُولُونَ: الْمُدَارَاةُ نِصْفُ الْعَقْلِ، وَأَنَا أَقُولُ هِيَ
الْعَقْلُ كُلُّهُ» *^(٥).

٧ - * (قَالَ أَبُو يُوسُفَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -:
«خَمْسَةٌ يَجِبُ عَلَى النَّاسِ مُدَارَاتُهُمْ: الْمَلِكُ الْمُسَلِّطُ،
وَالْقَاضِي الْمُتَأَوَّلُ، وَالْمَرِيضُ، وَالْمَرْأَةُ، وَالْعَالَمُ لِيُقْبَسَ مِنْ

عَلِمِهِ» *^(٦).

٨ - * (قَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -:

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ

أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ

إِنِّي أَحْيِي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَيْهِ

لَأَدْفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ

وَأُظْهِرُ الْبَشَرَ لِلْإِنْسَانِ أَبْغَضُهُ

كَأَنَّمَا قَدْ حَشَا قَلْبِي مَحَبَّاتِ

النَّاسِ دَاءٌ وَدَاءُ النَّاسِ قُرْبُهُمْ

وَفِي اغْتِرَازِهِمْ قَطْعُ الْمَوَدَّاتِ^(٧)

٩ - (قَالَ ابْنُ حِبَّانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: «مَنْ

الْتَمَسَ رِضَا جَمِيعِ النَّاسِ الَّتَمَسَ مَا لَا يُدْرِكُ، وَلَكِنْ
يَقْصِدُ الْعَاقِلُ رِضَا مَنْ لَا يَجِدُ مِنْ مُعَاشَرَتِهِ بُدًّا، وَإِنْ
دَفَعَهُ الْوَقْتُ إِلَى اسْتِحْسَانِ أَشْيَاءٍ مِنَ الْعَادَاتِ كَانَ
يَسْتَقْبِحُهَا وَاسْتِقْبَاحِ أَشْيَاءٍ كَانَ يَسْتَحْسِنُهَا، مَا لَمْ يَكُنْ
مَأْثَمًا، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمُدَارَاةِ، وَمَا أَكْثَرَ مَنْ دَارَى فَلَمْ
يَسْلَمْ فَكَيْفَ تُوجَدُ السَّلَامَةُ لِمَنْ لَا يُدَارِي» *^(٨).

١٠ - * (قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ

تَعَالَى -:

مَا دُمْتُ حَيًّا فَدَارِ النَّاسَ كُلَّهُمْ

فَإِنَّمَا أَنْتَ فِي دَارِ الْمُدَارَاةِ

(١) روضة العقلاء لابن حبان (٧٢).

(٢) روضة العقلاء لابن حبان (٧٢).

(٣) الآداب الشرعية (١١ / ٢).

(٤) المرجع السابق (٤٦٩ / ٣).

(٥) المرجع السابق (٤٦٨ / ٣).

(٦) المرجع السابق (٤٧٧ / ٣).

(٧) أدب الدنيا والدين (٢٢٣).

(٨) روضة العقلاء (٧١ - ٧٢).

مَنْ يَدْرِ دَارِي وَمَنْ لَمْ يَدْرِ سَوْفَ يَرَى

عَمَّا قَلِيلٍ نَدِيماً لِلنَّدَامَاتِ^(١)

١١ - * (قَالَ الْقَاضِي التَّنُوخِيُّ:

الْقُ الْعَدُوَّ بَوَجْهِ لَا قُطُوبَ بِهِ

يَكَادُ يَقْطُرُ مِنْ مَاءِ الْبَشَاشَاتِ

فَأَحْزَمَ النَّاسِ مَنْ يَلْقَى أَعَادِيَهُ

فِي جِسْمٍ حَقْدٍ وَثُوبٍ مِنْ مَوَدَّاتِ

الرِّفْقُ يُمْنُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ

وَكَثْرَةُ الْمَرْحِ مِفْتَاحُ الْعَدَاوَاتِ^(٢)

١٢ - * (قَالَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ:

أَرْضَى عَنِ الْمَرْءِ مَا أَصْفَى مَوَدَّتَهُ

وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْبَغْضَاءِ يُرْضِينِي

وَاللَّهُ لَوْ كَرِهَتْ كَفَى مُصَاحِبَتِي

لَقُلْتُ إِذْ كَرِهَتْ يَوْمًا لَهَا بَيْنِي

ثُمَّ انْتَشَيْتُ عَلَى الْأُخْرَى فَقُلْتُ لَهَا

إِنْ تُسْعِدِينِي وَإِلَّا مِثْلَهَا كُونِي

إِنِّي كَذَاكَ إِذَا أَمُرُّ تَعَرَّضَ لِي

خَشِيتُ مِنْهُ عَلَى دُنْيَايَ أَوْ دِينِي

خَرَجْتُ مِنْهُ وَعَرَضِي مَا أَدْنَسُهُ

وَلَمْ أَقْمِ غَرَضًا لِلنَّذْلِ يَرْمِينِي

وَمُلْطَفٍ بِي مُدَارٍ ذِي مُكَاشَرَةٍ

مُغْضٍ عَلَى وَغَيْرِ فِي الصَّدْرِ مَكْنُونٍ

لَيْسَ الصَّدِيقُ الَّذِي تُخْشَى بَوَادِرُهُ

وَلَا الْعَدُوُّ عَلَى حَالٍ بِمَأْمُونٍ

يَلُومُنِي النَّاسُ فِيمَا لَوْ أَخْبَرَهُمْ

بِالْعُذْرِ فِيهِ يَوْمًا لَمْ يَلُومُونِي^(٣)

١٣ - * (قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -:

الْمُدَارَاةُ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهِيَ مِنْ أَقْوَى أَسْبَابِ

الْأُلْفَةِ بَيْنَهُمْ . فَإِنْ قَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ الْمُدَارَاةَ هِيَ الْمُدَاهَنَةُ ،

وَهَذَا غَلَطٌ ، لَأَنَّ الْمُدَارَاةَ مَنُذُوبٌ إِلَيْهَا ، وَالْمُدَاهَنَةُ مُحَرَّمَةٌ ،

وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْمُدَاهَنَةَ مِنَ الدَّهَانِ ، وَهُوَ الَّذِي يُظْهِرُ

الشَّيْءَ ، وَيَسْتُرُ بَاطِنَهُ وَقَدْ فَسَّرَهَا الْعُلَمَاءُ بِأَنَّهَا مُعَاشَرَةُ

الْفَاسِقِ وَإِظْهَارُ الرِّضَا بِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ غَيْرِ انْكَارٍ عَلَيْهِ ،

وَالْمُدَارَاةُ : هِيَ الرِّفْقُ بِالْجَاهِلِ فِي التَّعْلِيمِ وَبِالْفَاسِقِ فِي

النَّهْيِ عَنْ فِعْلِهِ ، وَتَرْكُ الْإِغْلَاطِ عَلَيْهِ حَيْثُ لَا يَظْهَرُ مَا

هُوَ فِيهِ ، وَالْإِنْكَارُ عَلَيْهِ بِلُطْفِ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ، وَلَا سِيَّامَا

إِذَا احْتِيجَ إِلَى تَأْلُفِهِ) *^(٤) .

١٤ - * (وَقَالَ الْمَاورِدِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -

أَيْضًا: إِنَّ الْإِنْسَانَ إِنْ كَانَ مَأْمُورًا بِتَأْلُفِ الْأَعْدَاءِ ،

وَمَنُذُوبًا إِلَى مُقَارَبَتِهِمْ ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ

رَاكِبًا وَبِهِمْ وَائِقًا ، بَلْ يَكُونُ مِنْهُمْ عَلَى حَذَرٍ ، وَمِنْ

مَكْرِهِمْ عَلَى تَحَرُّزٍ ، فَإِنَّ الْعَدَاوَةَ إِذَا اسْتَحْكَمَتْ فِي

الطَّبَاعِ صَارَتْ طَبْعًا لَا يَسْتَحِيلُ ، وَجِبَلَةٌ لَا تَزُولُ ،

وَإِنَّمَا يَسْتَكْفِي بِالتَّأْلُفِ إِظْهَارُهَا^(٥) ، وَيَسْتَدْفَعُ بِهِ

(٤) فتح الباري (١٠ / ٥٤٥) .

(٥) يستكفي: أي يستكفي من قولهم كفا القدر غطاءه .

(١) الآداب الشرعية (١ / ٥٤) .

(٢) أدب الدنيا والدين (٢٢٣) .

(٣) الآداب الشرعية (٣ / ٥٦١) .

المهارة) * (٣).

١٧ - * (وقال شاعر:

ما بقي عنك قومًا أنت خائفهم

كمثل دفعك جهلاً بجَهال

قَعَسُ^(٤) إِذَا حَدَبُوا وَاحْدَبَ إِذَا قَعَسُوا

وَوَازِنِ الشَّرِّ مِثْقَالًا بِمِثْقَالٍ) * (٥).

١٨ - * (قال زهير:

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ

يُضَرِّسُ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَنْسِمٍ) * (٦).

١٩ - * (قال النمر بن تولب:

وَأَبْغَضُ بَغِيضِكَ بَغْضًا رُويْدًا

إِذَا أَنْتَ حَاوَلْتَ أَنْ تَحْكُمَا

وَأَحْبَبُ حَبِيْبِكَ حُبًّا رُويْدًا

فَلَيْسَ يَعُولُكَ أَنْ تُصْرَمَا) * (٧).

أَضْرَارَهَا، كَالنَّارِ يُسْتَدْفَعُ بِالمَاءِ إِحْرَاقُهَا ، وَيُسْتَفَادُ بِهِ
إِنْصَاجُهَا ، وَإِنْ كَانَتْ مُحْرِقَةً مُتَاجِجَةً فِي يَابِسِ الحَطَبِ
لَا يَقْرُبُهَا إِلَّا تَالِفٌ ، وَلَا يَذْنُو مِنْهَا إِلَّا هَالِكٌ) * (١).

١٥ - * (قال ابن الجوزي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى :-

مِنْ الْإِبْتِلَاءِ الْعَظِيمِ إِقَامَةُ الرَّجُلِ فِي غَيْرِ مَقَامِهِ ، مِثْلُ أَنْ
يَحْتَاجَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ إِلَى مُدَارَاةِ الظَّالِمِ وَالتَّردُّدِ إِلَيْهِ ،
وَإِلَى مُخَالَطَتِهِ مَنْ لَا يَصْلُحُ ، وَإِلَى أَعْمَالٍ لَا تَلِيْقُ بِهِ ،
وَإِلَى أُمُورٍ تَقْطَعُ عَلَيْهِ مُرَادَهُ الَّذِي يُؤَثِّرُهُ ، فَقَدْ يُقَالُ
لِلْعَالِمِ: تَرَدَّدَ عَلَى الْأَمِيرِ وَإِلَّا خِفْنَا عَلَيْكَ سَطْوَتَهُ ،
فَيَتَرَدَّدُ فَيَرَى مَا لَا يَصْلُحُ لَهُ وَلَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يُنْكَرَ أَوْ يَحْتَاجَ
إِلَى شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا وَقَدْ مَنَعَ حَقُّهُ ، فَيَحْتَاجُ أَنْ يُعْرِضَ
بِذِكْرِ ذَلِكَ أَوْ يُصْرِّحَ لِنَيْالِ بَعْضِ حَقِّهِ ، وَيَحْتَاجُ إِلَى
مُدَارَاةٍ مَنْ تَصْعَبُ مُدَارَاتُهُ ، بَلْ يَتَشَتَّتْ هُمُهُ لِتِلْكَ
الضَّرُورَاتِ) * (٢).

١٦ - * (قال بعض العلماء: رَأْسُ الْمُدَارَاةِ تَرْكُ

من فوائد «المدارة»

الأعداء .

١ - الرِّاحَةُ فِي الدُّنْيَا ، وَالْأَجْرُ وَالثَّوَابُ فِي الْآخِرَةِ .

٢ - لَا بُدَّ مِنْهَا لِاتِّقَاءِ شَرِّ الْأَشْرَارِ ، وَدَوَامِ مُعَاشَرَةِ
الْأَخْيَارِ .

٣ - يُحْتَاجُ إِلَيْهَا مَعَ الْأَصْدِقَاءِ كَمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهَا مَعَ

٤ - دَلِيلُ كَمَالِ الْعَقْلِ ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ ، وَمَتَانَةِ الدِّينِ .

٥ - الْمُدَارَاةُ تَكُونُ فِي الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ فَقَطْ ، وَتَحْرُمُ إِذَا
كَانَتْ فِي أُمُورِ الدِّينِ وَهَذِهِ هِيَ الْمُدَاهَنَةُ .

(٥) الآداب الشرعية (٢/ ١١).

(٦) المرجع السابق نفسه (١/ ٥٤). وَالْمَنْسِمُ - بفتح الميم

وكسر السين - طرف خف البعير والنعامة والفيل.

(٧) الآداب الشرعية (١/ ٥٣).

(١) أدب الدنيا والدين (٤٠٥) بتصرف.

(٢) صيد الخاطر (٢٩٠ - ٢٩١).

(٣) الآداب الشرعية (٣/ ٤٦٩).

(٤) القعس: خروج الصدر ودخول الظهر وهو ضد الحذب

المراقبة

الآيات	الأحاديث	الآثار
-	٥	١٩

المراقبة لغة:

مَصْدَرٌ قَوْلُهُمْ: رَاقِبٌ مُرَاقِبَةٌ وَهُوَ مَا أُخِذَ مِنْ مَادَّةِ رَقَبَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى «انْتِصَابٍ» لِمُرَاعَاةِ شَيْءٍ وَمِنْ ذَلِكَ: الرَّقِيبُ وَهُوَ الْحَافِظُ، يُقَالُ مِنْهُ: رَقَبْتُ أَرْقُبُ رِقْبَةً وَرِقْبَانًا، وَالْمُرْقَبُ: الْمَكَانُ الْعَالِي يَقِفُ عَلَيْهِ النَّاطِرُ وَمِنْ ذَلِكَ اسْتِثْقَاقُ الرِّقْبَةِ لِأَنَّهَا مُنْتَصِبَةٌ، وَلِأَنَّ النَّاطِرَ لَا بُدَّ يَنْتَصِبُ عِنْدَ نَظَرِهِ، وَيُقَالُ أَرْقَبْتُ فَلَانًا هَذِهِ الدَّارُ، وَذَلِكَ أَنْ تُعْطِيَهُ إِيَّاهَا يَسْكُنُهَا، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ إِنْ مِتُّ قَبْلِي رَجَعْتُ إِلَيَّ، وَإِنْ مِتُّ قَبْلَكَ فَهِيَ لَكَ، وَهَذَا مِنَ الْمُرَاقَبَةِ كَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْقُبُ مَوْتَ صَاحِبِهِ، وَالرَّقُوبُ: الْمَرْأَةُ الَّتِي لَا يَعْيشُ لَهَا وَلَدٌ كَأَنَّهَا تَرْقُبُهُ لَعَلَّهُ يَبْقَى لَهَا، وَجَاءَ فِي الصِّحَاحِ: وَالرَّقِيبُ: الْمُسْتَظَرُّ، وَالرَّقِيبُ الْمُوَكَّلُ بِالضَّرِيبِ، وَالرَّقِيبُ: الثَّالِثُ مِنْ سِهَامِ الْمَيْسِرِ، وَالْتَرَقُّبُ: الْإِنْتِظَارُ، وَكَذَلِكَ: الْإِرْتِقَابُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ (هود/ ٩٣). وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: رَاقِبَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَمْرِهِ أَيْ خَافَهُ، وَرَقْبُهُ يَرْقُبُهُ رِقْبَةً وَرِقْبَانًا، بِالْكَسْرِ فِيهِمَا، وَرُقُوبًا، وَتَرْقَبُهُ، وَارْتَقَبَهُ: أَنْتَظَرَهُ وَرَصَدَهُ، وَارْتَقَبَ: أَشْرَفَ وَعَلَا، وَالْمُرْقَبُ وَالْمُرْقَبَةُ: الْمَوْضِعُ الْمُشْرِفُ، يَرْتَفِعُ عَلَيْهِ

الرَّقِيبُ. وَرَقَبَ الشَّيْءَ يَرْقُبُهُ: حَرَسَهُ، وَفِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى: (الرَّقِيبُ): وَهُوَ الْحَافِظُ الَّذِي لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ، فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ^(١).

المراقبة اصطلاحًا:

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: الْمُرَاقَبَةُ دَوَامُ عِلْمِ الْعَبْدِ وَتَيَقُّنِهِ بِاطِّلَاعِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ^(٢).

وَقَالَ الْمُحَاسِبِيُّ: الْمُرَاقَبَةُ: دَوَامُ عِلْمِ الْقَلْبِ بِعِلْمِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي السُّكُونِ وَالْحَرَكَةِ عِلْمًا لَازِمًا مُقْتَرِنًا بِصِفَاءِ الْيَقِينِ.

أَمَّا أَوَّلُ الْمُرَاقَبَةِ فَهُوَ عِلْمُ الْقَلْبِ بِقُرْبِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ^(٣).

بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها :

اعْلَمْ أَنَّ حَقِيقَةَ الْمُرَاقَبَةِ هِيَ مُلَاحَظَةُ الرَّقِيبِ وَانْصِرَافُ الْهَمِّ إِلَيْهِ، فَمَنْ اخْتَرَزَ مِنْ أَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ سَبَبَ غَيْرِهِ، يُقَالُ إِنَّهُ يُرَاقِبُ فَلَانًا، وَيُرَاعِي جَانِبَهُ، وَيَعْنِي بِهِ الْمُرَاقَبَةَ حَالَةَ لِلْقَلْبِ يُثْمِرُهَا نَوْعٌ مِنَ الْمَعْرِفَةِ، وَتُثْمِرُ تِلْكَ الْحَالَةَ أَعْمَالًا فِي الْجَوَارِحِ وَفِي الْقَلْبِ. أَمَّا الْحَالَةُ فَهِيَ مُرَاعَاةُ الْقَلْبِ لِلرَّقِيبِ وَاشْتِغَالُهُ

(١) مقاييس اللغة (٤٢٧/٢) ولسان العرب (١/ ٤٢٤)

(٢) مدارج السالكين (٦٨/٢).

(٣) الوصايا للمحاسبي (٣١٣) بتصرف واختصار.

الْقَلْبَ إِلَى مُرَاعَاةِ جَانِبِ الرَّقِيبِ وَصَرَفَتْ هَمَّهُ إِلَيْهِ ؛
وَالْمُوقِنُونَ بِهَذِهِ الْمَعْرِفَةِ هُمُ الْمُقَرَّبُونَ ، وَهُمْ يَنْقَسِمُونَ
إِلَى الصِّدِّيقِينَ وَإِلَى أَصْحَابِ الْيَمِينِ ^(١) .

[للاستزادة: انظر صفات: الإحسان - مجاهدة

النفس - محاسبة النفس - القوة - قوة الإرادة - اليقين -
الخوف - الخشية.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإعراض -

الشك - الغفلة - اتباع الهوى - أكل الحرام.]

بِهِ وَالتَّفَاتُهُ إِلَيْهِ وَمُلاحَظَتُهُ إِيَّاهُ وَانْصِرَافُهُ إِلَيْهِ . وَأَمَّا
الْمَعْرِفَةُ الَّتِي تُثْمِرُ هَذِهِ الْحَالَةَ فَهِيَ الْعِلْمُ بِأَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ
عَلَى الضَّامِرِ، عَالِمٌ بِالسَّرَائِرِ، رَقِيبٌ عَلَى أَعْمَالِ الْعِبَادِ،
قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، وَأَنَّ سِرَّ الْقَلْبِ فِي حَقِّهِ
مَكْشُوفٌ كَمَا أَنَّ ظَاهِرَ الْبَشَرَةِ لِلْخَلْقِ مَكْشُوفٌ بَلْ أَشَدُّ
مِنْ ذَلِكَ . فَهَذِهِ الْمَعْرِفَةُ إِذَا صَارَتْ يَقِينًا - أَغْنِي أَنَّهَا
خَلَّتْ عَنِ الشَّكِّ - ثُمَّ اسْتَوَلَتْ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْقَلْبِ
قَهْرَتُهُ ؛ فَرُبَّ عِلْمٍ لَا شَكَّ فِيهِ لَا يَغْلِبُ عَلَى الْقَلْبِ
كَالْعِلْمِ بِالْمَوْتِ ، فَإِذَا اسْتَوَلَتْ عَلَى الْقَلْبِ اسْتَجَرَّتِ

الأحاديث الواردة في «المراقبة» معنى

١ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفِرَ يَتَمَشُّونَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ . فَأَوُوا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ . فَاِنْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ . فَاِنْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ ، فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَا ، لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، وَامْرَأَتِي ، وَلِي صَبِيَّةٌ صِغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ^(١) ، حَلَبْتُ ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ ، وَإِنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا ، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ ، فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ ، فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا ، أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصَّبِيَّةَ قَبْلَهُمَا ، وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاغُونَ^(٢) عِنْدَ قَدَمَيَّ ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِي وَدَائِهِمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ . فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً ، نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ ، فَفَرَجَ اللَّهُ مِنْهَا فُرْجَةً ، فَرَأَوْا السَّمَاءَ . وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةٌ عَمَّ أَحَبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا . فَأَبَتْ حَتَّى آتَيْهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ . فَتَعَبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ ، فَجِئْتُهَا بِهَا ، فَلَمَّا

وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا^(٣) قَالَتْ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ! اتَّقِ اللَّهَ ، وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتِمَ إِلَّا بِحَقِّهِ^(٤) فَقُمْتُ عَنْهَا ، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً ، فَفَرَجَ لَهُمْ . وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أُرْزٍ ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَقَهُ فَرَغَبَ عَنْهُ . فَلَمْ أَزَلْ أَرْزِعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرِعَاءَهَا ، فَجَاءَ نِي فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي . قُلْتُ: أَذْهَبُ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا ، فَخُذْهَا . فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ ، وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي . فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ . خُذْ ذَلِكَ الْبَقَرِ وَرِعَاءَهُ . فَأَخَذَهُ فَذَهَبَ بِهِ . فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَافْرُجْ لَنَا مَا بَقِيَ ، فَفَرَجَ اللَّهُ مَا بَقِيَ^(٥) .

٢ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِئْنُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ

(١) فإذا أرحت عليهم: أي إذا رددت الماشية من المرعى إليهم.

(٢) يتضاغون: أي يصيحون ويستغيثون من الجوع.

(٣) فلما وقعت بين رجليها: أي جلست مجلس الرجل للوقاع.

(٤) لا تفتح الخاتم إلا بحقه: الخاتم كناية عن بكارتها. وقوله بحقه: أي بنكاح لا بزنى.

(٥) البخاري - الفتح ١٠ (٥٩٧٤). ومسلم (٢٧٤٣) واللفظ له.

ذَكَرَ اللَّهُ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»*)^(١).

٣ - *) (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ. فَإِنْ عَمِلَهَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلَهَا، فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ رَبِّ! ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً (وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ) فَقَالَ: ارْتَبُوه، فَإِنْ عَمِلَهَا فَارْتَبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَارْتَبُوهَا لَهُ حَسَنَةً. فَإِنَّهُ تَرَكَهَا مِنْ جَرَّائِي»*)^(٢).

٤ - *) (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: مَا الْإِيْمَانُ؟ قَالَ: «الْإِيْمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَبِلِقَائِهِ وَبِرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ». قَالَ: مَا الْإِسْلَامُ؟

قَالَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ. قَالَ: مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «مَا الْمُسْتَوَلُّ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا. إِذَا وَلَدَتِ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا. وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاةُ الْإِبِلِ الْبُهِمِ فِي الْبُنْيَانِ فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ تَلَا النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» الْآيَةَ (لَقْمَانُ / ٣٤)، ثُمَّ أَذْبَرَ فَقَالَ: رُدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا. فَقَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ»*)^(٤).

٥ - *) (عَنْ مُعَاذٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: يَارَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي. قَالَ: «اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، وَاعْدُدْ نَفْسَكَ مِنَ الْمَوْتَى، وَإِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِمَا هُوَ أَمْلَكُ بِكَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ؟ قَالَ: هَذَا «وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى لِسَانِهِ»*)^(٥).

من الآثار وأقوال العلماء الواردة في «المراقبة»

١ - *) (قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِلَى مَكَّةَ فَعَرَّسْنَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ فَأَنحَدَرَ عَلَيْهِ رَاعٍ مِنَ الْجَبَلِ، فَقَالَ لَهُ: يَا رَاعِي، بَعْثِي شَاةً مِنْ هَذِهِ الْغَنَمِ؟ فَقَالَ: إِنِّي مَمْلُوكٌ، فَقَالَ: قُلْ لِسَيِّدِكَ: أَكَلَهَا الذُّبُّ؟ قَالَ: فَأَيْنَ اللَّهُ؟

قَالَ: فَبَكَى عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ثُمَّ غَدَا إِلَى الْمَمْلُوكِ فَاشْتَرَاهُ مِنْ مَوْلَاهُ، وَأَعْتَقَهُ وَقَالَ: أَعْتَقْتُكَ فِي الدُّنْيَا هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَأَرْجُو أَنْ تُعْتَقَكَ فِي الْآخِرَةِ»*)^(٦).

٢ - *) (قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ لِرَجُلٍ: رَاقِبِ اللَّهَ تَعَالَى، فَسَأَلَهُ عَنْ تَفْسِيرِهَا فَقَالَ: كُنْ أَبَدًا كَأَنَّكَ تَرَى اللَّهَ عَزَّ

(١) البخاري - الفتح ٣ (١٤٢٣). ومسلم (١٠٣١) واللفظ له.

(٢) من جراي: من أجلي.

(٣) البخاري - الفتح ١٣ (٧٥٠١). ومسلم (١٢٩) واللفظ له.

(٤) البخاري - الفتح ١ (٥٠) واللفظ له. ومسلم (٩٠).

(٥) قال المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥٣٢): رواه ابن

أبي الدنيا بإسناد جيد.

(٦) انظر إحياء علوم الدين للغزالي (٤/ ٣٩٦).

وَجَلَّ)*^(١).

٣ - * (قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : عَلَيْكَ بِالمُرَاقَبَةِ

مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ، وَعَلَيْكَ بِالرَّجَاءِ مِمَّنْ يَمْلِكُ
الْوَفَاءَ)*^(٢).

٤ - * (قَالَ أَبُو عُثْمَانَ : قَالَ لِي أَبُو حَفْصٍ : إِذَا

جَلَسْتَ لِلنَّاسِ فَكُنْ وَاعِظًا لِنَفْسِكَ وَقَلْبِكَ ، وَلَا
يَغُرَّنَّكَ اجْتِمَاعُهُمْ عَلَيْكَ فَإِنَّهُمْ يُرَاقِبُونَ ظَاهِرَكَ وَاللَّهُ
رَقِيبٌ عَلَى بَاطِنِكَ)*^(٣).

٥ - * (قَالَ الْجَرِيرِيُّ : أَمَرْنَا هَذَا مَبْنِيًّا عَلَى

أَصْلَيْنِ : أَنْ تُلْزِمَ نَفْسَكَ المُرَاقَبَةَ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَيَكُونَ
الْعِلْمُ عَلَى ظَاهِرِكَ قَائِمًا)*^(٤).

٦ - * (قَالَ أَبُو عُثْمَانَ الْمَغْرِبِيُّ : أَفْضَلُ مَا يُلْزِمُ

الْإِنْسَانَ نَفْسَهُ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْمُحَاسَبَةُ وَالْمُرَاقَبَةُ
وَسِيَاسَةُ عَمَلِهِ بِالْعِلْمِ)*^(٥).

٧ - * (قَالَ رَجُلٌ لِلْجُنَيْدِ : بِسْمِ اسْتَعِينُ عَلَى

غَضِّ الْبَصَرِ؟ فَقَالَ : بَعْلَمِكَ أَنْ نَظَرَ النَّاطِرِ إِلَيْكَ
أَسْبَقُ مِنْ نَظَرِكَ إِلَى الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ)*^(٦).

٨ - * (قَالَ حُمَيْدُ الطَّوِيلُ لِسُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ :

عَظُمِي ، فَقَالَ : لَئِنْ كُنْتَ إِذَا عَصَيْتَ خَالِيًا ظَنَنْتَ أَنَّهُ
يَرَاكَ لَقَدْ اجْتَرَأْتَ عَلَى أَمْرِ عَظِيمٍ ، وَلَئِنْ كُنْتَ تَظُنُّ أَنَّهُلَا يَرَاكَ فَلَقَدْ كَفَرْتَ)*^(٧).

٩ - * (سُئِلَ ذُو النُّونِ : بِمِ يَنَالُ الْعَبْدُ الْجَنَّةَ؟

فَقَالَ : بِخَمْسٍ : اسْتِقَامَةٌ لَيْسَ فِيهَا رَوَّعَانٌ ، وَاجْتِهَادٌ
لَيْسَ مَعَهُ سَهْوٌ ، وَمُرَاقَبَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ،
وَانْتِظَارُ الْمَوْتِ بِالتَّأَهُبِ لَهُ ، وَمُحَاسَبَةُ نَفْسِكَ قَبْلَ أَنْ
تُحَاسَبَ)*^(٨).

١٠ - * (قَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيْدٍ : إِذَا كَانَ

سَيِّدِي رَقِيبًا عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي بِغَيْرِهِ)*^(٩).

١١ - * (قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ : أَفْضَلُ الطَّاعَاتِ

مُرَاقَبَةُ الْحَقِّ عَلَى دَوَامِ الْأَوْقَاتِ)*^(١٠).

١٢ - * (قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : الْحَقُّ -

عَزَّ وَجَلَّ - أَقْرَبُ إِلَى عَبْدِهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ. لَكِنَّهُ
عَامِلُ الْعَبْدِ مُعَامَلَةُ الْغَائِبِ عَنْهُ الْبَعِيدِ مِنْهُ ، فَأَمَرَ
بِقَصْدِ نِيَّتِهِ ، وَرَفَعَ الْيَدَيْنِ إِلَيْهِ ، وَالسُّؤَالَ لَهُ. فَقُلُوبُ
الْجُهَّالِ تَسْتَشْعِرُ الْبُعْدَ ، وَلِذَلِكَ تَقَعُ مِنْهُمْ الْمَعَاصِي ،
إِذْ لَوْ تَحَقَّقَتْ مُرَاقِبَتُهُمْ لِلْحَاضِرِ النَّاطِرِ لَكَفُّوا الْأَكْفَ
عَنِ الْخَطَايَا. وَالْمُتَّقِظُونَ عَلِمُوا قُرْبَهُ فَحَضَرَتْهُمْ المُرَاقَبَةُ
، وَكَفَتْهُمْ عَنِ الْإِنْسِاطِ)*^(١١).

١٣ - * (سُئِلَ الْمُحَاسِبِيُّ عَنِ المُرَاقَبَةِ فَقَالَ :

أَوَّلُهَا عِلْمُ الْقَلْبِ بِقُرْبِ اللَّهِ تَعَالَى)*^(١٢).

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٢٩٧/٤).

(٢) المرجع السابق (٣٩٧/٤).

(٣) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٥) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٦) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٧) المرجع السابق (٣٩٥/٤).

(٨) المرجع السابق (٣٩٨/٤).

(٩) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(١٠) المرجع السابق (٣٩٧/٤).

(١١) صيد الخاطر (٢٣٦).

(١٢) إحياء علوم الدين للغزالي (٣٩٧/٤).

١٤ - * (قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : فَسَّرَ

النَّبِيُّ ﷺ الْإِحْسَانَ حِينَ سَأَلَهُ جِبْرِيلُ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَسَلَامُهُ ، فَقَالَ : « هُوَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ . أَرَادَ بِالْإِحْسَانِ الْإِشَارَةَ إِلَى الْمُرَاقَبَةِ وَحُسْنِ الطَّاعَةِ فَإِنَّ مَنْ رَاقَبَ اللَّهَ أَحْسَنَ عَمَلَهُ » ^(١) .

١٥ - * (يَنْبَغِي أَنْ يُرَاقَبَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ قَبْلَ

الْعَمَلِ وَفِي الْعَمَلِ ، هَلْ يُحَرِّكُهُ عَلَيْهِ هَوَى النَّفْسِ أَوْ الْمُحَرِّكُ لَهُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى خَاصَّةً ؟ فَإِنْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى أَمُضًا ، وَإِلَّا تَرَكَهُ ، وَهَذَا هُوَ الْإِحْلَاصُ .

قَالَ الْحَسَنُ : رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا وَقَفَ عِنْدَ هَمِّهِ ، فَإِنْ

كَانَ لِلَّهِ مَضَى ، وَإِنْ كَانَ لِغَيْرِهِ تَأَخَّرَ .

فَهَذِهِ مُرَاقَبَةُ الْعَبْدِ فِي الطَّاعَةِ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ

مُخْلِصًا فِيهَا ، وَمُرَاقَبَتُهُ فِي الْمَعْصِيَةِ تَكُونُ بِالتَّوْبَةِ وَالنَّدَمِ وَالْإِقْلَاعِ ، وَمُرَاقَبَتُهُ فِي الْمُبَاحِ تَكُونُ بِمُرَاعَاةِ الْأَدَبِ ، وَالشُّكْرِ عَلَى النِّعَمِ ، فَإِنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ نِعْمَةٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ الشُّكْرِ عَلَيْهَا ، وَلَا يَخْلُو مِنْ بَلِيَّةٍ لَا بُدَّ مِنَ الصَّبْرِ

عَلَيْهَا ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْمُرَاقَبَةِ) * ^(٢) .

١٦ - * (سُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ (البينة / ٨) فَقَالَ : مَعْنَاهُ : ذَلِكَ لِمَنْ رَاقَبَ رَبَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَحَاسَبَ نَفْسَهُ وَتَزَوَّدَ لِمَعَادِهِ) * ^(٣) .

١٧ - * (قِيلَ : مَنْ رَاقَبَ اللَّهَ فِي خَوَاطِرِهِ ،

عَصَمَهُ فِي حَرَكَاتِ جَوَارِحِهِ) * ^(٤) .

١٨ - (وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : مَتَى يَهْشُرُ الرَّاعِي

غَنَمَهُ بِعَصَاهُ عَنْ مَرَاعِ الْهَلَكَةِ ؟ فَقَالَ : إِذَا عَلِمَ أَنَّ عَلَيْهِ رَقِيبًا) * ^(٥) .

١٩ - * (قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ

خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يَغْفُلُ سَاعَةً

وَلَا أَنَّ مَا تُخْفِيهِ عَنْهُ يَغِيبُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْيَوْمَ أُسْرِعَ ذَاهِبٌ

وَأَنَّ غَدًا لِلنَّاظِرِينَ قَرِيبٌ) * ^(٦) .

من فوائد « المراقبة »

(٤) تُثْمِرُ مَحَبَّةَ اللَّهِ تَعَالَى وَرِضَاهُ .

(٥) دَلِيلٌ عَلَى حُسْنِ الْخَاتِمَةِ .

(٦) مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ صَلَاحِ الْعَبْدِ وَاسْتِقَامَتِهِ .

(١) الْفَوْزُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةُ مِنَ النَّارِ .

(٢) الْأَمْنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

(٣) دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ الْإِيمَانِ وَحُسْنِ الْإِسْلَامِ .

(٤) المرجع السابق (٤ / ٣٩٦) .

(٥) إحياء علوم الدين للغزالي (٤ / ٣٩٦) .

(٦) المرجع السابق (٤ / ٣٩٥) .

(١) لسان العرب (١٣ / ١١٥ - ١١٧) .

(٢) إغاثة اللفهان لابن القيم (٣٩٢) .

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي (٤ / ٣٩٧) .

المروءة

الآيات	الأحاديث	الآثار
-	١٤	٢٨

المروءة لغةً:

مَصْدَرُ مَرُوءٍ الرَّجُلُ يَمُرُّ، وَهُوَ مَاخُذٌ مِنْ مَادَّةِ (م ر أ) الَّتِي ذَكَرَ ابْنُ فَارِسٍ أَنَّهَا لَا تَنْقَاسُ (أَيُّ لَيْسَ لَهَا مَعْنَى وَاحِدٌ تَرْجِعُ إِلَيْهِ مُشْتَقَاتُهَا)، يُقَالُ امْرُؤٌ وَامْرَأَنٌ وَامْرِيٌّ، وَامْرَأَةٌ تَأْنِيثُ امْرِيٍّ، الْمُرُوءَةُ: كَمَالُ الرَّجُولِيَّةِ .

وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: قَدْ مَرُوءَ الرَّجُلُ، وَتَمَرَأَ إِذَا تَكَلَّفَ الْمُرُوءَةَ، وَالْمَرَأَةُ مَصْدَرُ الشَّيْءِ الْمَرِيٍّ، وَجَمْعُ الْمَرَأَةِ مَرَاءٍ، وَالْعَوَامُّ يَقُولُونَ فِي جَمْعِ الْمَرَأَةِ مَرَايَا، قَالَ: وَهُوَ خَطَأٌ وَالْمَرَأَةُ: الْمَهَارَةُ وَالْجَدَلُ، وَالْمَرِيٌّ الرَّجُلُ الْمَقْبُولُ فِي خَلْقِهِ وَخُلُقِهِ، وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْمُرُوءَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ، وَلَكَ أَنْ تُشَدِّدَ (بَعْدَ قَلْبِ الْهَمْزَةِ وَآوًا فَتَقُولُ: مُرُوءَةٌ) وَالْمَرَأَةُ: الرَّجُلُ، يُقَالُ: هَذَا مَرَأٌ صَالِحٌ، وَضَمُّ الْمِيمِ لُغَةٌ، وَهُمَا مَرءَانٌ صَالِحَانِ، وَلَا يُجْمَعُ عَلَى لَفْظِهِ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: هَذِهِ مَرَأَةٌ صَالِحَةٌ وَمَرَةٌ أَيْضًا بَتَرَكِ الْهَمْزَةَ وَتَحْرِيكِ الرَّاءِ بِحَرَكَتِهَا، وَالنِّسْبَةُ إِلَى امْرِيٍّ: مَرِيٌّ.

وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: الْمُرُوءَةُ: كَمَالُ الرَّجُولِيَّةِ. مَرُوءٌ

الرَّجُلُ يَمُرُّ مُرُوءَةً، فَهُوَ مَرِيٌّ عَلَى فَعِيلٍ، وَتَمَرَأَ عَلَى تَفَعَّلَ: صَارَ ذَا مُرُوءَةٍ. وَتَمَرَأَ: تَكَلَّفَ الْمُرُوءَةَ. وَتَمَرَأَ بِنَا أَيُّ طَلَبَ بِإِكْرَامِنَا اسْمَ الْمُرُوءَةِ. وَفُلَانٌ يَتَمَرَأُ بِنَا أَيُّ يَطْلُبُ الْمُرُوءَةَ بِنَقْصِنَا أَوْ عَيْنِنَا. وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: لَمَّا تَزَوَّجَ فَاطِمَةَ، قَالَ لَهُ يَهُودِيٌّ، أَرَادَ أَنْ يَبْتَاعَ مِنْهُ ثِيَابًا - لَقَدْ تَزَوَّجَتْ امْرَأَةً، يُرِيدُ: امْرَأَةً كَامِلَةً، كَمَا يُقَالُ: فُلَانٌ رَجُلٌ أَيُّ كَامِلٌ فِي الرَّجَالِ ^(١).

المروءة اصطلاحاً:

قَالَ الْمَاوَرَدِيُّ: الْمُرُوءَةُ مُرَاعَاةُ الْأَحْوَالِ إِلَى أَنْ تَكُونَ ^(٢) عَلَى أَفْضَلِهَا، حَتَّى لَا يَظْهَرَ مِنْهَا قَبِيحٌ عَنْ قَصْدٍ، وَلَا يَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا ذَمٌّ بِاسْتِحْقَاقٍ ^(٣). وَقَالَ الْكُفَوِيُّ: الْمُرُوءَةُ هِيَ الْإِنْسَانِيَّةُ. وَقِيلَ هِيَ الرَّجُولِيَّةُ الْكَامِلَةُ ^(٤).

وَقَالَ الْجُرْجَانِيُّ: هِيَ قُوَّةٌ لِلنَّفْسِ مَبْدَأٌ لِصُدُورِ الْأَفْعَالِ الْجَمِيلَةِ عَنْهَا الْمُسْتَبَعَةُ لِلْمَدْحِ شَرْعًا وَعَقْلًا (وَعُرفًا) ^(٥).

وَقَالَ الْمُقَرِّيُّ: الْمُرُوءَةُ آدَابُ نَفْسَانِيَّةٌ، تَحْمِلُ

(١) هامش ١ ص ٣٠٦ من كتاب (أدب الدنيا والدين).

(٣) أدب الدنيا والدين (٣٠٦).

(٤) الكليات للكفوي (٨٧٤).

(٥) التعريفات (٢١٠).

(١) مقاييس اللغة (٣١٥/٥) تهذيب اللغة (٢٨٨/١٥)

الصحاح (٧٢/١) لسان العرب (١٥٦/١).

(٢) الضمير في تكون يرجع إلى النفس، ويؤيد هذا قوله فيها بعد: فكتب أن مراعاة النفس على أفضل أحوالها، انظر

مُرَاعَاةَهَا الْإِنْسَانَ عَلَى الْوُقُوفِ عِنْدَ مُحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ وَجَمِيلِ الْعَادَاتِ^(١).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: حَقِيقَةُ الْمُرُوءَةِ: اتِّصَافُ النَّفْسِ بِصِفَاتِ الْإِنْسَانِ الَّتِي فَارَقَ بِهَا الْحَيَوَانَ الْبَهِيمَ، وَالشَّيْطَانَ الرَّجِيمَ، فَإِنَّ فِي النَّفْسِ ثَلَاثَةَ دَوَاعٍ مُتَجَادِبَةٍ: دَاعٍ يَدْعُوهَا إِلَى الْإِتِّصَافِ بِأَخْلَاقِ الشَّيْطَانِ، مِنْ الْكِبْرِ، وَالْحَسَدِ وَالْعُلُوِّ وَالْبَغْيِ، وَالشَّرِّ وَالْأَذَى، وَالْفَسَادِ وَالْغِشِّ.

وَدَاعٍ يَدْعُوهَا إِلَى أَخْلَاقِ الْحَيَوَانِ، وَهُوَ دَاعِي الشَّهْوَةِ، وَدَاعٍ يَدْعُوهَا إِلَى أَخْلَاقِ الْمَلِكِ، مِنْ الْإِحْسَانِ، وَالنُّصْحِ، وَالْبِرِّ، وَالطَّاعَةِ، وَالْعِلْمِ. وَالْمُرُوءَةُ بُغْضُ الدَّاعِيَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ وَاجَابَةُ الدَّاعِيِ الثَّالِثِ، وَلِهَذَا قِيلَ فِي حَدِّ الْمُرُوءَةِ: إِنَّهَا غَلَبَةُ الْعَقْلِ لِلشَّهْوَةِ، وَنَقْلٌ عَنِ الْفُقَهَاءِ قَوْلُهُمْ:

حَدُّ الْمُرُوءَةِ: اسْتِعْمَالُ مَا يُجَمَّلُ الْعَبْدَ وَيَزِينُهُ، وَتَرْكُ مَا يُدْنِسُهُ وَيَشِينُهُ^(٢)، سَوَاءً تَعَلَّقَ ذَلِكَ بِهِ وَحْدَهُ أَوْ تَعَدَّاهُ إِلَى غَيْرِهِ^(٣).

مُرُوءَةٌ كُلُّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ:

وَقَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: مُرُوءَةُ اللِّسَانِ: حَلَاوَتُهُ وَطِيبُهُ وَلِينُهُ.

وَمُرُوءَةُ الْخُلُقِ: سَعْتُهُ وَبَسْطُهُ لِلْحَبِيبِ وَالْبَغِيضِ.

وَمُرُوءَةُ الْمَالِ: الْإِصَابَةُ بِبَذْلِهِ مَوَاقِعَهُ الْمَحْمُودَةِ

عَقْلًا وَعُرْفًا وَشَرْعًا.

وَمُرُوءَةُ الْجَاهِ: بَذْلُهُ لِلْمُحْتَاجِ إِلَيْهِ.

وَمُرُوءَةُ الْإِحْسَانِ وَالْبَذْلِ: تَعْجِيلُهُ وَتَيْسِيرُهُ، وَتَوْفِيرُهُ وَعَدَمُ رُؤْيَيْهِ حَالَ وَقُوعِهِ، وَنَسْيَانُهُ بَعْدَ وَقُوعِهِ.

دَرَجَاتُ الْمُرُوءَةِ:

لِلْمُرُوءَةِ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ:

الْأُولَى: مُرُوءَةُ الْمَرْءِ مَعَ نَفْسِهِ، وَهِيَ أَنْ يَحْمِلَهَا قَسْرًا عَلَى فِعْلٍ مَا يُجَمَّلُ وَيَزِينُ، وَتَرْكُ مَا يُقْبَحُ وَيَشِينُ، لِيَصِيرَ لَهَا مَلَكَةً فِي الْعِلَاقَةِ، وَلَا يَفْعَلُ خَالِيًا مَا يَسْتَحْيِ مِنْ فِعْلِهِ فِي الْمَالِ، إِلَّا مَا لَا يَحْظُرُهُ الشَّرْعُ وَالْعَقْلُ.

الثَّانِيَّةُ: مُرُوءَةُ الْمَرْءِ مَعَ الْخَلْقِ، بَأَنْ يَسْتَعْمَلَ مَعَهُمْ شُرُوطَ الْأَدَبِ وَالْحَيَاءِ، وَالْخُلُقِ الْجَمِيلِ، وَلَا يُظْهِرُ لَهُمْ مَا يَكْرَهُهُ هُوَ مِنْ غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ.

الثَّالِثَةُ: الْمُرُوءَةُ مَعَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِالِاسْتِحْيَاءِ مِنْ نَظَرِهِ إِلَيْكَ، وَاطِّلَاعِهِ عَلَيْكَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَنَفْسٍ، وَإِصْلَاحِ عُيُوبِ نَفْسِكَ جَهْدَ الْإِمْكَانِ فَإِنَّهُ قَدْ اشْتَرَاهَا مِنْكَ، وَأَنْتَ سَاعٍ فِي تَسْلِيمِ الْمَبِيعِ، وَلَيْسَ مِنَ الْمُرُوءَةِ تَسْلِيمُهُ مَعِيًّا^(٤).

حقوق المروءة وشروطها:

قَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ مِنْ شَرَايِطِ الْمُرُوءَةِ:

١ - أَنْ يَتَعَفَّفَ الْمَرْءُ عَنِ الْحَرَامِ.

٢ - أَنْ يُنْصِفَ فِي الْحُكْمِ.

٣ - أَنْ يَكْفَ عَنِ الظُّلْمِ.

(٣) هذه الاضافة مما ذكره في ٢/ ٣٥٣ عند حديثه عن الفتوة.

(٤) مدارج السالكين ٢/ ٣٦٨.

(١) المصباح المنير (٢/ ٢٣٤) وانظر الصحاح في اللغة والعلوم

للمرغشلي (٢/ ٤٨٥).

(٢) مدارج السالكين ٢/ ٣٦٦.

٤ - أَلَّا يَطْمَعَ فِيهَا لَا يَسْتَحِقُّ .

٥ - أَلَّا يُعِينَ قَوِيًّا عَلَى ضَعِيفٍ .

٦ - أَلَّا يُؤْثِرَ دَنِيَّ الْأَفْعَالِ عَلَى شَرِيفِهَا .

٧ - أَلَّا يُسِرَّ مَا يُعَقِّبُهُ الْوَزَرَ وَالْإِثْمَ .

٨ - أَلَّا يَفْعَلَ مَا يُقَبِّحُ الْأَسْمَ وَالذِّكْرَ .

وَقَالَ الْمَأُورِدِيُّ: إِذَا كَانَتْ مُرَاعَاةُ النَّفْسِ عَلَى أَفْضَلِ أَحْوَالِهَا هِيَ الْمَرْوَةُ، فَلَيْسَ يَنْقَادُ لَهَا مَعَ ثِقَلِ كُلِّفِهَا إِلَّا مَنْ تَسَهَّلَتْ عَلَيْهِ الْمَشَاقُّ، رَغْبَةً فِي الْحَمْدِ، وَهَانَتْ عَلَيْهِ الْمَلَادُ، حَذَرًا مِنَ الذَّمِّ، وَلِذَا قِيلَ: سَيِّدُ الْقَوْمِ أَشْقَاهُمْ، وَقَدْ لَحَظَ الْمُتَنَبِّيُّ ذَلِكَ فَقَالَ: لَوْلَا الْمَشَقَّةُ، سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ

الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ

وَلَهُ أَيْضًا:

وَإِذَا كَانَتِ النَّفُوسُ كِبَارًا

تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ

إِنَّ حُقُوقَ الْمَرْوَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى... فَلِذَلِكَ

أَعُوزَ اسْتِيفَاءَ شُرُوطِهَا، وَالْأَظْهَرُ مِنْ ذَلِكَ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: شُرُوطُ الْمَرْوَةِ فِي النَّفْسِ، وَشُرُوطُهَا فِي الْغَيْرِ.

شروط المروءة في نفس المرء:

أَيُّ شُرُوطِهَا فِي نَفْسِهِ، بَعْدَ التَّزَامِ مَا أَوْجَبَهُ

الشَّرْعُ مِنْ أَحْكَامِهِ فَيَكُونُ بِثَلَاثَةِ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: الْعِفَّةُ وَهِيَ نَوَعَانٍ: الْعِفَّةُ عَنِ الْمَحَارِمِ،

وَالْآخَرُ: الْعِفَّةُ عَنِ الْمَآثِمِ (انْظُرْ فِي تَفْصِيلِ ذَلِكَ صِفَةَ الْعِفَّةِ).

الثَّانِي: النَّزَاهَةُ وَهِيَ أَيْضًا نَوَعَانٍ: النَّزَاهَةُ عَنِ

الْمَطَامِعِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَالثَّانِي النَّزَاهَةُ عَنِ مَوَاقِفِ الرِّيْبَةِ

(انْظُرْ فِي تَفْصِيلِ ذَلِكَ صِفَةَ النَّزَاهَةِ).

الثَّالِثُ: الصِّيَانَةُ وَهِيَ أَيْضًا عَلَى نَوْعَيْنِ:

أ - صِيَانَةُ النَّفْسِ بِالتَّزَامِ كِفَايَتِهَا، ذَلِكَ أَنَّ

الْمُحْتَاجَ إِلَى النَّاسِ كُلِّ مُهْتَزَمٍ، وَذَلِيلٌ مُسْتَقْلِلٌ، وَهُوَ

لِمَا فُطِرَ عَلَيْهِ مُحْتَاجٌ إِلَى مَا يَسْتَمِدُّهُ لِيُقِيمَ أَوْدَ نَفْسِهِ،

وَيَدْفَعُ ضَرُورَتَهَا وَلِذَلِكَ قَالَتِ الْعَرَبُ: كَلْبٌ جَوَّالٌ

خَيْرٌ مِنْ أَسَدٍ رَابِضٍ.

ب - صِيَانَتُهَا عَنْ تَحْمُلِ الْمِنَنِ، ذَلِكَ لِأَنَّ الْمِنَّةَ

اسْتِرْقَاقٌ لِلْأَحْرَارِ تُحْدِثُ ذِلَّةً فِي الْمَمْنُونِ عَلَيْهِ، وَسَطْوَةً

فِي الْمَانِّ، وَالْأَسْرَسَالُ فِي الْاسْتِعَانَةِ تَثْقِيلٌ، وَمَنْ ثَقُلَ

عَلَى النَّاسِ هَانَ، وَلَا قَدَرَ عِنْدَهُمْ لِمَهَانٍ.

شروط المروءة في الغير:

شُرُوطُ الْمَرْوَةِ فِي الْغَيْرِ ثَلَاثَةٌ:

الْأَوَّلُ: الْمُوَازَرَةُ وَهِيَ عَلَى نَوْعَيْنِ:-

الْإِسْعَافُ بِالْجَاهِ، وَيَكُونُ مِنَ الْأَعْلَى قَدْرًا

وَالْأَنْفَعُ أَمْرًا، وَهُوَ أَرْخَصُ الْمَكَارِمِ يُمْنًا، وَاللَّطْفُ

الصَّنَائِعِ مَوْقِعًا، وَرُبَّمَا كَانَ أَعْظَمَ مِنَ الْمَالِ نَفْعًا، وَهُوَ

الظِّلُّ الَّذِي يَلْجَأُ إِلَيْهِ الْمُضْطَرُّونَ، وَالْحِمَى الَّذِي يَأْوِي

إِلَيْهِ الْخَائِفُونَ، وَلَا عُذْرَ لِمَنْ مُنِحَ جَاهًا أَنْ يَبْخَلَ بِهِ،

فَيَكُونُ أَسْوَأَ حَالًا مِنَ الْبَخِيلِ بِمَالِهِ.

الْإِسْعَافُ فِي النَّوَائِبِ، وَهُوَ إِمَّا وَاجِبٌ فِيمَا

يَتَعَلَّقُ بِالْأَهْلِ وَالْإِخْوَانِ وَالْجِيرَانِ، وَإِمَّا تَبَرُّعٌ فِي مَنْ

عَدَا هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ، أَمَّا الْأَهْلُ فَلِمُاسَةِ الرَّحِمِ

وَتَعَاطُفِ النَّسَبِ.

وَقَدْ قِيلَ: لَمْ يَسُدْ مَنْ احْتَاجَ أَهْلُهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَأَمَّا

الْإِخْوَانُ فَلِمُسْتَحْكَمِ الْوُدِّ، وَمُتَأَكِّدِ الْعَهْدِ وَقَدْ سُئِلَ

الْأَخْفُ بْنُ قَيْسٍ عَنِ الْمَرْوَةِ، فَقَالَ: صِدْقُ اللِّسَانِ
وَمُؤَاسَاةُ الْإِخْوَانِ. وَأَمَّا الْجَارُ فَلِدُنُو دَارِهِ وَاتِّصَالِ مَزَارِهِ.
وَلِلْجَارِ حَقٌّ فَاحْتَرِزْ مِنْ أَدَاتِهِ

وَمَا خَيْرُ جَارٍ لَمْ يَزَلْ لَكَ مُؤَذِيًا
فَيَجِبُ فِي حُقُوقِ الْمَرْوَةِ وَشُرُوطِ الْكَرَمِ فِي
هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ تَحْمُلُ أَثْقَالَهُمْ وَإِسْعَافُهُمْ فِي نَوَائِبِهِمْ، وَلَا
فُسْحَةَ لِذِي مَرْوَةٍ عِنْدَ ظُهُورِ الْمُكْنَةِ، أَنْ يَكْلَهُمْ إِلَى
غَيْرِهِ، أَوْ يُلْجِئَهُمْ إِلَى سُؤَالِهِ، وَلِيَكُنِ السَّائِلُ عَنْهُمْ كَرَمُ
نَفْسِهِ، فَإِنَّهُمْ عِيَالُ كَرَمِهِ، وَأَضْيَافُ مَرْوَتِهِ. أَمَّا التَّبَرُّعُ
لِغَيْرِ هَؤُلَاءِ، فَإِنَّهُ تَبَرُّعٌ بِفَضْلِ الْكَرَمِ وَفَائِضِ الْمَرْوَةِ،
فَمَنْ تَكَفَّلَ بِنَوَائِبِ هَؤُلَاءِ فَقَدْ زَادَ عَلَى شَرْطِ الْمَرْوَةِ
وَتَجَاوَزَهَا إِلَى شُرُوطِ الرِّيَاسَةِ.

الثاني: الميَاسَرَةُ وَهِيَ أَيْضًا عَلَى نَوْعَيْنِ:

- الْعَفْوُ عَنِ الْهَفَوَاتِ .

- الْمُسَامَحَةُ فِي الْحُقُوقِ .

فَأَمَّا الْعَفْوُ عَنِ الْهَفَوَاتِ، فَلِأَنَّهُ لَا مُبَرَّأً مِنْ سَهْوٍ
وَزَلَلٍ، وَلَا سَلِيمٍ مِنْ نَقْصٍ أَوْ خَلَلٍ، وَإِذَا كَانَ
الْإِغْضَاءُ حَتْمًا وَالصَّفْحُ كَرَمًا، تَرْتَبُ ذَلِكَ بِحَسَبِ
الْهَفْوَةِ، وَالْهَفَوَاتُ نَوْعَانِ: صَغَائِرُ وَكَبَائِرُ، أَمَّا الصَّغَائِرُ
فَمَغْفُورَةٌ، وَالنُّفُوسُ بِهَا مَعْدُورَةٌ، وَأَمَّا الْكَبَائِرُ فَنَوْعَانِ
أَحَدُهُمَا: أَنْ يَهْفُوَ بِهَا خَاطِيًا، وَيَزِلَّ بِهَا سَاهِيًا، فَالْحَرْجُ
فِيهَا مَرْفُوعٌ، وَالْعَتَبُ عَلَيْهَا مَوْضُوعٌ، لِأَنَّ هَفْوَةَ الْخَاطِيِ
هَذَرٌ، وَلَوْمُهُ هَذَرٌ.

وَالثَّانِي: أَنْ يَعْتَمِدَ مَا اجْتَرَمَ مِنْ كَبَائِرِهِ، وَيَقْصِدَ
مَا اجْتَرَحَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ إِمَّا مَوْثُورٌ،
فَاللَّائِمَةُ عَلَى مَنْ وَثَرَهُ. وَإِمَّا عَدُوٌّ قَدْ اسْتَحْكَمَتْ

شَحْنَائُوهُ، وَحِينَئِذٍ فَالْبُعْدُ مِنْهُ حَذَرًا أَسْلَمٌ، وَإِمَّا أَنْ
يَكُونَ لِيَمِ الطَّبَعِ خَبِيثَتِ النَّفْسِ وَلَا سَلَامَةٌ مِنْ مِثْلِهِ إِلَّا
بِالصَّفْحِ وَالْإِعْرَاضِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ صَدِيقًا قَدْ
اسْتَحْدَثَ نَبَوَّةً وَتَغَيَّرًا، أَوْ أَخًا قَدْ اسْتَجَدَّ جَفْوَةً
وَتَنَكَّرًا، فَأَبْدَى صَفْحَةً عُقُوقِهِ، وَاطَّرَحَ لِازِمَ حُقُوقِهِ
فَهَذَا - وَمِثْلُهُ - قَدْ يَعْرِضُ فِي الْمَوَدَّاتِ الْمُسْتَقِيمَةِ، كَمَا
تَعْرِضُ الْأَمْرَاضُ فِي الْأَجْسَامِ السَّلِيمَةِ، فَإِنْ عُولِجَتْ
أَقْلَعَتْ، وَإِنْ أَهْمِلَتْ أَسْقَمَتْ ثُمَّ أَتَلَفَتْ.

أَمَّا الْمُسَامَحَةُ فَنَوْعَانِ:

الْمُسَامَحَةُ فِي الْعُقُودِ، بِأَنْ يَكُونَ فِيهَا سَهْلُ
الْمُنَاجَزَةِ، قَلِيلَ الْمَحَاجَزَةِ مَأْمُونِ الْغَيْبَةِ بَعِيدًا مِنَ الْمَكْرِ
وَالْخَدِيعَةِ، وَالْمُسَامَحَةُ فِي الْحُقُوقِ، قَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: وَأَمَّا
الْحُقُوقُ فَتَتَنَوَّعُ الْمُسَامَحَةُ فِيهَا نَوْعَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: فِي الْأَحْوَالِ، وَالثَّانِي فِي الْأَمْوَالِ . فَأَمَّا
الْمُسَامَحَةُ فِي الْأَحْوَالِ فَهِيَ اطِّرَاحُ الْمُنَازَعَةِ فِي الرُّتَبِ،
وَتَرْكُ الْمُنَافَسَةِ فِي التَّقَدُّمِ، فَإِنَّ مُشَاحَةَ النَّفُوسِ فِيهَا
أَعْظَمُ، وَالْعِنَادُ عَلَيْهَا أَكْثَرُ، فَإِنْ سَامَحَ فِيهَا وَلَمْ يُنَافِسْ .
كَانَ مَعَ أَخْذِهِ بِأَفْضَلِ الْأَخْلَاقِ وَاسْتِعْمَالِهِ لِأَحْسَنِ
الْآدَابِ، أَوْقَعَ فِي النَّفُوسِ مِنْ إِفْضَالِهِ بِرَغَائِبِ الْأَمْوَالِ
ثُمَّ هُوَ أَزِيدُ فِي رُتْبَتِهِ، وَأَبْلَغُ فِي تَقَدُّمِهِ.

وَأَمَّا الْمُسَامَحَةُ فِي الْأَمْوَالِ، فَتَتَنَوَّعُ ثَلَاثَةً أَنْوَاعٍ:

أ - مُسَامَحَةُ إِسْقَاطِ لِعَدَمِ .

ب - مُسَامَحَةُ تَخْفِيفٍ لِعَجْزِ .

ج - مُسَامَحَةُ انْظَارٍ لِعُسْرَةٍ .

وَالْمُسَامَحَةُ مَعَ اخْتِلَافِ أَسْبَابِهَا تَفْضُلُ مَأْثُورٌ،
وَتَأَلَّفُ مَشْكُورٌ، وَإِذَا كَانَ الْكَرِيمُ قَدْ يَجُودُ بِهَا تَحْوِيهِ

يَدُهُ، كَانَ أَوْلَى أَنْ يَجُودَ بِمَا خَرَجَ عَنْ يَدِهِ فَطَابَ نَفْسًا بِفِرَاقِهِ.

الثالث: الإفضال: وهو نوعان:-

إِفْضَالُ اضْطِنَاعٍ، وَيَتَضَمَّنُ مَا أَسَدَاهُ جُودًا فِي شُكُورٍ أَوْ مَا تَأَلَّفَ بِهِ نَبَوَّةَ نَفُورٍ، وَكِلَاهُمَا مِنْ شُرُوطِ الْمُرُوءَةِ لِأَنَّ مَنْ قَلَّتْ صَنَائِعُهُ فِي الشَّاكِرِينَ، وَأَعْرَضَ عَنْ تَأَلُّفِ النَّافِرِينَ، كَانَ فَرْدًا مَهْجُورًا، وَقَابِعًا^(١) مُحَقُورًا، وَلَا مُرُوءَةَ لِمُتْرُوكِ مَطْرُوحٍ وَلَا قَدْرَ لِمُحَقُورٍ مُهْتَضَمٍ.

- إِفْضَالُ اسْتِكْفَافٍ (أَيُّ بِالْكَفِّ عَنِ السُّفَهَاءِ) لِأَنَّ ذَا الْفَضْلِ، لَا يَعْدُمُ حَاسِدَ نِعْمَةٍ يَبْعَثُهُ اللَّؤْمُ عَلَى الْبَدَاءِ بِسَفَهِهِ، فَإِنْ غَفَلَ ذُو الْمُرُوءَةِ عَنِ اسْتِكْفَافِ السُّفَهَاءِ صَارَ عَرِضُهُ هَدَفًا لِلْمَثَالِبِ، وَحَالُهُ عُرْضَةٌ لِلنَّوَابِ، فَإِنْ اسْتَكْفَفَهُمْ صَانَ عَرِضَهُ، وَحَمَى نِعْمَتَهُ، وَعَلَيْهِ أَنْ يُخْفِيَ ذَلِكَ حَتَّى لَا تَنْتَشِرَ فِيهِ مَطَامِعُ السُّفَهَاءِ، وَأَنْ يَتَطَلَّبَ لَهُ فِي الْمُجَامَلَةِ وَجْهًا وَيَجْعَلَ فِي الْإِفْضَالِ عَلَيْهِ سَبَبًا^(٢).

بما تكون المروءة:

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ الْبُسْتِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي كَيْفِيَةِ الْمُرُوءَةِ، عَلَى أَقْوَالٍ مِنْهَا: الْمُرُوءَةُ: إِكْرَامُ الرَّجُلِ إِخْوَانَ أَبِيهِ، وَإِصْلَاحُهُ مَالَهُ، وَقُعُودُهُ عَلَى بَابِ دَارِهِ وَيَقْصِدُ، بِهَذَا: كَرَمُهُ. وَإِثْبَانُ الْحَقِّ. وَتَقْوَى اللَّهِ وَإِصْلَاحُ الضَّيْعَةِ. وَإِنْصَافُ الرَّجُلِ مَنْ هُوَ دُونَهُ وَالسُّمُوءُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ، وَالْجَزَاءُ بِمَا أُتِيَ إِلَيْهِ (يَقْبَلُ

الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا).

وَمُرُوءَةُ الرَّجُلِ: صِدْقُ لِسَانِهِ وَاحْتِمَالُ عَثَرَاتِ جِيرَانِهِ وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ لِأَهْلِ زَمَانِهِ وَكَفُّهُ الْأَذَى عَنْ أَبَاعِدِهِ وَجِيرَانِهِ.

وَحُسْنُ الْعِشْرَةِ وَحِفْظُ الْفَرْجِ وَاللِّسَانِ وَتَرْكُ الْمَرْءِ مَا يُعَابُ مِنْهُ ... وَقَالَ رِبِيعَةُ: الْمُرُوءَةُ مُرُوءَتَانِ فَلِلْسَفَرِ مُرُوءَةٌ وَلِلْحَضَرِ مُرُوءَةٌ، فَأَمَّا مُرُوءَةُ السَّفَرِ: فَبَذْلُ الزَّادِ، وَقِلَّةُ الْخِلَافِ عَلَى الْأَصْحَابِ، وَكَثْرَةُ الْمَزَاحِ فِي غَيْرِ مَسَاحِطِ اللَّهِ. وَأَمَّا مُرُوءَةُ الْحَضَرِ: فَالِإِذْمَانُ إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَكَثْرَةُ الْإِخْوَانِ فِي اللَّهِ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ.

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: اخْتَلَفَتْ أَلْفَاظُهُمْ فِي كَيْفِيَةِ الْمُرُوءَةِ، وَمَعَانِي مَا قَالُوا قَرِيبَةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، أُوْرِدَ لَهَا أَكْثَرُ مِنْ عِشْرِينَ تَعْرِيفًا، ثُمَّ يَقُولُ: وَالْمُرُوءَةُ عِنْدِي خَصْلَتَانِ: اجْتِنَابُ مَا يَكْرَهُ اللَّهُ وَالْمُسْلِمُونَ مِنَ الْفِعَالِ، وَاسْتِعْمَالُ مَا يُحِبُّ اللَّهُ وَالْمُسْلِمُونَ مِنَ الْخِصَالِ^(٣).

الفرق بين المروءة والرجولة والفتوة:

انظر صفة الرجولة.

[للاستزادة: انظر صفات: الإغاثة - تفريج الكربات - حسن الخلق - الرجولة - الشهامة - العفة - النزاهة - النبل - الإيثار - أكل الطيبات. وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأذى - الإمعة - التخاذل - التفریط والإفراط - التهاون - الإعراض - أكل الحرام - الأثرة].

(١) من قولهم: قبع القنفذ إذا أدخل رأسه في جلده حتى لا يراه أحد.

(٢) أدب الدنيا والدين (٣٠٦ - ٣٣٤) بتصرف.

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (٣٠٤ - ٣١٠).

الأحاديث الواردة في «المروءة»

عَقْلُهُ، وَحَسْبُهُ خُلُقُهُ»^(١) *.

١ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَرُمَ الْمُؤْمِنُ دِينُهُ، وَمُرُوءَتُهُ

الأحاديث الواردة في «المروءة» معنى

صَبِيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّمَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأُطْفِئَتْ، فَجَعَلَ يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ^(٥). فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ أَوْ عَجِبَ مِنْ فَعَالِكُمَا^(٦)». فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٧) *.

٤ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيًّا سِتِيرًا لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتَحْيَاءً مِنْهُ، فَأَذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتَرُ هَذَا التَّسْتُرُ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ: إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أَذَرَةٌ^(٨)، وَإِمَّا آفَةٌ. وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يَبْرِئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى، فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ،

٢ - * (عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكُرْمَاءَ وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا^(٢)» *^(٣).

٣ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أَنَّ

رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ، فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضَيِّفُ هَذَا؟» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا. فَاِنْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَ: أَكْرَمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتٌ صَبِيَانِي. فَقَالَ: هَيْي طَعَامَكَ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكَ^(٤)، وَنَوِّمِي صَبِيَانَكَ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً. فَهَيَّأتُ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحْتُ سِرَاجَهَا، وَنَوِّمْتُ

(٥) طاويين: أي لم يأكلا شيئاً.

(٦) ضحكك الله الليلة أو أعجب من فعالكما: أي رضي الله عن صنيعكما، والفعال: بفتح الفاء: اسم الفعل الحسن، قيل: وقد يستعمل في الشر، والفعال بالكسر إذا كان بين اثنين.

(٧) البخاري الفتح ٧ (٣٧٩٨) واللفظ له، ومسلم (٢٠٥٤)

(٨) والمأدورة: من يصيبه فتق في إحدى خَصِيَّتَيْهِ. انظر تاج العروس للزبيدي (١٨/٦).

(١) المنذري في الترغيب والترهيب (٣/٤٠٥) وقال: رواه ابن حبان في صحيحه. والحاكم (١/١٢٣) وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٢) السفساف: الرديء من كل شيء، والأمر الحقير.

(٣) الخرائطي في مكارم الأخلاق. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/١٨٨) وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط بنحوه إلا أنه قال: يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، ورجال الكبير ثقات.

(٤) أصبحي سراجك: أي أوقديه.

فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الْحَجَرِ ثُمَّ اغْتَسَلَ . فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا ، وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الْحَجَرَ فَجَعَلَ يَقُولُ : ثَوْبِي حَجَرٌ ، ثَوْبِي حَجَرٌ ^(١) . حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ ، وَقَامَ الْحَجَرُ ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبَسَهُ ، وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ ، فَوَ اللَّهِ إِنَّ بِالْحَجَرِ لَنَدَبًا ^(٢) مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ (الأحزاب: ٦٩) : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ ^(٣) .

٥ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ ، فَوَجَدَ بئرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ ^(٤) يَأْكُلُ الثَّرَى ^(٥) مِنَ الْعَطَشِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي ، فَنَزَلَ الْبئرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيْهِ ،

فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ . فَغَفَرَ لَهُ » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا ؟ فَقَالَ : « فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ ^(٦) » * ^(٧) .

٦ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ ^(٨) بِرَكِيَّةٍ ^(٩) كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ . إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ ^(١٠) مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ . فَزَعَتْ مُوقَهَا ^(١١) ، فَسَقَتْهُ ، فَغَفَرَ لَهَا بِهِ » * ^(١٢) .

٧ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : جَاءَنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا . فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ . فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً . وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا . فَاسْتَطْعَمْتُهَا ابْنَتَاهَا . فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ ، الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا . فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا . فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ » * ^(١٣) .

٨ - * (عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ

(١) ثوبى حجر: أي أعطني ثوبى يا حجر.

(٢) النَّدَب: بفتحتين جمع ندبة وهي أثر الجرح وشبهه هنا أثر الضرب في الحجر بأثر الجرح.

(٣) البخاري - الفتح ٦ (٣٤٠٤).

(٤) يلهث: يقال: لهث بفتح الهاء وكسرهما، يلهث، بفتحها لا غير، لهثا، بإسكانها. والاسم اللهث، بالفتح واللهاث، بضم اللام. ورجل لهثان وامرأة لهثى كعطشان وعطشى. وهو الذي أخرج لسانه من شدة العطش والحر.

(٥) الثرى: التراب الندي.

(٦) في كل ذات كبد رطبة أجر: معناه في الإحسان إلى كل حيوان حي يسقيه، ونحوه، أجر. وسمي الحي ذا كبد رطبة لأن الميت يجف جسمه وكبدته.

(٧) البخاري - الفتح ١٠ (٦٠٠٩) واللفظ له. ومسلم (٢٢٤٤).

(٨) يطيف بالشيء: أي يدور حوله. يقال: طاف به وأطاف، إذا دار حوله.

(٩) رَكِيَّة: الركية البئر.

(١٠) بَغِيٌّ: البغي هي الزانية. والبغاء، بالمد: هو الزنى.

(١١) مُوقَهَا: الموق هو الخف، فارسي معرب. ومعنى نزعته موقها أي استقت. يقال: نزعته بالدلو إذا استقت به من البئر ونحوها، ونزعته الدلو أيضًا.

(١٢) البخاري - الفتح ٦ (٣٤٦٧) واللفظ له. ومسلم (٢٢٤٥).

(١٣) البخاري - الفتح ٣ (١٤١٨) نحوه. ومسلم (٢٦٣٠) واللفظ له.

قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَلْقَى إِلَيَّ وَسَادَةً حَشَوْهَا لَيْفٌ، فَلَمْ أَقْعُدْ عَلَيْهَا، بَقِيَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ» *^(١).

٩ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «السَّاعِي»^(٢) عَلَى الْأَرْمَلَةِ^(٣) وَالْمُسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَحْسَبُهُ قَالَ: وَكَالْقَائِمِ لَا يَفُتُّ، وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ) *^(٤).

١٠ - * (عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ». قُلْتُ: فَأَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَعْلَاهَا ثَمَنًا، وَأَنْفُسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «تُعِينُ صَانِعًا، أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقٍ»^(٥). قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «تَدْعُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ» *^(٦).

١١ - * (عَنْ شِهَابِ بْنِ عَبَّادٍ أَنَّهُ سَمِعَ بَعْضَ وَفِدِ عَبْدِ الْقَيْسِ وَهُمْ يَقُولُونَ: قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاشْتَدَّ فَرَحُهُمْ بِنَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى الْقَوْمِ أَوْسَعُوا لَنَا فَقَعَدْنَا، فَرَحَّبَ بِنَا النَّبِيُّ ﷺ وَدَعَا لَنَا، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «مَنْ سَيِّدُكُمْ وَزَعِيمُكُمْ؟» فَأَشْرَنَّا جَمِيعًا إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ عَائِدٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَهَذَا الْأَشْجُ؟»

فَكَانَ أَوَّلَ يَوْمٍ وُضِعَ عَلَيْهِ هَذَا الْأِسْمُ لِضَرْبَةِ بِحَاثِرِ حِمَارٍ، قُلْنَا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَتَخَلَّفَ بَعْدَ الْقَوْمِ فَعَقَلَ رَوَاحِلَهُمْ، وَضَمَّ مَتَاعَهُمْ، ثُمَّ أَخْرَجَ عَيْتَهُ^(٧) فَأَلْقَى عَنْهُ ثِيَابَ السَّفَرِ، وَلَبَسَ مِنْ صَالِحِ ثِيَابِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ بَسَطَ النَّبِيُّ ﷺ رِجْلَهُ وَاتَّكَأَ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ الْأَشْجُ، أَوْسَعَ الْقَوْمُ لَهُ وَقَالُوا: هَهُنَا يَا أَشْجُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَاسْتَوَى قَاعِدًا وَقَبَضَ رِجْلَهُ: «هَهُنَا يَا أَشْجُ» فَقَعَدَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَرَحَّبَ بِهِ وَالْطَّفَهُ وَسَأَلَهُمْ عَنْ بِلَادِهِمْ وَسَمَّى لَهُمْ قَرْيَةَ الصَّنْفَا وَالْمَنْقِيرَةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ قُرَى هَجَرَ فَقَالَ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَعْلَمُ بِأَسْمَاءِ قُرَانَا مِنَّا، فَقَالَ: «إِنِّي وَطِئْتُ بِلَادَكُمْ وَفُسِحَ لِي فِيهَا». قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَكْرِمُوا إِخْوَانَكُمْ فَإِنَّهُمْ أَشْبَاهُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِكُمْ أَشْعَارًا وَأَبْشَارًا، أَسْلَمُوا طَائِعِينَ غَيْرَ مُكْرَهِينَ وَلَا مَوْثُورِينَ، إِذْ أَبَى قَوْمٌ أَنْ يُسَلِّمُوا حَتَّى قُتِلُوا». قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَالَ: «وَكَيْفَ رَأَيْتُمْ كَرَامَةَ إِخْوَانِكُمْ لَكُمْ وَضِيَّافَتَهُمْ إِيَّاكُمْ؟». قَالُوا: خَيْرَ إِخْوَانٍ أَلَانُوا فِرَاشَنَا، وَأَطَابُوا مَطْعَمَنَا، وَبَاتُوا وَأَصْبَحُوا يُعَلِّمُونَنَا كِتَابَ رَبِّنَا - تَبَارَكَ

(٤) البخاري-الفتح ١٠ (٦٠٠٧) واللفظ له. ومسلم (٢٩٨٢)

(٥) والأخرق: الأحمق الجاهل، أو من لا يحسن الصنعة، ومنه

الحديث تعين صانعًا، أو تصنع لأخرق أي لجاهل بما يجب

أن يعمل به، ولم يكن في يديه صنعة يكتسب بها.

(٦) البخاري الفتح ٥ (٢٥١٨) واللفظ له. ومسلم (٨٤).

(٧) العيبة: ما يوضع فيه الثياب.

(١) ذكره الهيثمي في المجمع (١٧٤ / ٨) واللفظ له وقال: رواه

أحمد ورجاله رجال الصحيح. وهو في المسند ٢ (٥٦٧٧).

(٢) الساعي: المراد بالساعي: الكاسب لهما، العامل لمؤنتهما.

(٣) الأرملة: من لا زوج لها. سواء كانت تزوجت قبل ذلك أم

لا. وقيل: هي التي فارقت زوجها. قال ابن قتيبة: سميت

أرملة. لما يحصل لها من الإرمال. وهو الفقر وذهاب الزاد

بفقد الزوج. يقال: أرمِل الرجل، إذا فني زاده.

وَتَعَالَى - وَسُنَّةَ نَبِيِّنا ﷺ ، فَأَعْجَبَتِ النَّبِيَّ ﷺ ، وَفَرَحَ بِهَا ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَجُلًا رَجُلًا يَعْزِضُنَا عَلَى مَنْ يُعَلِّمُنَا وَعَلَّمَنَا، فَمِنَّا، مَنْ عَلِمَ التَّحِيَّاتِ وَأَمَّ الْكِتَابِ وَالسُّورَةَ وَالسُّورَتَيْنِ وَالسُّنَنَ، فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «هَلْ مَعَكُمْ مِنْ أَزْوَادِكُمْ». فَفَرَحَ الْقَوْمُ بِذَلِكَ، وَابْتَدَرُوا رَوَاحِلَهُمْ، فَأَقْبَلَ كُلِّبٌ - رَجُلٌ مِنْهُمْ - مَعَهُ صُرَّةٌ مِنْ تَمْرٍ فَوَضَعَهَا عَلَى نِطْعٍ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَوْمَأَ بِجَرِيدَةٍ فِي يَدِهِ كَانَ يَتَخَصَّرُ بِهَا فَوْقَ الذَّرَاعِ وَدُونَ الذَّرَاعَيْنِ فَقَالَ: تُسْمُونَ هَذَا التَّعْضُوضَ ^(١) « قُلْنَا: نَعَمْ . ثُمَّ أَوْمَأَ إِلَى صُرَّةٍ أُخْرَى . فَقَالَ: « تُسْمُونَ هَذَا الصَّرْفَانَ ^(٢) » . قُلْنَا: نَعَمْ . ثُمَّ أَوْمَأَ إِلَى صُرَّةٍ أُخْرَى . فَقَالَ: « تُسْمُونَ هَذَا الْبَرْنِيَّ ^(٣) » قُلْنَا: نَعَمْ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَمَّا إِنَّهُ مِنْ خَيْرِ تَمْرِكُمْ وَأَنْفَعِهِ لَكُمْ » قَالَ: فَارْجِعْنَا مِنْ وَفَادَتِنَا تِلْكَ فَأَكْثَرْنَا الْغَرَزَ مِنْهُ وَعَظُمَتْ رَغْبَتُنَا فِيهِ حَتَّى صَارَ أَعْظَمَ نَخْلِنَا وَتَمْرِنَا الْبَرْنِيَّ . قَالَ: فَقَالَ الْأَشْجُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ

أَرْضُنَا أَرْضٌ ثَقِيلَةٌ وَخِمَةٌ ^(٤) وَإِنَّا إِذَا لَمْ نَشْرَبْ هَذِهِ الْأَشْرِبَةَ هَيَّجَتْ أَلْوَانُنَا وَعَظُمَتْ بُطُونُنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تَشْرَبُوا فِي الدُّبَاءِ وَالْحَنْتَمِ وَالنَّقِيرِ ^(٥) ، وَلْيَشْرَبْ أَحَدُكُمْ عَلَى سِقَاءٍ يُلَاثُ عَلَى فِيهِ ^(٦) . فَقَالَ لَهُ الْأَشْجُ: يَا أَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، رَخِصْ لَنَا فِي مِثْلِ هَذِهِ، وَأَوْمَأَ بِكَفِّهِ . فَقَالَ: يَا أَشْجُ، إِنِّي إِنْ رَخِصْتُ لَكَ فِي مِثْلِ هَذِهِ، وَقَالَ بِكَفِّهِ هَكَذَا - شَرِبْتَهُ فِي مِثْلِ هَذِهِ - وَفَرَجَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَبَسَطَهُمَا - يَعْنِي أَعْظَمَ مِنْهَا حَتَّى إِذَا ثَمَلَ أَحَدُكُمْ مِنْ شَرَابِهِ قَامَ إِلَى ابْنِ عَمِّهِ فَهَزَرَ ^(٧) سَاقَهُ بِالسَّيْفِ . وَكَانَ فِي الْقَوْمِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ يُقَالُ لَهُ الْحَارِثُ قَدْ هُزِرَتْ سَاقُهُ فِي شَرَابٍ لَهُمْ فِي بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ تَمَثَّلَ بِهِ فِي امْرَأَةٍ مِنْهُمْ، فَقَامَ بَعْضُ أَهْلِ ذَلِكَ الْبَيْتِ فَهَزَرَ سَاقَهُ بِالسَّيْفِ، فَقَالَ الْحَارِثُ: لَمَّا سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَعَلْتُ أَسْدُلُ ثَوْبِي فَأَعْطِي الضَّرْبَةَ بِسَاقِي، وَقَدْ أَبْدَاهَا لِنَبِيِّهِ ﷺ * ^(٨) .

(١) التَّعْضُوضُ نوع من أنواع التمر.

(٢) الصرْفان: وهو نوع من أجود أنواع التمر وأوزنه.

(٣) البرني: نوع من التمر.

(٤) أرض وخمة: لا ينجع كلؤها ولا توافق ساكنها.

(٥) الدُّبَاءُ: القرع يتبذ فيه، والحنتم: جرار خضر تميل إلى

الحمرة كانت تحمل إلى المدينة فيها الخمر، والنقير: أصل

النخلة ينقر وسطه ثم ينبذ فيه التمر ويلقى عليه الماء

فيصير نبيذاً مُسْكِراً.

(٦) أي يشد على فمه برباط .

(٧) هزر: أي ضرب .

(٨) شيء منه عند البخاري ٧ (٤٣٦٨). وعند مسلم (١٧).

وذكره الهيثمي في المجمع (١٧٨، ١٧٧/٨) واللفظ له

وقال: رواه أحمد (٢٠٧/٤) ورجاله ثقات، وصححت

بعض الألفاظ من أحمد، لأن نص المجمع به تصحيف في

بعض العبارات.

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في «المروءة»

١٢ - * (عَنْ سَهْلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ النَّبِيَّ ﷺ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ فِيهَا حَاشِيَتُهَا . أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ ؟ قَالُوا: الشَّمْلَةُ . قَالَ: نَعَمْ . قَالَتْ : نَسَجْتُهَا بِيَدِي ، فَجِئْتُ لَأَكْسُوكَهَا ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّمَا إِزَارُهُ ، فَحَسَنَهَا فَلَانُ ، فَقَالَ: اكْسُيْنِيهَا ، مَا أَحْسَنَهَا ! . قَالَ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ . لَبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ . قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ لَأَلْبَسَهَا ، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لَتَكُونَ كَفَنِي . قَالَ: سَهْلٌ فَكَانَتْ كَفَنُهُ) * (١).

١٣ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خِيَلًا قَبْلَ نَجْدٍ ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ ، يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةِ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَالَ: « مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟ » فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ . يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ ، وَإِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَى شَاكِرٍ ، وَإِنْ كُنْتُ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ . فَتَرَكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: « مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟ » فَقَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَى شَاكِرٍ . فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ ، فَقَالَ: « مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟ » فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ . فَقَالَ: « أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ » . فَاِنْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَقَالَ:

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ ، مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهَكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ . وَاللَّهِ ، مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ . وَاللَّهِ ، مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ . وَإِنْ خَيْلَكَ أَخَذْتَنِي ، وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ ، فَمَاذَا تَرَى ؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتِمِرَ . فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ ، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَا وَاللَّهِ ، لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ) * (٢).

١٤ - * (عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ نَجْدٍ ، فَلَمَّا أَدْرَكَتُهُ الْقَائِلَةُ (٣) وَهُوَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ (٤) فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَاسْتَظَلَّ بِهَا وَعَلَّقَ سَيْفَهُ ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الشَّجَرِ يَسْتَظِلُّونَ . وَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجِئْنَا . فَإِذَا أَغْرَابِيٌّ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ: « إِنَّ هَذَا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ ، فَاخْتَرَطَ سَيْفِي (٥) ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي مُخْطَرٌ سَيْفِي صَلْتًا (٦) ، قَالَ: مَا يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قُلْتُ: اللَّهُ ، فَشَامَهُ (٧) ثُمَّ قَعَدَ، فَهُوَ هَذَا . قَالَ: وَلَمْ يَعَايَنَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) * (٨).

(٥) اخترط سيفي: استله.

(٦) الصَّلْتُ: الأملس.

(٧) شامه: أي أغمده.

(٨) البخاري الفتح ٧ (٤١٣٩) واللفظ له. ومسلم (٨٤٣).

(١) البخاري - الفتح ٣ (١٢٧٧) و ٤ (٢٠٩٣) و (٦٠٣٦).

(٢) البخاري - الفتح ٧ (٤٣٧٢) واللفظ له. ومسلم (١٧٦٤).

(٣) القائلة: نصف النهار، وفي الصحاح: الظهيرة.

(٤) العِضَاهَةُ: بالكسر أعظم الشجر أو كل ذات شوك،

والجمع عضاه وعضون.

من الآثار وأقوال العلماء الواردة في «المروءة»

أَكْرَمُ وَأَعْظَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ غَيْرِهِ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ مِنْهُ كَثِيرًا»*(٦).

٥ - * (حُكِيَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ سَأَلَ عُمَرَ^(٧) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ الْمُرُوءَةِ؟ فَقَالَ: تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَصِلَةُ الرَّحِمِ.

وَسَأَلَ الْمُغِيرَةَ؟ فَقَالَ: هِيَ الْعِفَّةُ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى، وَالْحِرْفَةُ فِيمَا أَحَلَّ اللَّهُ تَعَالَى.

وَسَأَلَ يَزِيدَ؟ فَقَالَ: هِيَ الصَّبْرُ عَلَى الْبُلْوَى، وَالشُّكْرُ عَلَى النُّعْمَى، وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ^(٨). فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: أَنْتَ مِنِّي حَقًّا»*(٩).

٦ - * (قَالَ زِيَادُ لِبَعْضِ الدَّهَاقِينِ^(١٠)): «مَا الْمُرُوءَةُ فِيكُمْ؟ قَالَ: اجْتِنَابُ الرَّيْبِ فَإِنَّهُ لَا يَنْبُلُ مُرِيبٌ، وَإِصْلَاحُ الرَّجُلِ مَالَهُ فَإِنَّهُ مِنْ مُرُوءَتِهِ، وَقِيَامُهُ بِحَوَائِجِهِ وَحَوَائِجِ أَهْلِهِ فَإِنَّهُ لَا يَنْبُلُ مَنْ أَحْتَاجَ إِلَى أَهْلِهِ وَلَا مَنْ أَحْتَاجَ أَهْلَهُ إِلَى غَيْرِهِ»*(١١).

٧ - * (وَقِيلَ: «لَا مُرُوءَةَ لِمَنْ لَا أَدَبَ لَهُ، وَلَا أَدَبَ لِمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ»)*^(١٢).

٨ - * (وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ:

١ - * (عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، قَالَ: «كَرَّمَ الْمُؤْمِنُ تَقْوَاهُ، وَدِينَهُ حَسْبُهُ، وَمُرُوءَتُهُ خُلُقُهُ، وَالْجُرْأَةُ وَالْجُبْنُ غَرَائِزُ يَضَعُهَا اللَّهُ حَيْثُ شَاءَ، فَالْجَبَانُ يَفِرُّ عَنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، وَالْجَرِيُّ يُقَاتِلُ عَمَّا لَا يَوْؤُبُ^(١) بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، وَالْقَتْلُ حَتْفٌ مِنَ الْحَتُوفِ^(٢) وَالشَّهِيدُ مَنْ اخْتَسَبَ نَفْسَهُ عَلَى اللَّهِ»)*^(٣).

٢ - * (كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : «خُذِ النَّاسَ بِالْعَرِيَّةِ، فَإِنَّهُ يَزِيدُ فِي الْعَقْلِ، وَيُثَبِّتُ الْمُرُوءَةَ»)*^(٤).

٣ - * (عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَصْغُرَنَّ هِمَمُكُمْ، فَإِنِّي لَمْ أَرَأْ أَقْعَدَ عَنِ الْمَكْرُمَاتِ مِنْ صِغَرِ الْهَمَمِ»)*^(٥).

٤ - * (قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لِابْنِهِ الْحَسَنِ فِي وَصِيَّتِهِ لَهُ: «يَا بُنَيَّ، إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ ذُو نِعْمَةٍ فافْعَلْ، وَلَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ، وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا، فَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى

(١) أب من يؤوب أوبًا ومآبا رجع.

(٢) الحتوف: جمع حتف وهو الموت.

(٣) الموطأ: (١٩/٢) باب ما تكون فيه الشهادة. وقال محقق

«جامع الأصول» (١١/٦٩٥): قال الزرقاني في شرح

الموطأ: رواه البيهقي في السنن من طريق شعبة عن أبي

إسحاق عن حسان بن فائد عن عمر.

(٤) لسان العرب: (١/١٥٥).

(٥) أدب الدنيا والدين للماوردي: (٣٠٧).

(٦) أدب الدنيا والدين (٣١٨).

(٧) عمرًا: أي عمرو بن العاص.

(٨) المقدرة: القدرة.

(٩) أدب الدنيا والدين (٣١٠).

(١٠) الدهاقين: واحدة دُهقان بكسر الدال وضمها وهو من

كانت له رياسة قريته أو جماعته عند العجم.

(١١) أدب الدنيا والدين (٣١٨).

(١٢) المروءة الغائبة (٣٨).

عَقْلُهُ» صَرَحَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْخَبَرِ: «بِأَنَّ الْمَرْوَةَ هِيَ الْعَقْلُ: أَيِ اسْمُ يَقَعُ عَلَى الْعِلْمِ بِسُلُوكِ الصَّوَابِ وَاجْتِنَابِ الْخَطَا» وَقَالَ: فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ: أَنْ يَلْزِمَ إِقَامَةَ الْمَرْوَةِ بِمَا قَدَرَ عَلَيْهِ مِنَ الْخِصَالِ الْمَحْمُودَةِ وَتَرْكِ الْخِلَالِ الْمَذْمُومَةِ» * (٦).

١٤ - * (وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ تَفَقُّدُ الْأَسْبَابِ الْمُسْتَحَقَّةِ عِنْدَ الْعَوَامِّ مِنْ نَفْسِهِ حَتَّى لَا يَثْلَمَ» (٧) مَرْوَتَهُ، فَإِنَّ الْمَحَقَّرَاتِ ضِدُّ الْمَرْوَاتِ تُؤْذِي الْكَامِلَ فِي الْحَالِ بِالرُّجُوعِ الْقَهْقَرَى إِلَى مَرَاتِبِ الْعَوَامِّ وَأَوْبَاشِ (٨) النَّاسِ) * (٩).

١٥ - * (قَالَ الْمَآوَزِيُّ: «وَأَمَّا الْإِسْعَافُ فِي النَّوَائِبِ فَلَأَنَّ الْأَيَّامَ غَادِرَةٌ، وَالنَّوَائِلَ غَائِرَةٌ، وَالْحَوَادِثَ عَارِضَةٌ، وَالنَّوَائِبَ رَاكِضَةٌ. وَالْإِسْعَافُ فِي النَّوَائِبِ نَوْعَانِ: وَاجِبٌ وَتَبَرُّعٌ. فَأَمَّا الْوَاجِبُ فِيمَا اخْتَصَّ بِثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ وَهُمْ الْأَهْلُ وَالْإِخْوَانُ وَالْجِيرَانُ... فَيَجِبُ مِنْ حُقُوقِ الْمَرْوَةِ وَشُرُوطِ الْكَرَمِ فِي هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ تَحْمُلُ أَثْقَالَهُمْ وَإِسْعَافُهُمْ فِي نَوَائِبِهِمْ. وَأَمَّا التَّبَرُّعُ فَيَمْنَعُ عَدَا هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الْبُعْدَاءِ» * (١٠).

١٦ - * (وَقَالَ: «اعْلَمْ أَنَّ مِنْ شَوَاهِدِ الْفَضْلِ وَدَلَائِلِ الْكَرَمِ الْمَرْوَةُ الَّتِي هِيَ حَلِيَّةُ النُّفُوسِ، وَزِينَةُ الْهَمَمِ» * (١١).

وَكُنْتُ إِذَا صَحَبْتُ رِجَالَ قَوْمٍ صَحَبْتُهُمْ وَشِيمَتِي الْوَفَاءُ فَأَحْسِنُ حِينَ يُحْسِنُ مُحْسِنُوهُمْ وَأُجْتَنِبُ الْإِسَاءَةَ إِنْ أَسَاءُوا وَأُبْصِرُ مَا يَعِيبُهُمْ بَعَيْنٍ عَلَيْهَا مِنْ عُيُوبِهِمْ غِطَاءً أُرِيدُ رِضَاهُمْ أَبَدًا وَآتِي مَشِيئَتَهُمْ وَأَتْرُكُ مَا أَشَاءُ) * (١).

٩ - * (سُئِلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ عَنِ الْمَرْوَةِ، فَقَالَ: «أَنْ لَا تَعْمَلَ عَمَلًا فِي السِّرِّ تَسْتَحْيِي مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ» * (٢).

١٠ - * (قَالَ مَسْرُوقٌ،: «كَانَ يُقَالُ: مُجَالَسَةُ أَهْلِ الدِّيَانَةِ تَجْلُو عَنِ الْقَلْبِ صَدَأَ الذُّنُوبِ، وَمُجَالَسَةُ ذَوِي الْمَرْوَاتِ تَدُلُّ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمُجَالَسَةُ الْعُلَمَاءِ تُذَكِّي الْقُلُوبَ» * (٣).

١١ - * (سُئِلَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ عَنِ الْمَرْوَةِ فَقَالَ: «صِدْقُ اللِّسَانِ، وَمُوَاسَاةُ الْإِخْوَانِ، وَذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ مَكَانٍ» * (٤).

١٢ - * (وَقَالَ مَرَّةً: «الْعِفَّةُ وَالْحِرْفَةُ» * (٥).

١٣ - * (قَالَ أَبُو حَاتِمٍ الْبُسْتِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بَعْدَ أَنْ سَأَلَ حَدِيثَ «كَرَمُ الْمُؤْمِنِ دِينُهُ، وَمَرْوَتُهُ»

(٦) المروءة الغائبة (٥٥).
(٧) يثلم: من الثلم وهو الخلل.
(٨) أوباش الناس: أخلاطهم وسفلهم.
(٩) المروءة الغائبة (٦١).
(١٠) أدب الدنيا والدين (٣٢٣).
(١١) المرجع السابق (٣٠٦).

(١) المروءة الغائبة (٤٢).
(٢) أدب الدنيا والدين (٢٣١٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٨٧/١٥).
(٣) المروءة الغائبة (٦٠).
(٤) أدب الدنيا والدين (٣٢٣).
(٥) تهذيب اللغة للأزهري (٢٨٧/١٥).

١٧ - * (وَقَالَ أَيُّضًا: «شَرَفُ النَّفْسِ مَعَ صِغَرِ
الْهِمَّةِ أَوْلَى مِنْ عُلُوِّ الْهِمَّةِ مَعَ دَنَاءَةِ النَّفْسِ، لِأَنَّ مَنْ
عَلَتْ هِمَّتُهُ مَعَ دَنَاءَةِ نَفْسِهِ كَانَ مُتَعَدِّيًا إِلَى طَلَبِ مَا لَا
يَسْتَحِقُّهُ، وَمُتَخَطِّيًا إِلَى التَّمَايَسِ مَا لَا يَسْتَوْجِبُهُ. وَمَنْ
شَرَفَتْ نَفْسُهُ مَعَ صِغَرِ هِمَّتِهِ فَهُوَ تَارِكٌ لِمَا يَسْتَحِقُّ،
وَمُقَصِّرٌ عَمَّا يَجِبُ لَهُ، وَفَضْلُ مَا بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ ظَاهِرٌ، وَإِنْ
كَانَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنَ الدِّمِّ نَصِيبٌ»*)^(١).

١٨ - * (وَقَالَ: «أَمَّا شَرَفُ النَّفْسِ فَإِنَّ بِهِ يَكُونُ
قَبُولُ التَّأْدِيبِ وَاسْتِقْرَارُ التَّقْوِيمِ وَالتَّهْذِيبِ، لِأَنَّ
النَّفْسَ رُبَّمَا جَمَحَتْ عَنِ الْأَفْضَلِ وَهِيَ بِهِ عَارِفَةٌ وَنَفَرَتْ
عَنِ التَّأْدِيبِ وَهِيَ لَهُ مُسْتَحْسِنَةٌ، لِأَنَّهَا عَلَيْهِ غَيْرُ
مَطْبُوعَةٍ، وَلَهُ غَيْرُ مُلَائِمَةٍ فَتَصِيرُ مِنْهُ أَنْفَرٌ، وَلِضِدِّهِ
الْمُلَائِمِ آثَرٌ»*)^(٢).

١٩ - * (قَالَ الْحَصِينُ بْنُ الْمُنْذِرِ الرَّقَاشِيُّ:

إِنَّ الْمَرْوَةَ لَيْسَ يُدْرِكُهَا أَمْرٌ

وَرِثَ الْمَكَارِمَ عَنْ أَبِي فَأَضَاعَهَا

أَمَرَتْهُ نَفْسٌ بِالذَّنَاوَةِ وَالْخَنَا

وَنَهَتْهُ عَنْ سُبُلِ الْعُلَا فَطَاعَهَا

فَإِذَا أَصَابَ مِنَ الْمَكَارِمِ خُلَّةٌ

يَبْنِي الْكَرِيمُ بِهَا الْمَكَارِمَ بَاعَهَا*)^(٣).

٢٠ - * (يَقُولُ شَيْخُ الْأَزْهَرِ السَّابِقُ مُحَمَّدٌ

الْحِضْرُ حُسَيْنٌ: «وَتَنْتَظِمُ الْمَرْوَةُ أَخْلَاقًا سَنِيَّةً وَآدَابًا

مُضِيَّةً، وَرُسُوخٌ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ فِي النَّفْسِ
يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ وَمُجَاهَدَةٍ وَدِقَّةٍ مُلَاحَظَةٍ وَسَلَامَةٍ
ذَوْقٍ*)^(٤).

٢١ - * (قَالَ وَحِيدُ الدِّينِ خَانٌ فِي كِتَابِهِ «الْبُعْثُ
الْإِسْلَامِيُّ»: «إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَشَأُوا فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ،
وَشَبُّوا فِي الْكُتُبَانِ الرَّمْلِيَّةِ وَالصَّحَارَى الْقَاحِلَةِ الْجَذْبَاءِ،
كَانُوا يَتَمَتَّعُونَ بِمِيزَاتٍ يُمَكِّنُ تَلْخِيصُهَا فِي كَلِمَةٍ
وَاحِدَةٍ هِيَ الْمَرْوَةُ»*)^(٥).

٢٢ - * (قَالَ حَافِظُ إِبْرَاهِيمَ:

إِنِّي لَتُطْرِبُنِي الْخِلَالُ كَرِيمَةً

طَرَبَ الْغَرِيبِ بِأُوبَةٍ وَتَلَاقِي

وَتَهْزُنِي ذِكْرَى الْمَرْوَةِ وَالنَّدَى

بَيْنَ السَّمَائِلِ هِزَّةَ الْمُشْتَاكِ*)^(٦).

٢٣ - * (وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

«مِنْ حُقُوقِ الْمَرْوَةِ وَشُرُوطِهَا مَا لَا يُتَوَصَّلُ إِلَيْهِ

إِلَّا بِالْمُعَانَاةِ، وَلَا يُوقَفُ عَلَيْهِ إِلَّا بِالتَّفَقُّدِ وَالْمُرَاعَاةِ.

فَثَبَّتْ أَنَّ مُرَاعَاةَ النَّفْسِ عَلَى أَفْضَلِ أَحْوَالِهَا هِيَ

الْمَرْوَةُ، وَإِذَا كَانَتْ كَذَلِكَ فَلَيْسَ يَنْقَادُ لَهَا مَعَ ثِقَلِ

كُلْفِهَا إِلَّا مَنْ تَسَهَّلَتْ عَلَيْهِ الْمَشَاقُّ رَغْبَةً فِي الْحَمْدِ،

وَهَانَتْ عَلَيْهِ الْمَلَاذُ حَذَرًا مِنَ الدِّمِّ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: سَيِّدُ

الْقَوْمِ أَشْقَاهُمْ»*)^(٧).

٢٤ - * (قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ: مَا أَضْعَبُ شَيْءٍ

(٥) المروءة لمحمد إبراهيم سليم (٩).

(٦) كتاب المروءة الغائبة (١٠).

(٧) أدب الدنيا والدين (٣٠٧).

(١) أدب الدنيا والدين (٣٠٧).

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) المرجع السابق (٣٠٩).

(٤) عن كتاب المروءة الغائبة (٩٨).

وَالْأَجْمَلُ مِنْ طَرَائِقِهَا ، وَإِنْ سَلِمَتْ مِنْهَا ، وَبَعِيدُ أَنْ
تَسْلَمَ إِلَّا لِمَنْ اسْتَكْمَلَ شَرَفَ الْأَخْلَاقِ طَبْعًا ، وَاسْتَعْنَى
عَنْ تَهْدِيئِهَا تَكَلُّفًا وَتَطَبُّعًا » * (٣) .

٢٧ - * (قَالَ أَحَدُهُمْ :

إِذَا الْمَرْءُ أَعْيَتْهُ الْمَرْوَةُ نَاشِئًا

فَمَطْلَبُهَا كَهَلًا عَلَيْهِ عَسِيرٌ) * (٤) .

٢٨ - * (قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرِفْ لِنَفْسِكَ حَقَّهَا

هَوَانًا بِهَا كَانَتْ عَلَى النَّاسِ أَهْوَانًا

فَنَفْسُكَ أَكْرَمُهَا وَإِنْ ضَاقَ مَسْكَنُ

عَلَيْكَ لَهَا فَاطْلُبْ لِنَفْسِكَ مَسْكَنًا

وَإِيَّاكَ وَالشُّكْنَى بِمَنْزِلِ ذِلَّةٍ

يُعَدُّ مُسِيئًا فِيهِ مَنْ كَانَ مُحْسِنًا) * (٥) .

عَلَى الْإِنْسَانِ ؟ قَالَ : « أَنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ ، وَيَكْتُمَ الْأَسْرَارَ
فَإِذَا اجْتَمَعَ الْأَمْرَانِ وَاقْتَرَنَ بِشَرَفِ النَّفْسِ عَلُوُّ الْهِمَّةِ
كَانَ الْفَضْلُ بَيْنَهُمَا ظَاهِرًا ، وَالْأَدَبُ بَيْنَهُمَا وَافِرًا ، وَمَشَاقُّ
الْحَمْدِ بَيْنَهُمَا مُسَهَّلَةً ، وَشُرُوطُ الْمَرْوَةِ بَيْنَهُمَا مَتِينَةٌ » * (١) .

٢٥ - * (قَالَ بَعْضُهُمْ : الْكَامِلُ الْمَرْوَةُ مَنْ

حَصَّنَ دِينَهُ ، وَوَصَلَ رَحِمَهُ ، وَأَكْرَمَ إِخْوَانَهُ) * (٢) .

٢٦ - * (سُئِلَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ

الْعَقْلِ وَالْمَرْوَةِ ، فَقَالَ « الْعَقْلُ يَأْمُرُكَ بِالْإِنْفَعِ ، وَالْمَرْوَةُ

تَأْمُرُكَ بِالْأَجْمَلِ » وَقَالَ الْمَاوَرِدِيُّ « وَلَنْ تَجِدَ الْأَخْلَاقَ

عَلَى مَا وَصَفْنَا مِنْ حَدِّ الْمَرْوَةِ مُنْطَبِعَةً ، وَلَا عَنِ الْمُرَاعَاةِ

مُسْتَعْنِيَةً ، وَإِنَّمَا الْمُرَاعَاةُ هِيَ الْمَرْوَةُ لَا مَا انْطَبَعَتْ عَلَيْهِ

مِنْ فَضَائِلِ الْأَخْلَاقِ ، لِأَنَّ غُرُورَ الْهَوَى وَنَازِعَ الشَّهْوَةِ

يَصْرِفَانِ النَّفْسَ أَنْ تَرْكَبَ الْأَفْضَلَ مِنْ خِلَائِقِهَا ،

من فوائد «المروءة»

(١) تَعَلَّمَ الْإِنْصَافَ وَالصِّدْقَ وَالْإِحْتِمَالَ
وَالصَّبْرَ .

(٢) تَبَعَّدُ الْمُسْلِمَ عَمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَالْمُسْلِمُونَ .

(٣) رَفَعَ الْهِمَمَ لِلْمَلِكَاتِ ، وَالتَّرَفُّعَ عَنِ الْمُحَقَّرَاتِ .

(٤) شَكَرُ الْمُنْعِمِ عَلَى مَا أَنْعَمَ .

(٥) التَّحَلِّيُ بِالْحَزْمِ عِنْدَ الْعَزْمِ وَالْعَفْوِ عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ .

(٦) تَكْسِبُ الْإِنْسَانُ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ .

(٧) تَبَعَّدُ بِالْإِنْسَانِ عَنْ كُلِّ مَا يُؤْذِي صِفَةَ الْكَمَالِ فِي

الْإِنْسَانِ .

(٨) مُسَاعَدَةُ الْأَهْلِ وَالْإِخْوَانِ وَالْجِيرَانِ .

(٩) تُعْلِي شَرَفَ النَّفْسِ وَقَدَّرَهَا .

(١٠) تُخَلِّصُ الْإِنْسَانَ مِنْ غُرُورِ الْهَوَى وَنَوَازِعِ الشَّهْوَةِ .

(١١) تَدْعُو الْإِنْسَانَ إِلَى الْأَنْفَةِ مِنَ الْخُمُولِ وَالْكَسَلِ .

(١٢) تَدْعُو الْإِنْسَانَ إِلَى اسْتِنكَارِ مَهَانَةِ النَّقْصِ .

(١٣) دَعْوَةٌ لِلْإِنْسَانِ إِلَى تَجَنُّبِ الْأَمَانِيِّ بِلَا عَمَلٍ ،

لِأَنَّ التَّمَنِّيَّ اسْتِصْغَارٌ لِنِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى .

(١٤) تُضْفِي عَلَى الْإِنْسَانِ عِزًّا ، وَعَلَى الْمُجْتَمَعِ تَرَابُطًا .

(٤) المروءة لمحمد ابراهيم سليم (٩) .

(٥) أدب الدنيا والدين (٣٠٨)

(١) أدب الدنيا والدين (٣٠٩) .

(٢) المرجع السابق (٣١٠) .

(٣) المرجع السابق (٣٠٦) .

«المسارعة في الخيرات»

الآيات	الأحاديث	الآثار
١٨	٢٠	٢٨

المسارعة لغةً:

مَصْدَرُ قَوْلِنَا: سَارَعَ فُلَانٌ إِلَى كَذَا، وَهُوَ مَا خُوذُ مِنْ مَادَّةٍ (س ر ع) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْبُطْءِ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْعَرَبِ: لَسَرَعَانَ مَا صَنَعْتَ كَذَا، أَيْ مَا أَسْرَعَ مَا صَنَعْتَهُ، وَأَمَّا السَّرْعُ مِنَ الْكُرْمِ فَهُوَ أَسْرَعُ مَا يَطْلُعُ مِنْهُ^(١).

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: يُقَالُ: سَرَعَ سَرْعًا مِثْلَ صَغُرَ صِغَرًا فَهُوَ سَرِيعٌ، وَقَوْلُهُمْ «سَرَعَانَ ذَا خُرُوجًا»، وَسَرَعَانَ وَسَرَعَانٍ ثَلَاثُ لُغَاتٍ، أَيْ سَرَعَ ذَا خُرُوجًا، وَأَسْرَعَ الْقَوْمُ، إِذَا كَانَتْ دَوَابُّهُمْ سَرَاعًا^(٢).

وَقَالَ الْفَيْرُوزَابَادِيُّ: السَّرْعَةُ ضِدُّ الْبُطْءِ، وَتُسْتَعْمَلُ فِي الْأَجْسَامِ وَالْأَفْعَالِ يُقَالُ: سَرَعَ فَهُوَ سَرِيعٌ، وَأَسْرَعَ فَهُوَ مُسْرِعٌ، كَمَا يُقَالُ: سَيَّرَ سَرِيعٌ، وَفَرَسٌ سَرِيعٌ، وَالْمَصْدَرُ مِنْ سَرَعَ هُوَ السَّرْعَةُ، وَالسَّرَاعَةُ وَالسَّرْعُ^(٣)، وَسَارَعَ إِلَى الْخَيْرِ وَتَسَارَعَ^(٤) (بِمَعْنَى)، قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا

سَابِقُونَ﴾ (المؤمنون/ ٦١) يُسَارِعُونَ أَيْ يُسَابِقُونَ مَنْ سَابَقَهُمْ إِلَيْهَا^(٥)، وَقُرِئَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ، أَيْ يَكُونُونَ سَرَاعًا إِلَيْهَا، أَمَّا سَابِقُونَ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ فَقَدْ ذَكَرَ الْقُرْطُبِيُّ أَنَّ الْمُرَادَ السَّبْقُ إِلَى أَوْقَاتِهَا، وَكُلُّ مَنْ تَقَدَّمَ فِي شَيْءٍ فَهُوَ سَابِقٌ إِلَيْهِ، وَكُلُّ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهُ فَقَدْ سَبَقَهُ وَفَاتَهُ، وَمِنْ ثَمَّ تَكُونُ اللَّامُ فِي «لَهَا» بِمَعْنَى إِلَى كَمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ (الزلزلة/ ٥) أَيْ إِلَيْهَا^(٦).

وَسَرَعَانَ النَّاسِ: أَوَّلُهُمُ الَّذِينَ يَتَسَارِعُونَ إِلَى الشَّيْءِ، وَيَقْبَلُونَ عَلَيْهِ بِسُرْعَةٍ، وَيَجُوزُ فِيهَا تَسْكِينُ الرَّاءِ، وَالْمَسَارِيعُ، جَمْعُ مِسْرَاعٍ، وَهُوَ الشَّدِيدُ الْإِسْرَاعِ فِي الْأُمُورِ، وَهُوَ مِنْ أُنْبِيَةِ الْمُبَالِغَةِ^(٧)، وَالْمُسْرِعُ: الْمُبَادِرُ إِلَى الشَّرِّ، يُقَالُ تَسَرَّعَ إِلَى الشَّرِّ، وَالْمُسْرِعُ: السَّرِيعُ إِلَى خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَسَارَعَ إِلَى الْأَمْرِ كَأَسْرَعَ إِلَيْهِ، وَسَارَعَ إِلَى كَذَا وَتَسَرَّعَ إِلَيْهِ بِمَعْنَى^(٨)، وَالْمُسَارَعَةُ إِلَى الشَّيْءِ الْمُبَادَرَةُ إِلَيْهِ^(٩)، وَالْفَرْقُ بَيْنَ السَّرْعَةِ وَالْإِسْرَاعِ أَنَّ الْإِسْرَاعَ فِيهِ

المشاركة.

(٦) تفسير القرطبي ١٢/ ١٣٣ (بتصرف يسير).

(٧) انظر النهاية لابن الاثير ٢/ ٣٦١.

(٨) يشير صاحب اللسان بهذه العبارة الى أن تسرع تستعمل

بمعنى سارع الى الأمر مطلقا خيرا كان أو شرا.

(٩) لسان العرب ٨/ ١٥١ (ط. بيروت).

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٣/ ١٥٣.

(٢) الصحاح للجوهري ٣/ ١٢٢٨.

(٣) أضاف ابن منظور ثلاثة مصادر أخرى هي: السَّرْعُ

وَالسَّرْعُو السَّرْعُ، انظر اللسان ٨/ ١٥١.

(٤) بصائر ذوي التمييز ٣/ ٢١٤.

(٥) يفيد هذا القول أن المفاعلة هنا على بابها أي أنها تدل على

المُسَارَعَةُ وَالْمُسَابَقَةُ وَالْمُبَادَرَةُ:

هَذِهِ الْأَلْفَاظُ الثَّلَاثَةُ مُتَقَارِبَةٌ الْمَعْنَى إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ، وَمَعَ أَنَّ بَيْنَهَا فُرُوقًا فِي الْإِسْتِعْمَالِ فِي كَثِيرٍ مِنَ السِّيَاقَاتِ، إِلَّا أَنَّ بَيْنَهَا مَا يُسَمِّيهِ بَعْضُ اللُّغَوِيِّينَ بِالتَّرَادُفِ الْجُزْئِيِّ وَيُرَادُّ بِهِ أَنَّ يُسْتَعْمَلَ اللَّفْظَانِ أَوْ الْأَلْفَاظُ اسْتِعْمَالًا وَاحِدًا فِي بَعْضِ السِّيَاقَاتِ دُونَ بَعْضِهَا الْآخَرِ، وَالْأَلْفَاظُ الثَّلَاثَةُ (المُسَارَعَةُ - المُسَابَقَةُ - المُبَادَرَةُ) مِنْ هَذَا الْقِيَلِ، أَيْ إِنَّهَا عِنْدَ الْإِقْتِرَانِ بِالْخَيْرَاتِ أَوْ الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَكُونُ لَهَا الْمَعْنَى نَفْسُهُ، وَقَدْ كَثُرَ لَفْظُ «المُبَادَرَةُ» فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، وَلَفْظُ الْمُسَارَعَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَمَّا الْمُسَابَقَةُ فَقَدْ وَرَدَتْ فِيهَا عَلَى سَوَاءٍ، وَمِنْ الْأَلْفَاظِ الْحَدِيثِيَّةِ الَّتِي تُؤَدِّي مَعْنَى الْمُسَارَعَةِ أَوْ الْمُبَادَرَةِ، لَفْظُ التَّبَكُّيرِ وَخَاصَّةً إِذَا اقْتَرَنَ بِأَدَاءِ الصَّلَاةِ.

[للاستزادة : انظر صفات : الإغاثة - البر - بر

الوالدين - التعاون علي البر والتقوى - الطاعة - العبادة - الإحسان - الكرم - المروءة .

وفي ضد ذلك : انظر صفات : الإهمال -

البخل - التخاذل - التفريط والإفراط - التهاون - الشح - الإعراض - اتباع الهوى].

طَلَبَ وَتَكَلَّفَ، وَأَمَّا السَّرْعَةُ فَكَأَنَّهَا غَرِيزَةٌ، يُقَالُ: أَسْرَعَ أَيَّ طَلَبَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ وَتَكَلَّفَهُ كَأَنَّهُ أَسْرَعَ الْمَشْيَ أَيَّ عَجَّلَهُ، وَأَمَّا سَرَعَ فَلَانٌ، فَالْمَعْنَى أَنَّ السَّرْعَةَ فِيهِ طَبْعٌ وَسَجِيَّةٌ^(١)، أَمَّا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (آل عمران/ ١٣٣) فَالْمَعْنَى سَارِعُوا إِلَى مَا يُوجِبُ الْمَغْفِرَةَ وَهِيَ الطَّاعَةُ، وَقِيلَ أَدَاءُ الْفَرَائِضِ، وَقِيلَ الْإِخْلَاصُ، وَقِيلَ: التَّوْبَةُ مِنَ الرِّبَا، وَقِيلَ: الثَّبَاتُ فِي الْقِتَالِ، وَقِيلَ غَيْرُ هَذَا، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَالْآيَةُ عَامَّةٌ فِي الْجَمِيعِ، وَمَعْنَاهَا مَعْنَى ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (البقرة/ ١٤٨) الَّتِي تَتَضَمَّنُ الْحَثَّ وَالِاسْتِعْجَالَ عَلَى جَمِيعِ الطَّاعَاتِ بِالْعُمُومِ^(٢).

المُسَارَعَةُ فِي الْخَيْرَاتِ اصْطِلَاحًا:

لَمْ تَذْكَرْ كُتُبُ الْمُصْطَلَحَاتِ - الَّتِي وَقَفْنَا عَلَيْهَا - «المُسَارَعَةُ» فِي الْخَيْرَاتِ مُصْطَلَحًا، وَيُمْكِنُ أَنْ نَعْرِفَ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ مَا كَتَبَهُ اللُّغَوِيُّونَ وَالْمُفَسِّرُونَ فَنَقُولُ: الْمُسَارَعَةُ فِي الْخَيْرَاتِ: هِيَ الْمُبَادَرَةُ إِلَى الطَّاعَاتِ وَالسَّبْقُ إِلَيْهَا وَالِاسْتِعْجَالُ فِي أَدَائِهَا وَعَدَمُ الْإِبْطَاءِ فِيهَا أَوْ تَأْخِيرِهَا.

(٢) تفسير القرطبي ٢/٤، وفي معنى «استبقوا الخيرات» ١٦٥/٢.

(١) لسان العرب ٨/ ١٥١ (ط. بيروت)، وقد نقل هذا الفرق عن سيبويه.

الآيات الواردة في «المسارعة في الخيرات»

- ١- ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ (١)

٢- يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٢٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٢١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴿٢﴾

٣- وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ (٣)

٤- إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتًا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ (٤)

الآيات الواردة في «المسارعة إلى الخيرات» معنى

- ٥- وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ مَوْلَاهُ فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ (١)
- ٦- وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَيَبْلُوَكُمْ فِي مَاءِ آتَانَكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ (٢)
- ٧- قُلْ أَغْنَى اللَّهُ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُلْطَعُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ (٣)
- ٨- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّاتِ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ (٤)
- ٩- قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ (٥)
- ١٠- وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظِرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٣﴾ (٦)
- ١١- وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ (٧)
- ١٢- فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمُ مُوسَى الْقَوَامَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ (٨)

(٦) الأعراف : ١٤٣ مكية

(٧) التوبة : ١٠٠ مدنية

(٤) الأنعام : ١٤١ مكية

(٥) الأنعام : ١٦١ - ١٦٣ مكية

(١) البقرة : ١٤٨ مدنية

(٢) المائدة : ٤٨ مدنية

(٣) الأنعام : ١٤ مكية

فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾

فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٤٦﴾

قَالُوا أَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾

رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾

قَالَ أَمَنَّا لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا أَقْطَعُ أَيْدِيكُمْ

وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صِلْبَتَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾

قَالُوا لَا ضَيْرَ لَنَا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾

إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا

أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ (١)

١٣- ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا

فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ

سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ

هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٥٢﴾ (٢)

١٤- قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٥٣﴾

وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٥٤﴾

قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٥﴾ (٣)

١٥- وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ

وَقَتْلِ أُولِيكُمُ الْعَظِيمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا

مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا أَوْكَلًا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٥٦﴾ (٤)

١٦- أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَتُهُ

وَتَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ

كَمَثَلٍ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَبَأِهِ ثُمَّ نَبَّهَتْ قَتَرَهُ

مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ

وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٥٧﴾

سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا

كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ

ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ

مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٥٨﴾ (٥)

١٧- لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ

وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا

وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٥٩﴾

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ

مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ

حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ

وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ

فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦٠﴾ (٦)

١٨- إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٦١﴾

عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٦٢﴾

تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٦٣﴾

يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٦٤﴾

خِتَمُهُمْ مَسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٦٥﴾ (٧)

(٦) الحشر : ٨ - ٩ مدنية

(٧) المطففين : ٢٢ - ٢٦ مكية

(٤) الحديد : ١٠ مدنية

(٥) الحديد : ٢٠ - ٢١ مدنية

(١) الشعراء : ٤١ - ٥١ مكية

(٢) فاطر : ٣٢ مكية

(٣) الزمر : ١١ - ١٣ مكية

الأحاديث الواردة في «المسارعة في الخيرات»

١- * (عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ:

أَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ مُرْدِفٌ أُسَامَةَ عَلَى الْقُصَوَاءِ - وَمَعَهُ بِلَالٌ وَعُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ - حَتَّى أَنَاخَ عِنْدَ الْبَيْتِ، ثُمَّ قَالَ لِعُثْمَانَ: ائْتِنَا بِالْمِفْتَاحِ، فَجَاءَهُ بِالْمِفْتَاحِ فَفَتَحَ لَهُ الْبَابَ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَأُسَامَةُ وَبِلَالٌ وَعُثْمَانُ، ثُمَّ أَغْلَقُوا عَلَيْهِ الْبَابَ، فَمَكَثَ نَهَارًا طَوِيلًا، ثُمَّ خَرَجَ، وَابْتَدَرَ النَّاسُ الدُّخُولَ فَسَبَقْتُهُمْ، فَوَجَدْتُ بِلَالًا قَائِمًا مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: صَلَّى بَيْنَ ذَيْنِكَ الْعُمُودَيْنِ الْمُقَدَّمَيْنِ، وَكَانَ الْبَيْتُ عَلَى سِتَّةِ أَعْمِدَةٍ سَطْرَيْنِ، صَلَّى بَيْنَ الْعُمُودَيْنِ مِنَ السَّطْرِ الْمُقَدَّمِ، وَجَعَلَ بَابَ الْبَيْتِ خَلْفَ ظَهْرِهِ، وَاسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الَّذِي يَسْتَقْبِلُكَ حِينَ تَلْجُ الْبَيْتَ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِدَارِ. قَالَ: وَنَسِيتُ أَنْ أَسْأَلَهُ كَمْ صَلَّى. وَعِنْدَ الْمَكَانِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ مَرْمَرَةٌ حُمْرَاءُ) * (١).

٢- * (عَنْ أَبِي مُوسَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ

أَسْمَاءَ لَمَّا قَدِمَتْ لِقِيَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ: الْحَبَشِيَّةُ هِيَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. فَقَالَ: نَعَمْ الْقَوْمُ أَنْتُمْ لَوْلَا أَنْكُمْ سَبَقْتُمْ بِالْهَجْرَةِ، فَقَالَتْ هِيَ لِعُمَرَ: كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحْمِلُ رَاغِلَكُمْ، وَيُعَلِّمُ جَاهِلَكُمْ، وَفَرَزْنَا بِدِينِنَا، أَمَا إِنِّي لَا أَرْجِعُ حَتَّى أَذْكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ،

فَقَالَتْ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ لَكُمْ الْهَجْرَةُ مَرَّتَيْنِ؛ هَجَرْتُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَهَجَرْتُمْ إِلَى الْحَبَشَةِ» * (٢).

٣- * (عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَا لَا، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قُلْتُ: مِثْلُهُ، وَآتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ: مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمْ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا) * (٣).

٤- * (عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا مَعَهُ وَأَبُو بَكْرٍ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَهُوَ يَقْرَأُ، فَقَامَ فَسَمِعَ قِرَاءَتَهُ، ثُمَّ رَكَعَ عَبْدُ اللَّهِ وَسَجَدَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «سَلْ تُعْطَهُ» قَالَ: ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ. قَالَ: فَأَدْلَجْتُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ لِأُبَشِّرُهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَلَمَّا ضَرَبْتُ الْبَابَ، أَوْ قَالَ: لَمَّا سَمِعَ صَوْتِي قَالَ: مَا جَاءَ بِكَ هَذِهِ السَّاعَةَ؟ قُلْتُ: جِئْتُ لِأُبَشِّرَكَ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قَدْ سَبَقَكَ أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: إِنْ يَفْعَلُ فَإِنَّهُ سَبَّاقٌ بِالْخَيْرَاتِ، مَا اسْتَبَقْنَا خَيْرًا قَطُّ إِلَّا سَبَقْنَا إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ) * (٤).

٥- * (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ:

(٤) مسند أحمد ١/٣٨، ١/٢٦، ونسخه الشيخ أحمد شاكر برقم (٢٦٥) وقال: اسناده صحيح، وكذا برقم (١٧٥).

(١) البخاري - الفتح ٧ (٤٤٠٠).
(٢) البخاري - الفتح ٧ (٤٢٣٠)، ومسلم (٢٥٠٣).
(٣) الترمذي برقم (٣٦٧٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَأَخَذَ النَّبِيُّ يَمْرُ مَعَهُ الْأُمَّةُ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُ مَعَهُ الْعَشْرَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُ مَعَهُ الْخَمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُ وَحْدَهُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادُ كَثِيرٍ، قُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ هَؤُلَاءِ أُمَّتِي؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ انْظُرِي إِلَى الْأَفْقِ فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادُ كَثِيرٍ، قَالَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، وَهَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا قَدَّامَهُمْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ، قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: كَانُوا لَا يَكْتُمُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، فَقَامَ إِلَيْهِ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ. قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ»، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ آخَرُ

فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ. قَالَ «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»*(١).

٦-*(عَنْ سَهْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ أَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالْغَزْوِ، وَأَنَّ رَجُلًا تَخَلَّفَ وَقَالَ لِأَهْلِهِ: أَتَخَلَّفُ حَتَّى أَصِلِّيَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الظُّهْرُ ثُمَّ أُسَلِّمَ عَلَيْهِ وَأُودِّعَهُ فَيَدْعُو لِي بِدَعْوَةٍ تَكُونُ شَافِعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَلَمَّا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ أَقْبَلَ الرَّجُلَ مُسَلِّمًا عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَبَقُوكَ بِأَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقَيْنِ وَالْمَغْرِبَيْنِ فِي الْفَضِيلَةِ»*(٢).

الأحاديث الواردة في «المسارعة في الخيرات» معنى

٧-*(عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَخْنَسِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَنَافَسَ بَيْنَكُمْ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ وَيَتَّبِعُ مَا فِيهِ فَيَقُولُ رَجُلٌ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَانِي مِثْلَ مَا أَعْطَى فَلَانًا فَأَقُومَ بِهِ كَمَا يَقُومُ بِهِ. وَرَجُلٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُ وَيَتَصَدَّقُ فَيَقُولُ رَجُلٌ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَانِي مِثْلَ مَا أَعْطَى فَلَانًا فَأَتَصَدَّقُ بِهِ... (الحديث)»*(٣).

٨-*(عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ

النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا الصُّبْحَ بِالْوُتْرِ»*(٤).

٩-*(عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَفِيْقٍ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عُمَرَ عَنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ وَأَنَا بَيْنَهُمَا فَقَالَ: صَلَاةُ اللَّيْلِ مِثْنِي مِثْنِي، فَإِذَا خَشِيتَ الصُّبْحَ فَبَادِرِ الصُّبْحَ بِرُكْعَةٍ، وَرُكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ»*(٥).

١٠-*(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا: هَلْ تَنْظُرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنًى مُطْغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ

(٤) المصدر السابق ٣٧/٢، قال الشيخ أحمد شاكر (٤٩٥٢): إسناده صحيح.

(٥) المصدر السابق ٧١/٢ وقال الشيخ أحمد شاكر (٥٣٩٩): إسناده صحيح.

(١) البخاري-الفتح ١١ (٦٥٤١) واللفظ له، ومسلم (٣٦٧).

(٢) مسند أحمد ٤٣٨/٣. وهو من مسند سهل بن معاذ وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن.

(٣) البخاري - الفتح ٩ (٥٠٢٥)، ومسلم (٨١٥)، ومسند أحمد ١٠٥/٤ واللفظ له.

هَرَمًا مُفْنِدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوْ الدَّجَالَ، فَشَرُّ غَائِبٍ يُتَنَظَّرُ، أَوْ السَّاعَةُ فَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ*^(١).

١١- * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا)*^(٢).

١٢- * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَبَادَرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالِدَّجَالُ، وَالِدُّخَانُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ، وَخُوصِصَةٌ أَحَدِكُمْ، وَأَمْرُ الْعَامَّةِ» قَالَ عَفَّانُ فِي حَدِيثِهِ: وَكَانَ قَتَادَةُ إِذَا قَالَ وَأَمْرُ الْعَامَّةِ وَأَمْرُ السَّاعَةِ)*^(٣).

١٣- * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ الْمُؤَذِّنُ إِذَا أَذَّنَ قَامَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَتَدَرُونَ السَّوَارِيَ حَتَّى يَخْرُجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُمْ كَذَلِكَ يُصَلُّونَ الرُّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْمَغْرِبِ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ شَيْءٌ، قَالَ عُثْمَانُ بْنُ جُبَلَةَ وَأَبُو دَاوُدَ

عَنْ شُعْبَةَ «لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا إِلَّا قَلِيلٌ»)*^(٤).

١٤- * (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ، شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»)*^(٥).

١٥- * (عَنْ مُضْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ الْأَعْمَشُ: وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «التَّوَدُّةُ»^(٦) فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ)*^(٧).

١٦- * (عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ: لَمَّا حُصِرَ عُثْمَانُ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ فَوْقَ دَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَذْكُرْكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ حِرَاءَ حِينَ انْتَفَضَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اثْبُتْ حِرَاءُ، فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: أَذْكُرْكُمْ بِاللَّهِ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ: «مَنْ يُفِقْ نَفَقَةً مُتَقَبَّلَةً» وَالنَّاسُ مُجْهَدُونَ مُعْسِرُونَ فَجَهَّزْتُ ذَلِكَ الْجَيْشَ؟ قَالُوا: نَعَمْ. ثُمَّ قَالَ: أَذْكُرْكُمْ بِاللَّهِ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ بَرَّ رُومَةٍ لَمْ يَكُنْ يَشْرَبُ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا بِشَمْنٍ فَابْتَعَتْهَا

(٥) المنذري في الترغيب والترهيب ٢٥١/٤ وقال رواه الحاكم وقال: صحيح على شرطهما.

(٦) التَّوَدُّة: ساكنة وتفتح: التَّأْنِي والتَّمَهْل والرَّزَانَةُ.

(٧) أبو داود برقم (٤٨١١) واللفظ له، والحاكم (٣٠٦/٤) وقال: على شرطهما، ووافقه الذهبي، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢٥٢/٤) وقال: رواه أبو داود والحاكم والبيهقي.

(١) الترمذي (٢٣٠٧) وقال: حسن، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٢٥٠/٤، وقال حديث حسن.

(٢) مسلم (١٨٦).

(٣) مسند أحمد ٣٢٤/٢ وقال الشيخ أحمد شاكر (٨٢٨٦) إسناده صحيح، ونسبه في التهذيب ٣/٣٦٦ لصحيح مسلم، وابن ماجه برقم (٤٠٥٦) وقال في الزوائد: إسناده حسن. والمنذري في الترغيب والترهيب ٢٥٠/٤.

(٤) البخاري/الفتح ٢(٦٢٥).

فَابْتَعْتُهَا فَجَعَلْتُهَا لِلْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ وَابْنِ السَّبِيلِ؟ قَالُوا:
اللَّهُمَّ نَعَمْ، وَأَشْيَاءَ عَدَدَهَا»*(١).

١٧- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «اسْتَأْذَنَ
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَسْأَلْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَ عَالِيَةَ
أَصْوَاتِهِنَّ عَلَى صَوْتِهِ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ تَبَادَرْنَ
الْحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ
يَضْحَكُ، فَقَالَ: أَضْحَكَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي
أَنْتَ وَأُمِّي. فَقَالَ: عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ
عِنْدِي، لَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ تَبَادَرْنَ الْحِجَابَ. فَقَالَ:
أَنْتَ أَحَقُّ أَنْ يَهْبَنَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِنَّ فَقَالَ:
يَا عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهَبْنِي وَلَمْ تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟
فَقُلْنَ: إِنَّكَ أَفْظُ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: إِيهَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا

لَقِيكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ
فَجِّكَ»*(٢).

١٨- * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ
الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ فَكَانَتْ قَرَبٌ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ
الثَّانِيَةِ فَكَانَتْ قَرَبٌ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ
فَكَانَتْ قَرَبٌ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ
فَكَانَتْ قَرَبٌ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ
فَكَانَتْ قَرَبٌ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ
يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»*(٣).

١٩- * (عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ قَالَ كُنَّا
مَعَ بُرَيْدَةَ فِي غَزْوَةٍ فِي يَوْمٍ ذِي غَيْمٍ، فَقَالَ: بَكُّرُوا
بِصَلَاةِ الْعَصْرِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ
الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ»*(٤).

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في «المسارعة في الخيرات»

النَّاسِ، وَلَقَدْ فَرَعَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ سَبَقَهُمْ
عَلَى فَرَسٍ، وَقَالَ: وَجَدْنَاهُ بَحْرًا»*(٥).

٢٠- * (عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: كَانَ
النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ

(٣) البخاري -الفتح ٢(٨٨١).

(٤) المصدر السابق ٢(٥٥٣).

(٥) المصدر السابق ٦(٢٨٢٠).

(١) الترمذي برقم ٣٦٩٩، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) البخاري -الفتح ١٠/٦٠٨٥، ٧(٣٦٨٣) وأحمد

(١/١٧١) ونسخة الشيخ أحمد شاكر برقم (١٤٧٢).

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في «المسارعة في الخيرات»

- ١- * (عَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سِدَادٍ^(١)، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ، وَعِثْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ، فَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ عُمْرًا نَاكِسًا^(٢)، أَوْ مَرَضًا حَابِسًا^(٣)، أَوْ مَوْتًا خَالِسًا^(٤)، فَإِنَّهُ هَادِمٌ لَذَاتِكُمْ، وَمُبَاعِدٌ طِيَّاتِكُمْ^(٥)، زَائِرٌ غَيْرُ مُحْبُوبٍ، وَوَاتِرٌ غَيْرُ مَطْلُوبٍ، قَدْ أَعْلَقَتْكُمْ حَبَائِلُهُ، وَتَكَنَّفَتْكُمْ^(٦) غَوَائِلُهُ، وَأَقْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ^(٧)، فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلُمِهِ، وَاحْتِدَامُ عِلَلِهِ، وَحَنَادِسُ^(٨) غَمَرَاتِهِ، وَغَوَاشِي سَكَرَاتِهِ، وَأَلِيمُ إِزْهَاقِهِ، وَدُجُوُ اطِّبَاقِهِ، وَجُشُوبَةٌ^(٩) مَذَاقِهِ، فَأَسَكْتَ نَجِيَّتَكُمْ^(١٠)، وَفَرَّقَ نَدِيَّتَكُمْ، فَلَا تَغْرُبَنَّكُمْ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ، الَّذِينَ اخْتَلَبُوا دِرَّتَهَا^(١١)، وَأَصَابُوا عِزَّتَهَا، وَأَفْنَوْا عِدَّتَهَا، وَأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا، أَصْبَحَتْ مَسَاكِينُهُمْ أَجْدَاثًا، وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثًا، فَإِنَّهَا غَرَارَةٌ^(١٢) خَدُوعٌ، مُعْطِيَةٌ مُنُوعٌ، لَا يَدُومُ رِخَاؤُهَا، وَلَا يَنْقُضِي عَنَاؤُهَا، وَلَا يَرْكُدُ بَلَاؤُهَا) * (١٣).
- ٢- * (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ (المؤمنون / ٦١): قَالَ: «سَبَقَتْ لَهُمُ السَّعَادَةُ مِنَ اللَّهِ» * (١٤).
- ٣- * (عَنْ أَبِي زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (البقرة / ١٤٨) قَالَ: فَسَارِعُوا فِي الْخَيْرَاتِ) * (١٥).
- ٤- * (عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (آل عمران / ١٣٣). يَقُولُ: سَارِعُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ) * (١٦).
- ٥- * (وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي الْآيَةِ قَالَ: هِيَ التَّكْبِيرَةُ الْأُولَى) * (١٧).
- ٦- * (عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي الْآيَةِ ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ (فاطر / ٣٢). قَالَ: «يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ» * (١٨).
- ٧- * (وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

(١) السداد: ما يسد به الشيء ومنه سداد الثغر.

(٢) الناكس: الراجع.

(٣) الحابس: الذي يمنع صاحبه من العمل.

(٤) الموت الخالس: الذي يأخذ صاحبه على غفلة.

(٥) الطيات: النيات.

(٦) التكنف: الحلول بالأكناف وهي الضواحي.

(٧) المعابل: نصل عريض طويل.

(٨) الحنادس: الظلم.

(٩) الجشوبة: خشونة المذاق.

(١٠) النجي: القوم يتناجون.

(١١) الدرة: اللين.

(١٢) غرارة: فعالة من الغرور.

(١٣) منال الطالب لابن الأثير ٣٦٤.

(١٤) الدر المشور ٢٢ / ٥.

(١٥) المرجع السابق ٢٧٢ / ١.

(١٦) المرجع السابق ١٢٨ / ٢.

(١٧) المرجع السابق ١٢٨ / ٢، وتفسير القرطبي ٢٠٣ / ٤.

(١٨) المرجع السابق ٤٧٣ / ٥.

في الآية ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾. قَالَ سَابِقُنَا سَابِقٌ*^(١).

٨- * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ قَالَ: «السَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ»)*^(٢).

٩- * (عَنْ قَتَادَةَ قَالَ فِي الْآيَةِ ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾. قَالَ: «هَذَا الْمُقَرَّبُ»)*^(٣).

١٠- * (عَنْ ابْنِ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء / ٥١). قَالَ: كَانُوا كَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِآيَاتِهِ حِينَ رَأَاهَا)*^(٤).

١١- * (قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْآيَةِ ﴿وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ (آل عمران / ١١٤). الَّتِي يَعْمَلُونَهَا مُبَادِرِينَ غَيْرَ مُتَنَاقِلِينَ لِمَعْرِفَتِهِمْ بِقَدْرِ ثَوَابِهِمْ. وَقِيلَ: يُبَادِرُونَ بِالْعَمَلِ قَبْلَ الْفَوْتِ)*^(٥).

١٢- * (قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (آل عمران / ١٣٣). الْمُسَارَعَةُ: الْمُبَادَرَةُ، أَيْ سَارِعُوا إِلَى مَا يُوجِبُ الْمَغْفِرَةَ وَهِيَ الطَّاعَةُ)*^(٦).

١٣- * (وَذَكَرَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ: «إِلَى أَدَاءِ الْفَرَائِضِ»، وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: إِلَى الْإِخْلَاصِ. وَعَنِ الْكَلْبِيِّ: إِلَى التَّوْبَةِ مِنَ الرَّبَا، وَقِيلَ:

إِلَى الثَّبَاتِ فِي الْقِتَالِ)*^(٧).

١٤- * (يَقُولُ الْقُرْطُبِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (البقرة / ١٤٨). أَيْ إِلَى الْخَيْرَاتِ، أَيْ بَادِرُوا إِلَى مَا أَمَرَكُم بِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ اسْتِقْبَالِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَإِنْ كَانَ يَتَضَمَّنُ الْحَثَّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ وَالِاسْتِعْجَالِ إِلَى جَمِيعِ الطَّاعَاتِ بِالْعُمُومِ. يَقُولُ: وَالْمَعْنَى الْمُرَادُ بِالْمُبَادَرَةِ بِالصَّلَاةِ أَوَّلُ وَقْتِهَا)*^(٨).

١٥- * (قَالَ أَبُو حَيَّانَ الْأَنْدَلُسِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (البقرة / ١٤٨) هَذَا أَمْرٌ بِالتَّبَكُّيرِ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَنَاسَبَ هَذَا أَنَّ مَنْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ شَرِيعَةً أَوْ قِبْلَةً أَوْ صَلَاةً فَيَنْبَغِي الْاهْتِمَامُ بِالْمُسَارَعَةِ إِلَيْهَا)*^(٩).

١٦- * (قَالَ قَتَادَةُ: الْإِسْتِبَاقُ فِي أَمْرِ الْكَعْبَةِ رَغْمًا لِلْيَهُودِ بِالْمُخَالَفَةِ)*^(١٠).

١٧- * (قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: مَعْنَاهُ سَارِعُوا إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مِنَ التَّوَجُّهِ إِلَى الْقِبْلَةِ وَغَيْرِهِ)*^(١١).

١٨- * (قَالَ الزَّخَشَرِيُّ: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى فَاسْتَبِقُوا الْفَاضِلَاتِ مِنَ الْجِهَاتِ وَهِيَ الْجِهَاتُ الْمُسَامِتَةُ لِلْكَعْبَةِ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ)*^(١٢).

١٩- * (يَقُولُ أَبُو حَيَّانَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى

(٧) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٨) المرجع السابق ١١٢/٢.

(٩) البحر المحيط (١/ ٦١٢).

(١٠) المرجع السابق (١/ ٦١٢).

(١١) المرجع السابق (١/ ٦١٢).

(١٢) المرجع السابق (١/ ٦١٢).

(١) الدر المنثور ٤٧٣/٥.

(٢) المرجع السابق نفسه، و الصفحة نفسها.

(٣) المرجع السابق نفسه، و الصفحة نفسها.

(٤) المرجع السابق ر ١٥٦/٥.

(٥) تفسير القرطبي ١١٣/٤.

(٦) المرجع السابق نفسه، و الصفحة نفسها.

﴿وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ (آل عمران/ ١١٤):

المُسَارَعَةُ فِي الْخَيْرِ نَاشِئَةٌ عَنْ فَرْطِ الرَّغْبَةِ فِيهِ، لِأَنَّ مَنْ رَغِبَ فِي أَمْرٍ بَادَرَ إِلَيْهِ وَإِلَى الْقِيَامِ بِهِ، وَآثَرَ الْفَوْرَ عَلَى التَّرَاحِي * (١).

٢٠ - * (عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «كُنَّا نُبَكِّرُ بِالْجُمُعَةِ

وَنَقِيلُ بَعْدَ الْجُمُعَةِ * (٢).

٢١ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ - قَالَ: إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِدْبَارًا، فَاغْتَنِمُوهَا عِنْدَ شَهْوَتِهَا وَإِقْبَالِهَا، وَدَعُوهَا عِنْدَ فِتْرَتِهَا وَإِدْبَارِهَا * (٣).

٢٢ - * (قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -:

كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ يُبَادِرُ بِهِ * (٤).

٢٣ - * (وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الْعَابِدُ: «وَشَاوَرْتُهُ

(أَيَّ الْإِمَامِ أَحْمَدَ) فِي الْخُرُوجِ إِلَى الثَّغْرِ فَقَالَ: بَادِرْ، بَادِرْ * (٥).

٢٤ - * (كَانَ الْجُنَيْدُ يَقْرَأُ وَقْتَ خُرُوجِ رُوحِهِ،

فَيَقَالُ لَهُ: فِي هَذَا الْوَقْتِ؟! فَيَقُولُ: أَبَادِرُ طَيِّ صَحِيفَتِي * (٦).

٢٥ - * (قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: مَنْ عَلِمَ قُرْبَ

الرَّحِيلِ عَنْ مَكَّةَ اسْتَكْثَرَ مِنَ الطَّوَافِ، خُصُوصًا إِنْ كَانَ لَا يُؤَمِّلُ الْعُودَ لِكِبَرِ سِنِّهِ وَضَعْفِ قُوَّتِهِ، فَكَذَلِكَ يَنْبَغِي لِمَنْ قَارَبَهُ سَاحِلُ الْأَجْلِ بَعْلُو سِنِّهِ أَنْ يُبَادِرَ

اللَّحْظَاتِ، وَيَنْتَظِرَ الْهَاجِمَ بِمَا يَصْلُحُ لَهُ، فَقَدْ كَانَ فِي قَوْسِ الْأَجْلِ مَنَرٌ زَمَانَ الشَّبَابِ * (٧).

٢٦ - * (وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ - أَيضًا - : «.. كَمْ

يُضَيِّعُ الْآدَمِيُّ مِنْ سَاعَاتٍ يَفُوتُهُ فِيهَا الثَّوَابُ الْجَزِيلُ، وَهَذِهِ الْأَيَّامُ مِثْلُ الْمَرْعَةِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ لِلْإِنْسَانِ: كُلَّمَا بَذَرْتَ حَبَّةً أَخْرَجْنَا لَكَ أَلْفَ كُرٍّ (٨)، فَهَلْ يَجُوزُ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَتَوَقَّفَ فِي الْبَذْرِ وَيَتَوَانَى؟! * (٩).

٢٧ - * (وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ - أَيضًا - : «مِنْ

عَجَائِبِ مَا أَرَى مِنْ نَفْسِي وَمِنْ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ الْمَيْلُ إِلَى الْغَفْلَةِ عَمَّا فِي أَيْدِينَا مَعَ الْعِلْمِ بِقَصْرِ الْعُمْرِ، وَأَنَّ زِيَادَةَ الثَّوَابِ هُنَاكَ بِقَدْرِ الْعَمَلِ هَهُنَا. فَيَا قَصِيرَ الْعُمْرِ، اغْتَنِمِ يَوْمِي مِنِّي، وَانْتَظِرْ سَاعَةَ النَّفْرِ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَشْغَلَ قَلْبَكَ بِغَيْرِ مَا خُلِقَ لَهُ، وَاحْمِلْ نَفْسَكَ عَلَى الْمُرِّ، وَاقْمَعْهَا إِذَا أَبَتْ، وَلَا تُسْرِخْ لَهَا فِي الطَّوْلِ، فَمَا أَنْتَ إِلَّا فِي مَرَعَى. وَقَبِيحٌ بِمَنْ كَانَ بَيْنَ الصَّفَيْنِ أَنْ يَتَشَاغَلَ بِغَيْرِ مَا هُوَ فِيهِ» * (١٠).

٢٨ - * (وَقَالَ أَيضًا: «... الْبِدَارَ الْبِدَارَ يَا

أَرْبَابَ الْفُهْمِ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَعْبَرٌ إِلَى دَارِ إِقَامَةٍ، وَسَفَرٌ إِلَى الْمُسْتَقَرِّ وَالْقُرْبِ مِنَ السُّلْطَانِ وَمُجَاوَرَتِهِ.. فَتَهَيَّئُوا لِلْمُجَالَسَةِ، وَاسْتَعِدُّوا لِلْمُخَاطَبَةِ، وَبَالِغُوا فِي اسْتِعْمَالِ الْأَدَبِ، لِتَصْلُحُوا لِلْقُرْبِ مِنَ الْحَضْرَةِ. وَلَا يَشْغَلَنَّكُمْ

(٦) صيد الخاطر ٣٧٢.

(٧) المرجع السابق ٣٥٤.

(٨) الكُرُّ: مكيالٌ ضخيم يساوي ستين قفيزاً.

(٩) صيد الخاطر ٦٠٣.

(١٠) المرجع السابق ٤٩٢.

(١) تفسير البحر المحيط ٣/ ٣٨.

(٢) البخاري - الفتح ٢ (٩٠٥)، ٢ (٩٤٠).

(٣) الفوائد ص ٢٠٢.

(٤) الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/ ٢٣٩.

(٥) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

السَّابِقِ، وَلِيُخَذَّرِ الْمُسَابِقُ مِنْ تَقْصِيرٍ لَا يُمَكِّنُ
اسْتِدْرَاكُهُ»*(١).

عَنْ تَضْمِيرِ الْخَيْلِ تَكَاسُلٌ، وَلِيَحْمِلَكُمْ عَلَى الْجِدِّ فِي
ذَلِكَ تَذَكُّرُكُمْ يَوْمَ السَّابِقِ... فَلْيَتَذَكَّرِ السَّاعِي حَلَاوَةَ
التَّسْلِيمِ إِلَى الْأَمِينِ، وَلْيَتَذَكَّرْ فِي لَذَاذَةِ الْمَدْحِ يَوْمَ

من فوائد «المسارعة إلى الخيرات»

(٧) الْمُبَادَرَةُ إِلَى الصَّلَاةِ فِي أَوْقَاتِهَا وَعَدَمُ التَّخَلُّفِ عَنِ
الْجَمَاعَةِ الْأُولَى تَجْعَلُ لِصَاحِبِهَا مِنَ الْفَضِيلَةِ مَا
يَسْبِقُ بِهِ الْمُتَخَلِّفِينَ بِمَا هُوَ أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقَيْنِ
وَالْمَغْرِبَيْنِ*(٢).

(٨) الْمُبَادَرَةُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ تَجْعَلُ صَاحِبَهَا فِي مَأْمَنٍ
مِنَ الْفِتَنِ أَوْ الْأُمُورِ الَّتِي قَدْ تَشْغَلُ الْإِنْسَانَ
وَتُلْهِيه مِثْلَ الْمَرَضِ أَوْ الْفَقْرِ أَوْ الْغِنَى الْمُطْغِي أَوْ
الْهَرَمِ.

(٩) الْمُسَارَعَةُ إِلَى صَلَاةِ الْجُمُعَةِ وَالذَّهَابُ إِلَيْهَا فِي
السَّاعَةِ الْأُولَى يُعْظِمُ الْأَجْرَ وَيُجْزِلُ الثَّوَابَ.

(١٠) السَّابِقُونَ إِلَى الْخَيْرَاتِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ
حِسَابٍ.

(١) الْمُسَارَعَةُ فِي الْخَيْرَاتِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مَرْضَاةٌ
لِلرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ وَمَغْضَبَةٌ لِلشَّيْطَانِ.

(٢) الْمُسَارَعَةُ فِي الْخَيْرَاتِ تَرْفَعُ صَاحِبَهَا إِلَى جَنَّاتٍ
عَذْنٍ حَيْثُ النِّعَمُ الْمُقِيمُ وَالْفَضْلُ الْعَظِيمُ.

(٣) السَّبْقُ إِلَى الْخَيْرَاتِ يَجْعَلُ صَاحِبَهُ مِنَ الْمُفْلِحِينَ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(٤) الْمُبَادَرَةُ إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ تُوجِدُ نَوْعًا مِنْ
التَّنَافُسِ الْحَمِيدِ الَّذِي يَرْقَى بِالْمُجْتَمَعِ.

(٥) السَّابِقُ إِلَى الْخَيْرَاتِ يَغْبِطُهُ أَصْحَابُهُ وَيَتَمَنُّونَ أَنْ
يَصِيرُوا مِثْلَهُ وَيَمْتَدِّحُونَهُ بِهَذَا السَّبْقِ.

(٦) السَّابِقُونَ إِلَى الْخَيْرَاتِ يُدْرِكُونَ مَقَاصِدَهُمْ وَلَا
يَرْجِعُونَ خَائِبِينَ أَبَدًا.

المسئولية

الآيات	الأحاديث	الآثار
٢٩	١٠	٥

المسئولية لغة :

المُسْئُولِيَّةُ مَصْدَرٌ صِنَاعِيٌّ^(١) مأخوذٌ مِنْ مَادَّةِ (س أ ل) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى اسْتِدْعَاءِ مَعْرِفَةٍ أَوْ مَا يُؤَدِّي إِلَى الْمَعْرِفَةِ، أَوْ اسْتِدْعَاءِ مَالٍ أَوْ مَا يُؤَدِّي إِلَى الْمَالِ، قَالَ الرَّاعِبُ: فَاسْتِدْعَاءُ الْمَعْرِفَةِ جَوَابُهُ عَلَى اللِّسَانِ، وَالْيَدُ خَلِيفَةُ لَهُ بِالْكِتَابَةِ أَوْ الْإِشَارَةِ، وَاسْتِدْعَاءُ الْمَالِ جَوَابُهُ عَلَى الْيَدِ، وَاللِّسَانُ خَلِيفَةُ لَهَا إِمَّا بِوَعْدٍ أَوْ بِرَدٍّ، وَالسُّؤَالُ لِلْمَعْرِفَةِ يَكُونُ تَارَةً لِلِاسْتِعْلَامِ، وَتَارَةً لِلتَّبَكُّيْتِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ (التكوير/ ٨) وَالسُّؤَالُ إِذَا كَانَ لِلتَّعْرِيفِ تَعَدَّى إِلَى الْمَفْعُولِ الثَّانِي تَارَةً بِنَفْسِهِ وَتَارَةً بِالْجَارِ، تَقُولُ سَأَلْتُهُ كَذَا، وَسَأَلْتُهُ عَنْ كَذَا وَبِكَذَا، وَالْأَكْثَرُ «عَنْ»، وَإِذَا كَانَ السُّؤَالُ لاسْتِدْعَاءِ مَالٍ فَإِنَّهُ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ أَوْ بِمَنْ، وَذَلِكَ كَمَا فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا...﴾ (الأحزاب/ ٥٣) وَقَوْلِهِ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النساء/ ٣٢). يُقَالُ: سَأَلْتُهُ الشَّيْءَ، وَسَأَلْتُهُ عَنْ الشَّيْءِ سُؤَالًا، وَمَسْأَلَةٌ وَالْأَمْرُ مِنْهُ اسْأَلْ، وَقَدْ تُخَفَّفُ هَمْزُهُ فَيُقَالُ: سَأَلَ، وَالْأَمْرُ مِنْهُ سَلْ، وَقَالَ ابْنُ سِيدَه: وَالْعَرَبُ قَاطِبَةً تَحْذِفُ الْهَمْزَ مِنْهُ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا وَصَلُوا بِإِلْفَاءٍ أَوْ الْوَاوِ هَمْزُوا وَكَقَوْلِكَ: فَاسْأَلْ واسْأَلْ، وَرَجُلٌ

سُؤَلَةٌ: كَثِيرُ السُّؤَالِ، وَتَسَاءَلُوا: سَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَأَسَأَلْتُهُ سُؤْلَتَهُ وَمَسَأَلْتَهُ، أَيْ قَضَيْتُ حَاجَتَهُ، وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (الصفات/ ٢٤) قَالَ الزَّجَّاجُ: سُؤَالُهُمْ سُؤَالٌ تَوِيخٌ وَتَقْرِيرٌ، لِإِجَابِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ لِأَنَّ اللَّهَ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - عَالِمٌ بِأَعْمَالِهِمْ. أَمَّا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ (الرحمن/ ٣٩) أَيْ لَا يُسْأَلُ لِيُعْلَمَ ذَلِكَ مِنْهُ، لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ عَلِمَ أَعْمَالَهُمْ، وَقَالَ ابْنُ بَرِيٍّ: يُقَالُ: سَأَلْتُهُ الشَّيْءَ بِمَعْنَى اسْتَعْطَيْتُهُ، وَسَأَلْتُهُ عَنْ الشَّيْءِ اسْتَحْبَرْتُهُ، وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: السُّؤَالُ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: مَا كَانَ عَلَى وَجْهِ التَّبَيُّنِ وَالتَّعْلُّمِ مِمَّا تَمَسُّ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ فَهُوَ مُبَاحٌ أَوْ مَنُذُوبٌ، أَوْ مَأْمُورٌ بِهِ.

وَالْآخَرُ: مَا كَانَ عَلَى طَرِيقِ التَّكْلُفِ وَالتَّعَنُّتِ فَهُوَ مَكْرُوهٌ وَمَنْهِيٌّ عَنْهُ، فَكُلُّ مَا كَانَ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَوَقَعَ السُّكُوتُ عَنْ جَوَابِهِ فَإِنَّمَا هُوَ رَدْعٌ وَزَجْرٌ لِلسَّائِلِ، وَإِنْ وَقَعَ الْجَوَابُ عَنْهُ، فَهُوَ عُقُوبَةٌ وَتَغْلِيظٌ، قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: وَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ مِنْ أَنَّهُ «كَرِهَ الْمَسَائِلَ وَعَابَهَا» أَرَادَ الْمَسَائِلَ الدَّقِيقَةَ الَّتِي لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهَا، وَفِي حَدِيثِ الْمَلَاعِنَةِ: لَمَّا سَأَلَهُ عَاصِمٌ عَنْ أَمْرٍ مِنْ يَجِدُ مَعَ

أَهْلِهِ رَجُلًا..» فَأَظْهَرَ النَّبِيُّ ﷺ الْكَرَاهَةَ فِي ذَلِكَ إِثَارًا لِسِتْرِ الْعَوْرَةِ، وَكَرَاهَةً لِهَتْكَ الْحُرْمَةِ، وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّهُ نَهَى عَنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ، قِيلَ هُوَ مِنْ هَذَا، وَقِيلَ هُوَ سُؤَالُ النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ^(١) وَلَفْظُ «الْمَسْئُولِيَّةِ» مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُحْدَثَةِ الَّتِي يُرَادُ بِهَا التَّبِعَةُ يُقَالُ: أَنَا بَرِيءٌ مِنْ مَسْئُولِيَّةِ هَذَا الْعَمَلِ أَيْ مِنْ تَبِعَتِهِ، وَقِيلَ: الْمَسْئُولِيَّةُ مَا يَكُونُ بِهِ الْإِنْسَانُ مَسْئُولًا وَمُطَالَبًا عَنْ أُمُورٍ أَوْ أَفْعَالٍ أَتَاهَا. وَالْمَسْئُولِيَّةُ عِنْدَ أَرْبَابِ السِّيَاسَةِ: هِيَ الْأَعْمَالُ الَّتِي يَكُونُ الْإِنْسَانُ مُطَالَبًا بِهَا^(٢).

واصطلاحًا :

قَالَ الدُّكْتُورُ دِرَازُ: تَعْنِي الْمَسْئُولِيَّةُ كَوْنُ الْفَرْدِ مُكَلَّفًا بِأَنْ يَقُومَ بِبَعْضِ الْأَشْيَاءِ وَبِأَنْ يُقَدِّمَ عَنْهَا حِسَابًا إِلَى غَيْرِهِ وَيَنْتُجُ عَنْ هَذَا التَّحْدِيدِ أَنَّ فِكْرَةَ الْمَسْئُولِيَّةِ تَشْتَمِلُ عَلَى عِلَاقَةٍ مُزْدَوِجَةٍ مِنْ نَاحِيَةِ الْفَرْدِ الْمَسْئُولِ بِأَعْمَالِهِ وَعِلَاقَتِهِ بِمَنْ يَحْكُمُونَ عَلَى هَذِهِ الْأَعْمَالِ، وَالْمَسْئُولِيَّةُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ هِيَ اسْتِعْدَادُ فِطْرِيٍّ، إِنَّهَا هَذِهِ الْمَقْدَرَةُ عَلَى أَنْ يُلْزِمَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ أَوَّلًا، وَالْقُدْرَةُ عَلَى أَنْ يَفِيَّ بَعْدَ ذَلِكَ بِالتَّزَامِهِ بِوَسَاطَةِ جُهُودِهِ الْخَاصَّةِ^(٣).

وَقَالَ الْخَاقَانِيُّ: يُرَادُ بِالْمَسْئُولِيَّةِ الشُّعُورُ بِأَدَاءِ الْوَاجِبِ وَالْإِحْلَاصِ فِي الْعَمَلِ وَلَيْسَتْ الْمَسْئُولِيَّةُ مُجَرَّدَ الْإِقْرَارِ فَإِنَّ الْجَزْمَ بِالشَّيْءِ لَا يُعْطِي صِفَةَ الْمَسْئُولِيَّةِ وَإِنَّمَا يَجِدُ الْمُتَحَسِّسُ بِهَا أَنَّ هُنَاكَ وَاجِبَاتٍ لَا بُدَّ مِنَ الْإِنْقِيَادِ إِلَيْهَا بِغَضِّ النَّظَرِ عَنِ النَّتَائِجِ، فَإِنَّ إِنْقَازَ

الْغَرِيقِ مِمَّا يَشْعُرُ الشَّخْصُ بِالْمَسْئُولِيَّةِ فِي إِنْقَازِهِ إِذَا كَانَتْ لَهُ الْقُدْرَةُ عَلَى الْإِنْقَازِ وَإِنْ دَفَعَ الظُّلْمَ مِمَّنْ لَهُ الْقُدْرَةُ عَلَى دَفْعِ الظُّلْمِ يَجِبُ عَلَى ذَلِكَ الشَّخْصِ أَنْ يَدْفَعَ عَنِ الْمَظْلُومِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنِ التَّرِكِ، فَالْمَسْئُولِيَّةُ تَخْتَلِفُ بِلِحَاطِ الْأَفْرَادِ وَبِلِحَاطِ الْمُجْتَمَعَاتِ^(٤).

وَقِيلَ: الْمَسْئُولِيَّةُ حَالَةٌ يَكُونُ فِيهَا الْإِنْسَانُ صَاحِبًا لِلْمُواخَذَةِ عَلَى أَعْمَالِهِ وَمُلْزَمًا بِتَبِعَاتِهَا الْمُخْتَلِفَةِ. وَقَدْ قَرَّرَهَا الْقُرْآنُ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون/ ١١٥).

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (القيامة/ ٢٦).

﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجاثية/ ٢٩).

مَسْئُولِيَّةُ الْإِنْسَانِ أَمَامَ الْخَالِقِ - عَزَّ وَجَلَّ - :
ذَكَرْنَا فِي صِفَةِ «الْأَمَانَةِ» أَنَّ جُمْهُورَ الْمُفَسِّرِينَ قَدْ ذَكَرُوا أَنَّ الْأَمَانَةَ تَعُمُّ جَمِيعَ وَظَائِفِ الدِّينِ، وَأَنَّ جَمِيعَ الْأَقْوَالِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ (الأحزاب/ ٧٢) مُتَّفَقَةٌ وَرَاجِعَةٌ إِلَى أَنَّ الْأَمَانَةَ هِيَ التَّكْلِيفُ وَقَبُولُ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي^(٥).

إِنَّ حَمْلَ هَذِهِ الْأَمَانَةِ يَعْنِي مَسْئُولِيَّةَ الْإِنْسَانِ عَنْهَا

المحيط (٣٩٠).

(٣) دستور الأخلاق في القرآن (١٣٨).

(٤) علم الأخلاق - النظرية والتطبيق (١٤١).

(٥) انظر صفة الأمانة، (الفقرة الخاصة بالأمانة والتكليف).

(١) المفردات للراغب (٢٥٠)، و الصحاح (١٧٢٣/٥)،

والنهاية (٣٢٨/٢)، ولسان العرب (س أ ل)

(٣/١٩٠٦) ط. دار المعارف.

(٢) انظر المعجم الوسيط ١/ ٤١٣ والمنجد (٣١٦)، ومحيط

وَاسْتِعْدَادَهُ لِتَحْمُلِ نَتَائِجِهَا وَقَبُولِهِ بِمَبْدَأِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ الْمُنَوِّطَيْنِ بِهَا، أَمَّا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ الْمُشَارُّ إِلَيْهَا فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ فَلَا تَعْدُو وَظِيفَتُهَا أَدَاءُ الدَّوْرِ الَّذِي خَلَقَهَا اللَّهُ لِتُؤَدِّيَهُ بِطَرِيقَةٍ عَفْوِيَّةٍ، وَعَلَى نَسَقٍ وَاحِدٍ «وَلَيْسَ هُنَاكَ أَيُّ تَدَخُّلٍ مُمَكِّنٍ لِمُبَادَرَتِهَا الْخَاصَّةِ، لَا مِنْ أَجْلِ صَيَانَةِ النِّظَامِ الثَّابِتِ، وَلَا مِنْ أَجْلِ تَغْيِيرِهِ، أَوْ تَعْدِيلِهِ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا كَانَ، وَإِذَنْ فَلَا مَسْئُولِيَّةَ مُطْلَقًا^(١) تَقَعُ عَلَيْهَا.

يَقُولُ الدُّكْتُورُ دِرَازٌ: أَمَّا فِي النِّظَامِ الْأَخْلَاقِيِّ، فَالْأَمْرُ بِالْعَكْسِ حَيْثُ يُوَاجِهُ الْفَاعِلُ (وَهُوَ هُنَا الْإِنْسَانُ) إِمْكَانَاتٍ مُتَعَدِّدَةً، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْتَارَ مِنْ بَيْنِهَا وَاحِدَةً، تُوَافِقُ هَوَاهُ، سَوَاءً احْتَرَمَ الْقَاعِدَةَ (الْأَخْلَاقِيَّةَ) أَوْ اخْتَرَمَهَا، وَعَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ الْإِمْكَانَ وَالضَّرُورَةَ هُمَا الصِّفَتَانِ اللَّتَانِ تُكَوِّنَانِ مَجَالَ الْمَسْئُولِيَّةِ أَوْ عَدَمَ الْمَسْئُولِيَّةِ^(٢)، وَجَانِبُ الْإِمْكَانِ هُوَ الَّذِي رَصَدَ لَهُ الْإِنْسَانُ اسْتِعْدَادَهُ.

لَقَدْ أَبْرَزَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هَذَا التَّبَايُنَ الَّذِي يَضَعُ الْإِنْسَانَ الْعَاقِلَ^(٣) فِي مُقَابِلِ الْكَائِنَاتِ غَيْرِ الْمَزُودَةِ بِالْعَقْلِ مِنْ حَيْثُ مَقْدَرَتُهَا الْأَخْلَاقِيَّةُ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ الْآيَةُ، وَالْحَمْلُ هُنَا يَعْنِي - فِي رَأْيِ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ - تَحْمُلَ التَّكَالِيفِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ

عَزَّ وَجَلَّ ﴿عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾.. (النور/ ٥٤) أَوْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ﴾ (الجمعة/ ٥)^(٤)، وَعَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ يَكُونُ الْمُرَادُ بِالْإِنْسَانِ جِنْسُ الْإِنْسَانِ عَامَّةً كَمَا قَالَ النَّيْسَابُورِيُّ وَغَيْرُهُ^(٥).

أَمَّا الْمَعْنَى الْآخَرُ لِلْحَمْلِ وَهُوَ تَحْمُلُ الْخَطَا أَوْ الْوِزْرِ - وَهُوَ أَيْضًا مَعْنَى وَارِدٌ، وَقَالَ بِهِ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ، فَإِنَّهُ يَحْصُرُ الْإِنْسَانَ فِي الْكَافِرِ أَوْ الْمُنَافِقِ (أَوْ قَابِلِ)، خَاصَّةً^(٦).

وَقَدْ لَخَّصَ الشَّيْخُ دِرَازٌ وَجْهَةً مِنْ قَالَ بِذَلِكَ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ فَقَالَ: الْمَعْنَى: مَعَ أَنَّ الْمَخْلُوقَاتِ الْأُخْرَى قَدْ وَفَتْ بِمُهَمَّتِهَا حِينَ خَضَعَتْ لِلْقَانُونِ الْكَوْنِيِّ (الَّذِي خَلَقَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ) دُونَ اعْتِرَاضٍ أَوْ مُقَاوَمَةٍ ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (فصلت/ ١١)، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي لَمْ يُطِيعِ الْقَانُونَ الْأَخْلَاقِيَّ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾.. الْآيَةُ (الأعراف/ ١٧٢) يَبْقَى مُحْمَلًا بِهِ وَعَلَى ذَلِكَ فَالْأَمْرُ لَا يَتَعَلَّقُ بِالْإِنْسَانِ بَعَامَّةٍ، بَلْ بِالْكَفَّارِ وَالْعُصَاةِ وَخَدِّهِمْ، وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - مُعَقِّبًا عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ: وَهُوَ تَفْسِيرٌ - لَا رَيْبَ مَعْقُولٍ، فِي ذَاتِهِ، وَلَكِنَّهُ فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ التَّقْيِيدِ الَّذِي يَفْرِضُهُ عَلَى مَفْهُومِ الْإِنْسَانِ الَّذِي جَاءَ غَيْرَ مُحَدَّدٍ فِي النَّصِّ، فَإِنَّهُ لَا يُحَدِّدُ عَلَى وَجْهِ الدَّقَّةِ

اللغوية لصفة الأمانة.

(٤) دستور الأخلاق في القرآن ص ١٣٨.

(٥) انظر تفسير النيسابوري للآية الكريمة ح ٢٢ ص ٣٥

(بهامش الطبري) وتفسير ابن كثير ٣/ ٥٣٢.

(٦) انظر تفسير القرطبي ١٤/ ٢٥٥.

(١) دستور الأخلاق في القرآن الكريم للدكتور دراز ص ١٣٨.

(٢) المقصود بذلك أن الإمكان يشكل مجال المسئولية بالنسبة للإنسان المكلف، والضرورة تشكل مجال عدم المسئولية بالنسبة للمخلوقات الأخرى غير المكلفة كالأرض والجبال إلخ.

(٣) يلاحظ أن من المفسرين من جعل الأمانة هي العقل حيث به تتحصل معرفة التوحيد وتجري العدالة. انظر المقدمة

التَّطَابُقَ بَيْنَ الْأَسْمَاءِ وَالضَّمَائِرِ الَّتِي تَرْجِعُ إِلَيْهَا، وَلَمْ تُعَدِ الْأَمَانَةُ الْمَعْرُوضَةُ كَمَا هِيَ وَصَارَ مِنَ اللَّازِمِ اللُّجُوءُ إِلَى فِكْرَةٍ بَعِيدَةٍ^(١) حَتَّى يَتَقَرَّرَ لِلْكَائِنَاتِ غَيْرِ الْعَاقِلَةِ نَوْعٌ مِنَ الْإِتِمَامِ أَوْ الْمَسْئُولِيَّةِ.

أنواع المسؤولية:

١ - الْمَسْئُولِيَّةُ الدِّينِيَّةُ: وَهِيَ الْإِتِمَامُ الْمَرْءُ بِأَوَامِرِ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ، وَقَبُولُهُ فِي حَالِ الْمُخَالَفَةِ لِعُقُوبَتِهَا وَمَصْدَرُهَا الدِّينُ.

٢ - الْمَسْئُولِيَّةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ: هِيَ الْإِتِمَامُ الْمَرْءُ بِقَوَانِينِ الْمُجْتَمَعِ وَنُظُمِهِ وَتَقَالِيدِهِ.

وَقِيلَ: هِيَ الْمَسْئُولِيَّةُ الدَّائِيَّةُ عَنِ الْجَمَاعَةِ، وَتَتَكَوَّنُ مِنْ عَنَاصِرٍ ثَلَاثَةٍ هِيَ: الْإِهْتِمَامُ وَالْفَهْمُ وَالْمُشَارَكَةُ^(٢).

٣ - الْمَسْئُولِيَّةُ الْأَخْلَاقِيَّةُ: هِيَ حَالَةٌ تَمْنَحُ الْمَرْءَ الْقُدْرَةَ عَلَى تَحْمِيلِ تَبَعَاتِ أَعْمَالِهِ وَآثَارِهَا، وَمَصْدَرُهَا الضَّمِيرُ^(٣).

وَكُلُّ مَسْئُولِيَّةٍ قَبْلَنَاهَا، وَارْتَضَيْنَا الْإِتِمَامَ بِهَا فَهِيَ مَسْئُولِيَّةٌ أَخْلَاقِيَّةٌ بِدَلِيلٍ:

أ - أَنَّ الْقُرْآنَ يُقَدِّمُ الْمَسْئُولِيَّةَ الدِّينِيَّةَ ذَاتَهَا فِي صُورَةٍ أَخْلَاقِيَّةٍ مُحَضَّةٍ حِينَ تَحَايِلُ بَعْضُ النَّاسِ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنْ بَعْضِ تَعَالِيمِ الصَّوْمِ سِرًّا: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا

عَنْكُمْ﴾ (البقرة/ ١٧٨).

ب - أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَكْتَفِي بِتَذْكِيرِ النَّاسِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ بِالْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ، وَإِنَّمَا يُذَكِّرُهُمْ بِالْعَهْدِ الَّذِي قَطَعُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الحديد/ ٨). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (المائدة/ ٧).

مدى شمولها:

قَرَّرَ الْقُرْآنُ أَنَّ شَرْطَ هَذِهِ الْمَسْئُولِيَّةِ الشُّمُولُ:

١ - مِنْ نَاحِيَةِ الْفَرْدِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الحجر/ ٩٢ - ٩٣). ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأعراف/ ٦).

٢ - مِنْ نَاحِيَةِ الْأَعْمَالِ الْخَيْرَةِ وَالشَّرِّيرَةِ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ .. ظَاهِرَةٍ وَخَفِيَّةٍ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة/ ٨٧).

٣ - مِنْ نَاحِيَةِ الْأَقْوَالِ وَالْأَلْفَافِ سِرًّا وَنَجْوَاهَا. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق/ ١٨).

(٣) جمع الدكتور دراز بين النوعين الأول والثالث وتحدث بإفاضة عن شروط هذه المسؤولية وخلاصتها: أن يكون العمل شخصيًا، إفراديًا، ثم أدائه بحرية وأن يكون على وعي كامل ومعرفة بالشرع. انظر في تفصيل ذلك دستور الأخلاق في القرآن (١٤٨-٢٢٢).

(١) انظر في هذه الفكرة المجازية التي يمكن الاستغناء عنها، تفسير القرطبي ٢٥٦/١٤، بتلخيص وتصرف عن دستور الأخلاق في القرآن ص ١٣٨ هامش ٢.

(٢) انظر في تفصيل ذلك المسؤولية الاجتماعية والشخصية المسلمة للدكتور أحمد سيد عثمان (٢٦٩).

وَرِعَايَةِ مَصَالِحِهَا. وَكَفَالَةِ الْأَمْنِ عَلَى حَيَاةِ النَّاسِ
وَأَعْرَاضِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ.

وَلَا يَسْتَقِيمُ أَمْرُ الْأُمَّةِ . وَلَا تَسْتَقِ شُؤْنُهَا إِلَّا إِذَا
قَامَ كُلُّ مَنْ الْحَاكِمِ وَالْمَحْكُومِ بِمَسْئُولِيَّاتِهِ ، وَأَخْلَصَ
الْمُعَاوَنَةَ لِصَاحِبِهِ. قَالَ ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ
مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ : الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ،
وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ
رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ
رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي
مَالِ أَبِيهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ. وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ
عَنْ رَعِيَّتِهِ».

وَلَكِنِّي تَنْجَحُ الْأُمَّةُ فِي مَسِيرَتِهَا . وَتُحَقِّقُ غَايَتَهَا
لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَنْهَضَ كُلُّ بِمَسْئُولِيَّاتِهِ. وَإِلَيْكَ تَفْصِيلُ
ذَلِكَ :

أَوَّلًا : مَسْئُولِيَّةُ الرَّاعِي :

١ - التَّسْوِيَةُ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ : أَمَرَ اللَّهُ الْحَاكِمَ
بِالْعَدَالَةِ حَتَّى يُسَوِّيَ بَيْنَ النَّاسِ جَمِيعًا. قَالَ تَعَالَى :
﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ
أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (المائدة / ٨). وَقَالَ تَعَالَى : ﴿فَلَا
تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا﴾ (النساء / ١٣٥). وَقَالَ
تَعَالَى : ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمَ
بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ (ص / ٢٠).

وَخَرَجَ ﷺ فِي مَرَضِهِ الْأَخِيرِ بَيْنَ الْفَضْلِ بْنِ
الْعَبَّاسِ وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حَتَّى جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ ثُمَّ
قَالَ : «أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ كُنْتُ جَلَدْتُ لَهُ ظَهْرًا فَهَذَا
ظَهْرِي فَلْيَسْتَقْدِ مِنْهُ ، وَمَنْ كُنْتُ شَتَمْتُ لَهُ عِرْضًا فَهَذَا
عِرْضِي فَلْيَسْتَقْدِ مِنْهُ ، وَمَنْ كُنْتُ أَخَذْتُ لَهُ مَالًا فَهَذَا

٤ - مِنْ نَاحِيَةِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْمَلَكَاتِ :
يَقُولُ تَعَالَى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ
السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾
(الإسراء / ٢٦).

٥ - مِنْ نَاحِيَةِ النَّعِيمِ وَالْمَالِ : ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ
يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (التكاثر / ٨).

وَقَالَ ﷺ : « لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ
عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ . وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ . وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ
عَمِلَ فِيهِ . وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ ».

المسئولية شخصية :

مِنْ الْمَبَادِيءِ الَّتِي قَرَّرَهَا الْإِسْلَامُ قَصْرُ الْمَسْئُولِيَّةِ
عَلَى الْمَسْئُولِ وَحْدَهُ. قَالَ تَعَالَى : ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ
لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة / ١٤١). ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا
أَجْرَمْنَا وَلَا تُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (سبا / ٢٥)

فَلَا يُؤْخَذُ بِرِيءٍ بِجَرِيرَةٍ مُذْنِبٍ ، وَلَا يَشْتَرِكُ
أَهْلُهُ فِيهَا اقْتَرَفَتْ يَدَاهُ ، أَوْ نُسِبَ إِلَيْهِ.

وَقَدْ كَانَ التَّشْرِيعُ الْيُونَانِي الْقَدِيمُ يَقْضِي
بِالْإِعْدَامِ عَلَى الْمُجْرِمِ نَفْسِهِ ، وَعَلَى جَمِيعِ أَفْرَادِ أُسْرَتِهِ فِي
الْخِيَانَةِ الْعُظْمَى ، وَفِي انْتِهَاكِ الْأَشْيَاءِ الْمُقَدَّسَةِ.

وَحِمَايَةُ لِلْإِمَامِ الْمُسْلِمِ مِنَ الْإِنْزِلَاقِ فِي الظُّلْمِ
جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾
(الإسراء / ١٥). وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ
جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾
(الإسراء / ٣٣).

اشتراك الراعي و الرعية :

الرَّاعِي وَالرَّعِيَّةُ يَدَانِ تَتَعَاوَنَانِ عَلَى خَيْرِ الْأُمَّةِ.

مَالِي فَلْيَأْخُذْ مِنْهُ. وَلَا يَخْشَ الشَّحْنَاءَ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ شَأْنِي. أَلَا وَإِنْ أَحْبَبَكُمْ إِلَيَّ مَنْ أَخَذَ مِنِّي حَقًّا إِنْ كَانَ لَهُ، أَوْ حَلَّلَنِي فَلَقِيتُ رَبِّي وَأَنَا طَيِّبُ النَّفْسِ».

وَقَالَ ﷺ لِأَهْلِ بَيْتِهِ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اشْتَرَوْا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مَا شِئْتَ مِنْ مَالِي، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا».

هَذَا الْيَبُوعُ الْفَيَاضُ الْغَزِيرُ سَرَتْ مِنْهُ الْعَدَالَةُ إِلَى الْخُلَفَاءِ وَالْوُلَاةِ.

٢ - رِعَايَةُ مَصَالِحِ النَّاسِ: عَلَى الْحَاكِمِ رِعَايَةُ الْمَصَالِحِ الدِّينِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْاِقْتِسَادِيَّةِ وَالْأَمْنِيَّةِ بِإِقَامَةِ الْمَسَاجِدِ لِلْعِبَادَةِ. وَإِنْشَاءِ الْمَدَارِسِ لِلتَّعْلِيمِ. وَنَشْرِ الْمُسْتَشْفَيَاتِ لِلْعِلَاجِ. وَشَقِّ التَّرْعِ لِإِحْيَاءِ الْأَرْضِ، وَتَكْوِينِ الْمُجْتَمَعَاتِ اهْتِمَامًا لِلزَّرَاعَةِ وَالصَّنَاعَةِ وَالتَّجَارَةِ. وَفَتْحًا لِمَجَالَاتِ الْعَمَلِ أَمَامَهُمْ.

فَمَنْ عَجَزَ عَنِ الْعِلْمِ قَامَتِ الدَّوْلَةُ بِرِعَايَتِهِ،: يَحْفَظُ التَّارِيخُ أَنَّ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - رَأَى شَيْخًا مِنْ أَهْلِ الدِّمَّةِ يَسْأَلُ، فَقَالَ لَهُ: مَا الَّذِي يَحْمِلُكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَ: الْحَاجَةُ. قَالَ عُمَرُ: لَقَدْ فَرَضْنَا لَكَ سَهْمًا فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ. مَا كُنَّا لِنَأْخُذَ مِنْكَ الْجَزِيَّةَ وَأَنْتَ شَابٌّ، وَنُضَيِّعَكَ وَأَنْتَ شَيْخٌ.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: إِنَّ رُفْقَةً مِنَ التُّجَّارِ نَزَلُوا الْمُصَلَّى، فَقَالَ عُمَرُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ: هَلْ لَكَ أَنْ تَحْرُسَهُمُ اللَّيْلَةَ مِنَ السَّرِقَةِ؟ فَبَاتَا يَحْرُسَانِ وَيُصَلِّيَانِ مَا

كَتَبَ اللَّهُ، فَسَمِعَ عُمَرُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ بُكَاءَ طِفْلِ فَتَوَجَّهَ نَحْوَهُ وَقَالَ لِأُمِّهِ: اتَّقِي اللَّهَ، وَأَصْغِي إِلَى طِفْلِكَ. ثُمَّ عَادَ إِلَى مَكَانِهِ. فَسَمِعَ بُكَاءَهُ، فَعَادَ إِلَى أُمِّهِ وَقَالَ مَقَالَتَهُ، وَعَادَ إِلَى مَكَانِهِ، فَلَمَّا كَانَ آخِرُ اللَّيْلِ سَمِعَ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَقَالَ لِأُمِّهِ: وَيْحَكَ، مَالِي أَرَى ابْنَكَ لَا يَقْرَأُ مِنْذُ اللَّيْلَةِ؟ قَالَتْ: - وَهِيَ لَا تَعْرِفُهُ - يَا عَبْدَ اللَّهِ، قَدْ أَبْرَمْتَنِي طُولَ اللَّيْلِ، إِنِّي أُعَاجِلُهُ عَلَى الْفِطَامِ فَيَأْبَى إِلَّا رِضَاعًا. قَالَ عُمَرُ: وَلِمَ؟ قَالَتْ: لِأَنَّ عُمَرَ لَا يَفْرِضُ إِلَّا لِلْفَطِيمِ. قَالَ: وَكَمْ لَابْنِكَ؟ قَالَتْ: كَذَا وَكَذَا شَهْرًا. قَالَ لَهَا: وَيْحَكَ لَا تُعْجِلِيهِ. ثُمَّ صَلَّى الْفَجْرَ، وَمَا يَسْتَتِينُ النَّاسُ قِرَاءَتَهُ مِنْ غَلَبَةِ الْبُكَاءِ!! فَلَمَّا انْتَهَى مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ: يَا بُؤْسًا لِعُمَرَ! كَمْ قَتَلَ مِنْ أَوْلَادِ الْمُسْلِمِينَ؟ ثُمَّ أَمَرَ مُنَادِيًا يُنَادِي: لَا تُعْجِلُوا صِبْيَانَكُمْ عَلَى الْفِطَامِ، فَإِنَّا نَفْرِضُ لِكُلِّ مَوْلُودٍ فِي الْإِسْلَامِ.

٣ - حُسْنُ اخْتِيَارِ الْبَطَانَةِ: حُسْنُ اخْتِيَارِ الْأَعْوَانِ مِنَ الْأَمْنَاءِ الْمُخْلِصِينَ ذَوِي الدَّرَايَةِ وَالْكِفَايَةِ مِمَّا يُحَقِّقُ الْغَايَاتِ وَالْأَهْدَافَ. وَيُزِيلُ مِنْ دُنْيَا النَّاسِ الْوَسَاطَةَ وَالْمَحْسُوبِيَّةَ وَالرِّشْوَةَ. قَالَ ﷺ: «مَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ عَمَلًا فَأَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرًا صَالِحًا، إِنْ نَسِيَ ذِكْرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ». وَقَالَ عُمَرُ لِبَعْضِ عُمَّالِهِ: إِنِّي لَمْ أَسْتَعْمِلْكُمْ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ، عَلَى أَعْشَارِهِمْ وَلَا عَلَى أَبْشَارِهِمْ - جُلُودِهِمْ - وَإِنَّمَا اسْتَعْمَلْتُكُمْ عَلَيْهِمْ لِتُقِيمُوا بِهِمُ الصَّلَاةَ، وَتَقْضُوا بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ، وَتَقْسِمُوا بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ، لَا تَجْلِدُوا الْمُسْلِمِينَ فَتَذِلُّوهُمْ، وَلَا تُضَيِّعُوا حُقُوقَهُمْ فَتَقْتُلُوهُمْ.

٤ - إِعْطَاءُ الْقُدْوَةِ الْحَسَنَةِ: الْحَاكِمُ سُوقُ مَا

هَذِهِ مَعَالِمُ الْمَسْئُولِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ : فَالْإِنْسَانُ
مَسْئُولٌ عَنْ كَسْبِهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَمُجَازَى عَنْهُ . وَبَابُ
التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ لَهُ مَا بَقِيَتْ الْحَيَاةُ ، وَالْجَزَاءُ الْعَادِلُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ^(١) .

يَقُولُ الدُّكْتُورُ عَلِيُّ أَبُو الْعَيْنِينَ :
وَمَسْئُولِيَّةُ الْفَرْدِ نَحْوِ الْمُجْتَمَعِ تَتَلَخَّصُ فِي
التَّالِي :

١ - الْإِلْتِزَامُ بِقَانُونِ الْجَمَاعَةِ ، وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ مِنَ
الْأَفْرَادِ الْإِلْتِزَامَ بِعَقِيدَةِ الْمُجْتَمَعِ الْأَسَاسِيَّةِ ، الَّتِي تُعْتَبَرُ
أَمَانَةً اجْتِمَاعِيَّةً .

٢ - التَّعَاوُنُ مَعَ الْجَمَاعَةِ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ الْعَامِّ :
﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة / ٢) . مِنْ
مُسَاهِمَةِ الْاِقْتِصَادِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

٣ - تَقْدِيمُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالتَّنَافُسُ فِي هَذَا
السَّبِيلِ : ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (هود / ٧) .
حَيْثُ يَجِبُ الْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَاسْتِثْمَارُ الْأَمْوَالِ ،
وَالْاعْتِدَالُ فِي الْإِنْفَاقِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْجَوَانِبِ
الْأَخْلَاقِيَّةِ .

٤ - نَشْرُ الْعِلْمِ الَّذِي يُسْهِمُ إِسْهَامًا إِبْجَاطِيًّا فِي
بِنَاءِ الْمُجْتَمَعِ وَتَطْوِيرِهِ وَاسْتِغْلَالِ الذِّكَاةِ فِي هَذَا
السَّبِيلِ : ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا
فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾
(التوبة / ١٢٢) . وَمِنْ ذَلِكَ ، الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ .

رَاجَ عِنْدَهُ رَاجَ عِنْدَ النَّاسِ . حِينَمَا عَهْدَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ
بِالْخِلَافَةِ أَوْصَاهُ قَائِلًا : اَعْلَمْ أَنَّهُمْ لَنْ يَزَالُوا مِنْكَ
خَائِفِينَ مَا خِفْتَ اللَّهَ . وَقَالَ عُمَرُ فِي خُطْبَةٍ لَهُ بَعْدَ
تَوَلَّيْتِهِ : مَنْ رَأَى فِيَّ اعْوِجَاجًا فَلْيَقْوَمْهُ ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ :
وَاللَّهِ لَوْ رَأَيْنَا فِيكَ اعْوِجَاجًا لَقَوَّمْنَاهُ بِسُيُوفِنَا . وَمِنْ
شِدَّةِ حِرْصِهِ عَلَى مَالِ الدَّوْلَةِ وَخَوْفِهِ مِنْ سُؤَالِ اللَّهِ
عَنِ الْأَمْوَالِ الْعَامَّةِ يَقُولُ : لَوْ مَاتَتْ شَاةٌ عَلَى شَطِّ
الْفُرَاتِ ضَائِعَةً لَظَنَنْتُ أَنَّ اللَّهَ سَائِلُنِي عَنْهَا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ .

تكافؤ المسؤولية والجزاء :

حَدَّدَ الْقُرْآنُ الْجَزَاءَ بِقَدْرِ الْمَسْئُولِيَّةِ مَعَ إِشَارِ
جَانِبِ الرَّحْمَةِ وَالْعَفْوِ . وَمُضَاعَفَةِ الْحَسَنَةِ . قَالَ تَعَالَى :
﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ
فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا﴾ (الأنعام / ١٦٠) . ﴿مَنْ جَاءَ
بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى
الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
(القصص / ٨٤) .

وَيُمَثِّلُ الْقُرْآنُ الْعَدْلَ الْإِلَهِيَّ بِالْمِيزَانِ . ذَلِكَ
الْمِيزَانُ الَّذِي جَعَلَهُ أَرْكَانَ رِسَالَةِ الْأَنْبِيَاءِ . قَالَ تَعَالَى :
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد / ٢٥) .
﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي
الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾
(الرحمن / ٩-٧) .

(١) انظر دستور الأخلاق في القرآن لدراز (١٤٨ - ٢٢٢) .
وقارن بما ذكره الدكتور كمال عيسي في «كلمات في الأخلاق
الإسلامية» (١٢٢ - ١٣٠) .

أَمَّا مَسْئُولِيَّةُ الدَّوْلَةِ نَحْوِ الْأَفْرَادِ فَتَتَلَخَّصُ

فِي مَا يَلِي :

١ - تَوْفِيرُ الْعِلْمِ لِجَمِيعِ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ انْطِلَاقًا مِنْ قَاعِدَةٍ وَجُوبِ نَشْرِ الْعِلْمِ.

٢ - إِقْرَارُ النِّظَامِ الْعَامِّ السُّتَمَدِّ مِنْ شَرِيعَةِ اللَّهِ وَتَوْفِيرُ الْأَمْنِ وَالطَّمَأْنِينَةِ لِلْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ وَيَشْمَلُ ذَلِكَ الْأَقْلِيَّاتِ ..

٣ - الْحِفَاطُ عَلَى الْوَحْدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

٤ - تَوْفِيرُ الْأَمْنِ لِجَمِيعِ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ، فَالْمُجْتَمَعُ مَسْئُولٌ عَنْ رَفْعِ مُسْتَوَى أَفْرَادِهِ، وَتَعَاوُنُهُ فِي سَبِيلِ تَقْوِيَةِ نَفْسِهِ.

أَمَّا قِيَادَةُ الْمُجْتَمَعِ، فَمَهْمَتُهَا صَعْبَةٌ، وَنَجَاحُ الْقِيَادَةِ نَجَاحٌ لِلْمُجْتَمَعِ، وَفَشْلُهَا يَعُوقُ الْمُجْتَمَعِ، وَلِهَذَا نَجِدُ الْقُرْآنَ يُلْزِمُ الْقِيَادَةَ بِالْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ بِالْجَمِيعِ وَاتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَيُبْعِدُهَا عَنْ انْتِظَارِ الْأَجْرِ مِنَ الْمُجْتَمَعِ، وَيَحْذَرُهَا مِنَ الْفِتْنَةِ وَالْمَيْلِ، وَيَمْنَعُهَا مِنَ الطُّغْيَانِ وَالْفَرْدِيَّةِ، وَالْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَيُوجِبُ عَلَيْهَا اسْتِشَارَةَ الْأُمَمَةِ، وَالاسْتِمَاعَ إِلَى آرَائِهَا بِمَا فِيهَا الْآرَاءُ الْمُعَارِضَةُ^(١).

تحمل الفرد مسؤولية إصلاح المجتمع :

قَالَ الدُّكْتُورُ عَبْدُ الْكَرِيمِ زَيْدَانُ : وَمِنْ خَصَائِصِ النِّظَامِ الْاجْتِمَاعِيِّ فِي الْإِسْلَامِ تَحْمِيلُ الْفَرْدِ مَسْئُولِيَّةَ إِصْلَاحِ الْمُجْتَمَعِ، بِمَعْنَى أَنَّ كُلَّ فَرْدٍ فِيهِ مُطَالِبٌ بِالْعَمَلِ عَلَى إِصْلَاحِ الْمُجْتَمَعِ وَإِزَالَةِ الْفَسَادِ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ وَوُسْعِهِ، وَالتَّعَاوُنِ مَعَ غَيْرِهِ لَتَحْقِيقِ هَذَا الْمَطْلُوبِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ

وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة/ ٢).

تعليل مسؤولية الفرد عن إصلاح المجتمع :

وَإِذَا كَانَ الْفَرْدُ مَسْئُولًا عَنْ إِصْلَاحِ الْمُجْتَمَعِ، فَمَا تَعْلِيلُ ذَلِكَ؟ وَلِمَاذَا يُطَالَبُ الْفَرْدُ بِهَذَا الْوَاجِبِ مَعَ مُطَالَبَتِهِ بِإِصْلَاحِ نَفْسِهِ؟ الَّذِي نَرَاهُ، أَنَّ تَعْلِيلَ هَذِهِ الْمَسْئُولِيَّةِ أَوْ هَذِهِ الْمَطَالِبَةِ، مَا يَأْتِي :

أَوَّلًا : الْفَرْدُ يَتَأَثَّرُ بِالْمُجْتَمَعِ : الْإِنْسَانُ كَائِنْ أَجْتِمَاعِيًّا يَتَأَثَّرُ بِالْمُجْتَمَعِ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ، فَتَمْرُضُ رُوحُهُ أَوْ تُهْزَلُ، أَوْ تَصِحُّ وَتَقْوَى تَبَعًا لِصَلَاحِ الْمُجْتَمَعِ أَوْ فَسَادِهِ. وَقَدْ أَشَارَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ إِلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ، فَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ « مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ... الخ » فَالْأَبَوَانِ بِالنِّسْبَةِ لِلصَّغِيرِ مُجْتَمَعُهُ الصَّغِيرُ الَّذِي يُؤَثِّرُ فِيهِ، فَيَدْفَعُهُ إِلَى الْفَسَادِ أَوْ الصَّلَاحِ، فَإِذَا كَانَ الْأَبَوَانِ ضَالِّينِ دَفَعَاهُ إِلَى الضَّلَالِ، وَأَخْرَجَاهُ عَنْ مُفْتَضَى الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا، وَإِذَا كَانَا صَالِحِينَ أَبْقَاهُ عَلَى الْفِطْرَةِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا. وَنَمَّى فِيهِ جَانِبَ الْخَيْرِ وَهَكَذَا شَأْنُ الْمُجْتَمَعِ الْكَبِيرِ فِي تَأْثِيرِهِ فِي الْفَرْدِ صَالِحًا وَفَسَادًا.

ثَانِيًا : ضَرُورَةُ قِيَامِ الْمُجْتَمَعِ الصَّالِحِ : وَقِيَامُ الْمُجْتَمَعِ الصَّالِحِ ضَرُورِيٌّ لِلْفَرْدِ، لِأَنَّ الْمَطْلُوبَ مِنَ الْمُسْلِمِ تَحْقِيقُ الْغَرَضِ الَّذِي خُلِقَ مِنْ أَجْلِهِ وَهُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات/ ٥٦). وَالْعِبَادَةُ اسْمٌ جَامِعٌ لِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَحْوَالِ الظَّاهِرَةِ

الْفَاضِلِ وَإِزَالَةَ الْمُنْكَرَاتِ مِنْهُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (الحج / ٤١).

ثَالِثًا : النِّجَاةُ مِنَ الْعِقَابِ الْجَمَاعِيِّ : وَقِيَامُ الْأَفْرَادِ بِإِصْلَاحِ الْمُجْتَمَعِ يُنَجِّيهِمْ وَيُنَجِّي الْمُجْتَمَعُ مِنَ الْهَلَاكِ الْجَمَاعِيِّ أَوْ الْعِقَابِ الْجَمَاعِيِّ أَوْ الضِّيقِ وَالضَّنْكِ وَالْقَلَقِ وَالشَّرِّ الَّذِي يُصِيبُ الْمُجْتَمَعُ . وَتَوْضِيحُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ التَّفْصِيلِ لِأَهَمِّيَّةِ الْمَوْضُوعِ وَخُطُورَتِهِ ، فنَقُولُ : مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى ، أَنَّ الْمُجْتَمَعُ الَّذِي يَشِيعُ فِيهِ الْمُنْكَرُ ، وَتُنْتَهَكُ فِيهِ حُرُمَاتُ اللَّهِ ، وَيَتَشَرُّ فِيهِ الْفَسَادُ ، وَيَسْكُتُ الْأَفْرَادُ عَنِ الْإِنْكَارِ وَالتَّغْيِيرِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْظُمُهُمْ بِمَحَنٍ غَلَاظٍ قَاسِيَةٍ ، تَعُمُّ الْجَمِيعَ ، وَتُصِيبُ الصَّالِحَ وَالطَّالِحَ ، وَهَذِهِ فِي الْحَقِيقَةِ سُنَّةٌ مُحْيِفَةٌ وَقَانُونٌ رَهِيْبٌ يَدْفَعُ كُلَّ فَرْدٍ لَا سِيَّمَا مَنْ كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَفَقْهٌ أَوْ سُلْطَانٌ إِلَى الْمُسَارَعَةِ وَالْمُبَادَرَةِ فَوْرًا لِتَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ دَفْعًا لِلْعَذَابِ وَالْعِقَابِ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ مُجْتَمَعِهِ ^(١) .

[للاستزادة: انظر صفات: الإخلاص - النظام -

الوفاء - الرجولة - الشهامة - القوة - قوة الإرادة - النزاهة - النبل .

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإمعة - الإهمال -

التخاذل - التفريط والإفراط - التهاون - الخيانة - نقض العهد - الغلول - الغدر.]

وَالْبَاطِنَةِ وَهَذَا الْمَعْنَى الْوَاسِعُ لِلْعِبَادَةِ يَقْتَضِي أَنْ يَجْعَلَ الْمُسْلِمُ أَقْوَالَهُ وَأَفْعَالَهُ وَتَصَرُّفَاتِهِ وَعِلَاقَاتِهِ مَعَ النَّاسِ عَلَى وَفْقِ مَا جَاءَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ ، وَالْمُسْلِمُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصُوغَ حَيَاتَهُ هَذِهِ الصِّيَاغَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ إِلَّا إِذَا كَانَ الْمُجْتَمَعُ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ مُنَظَّمًا عَلَى نَحْوِ يَسْهَلٍ عَلَيْهِ هَذِهِ الصِّيَاغَةُ أَيْ أَنْ يَكُونَ مُجْتَمَعًا إِسْلَامِيًّا صَحِيحًا . فَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ بِأَنْ كَانَ مُجْتَمَعًا جَاهِلِيًّا صَرَفًا ، أَوْ مُجْتَمَعًا مَشُوبًا بِمَعَانِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَسْتَطِيعُ فِيهِ أَنْ يَحْيِيَ الْحَيَاةَ الْإِسْلَامِيَّةَ الْمَطْلُوبَةَ أَوْ يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ ذَلِكَ . وَلِهَذَا يَأْمُرُ الْإِسْلَامُ بِالتَّحَوُّلِ مِنَ الْمُجْتَمَعِ الْجَاهِلِيِّ إِلَى الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ ، مَا دَامَ عَاجِزًا عَنْ إِزَالَةِ جَاهِلِيَّتِهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء / ٩٧) وَقَدْ جَاءَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهَا نَزَلَتْ : فِي كُلِّ مَنْ أَقَامَ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمُشْرِكِينَ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْهَجْرَةِ وَلَيْسَ مُتِمَكِّنًا مِنْ إِقَامَةِ الدِّينِ فَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُرْتَكِبٌ حَرَامًا بِالْإِجْمَاعِ . وَلِهَذَا يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ تَعَهُدُ الْمُجْتَمَعِ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ وَإِزَالَةَ الْمُنْكَرِ حَالِ ظُهُورِهِ أَوْ وَقُوعِهِ وَأَنْ لَا يَسْتَهينَ بِهِ ، لِأَنَّ الْمُنْكَرَاتِ كَالْجَرَائِمِ الَّتِي تُؤَثِّرُ فِي الْجَسَدِ قَطْعًا ، وَإِذَا لَمْ تُمْرِضِ الْبَعْضَ فَإِنَّهَا تُضْعِفُ مُقَاوَمَتَهُ فَيَسْهَلُ عَلَيْهَا فِيمَا بَعْدَ التَّغْلُبِ عَلَيْهِ . وَلِهَذَا كَانَتْ أُولَى مُهِمَّاتِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِقَامَةُ هَذَا الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ

الآيات الواردة في « المسئولية »

- ١- **فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾**
عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾^(١)
- ٢- **وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَأَلَّفَ**
لِنَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾
وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ
مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾
وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا
وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾
يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ
أَيُمْسِكُهَا عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ
مَا يَتَحَكَّمُونَ ﴿٥٩﴾^(٢)
- ٣- **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن**
يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَنَسْأَلَنَّ
عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾^(٣)
- ٤- **وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ**
أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَاتِبٌ
مَسْثُورٌ ﴿٣٤﴾
وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ
ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾
وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾^(٤)
- ٥- **وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً**
وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾
- ٦- **فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾**
لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أَتَرْتُمْ فِيهِ
وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴿١٣﴾^(٥)
- ٧- **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَٰهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**
فَسُبْحَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾
لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾^(٦)
- ٨- **وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْأَلَنَّ**
يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾^(٧)
- ٩- **وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا لَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ**
أَلَدَبَرًا وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾^(٨)
- ١٠- **قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**
قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى
أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾
قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا
وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾
قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا تُبَيِّنُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ
وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾^(٩)
- ١١- **فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ**
مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٢﴾
- ١٢- **وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾**^(١٠)

(٨) الأحزاب : ١٥ مدنية
(٩) سبأ : ٢٤ - ٢٦ مكية
(١٠) الزخرف : ٤٣ - ٤٤ مكية

(٥) الأنبياء : ١١ - ١٣ مكية
(٦) الأنبياء : ٢٢ - ٢٣ مكية
(٧) العنكبوت : ١٣ مكية

(١) الحجر : ٩٢ - ٩٣ مكية
(٢) النحل : ٥٦ - ٥٩ مكية
(٣) النحل : ٩٣ مكية
(٤) الإسراء : ٣٤ - ٣٦ مكية

الآيات الواردة في « المسئولية » معني

- ١١ - قَدْ جَاءَكُمْ بِصَآئِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ
وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ ^(١) ﴿١١٤﴾
- ١٢ - مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ
بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ^(٢) ﴿١١٥﴾
- ١٣ - قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْنَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ
كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَأَزِرُّ وَزَرَ أُخْرَى
ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ
بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ^(٣) ﴿١١٦﴾
- ١٤ - وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ
لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ
إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ^(٤) ﴿٧﴾
- ١٥ - وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ^(٥) ﴿١٣﴾
- أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ^(٦) ﴿١٤﴾
- مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ
فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَأَزِرُّ وَزَرَ أُخْرَى
وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ^(٧) ﴿١٥﴾
- ١٦ - أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ
إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ^(٨) ﴿١١٥﴾
- فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ^(٩) ﴿١١٦﴾
- ١٧ - وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي
ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا
يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ
بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ^(١٠) ﴿٥٥﴾
- وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا الرُّسُولَ
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ^(١١) ﴿٥٦﴾
- ١٨ - مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ
بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ
إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ^(١٢) ﴿٨٤﴾
- ١٩ - إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ^(١٣) ﴿٧٢﴾

(٧) النور : ٥٥ - ٥٦ مدنية

(٨) القصص : ٨٤ مكية

(٩) الأحزاب : ٧٢ مدنية

(٤) هود : ٧ مكية

(٥) الاسراء : ١٣ - ١٥ مكية

(٦) المؤمنون : ١١٥ - ١١٦ مكية

(١) الأنعام : ١٠٤ مكية

(٢) الأنعام : ١٦٠ مكية

(٣) الأنعام : ١٦٤ مكية

٢٠ - وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ
إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ
لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ^(١) (١٨)

وَابْتَهِمَ الَّذِي وَفَّى ^(٢٧)
الَّا نَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ^(٢٨)
وَأَنْ لِّسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ^(٢٩)
وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يَرَىٰ ^(٣٠)
ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ^(٣١) ^(٥)

٢١ - مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا
وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ^(٢) (٤٦)

٢٥ - وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا
بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ^(٦) (٨)

٢٢ - هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ
مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ^(٣) (٢٩)

٢٦ - مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ
الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ^(٧) (٥)

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ
رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ۚ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ^(٤) (٣٠)
وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
فَاسْتَكْبَرُوا ۖ وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمُونَ ^(٥) (٣١)

٢٧ - كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ^(٦) (٢٨)
إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ^(٧) (٣١)
فِي جَنَّاتٍ يَنْسَاءُ لُونَ ^(٨) (٤٠)
عَنِ الْمُجْرِمِينَ ^(٩) (٤١)

٢٣ - وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْوِسًا ۖ بِدَهْنِ نَفْسِهِ
وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ^(١٠) (١٦)
إِذْ يُلَاقَى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ^(١١) (١٧)
مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ^(١٢) (١٨)

٢٨ - إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ^(١٣) (١٢)
يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ^(١٤) (١٣)
بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ^(١٥) (١٤)

٢٤ - أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ^(١٦) (٣٣)
وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ^(١٧) (٣٤)
أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ ^(١٨) (٣٥)
أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ^(١٩) (٣٦)

٢٩ - يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا
لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ^(٢٠) (٦)
فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ^(٢١) (٧)
وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ^(٢٢) (٨)

(٨) المدثر : ٣٨ - ٤١ مكية

(٩) القيامة : ١٢ - ١٤ مكية

(١٠) الزلزلة : ٦ - ٨ مدنية

(٥) النجم : ٣٣ - ٤١ مكية

(٦) الحديد : ٨ مدنية

(٧) الجمعة : ٥ مدنية

(١) فاطر : ١٨ مكية

(٢) فصلت : ٤٦ مكية

(٣) الجاثية : ٢٩ - ٣١ مكية

(٤) ق : ١٦ - ١٨ مكية

الأحاديث الواردة في «المسئولية»

١ - * (عَنْ لَقِيطِ بْنِ عَامِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ خَرَجَ وَافِدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ، يُقَالُ لَهُ نَهِيكَ بْنُ عَاصِمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْمُنْتَفِقِ. قَالَ لَقِيطٌ فَخَرَجْتُ أَنَا وَصَاحِبِي حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَانِسْلَاحِ رَجَبٍ فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَوَافَيْنَاهُ حِينَ انْصَرَفَ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَقَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا، فَقَالَ «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكُمْ صَوْتِي مُنْذُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، أَلَا لَأُسْمِعَنَّكُمْ أَلَا فَهَلْ مِنْ أَمْرٍ بَعَثَهُ قَوْمُهُ». فَقَالُوا: ااعْلَمْ لَنَا مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَلَا ثُمَّ لَعَلَّه أَنْ يُلْهِيه حَدِيثُ نَفْسِهِ أَوْ حَدِيثُ صَاحِبِهِ، أَوْ يُلْهِيه الضَّلَالُ أَلَا إِنِّي مَسْئُولٌ هَلْ بَلَّغْتُ؟ أَلَا اسْمَعُوا تَعِيشُوا، أَلَا اجْلِسُوا، أَلَا اجْلِسُوا، قَالَ: فَجَلَسَ النَّاسُ وَقُمْتُ أَنَا وَصَاحِبِي حَتَّى إِذَا فَرَّغَ لَنَا فُؤَادُهُ وَبَصَرُهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عِنْدَكَ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ؟ فَضَحِكَ لَعَمْرُ اللَّهِ، وَهَزَّ رَأْسَهُ، وَعَلِمَ أَنِّي أَبْتَغِي لِسْقَطِهِ، فَقَالَ «ضَنَّ رَبُّكَ - عَزَّ وَجَلَّ - بِمَفَاتِيحِ خَمْسٍ مِنَ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ»، وَأَشَارَ بِيَدِهِ... (الْحَدِيثُ) * (١).

٢ - * (عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ. فَسَأَلَ عَنِ الْقَوْمِ^(٢). حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ. فَقُلْتُ: أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حُسَيْنٍ. فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى رَأْسِي فَنَزَعَ زِرِّي الْأَعْلَى^(٣). ثُمَّ نَزَعَ زِرِّي الْأَسْفَلَ. ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ ثَدْيَيْ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ شَابٌّ. فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِكَ. يَا ابْنَ أَخِي! سَلْ عَمَّا شِئْتَ». فَسَأَلْتُهُ... الْحَدِيثَ وَفِيهِ: فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا^(٤)، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرْضَعًا فِي بَنِي سَعْدِ فَقَتَلْتُهُ هَذِيلًا، وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رَبَّا أَضَعُ رَبَانَا، رَبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْخَلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ^(٥)، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ^(٦)، فَإِنْ

(١) أحمد (٤/١٣-١٤) واللفظ له وقال الهيثمي في المجمع

(١٠/٣٨٨): رواه عبد الله والطبراني بنحوه وأحد طريقي

عبد الله إسناده متصل ورجاله ثقات.

(٢) فسأل عن القوم: أي عن جماعة الرجال الداخلين عليه،

فإنه إذ ذاك كان أعمى. عمي في آخر عمره.

(٣) فنزع زري الأعلى: أي أخرجه من عروته ليتكشف صدري

عن القميص.

(٤) كحرمة يومكم هذا: معناه متأكدة التحريم، شديده.

(٥) بكلمة الله: قيل: معناه قوله تعالى: ﴿فَأَمْسَاكُمْ بِمَعْرُوفٍ

أو تسريح بإحسان﴾. وقيل: المراد كلمة التوحيد وهي لا

إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، إذ لا تحمل مسلمة لغير

مسلم. وقيل: قوله تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ

النِّسَاءِ﴾. وهذا الثالث هو الصحيح.

(٦) ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه: قال

الإمام النووي: المختار أن معناه: أن لا يأذن لأحد تكرهونه

في دخول بيوتكم والجلوس في منازلكم، سواء كان المأذون

له رجلاً أجنبياً أو امرأة أو أحدًا من محارم الزوجة.

فَعَلَنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ^(١)، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَقَدْ تَرَكَتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَصِلُوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابَ اللَّهِ^(٢)، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ^(٣): «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ أَذَّنَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ، وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَى الْمَوْقِفَ، فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ إِلَى الصَّخْرَاتِ^(٤) وَجَعَلَ حَبْلَ الْمِشَاءِ بَيْنَ يَدَيْهِ^(٥) وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلًا حَتَّى غَابَ الْقُرْصُ^(٦)،

وَأَرَدَفَ أَسَامَةَ خَلْفَهُ، وَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ شَنَقَ لِلْقَصْوَاءِ^(٧) الزِّمَامَ.. الْحَدِيثُ^(٨) *.

٣ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ». قَالَ: وَحَسِبْتُ أَنَّهُ قَدْ قَالَ: «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(٩) *).

الأحاديث الواردة في تحمل «المسئولية» معنى

٤ - * (عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

لَهُ ابْنُ اللَّثْبِيِّ - قَالَ عَمْرُو وَابْنُ أَبِي عُمَرَ: عَلَى الصَّدَقَةِ - فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ. وَهَذَا لِي، أَهْدِي لِي. قَالَ:

قَالَ: اسْتَغْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مِنَ الْأَسَدِ^(١٠) يُقَالُ

(٥) وجعل حبل المشاة بين يديه: روى حبل وروي جبل، قال القاضي عياض رحمه الله: الأول أشبه بالحديث، وجبل المشاة أي مجتمعهم، وأما بالجيم فمعناه طريقهم.

(٦) حتى غاب القرص: قيل صوابه حين غاب القرص.. ويحتمل أن الكلام على ظاهره. ويكون قوله: حتى غاب القرص بياناً لقوله غربت الشمس وذهبت الصفرة. فإن هذه تطلق مجازاً على مغيب معظم القرص فأزال ذلك الاحتمال بقوله: حتى غاب القرص والله أعلم.

(٧) وقد شنع للقصواء: شنع: ضم وضيق.

(٨) مسلم (١٢١٨).

(٩) البخاري - الفتح ٢ (٨٩٣) واللفظ له. ومسلم (١٨٢٩).

(١٠) الأسد: ويقال له: الأزدي، من أزد شنوءة. ويقال لهم: الأسد والأزد.

(١) فاضربوهن ضرباً غير مبرح: الضرب المبرح هو الضرب الشديد الشاق. ومعناه اضربوهن ضرباً ليس بشديد ولا شاق. والبرح المشقة.

(٢) كتاب الله: بالنصب، بدل مما قبله. وبالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف.

(٣) وينكتها إلى الناس: ينكتها. كذا الرواية فيه، بالتاء المثناة فوق. وهو بعيد المعنى. وقيل صوابه ينكبها. قيل: وروي في سنن أبي داود بالتاء المثناة من طريق ابن العربي. وبالموحدة من طريق أبي بكر التمار. ومعناه يقلبها ويردها إلى الناس مشيراً إليهم. ومنه: نكب كنانته إذا قلبها.

(٤) الصخرات: هي صخرات مفترشات في أسفل جبل الرحمة، وهو الجبل الذي بوسط أرض عرفات، فهذا هو الموقف المستحب.

فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمُنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. وَقَالَ: «مَا بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثُهُ فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِي لِي! أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ حَتَّى يَنْظُرَ أَيُّهُدَى إِلَيْهِ أَمْ لَا. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَا يَنَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ، بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ. أَوْ بَقَرَةٌ لَهَا خُورٌ. أَوْ شَاةٌ تَبْعُرُ^(١)». ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عَفْرَتِي إِبْطِيهِ^(٢). ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ! هَلْ بَلَغْتُ؟» مَرَّتَيْنِ*^(٣).

٥ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ - وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ - الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ

وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»)*^(٤).

٦ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تَضَمَّنَ اللَّهُ^(٥) لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانًا بِي، وَتَصَدِيقًا بِرُسُلِي^(٦). فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ. أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ. نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ^(٧). وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! مَا مِنْ كَلِمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^(٨)، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَوْ لَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ^(٩) تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا. وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ^(١٠). وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً^(١١). وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ

الإيمان والإخلاص لله تعالى .

(٧) نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ: قالوا: معناه ما حصل له من الأجر بلا غنيمة، إن لم يغنموا. أو من الأجر والغنيمة مما غنموا. وقيل: إن أو هنا بمعنى الواو، أي من أجر وغنيمة. ومعنى الحديث أن الله تعالى ضمن أن الخارج للجهاد ينال خيرًا بكل حال فيما أن يستشهد فيدخل الجنة، وإما أن يرجع بأجر، وإما أن يرجع بأجر وغنيمة.

(٨) ما من كلم يكلم في سبيل الله: أما الكلم فهو الجرح. ويكلم أي يجرح. والحكمة في مجيئه يوم القيامة على هيئته، أن يكون معه شاهد فضيلته وبذله نفسه في طاعة الله تعالى. (٩) خلاف سرية: أي خلفها وبعدها.

(١٠) لا أجد سعة فأحملهم: أي ليس لي من سعة الرزق ما أجد به لهم دواب فأحملهم عليها.

(١١) ولا يجدون سعة: فيه حذف يدل عليه ما ذكر قبله. أي ولا يجدون سعة يجدون بها من الدواب ما يحملهم ليتبعوني ويكونوا معي.

(١) تبع: معناه تصيح. واليعار صوت الشاة.

(٢) عفرتي إبطيه: بضم العين وفتحها. والأشهر الضم. قال الأصمعي وآخرون: عفرة الإبط هي البياض ليس بالناصع، بل فيه شيء كلون الأرض. قالوا: وهو مأخوذ من عفر الأرض، وهو وجهها.

(٣) البخاري - الفتح ١٣ (٧١٩٧). ومسلم (١٨٣٢) واللفظ له (٤) مسلم (١٨٢٧).

(٥) تضمن الله: وفي الرواية الأخرى: تكفل الله. ومعناها أوجب الله تعالى له الجنة بفضله وكرمه، سبحانه وتعالى. وهذا الضمان والكفالة موافق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ الآية.

(٦) إلا جهادًا في سبيلي: هكذا، بالنصب. وكذا قال بعده: وإيمانًا بي، وتصديقًا. وهو منصوب على أنه مفعول له. وتقديره: لا يخرججه المخرج ويحركه المحرك إلا للجهاد والإيمان والتصديق. ومعناه: لا يخرججه إلا محض

يَتَخَلَّفُوا عَنِّي^(١). وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَوَدِدْتُ أَنِّي
أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلَ. ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلَ. ثُمَّ أَغْزُو
فَأُقْتَلَ»*(^(٢)).

٧ - * (عَنْ أَبِي مَرْيَمَ الْأَزْدِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ:
دَخَلْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: مَا أَنْعَمْنَا بِكَ أَبَا فَلَانٍ؟
- وَهِيَ كَلِمَةٌ تَقُولُهَا الْعَرَبُ - فَقُلْتُ: حَدِيثًا سَمِعْتُهُ
أَخْبَرَك بِهِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ
- عَزَّ وَجَلَّ - شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَاحْتَجَبَ دُونَ
حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتِهِمْ وَفَقَّرَهُمْ احْتَجَبَ اللَّهُ عَنْهُ دُونَ
حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَفَقَّرَهُ»، قَالَ: فَجَعَلَ رَجُلًا عَلَى حَوَائِجِ
النَّاسِ)*(^(٣)).

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ: عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ الْجُهَنِيِّ:
أَنَّهُ قَالَ لِمُعَاوِيَةَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ
إِمَامٍ يُغْلِقُ بَابَهُ دُونَ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْخَلَّةِ وَالْمَسْكِنَةِ، إِلَّا
أَغْلَقَ اللَّهُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ دُونَ خَلَّتِهِ وَحَاجَتِهِ وَمَسْكِنَتِهِ».
فَجَعَلَ مُعَاوِيَةُ رَجُلًا عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ)*(^(٤)).

٨ - * (عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: عَادَ عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ
زِيَادٍ، مَعْقِلَ بْنَ يَسَارِ الْمُزْنِيِّ. فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ
فِيهِ. فَقَالَ مَعْقِلُ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي حَيَاةً مَا حَدَّثْتُكَ.
إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ
يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ
لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»)*(^(٥)).

٩ - * (عَنْ عَدِيِّ بْنِ عَمِيرَةَ الْكِنْدِيِّ - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ
عَبْدٍ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ، فَكَتَمْنَا مَخِطًا فَمَا
فَوْقَهُ، كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ
رَجُلٌ أَسْوَدُ، مِنَ الْأَنْصَارِ. كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ. فَقَالَ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، أَقْبَلْ عَنِّي عَمَلُكَ. قَالَ: «وَمَا لَكَ؟» قَالَ:
سَمِعْتُكَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا. قَالَ: وَأَنَا أَقُولُهُ الْآنَ. مَنْ
اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَلْيَجِئْ بِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ. فَمَا
أُوتِيَ مِنْهُ أَخَذَ. وَمَا نُهِيَ عَنْهُ انْتَهَى»)*(^(٦)).

١٠ - * (عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:
قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضْرَبَ
بِيَدِهِ عَلَى مَنْكَبِي. ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ.
وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ»(^(٧)). وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ. إِلَّا مَنْ
أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»)*(^(٨)).

(٧) إنك ضعيف وإنها أمانة: هذا الحديث أصل عظيم في
اجتناب الولايات، لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام
بوظائف تلك الولاية. وأما الخزي والندامة فهو في حق من
لم يكن أهلاً لها، أو كان أهلاً ولم يعدل فيها، فيخزيه الله
تعالى يوم القيامة ويفضحه ويندم على ما فرط. وأما من
كان أهلاً للولاية، وعدل فيها، فله فضل عظيم تظاهرت
به الأحاديث الصحيحة.

(٨) مسلم (١٨٢٥).

(١) ويشق عليهم أن يتخلفوا عني: أي ويوقعهم تأخرهم
عني في المشقة، يعني يصعب عليهم ذلك.

(٢) البخاري - الفتح ١ (٣٦). ومسلم (١٨٧٦).

(٣) أبو داود (٢٩٤٨) وقال الألباني (٥٦٩/٢): صحيح
واللفظ من تحقيق الألباني. وقال محقق جامع الأصول
(٥٢/٤): إسناده حسن.

(٤) الترمذي (١٣٣٢ و ١٣٣٣).

(٥) البخاري - الفتح ١٣ (٧١٥٠). ومسلم (١٤٢) واللفظ له.

(٦) مسلم (١٨٣٣).

من الآثار وأقوال العلماء الواردة في «المسئولية»

١ - * (دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَقَالَ: تَكَلَّمْ يَا أَعْرَابِيٌّ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي مُكَلِّمُكَ بِكَلَامٍ فَاحْتَمِلْهُ وَإِنْ كَرِهْتَهُ، فَإِنَّ وَرَاءَهُ مَا تُحِبُّ إِنْ قَبِلْتَهُ. فَقَالَ: «يَا أَعْرَابِيٌّ، إِنَّا نَجُودُ بِسَعَةِ الْاِخْتِمَالِ عَلَى مَنْ لَا نَرْجُو نُصْحَهُ وَلَا نَأْمَنُ غِشَّهُ فَكَيْفَ بِمَنْ نَأْمَنُ غِشَّهُ وَنَرْجُو نُصْحَهُ؟ فَقَالَ الْأَعْرَابِيٌّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهُ قَدْ تَكَنَّفَكَ رِجَالٌ أَسَاءُوا الْاِخْتِيَارَ لَأَنْفُسِهِمْ، ابْتَاعُوا دُنْيَاهُمْ بِدِينِهِمْ، وَرِضَاكَ بِسُخْطِ رَبِّهِمْ، خَافُوكَ فِي اللَّهِ تَعَالَى، وَلَمْ يَخَافُوا اللَّهَ فِيكَ، فَلَا تَأْمَنُهُمْ عَلَى مَنْ اتَّيَمَّنَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَأْلُوا فِي الْأَمَانَةِ تَضْيِيعًا، وَفِي الْأُمَّةِ خَسْفًا وَعَسْفًا، وَأَنْتَ مَسْئُولٌ عَمَّا اجْتَرَحُوا، وَلَيْسُوا بِمَسْئُولِينَ عَمَّا اجْتَرَحْتَ، فَلَا تُصْلِحْ دُنْيَاهُمْ بِفَسَادِ آخِرَتِكَ، فَإِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ غَبْنًا مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ»*)^(١).

٢ - * (عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقَالَتْ: أَعْلِمْتُ أَنَّ أَبَاكَ غَيْرُ مُسْتَخْلَفٍ؟ قَالَ قُلْتُ: مَا كَانَ لِيَفْعَلَ. قَالَتْ: إِنَّهُ فَاعِلٌ. قَالَ: فَحَلَفْتُ أَنِّي أَكَلِمُهُ فِي ذَلِكَ. فَسَكَتُ. حَتَّى غَدَوْتُ. وَلَمْ أَكَلِمُهُ. قَالَ: فَكُنْتُ كَأَنَّمَا أَهْلُ بَيْمِينِي جَبَلًا حَتَّى رَجَعْتُ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ. فَسَأَلَنِي عَنْ حَالِ النَّاسِ. وَأَنَا أَخْبِرُهُ. قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: إِنِّي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ مَقَالَةً. فَالَيْتُ أَنْ أَقُولَهَا لَكَ. زَعَمُوا أَنَّكَ غَيْرُ مُسْتَخْلَفٍ. وَإِنَّهُ لَوْ كَانَ لَكَ رَاعِي إِبِلٍ

أَوْ رَاعِي غَنَمٍ ثُمَّ جَاءَكَ وَتَرَكَهَا رَأَيْتَ أَنْ قَدْ ضَيَّعَ. فَرِعَايَةُ النَّاسِ أَشَدُّ. قَالَ: فَوَافَقَهُ قَوْلِي. فَوَضَعَ رَأْسَهُ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَهُ إِلَيَّ. فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَحْفَظُ دِينَهُ. وَإِنِّي لَئِنْ لَا أَسْتَخْلِفُ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَسْتَخْلِفْ. وَإِنْ أَسْتَخْلِفُ فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ قَدْ اسْتَخْلَفَ. قَالَ: فَوَاللَّهِ! مَا هُوَ إِلَّا أَنْ ذَكَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ. فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَعْدِلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدًا. وَأَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَخْلَفٍ»*)^(٢).

٣ - * (قَالَ د. حَسَنُ عَلِيٍّ الْحَجَّاجِيُّ: يَرَى ابْنُ الْقَيِّمِ أَنَّ مَسْئُولِيَّةَ التَّرْبِيَةِ تَقَعُ عَلَى الْآبَاءِ وَالْمُرَبِّينَ لَا سِوَا إِذَا كَانَ النَّاشِءُ فِي أَوَّلِ مَرَاكِحِ نُمُوهِ، فَإِنَّهُ فِي أَمْسِ الْحَاجَةِ إِلَى تَقْوِيمِ أَخْلَاقِهِ وَتَوْجِيهِ سُلُوكِهِ، وَهُوَ بِمُفْرَدِهِ لَا يَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِذَلِكَ، فَالْمَسْئُولِيَّةُ عَلَى وَلِيِّ أَمْرِهِ، يَقُولُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: (..) وَمِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الطِّفْلُ غَايَةَ الْاِخْتِيَاغِ الْاِعْتِنَاءَ بِأَمْرِ خُلُقِهِ، فَإِنَّهُ يَنْشَأُ عَلَى مَا عَوَّدَهُ الْمُرَبِّي فِي صِغَرِهِ مِنْ حَرَدٍ وَغَضَبٍ، وَلَجَاجٍ، وَعَجَلَةٍ، وَخَفَةِ مَعَ هَوَاهُ وَطَيْشٍ، وَحِدَّةٍ، وَجَشَعٍ، فَيَصْعُبُ عَلَيْهِ فِي كِبَرِهِ تَلَا فِي ذَلِكَ. وَتَصِيرُ هَذِهِ الْأَخْلَاقُ صِفَاتٍ وَهَيْئَاتٍ رَاسِخَةً، فَلَوْ تَحَرَّزَ مِنْهَا غَايَةَ التَّحَرُّزِ فَضَحَّتْهُ وَلَا بُدَّ يَوْمًا مَا، وَلِهَذَا تَجِدُ أَكْثَرَ النَّاسِ مُنْحَرِفَةً أَخْلَاقُهُمْ، وَذَلِكَ مِنْ قِبَلِ التَّرْبِيَةِ الَّتِي نَشَأَ عَلَيْهَا). فَابْنُ الْقَيِّمِ يُبَيِّنُ أَنَّ لِلتَّرْبِيَةِ أَهْمِيَّةً قُصْوَى فِي تَهْدِيبِ الْخُلُقِ وَتَقْوِيمِ السُّلُوكِ، كَمَا يُوضِّحُ أَنَّ التَّرْبِيَةَ

السَّليمة هي التي تجعل للتدريب والتَّعويد شأنًا في رُسوخ الصفات الطَّيبة. وفي هذا القول أيضًا يحمل ابن القيم التَّربية مسئولية انحراف الأخلاق والسلوك»^(١).

٤ - * (قال د. محمد علي الهاشمي: «الفرد المسلم يشعر بمسئوليته عن رعيته: ذلك أنه ما من تقصير أو تهاون أو تفريط في جنب الله ورسوله، يقع فيه أحد أفراد أسرة هذا المسلم إلا وهو مسئول عنه: «كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسئول عن رعيته...». وهذه المسئولية التي يحسها المسلم الصادق من جرّاء تفريط

أحد أفراد أسرته تحزُّ جنبه، فلا يطيق عليها صبرًا، ويسارع في إزالة أسبابها مهما تكن النتائج، فما يصبر على هذه المسئولية، وما يطيق السُّكوت عليها إلا رجلٌ في إيمانه ضعفٌ، وفي دينه رقةٌ»^(٢).

٥ - * (قال الدكتور علي أبو العينين: «من المقومات الأساسية التي يقوم عليها المجتمع المسلم أنه مجتمعٌ مسئولٌ، كلُّ فرد فيه مطالبٌ بالمشاركة في تسيير أمور مجتمعه، والمسلمون مسئولون عن بعضهم، ومأمورون بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»^(٣).

من فوائد «المسئولية»

- (٥) كلُّ مسئولٍ بقدر استطاعةٍ تحمُّله ولا يخلو أحدٌ من المسئولية مهما قلت منزلته في المجتمع.
- (٦) تجعل بنية الدولة قويا غير قابل للتصدع عند التعرض للمحن والحروب.
- (٧) المسئولية تجعل للإنسان قيمة في مجتمعه.

- (١) تشعر بوجوب أداء الأمانة أمام الله وأمام الناس.
- (٢) الإخلاص في العمل والثبات عليه.
- (٣) كسب ثقة الناس واعتزازهم به.
- (٤) يشعر الشخص المسئول بالسعادة تغمره كلما قام بتنفيذ عملٍ نافع.

(٣) التربية الإسلامية وتنمية المجتمع الإسلامي (٥٤).

(١) عن كتاب الفكر التربوي عند ابن القيم (١٦٢).

(٢) شخصية المسلم (١٤ - ١٥).

المعاتبه

الآثار	الأحاديث	الآيات
١٥	١٢	١٤

المعاتبه لغة :

المُعَاتِبَةُ مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ: عَاتَبَ يُعَاتِبُ، وَهُوَ مَا أُخِذَ مِنْ مَادَّةٍ (ع ت ب) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى « الْأَمْرِ فِيهِ صُعُوبَةٌ مِنْ كَلَامٍ أَوْ غَيْرِهِ » مِنْ ذَلِكَ الْعَتَبَةُ، وَهِيَ أَسْكُفَةُ الْبَابِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِارْتِفَاعِهَا عَنِ الْمَكَانِ الْمُطْمَئِنِّ السَّهْلِ، وَمِنْ الْبَابِ الْعَتَبُ بِمَعْنَى الْمَوْجِدَةِ، تَقُولُ عَتَبْتُ عَلَى فُلَانٍ عَتَبًا وَمَعْتَبَةً، أَيْ وَجَدْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُشْتَقُّ مِنْهَا فَيَقَالُ: أَعْتَبَنِي، أَيْ تَرَكَ مَا كُنْتُ أَجِدُ عَلَيْهِ ^(١) وَرَجَعَ إِلَى مَسَرَّتِي، وَهُوَ مُعْتَبٌ أَيْ رَاجِعٌ عَنِ الْإِسَاءَةِ، وَيَقُولُونَ: أَعْطَانِي الْعُتْبَى أَيْ أَعْتَبَنِي، وَالتَّعْتَبُ: إِذَا قَالَ هَذَا وَهَذَا يَصِفَانِ الْمَوْجِدَةَ وَكَذَلِكَ الْمُعَاتِبَةُ، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا طَلَبَ أَنْ يُعْتَبَ: قَدْ اسْتَعْتَبَ. قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ:

فَعَاتَبْتُهُ ثُمَّ رَاجَعْتُهُ عِتَابًا رَقِيقًا وَقَوْلًا أَصِيلًا
فَالْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتَبٍ وَلَا ذَاكَرَ اللَّهِ إِلَّا قَلِيلًا
وَقَالَ الرَّاعِبُ: إِنَّ قَوْلَهُمْ: أَعْتَبْتُ فُلَانًا أَيْ أَبْرَزْتُ الْغِلْظَةَ الَّتِي وَجَدْتُ لَهُ فِي الصَّدْرِ، وَأَعْتَبْتُهُ أَيْضًا: حَمَلْتُهُ عَلَى الْعَتَبِ، وَأَعْتَبْتُهُ أَيْ أَزَلْتُ عَتَبَهُ، نَحْوُ أَشْكَيْتُهُ (أَيْ أَزَلْتُ شَكْوَاهُ) قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَا هُمْ مِنْ

الْمُعْتَبِينَ﴾ وَالْاسْتِعْتَابُ: أَنْ يُطْلَبَ مِنَ الْإِنْسَانِ أَنْ يَذْكُرَ عَتَبَهُ لِيُعْتَبَ، وَالْعُتْبَى إِزَالَةُ مَا لِأَجَلِهِ يُعْتَبُ، وَبَيْنَهُمْ أُعْتُوبَةُ: أَيْ مَا يَتَعَاتَبُونَ بِهِ، وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: يُقَالُ: عَتَبَ عَلَيْهِ، أَيْ وَجَدَ عَلَيْهِ عَتَبًا وَمَعْتَبًا، وَالتَّعْتَبُ مِثْلُهُ، وَالْاسْمُ الْمَعْتَبَةُ وَالْمَعْتَبَةُ (بِفَتْحِ التَّاءِ وَكَسْرِهَا)، وَتَقُولُ: عَاتَبَهُ مُعَاتِبَةً (وَعِتَابًا)، وَأَعْتَبَنِي فُلَانٌ، إِذَا عَادَ إِلَى مَسَرَّتِي رَاجِعًا عَنِ الْإِسَاءَةِ، وَاسْتَعْتَبَ وَأَعْتَبَ بِمَعْنَى (وَاحِدٍ)، وَاسْتَعْتَبَ أَيْضًا طَلَبَ أَنْ يُعْتَبَ، وَمِنْ ذَلِكَ اسْتَعْتَبْتُهُ فَأَعْتَبَنِي أَيْ اسْتَرْضَيْتُهُ فَأَرْضَانِي، وَالْاِعْتِتَابُ: الْانْصِرَافُ عَنِ الشَّيْءِ، وَقَالَ الْفَيْرُوزَا بَادِي: وَالْعُتُوبُ مَنْ لَا يَعْمَلُ فِيهِ الْعِتَابُ، وَقِرَاءَةُ عُيَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ: (وَإِنْ يُسْتَعْتَبُوا) عَلَى مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ (مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ) مَعْنَاهُ: إِنْ أَقَالَهُمُ اللَّهُ، وَرَدَّاهُمْ إِلَى الدُّنْيَا لَمْ يَعْمَلُوا بِطَاعَتِهِ لِمَا سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ مِنَ الشَّقَاءِ، وَذَلِكَ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ ^(٢).

وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: الْعَتَبُ: الْمَوْجِدَةُ، يُقَالُ: عَتَبَ عَلَيْهِ يَعْتَبُ وَيَعْتَبُ عَتَبًا وَعِتَابًا وَمَعْتَبًا وَمَعْتَبَةً: وَجَدَ عَلَيْهِ.

(١) أجد عليه : أي أغضب منه و يُشير ابن فارس بهذه العبارة إلى أن صيغة أفعَل هنا تُفيد السَّلْبَ وَالْإِزَالَةَ، كَمَا يُقَالُ: أَعْجَمْتُ الْكِتَابَ، أَيْ أَزَلْتُ عُجْمَتَهُ.

(٢) والقراءة الأخرى ﴿وَإِنْ يُسْتَعْتَبُوا﴾ (بالبناء للمعلوم). ومعناه : إن يستقبلوا لا يقالوا.

قَالَ الْغَطَمَشُ الضَّبِّيُّ:

أَقُولُ وَقَدْ فَاضَتْ بِعَيْنِي عَبْرَةٌ

أَرَى الدَّهْرَ يَبْقَى وَالْأَخْلَاءُ تَذْهَبُ

أَخِلَّايْ! لَوْ غَيْرُ الْحِمَامِ أَصَابَكُمْ

عَتَبْتُ وَلَكِنْ لَيْسَ لِلدَّهْرِ مَعْتَبُ

قَوْلُهُ: عَتَبْتُ أَيَّ سَخِطْتُ، أَيَّ لَوْ أَصَبْتُمْ فِي

حَرْبٍ لَأَذْرَكْنَا بِأَرْكُكُمْ وَانْتَصَرْنَا، وَلَكِنَّ الدَّهْرَ لَا يُنْتَصَرُ مِنْهُ.

وَعَاتِبُهُ مُعَاتِبَةٌ وَعِتَابًا: لَامَهُ. قَالَ الشَّاعِرُ:

أَعَاتِبُ ذَا الْمَوَدَّةِ مِنْ صَدِيقٍ

إِذَا مَا رَأَيْتُ مِنْهُ اجْتِنَابُ

إِذَا ذَهَبَ الْعِتَابُ فَلَيْسَ وَدُّ

وَيَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ

وَالْعُتْبَى: الرِّضَا، وَأَعْتَبَهُ: أَعْطَاهُ الْعُتْبَى وَأَرْضَاهُ،

وَالْعُتْبَى (أَيْضًا) رُجُوعُ الْمُعْتُوبِ عَلَيْهِ إِلَى مَا يُرْضِي

الْعَاتِبَ، وَالْإِعْتَابُ كَذَلِكَ، وَالِاسْتِعْتَابُ طَلَبُكَ إِلَى

الْمُسِيءِ الرُّجُوعَ عَنْ إِسَاءَتِهِ، وَقَالَ أَبُو مَنصُورٍ: الْعُتْبُ

وَالْعُتْبَانُ: لَوْ مَكَ الرَّجُلُ عَلَى إِسَاءَةٍ كَانَتْ لَهُ إِلَيْكَ،

فَاسْتَعْتَبْتُهُ مِنْهَا، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ اللَّفْظَيْنِ (الْعُتْبُ

وَالْعُتْبَانُ) يَخْلُصُ لِلْعَاتِبِ، فَإِذَا اشْتَرَكَا فِي ذَلِكَ، وَذَكَرَ

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ مَا فَرَطَ مِنْهُ إِلَيْهِ مِنَ الْإِسَاءَةِ،

فَهُوَ الْعِتَابُ وَالْمُعَاتِبَةُ، وَفِي الْحَدِيثِ: كَانَ يَقُولُ لِأَحَدِنَا

عِنْدَ الْمُعْتَبَةِ ^(١): مَالَهُ تَرَبَّتْ يَمِينُهُ! وَالْعِتْبُ: الرَّجُلُ

الَّذِي يُعَاتِبُ صَاحِبَهُ أَوْ صَدِيقَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ

إِشْفَاقًا عَلَيْهِ وَنَصِيحَةً لَهُ، وَالْعُتُوبُ: الَّذِي لَا يَعْمَلُ فِيهِ

الْعِتَابُ، وَيُقَالُ إِذَا تَعَاتَبُوا: أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُمُ الْعِتَابُ،

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّهُ قَالَ: مُعَاتِبَةُ الْأَخِ خَيْرٌ مِنْ

فَقْدِهِ، وَالْعُتْبَى اسْمٌ عَلَى فُعْلٍ، يُوضَعُ مَوْضِعَ الْإِعْتَابِ

وَهُوَ الرُّجُوعُ عَنِ الْإِسَاءَةِ إِلَى مَا يُرْضِي الْعَاتِبَ، وَفِي

الْحَدِيثِ: لَا يُعَاتِبُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ، يَعْنِي لِعِظَمِ ذُنُوبِهِمْ

وَإِضْرَارِهِمْ عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا يُعَاتِبُ مَنْ تُرْجَى عِنْدَهُ

الْعُتْبَى، وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ

الْمَوْتَ، إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ

يَسْتَعْتِبُ، أَيَّ يَرْجِعُ عَنِ الْإِسَاءَةِ وَيَطْلُبُ الرِّضَا، وَمِنْهُ

الْحَدِيثُ. «وَلَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ» مَعْنَاهُ: لَيْسَ

بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ اسْتِرْضَاءٍ، لِأَنَّ الْأَعْمَالَ بَطَلَتْ، وَانْقَضَى

زَمَانُهَا، وَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ دَارُ جَزَاءٍ لَا دَارُ عَمَلٍ ^(٢).

المعاتبه اصطلاحًا:

قَالَ الْمُنَاوِيُّ: الْعِتَابُ هُوَ مُحَاظَةُ الْإِذْلَالِ

وَمُذَاكِرَةُ الْمَوْجِدَةِ ^(٣).

وَقَالَ أَبُو مَنصُورٍ الْأَزْهَرِيُّ:

التَّعْتِبُ وَالْمُعَاتِبَةُ وَالْعِتَابُ: كُلُّ ذَلِكَ مُحَاظَةُ

الْمُدْلِينَ أَخْلَاءَهُمْ، طَالِبِينَ حُسْنَ مُرَاجَعَتِهِمْ وَمُذَاكِرَةَ

بَعْضِهِمْ بَعْضًا مَا كَرِهُوهُ مِمَّا كَسَبَهُمُ الْمَوْجِدَةُ ^(٤).

(١/٤) (١٧).

(٣) التوقيف (٢٣٦).

(٤) تهذيب اللغة للأزهري (٢/٢٧٨).

(١) الْمَعْتَبَةُ: بفتح التاء وكسرهما: من الموجدَةِ أي الغضب.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٢٢٦) المفردات للراغب

(٣٢١) الصحاح للجوهري (١/١٧٦) لسان العرب

«عتب» (٢٧٩٣) ط. دار المعارف، و بصائر ذوى التمييز

التوسط فى المعاقبة:

قال الماوردي - رحمه الله -: إِنَّ كَثْرَةَ الْعِتَابِ
تَكُونُ سَبَبًا لِلْقَطِيعَةِ، وَاطِّرَاحُ جَمِيعِهِ دَلِيلٌ عَلَى قِلَّةِ
الْاِكْتِرَافِ بِأَمْرِ الصَّدِيقِ، وَقَدْ قِيلَ: عِلَّةُ الْمُعَادَاةِ قِلَّةُ
الْمُبَالَاةِ، وَالْمَقْرُوضُ أَنْ تَتَوَسَّطَ الْحَالُ بَيْنَ الْعِتَابِ
وَتَرْكِهِ، فَيَسَامَحَ بِالْمُتَارَكَةِ، وَيُسْتَصْلَحَ بِالْمُعَاتَبَةِ،
لَأَنَّ الْمُسَامَحَةَ وَالْاِسْتِصْلَاحَ إِذَا اجْتَمَعَا، لَمْ يَلْبَثْ مَعَهُمَا
نُفُورٌ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُمَا وَجْدٌ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تُكْثِرَنَّ
مُعَاتَبَةَ إِخْوَانِكَ فَيَهُونَ عَلَيْهِمْ سُخْطُكَ، مُقَارِفُ ذَنْبٍ
مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ^(١).

[للاستزادة: انظر صفات: الإخاء - التذكير -

التودد - النصيحة - الوعظ - الإرشاد - المحبة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإهمال - الجفاء -

الهجر - الإعراض - التفريط والإفراط - التهاون -

البغض].

الآيات الواردة في «المعاتبه»

- ١ - وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ (١)
- ٢ - وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا
غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾
- وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ
اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ
وَلَكِنَّا كُنَّا كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾
- فَيَوْمَذِي لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذَرَتُهُمْ
وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ (٢)
- ٣ - وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾
- حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ
وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾
- وَقَالُوا لَئِنْ لَمْ يَنْشَأْ لَنَا بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ لَقَدْ كُنَّا فِي الْغَابِثِينَ
اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَالِيهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾
- وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ
وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنْنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ
لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾
- وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ
فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾
- فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا
فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾
- وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ أَتَيْنِي تَتَلَوْنَهَا
فَأَسْتَكْبِرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمُونَ ﴿٢٥﴾
- وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ
مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا
وَمَا نَحْنُ بِمُتَّبِعِينَ ﴿٢٦﴾
- وَبَدَأَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ
مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٧﴾
- وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا
وَمَا وَكُنَّا إِلَّا نَارٌ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٨﴾
- ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ أَخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوا وَغَرَّتْكُمُ
الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا
وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٢٩﴾ (٤)

الآيات الواردة في «المعاتبه» معني

- ٥ - مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يَشِخَرَ
فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ
الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾
- لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ (٥)

٦- وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ
بِاللَّهِ لَوْ أَسْتَطَعْنَا خَرْجَنَا مَعَكُمْ يَهْلِكُونَ
أَنْفُسُهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾
عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ
الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾^(١)

٧- ❖ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ
مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾^(٢)

٨- قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكْ فِينَا وَلِيدًا وَلِشْتَ فِينَا
مِنْ عُمْرِكَ سِنَّينَ ﴿٧٨﴾
وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ

وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾^(٣)

٩- وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ
أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾
وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ
أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ
فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ
أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا
زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ
فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا
وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾

مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ
اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ
وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾^(٤)

١٠- يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ
وَمَا يَذْكُرُكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿١٣﴾^(٥)

١١- يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ
مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾
كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا
مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ
صَفًا كَأَنَّهُمْ بُنَيَّنٌ مَرْصُوصٌ ﴿٤﴾^(٦)

١٢- يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ
أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾

قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ
وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾

وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ
وَأُظْهِرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ
فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا

قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾

إِنْ تُثُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا
عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾

عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ
مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنَاطَتٍ تَبَيَّنَ عَيْدَاتٍ سَيَحِبَّنَّ
تَبَيَّنَ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾^(٧)

١٣- قَالَ أَوْسَطُهُمُ الزَّاقِلُ لَكُمْ لَوْلَا تَسْبِيحُونَ ﴿٣٨﴾^(٨)

١٤- عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾

وَمَا يَذْكُرُكَ لَعَلَّه يَرْكَى ﴿٢﴾ أَوْ يَذْكُرُ فَنَنْفَعُهُ الذِّكْرَى ﴿٤﴾
أَمَامِنِ اسْتَغْنَى ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿٦﴾

وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَى ﴿٧﴾ وَأَمَامِنِ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾
وَهُوَ يَخْشَى ﴿٩﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴿١٠﴾^(٩)

(٧) التحريم : ١ - ٥ مدنية
(٨) القلم : ٢٨ مكية
(٩) عبس : ١ - ١٠ مكية

(٤) الأحزاب : ٣٦ - ٣٨ مدنية
(٥) الأحزاب : ٦٣ مدنية
(٦) الصف : ٢ - ٤ مدنية

(١) التوبة : ٤٢ - ٤٣ مدنية
(٢) الكهف : ٧٥ مكية
(٣) الشعراء : ١٨ - ١٩ مكية

الأحاديث الواردة في «المعاتبه»

١ - * (عن أمية أنها سألت عائشة - رضي الله عنها - عن قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحْسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ وعن قوله: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ فقالت: ما سألتني عنها أحدٌ منذ سألت رسول الله ﷺ فقال: «هذه مُعاتبةُ الله العبدَ فيما يُصيبه من الحمى والنكبة، حتى البضاعة يضعها في كم قميصه، فيفقدوها فيفزع لها، حتى إن العبدَ ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر^(١) الأحمر من الكير^(٢)» * (٣).

٢ - * (عن عمرو بن تغلب - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ أتى بهال - أو سبي - فقسمة فأعطى رجالاً وترك رجالاً، فبلغه أن الذين ترك عتبوا، فحمد الله، ثم أثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فوالله إنني لأعطي الرجل، والذي أدع أحب إلي من الذي

أعطي، ولكن أعطي أقواماً لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع^(٤)، وأكل أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير، فيهم عمرو بن تغلب». فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم^(٥) * (٦).

٣ - * (عن سعيد بن جبير - رحمه الله. قال: قلت لابن عباس - رضي الله عنهما - : إن نؤفا البكالي^(٧) يزعم أن موسى - عليه السلام - صاحب بني إسرائيل ليس هو موسى صاحب الخضر^(٨) - عليه السلام - فقال: كذب عدو الله^(٩) سمعت أبي ابن كعب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قام موسى - عليه السلام - خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم. قال: فعتب

(١) التبر: الذهب، وقيل: هو ما كان من الذهب غير مضروب.

(٢) الكير: الزق الذي ينفخ فيه الحداد، والجمع أكيار وكيرة.

(٣) الترمذي (٢٩٩١) وقال: هذا حديث حسن غريب من حديث عائشة لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة، وأحمد (٢١٨/٦) وفي سنده عندهما: علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف احتج به مسلم في المتابعات والشواهد، والحديث بمعناه عند أبي داود ٣٠٩٣ وله شواهد كثيرة ضعيفة وحسنه وصححها جمعها الحافظ بن كثير في تفسير الآية ١٢٣ من سورة النساء.

(٤) الهلع: هو أسوأ الجزع وأفحشه، وقيل: الحرص.

(٥) حمر النعم: الإبل والشاء وقيل: الإبل والبقر والغنم يذكر ويؤنث، والجمع أنعام وجمع الجمع أناعيم، وبغير أحمر وإبل حمراء والجمع حمر - بسكون الميم - والعرب تقول: خير الإبل حمرها، لأنها أصبر على السير في الهواجر.

(٦) البخاري - الفتح ٢ (٩٢٣).

(٧) نؤف البكالي: نسبة إلى بني بكال من حمير وهو صاحب علي - عليه السلام - والمحدثون يقولون: نؤف البكالي - بفتح الباء وتشديد الكاف -.

(٨) الخضر بفتح الخاء وكسر الضاد - اختلف في اسمه وفي كونه نبياً أو ولياً في أقوال عديدة أوردها ابن حجر في فتح الباري (٦/٤٩٩ - ٢٠٥) وورد في حديث صحيح في البخاري ٦ (٣٤٠٢) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء.

(٩) كذب عدو الله: قال العلماء: هو على وجه الإغلاظ والزجر عن مثل قوله. لا أنه يعتقد أنه عدو الله حقيقة. إنما قاله مبالغة في إنكار قوله، لمخالفته قول رسول الله ﷺ. وكان ذلك في حال غضب ابن عباس. لشدة إنكاره. وحال الغضب تطلق الألفاظ ولا تراد بها حقائقها.

الله عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرِدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ . فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ عَبْدًا
مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ ^(١) هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ . قَالَ
مُوسَى : أَيُّ رَبِّ ، كَيْفَ لِي بِهِ ؟ فَقِيلَ لَهُ : احْمِلْ حُوتًا ^(٢)
فِي مِكْتَلٍ ^(٣) فَحَيْثُ تَفْقَدُ ^(٤) الْحُوتَ فَهُوَ ثَمٌّ ^(٥) . فَاَنْطَلَقَ
وَاَنْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ ^(٦) وَهُوَ يُوْشَعُ بْنُ نُونٍ . فَحَمَلَ
مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حُوتًا فِي مِكْتَلٍ ، وَاَنْطَلَقَ هُوَ
وَفَتَاهُ يَمْشِيَانِ حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ فَرَقَدَ مُوسَى - عَلَيْهِ
السَّلَامُ - وَفَتَاهُ فَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكْتَلِ حَتَّى خَرَجَ
مِنَ الْمِكْتَلِ فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ . قَالَ : وَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُ
جَرِيَةَ الْمَاءِ حَتَّى كَانَ مِثْلَ الطَّاقِ ^(٧) ، فَكَانَ لِلْحُوتِ
سَرَبًا وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا . فَاَنْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا
وَلَيْلَتَهُمَا ^(٨) وَنَسِيَ صَاحِبُ مُوسَى أَنْ يُخْبِرَهُ . فَلَمَّا أَصْبَحَ
مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَالَ لِفَتَاهُ : آتِنَا غَدَاءَنَا ، لَقَدْ
لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ^(٩) قَالَ : وَلَمْ يَنْصَبْ حَتَّى
جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ قَالَ : أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْينَا إِلَى
الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ
أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ^(١٠) . قَالَ مُوسَى :

ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ^(١١) فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا . قَالَ :
يَقْصُصَانِ آثَارَهُمَا حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ فَرَأَى رَجُلًا
مُسْجًى ^(١٢) عَلَيْهِ بَثُوبٌ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى ، فَقَالَ لَهُ
الْخَضِرُ : أَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ ^(١٣) . قَالَ : أَنَا مُوسَى .
قَالَ : مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : إِنَّكَ عَلَى
عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ ، لَا أَعْلَمُهُ . وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ
مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ ، لَا تَعْلَمُهُ . قَالَ لَهُ مُوسَى - عَلَيْهِ
السَّلَامُ - : هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ
رُشْدًا ؟ قَالَ : إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ، وَكَيْفَ تَصْبِرُ
عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا . قَالَ : سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ
صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا . قَالَ لَهُ الْخَضِرُ : فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي
فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا . قَالَ :
نَعَمْ . فَاَنْطَلَقَ الْخَضِرُ وَمُوسَى يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ
الْبَحْرِ . فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ . فَكَلَّمَاهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا . فَعَرَفُوا
الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ ^(١٤) فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ
مِنْ أَلْوَابِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى : قَوْمٌ حَمَلُونَا
بِغَيْرِ نَوْلٍ ، عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ،

(١) بمجمع البحرين : قال القسطلاني : أي ملتقى بحري
فارس والروم من جهة الشرق . أو بإفريقية أو طنجة .

(٢) الحوت : السمكة

(٣) مکتل : هو القُفَّة أو الزنبيل

(٤) تفقد : أي يذهب منك

(٥) فهو ثَمٌّ : أي هناك

(٦) فتاه : أي صاحبه

(٧) الطاق : عقد البناء .

(٨) وليلتها : ضبطوه بنصب ليلتها وجرها .

(٩) نصبا : النصب : التعب .

(١٠) واتخذ سبيله في البحر عجباً : قيل : إن لفظة عجباً يجوز

أن تكون من تمام كلام يوشع وقيل : من كلام موسى . أي

قال موسى : عجبت من هذا عجباً . وقيل : من كلام الله

تعالى . ومعناه اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجباً .

(١١) نبغي : أي نطلب . معناه أن الذي جئنا نطلبه هو الموضع

الذي نفقد فيه الحوت .

(١٢) مسجًى : مغطى .

(١٣) أَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ : أي من أين السلام في هذه الأرض

التي لا يعرف فيها السلام . قال العلماء : أَنَّى تأتي بمعنى

أين ومتى وحيث وكيف .

(١٤) بغير نول : بغير أجر .

لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا^(١). قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا؟ قَالَ: لَا تُوَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا^(٢). ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ فَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ إِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ فَاقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ فَقَتَلَهُ. فَقَالَ مُوسَى: أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً^(٣) بَغِيرٍ^(٤) نَفْسٍ؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا^(٥). قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا؟ قَالَ: وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى. قَالَ: إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا^(٦). فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ^(٧) فَأَقَامَهُ. يَقُولُ: مَا ئِذَا، قَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ هَكَذَا^(٨) فَأَقَامَهُ. قَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ آتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُضَيِّفُونَا وَلَمْ يُطْعِمُونَا، لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا. قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ. سَأَنْبِئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا. قَالَ رَسُولُ

(١) إمرا: عظيماً.

(٢) ولا ترهقني من أمري عسراً: قال الإمام الزمخشري: يقال رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه. أي ولا تُغشني عسراً من أمري. وهو اتباعه إياه. يعني ولا تُعسر عليّ متابعتك ويسرها عليّ بالإغضاء وترك المناقشة.

(٣) زاكية: قريء في السبع زاكية وزكية. قال: ومعناه طاهرة من الذنوب.

(٤) بغير نفس: أي بغير قصاص لك عليها.

(٥) نكراً: النكر هو المنكر.

(٦) قد بلغت من لدني عذراً: معناه قد بلغت إلى الغاية التي تعذر بسببها في فراقي.

(٧) فوجد فيها جداراً يريد أن ينقض: هذا من المجاز. لأن الجدار لا يكون له حقيقة إرادة. ومعناه قرب من الانقضاء، وهو السقوط.

(٨) قال الخضر بيده هكذا: أي أشار بيده فأقامه. وهذا تعبير

الله ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ صَبْرًا حَتَّى يُقْصَ عَلَيْنَا مِنْ أَخْبَارِهِمَا» *^(٩).

٤ - * (عَنْ زَادَانَ أَبِي عُمَرَ عَنْ عَلِيمٍ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ - قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عَلَى سَطْحٍ، مَعَنَا رَجُلٌ مِنَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عَلِيمٌ»: لَا أَحْسَبُهُ إِلَّا قَالَ: «عَبَسَ الْغَفَارِيُّ». وَالنَّاسُ يَخْرُجُونَ فِي الطَّاعُونَ. فَقَالَ عَبَسَ: يَا طَاعُونَ خُذْنِي، ثَلَاثًا يَقُولُهَا. فَقَالَ لَهُ عَلِيمٌ: لِمَ تَقُولُ هَذَا؟ أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَتَمَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ عِنْدَ انْقِطَاعِ عَمَلِهِ، وَلَا يَرُدُّ فَيُسْتَعْتَبَ». فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «بَادِرُوا بِالْمَوْتِ سِتًّا»^(١٠): إِمْرَةَ الشَّفْهَاءِ، وَكَثْرَةَ الشَّرْطِ، وَبَيْعَ الْحُكْمِ، وَاسْتِخْفَافًا بِالدَّمِ، وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ، وَنَشْوًا^(١١). يَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ، يُقَدِّمُونَ الرَّجُلَ يُغْنِيهِمْ، وَإِنْ كَانَ أَقَلَّ مِنْهُمْ فَفَقْهًا» *^(١٢).

٥ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -

عن الفعل بالقول. وهو شائع.

(٩) البخاري الفتح ٦ (٣٤٠١) مسلم (٢٣٨٠) واللفظ له.

(١٠) بادروا بالموت: أي ارضوا بالموت.

(١١) نشواً: يقال: نشي الرجل من الشراب نشواً ونشوة ونشوة: سكر فهو نشوان، والأنثى: نشوى وجمعها نشاوى.

(١٢) أحمد (٤٩٤ / ٣)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥ / ٢٤٥) واللفظ له وقال: رواه أحمد والطبراني في الأوسط

والكبير (٣٤ / ١٨) بنحوه إلا أنه قال: عن عابس

الغفاري قال: سمعت رسول الله يتخوف على أمته من

ست خصال. إمرة الصبيان، وكثرة الشرط، والرشوة في

الحكم، وقطيعه الرحم، واستخفاف بالدم، ونشو يتخذون

القرآن مزامير يقدمون الرجل ليس بأفقههم ولا بأفضلهم

يغنيهم غناء» وفي إسناد أحمد عثمان بن عمير البجلي وهو

ضعيف وأحد إسنادي الكبير ورجاله رجال الصحيح.

النُّزُولَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا ، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ مِنْ خَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْأَمْرِ وَغَيْرِهِ ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَهُ . وَكُنَّا مَعَشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى الْأَنْصَارِ إِذْ هُمْ قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَأْخُذْنَ مِنْ أَدَبِ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ ، فَصَحْتُ عَلَى امْرَأَتِي ، فَرَاغَعْتَنِي ، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي . فَقَالَتْ : وَلِمَ تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ ؟ فَوَاللَّهِ ! إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ لَيُرَاجِعُنَّهُ ، وَإِنْ أَحَدَاهُنَّ لَتَهْجُرُهُ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ . فَأَفْرَعْتَنِي . فَقُلْتُ : خَابَتْ مَنْ فَعَلَتْ مِنْهُنَّ بَعْظِيمٌ . ثُمَّ جَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ : أَيُّ حَفْصَةَ ! أَتُغَاضِبُ إِحْدَاكُنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ ؟ فَقَالَتْ : نَعَمْ . فَقُلْتُ : خَابَتْ وَخَسِرَتْ . أَفَتَأْمَنُ أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ لِغَضَبِ رَسُولِهِ فَتَهْلِكِينَ ؟ لَا تَسْتَكْثِرِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَا تُرَاجِعِيهِ فِي شَيْءٍ ، وَلَا تَهْجُرِيهِ ، وَسَلِّينِي مَا بَدَا لَكَ . وَلَا يُغَرِّتُكَ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكَ هِيَ أَوْضَاءً مِنْكَ وَأَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (يُرِيدُ عَائِشَةَ) . وَكُنَّا تَحَدَّثُنَا أَنَّ غَسَّانَ تُنْعِلُ النِّعَالَ لِيُغْزَوْنَا ، فَنَزَلَ صَاحِبِي يَوْمَ نَوْبَتِهِ ، فَرَجَعَ عِشَاءً فَضْرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا ، وَقَالَ : أَتَمَّ هُوَ ؟ فَفَزِعْتُ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ وَقَالَ : حَدَّثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، قُلْتُ :

أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ إِسْلَامِهِمْ وَبَيْنَ أَنْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ، يُعَاتِبُهُمُ اللَّهُ بِهَا إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ﴿١﴾ .

٦ - * (عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رُؤِيَ وَهُوَ يَمْسَحُ وَجْهَ فَرَسِهِ بِرِدَائِهِ فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : «إِنِّي عُوتِبْتُ اللَّيْلَةَ فِي الْخَيْلِ» ﴿٢﴾) .

٧ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ الْمُرَاتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَيْنِ قَالَ اللَّهُ لَهُمَا ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ ، فَحَجَجْتُ مَعَهُ ، فَعَدَلْ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِالْإِدَاوَةِ ﴿٣﴾ ، فَتَبَرَّرَ ، ثُمَّ جَاءَ فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْإِدَاوَةِ فَتَوَضَّأَ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! مِنَ الْمُرَاتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَانِ قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهُمَا ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ ؟ فَقَالَ : وَاعْجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ! عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ . ثُمَّ اسْتَقْبَلَ عُمَرُ الْحَدِيثَ يَسُوقُهُ فَقَالَ : إِنِّي كُنْتُ وَجَارًا لِي مِنَ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ - وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ - وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ

قال ابن عبد البر : روى موصولاً عنه عن عروة البارقي وقال : «عوتبت الليلة في الخيل» في رواية أبي عبيدة في إذالة الخيل له من مرسل عبد الله بن دينار وقال : إن جبريل بات الليلة يعاتبني في إذالة الخيل أي امتهانها . وانظر جامع الأصول (٥ / ٥١) في حاشية المحقق .

(٣) الإداوة : بكسر الهمزة - إناء صغير من جلد يتخذ للماء وتجمع على أداوي .

(١) ابن ماجه (٤١٩٢) قال المحقق : في الزوائد : هذا إسناد ه صحيح ، ورجاله ثقات .

(٢) تنوير الحوالك (٢ / ٢٣) واللفظ له و الحديث وصله ابن عبد البر من طريق عبد الله بن عمرو الفهري عن مالك عن يحيى بن سعيد عن أنس ووصله أبو عبيدة في كتاب الخيل من طريق يحيى بن سعيد عن شيخ من الأنصار ورواه أبو داود في المراسيل من مرسل نعيم بن أبي هند .

مَا هُوَ؟ أَجَاءَتْ غَسَّانٌ؟ قَالَ: لَا، بَلْ أَعْظَمُ مِنْهُ وَأَطْوَلُ، طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ: قَالَ قَدْ خَابَتْ حَفْصَةُ وَخَسِرْتُ. كُنْتُ أَظُنُّ هَذَا يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ فَجَمَعْتُ عَلِيَّ ثِيَابِي، فَصَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَدَخَلَ مَشْرُبَةً لَهُ فَأَعْتَزَلَ فِيهَا. فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَإِذَا هِيَ تَبْكِي. قُلْتُ: مَا يُبْكِيكِ، أَوْ لَمْ أَكُنْ حَذَرْتُكَ؟ أَطَلَّقَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: لَا أَدْرِي، هُوَ ذَا فِي الْمَشْرُبَةِ. فَخَرَجْتُ فَجِئْتُ الْمُنْبَرَّ، فَإِذَا حَوْلَهُ رَهْطٌ يَبْكِي بَعْضُهُمْ. فَجَلَسْتُ مَعَهُمْ قَلِيلًا. ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ فَجِئْتُ الْمَشْرُبَةَ الَّتِي هُوَ فِيهَا، فَقُلْتُ لِغُلَامٍ لَهُ أَسْوَدٌ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ. فَدَخَلَ فَكَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَتَ. فَاِنْصَرَفْتُ حَتَّى جَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ الْمُنْبَرِ. ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ - فَذَكَرَ مِثْلَهُ - فَجَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ الْمُنْبَرِ. ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ الْغُلَامَ فَقُلْتُ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مُنْصَرِفًا، فَإِذَا الْغُلَامُ يَدْعُونِي، قَالَ: أَذِنَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالٍ حَصِيرٍ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ، قَدْ أَثَرُ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ، مُتَّكِيٌّ عَلَى وَسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشَوْهَا لَيْفٌ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قُلْتُ - وَأَنَا قَائِمٌ - طَلَّقْتَ نِسَاءَكَ؟ فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَيَّ فَقَالَ: «لَا» ثُمَّ قُلْتُ - وَأَنَا قَائِمٌ - اسْتَأْنِسْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ رَأَيْتَنِي وَكُنَّا مَعَشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى

قَوْمٍ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ. فَذَكَرَهُ. فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ. ثُمَّ قُلْتُ: لَوْ رَأَيْتَنِي وَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ: لَا يَغُرَّنَكَ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكَ هِيَ أَوْضَأُ مِنْكَ وَأَحَبُّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ (يُرِيدُ عَائِشَةَ)، فَتَبَسَّمَ أُخْرَى. فَجَلَسْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ تَبَسَّمَ. ثُمَّ رَفَعْتُ بَصَرِي فِي بَيْتِهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ غَيْرَ أَهْبَةِ ثَلَاثٍ^(١)، فَقُلْتُ: ادْعُ اللَّهَ فَلْيُوسِّعْ عَلَى أُمَّتِكَ، فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ وَسَّعَ عَلَيْهِمْ وَأَعْطَوْا الدُّنْيَا وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ. وَكَانَ مُتَكِنًا فَقَالَ: «أَوْ فِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ أُولَئِكَ قَوْمٌ عَجَلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! اسْتَغْفِرْ لِي. فَأَعْتَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْحَدِيثِ حِينَ أَفْشَتْهُ حَفْصَةُ إِلَى عَائِشَةَ، وَكَانَ قَدْ قَالَ: «مَا أَنَا بِدَاخِلٍ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا» مِنْ شِدَّةِ مَوْجِدَتِهِ عَلَيْهِنَّ حِينَ عَاتَبَهُ اللَّهُ. فَلَمَّا مَضَتْ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَبَدَأَ بِهَا، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: إِنَّكَ أَقْسَمْتَ أَنْ لَا تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا، وَإِنَّا أَصْبَحْنَا بِتِسْعٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً أَعْدَّهَا عَدًّا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ، وَكَانَ ذَلِكَ الشَّهْرُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَنْزِلْتَ آيَةَ التَّخْيِيرِ، فَبَدَأَ بِي أَوَّلَ امْرَأَةٍ فَقَالَ: «إِنِّي ذَاكِرٌ لَكَ أَمْرًا، وَلَا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكَ» قَالَتْ: قَدْ أَعْلَمْتُ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِكَ. ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجُكُمْ - إِلَى قَوْلِهِ - عَظِيمًا﴾ قُلْتُ: أَفِي هَذَا اسْتَأْمَرُ أَبَوَيَّ، فَإِنِّي

(١) أَهْبَةُ ثَلَاثٌ: هَكَذَا وَرَدَتْ، وَلَعَلَّ صَوَابَهَا أَهْبَةُ عَلِيٍّ أَنَّهُ جَمَعَ قَلِيلًا لِلْإِهَابِ وَهُوَ الْجِلْدُ مِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْوَحْشِ مَا لَمْ

يَدْبِغُ، وَالْجَمْعُ الْكَثِيرُ: أَهْبُ، وَأَهَبَ.

أُرِيدَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ . ثُمَّ خَيْرَ نِسَاءَهُ . فَقُلْنَ
مِثْلَ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ) * (١).

٨ - * (عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ابْنَةِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ
- رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ : لَمَّا نَزَلْنَا
أَرْضَ الْحَبَشَةِ جَاوَزْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ ، النَّجَاشِيِّ ،
أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا ، وَعَبَدْنَا اللَّهَ ، لَا نُؤْذِي وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا
نَكْرَهُهُ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا اتَّمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى
النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ ، وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ
هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطَرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ ، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ
مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَيْهِ الْأَدَمُ ، فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا ، وَلَمْ
يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطَرِيقًا إِلَّا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً ، ثُمَّ بَعَثُوا
بِذَلِكَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمُخْزُومِيِّ
وَعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ بْنِ وَاثِلِ السَّهْمِيِّ ، وَأَمَرُوهُمَا أَمْرَهُمْ ،
وَقَالُوا لَهُمَا : ادْفَعُوا إِلَى كُلِّ بِطَرِيقٍ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ
تُكَلِّمُوا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ ، ثُمَّ قَدِّمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَاهُ ،
ثُمَّ سَلُّوهُ أَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ . قَالَتْ :
فَخَرَجَا فَقَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ ، وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ
وَعِنْدَ خَيْرِ جَارٍ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطَرِيقٍ إِلَّا دَفَعَا
إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ ، ثُمَّ قَالَ لِكُلِّ
بَطَرِيقٍ مِنْهُمْ : إِنَّهُ قَدْ صَبَأَ إِلَى بَلَدِ الْمَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ
سُفَهَاءُ فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ ،
وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ ، وَقَدْ بَعَثْنَا
إِلَى الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافَ قَوْمِهِمْ لِنَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ ، فَإِذَا

كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ فَتَشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْنَا وَلَا
يُكَلِّمَهُمْ ، فَإِنْ قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا ، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا
عَلَيْهِمْ ، فَقَالُوا لَهُمَا : نَعَمْ ، ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَاهُمْ إِلَى
النَّجَاشِيِّ ، فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا ، ثُمَّ كَلَّمَاهُ فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا
الْمَلِكُ ، إِنَّهُ صَبَأَ إِلَى بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ فَارْقُوا دِينَ
قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا
نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافَ
قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ لِنَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ ،
فَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا ، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ
فِيهِ ، قَالَتْ : وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي
رَبِيعَةَ وَعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيُّ
كَلَامَهُمْ ، فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ : صَدَقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ ،
قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا ، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ ،
فَأَسْلَمَهُمْ إِلَيْهَا فَلِيَرُدَّهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ ، قَالَ :
فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ ، ثُمَّ قَالَ : لَا هَا اللَّهُ ، وَائِمُّ اللَّهُ ! إِذَنْ لَا
أُسَلِّمُهُمْ إِلَيْهَا وَلَا أَكَادُ...) * (٢).

٩ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ :
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدًا عَمَلُهُ
الْجَنَّةَ» قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : «لَا ، وَلَا أَنَا
إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا ، وَلَا
يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ ، إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ
خَيْرًا ، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يُسْتَعْتَبَ (٣)» * (٤).

١٠ - * (عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ

(٣) وإما مسيئًا فلعله أن يستعتب : أي يرجع عن موجب العتب عليه.

(٤) البخاري - الفتح ١٠ (٥٦٧٣).

(١) البخاري - الفتح ٥ (٢٤٦٨) واللفظ له ، وعند مسلم مختصرًا (١٠٨٣).

(٢) أحمد (١/٢٠٢-٢٠٣) وقال الشيخ أحمد شاكر (٣/١٨٠) : إسناده صحيح.

عُمَرُ : وَافَقْتُ اللَّهَ فِي ثَلَاثٍ - أَوْ وَافَقَنِي رَبِّي فِي ثَلَاثٍ -
قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! لَوْ اتَّخَذْتَ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ،
وَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، فَلَوْ
أَمَرْتَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحِجَابِ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ
الْحِجَابِ ، قَالَ : وَبَلَّغَنِي مُعَاتِبَةَ النَّبِيِّ ﷺ بَعْضَ

نِسَائِهِ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِنَّ قُلْتُ : إِنْ انْتَهَيْتُنَّ أَوْ لِيَبْدَلَنَّ اللَّهُ
رَسُولَهُ خَيْرًا مِنْكُنَّ ، حَتَّى أَتَيْتُ إِحْدَى نِسَائِهِ ، قَالَتْ :
يَا عُمَرُ ! أَمَا فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا يَعِظُ نِسَاءَهُ حَتَّى
تَعْظُهُنَّ أَنْتَ ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ
يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ ﴾ (الآية) * (١).

الأحاديث الواردة في «المعاتبة» معنى

١١ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ :

صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا فَرَحَّصَ فِيهِ ، فَتَنَزَّ عَنْهُ قَوْمٌ (٢)
فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَخَطَبَ فَحَمِدَ اللَّهَ ، ثُمَّ قَالَ : « مَا
بَالُ أَقْوَامٍ (٣) يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ ، فَوَاللَّهِ إِنْ نِي
لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدَّهُمْ لَهُ خَشْيَةً » * (٤).

١٢ - * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ : لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ سَبَّابًا وَلَا فَحَّاشًا وَلَا لَعَّانًا ،
كَانَ يَقُولُ لِأَحَدِنَا عِنْدَ الْمُعْتَبَةِ (٥) : « مَا لَهُ تَرَبَّ
جَبِينُهُ » (٦) * (٧).

(١) البخاري - الفتح ٨ (٤٤٨٣).

(٢) فتزعه عنه قوم : أي تباعد عنه قوم .

(٣) ما بال أقوام : في رواية جرير ما بال رجال قال ابن بطال :

هذا لا ينافي الترجمة ، لأن المراد بها المواجهة مع التعيين كأن
يقول ما بالك يا فلان تفعل كذا ، وما بال فلان يفعل كذا .
فأما مع الإبهام فلم تحصل المواجهة وإن كانت صورتها
موجودة وهي مخاطبة من فعل ذلك ، لكنه لما كان جملة
المخاطبين ولم يميز عنهم صار كأنه لم يخاطب .

(٤) البخاري - الفتح ١٠ (٦١٠١) واللفظ له مسلم (٢٣٥٦)

وترجم له البخاري في باب من لم يواجه الناس بالعتاب

(٥) كان يقول لأحدنا عند المعتبة : بفتح الميم وسكون المهملة
وكسر المثناة الفوقية - ويجوز فتحها - بعدها موحدة وهي
مصدر عتب عليه يعتب عتباً وعتاباً ومعتبة ومعاتبة ، قال
الخليل : العتاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموحدة .

(٦) ما له ترب جبينه : قال الخطابي : يحتمل أن يكون المعنى

خر لوجهه فأصاب التراب جبينه ويحتمل أن يكون دعاء
له بالعبادة كأن يصلي فيترب جبينه ، والأول أشبه لأن
الجبين لا يصلى عليه ، قال ثعلب : الجبينان يكتنفان الجبهة
ومنه قوله تعالى : ﴿ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ أي ألقاه على جبينه ،
قلت : وأيضاً فالثاني بعيد جداً ، لأن هذه الكلمة
استعملها العرب قبل أن يعرفوا وضع الجبهة بالأرض في
الصلاة وقال الداودي : قوله ترب جبينه كلمة تقولها
العرب جرت على ألسنتهم ، وهي من التراب ، أي سقط
جبينه للأرض ، وهو كقولهم رغم أنفه ، ولكن لا يراد معنى
قوله ترب جبينه ، بل هو نظير قوله تربت يمينك ، أي أنها
كلمة تجري على اللسان ولا يراد حقيقتها .

(٧) البخاري - الفتح ١٠ (٦٠٣١).

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في «المعابة»

١ - * (عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء (أو بذات الجيش) انقطع عقد لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر، فقالوا: ألا ترى إلى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ وبالناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء وليس معهم ماء، قالت: فعاتبني أبو بكر. وقال ما شاء الله أن يقول. وجعل يطعن بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فنام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم فتيمموا، فقال أسيد بن الحضير (وهو أحد النقباء): ماهي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، فقالت عائشة: فبعثنا البعير الذي كنت عليه، فوجدنا العقد تحته) * (١).

٢ - * (عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أنها خطبت على عبد الرحمن بن أبي بكر قريبة بنت أبي أمية فزوجوه، ثم إنهم عتبوا على عبد الرحمن

وقالوا: ما زوجنا إلا عائشة، فأرسلت عائشة إلى عبد الرحمن فذكرت ذلك له، فجعل أمر قريبة بيدها فاختارت زوجها، فلم يكن ذلك طلاقاً) * (٢).

٣ - * (قال أبو الدرداء - رضي الله عنه -: «معابة الأخ خير من فقهه») * (٣).

٤ - * (قال الزجاج: قال الحسن في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ قال: مَنْ فاتَهُ عمله من الذكر والشكر بالنهار، كان له في الليل مُستعْتَب، وَمَنْ فاتَهُ بالليل، كان له في النهار مُستعْتَب، قال: أراه يعني وقت استعتاب أي وقت طلب عتبي، كأنه أراد وقت استغفار) * (٤).

٥ - * (قال أبو الحسن بن مُنقِذ: أخلاقك الغر السجايا ما لها

حملت قذى الواشين وهي سلاف ومِراة رأيك في عبيدك ما لها

صدئت وأنت الجوهر الشفاف) * (٥).

٦ - * (قيل: العتاب خير من الحقد، ولا يكون العتاب إلا على زلة، وقد مدحه قوم فقالوا: العتاب حدائق المتحايين، ودليل على بقاء المودة... وذمه بعضهم، قال إياس بن معاوية: وخرجت في

(٤) لسان العرب «عتب».

(٥) المستطرف (١/٢٨٣).

(١) البخاري - الفتح ١ (٣٣٤)، مسلم (٣٦٧) واللفظ له.

(٢) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك (٢/٨٢).

(٣) لسان العرب «عتب».

سَفَرٍ وَمَعِيَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ
الْمَنَاهِلِ لَقِيَهُ ابْنُ عَمٍّ لَهُ فَتَعَانَقَا ، وَتَعَاتَبَا وَإِلَى جَانِبِهِمَا
شَيْخٌ مِنَ الْحَيِّ . فَقَالَ لَهُمَا : أَنْعِمَا عَيْشًا ، إِنَّ الْمُعَاتِبَةَ
تَبْعَثُ التَّجَنِّي ، وَالتَّجَنِّي يَبْعَثُ الْمُخَاصِمَةَ ،
وَالْمُخَاصِمَةُ تَبْعَثُ الْعَدَاوَةَ ، وَلَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ ثَمَرَتْهُ
الْعَدَاوَةُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

فَدَعَ الْعِتَابَ قَرَبَ شَرِّ

رِ هَاجَ أَوَّلُهُ الْعِتَابُ) * (١)

٧ - * (كَانَ ابْنُ عُرَادَةَ السَّعْدِيُّ مَعَ سَلَمِ بْنِ
زِيَادٍ بِخُرَاسَانَ ، وَكَانَ لَهُ مُكْرِمًا ، وَابْنُ عُرَادَةَ يَتَجَنَّى
عَلَيْهِ ، فَفَارَقَهُ وَصَاحِبَ غَيْرِهِ ، ثُمَّ نَدِمَ وَرَجَعَ إِلَيْهِ ، وَقَالَ :
عَتَبْتُ عَلَى سَلَمٍ فَلَمَّا فَقَدْتُهُ

وَصَاحَبْتُ أَقْوَامًا بَكَيْتُ عَلَى سَلَمٍ

رَجَعْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ تَجْرِبٍ غَيْرِهِ

فَكَانَ كَبْرًا بَعْدَ طُولٍ مِنَ السُّقْمِ) * (٢)

٨ - * (قَالَ الْغَطَمَشُ الضَّبِّيُّ :

أَقُولُ وَقَدْ فَاضَتْ بِعَيْنِي عِبْرَةٌ

أَرَى الدَّهْرَ يَبْقَى وَالْأَخْلَاءُ تَذْهَبُ

أَخْلَايَ لَوْ غَيْرُ الْحِمَامِ أَصَابَكُمْ

عَتَبْتُ وَلَكِنْ لَيْسَ لِلدَّهْرِ مَعْتَبُ) * (٣)

٩ - * (وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ :

فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتَبٍ

وَلَا ذَاكَرَ اللَّهِ إِلَّا قَلِيلًا) * (٤)

١٠ - * (قَالَ الشَّاعِرُ :

أُعَاتِبُ ذَا الْمَوَدَّةِ مِنْ صَدِيقٍ

إِذَا مَا رَأَيْتُ مِنْهُ اجْتِنَابُ

إِذَا ذَهَبَ الْعِتَابُ فَلَيْسَ وَدُّ

وَيَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ) * (٥)

١١ - * (قَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ :

إِذَا كُنْتُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا

صَدِيقَكَ لَنْ تَلْقَى الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ .

وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى

ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ؟

فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ

مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ) * (٦)

١٢ - * (وَقَالَ آخَرُ :

دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ تَسْمُو وَتَعْلُو

عُلُوُّ النَّجْمِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ

فَلَمَّا أَنْ سَمَوْتَ بَعُدْتَ عَنِّي

فَكَانَ إِذَا عَلَى نَفْسِي دُعَائِي) * (٧)

١٣ - * (وَقَالَ آخَرُ يُعَاتِبُ صَدِيقَهُ عَلَى كِتَابٍ

أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ :

اقْرَأْ كِتَابَكَ ، وَاعْتَبِرْهُ قَرِيبًا

فَكَفَى بِنَفْسِكَ لِي عَلَيْكَ حَسِيًّا

(١) المستطرف (٢٨٢/١) واللسان «عتب» .

(٢) المستطرف (٢٨٣/١) .

(٣) لسان العرب «عتب» .

(٤) المصدر السابق «عتب» .

(٥) لسان العرب «عتب» .

(٦) أدب الدنيا والدين (١٧٩) .

(٧) المستطرف (٢٨٣/١) .

أَكْذَا يَكُونُ خِطَابُ إِخْوَانِ الصِّفَا
فَكُنْ قَائِلًا قَوْلَ الْحَمَاسِيِّ تَائِهًا
إِنْ أَرْسَلُوا جَعَلُوا الْخِطَابَ خُطُوبًا
بِنَفْسِكَ عَجَبًا وَهُوَ مِنْكَ قَلِيلُ
مَا كَانَ عُذْرِي إِنْ أَجَبْتُ بِمِثْلِهِ
وَنُكِرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ
أَوْ كُنْتُ بِالْعَتَبِ الْعَنِيفِ مُجِيبًا
لَكِنِّي خِفْتُ انْتِقَاصَ مَوَدَّتِي
وَلَا يَنْكُرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ*^(٢)
فِيَعِدُّ إِحْسَانِي إِلَيْكَ ذُنُوبًا*^(١)
وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي الْعِتَابِ :
وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةٌ بَيْنَ أَقْوَامٍ
وَهُوَ الْمَحَكُّ لَدَى لُبِّسٍ وَإِيهَامٍ
فَمَا شَمَّ شَيْءٌ أَحْسَنُ مِنْ مُعَاتِبَةِ الْأَحْبَابِ ، وَلَا
أَلَدُّ مِنْ مُخَاطَبَةِ ذَوِي الْأَلْبَابِ*^(٣)
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ ظَنَّاكَ سَيِّئٌ
وَلَيْسَ لَأَقْوَالِي لَدَيْكَ قَبُولُ
بِأَهْلِ الْوَفَا وَالظَّنُّ فِيكَ جَمِيلُ

من فوائد «المعاتبه»

- (١) تُزِيلُ صَدَأَ الْبُغْضِ وَالْكَرَاهِيَةِ مِنَ الْقُلُوبِ.
- (٢) تَزِيدُ الْمَحَبَّةَ وَالْأُلْفَةَ.
- (٣) تُذْهِبُ نَزْعَ الشَّيْطَانِ وَوَسَاوِسَهُ.
- (٤) تُنَقِّي النُّفُوسَ وَتُطَهِّرُهَا مِنْ ظُنُونِ الْإِثْمِ.
- (٥) تُقَوِّي أَوَاصِرَ الْوُدِّ وَالتَّفَاهُمِ فِي الْمُجْتَمَعِ.

معرفة الله - عز وجل -

الآيات	الأحاديث	الآثار
٣٤	٦	٣٢

المعرفة لغة:

مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ: عَرَفَ الشَّيْءَ يَعْرِفُهُ، وَهِيَ مَأْخُودَةٌ مِنْ مَادَّةِ (ع ر ف) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى السُّكُونِ وَالطَّمَأْنِينَةِ، يَقُولُ ابْنُ فَارِسٍ: الْعَيْنُ وَالرَّاءُ وَالْفَاءُ أَصْلَانِ^(١) صَحِيحَانِ يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى تَتَابُعِ الشَّيْءِ الشَّيْءَ مُتَّصِلًا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَالْآخَرُ عَلَى السُّكُونِ وَالطَّمَأْنِينَةِ، وَمِنْ الْأَصْلِ الْأَوَّلِ: عُرِفَ الْفَرَسُ لِتَتَابُعِ الشَّعْرِ عَلَيْهِ، وَجَاءَتْ الْقَطَا عُرْفًا عُرْفًا أَيَّ بَعْضُهَا خَلْفَ بَعْضٍ، وَالْأَصْلُ الْآخَرُ، الْمَعْرِفَةُ وَالْعِرْفَانُ، تَقُولُ: عَرَفَ فُلَانٌ فُلَانًا عِرْفَانًا وَمَعْرِفَةً، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْرُوفٌ لِأَنَّ مَنْ عَرَفَ شَيْئًا سَكَنَ إِلَيْهِ وَمَنْ أَنْكَرَهُ تَوَحَّشَ مِنْهُ وَنَبَا عَنْهُ^(٢)، وَقَالَ الْخَلِيلُ: وَنَفَسَ عُرُوفٌ، إِذَا حُمِلَتْ عَلَى أَمْرٍ بَسَاتَ بِهِ أَيَّ اطْمَأْنَنْتَ، قَالَ الشَّاعِرُ:

فَاقْبُوا بِالنِّسَاءِ مُرَدَّفَاتٍ

عَوَارِفَ بَعْدَ كِنٍّ وَاتِّجَاحٍ^(٣).
وَالْعَرَفُ: رِيحٌ طَيِّبٌ، تَقُولُ: مَا أَطْيَبَ عَرْفُهُ،
وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ﴾

(محمد/٦) أَيَّ طَيِّبَهَا^(٤)، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : الْمَعْنَى فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: طَيِّبَهَا لَهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَلَاذِّ، وَقِيلَ: الْمَعْنَى: إِذَا دَخَلُوهَا يُقَالُ لَهُمْ: تَفَرَّقُوا إِلَى مَنَازِلِكُمْ، فَهُمْ أَعْرِفُ بِمَنَازِلِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْجُمُعَةِ إِذَا انْصَرَفُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ^(٥).

وَقَالَ الرَّاعِبُ: الْمَعْرِفَةُ (كَالْعِرْفَانِ) مِنْ قَوْلِهِمْ: عَرَفْتُ الشَّيْءَ أَيَّ أَصَبْتُ عَرَفُهُ أَيَّ رَأَيْتُهُ أَوْ حَدَّهُ^(٦)، وَقَالَ الْفَيْرُوزَابَادِيُّ: يُقَالُ: عَرَفَهُ يَعْرِفُهُ إِذَا عَلِمَهُ (عِلْمًا خَاصًّا)، أَيَّ أَدْرَكَهُ بِتَفَكُّرٍ وَتَدَبُّرٍ لِأَثَرِهِ، قَالَ: وَهِيَ أَخْصَصُ مِنَ الْعِلْمِ، يُقَالُ: فُلَانٌ يَعْرِفُ اللَّهَ وَلَا يُقَالُ: يَعْلَمُ اللَّهُ لِأَنَّ مَعْرِفَةَ الْبَشَرِ لِلَّهِ تَعَالَى هِيَ بِتَدَبُّرٍ آثَارِهِ دُونَ إِدْرَاكِ ذَاتِهِ، وَيُقَالُ: اللَّهُ يَعْلَمُ كَذَا، وَلَا يُقَالُ: يَعْرِفُ كَذَا لِأَنَّ الْمَعْرِفَةَ تُسْتَعْمَلُ فِي الْعِلْمِ الْقَاصِرِ الْمُتَوَصِّلِ إِلَيْهِ بِتَفَكُّرٍ وَتَدَبُّرٍ^(٧).

وَيُرَادُفُ الْمَعْرِفَةُ الْعِرْفَانُ وَالْعِرْفَةُ، قَالَ فِي الْقَامُوسِ: يُقَالُ: عَرَفَهُ يَعْرِفُهُ مَعْرِفَةً وَعِرْفَانًا وَعِرْفَةً (بِالْكَسْرِ)، وَعِرْفَانًا، وَالْوَصْفُ مِنْ ذَلِكَ عَارِفٌ

ج ١٦ ص ١٥٣، والرأي الأول يجعل اللفظ مشتقًا من العَرَفِ وهو الرَّائِحَةُ، والثاني يجعله مُشْتَقًّا مِنَ التَّعْرِيفِ وهو الإعلام بالشيء، وكلاهما راجع إلى معنى السكون والطمأنينة.

(٦) المفردات للراغب ص ٣٣٣.

(٧) بصائر ذوي التمييز ٤/ ٤٧.

(١) معنى «أصلان» في قول ابن فارس: أن له معنيين أصليين تُقَاسُ عليهما مشتقات المادة.

(٢) مقاييس اللغة ٤/ ٢٨١ (بتصرف).

(٣) الاتِّجَاحُ مِنَ الْوِجَاحِ وهو السُّرُّ، والمراد: معترفات بالذُّلِّ والهوان.

(٤) كتاب العين ٢/ ١٢٣.

(٥) انظر هذين الرأيين وغيرهما في تفسير القرطبي مجلد ٨

وَعَرِيفٌ وَعَرُوفَةٌ^(١)، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: (وَمِنْ مَعَانِي)
الْعَارِفِ: الصَّبُورُ، يُقَالُ: أُصِيبَ فُلَانٌ فَوُجِدَ عَارِفًا،
وَالْعَرُوفُ مِثْلُهُ، قَالَ عَنَتَرَةُ:

فَصَبَرْتُ عَارِفَةً لِدَلِكِ حُرَّةً

تَرَسُّو إِذَا نَفْسُ الْجَبَانِ تَطَّلَعُ
وَقَوْلُهُمْ: رَجُلٌ عَرُوفَةٌ بِالْأُمُورِ أَيُّ عَارِفٌ بِهَا،
وَالِهَاءُ لِلْمُبَالَغَةِ، وَالْعَارِفُ وَالْعَرِيفُ بِمَعْنَى، وَأَنْشَدَ
الْأَخْفَشُ لَطَرِيفِ بْنِ عَمْرِو الْغَنَوِيِّ:
أَوْ كَلَّمَا وَرَدَتْ عُكَازَ قَبِيلَةٍ

بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ
وَالْتَّعْرِيفُ: الْإِعْلَامُ، وَالتَّعْرِيفُ: إِنْشَادُ الدَّائِيَةِ،
وَالْتَّعْرِيفُ: التَّطْيِيبُ (مِنْ الْعَرَفِ)، وَالتَّعْرِيفُ:
الْوُقُوفُ بِعَرَفَاتٍ، وَالْعَرَّافُ: الْكَاهِنُ، وَالْعَرَّافُ:
الطَّيِّبُ^(٢)، وَقَوْلُهُمْ: أَمْرٌ عَرِيفٌ وَعَارِفٌ أَيُّ مَعْرُوفٌ
(فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ)، وَيُقَالُ: أَعْرِفَ فُلَانٌ فُلَانًا
وَعَرَفَهُ: وَقَفَهُ عَلَى ذَنْبِهِ، ثُمَّ عَفَا عَنْهُ، وَعَرَفَهُ الْأَمْرُ: أَعْلَمَهُ
إِيَّاهُ، وَعَرَفَهُ بَيِّنُهُ: أَعْلَمَهُ بِمَكَانِهِ، وَعَرَفَهُ بِهِ: وَسَمَهُ (أَيُّ
وَصَفَهُ لَهُ). قَالَ سَيَبَوِيهِ: وَأَمَّا عَرَفْتُهُ بِزَيْدٍ فَإِنَّمَا عَرَفْتُهُ
بِهَذِهِ الْعَلَامَةِ وَأَوْضَحْتُهُ بِهَا، وَقَوْلُهُمْ: اعْتَرَفَ الْقَوْمُ:
سَأَلَهُمْ، وَقِيلَ: سَأَلَهُمْ عَنْ خَبَرٍ لِيَعْرِفَهُ، وَرُبَّمَا وَضَعُوا
عَرَفَ مَوْضِعَ اعْتَرَفَ، كَمَا وَضَعُوا اعْتَرَفَ مَوْضِعَ عَرَفَ،
وَقَوْلُهُمْ: تَعَرَّفْتُ مَا عِنْدَ فُلَانٍ، أَيُّ تَطَلَّبْتُ حَتَّى عَرَفْتُ،

وَتَقُولُ: ائْتِ فُلَانًا فَاسْتَعْرِفْ إِلَيْهِ حَتَّى يَعْرِفَكَ،
وَتَعَارَفَ الْقَوْمُ: عَرَفَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا^(٣)، وَجَاءَ فِي
حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «... فَيَقَالُ لَهُمْ: هَلْ تَعْرِفُونَ
رَبَّكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: إِذَا اعْتَرَفَ لَنَا عَرَفْنَاهُ» قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ:
أَيُّ إِذَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِصِفَةٍ نَحَقَّقَهُ بِهَا عَرَفْنَاهُ^(٤)، وَقَوْلُ
اللَّهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا
يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (البقرة/ ١٤٦) الضَّمِيرُ فِي
«يَعْرِفُونَهُ» يَرْجِعُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ
نُبُوَّتَهُ وَصِدْقَ رِسَالَتِهِ^(٥)، أَمَّا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَعْرِفُونَ
نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾
(النحل/ ٨٣) النِّعْمَةُ هِيَ نُبُوَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنْكَارُهَا
تَكْذِيبُهُ، وَقِيلَ: يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ بِتَقَلُّبِهِمْ فِيهَا،
وَيُنْكِرُونَهَا بِتَرْكِ الشُّكْرِ عَلَيْهَا^(٦)، وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ:
(الْمَعْنَى) يَعْرِفُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْمُسْدِي إِلَيْهِمْ ذَلِكَ
(الْفَضْلَ) وَهُوَ الْمُتَقَضِّلُ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَمَعَ هَذَا يُنْكِرُونَ
ذَلِكَ وَيَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ وَيُسْنِدُونَ الرِّزْقَ وَالنَّصْرَ
لِسِوَاهُ^(٧).

لفظ الجلالة لغة:

اختلف اللُّغَوِيُّونَ فِي لَفْظِ الْجَلَالَةِ «اللَّهُ» فَقَالَ
بَعْضُهُمْ إِنَّهُ عَلَمٌ غَيْرُ مُشْتَقٍّ، وَهُوَ اسْمٌ مَوْضُوعٌ هَكَذَا
«اللَّهُ» وَلَيْسَ أَصْلُهُ «إِلَٰهٌ» وَلَيْسَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي يَجُوزُ
فِيهَا اسْتِثْقَاكُ فِعْلٍ، كَمَا يَجُوزُ فِي الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

(٥) تفسير القرطبي ٢/ ١١٠.

(٦) السابق ١٠/ ١٠٦ المرجع، وقد ذكر في الآية الكريمة ستة

وجوه أخرى تنظر في الموضع المذكور.

(٧) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٨٠ (بتصرف يسير).

(١) القاموس المحيط (عرف) ص ١٠٨٠ (ط. بيروت).

(٢) الصحاح ٤/ ١٤٠٣.

(٣) لسان العرب (عرف) ص ٢٨٩٨ (ط. دار المعارف).

(٤) النهاية لابن الأثير ٣/ ٢١٧.

وَقِيلَ إِنَّهُ مُشْتَقٌّ، وَأَصْلُهُ إِلاَّ، ثُمَّ دَخَلَتْ عَلَيْهِ
الْأَلِفُ وَاللَّامُ، فَقِيلَ الْإِلاَّ، ثُمَّ حُذِفَتْ هَمْزَتُهُ تَخْفِيفًا
لِكَثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ، وَأُدْغِمَ اللَّامَانِ^(١) مَعَ التَّفْخِيمِ،
وَلَكِنَّ اللَّامَ تُرْقِّقُ إِذَا كُسِرَ مَا قَبْلَهَا.

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ: فَأَمَّا قَوْلُهُ «الله»^(٢). فَهُوَ اسْمٌ
لِلْمَوْجُودِ الْحَقِّ، الْجَامِعِ لِصِفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، الْمَنْعُوتِ
بِنُعُوتِ الرُّبُوبِيَّةِ، الْمُتَفَرِّدِ بِالْوُجُودِ الْحَقِيقِيِّ، فَإِنَّ كُلَّ
مَوْجُودٍ سِوَاهُ غَيْرُ مُسْتَحَقِّ الْوُجُودِ بِذَاتِهِ، وَإِنَّمَا اسْتِفَادَ
الْوُجُودَ مِنْهُ - سُبْحَانَهُ - وَكُلُّ مَا عَدَاهُ مِنْ حَيْثُ ذَاتُهُ
هَالِكٌ، وَمِنْ الْجِهَةِ الَّتِي تَلِيهِ مَوْجُودٌ، فَكُلُّ مَوْجُودٍ
هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ، وَالْأَشْبَهُ أَنَّهُ جَارٍ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى هَذَا
الْمَعْنَى مَجْرَى أَسْمَاءِ الْأَعْلَامِ، وَكُلُّ مَا ذَكَرَ فِي اسْتِقَاقِهِ
وَتَعْرِيفِهِ تَعَسَّفٌ وَتَكَلُّفٌ^(٣).

وَقَالَ السَّفَارِينِيُّ: «الله» عَلَمٌ لِلذَّاتِ الْوَاجِبِ
الْوُجُودِ لِذَاتِهِ، الْمُسْتَحَقِّ لِجَمِيعِ الْكَمَالَاتِ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ
عِنْدَ سِيبَوِيهِ، وَاسْتِقَاقُهُ مِنْ أَلَةٍ (عَلَى وَزْنِ فَعَلٍ) إِذَا
تَحَيَّرَ لِتَحْيِيرِ الْخَلْقِ فِي كُنْهِ ذَاتِهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ. وَقِيلَ:
مِنْ لَاهٍ يَلِيهِ إِذَا عَلَا، أَوْ مِنْ لَاهٍ يَلُوهُ، إِذَا اخْتَجَبَ،
وَهَذَا الْاسْمُ عَرَبِيٌّ عِنْدَ الْأَكْثَرِ، وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ
مُعَرَّبٌ، فَقِيلَ عِبْرِيٌّ وَقِيلَ سُورِيَانِيٌّ، قَالَ السَّفَارِينِيُّ:

وَالْقَوْلُ بِأَنَّهُ مُعَرَّبٌ سَاقِطٌ لَا يُلْتَمَذُ إِلَيْهِ^(٤).

وَقَوْلُهُمْ «اللَّهُمَّ» مَعْنَاهُ: يَا اللَّهُ وَهَذِهِ الْمِيمُ
الْمُسَدَّدَةُ عَوْضٌ مِنْ «يَا» (الَّتِي لِلنِّدَاءِ)، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا
«يَا» مَعَ هَذِهِ الْمِيمِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَوَجَدُوا اسْمَ اللَّهِ
مُسْتَعْمَلًا بِـ «يَا» إِذَا لَمْ يَذْكُرُوا الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ،
فَعَلِمُوا أَنَّ الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ «يَا» فِي أَوَّلِهَا،
وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْاسْمِ الْمُنَادَى
الْمُفْرَدِ، وَالْمِيمُ مَفْتُوحَةٌ لِسُكُونِهَا وَسُكُونِ الْمِيمِ
قَبْلَهَا^(٥)، وَمِنْ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ إِذَا طَرَحَ الْمِيمَ: يَا اللَّهُ
اغْفِرْ لِي (بِهَمْزَةٍ)، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: يَا اللَّهُ (بِغَيْرِ هَمْزٍ)،
فَمَنْ حَذَفَ الْهَمْزَةَ فَهُوَ عَلَى السَّبِيلِ (الْمُعْتَادِ) فِي حَذْفِ
الْهَمْزَةِ مَعَ يَاءِ النِّدَاءِ، وَمَنْ هَمْزَهَا فَعَلَى تَوْهْمِ أَصَالَتِهَا
نَظَرًا لِعَدَمِ سُقُوطِهَا (فِي غَيْرِ النِّدَاءِ)^(٦).

المعرفة اصطلاحًا:

قَالَ الْكَفَوِيُّ: الْمَعْرِفَةُ هِيَ الْإِدْرَاكُ الْمَسْبُوقُ
بِالْعَدَمِ، وَتُقَالُ أَيْضًا لِثَانِي الْإِدْرَاكِينِ إِذَا تَخَلَّلَهَا عَدَمٌ،
وَلِإِدْرَاكِ الْأَمْرِ الْجُزْئِيِّ أَوْ الْبَسِيطِ^(٧).

وَقَالَ الْجُرْجَانِيُّ: الْمَعْرِفَةُ إِدْرَاكُ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ
عَلَيْهِ، وَهِيَ مَسْبُوقَةٌ بِنِسْيَانٍ حَاصِلٍ بَعْدَ الْعِلْمِ،
وَلِذَلِكَ يُسَمَّى الْحَقُّ تَعَالَى بِالْعَالِمِ دُونَ الْعَارِفِ^(٨).

(١) المعجم الكبير ١/ ٤٣٣.

(٢) قوله «الله» يشير الغزالي إلى قول الرسول ﷺ في الحديث
الشريف الذي رواه مسلم (٢٦٧٧) عن أبي هريرة، وهو
قوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - تِسْعَةٌ
وَتِسْعِينَ اسْمًا».

(٣) المقصد الأسنى ص ٦١.

(٤) غذاء الألباب، شرح منظومة الآداب ١/ ١٠.

(٥) لسان العرب ١٣/ ٤٧٠ (ط. بيروت)، وقد نسب هذا
الرأي للخليل وسيبويه وجميع النحويين الموثوق بهم.

(٦) بتصرف يسير عن المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٧) الكليات للكفوي ص ٨٢٤.

(٨) التعريفات ص ٣٣٦.

وَقَالَ صَاحِبُ التَّوْقِيفِ (بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ تَعْرِيفَ الْجُرْجَانِيِّ): الْمَعْرِفَةُ عِنْدَ الْقَوْمِ سُمُوُ الْيَقِينِ، وَقِيلَ: سُقُوطُ الْوَهْمِ لِيُضَوِّحَ الْأِسْمَ^(١).

وَقَالَ الْفَيْرُوزَابَادِيُّ: الْمَعْرِفَةُ إِدْرَاكُ الشَّيْءِ بِتَفَكُّرٍ وَتَدَبُّرٍ لِأَثَرِهِ، يُقَالُ: فَلَانٌ يَعْرِفُ اللَّهَ، لِأَنَّ مَعْرِفَةَ الْبَشَرِ لِلَّهِ إِنَّمَا هِيَ بِتَدَبُّرِ آثَارِهِ دُونَ إِدْرَاكِ ذَاتِهِ، وَهِيَ أَخْصَصُ مِنَ الْعِلْمِ^(٢).

الفرق بين المعرفة والعلم:

قَالَ الْفَيْرُوزَابَادِيُّ: الْفَرْقُ بَيْنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ مِنْ وَجْهِ لَفْظٍ وَمَعْنَى، أَمَّا مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ فَفِعْلُ الْمَعْرِفَةِ (عَرَفَ - يَعْرِفُ ...) يَتَعَدَّى لِلْفِعُولِ وَاحِدٍ، تَقُولُ عَرَفْتُ زَيْدًا، وَفِعْلُ الْعِلْمِ (عِلِمَ - يَعْلَمُ ...) يَتَعَدَّى لِلْفُعُولَيْنِ، كَمَا فِي قَوْلِكَ عَلِمْتُهُ مُؤْمِنًا، وَإِذَا تَعَدَّى لِلْفِعُولِ وَاحِدٍ كَانَ بِمَعْنَى الْمَعْرِفَةِ كَقَوْلِكَ: هَذَا أَمْرٌ لَا تَعْلَمُهُ أَيُّ لَا تَعْرِفُهُ^(٣).

أَمَّا الْفَرْقُ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى فَمِنْ وَجْهِهِ:

الْأَوَّلُ: الْمَعْرِفَةُ تَتَعَلَّقُ بِذَاتِ الشَّيْءِ، وَالْعِلْمُ يَتَعَلَّقُ بِأَحْوَالِهِ وَلِذَلِكَ جَاءَ الْأَمْرُ فِي الْقُرْآنِ بِالْعِلْمِ دُونَ الْمَعْرِفَةِ، وَذَلِكَ كَمَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (محمد/ ١٩).

الثَّانِي: الْمَعْرِفَةُ فِي الْغَالِبِ تَكُونُ لِمَا غَابَ عَنِ

الْقَلْبِ بَعْدَ إِدْرَاكِهِ فَإِذَا أَدْرَكَهُ قِيلَ: عَرَفَهُ وَذَلِكَ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (يوسف/ ٥٨)، وَالْمَعْرِفَةُ عَلَى هَذَا نِسْبَةُ الذِّكْرِ النَّفْسِيِّ وَهُوَ حُضُورُ مَا كَانَ غَائِبًا عَنِ الذَّاكِرِ، وَلِذَا فَإِنَّ ضِدَّ الْمَعْرِفَةِ الْإِنْكَارُ وَضِدَّ الْعِلْمِ الْجَهْلُ.

الثَّالِثُ: أَنَّ الْمَعْرِفَةَ تُفِيدُ تَمْيِيزَ الْمَعْرُوفِ عَنْ غَيْرِهِ، وَالْعِلْمُ يُفِيدُ تَمْيِيزَ مَا يُوصَفُ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ، ذَلِكَ أَنَّ التَّمْيِيزَ الْحَاصِلَ عَنِ الْمَعْرِفَةِ يَرْجِعُ إِلَى إِدْرَاكِ الذَّاتِ وَإِدْرَاكِ صِفَاتِهَا، أَمَّا تَمْيِيزُ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى تَخْلِصِ الذَّاتِ وَتَخْلِصِ صِفَاتِهَا مِنْ غَيْرِهَا^(٤).

الرَّابِعُ: الْمَعْرِفَةُ عِلْمٌ بِعَيْنِ الشَّيْءِ مُفَصَّلًا عَمَّا سِوَاهُ، بِخِلَافِ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ قَدْ يَتَعَلَّقُ بِالشَّيْءِ مُجْمَلًا^(٥).

الخَامِسُ: وَأَضَافَ الْكَفَوِيُّ إِلَى ذَلِكَ فَرْقًا آخَرَ هُوَ أَنَّ الْعِلْمَ أَعَمُّ مِنَ الْمَعْرِفَةِ، فَالْمَعْرِفَةُ تُقَالُ فِيمَا لَا يُعْرَفُ إِلَّا كَوْنُهُ مَوْجُودًا فَقَطْ، وَالْعِلْمُ يُقَالُ فِي ذَلِكَ وَفِي غَيْرِهِ^(٦).

لفظ الجلالة اصطلاحًا:

«الله»

قَالَ الْغَزَالِيُّ: هُوَ الْأِسْمُ الدَّالُّ عَلَى الذَّاتِ الْجَامِعَةِ لِصِفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ كُلِّهَا حَتَّى لَا يَشُدَّ مِنْهَا شَيْءٌ، وَسَائِرُ الْأَسْمَاءِ لَا يَدُلُّ أَحَادُهَا إِلَّا عَلَى أَحَادِ الْمَعَانِي، مِنْ

أن تجربه على أي حال علمته، فإذا قلت: كريماً أو شجاعاً حصلت له الفائدة، وإذا قلت: عرفت زيدا استفاد المخاطب أنك أثبتته وميزته عن غيره ولم ينتظر شيئاً، ولهذا الفرق أيضاً علاقة بالتعدي واللزوم الراجعين إلى المجال اللغوي.

(٥) بصائر ذوي التمييز (بتصرف واختصار) ٤٩ / ٤ - ٥١.

(٦) الكليات ص ٨٢٤.

(١) انظر التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص ٣١٠.

(٢) بصائر ذوي التمييز ٤٧ / ٤.

(٣) بصائر ذوي التمييز (بتصرف) وقد استبدلنا الأمثلة التي ذكرها الفيروزابادي، وهي أمثلة قرآنية تحتاج إلى التفسير بأمثلة مبسطة قصداً للإيجاز.

(٤) ذكر الفيروزابادي فرقاً آخر يتعلق بهذا الفرق ويرجع إليه وهو أنك إذا قلت: علمت زيدا لم تغد المخاطب شيئاً لأنه ينتظر

حكم معرفة الله عز وجل:

قَالَ الْكَفَوِيُّ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالذَّلِيلِ
الْإِجْمَالِيِّ فَرَضٌ عَيْنٌ لَا مَخْرَجَ عَنْهُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُكَلَّفِينَ،
وَهِيَ بِالتَّفْصِيلِ فَرَضٌ كِفَايَةٌ لَا بُدَّ أَنْ يَقُومَ بِهِ الْبَعْضُ^(٦).

تفاضل الناس في المعرفة:

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: أَصْلُ التَّفَاضُلِ بَيْنَ
النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ. وَإِذَا كَانُوا يَتَفَاضَلُونَ
فِيمَا يَعْرِفُونَهُ مِنَ الْمَعْرُوفَاتِ، وَإِذَا كَانُوا يَتَفَاضَلُونَ فِي
مَعْرِفَةِ الْمَلَائِكَةِ وَصِفَاتِهِمُ وَالتَّصَدِيقِ بِهِمْ، فَتَفَاضَلُهُمْ فِي
مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَالتَّصَدِيقِ بِهِ أَعْظَمُ، وَكَذَلِكَ إِنْ
كَانُوا يَتَفَاضَلُونَ فِي مَعْرِفَةِ رُوحِ الْإِنْسَانِ وَصِفَاتِهَا،
وَالْتَّصَدِيقِ بِهَا، أَوْ فِي مَعْرِفَةِ الْجَنِّ وَصِفَاتِهِمْ وَفِي
التَّصَدِيقِ بِهِمْ، أَوْ فِي مَعْرِفَةِ مَا فِي الْآخِرَةِ مِنَ النِّعَمِ
وَالْعَذَابِ، فَتَفَاضَلُهُمْ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ (أَعْظَمُ)،
بَلْ إِنْ كَانُوا مُتَفَاضِلِينَ فِي مَعْرِفَةِ أَبْدَانِهِمْ وَصِفَاتِهَا،
وَصِحَّتِهَا وَمَرَضِهَا، وَمَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ فَتَفَاضَلُهُمْ فِي مَعْرِفَةِ
اللَّهِ تَعَالَى أَعْظَمُ وَأَعْظَمُ، إِنْ كُلُّ مَا يُعْلَمُ وَيُقَالُ يَدْخُلُ فِي
مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى، إِذْ لَا مَوْجُودَ إِلَّا وَهُوَ خَلْقُهُ وَكُلُّ مَا فِي
الْمَخْلُوقَاتِ مِنَ الصِّفَاتِ وَالْأَسْمَاءِ وَالْأَقْدَارِ وَالْأَفْعَالِ
شَوَاهِدٌ وَدَلَالٌ عَلَى مَا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى

عِلْمٍ وَقُدْرَةٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَهُوَ أَحْصَى أَسْمَاءَهُ
تَعَالَى، إِذْ لَا يُطْلَقُ أَحَدٌ عَلَى غَيْرِهِ لَا حَقِيقَةً وَلَا مَجَازًا،
وَسَائِرُ الْأَسْمَاءِ قَدْ يُسَمَّى بِهَا غَيْرُهُ، وَلِهَذَا يَنْبَغِي الْوَجْهَيْنِ
يُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْأِسْمُ أَعْظَمَ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ^(١).

وَقَالَ السَّفَارِينِيُّ: وَهُوَ (أَي لَفْظُ الْجَلَالَةِ) الْأِسْمُ
الْأَعْظَمُ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَعَدَمُ الْإِجَابَةِ لِأَكْثَرِ
النَّاسِ مَعَ الدُّعَاءِ بِهِ لِتَخَلُّفِ بَعْضِ شُرُوطِهِ الَّتِي مِنْ
أَهْمِّهَا الْإِخْلَاصُ وَأَكْلُ الْحَلَالِ، وَقَدْ قُدِّمَ عَلَى الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ (فِي الْبَسْمَلَةِ) لِأَنَّهُ اسْمُ ذَاتٍ فِي الْأَصْلِ، وَهُمَا
اسْمَا صِفَةٍ فِي الْأَصْلِ وَالذَّاتِ مُتَقَدِّمَةٌ عَلَى الصِّفَةِ^(٢).

وَقَالَ مُؤَلِّفُ الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ: اللَّهُ: عَلَمٌ عَلَى الْإِلَهِ
الْمَعْبُودِ بِحَقِّ، الْجَامِعِ لِكُلِّ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَتَقَرَّدَ
سُبْحَانَهُ بِهَذَا الْأِسْمِ فَلَا يَشْرُكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ^(٣).

معرفة الله عز وجل اصطلاحًا:

قَالَ الْكَفَوِيُّ: الْمَعْرِفَةُ فِي اصْطِلَاحِهِمْ: هِيَ
مَعْرِفَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِلَا كَيْفٍ وَلَا تَشْبِيهِ^(٤).

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هِيَ ثَمَرَةُ
التَّوْحِيدِ، وَالْمُرَادُ بِهَا: مَعْرِفَتُهُ عَزَّ وَجَلَّ بِصِفَاتِهِ الْوَاجِبَةِ
لَهُ مَعَ تَنْزِيهِهِ عَمَّا يَسْتَحِيلُ اتِّصَافُهُ بِهِ، مَعْرِفَةٌ صَحِيحَةٌ
نَاشِئَةٌ عَنِ الْأَدِلَّةِ الْيَقِينِيَّةِ^(٥).

(٥) انظر توضيح العقيدة المفيدة في علم التوحيد ص ٧.

(٦) الكليات ص ٨٢٥، والمراد بالمعرفة التفصيلية معرفة ما جاء

به القرآن الكريم والسُّنَّةُ المطهرة عن الله - عز وجل -
وأسمائه وصفاته، لا ما ادخره الله في علم الغيب عنده.

(١) المقصد الأسنى ص ٦٠.

(٢) غذاء الألباب، شرح منظومة الآداب ١/ ١٠.

(٣) المعجم الكبير، تأليف لجنة من أعضاء مجمع اللغة العربية
بالقاهرة (انظر قائمة المراجع).

(٤) الكليات ص ٨٢٥.

وَالصِّفَاتِ الْعُلَى، وَكُلُّ كَمَالٍ فِي الْمَخْلُوقَاتِ مِنْ أَثَرِ كَمَالِهِ، وَكُلُّ كَمَالٍ ثَبَتَ لِمَخْلُوقٍ فَالْخَالِقُ أَحَقُّ بِهِ، وَكُلُّ نَقْصٍ تَنَزَّ عَنْهُ مَخْلُوقٌ فَالْخَالِقُ أَحَقُّ بِتَنْزِيهِهِ عَنْهُ، لَقَدْ ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ أَنَّ لِلَّهِ أَسْمَاءً اسْتَأْثَرَتْ بِهَا^(١) فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَهُ، وَأَسْمَاءٌ لِلَّهِ مُتَضَمِّنَةٌ لِصِفَاتِهِ، وَلَيْسَتْ أَسْمَاءٌ أَعْلَامٍ مُحْضَةً، وَإِذَا كَانَ مِنْ أَسْمَائِهِ مَا اخْتَصَّ هُوَ بِمَعْرِفَتِهِ، وَمِنْ أَسْمَائِهِ مَا خَصَّ بِهِ مَا شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، عِلْمٌ أَنَّ تَفَاضُلَ النَّاسِ فِي مَعْرِفَتِهِ أَعْظَمُ مِنْ تَفَاضُلِهِمْ فِي مَعْرِفَةِ كُلِّ مَا يَعْرِفُونَهُ^(٢).

طُرُقُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: الرَّبُّ تَعَالَى يَدْعُو عِبَادَهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ مِنْ طَرِيقَيْنِ: أَحَدُهُمَا: النَّظَرُ فِي مَفْعُولَاتِهِ.

وَالثَّانِي: التَّفَكُّرُ فِي آيَاتِهِ وَتَدَبُّرُهَا، فَتِلْكَ^(٣) وَهَذِهِ آيَاتُهُ الْمَسْمُوعَةُ الْمَعْقُولَةُ.

فَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ

الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ (البقرة/ ١٦٤)، وَقَوْلِهِ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران/ ١٩٠). وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ^(٤).

الثَّانِي: كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ (النساء/ ٨٢).

وَقَوْلُهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ (المؤمنون/ ٦٨)، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ (ص/ ٢٩) وَهُوَ كَثِيرٌ أَيْضًا^(٥).

فَأَمَّا الْمَفْعُولَاتُ فَإِنَّهَا دَالَّةٌ عَلَى الْأَفْعَالِ، وَالْأَفْعَالُ دَالَّةٌ عَلَى الصِّفَاتِ، فَإِنَّ الْمَفْعُولَ يَدُلُّ عَلَى فَاعِلٍ فِعْلِهِ، وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ وُجُودَهُ وَقُدْرَتَهُ وَمَشِيئَتَهُ وَعِلْمَهُ لاسْتِحَالَةِ صُدُورِ الْفِعْلِ الْاِخْتِيَارِيِّ مِنْ مَعْدُومٍ، أَوْ مَوْجُودٍ لَا قُدْرَةَ لَهُ وَلَا حَيَاةَ، وَلَا عِلْمَ وَلَا إِرَادَةَ، ثُمَّ مَا فِي الْمَفْعُولَاتِ مِنَ التَّخْصِصَاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ دَالٌّ عَلَى إِرَادَةِ الْفَاعِلِ، وَأَنَّ فِعْلَهُ لَيْسَ بِالطَّبْعِ بِحَيْثُ يَكُونُ وَاحِدًا غَيْرَ مُتَكَرِّرٍ، وَمَا فِيهَا^(٦) مِنَ الْمَصَالِحِ

ذَكَرَ عَجَائِبَ صَنَعَتِهِ سُبْحَانَهُ، ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ يَخْفَى عَلَى مَنْ لَهُ أَدْنَى مُسْكَةٍ مِنْ عَقْلِ إِذَا تَأَمَّلَ بِأَدْنَى فِكْرَةٍ مَضْمُونِ هَذِهِ الْآيَاتِ وَأَدَارَ نَظْرَهُ عَلَى عَجَائِبِ خَلْقِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، وَبَدَائِعِ فِطْرَةِ الْحَيَوَانَاتِ وَالنَّبَاتِ، أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ الْعَجِيبَ وَالتَّرْتِيبَ الْمَحْكَمَ لَا يَسْتَغْنِي عَنْ صَانِعٍ يَدْبُرُهُ، وَفَاعِلٍ يَحْكُمُهُ وَيَقْدِرُهُ، بَلْ تَكَادُ فِطْرَةُ النَّفُوسِ تَشْهَدُ بِكُونِهَا مَقْهُورَةً تَحْتَ تَسْخِيرِهِ وَمُصَرَّفَةً بِمَقْتَضَى تَدْبِيرِهِ (إِحْيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ ١/ ١٠٥).

(٥) انظر صفة تدبر القرآن.

(٦) أي ما في مصنوعات الله ومخلوقاته.

(١) جاء في الحديث الذي رواه ابن مسعود عن النبي ﷺ «... أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي ... إلخ» انظر الحديث. كلاماً في مجمع الزوائد ١٠/ ١٣٦، وفي المسند ٥ (٣٧١٢)، قال شاكر: إسناده صحيح.

(٢) بتصرف واختصار عن الفتاوى ٧/ ٥٦٩ - ٥٧١.

(٣) تلك: إشارة إلى مفعولات الله أي مخلوقاته، وهذه: إشارة إلى آي القرآن الكريم.

(٤) ذكر الإمام الغزالي في الإحياء آيات أخرى عديدة ورد فيها

وَالْحِكْمَ وَالْغَايَاتِ الْمَحْمُودَةِ دَالٌّ عَلَى حِكْمَتِهِ تَعَالَى، وَمَا فِيهَا مِنَ النَّفْعِ وَالْإِحْسَانِ وَالْخَيْرِ دَالٌّ عَلَى رَحْمَتِهِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْبَطْشِ وَالْإِنْتِقَامِ وَالْعُقُوبَةِ دَالٌّ عَلَى غَضَبِهِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْإِكْرَامِ وَالتَّقْرِيبِ وَالْعِنَايَةِ دَالٌّ عَلَى مَحَبَّتِهِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْإِهَانَةِ وَالْإِبْعَادِ وَالْخِذْلَانِ دَالٌّ عَلَى بُغْضِهِ وَمَقْتِهِ، وَمَا فِيهَا مِنَ ابْتِدَاءِ الشَّيْءِ فِي غَايَةِ النَّقْصِ وَالضَّعْفِ ثُمَّ سَوْقِهِ إِلَى تَمَامِهِ وَنِهَائِهِ دَالٌّ عَلَى وَقُوعِ الْمَعَادِ، وَمَا فِيهَا مِنْ أَحْوَالِ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ (وَتَضْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ وَالْمِيَاهِ) دَلِيلٌ عَلَى إِمْكَانِ الْمَعَادِ، وَمَا فِيهَا مِنْ ظُهُورِ آثَارِ الرَّحْمَةِ وَالنِّعْمَةِ عَلَى خَلْقِهِ دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ النُّبُوءَاتِ، وَمَا فِيهَا مِنْ الْكَمَالَاتِ الَّتِي لَوْ عَدِمَتْهَا كَانَتْ نَاقِصَةً دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مُعْطِي تِلْكَ الْكَمَالَاتِ أَحَقُّ بِهَا، فَمَفْعُولَاتُهُ مِنْ أَدَلِّ شَيْءٍ عَلَى صِفَاتِهِ، وَصِدْقِ مَا أَخْبَرَتْ بِهِ رُسُلُهُ عَنْهُ، وَهِيَ شَاهِدَةٌ تُصَدِّقُ الْآيَاتِ الْمَسْمُوعَاتِ، وَمُنْبَهَةٌ عَلَى الِاسْتِدْلَالِ بِالْآيَاتِ الْمَصْنُوعَاتِ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ

الْحَقُّ﴾ (فصلت/ ٥٣)، أَيْ إِنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ، وَقَدْ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُرِيَهُمْ مِنْ آيَاتِهِ الْمَشْهُودَةِ مَا يُبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّ آيَاتِهِ الْمُتْلَوَّةَ حَقٌّ، ثُمَّ أَخْبَرَ بِكَفَايَةِ شَهَادَتِهِ عَلَى صِحَّةِ خَبَرِهِ بِمَا أَقَامَ مِنَ الدَّلَائِلِ وَالْبَرَاهِينِ عَلَى صِدْقِ رَسُولِهِ، فَأَيَاتُهُ (الْكُونِيَّةُ) شَاهِدَةٌ بِصِدْقِهِ وَهُوَ (أَيُّ الْقُرْآنِ) شَاهِدٌ بِصِدْقِ رَسُولِهِ بِآيَاتِهِ (الْمُتْلَوَّةِ)، فَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ الشَّاهِدُ وَالْمَشْهُودُ لَهُ، وَهُوَ الدَّلِيلُ وَالْمَذْلُولُ عَلَيْهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ أَعْرَفُ مِنْ كُلِّ مَعْرُوفٍ، وَأَبْيَنُ مِنْ كُلِّ دَلِيلٍ، فَالْأَشْيَاءُ عُرِفَتْ بِهِ فِي الْحَقِيقَةِ، وَإِنْ كَانَ عُرِفَ بِهَا فِي النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ^(١).

[للاستزادة: انظر صفات: الإيمان - الإسلام - الحكمة - العلم - الفطنة - النظر والتبصر - البصيرة - التدبر - العبادة - التفكير - التذكر - التأمل - الفقه. وفي ضد ذلك: انظر صفات: الجهل - السفاهة - الكفر - الإعراض - البلادة والغباء - الضلال - الغي والإغواء - نكران الجميل - اتباع الهوى - التفريط والإفراط].

الآيات الواردة في «معرفة الله عز وجل»

١- وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ

بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ

الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ

رَسُولٌ بِمَا لَا تُهَوِّى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا

كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾

وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ

فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا

مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ

كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ

فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾

يَسْكَمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا

بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ

عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُ وَبِغَضَبٍ

عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾

٢- وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا

تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا

بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ

أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ

إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٩١﴾

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ

أَبْنَاءَهُمْ وَإِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ

يَعْلَمُونَ ﴿٩٢﴾

٣- الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٣﴾

﴿٩٤﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا

الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ

أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا

إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ

وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٥﴾

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ

تَفِيزُ مِنَ الدَّمَاعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ

رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٩٦﴾

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ

وَنَطْمَعُ أَنْ يَدْخُلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٩٧﴾

فَأَثَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ

الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٨﴾

٤- الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ

أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾

وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِ
لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾
وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ ۖ إِنَّهُ ۖ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

٥- فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾
يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا
وَكَثُرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ (٢)

٦- إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي
حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمَرْتُ
أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾

الآيات الواردة في «معرفة الله - عز وجل -» معني

٩- أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ
مُشِيدَةٍ ۖ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ
اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ
قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ
يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ (٥)

٧- وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرِي ۖ تُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ
مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾
فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۖ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ
وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ ۖ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ (٣)

٨- أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا
قَالَ أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ
مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ ۖ قَالَ لَبِثْتُ
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةً عَامٍ
فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ ۖ لَمْ يَتَسَنَّهْ
وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً
لِّلنَّاسِ ۖ وَانْظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ
نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لِحَمًّا فَلَمَّا تَبَيَّنَ
لَهُمْ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ (٤)

١٠- قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ
أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ
بَأْسَ بَعْضٍ ۖ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ
الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ (٦)

١١- وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ
نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا مِّنْخَرُجٍ

مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنْ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا
قِنَوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ
وَالرُّمَّانُ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انْظُرُوا
إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

١٢ - سَاصِرُفٌ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ
بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا
بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا
وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٢﴾

١٣ - وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾
وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٤﴾
أَوَلَمْ يَنْفَكُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ
إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾

أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ
أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾

١٤ - قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْطَى
الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾

١٥ - الْمَرْ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ
مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٨﴾
اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى
عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ
مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأُمُورَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ
رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿١٩﴾

١٦ - هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ
شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿٢٠﴾
يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ
وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾
وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾
وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْلِيفًا إِلَّا نُوحًا
إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ
يَذْكُرُونَ ﴿٢٣﴾

وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ
لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا
وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرِفِهِ وَلِتَبْتَغُوا
مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٤﴾
وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ
وَأَنْهَرَا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٢٥﴾

وَعَلَّمَتْ وَيَا تَجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾

أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾

وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا

إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾^(١)

١٧- تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ

تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١٤﴾^(٢)

١٨- قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾

قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا

إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾

قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾

قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾

قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾

قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا

إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾^(٣)

١٩- فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً

قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا

فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾^(٤)

٢٠- قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا

إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ

أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ

سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ

يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ

فِيهِ أَفَلَا تَبْصُرُونَ ﴿٧٢﴾

وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا

فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾^(٥)

٢١- أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى

وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ

لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا

الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ

رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ

وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾

ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوْءَى أَنْ كَذَّبُوا

بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾^(٦)

٢٢- فَسُبْحَنَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾

وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾

(٥) القصص : ٧١ - ٧٣ مكية

(٦) الروم : ٨ - ١٠ مكية

(٣) الشعراء : ٢٣ - ٢٨ مكية

(٤) النمل : ١٣ - ١٤ مكية

(١) النحل : ١٠ - ١٨ مكية

(٢) الإسراء : ٤٤ مكية

يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ

ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ

السِّنِينَ لَكُمْ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ

لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ

مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا

وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ

بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ

يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ (١)

فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ

بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتِ

وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ (٢)

٢٤ - وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ

مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٢﴾

وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا

وَكَانُوا بَيْنَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٢٤﴾

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾

أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ

مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ

فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعَاتَا كُلِّ مِثْمَةٍ أَنْعَمْنَاهُمْ

وَأَنْفُسَهُمْ أَفَلَا يَبْصُرُونَ ﴿٢٧﴾ (٣)

٢٥ - هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنْزِلُ

لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا

وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٢﴾ (٤)

٢٦ - اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ

لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾

٢٣ - اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ

فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى

الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ

مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾

وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ

لُمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾

وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً
فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ
تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾

وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾
أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ
قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ
مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾^(١)

٢٧- وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ
وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٢٧﴾

فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ
لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٢٨﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا
عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْزَتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا
لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾^(٢)

٢٨- سَرُّبِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ
حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ
أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾
أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيبَةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ
أَلَّا يَأْتِيَهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾^(٣)

٢٩- وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا
وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
فِي سِتِّينَ يَوْمًا وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ
إِذَا شَاءَ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا
كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾
وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ
مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾
إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾
أَوْ يُوقِفَهُنَّ بِمَا كَسَبْنَ أَوْ يَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾^(٤)

٣٠- إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾
وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٣٠﴾
وَأَخْلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ
مِنْ رِّزْقٍ فَأَحْيَاهُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ
الرِّيحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣١﴾
تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ
اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٢﴾^(٥)

٣١- هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٣٠﴾^(٦)

(٥) الجاثية : ٣ - ٦ مكية

(٦) الجاثية : ٢٠ مكية

(٣) فصلت : ٥٣ - ٥٤ مكية

(٤) الشورى : ٢٨ - ٣٤ مكية

(١) غافر : ٧٩ - ٨٢ مكية

(٢) فصلت : ٣٧ - ٣٩ مكية

٣٢- أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا

وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ

وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾

تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾

وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ

وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾

وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾

رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ

الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ (١)

٣٣- وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾

وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾

وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾

فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلِ مَا أَنْتُمْ

نَتَقِفُونَ ﴿٢٣﴾ (٢)

٣٤- أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾

وَالِإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾

وَالِإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾

وَالِإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ (٣)

الأحاديث الواردة في «معرفة الله - عز وجل -»

١ - * (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «يَا غُلَامُ - أَوْ يَا غُلِيمُ - أَلَا أَعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ؟» فَقُلْتُ: بَلَى. فَقَالَ: «أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعْرِفْ إِلَيْهِ فِي الرَّحَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشِّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ. وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»*)^(١).

٢ - * (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ

أَغْنِيَاءِهِمْ فُتْرَدُ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ»*)^(٢).

٣ - * (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ: قَلْبٌ أَجْرَدُ فِيهِ مِثْلُ السِّرَاجِ يُزْهِرُ، وَقَلْبٌ أَغْلَفُ مَرْبُوطٌ عَلَى غِلَافِهِ، وَقَلْبٌ مَنكُوسٌ، وَقَلْبٌ مُصَفَّحٌ، فَأَمَّا الْقَلْبُ الْأَجْرَدُ فَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ، سِرَاجُهُ فِيهِ نُورُهُ، وَأَمَّا الْقَلْبُ الْأَغْلَفُ فَقَلْبُ الْكَافِرِ، وَأَمَّا الْقَلْبُ الْمَنكُوسُ فَقَلْبُ الْمُنَافِقِ، عَرَفَ ثُمَّ أَنْكَرَ، وَأَمَّا الْقَلْبُ الْمُصَفَّحُ فَقَلْبٌ فِيهِ إِيْمَانٌ وَنِفَاقٌ، فَمِثْلُ الْإِيْمَانِ فِيهِ كَمِثْلِ الْبَقْلَةِ يَمُدُّهَا الْمَاءُ الطَّيِّبُ، وَمِثْلُ النِّفَاقِ فِيهِ كَمِثْلِ الْقَرْحَةِ يَمُدُّهَا الْقَيْحُ وَالْدَّمُ، فَأَيُّ الْمَدَّتَيْنِ غَلَبَتْ عَلَى الْأُخْرَى غَلَبَتْ عَلَيْهِ»*)^(٣).

٤ - * (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ». قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَا الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟، وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَا الْقَمَرِ لَيْلَةً الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟». قَالُوا:

(١) المسند (١/٣٠٧)، وهو في نسخة الشيخ أحمد شاكر رقم

(٢٨٠٤)، وقال الشيخ أحمد شاكر: رواه أحمد بثلاثة

أسانيد أحدها صحيح متصل (وهو الذي عولنا عليه

هنا)، ورواه أيضًا الترمذي برقم (٢٥١٦) بلفظ مختلف،

وقال: حسن صحيح.

(٢) مسلم (٣١).

(٣) المسند (٣/١٧) ونسخة الشيخ أحمد شاكر برقم

(١١١٣٥).

عَطِشْنَا. يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا. قَالَ فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلَا تَرُدُّونَ؟
فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهُا سَرَابٌ يَحِطُّ بِبَعْضِهَا بَعْضًا^(٤)
فَيَسْأَقُطُونَ فِي النَّارِ. حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ
اللَّهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ - سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى - فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا قَالَ: فَمَا
تَنْتَظِرُونَ؟ تَتَّبِعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. قَالُوا: يَا رَبَّنَا
فَارْقَنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرًا مَّا كُنَّا إِلَيْهِمْ^(٥) وَلَمْ
نُصَاحِبْهُمْ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: نَعُودُ بِاللَّهِ
مِنْكَ. لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا (مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا) حَتَّى إِنَّ
بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ^(٦). فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ
آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ^(٧).
فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللَّهُ
لَهُ بِالسُّجُودِ. وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءَ وَرِيَاءٍ إِلَّا
جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً^(٨). كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ
عَلَى قَفَاهُ. ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ، وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ

لَا. يَارَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «مَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ - تَبَارَكَ
وَتَعَالَى - يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ
أَحَدِهِمَا^(١). إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذِنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعَ كُلُّ
أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ، كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ، إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي
النَّارِ. حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ
وَفَاجِرٍ. وَغُبَّرَ أَهْلُ الْكِتَابِ^(٢). فَيُدْعَى الْيَهُودُ فَيَقَالُ
لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنِ اللَّهِ.
فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ. فَمَاذَا
تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا. يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا. فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ:
أَلَا تَرُدُّونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهُا سَرَابٌ^(٣) يَحِطُّ
بِبَعْضِهَا بَعْضًا. فَيَسْأَقُطُونَ فِي النَّارِ. ثُمَّ يُدْعَى
النَّصَارَى. فَيَقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا
نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ. فَيَقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ. مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ
صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ. فَيَقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ:

لزموا طاعته سبحانه وتعالى ، وفارقوا في الدنيا الناس الذين
زاغوا عن طاعته سبحانه من قراباتهم وغيرهم ممن كانوا
يحتاجون في معاشهم ومصالح دنياهم إلى معاشرتهم
للارتفاق بهم .

(٦) ينقلب: أي يرجع عن الصواب للامتحان الشديد الذي
جرى .

(٧) فيكشف عن ساق: ضبط يكشف بفتح الياء وضمها . وهما
صحيحان .

(٨) ظهره طبقة واحدة: قال الهروي وغيره: الطبق فقار الظهر ،
أي صار فقارة واحدة كالصفحة ، فلا يقدر على السجود
لله تعالى .

(١) ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما
تضارون في رؤية أحدهما: معناه لا تضارون أصلاً كما لا
تضارون في رؤيتهما أصلاً .

(٢) وغُبَّرَ أهل الكتاب: معناه بقاياهم . جمع غابر .

(٣) كأنها سراب: السراب ما يترأى للناس في الأرض القفر
والقاع المستوي وسط النهار في الحر الشديد لامعا مثل
الماء يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً .

(٤) يحطم بعضها بعضاً: معناه لشدة اتقادها وتلاطم أمواج
لهبها . والحطم الكسر والإهلاك . والحطمة اسم من أسماء
النار لكونها تحطم ما يلقي فيها .

(٥) فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم: معنى قولهم:
التضرع إلى الله تعالى في كشف هذه الشدة عنهم ، وأنهم

الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ. فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبَّنَا. ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ. وَتَحُلُّ الشَّفَاعَةُ^(١). وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: «دَحْضُ مَزَلَّةٍ^(٢) فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ^(٣). تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا سُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ. فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ^(٤). فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ. وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ. وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ^(٥). حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشِدَةً لِلَّهِ، فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ^(٦)، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ. يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيُحْجُونَ. فَيَقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ. فَتَحَرَّمَ صُورُهُمْ عَلَى النَّارِ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتْ

النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقِيهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ. ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ. فَيَقُولُ: ارْجِعُوا. فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ^(٧) فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا. ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا. ثُمَّ يَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا. ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا. ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا. ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا^(٨). وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء / ٤٠). فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ

(١) ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة: الجسر، بفتح الجيم وكسرها، لغتان مشهورتان: وهو الصراط. ومعنى تحل الشفاعة: بكسر الحاء وقيل بضمها: أي تقع ويؤذن فيها.

(٢) دحض مزلة: الدحض والمزلة بمعنى واحد. وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر. ومنه: دحضت الشمس أي مالت. وحجة داحضة أي لا ثبات لها.

(٣) فيها خطاطيف وكلاليب وحسك: أما الخطاطيف فجمع خطاف، بضم الخاء في المفرد والكلاليب بمعناه. وأما الحسك فهو شوك صلب من حديد.

(٤) وكأجاويد الخيل والركاب: من إضافة الصفة إلى الموصوف. قال في النهاية: الأجاويد جمع أجواد، وهو جمع جواد، وهو الجيد الجري من المطي. والركاب أي الإبل، واحداً راحلة من غير لفظها. فهو عطف على الخيل. والخيل جمع الفرس من غير لفظه.

(٥) ناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم: معناه أنهم ثلاثة أقسام: قسم يسلم فلا يناله شيء أصلاً. وقسم يخذش ثم يرسل فيخلص. وقسم يكدر ويلقى فيسقط في جهنم. قال في النهاية: وتكدر الإنسان إذا دفع من ورائه فسقط. ويروى بالشين المعجمة، من الكدش وهو السوق الشديد. والكدش: الطرد والجرح أيضاً.

(٦) في استقصاء الحق: أي تحصيله من خصمه والمتعدي عليه.

(٧) من خير: قال القاضي عياض - رحمه الله -: قيل: معنى الخير هنا اليقين. قال: والصحيح إن معناه شيء زائد على مجرد الإيمان. لأن مجرد الإيمان الذي هو التصديق، لا يتجزأ. وإنما يكون هذا التجزؤ لشيء زائد عليه من عمل صالح أو ذكر خفي، أو عمل من أعمال القلب من شفقة على مسكين أو خوف من الله تعالى، ونية صادقة.

(٨) لم نذر فيها خيراً: هكذا هو خير بإسكان الياء أي صاحب خير

٥ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

قَالَ أَنَسٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ وَتَبَقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوها، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ ... الْحَدِيثُ» * (٩).

الْمُؤْمِنُونَ. وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ^(١) فَيَخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ. قَدْ عَادُوا حُمًا^(٢). فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ^(٣) يُقَالُ لَهُ نَهْرُ الْحَيَاةِ. فَيَخْرِجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحَبَّةُ فِي حِمِلِ السَّيْلِ^(٤). أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ. مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أَصْفَرُ وَأَخْيَضُ. وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَيْضَ^(٥)؟». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرَعَى بِالْبَادِيَةِ. قَالَ: «فَيَخْرِجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمِ^(٦) يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ. هَؤُلَاءِ عَتَقَاءُ اللَّهِ^(٧) الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ. ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَمَا رَأَيْتُمُوهُ، فَهُوَ لَكُمْ. فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ. فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا. فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟. فَيَقُولُ: رِضَايَ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» * (٨).

وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها.

(٥) ما يكون إلى الشمس أصفر وأخضر. وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض: أما يكون في الموضعين الأولين فتامة. ليس لها خبر. معناها ما يقع. وأصفر وأخضر مرفوعان. وأما يكون أبيض، فيكون فيه ناقصة، وأبيض منصوب وهو خبرها.

(٦) فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم: الخواتم جمع خاتم، بفتح التاء وكسرها. قال صاحب التحرير: المراد بالخواتم هنا أشياء من ذهب أو غير ذلك تعلق في أعناقهم، علامة يعرفون بها. قال: معناه تشبيه صفائهم وتلألئهم باللؤلؤ.

(٧) هؤلاء عتقاء الله: أي يقولون: هؤلاء عتقاء الله.

(٨) البخاري - الفتح ١٣ (٧٤٣٩). ومسلم (١٨٣) واللفظ له.

(٩) البخاري - الفتح (٨٠٦)، ومسلم (٢٩٩) واللفظ له.

(١) فيقبض قبضة من النار: معناه يجمع جمعة.

(٢) قد عادوا حمًا: معنى عادوا صاروا. وليس بلام في عاد أن يصير إلى حالة كان عليها قبل ذلك. بل معناه صاروا. أما اللحم فهو الفحم، واحدته حممة، كحطمة.

(٣) في أفواه الجنة: الأفواه جمع فوهة. وهو جمع سمع من = = العرب على غير قياس. وأفواه الأزقة والأنهار وأوائلها. قال صاحب المطالع: كأن المراد في الحديث مفتتح من مسالك قصور الجنة ومنازلها.

(٤) الحبة في حميل السيل: الحبة، بالكسر، بذور البقول وحب الرياحين. وقيل: هو نبت في الحشيش. وحميل السيل هو ما يجيء به السيل من طين أو غشاء وغيره. ففعل بمعنى مفعول. فإذا اتفقت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل فإنها تنبت في يوم وليلة. فشبه بها سرعة عود أبدانهم

الأحاديث الواردة في «معرفة الله - عز وجل -» معنى

- ٦ - * (عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَهُمْ أَمْرَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ. قَالُوا: إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ. فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرِفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ يَقُولُ: «إِنَّ أَتَقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا»)*^(١).

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في «معرفة الله - عز وجل -»

- ١ - * (عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (الأعراف/ ١٧٢) قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ضَرَبَ مِنْكِبَهُ الْأَيْمَنَ فَخَرَجَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَخْلُوقَةٍ لِلْجَنَّةِ بَيْضَاءَ نَفِيَّةً، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْجَنَّةِ ثُمَّ ضَرَبَ مِنْكِبَهُ الْأَيْسَرَ فَخَرَجَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَخْلُوقَةٍ لِلنَّارِ سَوْدَاءً، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ النَّارِ، ثُمَّ أَخَذَ عُھُودَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْمَعْرِفَةِ لَهُ وَلِأَمْرِهِ وَالتَّصَدِيقِ بِهِ وَبِأَمْرِهِ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَأَمَّنُوا وَصَدَّقُوا وَعَرَفُوا وَأَقْرَأُوا وَبَلَّغَنِي أَنَّهُ أَخْرَجَهُمْ عَلَى كَفِّهِ أَمْثَالَ الْخَرْدَلِ)*^(٢).
- ٢ - * (قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (الأنعام/ ٧٥) إِنَّهُ تَعَالَى جَلَّى لَهُ الْأَمْرَ سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ فَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ الْخَلَائِقِ فَلَمَّا جَعَلَ يَلْعَنُ أَصْحَابَ الذُّنُوبِ قَالَ اللَّهُ: إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ هَذَا، فَرَدَّهُ كَمَا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ كَشَفَ لَهُ عَنْ بَصَرِهِ حَتَّى رَأَى ذَلِكَ عَيْنَانَا وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ كَشَفَ عَنْ بَصِيرَتِهِ حَتَّى شَاهَدَهُ بِفُؤَادِهِ وَتَحَقَّقَهُ وَعَرَفَهُ وَعَلِمَ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمِ الْبَاهِرَةِ وَالذَّلَالَاتِ الْقَاطِعَةِ كَمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ فِي حَدِيثِ الْمَنَامِ «أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي يَا رَبُّ، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنْامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ ذَلِكَ»)*^(٣).

ترادفهما هنا، وهو ظاهر هنا وعليه عمل المصنف.

(٢) تفسير الطبري مجلد ٦ ج ٩ ص ٧٨.

(٣) ابن كثير ج ٢ ص ١٥٦.

(١) البخاري - الفتح ١ (٢٠)، قال ابن حجر: كذا في رواية

أبي ذر، وهو لفظ الحديث الذي أورده في جميع طرقه، وفي

رواية الأصيلي: «أعرفكم» وكأنه مذكور بالمعنى حملاً على

٣ - * (وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام/ ٧٩)، ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ (النور/ ٣٥) قَالَ: كَذَلِكَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ يَعْرِفُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ بِقَلْبِهِ، فَإِذَا عَرَفَهُ أَزَادَ نُورًا عَلَى نُورٍ، وَكَذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَرَفَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِقَلْبِهِ وَاسْتَدَلَّ عَلَيْهِ بِدَلَالِهِ، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا وَخَالِقًا، فَلَمَّا عَرَفَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِنَفْسِهِ أَزَادَ مَعْرِفَةً فَقَالَ ﴿أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ (الأنعام/ ٨٠) *^(١).

٤ - * (وَعَنْهُ أَيْضًا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الْفِقْهُ فِي الدِّينِ، وَالْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الْفِقْهُ صِفَةً الْقَلْبِ فَقَالَ: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ (الأعراف/ ١٧٩)، فَلَمَّا فَقَهُوا عَلِمُوا، وَلَمَّا عَلِمُوا عَمِلُوا، وَلَمَّا عَمِلُوا عَرَفُوا، وَلَمَّا عَرَفُوا اهْتَدَوْا، فَكُلُّ مَنْ كَانَ أَفْقَهُ كَانَتْ نَفْسُهُ أَسْرَعَ إِجَابَةً وَأَكْثَرَ انْقِيَادًا لِمَعَالِمِ الدِّينِ وَأَوْفَرَ حَظًّا مِنْ نُورِ الْيَقِينِ، فَالْعِلْمُ جُمْلَةٌ مُؤَهَّبَةٌ مِنَ اللَّهِ لِلْقُلُوبِ وَالْمَعْرِفَةُ تُمَيِّزُ تِلْكَ الْجُمْلَةَ) *^(٢).

٥ - * (قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : رَحِمَ اللَّهُ تَعَالَى صُحَيْبًا لَوْ لَمْ يَخَفِ اللَّهُ لَمْ يَعْصِهِ، يَعْنِي لَوْ كُتِبَ لَهُ كِتَابُ الْأَمَانِ مِنَ النَّارِ حَمَلَهُ صِرْفٌ^(٣)

الْمَعْرِفَةِ بِعَظِيمِ أَمْرِ اللَّهِ عَلَى الْقِيَامِ بِوَاجِبِ حَقِّ الْعُبُودِيَّةِ) *^(٤).

٦ - * (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: اخْتَصَمَ رَجُلَانِ، فَدَارَتِ الْيَمِينُ عَلَى أَحَدِهِمَا، فَحَلَفَ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا لَهُ عَلَيْهِ حَقٌّ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مُرْهُ فَلْيُعْطِهِ حَقَّهُ، فَإِنَّ الْحَقَّ قَبْلَهُ، وَهُوَ كَاذِبٌ، وَكَفَّارَةٌ يَمِينِهِ مَعْرِفَتُهُ بِاللَّهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَوْ شَهَادَتُهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) *^(٥).

٧ - * (قَالَ الْبُخَارِيُّ: وَبَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ» وَأَنَّ الْمَعْرِفَةَ فَعْلُ الْقَلْبِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ (البقرة/ ٢٢٥) *^(٦).

٨ - * (قَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ قَوْلِهِ ﷺ «الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ... إِلَى آخِرِهِ»: أَمَّا الْعِبَادَةُ، فَهِيَ: الطَّاعَةُ مَعَ خُضُوعٍ، فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْعِبَادَةِ هُنَا: مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِقْرَارُ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ عَطْفُ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالزَّكَاةِ عَلَيْهَا لِادْخَالِهَا فِي الْإِسْلَامِ. فَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ دَخَلَتْ فِي الْعِبَادَةِ، وَعَلَى هَذَا إِنَّمَا اقْتَصَرَ عَلَى هَذِهِ الثَّلَاثِ لِكُونِهَا مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَأَظْهَرَ شَعَائِرِهِ وَالْبَاقِي مُلْحَقٌ بِهَا) *^(٧).

ص ٥٨ (ط. دار المعرفة، بيروت).

(٥) المسند ١/ ٣٢٢، ونسخة الشيخ أحمد شاكر برقم

(٢٩٥٩)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٦) الفتح ١/ ٨٨.

(٧) صحيح مسلم في شرح الحديث رقم (٧) ص ١٩٦.

(١) تفسير القرطبي ٧/ ٢١٩.

(٢) إحياء علوم الدين وكتاب عوارف المعارف للسهروردي

ص ٤٦ (ط. دار المعرفة، بيروت).

(٣) صِرْفُ الْمَعْرِفَةِ: أَيِ الْمَعْرِفَةِ الصِّرْفَةِ بِمَعْنَى الْمَعْرِفَةِ الْمُجَرَّدَةِ.

(٤) إحياء علوم الدين وكتاب عوارف المعارف للسهروردي

٩ - * (قَالَ الْغَزَالِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : أَخَوْفُ النَّاسِ لِرَبِّهِ أَعْرِفُهُمْ بِنَفْسِهِ وَبِرَبِّهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ: «أَنَا أَخَوْفُكُمْ لِلَّهِ»، وَكَذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر/ ٢٨) ثُمَّ إِذَا كُمَلْتَ الْمَعْرِفَةُ أَوْرَثَتْ جَلَالَ الْخَوْفِ وَاحْتِرَاقَ الْقَلْبِ) * (١).

١٠ - * (وَقَالَ أَيْضًا: الْخَوْفُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ خَوْفُ الصَّالِحِينَ، وَالْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ خَوْفُ الْمُوَحِّدِينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَهُوَ ثَمَرَةُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَكُلُّ مَنْ عَرَفَهُ وَعَرَفَ صِفَاتِهِ عَلِمَ مِنْ صِفَاتِهِ مَا هُوَ جَدِيرٌ بِأَنْ يُخَافَ مِنْ غَيْرِ جِنَايَةٍ) * (٢).

١١ - * (وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - كَذَلِكَ: لَا وُصُولَ إِلَى سَعَادَةِ لِقَاءِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا بِتَحْصِيلِ مُحَبَّتِهِ وَالْأُنْسِ بِهِ فِي الدُّنْيَا، وَلَا تَحْصُلُ الْمَحَبَّةُ إِلَّا بِالْمَعْرِفَةِ، وَلَا تَحْصُلُ الْمَعْرِفَةُ إِلَّا بِدَوَامِ الْفِكْرِ) * (٣).

١٢ - * (وَقَالَ أَيْضًا: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ تَعَالَى عَرَفَ أَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَلَا يُبَالِي، وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ وَلَا يَخَافُ) * (٤).

١٣ - * (قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ فِي صَدْرِكَ بَيْتًا وَهُوَ الْقَلْبُ، وَوَضَعَ فِي صَدْرِهِ عَرْشًا لِمَعْرِفَتِهِ يَسْتَوِي عَلَيْهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ بِذَاتِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ. وَالْمَثَلُ الْأَعْلَى مِنْ مَعْرِفَتِهِ

وَمُحَبَّتِهِ وَتَوْحِيدِهِ مُسْتَوٍ عَلَى سَرِيرِ الْقَلْبِ وَعَلَى السَّرِيرِ بِسَاطٍ مِنَ الرِّضَا، وَوَضَعَ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ مَرَافِقَ شَرَائِحِهِ وَأَوَامِرِهِ. وَفَتَحَ إِلَيْهِ بَابًا مِنْ جَنَّةِ رَحْمَتِهِ وَالْأُنْسِ بِهِ وَالشُّوقِ إِلَى لِقَائِهِ. وَأَمْطَرَهُ مِنْ وَابِلِ كَلَامِهِ مَا أَنْبَتَ فِيهِ أَصْنَافَ الرِّيَاحِينَ وَالْأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ. وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّقْدِيسِ. وَجَعَلَ فِي وَسْطِ الْبُسْتَانِ شَجَرَةً مَعْرِفَتِهِ تَعَالَى، فَهِيَ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالْإِنَابَةِ وَالْحَشْيَةِ وَالْفَرَحِ بِهِ وَالْإِبْتِهَاجِ بِقُرْبِهِ وَأَجْرَى إِلَى تِلْكَ الشَّجَرَةِ مَا يَسْقِيهَا مِنْ تَدَبُّرِ كَلَامِهِ وَفَهْمِهِ وَالْعَمَلِ بِوَصَايَاهُ، وَعَلَّقَ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ قَنْدِيلًا أَسْرَجَهُ بِضِيَاءِ مَعْرِفَتِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ وَتَوْحِيدِهِ فَهُوَ يَسْتَمِدُّ * (مِنْ شَجَرَةِ مُبَارَكَةِ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسُسْهُ نَارٌ) * (النور/ ٣٥) * (٥).

١٤ - * (قَالَ بَعْضُهُمْ: مِنْ أَمَارَاتِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ حُصُولُ الْهَيْبَةِ، فَمَنْ أَزْدَادَاتِ مَعْرِفَتِهِ زَادَتْ هَيْبَتُهُ. وَقَالَ أَيْضًا: الْمَعْرِفَةُ تُوجِبُ السَّكِينَةَ. وَقِيلَ: عَلَامَتُهَا أَنْ يُحَسَّ بِقُرْبِ قَلْبِهِ مِنَ اللَّهِ فَيَجِدَهُ قَرِيبًا مِنْهُ) * (٦).

١٥ - * (وَقَالَ الشَّيْبَانِيُّ: لَيْسَ لِعَارِفٍ عِلَاقَةٌ، وَلَا لِمُحِبِّ شَكْوَى، وَلَا لِعَبْدٍ دَعْوَى، وَلَا لِحَافٍ قَرَارٌ، وَلَا لِأَحَدٍ مِنَ اللَّهِ فِرَارٌ) * (٧).

(٥) الفوائد ص ٢٤٢، ٢٤٣.

(٦) بصائر ذوي التمييز ج ٤ ص ٥٢.

(٧) المرجع السابق، نفسه، الصفحة نفسها.

(١) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ١٦٤.

(٢) المرجع السابق ج ٤ ص ١٦٧.

(٣) المرجع السابق ج ٤ ص ١٦٨ (ط. دار الريان، القاهرة).

(٤) المرجع السابق، ص ١٧٧.

١٦ - * (قَالَ الْفَيُّوْزَابَادِيُّ) (تَعْقِيْبًا عَلَى كَلَامِ السَّبْطِيِّ فِي الْأَثَرِ السَّابِقِ): وَهَذَا كَلَامٌ جَيِّدٌ، فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ الصَّحِيْحَةَ تَقْطَعُ مِنَ الْقَلْبِ الْعَلَاتِقَ كُلَّهَا، وَتُعَلِّقُهُ بِمَعْرُوفِهِ فَلَا يَبْقَى فِيهِ عِلَاقَةٌ لِغَيْرِهِ، وَلَا تَمُرُّ بِهِ الْعَلَاتِقُ إِلَّا وَهِيَ مُجْتَازَةٌ* (١).

١٧ - * (وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَاصِمٍ: مَنْ كَانَ بِاللَّهِ أَعْرَفَ كَانَ مِنَ اللَّهِ أَخَوْفَ. وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر/ ٢٨). وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَا أَعْرَفُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشِيَّةً»* (٢).

١٨ - * (وَقَالَ هَرْمُ بْنُ حَيَّانَ: الْمُؤْمِنُ إِذَا عَرَفَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَحَبَّهُ، وَإِذَا أَحَبَّهُ أَقْبَلَ إِلَيْهِ)* (٣).

١٩ - * (وَقَالَ أَيْضًا: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ وَعَرَفَ رَبَّهُ عَرَفَ قَطْعًا أَنَّهُ لَا وُجُودَ لَهُ مِنْ ذَاتِهِ إِنَّمَا وُجُودُ ذَاتِهِ وَدَوَامُ وُجُودِهِ وَكَمَالُ وُجُودِهِ مِنَ اللَّهِ وَإِلَى اللَّهِ وَبِاللَّهِ)* (٤).

٢٠ - * (قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: مَنْ عَرَفَ رَبَّهُ أَحَبَّهُ، وَمَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا زَهَدَ فِيهَا، وَمَنْ خَلَا عَنِ الْحُبِّ هَذَا فَلَأَنَّهُ اشْتَغَلَ بِنَفْسِهِ وَشَهَوَاتِهِ وَذَهَلَ عَنِ رَبِّهِ وَخَالِقِهِ فَلَمْ يَعْرِفْهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ

وَقَصَرَ نَظْرُهُ عَلَى شَهَوَاتِهِ وَمَحْسُوسَاتِهِ)* (٥).

٢١ - * (وَقَالَ ذُو النُّونِ: الزُّهَادُ مُلُوكُ الْآخِرَةِ، وَهُمْ فَقَرَاءُ الْعَارِفِينَ)*.

٢٢ - * (سُئِلَ الْجُنَيْدُ عَنِ الْعَارِفِ فَقَالَ: لَوْ أَنَّ الْمَاءَ لَوْ أَنَّ إِنَائِهِ. وَهَذِهِ كَلِمَةٌ رُمِزَ بِهَا إِلَى حَقِيقَةِ الْعُبُودِيَّةِ، وَهُوَ أَنَّهُ يَتَلَوَّنُ فِي أَقْسَامِ الْعُبُودِيَّةِ، فَبَيْنَا تَرَاهُ مُصَلِّيًا، إِذَا رَأَيْتَهُ ذَاكِرًا أَوْ قَارِئًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا، أَوْ مُعَلِّمًا، أَوْ مُجَاهِدًا، أَوْ حَاجًّا، أَوْ مُسَاعِدًا لِلضَّعِيفِ، أَوْ مُعِينًا لِلْمَلْهُوفِ، فَيَضْرِبُ فِي كُلِّ غَنِيْمَةٍ بِسَهْمٍ. فَهُوَ مَعَ الْمُتَسَبِّحِينَ مُتَسَبِّبٌ، وَمَعَ الْمُتَعَلِّمِينَ مُتَعَلِّمٌ، وَمَعَ الْغَزَاةِ غَازٍ، وَمَعَ الْمُصَلِّينَ مُصَلٍّ، وَمَعَ الْمُتَصَدِّقِينَ مُتَصَدِّقٌ. وَهَكَذَا يَنْتَقِلُ فِي مَنَازِلِ الْعُبُودِيَّةِ مِنْ عُبُودِيَّةٍ إِلَى عُبُودِيَّةٍ، وَهُوَ مُسْتَقِيمٌ عَلَى مَعْبُودٍ وَاحِدٍ لَا يَنْتَقِلُ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ)* (٦).

٢٣ - * (وَقَالَ ابْنُ عَطَاءٍ: الْمَعْرِفَةُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَرْكَانٍ: الْهَيْبَةُ، وَالْحَيَاءُ، وَالْأُنْسُ)*.

٢٤ - * (وَقِيلَ: الْعَارِفُ ابْنُ وَقْتِهِ. وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْكَلَامِ وَأَخْصَرِهِ، فَهُوَ مَشْغُولٌ بِوَضِيعَةِ وَقْتِهِ عَمَّا مَضَى وَصَارَ فِي الْعَدَمِ، وَعَمَّا لَمْ يَدْخُلْ بَعْدُ فِي الْوُجُودِ، فَهَمُّهُ عِمَارَةُ وَقْتِهِ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ حَيَاتِهِ الْبَاقِيَةِ. وَمِنْ عَلَامَاتِهِ أَنَّهُ مُسْتَوْحِشٌ مِمَّنْ يَقْطَعُهُ عَنْهُ. وَلِهَذَا قِيلَ:

(٤) المرجع السابق، جـ ٤ ص ٣١٨.

(٥) المرجع السابق، ص ٣١٨، ٣١٩.

(٦) بصائر ذوي التمييز جـ ٤ ص ٥٥.

(١) بصائر ذوي التمييز جـ ٤ ص ٢٥.

(٢) المرجع السابق، نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) الإحياء جـ ٤ ص ٣١٣ (ط. الريان).

الْعَارِفُ مَنْ أَنَسَ بِاللَّهِ فَأَوْحَشَهُ مِنَ الْخَلْقِ، وَافْتَقَرَ إِلَى اللَّهِ فَأَغْنَاهُ عَنْهُمْ، وَذَلَّ لِلَّهِ فَأَعَزَّهُ فِيهِمْ، وَتَوَاضَعَ لِلَّهِ فَرَفَعَهُ بَيْنَهُمْ، وَاسْتَغْفَرَ بِاللَّهِ فَأَحْوَجَهُمْ إِلَيْهِ)*.

٢٥ - * (وَقِيلَ: الْعَارِفُ فَوْقَ مَا يَقُولُ، وَالْعَالِمُ دُونَ مَا يَقُولُ. يَعْنِي: أَنَّ الْعَالِمَ عِلْمُهُ أَوْسَعُ مِنْ حَالِهِ وَصِفَتِهِ وَالْعَارِفُ حَالُهُ وَصِفَتُهُ فَوْقَ كَلَامِهِ وَخَبْرِهِ)*^(١).

٢٦ - * (قَالَ الْفَيْرُوزَابَادِيُّ: وَعَلَامَةُ الْعَارِفِ أَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ مِرَاةً إِذَا نَظَرَ فِيهَا رَأَى فِيهَا الْغَيْبَ الَّذِي دَعَا إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ، فَعَلَى قَدَرِ جَلَاءِ تِلْكَ الْمِرَاةِ يَتَرَاءَى فِيهَا سُبْحَانُهُ وَالْدَّارُ الْآخِرَةُ وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالرُّسُلُ، كَمَا قِيلَ:

إِذَا سَكَنَ الْغَدِيرُ عَلَى صَفَاءٍ

فَيُشَبِّهُهُ أَنْ يُحَرِّكَهُ النَّسِيمُ

بَدَتْ فِيهِ السَّمَاءُ بِلَا مِرَاءٍ

كَذَاكَ الشَّمْسُ تَبْدُو وَالنُّجُومُ

كَذَاكَ قُلُوبُ أَرْبَابِ التَّجَلِّي

يُرَى فِي صَفْوِهَا اللَّهُ الْعَظِيمُ

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْمَعْرِفَةِ أَنْ يَبْدُوَ لَكَ الشَّاهِدُ

وَتَفْنَى الشَّوَاهِدُ، وَتَنْجَلِيَ الْعَلَائِقُ وَتَنْقَطِعَ الْعَوَائِقُ،

وَتَجْلِسَ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ، وَتَقُومَ وَتَضْطَجِعَ عَلَى التَّأَهُبِ

لِللِقَائِهِ كَمَا يَجْلِسُ الَّذِي قَدْ شَدَّ أَحْمَالَهُ وَأَزْمَعَ السَّفَرَ، عَلَى

تَأَهُبٍ لَهُ، وَيَقُومُ عَلَى ذَلِكَ وَيَضْطَجِعُ عَلَيْهِ.

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْعَارِفِ: أَنَّهُ يَأْسَفُ عَلَى فَائِتٍ

وَلَا يَفْرَحُ بِآتٍ وَلَأنَّهُ يَنْظُرُ فِي الْأَشْيَاءِ الْفَنَاءِ وَالزَّوَالَ،

وَأَنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ كَالظَّلَالِ وَالْخَيَالِ. وَقَالَ الْجُنَيْدُ: لَا

يَكُونُ الْعَارِفُ عَارِفًا حَتَّى يَكُونَ كَالْأَرْضِ يَطْوُهَا الْبُرُّ

وَالْفَاجِرُ، وَكَالسَّحَابِ يُظِلُّ كُلَّ شَيْءٍ، وَكَالْمَطَرِ يَسْقِي

مَا يُحِبُّ وَمَا لَا يُحِبُّ)*^(٢).

٢٧ - * (وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ: يُخْرِجُ الْعَارِفُ مِنَ

الدُّنْيَا وَلَمْ يَقْضِ وَطْرَهُ مِنْ شَيْئَيْنِ: بُكَاءُهُ عَلَى نَفْسِهِ،

وَتَنَاءُؤُهُ عَلَى رَبِّهِ. وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ، لِأنَّهُ يَدُلُّ عَلَى

مَعْرِفَتِهِ بِنَفْسِهِ وَعَلَى مَعْرِفَتِهِ بِرَبِّهِ وَجَمَالِهِ وَجَلَالِهِ، فَهُوَ

شَدِيدُ الْإِزْرَاءِ عَلَى نَفْسِهِ، لَهَجٌ بِالثَّنَاءِ عَلَى رَبِّهِ)*^(٣).

٢٨ - * (وَقَالَ أَبُو يَزِيدَ: إِنَّمَا نَالُوا الْمَعْرِفَةَ

بِتَضْيِيعِ مَا لَهُمْ، وَالْوُقُوفِ مَعَ مَا لَهُ. يُرِيدُ تَضْيِيعَ

حُظُوظِهِمْ وَالْوُقُوفَ مَعَ حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى. وَقَالَ آخَرُ: لَا

يَكُونُ الْعَارِفُ عَارِفًا حَتَّى لَوْ أُعْطِيَ مُلْكُ سُلَيْمَانَ لَمْ

يَشْغَلْهُ عَنِ اللَّهِ طَرْفَةً عَيْنٍ. وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى شَرْحٍ، فَإِنَّ مَا

هُوَ دُونَ ذَلِكَ يَشْغُلُ الْقَلْبَ، لَكِنْ إِذَا كَانَ اشْتِغَالُهُ بِغَيْرِ

اللَّهِ فَذَلِكَ اشْتِغَالٌ بِاللَّهِ)*^(٤).

٢٩ - * (حَكَى الْفَيْرُوزَابَادِيُّ عَنْ بَعْضِهِمْ قَوْلَهُ:

مَنْ عَرَفَ اللَّهَ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ بِسَعَتِهَا.

وَقَالَ غَيْرُهُ: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ اتَّسَعَ عَلَيْهِ كُلُّ ضَيْقٍ.

(١) بصائر ذوي التمييز ج ٤ ص ٥٤.

(٣) المرجع السابق ج ٤ ص ٥٤.

(٢) المرجع السابق ج ٤ ص ٥٣.

(٤) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

قَالَ الْفَيُّوزَابَادِيُّ: وَلَا تَنَافِي بَيْنَ هَذَيْنِ الْكَلَامَيْنِ فَإِنَّهُ يَضِيقُ عَلَيْهِ كُلُّ مَكَانٍ لَا تَسَاعِيهِ فِيهِ عَلَى شَأْنِهِ وَمَطْلُوبِهِ، وَيَتَّسِعُ لَهُ مَا ضَاقَ عَلَى غَيْرِهِ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ وَلَا هُوَ مُسَاكِنٌ لَهُ بِقَلْبِهِ، فَقَلْبُهُ غَيْرُ مُحْبُوسٍ فِيهِ. وَالْأَوَّلُ فِي بَدَايَةِ الْمَعْرِفَةِ، وَالثَّانِي فِي غَايَتِهَا الَّتِي يَصِلُ إِلَيْهَا الْعَبْدُ.

وَقَالَ: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ تَعَالَى صَفَا لَهُ الْعَيْشُ، وَطَابَتْ لَهُ الْحَيَاةُ، وَهَابَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَذَهَبَ عَنْهُ خَوْفُ الْمَخْلُوقِينَ، وَأَنَسَ بِاللَّهِ*^(١).

٣٠- * (وَقَالَ غَيْرُهُ: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِاللَّهِ وَقَرَّتْ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ تَقَطَّعَ قَلْبُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسَرَاتٍ، وَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ لَمْ يَبْقَ لَهُ رَغْبَةٌ فِيهَا

سِوَاهُ)*^(٢).

٣١- * (قَالَ ابْنُ الْجَوَازِيِّ: مَنْ ذَاقَ طَعْمَ الْمَعْرِفَةِ وَجَدَ طَعْمَ الْمَحَبَّةِ، فَالرِّضَا مِنْ جُمْلَةِ ثَمَرَاتِ الْمَعْرِفَةِ، فَإِذَا عَرَفْتَهُ سُبْحَانَهُ رَضِيتَ بِقَضَائِهِ)*^(٣).

٣٢- * (وَقَالَ أَيْضًا - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: لَيْسَ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ أَطْيَبُ عَيْشًا مِنَ الْعَارِفِينَ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ الْعَارِفَ بِهِ مُسْتَأْنَسٌ بِهِ فِي خَلْوَتِهِ، فَإِنْ عَمَّتْ نِعْمَةٌ عَلِمَ مَنْ أَهْدَاهَا، وَإِنْ مَرَّ مَرًّا حَلَا مَذَاقُهُ فِيهِ لِمَعْرِفَتِهِ بِالْمُبْتَلَى، وَإِنْ سَأَلَ فَتَعَوَّقَ مَقْصُودُهُ، صَارَ مُرَادُهُ مَا جَرَى بِهِ الْقَدَرُ، عَلِمًا مِنْهُ بِالْمَصْلَحَةِ، بَعْدَ يَقِينِهِ بِالْحِكْمَةِ، وَثِقَتِهِ بِحُسْنِ التَّدْبِيرِ)*^(٤).

من فوائد «معرفة الله - عز وجل -»

(١) مَعْرِفَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هِيَ أَسَاسُ الْإِيمَانِ بِهِ، وَالتَّصَدِيقِ بِرُسُلِهِ، وَمَا أُرْسِلُوا بِهِ.

(٢) مَعْرِفَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تُورِثُ السَّكِينَةَ وَالرِّضَا، وَتُبْعِدُ عَنِ الْعَبْدِ السَّخَطَ وَالْغَضَبَ.

(٣) الْعَارِفُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَطْيَبِ النَّاسِ عَيْشًا.

(٤) الْمَعْرِفَةُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تُورِثُ مَحَبَّتَهُ سُبْحَانَهُ.

(٥) مَعْرِفَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هِيَ جَمَاعُ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(٦) مَنْ عَرَفَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي الرَّخَاءِ عَرَفَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي شِدَّتِهِ وَأَنْقَذَهُ مِنْهَا.

(١) بصائر ذوي التمييز ج ٤ ص ٥٢.

(٢) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) صيد الخاطر ص ١٠٢.

(٤) المرجع السابق ص ١٥٨.

(٧) الْمَعْرِفَةُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ سِرَاجٌ يُنِيرُ طَرِيقَهُ، أَمَّا مَعْرِفَةُ الْمُنَافِقِ الَّتِي يَعْقُبُهَا إِنْكَارٌ فَإِنَّهَا تَجْعَلُ قَلْبَهُ مَنكُوسًا.

(٨) الْعَارِفُونَ بِاللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ فَيَتَّبِعُونَهُ عِنْدَمَا يَأْتِيهِمْ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَهَا (الحديث رقم ٥).

(٩) الْعَارِفُونَ بِاللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ أَوْفَرُ حَظٍّ مِنْ نُورِ الْيَقِينِ وَأَصْحَابُ الْيَقِينِ هُمُ الْفَائِزُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(١٠) الْمَعْرِفَةُ تُورِثُ الْخَوْفَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتُؤَدِّي إِلَى الْخَشْيَةِ مِنْهُ وَالْبُعْدِ عَنْ مَعَاصِيهِ.

(١١) مِنْ ثَمَرَاتِ الْمَعْرِفَةِ الْإِقْبَالُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(١٢) قَلْبُ الْعَارِفِ يَزْدَادُ نُورًا عَلَى نُورٍ.

المواساة

الآيات	الأحاديث	الآثار
-	٢٧	١٥

المواساة لغة :

المُؤَاسَاةُ مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ: وَاسَيْتُهُ وَهِيَ لُغَةٌ فِي آسَيْتُهُ، يَقُولُ ابْنُ فَارِسٍ: الهمزة والسین والواو أصلٌ واحدٌ يدلُّ على المداواة والإصلاح.

يُقَالُ: أَسَوْتُ الْجُرْحَ إِذَا دَاوَيْتُهُ، وَلِذَلِكَ يُسَمَّى الطَّبِيبُ الْآسِي.

قَالَ الْحُطَيْثَةُ:

هُمْ الْآسُونَ أُمَّ الرَّأْسِ لَمَّا

تَوَاكَلَهَا الْأَطِبَّةُ وَالْإِسَاءُ

وَيُقَالُ: أَسَوْتُ بَيْنَ الْقَوْمِ، إِذَا أَصْلَحْتَ بَيْنَهُمْ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُمْ: لِي فِي فُلَانٍ أَسْوَةٌ (بِضَمِّ الهمزة وكسرها)، أَيُّ قُدْوَةٍ، أَيُّ أَنْبِيٍّ أَقْتَدِي بِهِ، وَأَسَيْتُ فُلَانًا إِذَا عَزَّيْتُهُ مِنْ هَذَا، أَيُّ قُلْتُ لَهُ: لِيَكُنْ لَكَ بِفُلَانٍ أَسْوَةٌ فَقَدْ أُصِيبَ بِمِثْلِ مَا أُصِيبْتُ بِهِ فَرَضِي وَسَلَّم، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ آسَيْتُهُ بِنَفْسِي (وَوَاسَيْتُهُ).

وَقَالَ الرَّاعِبُ: الْأَسْوُ: إِصْلَاحُ الْجُرْحِ وَأَصْلُهُ: إِزَالَةُ الْأَسَى، وَالْآسَى: طَبِيبُ الْجُرْحِ، جَمْعُهُ: إِسَاءٌ وَأُسَاءَةٌ، وَالْمَجْرُوحُ مَأْسِيٌّ وَأَسِيٌّ مَعًا، وَيُقَالُ آسَيْتُهُ (أَصْلَحْتُهُ)، قَالَ الشَّاعِرُ:

آسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ.

وَقَالَ: آخَرُ:

فَآسَى وَأَذَاهُ فَكَانَ كَمَنْ جَنَى.

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: فِي مَادَّةِ (و س ي): وَوَاسَاهُ لُغَةٌ ضَعِيفَةٌ فِي آسَاهُ، تُبْنَى عَلَى يُوَاسِي، وَقَدْ اسْتَوْسَيْتُهُ: أَيُّ قُلْتُ لَهُ وَاسِنِي، وَقَالَ فِي مَادَّةِ (أ س ا) يُقَالُ: آسَيْتُهُ بِمَا لِي مُوَاسَاةً، أَيُّ جَعَلْتُهُ أَسْوَتِي فِيهِ، وَالْإِسْوَةُ وَالْأُسْوَةُ (بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ) هِيَ مَا يَأْتِي بِهِ الْحَزِينُ وَيَتَعَزَّى بِهِ، وَالْجَمْعُ إِسَى وَأُسَى، ثُمَّ سُمِّيَ الصَّبْرُ أَسَى، وَتَآسَوْا: أَيُّ آسَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَالْأَسَى: الْمُدَاوَاةُ وَالْعِلَاجُ، وَهُوَ الْحُزْنُ أَيْضًا وَالْإِسَاءُ: الدَّوَاءُ بِعَيْنِهِ وَالْإِسَاءُ (أَيْضًا) الْأَطِبَّةُ. جَمْعُ الْآسِي.

وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: الْأَسَا (مَفْتُوحٌ مَقْصُورٌ) الْمُدَاوَاةُ وَالْعِلَاجُ، وَهُوَ الْحُزْنُ أَيْضًا، وَأَسَا الْجُرْحَ أَسَوًّا وَأَسَا: دَاوَاهُ، وَالْأَسْوُ عَلَى فَعُولٍ: دَوَاءٌ تَأْسُو بِهِ الْجُرْحَ، وَيُقَالُ: أَسَا بَيْنَهُمْ أَسَوًّا أَصْلَحَ، وَتَآسَوْا أَيُّ آسَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَإِنَّ الْأَلَى بِالطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ

تَآسَوْا فَسَنُوا لِلْكَرَامِ التَّآسِيَا
قَالَ ابْنُ بَرِّي: وَهَذَا الْبَيْتُ تَمَثَّلَ بِهِ مُصْعَبُ (بْنُ الزُّبَيْرِ) يَوْمَ قُتِلَ، وَتَآسَوْا فِيهِ مِنَ الْمُوَاسَاةِ لَا مِنَ التَّآسِيِ، وَالْمُوَاسَاةُ: الْمُسَاوَاةُ وَالْمُشَارَكَةُ فِي الْمَعَاشِ وَالرِّزْقِ وَأَصْلُهَا الهمزة فَقُلِبَتْ وَآوًا تَخْفِيفًا وَفِي حَدِيثِ الْحَدِيثِ: إِنَّ الْمُشْرِكِينَ وَاسُونَا لِلصُّلْحِ، جَاءَ بِهِ عَلَى التَّخْفِيفِ، وَعَلَى الْأَصْلِ جَاءَ الْحَدِيثُ الْآخَرُ: مَا أَحَدٌ عِنْدِي أَعْظَمَ

يَدًا مِنْ أَبِي بَكْرٍ آسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، وَيُقَالُ: آسَاهُ بِمَالِهِ:
أَنَالَهُ مِنْهُ وَجَعَلَهُ فِيهِ أُسُوءَةً، وَقِيلَ لَا يَكُونُ مِنْهُ ذَلِكَ إِلَّا
مِنْ كَفَافٍ، فَإِنْ كَانَ مِنْ فَضْلَةٍ فَلَيْسَ بِمُؤَاسَاةٍ.

قَالَ أَبُو طَالِبٍ: أَصْلُ الْكَلِمَةِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ آسَاهُ
يَأْسُوهُ، إِذَا عَاجَلَهُ وَدَاوَاهُ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ آسٍ يَتُّوسُ:
إِذَا عَاضَ، فَأَخَّرَ الْهَمْزَةَ وَلَيَّنَّهَا وَلَكَّلَ مَقَالًا. وَأَمَّا قَوْلُهُمْ:
وَآسَاهُ فَلُغَةٌ ضَعِيفَةٌ فِي آسَاهُ. وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ فِي قَوْلِهِمْ:
مَا يُؤَاسِي فَلَانٌ فَلَانًا ثَلَاثَةً أَقْوَالٌ:

أَحَدُهَا: مَا يُشَارِكُ فَلَانٌ فَلَانًا فَالْمُؤَاسَاةُ
الْمُشَارَكَةُ. وَأَنْشَدَ لِهَذَا الْمَعْنَى:
فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ آسَى ابْنُ أُمِّهِ

وَأَبَ بِأَسْلَابِ الْكَمِيِّ الْمُغَاوِرِ
وَتَانِيهَا: مَا يُصِيبُهُ بِخَيْرٍ. مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: آسٍ
فَلَانًا بِخَيْرٍ أَيْ أَصِيبُهُ.

ثَالِثُهَا: مَا يُعَوِّضُهُ مِنْ مَوَدَّتِهِ وَلَا قَرَابَتِهِ شَيْئًا أَيْ
مَا يُعَوِّضُهُ وَهُوَ مَا أُخِذَ مِنَ الْأَوْسِ وَهُوَ الْعَوِضُ.
وَيُقَالُ: قَدْ اسْتَوْسَيْتُهُ: أَيْ قُلْتُ لَهُ: وَاسِنِي^(١).

واصطلاحًا:

قَالَ ابْنُ مَسْكُوِيهِ: الْمُؤَاسَاةُ: مُعَاوَنَةُ الْأَصْدِقَاءِ
وَالْمُسْتَحِقِّينَ وَمُشَارَكَتُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَقْوَاتِ^(٢).

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : الْمُؤَاسَاةُ: أَنْ
يَجْعَلَ صَاحِبُ الْمَالِ يَدَهُ وَيَدَ صَاحِبِهِ فِي مَالِهِ سَوَاءً^(٣).

وَقَالَ غَيْرُهُمَا: الْمُؤَاسَاةُ: الْمُشَارَكَةُ وَالْمُسَاهَمَةُ فِي
الْمَعَاشِ وَالرِّزْقِ^(٤).
أَنْوَاعُ الْمُؤَاسَاةِ:

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: الْمُؤَاسَاةُ
لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْوَاعٌ:

الْأَوَّلُ: مُؤَاسَاةٌ بِالْمَالِ.

الثَّانِي: مُؤَاسَاةٌ بِالْجَاهِ.

الثَّالِثُ: مُؤَاسَاةٌ بِالْبَدَنِ وَالْخِدْمَةِ.

الرَّابِعُ: مُؤَاسَاةٌ بِالنَّصِيحَةِ وَالْإِشْرَادِ.

الْخَامِسُ: مُؤَاسَاةٌ بِالدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ لَهُمْ.

السَّادِسُ: مُؤَاسَاةٌ بِالتَّوَجُّعِ لَهُمْ.

قَالَ: وَعَلَى قَدْرِ الْإِيمَانِ تَكُونُ هَذِهِ الْمُؤَاسَاةُ،
فَكُلَّمَا ضَعُفَ الْإِيمَانُ ضَعُفَتْ الْمُؤَاسَاةُ، وَكُلَّمَا قَوِيَ
قَوِيَتْ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَعْظَمَ النَّاسِ مُؤَاسَاةً
لِأَصْحَابِهِ بِذَلِكَ، فَلَاتَّبَاعِهِ مِنَ الْمُؤَاسَاةِ بِحَسَبِ
اتِّبَاعِهِمْ لَهُ، وَدَخَلُوا عَلَى بَشَرِ الْحَافِي فِي يَوْمٍ شَدِيدِ
الْبَرْدِ، وَقَدْ تَجَرَّدَ وَهُوَ يَنْتَفِضُ، فَقَالُوا: مَا هَذَا يَا أَبَا نَضْرٍ؟
فَقَالَ: ذَكَرْتُ الْفُقَرَاءَ وَبَرَدَهُمْ، وَلَيْسَ لِي مَا أُؤَاسِيهِمْ،
فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُؤَاسِيَهُمْ فِي بَرَدِهِمْ^(٥).

وَهَذَا النَّوعُ الْأَخِيرُ الَّذِي يَعْنِي الْمُشَارَكَةَ
إِنَّمَا يَرْمِي إِلَى جَبْرِ خَاطِرِ الْمُحْتَاجِينَ عِنْدَمَا يَتَعَذَّرُ
الْقِيَامُ بِسَدِّ هَذِهِ الْحَاجَةِ، وَفِي هَذَا مَا يُعِينُهُمْ عَلَى الرِّضَا

(٢) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه (٣/ ٣١).

(٣) الفتح (٧/ ٢٥).

(٤) لسان العرب لابن منظور (١/ ٨٢) ط. دار المعارف.

(٥) الفوائد ص ٢٢٤.

(١) تهذيب اللغة للأزهري (١٣٨/ ١٣٩-١٣٩). ولسان

العرب (٨/ ٤٨٤٠). والصحاح (٦/ ٢٥٢٤). وتاج

العروس (١٠/ ٣٩٠-٣٩١) ومقاييس اللغة (١/ ١٠٧)،

المفردات (١٨).

الصَّبْرُ وَتَحْمُلُ الْمَشَاقِّ.

مِنَ الْمَوَاسَاةِ جَبْرُ خَاطِرِ الْمُسْلِمِ وَإِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى قَلْبِهِ:

لَمَّا كَانَتِ الْمَوَاسَاةُ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى مُشَارَكَةِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ فِي الْمَالِ وَالْجَاهِ أَوْ الْخِدْمَةِ وَالنَّصِيحَةِ.. أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ فَإِنَّ مِنَ الْمَوَاسَاةِ مُشَارَكَةَ الْمُسْلِمِ فِي مَشَاعِرِهِ خَاصَّةً فِي أَوْقَاتِ حُزْنِهِ، وَعِنْدَ تَعَرُّضِهِ لِمَا يُعَكِّرُ صَفْوَهُ، وَهُنَا فَإِنَّ إِدْخَالَ السُّرُورِ عَلَيْهِ وَتَطْيِيبَ خَاطِرِهِ بِالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، أَوْ الْمُسَاعَدَةِ الْمُمَكِّنَةِ بِالْمَالِ أَوْ الْجَاهِ، أَوْ الْمُشَارَكَةِ الْوُجْدَانِيَّةِ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْمَوَاسَاةِ وَأَجَلُّ أَنْوَاعِهَا، وَقَدْ كَانَ ﷺ يُوَسِّي بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ^(١)، وَقَدْ عَلَّمَنَا ﷺ أَنَّ مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا مِنْ عَثْرَتِهِ أَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَهُ^(٢)، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَزَالُ فِي حَاجَةِ الْعَبْدِ مَا دَامَ الْعَبْدُ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ^(٣).

إِنَّ حَاجَةَ الْمُسْلِمِ تَتَنَوَّعُ وَتَخْتَلِفُ مِنْ مَوْقِفٍ إِلَى آخَرَ، فَهُنَاكَ مَنْ تَكُونُ حَاجَتُهُ إِلَى الْمَالِ، وَهُنَاكَ مَنْ تَكُونُ حَاجَتُهُ إِلَى عَمَلٍ أَوْ وَظِيفَةٍ، وَهُنَاكَ مَنْ تَكُونُ حَاجَتُهُ إِلَى كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ، وَهُنَاكَ مَنْ تَكُونُ حَاجَتُهُ إِلَى دَفْعِ الظُّلْمِ عَنْهُ، وَهُنَاكَ مَنْ تَكُونُ حَاجَتُهُ إِلَى مُشَارَكَةِ النَّاسِ لَهُ فِي أَتْرَاحِهِ أَوْ أَفْرَاحِهِ، وَهُنَاكَ مَنْ تَكُونُ حَاجَتُهُ فِي وَضْعِ الدِّينِ عَنْهُ أَوْ إِزْجَائِهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحَاجَاتِ

وَكُلُّ ذَلِكَ يَدْخُلُ فِي إِطَارِ الْقَاعِدَةِ الْعَامَّةِ لِلْمَوَاسَاةِ، وَهِيَ أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، وَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ فَائِدَةَ هَذِهِ الْمَوَاسَاةِ لَا تَرْجِعُ إِلَى صَاحِبِ الْحَاجَةِ (الْمُوَاسِي) فَقَطْ، وَإِنَّمَا تَشْمَلُ أَيْضًا الْمُوَاسِي لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقِفُ إِلَى جَانِبِهِ وَيَكُونُ فِي حَاجَتِهِ، هَذَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجَازِيهِ عَلَيْهَا أَفْضَلَ جَزَاءٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ أَخْبَرَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ﷺ أَنَّ مَنْ لَقِيَ أَخَاهُ بِمَا يُحِبُّ لِسِرِّهِ بِذَلِكَ سَرَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٤)، لَقَدْ حَفَلَتْ سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ بِنَمَازِجٍ مُشْرِفَةٍ مِنَ الْمَوَاسَاةِ، وَمِنْ تَأَمُّلِ هَذِهِ الصَّفَحَاتِ الْمُشْرِقَةِ الَّتِي حَفَلَتْ بِهَا سِيرُ هَؤُلَاءِ يَتَّضِحُ أَنَّ مُجَالَسَةَ الْمَسَاكِينِ وَالتَّحَدُّثَ مَعَهُمْ فِيهِ جَبْرُ خَاطِرِهِمْ وَإِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَيْهِمْ^(٥)، وَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ وَاجِدًا فَإِنَّهُ كَانَ يَتَكَفَّلُ بِنَفَقَةٍ هَؤُلَاءِ وَإِعَالَتِهِمْ مَعَ الْمَحَافَظَةِ عَلَى كَرَامَتِهِمْ وَتَقْدِيمِ الْمَعُونَةِ لَهُمْ سِرًّا^(٦).

[للاستزادة: انظر صفات: الإغاثة - الإنفاق -

البر - بر الوالدين - تفريج الكربات - حق الجار -

السخاء - صلة الرحم - عيادة المريض - كفالة اليتيم -

تكريم الإنسان - الكرم - الجود - الصدقة.

وفي ضد ذلك انظر صفات: الأثرة - البخل -

التخاذل - الشح - الإعراض - التفريط والإفراط -

التهاون - قطيعة الرحم - عقوق الوالدين - الكنز].

(٤) انظر الحديث رقم ٢٢.

(٥) انظر الأثر رقم ١١

(٦) انظر الأثر رقم ٩.

(١) انظر الحديث رقم ٢١.

(٢) انظر الحديث رقم ١٢.

(٣) انظر الحديث رقم ١١.

الأحاديث الواردة في «المواساة»

١ - * (عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ :
كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا
بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :
«أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ» فَسَلَّمَ وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ
إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ « فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ
ثُمَّ نَدِمْتُ ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ ، فَأَقْبَلْتُ
إِلَيْكَ ، فَقَالَ : «يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ» (ثَلَاثًا) ثُمَّ إِنَّ
عُمَرَ نَدِمَ فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ فَسَأَلَ : أَتَمَّ أَبُو بَكْرٍ؟
فَقَالُوا : لَا ، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ
يَتَمَعَّرُ (أَيَّ تَذَهَبُ نَضَارَتُهُ مِنَ الْغَضَبِ) حَتَّى أَشْفَقَ
أَبُو بَكْرٍ فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ أَنَا
كُنْتُ أَظْلَمُ (مَرَّتَيْنِ) فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي
إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ : كَذَبْتَ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : صَدَقَ ، وَوَأَسَانِي
بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي ؟» (مَرَّتَيْنِ) فَمَا
أُوذِيَ بَعْدَهَا) * (١).

٢ - * (عَنْ أَنَسٍ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ
أَتَاهُ الْمُهَاجِرُونَ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا رَأَيْنَا قَوْمًا أَبْذَلَ
مِنْ كَثِيرٍ ، وَلَا أَحْسَنَ مُوَاسَاةً مِنْ قَلِيلٍ مِنْ قَوْمٍ نَزَلْنَا بَيْنَ
أَظْهُرِهِمْ لَقَدْ كَفَوْنَا الْمُؤَنَةَ ، وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنِ حَتَّى خِفْنَا
أَنْ يَذْهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لَا مَا دَعَوْتُمْ
اللَّهُ لَهُمْ ، وَأَتَيْتُمْ عَلَيْهِمْ» * (٢).

٣ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ :
كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا فَأَحْسَنَ
الشَّاءِ . قَالَتْ : فَعِزْتُ يَوْمًا ، فَقُلْتُ : مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا
حَمْرَاءُ الشَّدَقِ ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - بِهَا خَيْرًا
مِنْهَا . قَالَ : «مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - خَيْرًا مِنْهَا ، قَدْ
آمَنْتُ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ ، وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي
النَّاسُ ، وَوَأَسَّنِي بِمَا لَهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ -
عَزَّ وَجَلَّ - وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ» * (٣).

الأحاديث الواردة في «المواساة» معني

٤ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ :
قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ : «لَوْ سَلَكَتِ الْأَنْصَارُ وَادِيًا أَوْ
شُعْبًا لَسَلَكَتُ شُعْبَ الْأَنْصَارِ أَوْ وَادِي الْأَنْصَارِ وَلَوْلَا

الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأًا مِنَ الْأَنْصَارِ» فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَمَا
ظَلَمَ بِأَبِي وَأُمِّي ﷺ ، لَا وَهْ وَنَصْرُوهُ ، قَالَ : وَأَحْسَبُهُ
قَالَ : وَوَأَسُوهُ) * (٤).

وهو في الاستيعاب (٢٨٦/٤، ٢٨٧) حاشية على الإصابة.
(٤) أحمد (٢/٤١٤) واللفظ له في هذا الرقم وقريب منه في رقم
(٤٦٩) وقال مخرجه: إسناده صحيح. وأصل الحديث في
الصحيحين من أحاديث عدة من الصحابة. انظر مثلاً
البخاري. الفتح ١٣ (٧٢٤٤)، مسلم (١٠٥٩)، وحدث
عائشة - رضي الله عنها - أيضاً فيه.

(١) البخاري - الفتح ٧ (٣٦٦١).
(٢) الترمذي (٢٤٨٧) وقال : حسن صحيح، واللفظ له، وذكره
ابن كثير في البداية والنهاية (٣/٢٢٧) وقال : رواه أحمد
على شرط الشيخين.
(٣) أحمد (٦/١١٧-١١٨) واللفظ له ، وذكره ابن كثير في
البداية والنهاية (٣/١٢٦) وقال : إسناده لا بأس به،
وذكره الحافظ في الإصابة (٤/٢٨٣) وعزاه لابن عبد البر،

٥ - * (عَنْ أَبِي مُوسَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا^(١) فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عَنْدهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُمْ»)*^(٢).

٦ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْبَعُونَ خَصْلَةً - أَعْلَاهُنَّ مَنِيحَةُ الْعَنْزِ - مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءَ ثَوَابِهَا، وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهَا الْجَنَّةَ» قَالَ حَسَّانُ بْنُ عَطِيَّةٍ - أَحَدُ الرُّوَاةِ - فَعَدَدْنَا مَا دُونَ مَنِيحَةِ^(٣) الْعَنْزِ مِنْ رَدِّ السَّلَامِ وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَإِمَاطَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَنَحْوِهِ - فَمَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نُبَلِّغَ خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً)*^(٤).

٧ - * (عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَطْعِمُوا الْجَائِعَ،

وَعُودُوا الْمَرِيضَ، وَفُكُّوا الْعَانِيَ»)*^(٥).

٨ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا رَجُلٌ يَمْنَحُ أَهْلَ بَيْتِ نَاقَةٍ تَغْدُو بِعُيسٍ^(٦) وَتَرُوحُ بِعُيسٍ إِنَّ أَجْرَهَا لَعَظِيمٌ»)*^(٧).

٩ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «طَعَامُ الْاِثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي الْأَرْبَعَةِ»)*^(٨).

١٠ - * (عَنْ إِيَّاسِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ فَأَصَابَنَا جَهْدٌ^(٩) حَتَّى هَمَمْنَا أَنْ نَنْحَرَ بَعْضُ ظَهْرِنَا^(١٠)، فَأَمَرَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَجَمَعْنَا مَزَاوِدَنَا^(١١) فَبَسَطْنَا لَهُ نِطْعًا^(١٢) فَاجْتَمَعَ زَادُ الْقَوْمِ عَلَى النَّطْعِ. قَالَ: فَتَطَاوَلْتُ لِأَحْزَرَةٍ^(١٣) كَمْ هُوَ؟ فَحَزَرْتُهُ كَرْبُضَةِ الْعَنْزِ^(١٤) وَنَحْنُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ مِائَةً. قَالَ: فَأَكَلْنَا حَتَّى شَبِعْنَا جَمِيعًا ثُمَّ حَشَوْنَا جُرْبِنَا^(١٥) فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «فَهَلْ مِنْ وَضُوءٍ؟» قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ بِإِدَاوَةٍ^(١٦)

من يحضر الفتح (٩/٥٣٥).

(٩) الجَهْدُ - بفتح الجيم - وهو المشقة.

(١٠) ننحز بعض ظهرنا: أي نذبح بعض إبلنا.

(١١) مزادنا: جمع مزود وهو الوعاء الذي يحمل فيه الزاد.

(١٢) نطعاً: أي سفرة من أديم، أو بساطاً.

(١٣) فتطاولت لأحزرة: أي أظهرت طولي لأقدره وأخمنه.

(١٤) كربضة العنز: أي كمبركها، أو كقدرها وهي رابضة.

(١٥) جربنا: الجرب جمع جراب ككتاب وكتب وهو الوعاء من

الجلد يجعل فيه الزاد.

(١٦) الإداوة هي المطهرة.

(١) أرمّلوا: أي فني طعامهم.

(٢) البخاري - الفتح ٥ (٢٤٨٦)، مسلم (٢٥٠٠).

(٣) المنيحة - بوزن عظيمة - العطية.

(٤) البخاري - الفتح ٥ (٢٦٣١).

(٥) البخاري - الفتح ٩ (٥٣٧٣).

(٦) العُيس: القدح الكبير.

(٧) البخاري - الفتح ٥ (٢٦٢٩)، مسلم (١٠١٩) واللفظ له.

(٨) البخاري - الفتح ٩ (٥٣٩٢)، مسلم (٢٠٥٨) واللفظ لهما.

قال المهلب رحمه الله تعالى: المراد بهذا الحديث وأمثاله

الحض على المكارم والتقنع بالكفاية والمواساة وأنه ينبغي

للاثنين إدخال ثالث لطعامهما وإدخال رابع أيضاً بحسب

لَهُ فِيهَا نَظْفَةٌ^(١) فَأَفْرَغَهَا فِي قَدَحٍ فَتَوَضَّأْنَا كُلُّنَا نُدْغِفُفُهُ دَغْفَقَةً^(٢) أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً^(٣) *.

١١ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَتِ الْأَنْصَارُ: اقْسِمُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ النَّخْلُ، قَالَ: «لَا» قَالَ: «يَكْفُونَنَا الْمِئُونَةُ، وَيَشْرَكُونَنَا فِي الثَّمَرِ» قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا)^(٤) *.

١٢ - * (عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَزَالُ اللَّهُ فِي حَاجَةِ الْعَبْدِ مَا دَامَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ»)^(٥) *.

١٣ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا أَقَالَ اللَّهُ عَشْرَتَهُ)^(٦) *.

١٤ - * (عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ ضَحَّى مِنْكُمْ فَلَا يُصْبِحَنَّ فِي بَيْتِهِ بَعْدَ ثَالِثَةِ شَيْئًا، فَلَمَّا كَانَ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ!، نَفْعُلْ كَمَا فَعَلْنَا عَامَ أَوَّلٍ؟ فَقَالَ: «لَا، إِنَّ ذَاكَ عَامٌ كَانَ النَّاسُ فِيهِ بِجَهْدٍ فَأَرَدْتُ أَنْ يَفْشَوْ فِيهِمْ»)^(٧) *^(٨) *.

١٥ - * (عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَأْخُذُ الْأَرْضَ بِالثُّلُثِ أَوْ الرَّبْعِ الْمَازِيَانَاتِ^(٩)، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَزْرِعْهَا فَإِنْ لَمْ يَزْرِعْهَا، فَلْيَمْنَحْهَا أَخَاهُ، فَإِنْ لَمْ يَمْنَحْهَا أَخَاهُ فَلْيُمْسِكْهَا)^(١٠) *.

١٦ - * (عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ كَانُوا نَاسًا فَقَرَاءً، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ مَرَّةً: «مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامٌ اثْنَيْنِ، فَلْيَذْهَبْ بِثَلَاثَةٍ. وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامٌ أَرْبَعَةٍ فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ، بِسَادِسٍ» أَوْ كَمَا قَالَ: وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بِثَلَاثَةٍ، وَانْطَلَقَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ بِعَشْرَةٍ، وَأَبُو بَكْرٍ بِثَلَاثَةٍ، قَالَ: فَهُوَ وَأَنَا وَأَبِي وَأُمِّي - وَلَا أَدْرِي هَلْ قَالَ: وَامْرَأَتِي وَخَادِمٌ بَيْنَ بَيْتِنَا وَبَيْتِ أَبِي بَكْرٍ - قَالَ: وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ تَعَشَّى عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ. ثُمَّ لَبِثَ حَتَّى صُلِّيَتِ الْعِشَاءُ، ثُمَّ رَجَعَ فَلَبِثَ حَتَّى نَعَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: مَا حَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ؟ أَوْ قَالَتْ: ضَيْفُكَ - قَالَ: أَوْ مَا عَشَّيْتَهُمْ؟ قَالَتْ: أَبَوْا حَتَّى تَحْيَى. قَدْ عَرَضُوا عَلَيْهِمْ

(١) نظفة: قليل من الماء.

(٢) نُدْغِفُهُ دَغْفَقَةً: أي نصبه صبا شديدا.

(٣) مسلم (١٧٢٩).

(٤) البخاري - الفتح ٧ (٣٧٨٢).

(٥) الطبراني في الكبير (١١٨/٥)، وذكره الدمياطي في المتجر

الرابع (٥٣٧) وقال: رواه الطبراني بإسناد جيد، وقال

الهيثمي في المجمع: رجاله ثقات (١٩٣/٨). واللفظ فيه.

(٦) أبو داود (٣٤٦٠) واللفظ له، أحمد (٢٥٢/٢) وقال الشيخ

أحمد شاكر: إسناده صحيح (١٦٨/١٣) حديث (٧٤٢٥)،

والحاكم (٤٥/٢)، وقال: هذا حديث صحيح على

شرطهما ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وقال محقق «جامع

الأصول» (٤٤٠/١): إسناده صحيح.

(٧) يفشو فيهم: أي يشيع لحم الأضاحي في الناس.

(٨) البخاري - الفتح ١٠ (٥٥٦٩)، مسلم (١٩٧٤) واللفظ له.

(٩) المازيانات: هي مسايل المياه وقيل: ما ينبت على حافتي

مسيل الماء وقيل: ما ينبت حول السواقي لفظه معربة.

(١٠) مسلم (١٥٣٦)، ومن حديث أبي هريرة (١٥٤٤).

فِي فَضْلِ) * (٥).

١٨ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ^(٦). فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ. فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ! مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ. ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ. حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا. وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ! مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ. فَقَالَ: «مَنْ يُضِيفُ هَذَا، اللَّيْلَةَ، رَحِمَهُ اللَّهُ» فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا. يَا رَسُولَ اللَّهِ!، فَأَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ. فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ؟. قَالَتْ: لَا. إِلَّا قُوتُ صَبْيَانِي. قَالَ: فَعَلَّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَا نَأْكُلُ. فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «قَدْ عَجَبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمْ بِضَيْفِكُمْ اللَّيْلَةَ» * (٧).

١٩ - * (عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثِينَ وَمِائَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنْكُمْ طَعَامٌ؟» فَإِذَا مَعَ رَجُلٍ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ أَوْ نَحْوَهُ، فَعَجِنَ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ مُشْعَانٌ^(٨) طَوِيلٌ بَغْنَمٍ يَسُوقُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَبِيعْ أُمَّ عَطِيَّةً - أَوْ قَالَ: هِبَةً -؟» قَالَ: لَا، بَلْ بَيْعٌ. قَالَ:

فَغَلَبُوهُمْ. قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنَا فَاخْتَبَأْتُ. وَقَالَ: يَا غُثْرَا! فَجَدَعَ وَسَبَّ^(١)، وَقَالَ: كُلُوا. لَا هَنِيئًا. وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَطْعَمُهُ أَبَدًا. قَالَ: فَايُمُ اللَّهُ! مَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ إِلَّا رَبَا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا. قَالَ: حَتَّى شَبِعْنَا وَصَارَتْ أَكْثَرُ مِمَّا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ. فَنَظَرَ إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ فَإِذَا هِيَ كَمَا هِيَ أَوْ أَكْثَرُ. قَالَ لَامْرَأَتِهِ: يَا أُخْتُ بَنِي فِرَاسٍ! مَا هَذَا؟ قَالَتْ: لَا. وَقَرَّةٌ عَيْنِي! هِيَ الْآنَ أَكْثَرُ مِنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلَاثِ مَرَارٍ. قَالَ: فَأَكَلَ مِنْهَا أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ. يَعْنِي يَمِينُهُ. ثُمَّ أَكَلَ مِنْهَا لُقْمَةً. ثُمَّ حَمَلَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَصْبَحَتْ عِنْدَهُ، قَالَ: وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ عَقْدٌ فَمَضَى الْأَجَلَ. فَعَرَّفْنَا^(٢) اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْاسٌ، اللَّهُ أَعْلَمُ كَمْ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ، إِلَّا أَنَّهُ بَعَثَ مَعَهُمْ فَأَكَلُوا مِنْهَا أَجْمَعُونَ، أَوْ كَمَا قَالَ * (٣).

١٧ - * (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ^(٤) فَلْيُعْذِبْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيُعْذِبْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ» قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ، حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا

بالإبل. والفضل: ما زاد عن الحاجة.

(٥) مسلم (١٧٢٨).

(٦) مجهود: أصابني الجهد وهو المشقة والحاجة وسوء العيش والجوع.

(٧) البخاري - الفتح ٧ (٣٧٩٨)، ومسلم (٢٠٥٤) واللفظ له.

(٨) مُشْعَانٌ: أي متفش الشعر نائر الرأس.

(١) (يا غثر فجدع وسب) غُثْرَا: الثقيل الوخيم، وقيل: الجاهل

أو السفيفه. وجدع: أي دعا بالجدع وهو قطع الأنف وغيره من الأعضاء. والسب: الشتم.

(٢) عَرَّفْنَاهُ: أي جعلنا عرفاء.

(٣) مسلم (٢٠٥٧).

(٤) الظهر: يراد به ما يركب من الدواب وخصه اللغويون

فَاشْتَرَى مِنْهُ شَاةً. فَصْنَعَتْ، فَأَمَرَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ بِسَوَادِ الْبَطْنِ^(١) يُشَوَّى، وَائِمُ اللَّهُ مَا مِنْ الثَّلَاثِينَ وَمِائَةٍ إِلَّا قَدْ حَزَّ لَهُ حُزَّةٌ^(٢) مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا، إِنْ كَانَ شَاهِدًا أَعْطَاهَا إِيَّاهُ، وَإِنْ كَانَ غَائِبًا خَبَّأَهَا لَهُ، ثُمَّ جَعَلَ فِيهَا قِصْعَتَيْنِ، فَأَكَلْنَا أَجْمَعُونَ وَشَبِعْنَا، وَفَضَلَ فِي الْقِصْعَتَيْنِ فَحَمَلْتُهُ عَلَى الْبَعِيرِ، أَوْ كَمَا قَالَ^(٣).

٢٠ - * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَآخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّيِّعِ - وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ - فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ عَلِمْتَ الْأَنْصَارُ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا، سَأَقْسِمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَاَنْظُرُ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَأُطْلِقُهَا حَتَّى إِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا. فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ، فَلَمْ يَرْجِعْ يَوْمَئِذٍ حَتَّى أَفْضَلَ شَيْئًا مِنْ سَمْنٍ وَأَقِطٍ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ وَضْرٌ مِنْ صُفْرَةٍ^(٤)، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَهِيمٌ؟»^(٥) قَالَ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ. قَالَ: «مَا سَقَتْ فِيهَا؟» قَالَ: وَزَنَ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ - أَوْ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ - فَقَالَ: «أَوَلَمْ وَلَوْ

بِشَاةٍ» *^(٦).

٢١ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا، فَلَقِيَ اللَّهَ تَعَالَى فَتَجَاوَزَ عَنْهُ» *^(٧).

٢٢ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ طَلَبَ غَرِيماً لَهُ، فَتَوَارَى عَنْهُ، ثُمَّ وَجَدَهُ، فَقَالَ: إِنِّي مُعْسِرٌ، فَقَالَ: اللَّهُ؟ قَالَ: اللَّهُ^(٨)، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ، رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّيهُ اللَّهُ مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلْيُنْفُسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ» *^(٩).

٢٣ - * (عَنْ أَنَسِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَقِيَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ بِمَا يُحِبُّ لِسِرِّهِ بِذَلِكَ، سَرَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» *^(١٠).

٢٤ - * (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ الْفَرَائِضِ إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْمُسْلِمِ» *^(١١).

حذيفة، و(٦٤٨١) من حديث أبي سعيد، ومسلم (١٥٦٢) واللفظ له.

(٨) الله الأولى قسم سؤال أي أبا الله، والثانية قسم جواب وقد حذف حرف القسم وعوض عنه همزة الاستفهام.

(٩) مسلم (١٥٦٣).

(١٠) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٣/ ٣٩٤، وقال رواه الطبراني بإسناد حسن.

(١١) المرجع السابق، الصفحة نفسها، وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير.

(١) بسواد البطن: أي الكبد.

(٢) حَزَّ حُزَّةً: أي قطع قطعة.

(٣) البخاري - الفتح ٩ (٥٣٨٢) واللفظ له، ومسلم (٢٠٥٦).

(٤) معنى الحديث أنه وجد به لطخاً من طيب له لون فسأل عنه فأخبره أنه تزوج وذلك من فعل العروس إذا دخل على زوجته.

(٥) مهيم: أي ما شأنك وما حالك؟

(٦) البخاري . الفتح ٧ (٣٧٨١).

(٧) البخاري - الفتح ١١ (٦٤٨٠) من حديث

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في «المواساة»

٢٥ - * (عن المقداد - رضي الله عنه - أنه قال :

أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي ، وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا مِنْ الْجَهْدِ^(١) فَجَعَلْنَا نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبَلُنَا^(٢) . فَاتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ فَانْطَلَقَ بِنَا إِلَى أَهْلِهِ . فَإِذَا ثَلَاثَةٌ أَعْزِرُ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «اِحْتَلِبُوا هَذَا اللَّبَنَ بَيْنَنَا» قَالَ : فَكُنَّا نَحْتَلِبُ فَيَشْرَبُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهَا نَصِيبَهُ . وَنَرْفَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَصِيبَهُ . قَالَ : فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لَا يُوقِظُ نَائِمًا . وَيُسْمِعُ الْيَقْظَانَ . قَالَ : ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجِدَ فَيُصَلِّي . ثُمَّ يَأْتِي شَرَابَهُ فَيَشْرَبُ . فَاتَانِي الشَّيْطَانُ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، وَقَدْ شَرِبْتُ نَصِيبِي . فَقَالَ : مُحَمَّدٌ يَأْتِي الْأَنْصَارَ فَيُحِيفُونَهُ ، وَيُصِيبُ عِنْدَهُمْ . مَا بِهِ حَاجَةٌ إِلَى هَذِهِ الْجُرْعَةِ^(٣) . فَاتَيْتُهَا فَشَرِبْتُهَا . فَلَمَّا أَنُ وَغَلْتُ فِي بَطْنِي^(٤) وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَيْهَا سَبِيلٌ . قَالَ : نَدَمَنِي الشَّيْطَانُ . فَقَالَ : وَيْحَكَ ! مَا صَنَعْتَ ؟ أَشَرِبْتَ شَرَابَ مُحَمَّدٍ ؟ فَيَجِيءُ فَلَا يَجِدُهُ فَيَدْعُو عَلَيْكَ فَتَهْلِكُ . فَتَذْهَبُ دُنْيَاكَ وَآخِرَتُكَ . وَعَلَيَّ شَمْلَةٌ إِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى قَدَمِي خَرَجَ رَأْسِي وَإِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى رَأْسِي خَرَجَ قَدَمَايَ ، وَجَعَلَ

لَا يَجِيئُنِي النَّوْمُ . وَأَمَّا صَاحِبَايَ فَنَامَا وَلَمْ يَصْنَعَا مَا صَنَعْتُ . قَالَ : فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ . ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَصَلَّى . ثُمَّ أَتَى شَرَابَهُ فَكَشَفَ عَنْهُ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئًا . فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقُلْتُ : الْآنَ يَدْعُو عَلَيَّ فَأَهْلِكُ . فَقَالَ : «اللَّهُمَّ ! أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي . وَاسْقِ مَنْ أَسْقَانِي» قَالَ : فَعَمَدْتُ إِلَى الشَّمْلَةِ فَشَدَدْتُهَا عَلَيَّ . وَأَخَذْتُ الشَّفْرَةَ فَانْطَلَقْتُ إِلَى الْأَعْزِرِ أَيُّهَا أَسْمَنُ فَأَذْبَحُهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَإِذَا هِيَ حَافِلَةٌ^(٥) . وَإِذَا هُنَّ حُفْلٌ كُلُّهُنَّ ، فَعَمَدْتُ إِلَى إِنَاءٍ لَالٍ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا كَانُوا يَطْمَعُونَ أَنْ يَحْتَلِبُوا فِيهِ ، قَالَ : فَحَلَبْتُ فِيهِ حَتَّى عَلَتْهُ رَغْوَةٌ^(٦) . فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَقَالَ : «أَشْرَبْتُمْ شَرَابَكُمْ اللَّيْلَةَ؟» قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! اشْرَبْ ، فَشَرِبَ ثُمَّ نَاوَلَنِي . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! اشْرَبْ . فَشَرِبَ ثُمَّ نَاوَلَنِي ، فَلَمَّا عَرَفْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ رَوِيَ ، وَأَصَبْتُ دَعْوَتَهُ ، ضَحِكْتُ حَتَّى أُلْقِيْتُ إِلَى الْأَرْضِ . قَالَ : فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «إِحْدَى سَوَاتِكَ^(٧) يَا مُقْدَادُ» فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! كَانَ مِنْ أَمْرِي كَذَا وَكَذَا ، وَفَعَلْتُ كَذَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «مَا هَذِهِ إِلَّا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ أَفَلَا

(٥) (حافلة) الحفل في الأصل الاجتماع. ويقال للضرع المملوء

باللبن: ضرع حافل، وجمعه حُفْلٌ.

(٦) (رغوة) هي زبد اللبن الذي يعلوه، وهي بفتح الراء وضمها وكسرهما ثلاث لغات مشهورات.

(٧) (إحدى سواتك) أي أنك فعلت سوءة من الفعلات فما

هي؟

(١) الجهد : بفتح الجيم ، هو الجوع والمشقة.

(٢) فليس أحد منهم يقبلنا : هذا محمول على أن الذين عرضوا أنفسهم عليهم كانوا مقلين ليس عندهم شيء يواسون به.

(٣) ما به حاجة إلى هذه الجرعة : هي بضم الجيم وفتحها ، حكاها ابن السكيت وغيره ، والفعل منه جَرَعْتُ.

(٤) وغلت في بطني : أي دخلت وتمكنت منه.

كُنْتُ أَذْنَتْنِي، فَنُوقِظَ صَاحِبَيْنَا فَيُصَيِّيانِ مِنْهَا» قَالَ:
فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ! مَا أَبَالِي إِذَا أَصَبْتُهَا
وَأَصَبْتُهَا مَعَكَ. مَنْ أَصَابَهَا مِنَ النَّاسِ*^(١).

٢٦ - * (عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ يَخْطُبُ: إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ صَحَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، يَعُودُ مَرْضَانَا، وَيَتَّبِعُ جَنَائِزَنَا،
وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُؤَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، وَإِنْ نَاسًا
يُعَلِّمُونِي بِهِ عَسَى أَنْ لَا يَكُونُ أَحَدُهُمْ رَأَى قَطُّ)*^(٢).

٢٧ - * (عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -

أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا فِي دَارِي. فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ. فَأَشَارَ إِلَيَّ. فَقُمْتُ إِلَيْهِ. فَأَخَذَ يَدِي. فَانْطَلَقْنَا
حَتَّى أَتَى بَعْضُ حُجَرِ نِسَائِهِ. فَدَخَلَ. ثُمَّ أَذِنَ لِي.
فَدَخَلْتُ الْحِجَابَ عَلَيْهَا^(٣). فَقَالَ: «هَلْ مِنْ غَدَاءٍ»
فَقَالُوا: نَعَمْ. فَأُتِيَ بِثَلَاثَةِ أَقْرِصَةٍ. فَوُضِعْنَ عَلَى نَبِيٍّ^(٤).
فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ قُرْصًا فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَأَخَذَ قُرْصًا
آخَرَ فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيَّ. ثُمَّ أَخَذَ الثَّلَاثَ فَكَسَرَهُ بِأَثْنَيْنِ.
فَجَعَلَ نِصْفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَنِصْفَهُ بَيْنَ يَدَيَّ. ثُمَّ قَالَ: «هَلْ
مِنْ أَدُمٍ؟» قَالُوا: لَا. إِلَّا شَيْءٌ مِنْ خَلٍّ. قَالَ: «هَاتُوهُ.
فَنِعْمَ الْأَدُمُ هُوَ»)*^(٥).

من الآثار وأقوال العلماء الواردة في «المواساة»

١ - * (قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -:

الْمُؤَاسَاةُ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ)*^(٦).

٢ - * (قَالَ أَبُو الْأَعْرَجِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لَقَدْ

رَأَيْتُنَا فِي مَجْلِسِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَرْبَعِينَ
فَقِيهًا أَذْنَى خَصْلَةٍ فِينَا التَّوَاسِي بِمَا فِي أَيْدِينَا، وَمَا رَأَيْتُ
فِي مَجْلِسِهِ مُمَارِينَ وَلَا مُتَنَازِعِينَ فِي حَدِيثٍ لَا
يَنْفَعُنَا)*^(٧).

٣ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كُنَّا

نُسَمِّي جَعْفَرًا أَبَا الْمَسَاكِينِ، كَانَ يَذْهَبُ إِلَى بَيْتِهِ، فَإِذَا لَمْ
يَجِدْ لَنَا شَيْئًا، أَخْرَجَ لَنَا عُكَّةً أَثَرُهَا عَسَلٌ، فَشُقُّهَا
وَنُلْعَقُهَا)*^(٨).

٤ - * (قَالَ الذَّهَبِيُّ: قِيلَ: كَانَتْ لِأَبِي بَرَزَةَ

الْأَسْلَمِيِّ جَفْنَةٌ مِنْ ثَرِيدِ غُدُوَّةٍ، وَجَفْنَةٌ عَشِيَّةٍ لِلْأَرَامِلِ
وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ)*^(٩).

(١) مسلم (٢٠٥٥).

(٢) أحمد (١/٦٩-٧٠) برقم (٥٠٤). وقال الشيخ أحمد

شاكر (١/٣٧٨): إسناده حسن.

(٣) فدخلت الحجاب عليها: معناه دخلت الحجاب إلى
الموضع الذي فيه المرأة، وليس فيه أنه رأى بشرتها.

(٤) على نبي: أي على مائده من خوص، وروى «بتي» والبت:

كساء من وبر أو صوف، فلعله منديل وضع عليه هذا

الطعام. ورواه بعضهم بـ «نبي»: وهو الصواب وهو طبق من
خوص.

(٥) مسلم (٢٠٥٢).

(٦) حلية الأولياء (٧/٣٧٠).

(٧) نزهة الفضلاء ١/٤٩٣.

(٨) المرجع السابق ١/٣٩.

(٩) المرجع السابق، ١/٢١٦.

٥ - * (عَنْ شُعْبَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ: لَمَّا تُوفِّيَ الزُّبَيْرُ لَقِيَ حَكِيمُ (بْنُ حِزَامٍ) عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: كَمْ تَرَكَ أَخِي مِنَ الدِّينِ؟ قَالَ: أَلْفَ أَلْفٍ، قَالَ: عَلَيَّ خَمْسِائَةِ أَلْفٍ) * (١).

٦ - * (قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ إِذَا قَصَدَهُ سَائِلٌ وَلَيْسَ عِنْدَهُ شَيْءٌ قَالَ: اكْتُبْ عَلَيَّ سَجَلًا بِمَسْأَلَتِكَ إِلَى الْمَيْسَرَةِ) * (٢).

٧ - * (عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثَّمَالِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ: إِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ كَانَ يَحْمِلُ الْخُبْزَ بِاللَّيْلِ عَلَى ظَهْرِهِ يَتَّبِعُ بِهِ الْمَسَاكِينَ فِي الظُّلْمَةِ، وَيَقُولُ: إِنَّ الصَّدَقَةَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ) * (٣).

٨ - * (عَنْ عَمْرِو بْنِ ثَابِتٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ: لَمَّا مَاتَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ وَجَدُوا بِظَهْرِهِ أَثَرًا مِمَّا كَانَ يَنْقُلُ الْجُرْبَ^(٤) بِاللَّيْلِ إِلَى مَنَازِلِ الْأَرَامِلِ) * (٥).

٩ - * (عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ: كَانَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَعِيشُونَ، لَا يَدْرُونَ مِنْ أَيْنَ كَانَ مَعَاشُهُمْ، فَلَمَّا مَاتَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ، فَقَدُوا ذَلِكَ الَّذِي كَانُوا يُؤْتُونَ بِاللَّيْلِ) * (٦).

١٠ - * (وَقَالَ شَيْبَةُ بْنُ نَعَامَةَ: لَمَّا مَاتَ عَلِيٌّ (بْنُ الْحُسَيْنِ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَجَدُوهُ يَعُولُ مِائَةَ

أَهْلٍ بَيْتٍ، قَالَ الذَّهَبِيُّ: قُلْتُ وَلِهَذَا كَانَ يُبَخَّلُ - فَإِنَّهُ كَانَ يُنْفِقُ سِرًّا وَيَظُنُّ أَهْلُهُ أَنَّهُ كَانَ يَجْمَعُ الدَّرَاهِمَ) * (٧).

١١ - * (عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(٨) - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَعِيشَ عَيْشَ الْأَغْنِيَاءِ، وَأَمُوتَ مَوْتَ الْفُقَرَاءِ، قَالَ الذَّهَبِيُّ: فَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ كَذَلِكَ، يَلْبَسُ كِسْوَتَهُ، ثُمَّ يَجِيءُ إِلَى الْمَسَاكِينِ، فَيَجْلِسُ مَعَهُمْ يُحَدِّثُهُمْ وَيَقُولُ: لَعَلَّهُمْ يَفْرَحُونَ بِذَلِكَ) * (٩).

١٢ - * (قَالَ أَبُو حَمْزَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - اخْتَلَفْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ الصَّائِغِ نَيْفًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، مَا عَلِمَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي أَيْنَ ذَهَبْتُ، وَلَا مِنْ أَيْنَ جِئْتُ، قَالَ الذَّهَبِيُّ: لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ فِي السَّجْنِ، وَلَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا مُتَخَفِيًا) * (١٠).

١٣ - * (عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - قَالَ: أَرَادَ جَارٌ لِأَبِي حَمْزَةَ الشُّكْرِيَّ أَنْ يَبِيعَ دَارَهُ، فَقِيلَ لَهُ: بِكَمْ؟ قَالَ: بِأَلْفَيْنِ ثَمَنُ الدَّارِ، وَبِأَلْفَيْنِ جَوَارِ أَبِي حَمْزَةَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا حَمْزَةَ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ، وَقَالَ لَا تَبِعْ دَارَكَ) * (١١).

١٤ - * (قَالَ الْحَاكِمُ (النَّيْسَابُورِيُّ) صَحِبْتُ ابْنَ أَبِي ذُهْلٍ حَضْرًا وَسَفَرًا.. قِيلَ لِي: إِنَّ عُسْرَ غَلَّتِهِ

(٧) السابق ١/ ٤٠٧.

(٨) بكر بن عبد الله بن عمرو المزني إمام قدوة واعظ يذكر مع الحسن وابن سيرين (سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٣٢ - ٥٣٦).

(٩) نزهة الفضلاء ١/ ٤٣٨.

(١٠) السابق، ١/ ٥٩٤ - ٥٩٥.

(١١) نزهة الفضلاء ١/ ٥٩٥.

(١) نزهة الفضلاء ١/ ٢١٩.

(٢) السابق، ١/ ٢٩٥.

(٣) السابق، ١/ ٤٠٦.

(٤) الجرب جمع جريب وهو وعاء يحمل فيه الطعام والدقيق ونحوهما.

(٥) نزهة الفضلاء ١/ ٤٠٦ - ٤٠٧.

(٦) نزهة الفضلاء ١/ ٤٠٦.

تَبْلُغُ أَلْفَ حِمْلٍ، وَحَدَّثَنِي أَبُو أَحْمَدَ الْكَاتِبُ أَنَّ النُّسْخَةَ
بِأَسَامِي مَنْ يَمُونُهُمْ تَزِيدُ عَلَى خَمْسَةِ آلَافٍ بَيْتٍ، وَقَدْ
عُرِضَتْ عَلَيْهِ وَلَا يَأْتُ جَلِيلَةً فَأَبَى»^(١).

١٥ - * (حَكَى الذَّهَبِيُّ أَنَّ الرَّفَاعِيَّ (أَبَا الْعَبَّاسِ

أَحْمَدَ بْنَ أَبِي الْحَسَنِ الْمَغْرِبِيِّ ثُمَّ الْبَطَائِحِيِّ، كَانَ يَجْمَعُ
الْحَطَبَ، وَيَجِيءُ بِهِ إِلَى بَيْتِ الْأَرَامِلِ، وَيَمْلَأُ لَهُمْ
بِالْجَرَّةِ) *^(٢).

من فوائد «المواساة»

(٧) الْمُوَاسَاةُ تَجْعَلُ صَاحِبَهَا مِنَ الْمُسْرُورِينَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ،

(٨) الْمُوَاسَاةُ مِنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -.

(٩) الْمُوَاسَاةُ تَدْعُو إِلَى الْأُلْفَةِ وَتُؤَكِّدُ مَعْنَى الْإِحَاءِ
وَتَنْشُرُ الْمَحَبَّةَ.

(١٠) الْمُوَاسَاةُ تَدْفَعُ الْغَيْظَ وَتُذْهِبُ الْغِلَّ وَتُثَبِّتُ
الْأَحْقَادَ.

(١١) دَلِيلٌ عَلَى حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ، وَتَمَامِ الثِّقَةِ بِهِ عِنْدَهُ
- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

(١) تُورِثُ حُبَّ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ثُمَّ حُبَّ الْخَلْقِ.

(٢) دَلِيلٌ حُبِّ الْخَيْرِ لِلْآخَرِينَ.

(٣) تُشِيعُ رُوحَ الْأُخُوَّةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

(٤) تُقَوِّي الْعَلَاقَاتِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

(٥) تُسَاعِدُ عَلَى قَضَاءِ حَاجَاتِ الْمُحْتَاجِينَ وَتَسَدِّ عَوَزِ
الْمُعْوزِينَ.

(٦) تُدْخِلُ السُّرُورَ عَلَى الْمُسْلِمِ وَتَرْفَعُ مِنْ مَعْنَوِيَّاتِهِ
فَيَقْبَلُ عَلَى الْحَيَاةِ مَسْرُورًا.

النبيل

الآيات	الأحاديث	الآثار
-	٤	٩

النبيل لغة :

مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ: نَبِيلٌ فَلَانٌ أَيُّ صَارَ نَبِيلًا، وَهُوَ مَا أُخِذَ مِنْ مَادَّةٍ (ن ب ل) الَّتِي تَدُلُّ - كَمَا يَقُولُ ابْنُ فَارِسٍ - عَلَى فَضْلِ وَكِبَرٍ، ثُمَّ يُسْتَعَارُ مِنْهُ الْحَذَقُ فِي الْعَمَلِ، فَيُقَالُ لِلْفَضْلِ فِي الْإِنْسَانِ نُبْلٌ، وَالْمَعْنَى فِي الْحَذَقِ قَوْلُهُمْ: إِنَّ النَّابِلَ: الْحَازِقُ بِالْأَمْرِ، وَالْفِعْلُ (أَيِ الْمَصْدَرِ) النَّبَالَةُ، وَفُلَانٌ أَنْبَلُ النَّاسِ بِالْإِبِلِ: أَيِ أَعْلَمُهُمْ بِمَا يُصْلِحُهَا، قَالَ الشَّاعِرُ:

تَدَلَّى عَلَيْهَا بِالْحَبَالِ مُوْتَقًا

شَدِيدُ الْوَصَاةِ نَابِلٌ وَابْنُ نَابِلٍ
وَفِي الْبَابِ قِيَاسٌ آخَرٌ يَدُلُّ عَلَى رَمْيِ الشَّيْءِ
وَنَبَذِهِ وَخَفَةِ أَمْرِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ: النَّبْلُ: السَّهَامُ الْعَرَبِيَّةُ،
وَالنَّابِلُ صَاحِبُ النَّبْلِ، وَالنَّبَالُ الَّذِي يَعْمَلُهُ، وَنَبْلَتُهُ:
أَيِ رَمَيْتُهُ بِالنَّبْلِ.

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: النَّبْلُ: النَّبَالَةُ وَالْفَضْلُ، وَقَدْ
نَبِلَ - بِالضَّمِّ - فَهُوَ نَبِيلٌ، وَالْجَمْعُ نَبَلٌ - بِالتَّحْرِيكِ -
مِثْلُ كَرِيمٍ وَكَرَمٍ، يُقَالُ: نَابِلَتُهُ فَنَبْلَتُهُ، إِذَا كُنْتَ أَجْوَدَ
نَبَلًا مِنْهُ، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ فِي النَّبْلِ أَيْضًا، وَتَنَبَّلَ تَكَلَّفَ
النَّبْلَ، وَتَنَبَّلَ (أَيْضًا) أَخَذَ الْأَنْبَلَ فَلَا أَنْبَلَ وَتَنَبَّلَ الْبَعِيرُ:

مَاتَ، قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ وَيُقَالُ: تَنَبَّلَ الْإِنْسَانُ أَيْضًا
(مَاتَ)، وَالنَّبِيلَةُ: الْجَيْفَةُ^(١)، وَالنَّابِلُ: الْحَازِقُ بِالْأَمْرِ،
يُقَالُ فَلَانٌ نَابِلٌ وَابْنُ نَابِلٍ، أَيِ حَازِقٌ وَابْنُ حَازِقٍ،
وَيُقَالُ مَا انْتَبَلَ نَبْلُهُ إِلَّا بِأَخْرَةٍ، أَيِ مَا انْتَبَهَ لَهُ وَمَا بَالَى
بِهِ، وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ:

النُّبْلُ، بِالضَّمِّ: الذِّكَاءُ وَالنَّجَابَةُ، وَقَدْ نَبِلَ
نُبْلًا وَنَبَالَةً وَتَنَبَّلَ، وَهُوَ نَبِيلٌ وَنَبْلٌ، وَالْأُنْثَى نَبْلَةٌ،
وَالْجَمْعُ نِبَالٌ بِالْكَسْرِ، وَنَبْلٌ، بِالتَّحْرِيكِ وَنَبْلَةٌ.
وَالنَّبِيلَةُ: الْفَضِيلَةُ، وَأَمَّا النَّبَالَةُ فَهِيَ أَعْمٌ، تَجْرِي مَجْرَى
النُّبْلِ، وَتَكُونُ مَصْدَرًا لِلشَّيْءِ النَّبِيلِ أَيِ الْجَسِيمِ قَالَ:
وَالنَّبْلُ فِي مَعْنَى جَمَاعَةِ النَّبِيلِ، كَمَا أَنَّ الْأَدَمَ جَمَاعَةَ
الْأَدِيمِ، وَالكَرَّمَ قَدْ يَجِيءُ جَمَاعَةَ الْكَرِيمِ، وَفِي بَعْضِ
الْقَوْلِ: رَجُلٌ نَبْلٌ وَامْرَأَةٌ نَبْلَةٌ وَقَوْمٌ نِبَالٌ، وَفِي الْمَعْنَى
الْأَوَّلِ، قَوْمٌ نِبَالَاءُ. وَقَالَ ابْنُ سِيدَةَ: وَكُلُّ حَازِقٍ نَابِلٌ
وَيُقَالُ: نَبِلَ الرَّجُلُ بِالطَّعَامِ يَنْبِلُهُ: عَلَّلَهُ بِهِ. وَنَاوَلَهُ
الشَّيْءَ بَعْدَ الشَّيْءِ، وَنَبَلَ بِهِ يَنْبِلُهُ: رَفَقَ بِهِ، وَلَا تَنْبَلَنَّكَ
بِنَابَلَتِكَ، أَيِ لَا جَزِيئَتَكَ جَزَاءَكَ، وَالنَّبْلُ (بِالْفَتْحِ) حُسْنُ
السَّوْقِ، وَالنَّابِلُ: الْمُحْسِنُ لِلسَّوْقِ وَقَوْلُهُمْ: انْبَلْ
بِقَوْمِكَ أَيِ ارْفُقْ بِهِمْ، وَالنُّبْلُ (بِضَمِّتَيْنِ) الرِّفْقُ، وَالنَّبْلُ:

(١) فِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ تَنَبَّلَ بِمَعْنَى مَاتَ مَا أُخِذَ مِنَ النَّبِيلَةِ
بِمَعْنَى الْجَيْفَةِ.

الحِذْقُ، وَالنَّبَالَةُ وَالنُّبْلُ فِي الرِّجَالِ، وَيُقَالُ: ثَمَرَةُ نَبِيلَةٍ
وَقِدْحُ نَبِيلٍ (أَيُّ ضَخْمٍ) ^(١).

النبل اصطلاحًا:

لَمْ تَذْكُرْ كُتُبَ الْمُصْطَلَحَاتِ لَفْظَ «النُّبْلِ» أَوْ
النَّبَالَةِ ضِمْنَ الْأَصْطِلَاحَاتِ، وَمِنْ ثَمَّ يَكُونُ النُّبْلُ
بِاعْتِبَارِهِ خُلُقًا حَمِيدًا بَاقِيًا عَلَى أَصْلِ مَعْنَاهُ فِي اللُّغَةِ،
وَيُمْكِنُ أَنْ نَسْتَخْلِصَ لَهُ تَعْرِيفًا مِنْ جُمْلَةٍ مَا أوردته
كُتُبُ اللُّغَةِ فنقول:

النُّبْلُ: خُلُقٌ حَمِيدٌ يَتَحَلَّى صَاحِبُهُ بِالدِّكَاةِ
وَالنَّجَابَةِ فِي ذَاتِهِ، وَالْفَضْلِ وَالرِّفْقِ فِي تَعَامُلِهِ مَعَ
النَّاسِ، مَعَ حِذْقٍ فِي الرَّأْيِ وَالْعَمَلِ.

[للاستزادة: انظر صفات: الرجولة - الشرف -
الشهامة - علو الهمة - قوة الإرادة - المروءة - النزاهة -
العفة - الورع - القوة والشدة - المسئولية - النشاط -
وفي ضد ذلك: انظر صفات: الخنوثة -
التخاذل - الدياثة - صغر الهمة - الضعف - التهاون].

(١) لسان العرب (١١/٦٤٠)، الصحاح (٥/٨٢٣)،

مقاييس اللغة (٥/٣٨٤)

الأحاديث الواردة في «النبيل»

١ - * (عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلْقُرْشِيِّ مِثْلِي قُوَّة»
الرَّجُلِ مِنْ غَيْرِ قُرَيْشٍ». فَقُلْتُ لِلزُّهْرِيِّ: مَا عَنَى
بِذَلِكَ؟ قَالَ: نُبُلُ الرَّأْيِ) * (١).

الأحاديث الواردة في «النبل» معني

٢ - * (عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنِّي لَأَوَّلُ النَّاسِ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْ جُمُوعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ، وَأُعْطَى لِرِوَاءِ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ... الْحَدِيثَ) * (٢).

أَكْثَرْنَا مَالًا، وَإِنَّا عَلَى ذَلِكَ لَنَزُهُ^(٣) بِالْبُخْلِ ؟ .
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ ؟» .
قَالُوا: فَمَنْ سَيِّدُنَا؟ . قَالَ: «بِشْرِ بْنِ الْبَرَاءِ بْنِ
مَعْرُورٍ^(٤)» * (٥).

٤ - * (عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ: «هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولٍ^(٦)

٣ - * (عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِبَنِي سَاعِدَةَ : « مَنْ سَيِّدُكُمْ ؟ » .
قَالُوا : جُدُّ بْنُ قَيْسٍ . قَالَ : « بِمَ سَوَّدْتُمُوهُ ؟ » . قَالُوا : إِنَّهُ

من الآثار وأقوال العلماء الواردة في «النبيل»

١ - * (عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَسْوَدَ مِنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ».

قُلْتُ: وَلَا عُمَرَ؟ . قَالَ: «كَانَ عُمَرُ خَيْرًا مِنْ مُعَاوِيَةَ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ أَسْوَدَ مِنْهُ»)* (٨).

(٥) المستدرک (٤/١٦٣) عن أبي هريرة والإصابة (١/١٥٥)، وقال الحاكم: صحيح ووافقه الذهبي، مكارم الأخلاق (٥٦٤ - ٦٠٧) واللفظ له .

(٦) كهول : الكهل من الرجال من زاد على ثلاثين سنة إلى الأربعين وقيل : إلى تمام الخمسين ، وَوَحَّطَهُ الشَّيْبُ .
(المعجم الوسيط)

(٧) الترمذي (٣٦٦٥—٣٦٦٦) وحسنه محقق جامع الأصول
(٦٢٩/٨) واللفظ له.

(٨) المنتقى من مكارم الأخلاق (ص ١١٥) والسواد هنا من السؤدد وهو النبل و الشرف وليس سواد اللون.

(١) أحمد (٨١ / ٤) واللفظ له وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٧٨): رواه أحمد ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) أحمد (٣/ ١٤٤) واللفظ له ، وابن ماجه في الزهد (٣٧)،
والترمذي بنحوه رقم (٣٦١٥) ، وقال : حديث حسن
صحيح . وقال محقق جامع الأصول (٨/ ٥٢٨) كما قال
الترمذي.

(۳) زَنَّهُ : ظَنَّهُ بِهِ وَاتَّهَمَهُ . فِي الْحَدِيثِ : إِنَّا لَنَزْنُهُ بِالْبَخْلِ : أَيِ نَتَّهَمُهُ بِهِ .

(٤) البراء بن معرور : أول من استقبل الكعبة حياً وميتاً ، وكان يصلي إلى الكعبة والنبي ﷺ يصلي إلى بيت المقدس ، فأطاع النبي ﷺ ، فلما حضره الموت قال لأهله : استقبلوا الكعبة .

٢ - * (قِيلَ لِمُعَاوِيَةَ : مَنْ أَسْوَدُ النَّاسِ ؟ قَالَ :

«أَسْخَاهُمْ نَفْسًا حِينَ يُسْأَلُ ، وَأَحْسَنُهُمْ فِي الْمَجَالِسِ خُلُقًا ، وَأَحْلَمُهُمْ حِينَ يُسْتَجْهَلُ»)^(١) .

٣ - * (ذَكَرَ بَعْضُ خِصَالِ النَّبَلَاءِ * :

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ : خُلِقْتُ لِي هِمَّةٌ عَالِيَةٌ تَطْلُبُ الْغَايَاتِ . فَقَلَّتِ السِّنُّ وَمَا بَلَغْتُ مَا أَمَلْتُ ، فَأَخَذْتُ أَسْأَلُ تَطْوِيلَ الْعُمُرِ ، وَتَقْوِيَةَ الْبَدَنِ ، وَبُلُوغَ الْأَمَالِ . فَأَنْكَرْتُ عَلَى الْعَادَاتِ ، وَقَالَتْ : مَا جَرَتْ عَادَةٌ بِمَا تَطْلُبُ . فَقُلْتُ : إِنَّمَا أَطْلُبُ مِنْ قَادِرٍ يَحْرِقُ الْعَادَاتِ .

وَقَدْ قِيلَ لِرَجُلٍ : لَنَا حُويجَةٌ . فَقَالَ : اطْلُبُوا لَهَا

رُجَيْلًا .

وَقِيلَ لِآخَرَ : جِئْنَاكَ فِي حَاجَةٍ لَا تَرَوْكَ ، فَقَالَ :

هَلَّا طَلَبْتُمْ لَهَا سَفَاسِفَ النَّاسِ ؟ .

فَإِذَا كَانَ أَهْلُ الْأَنْفَةِ مِنْ أَرْبَابِ الدُّنْيَا يَقُولُونَ

هَذَا ، فَلِمَ لَا نَطْمَعُ فِي فَضْلِ كَرِيمٍ قَادِرٍ؟^(٢) .

إِلَى أَنْ يَقُولَ : فَاللَّهُ اللَّهُ ، وَعَلَيْكُمْ بِمُلَاحَظَةِ سِيرِ

السَّلَفِ ، وَمُطَالَعَةِ تَصَانِفِهِمْ ، وَأَخْبَارِهِمْ ، فَلَا سِتْكَثَارُ

مِنْ مُطَالَعَةِ كُتُبِهِمْ رُؤْيَةً لَهُمْ ، كَمَا قَالَ :

فَاتَنِي أَنْ أَرَى الدِّيَارَ بِطَرْفِي

فَلَعَلِّي أَرَى الدِّيَارَ بِسَمْعِي

وَإِنِّي أَخْبِرُ عَنْ حَالِي ، مَا أَشْبَعُ مِنْ مُطَالَعَةِ

الْكُتُبِ ، وَإِذَا رَأَيْتُ كِتَابًا لَمْ أَرَهُ ، فَكَأَنِّي وَقَعْتُ عَلَى

كَتْرٍ . وَلَقَدْ نَظَرْتُ فِي ثَبَتِ الْكُتُبِ الْمَوْقُوفَةِ فِي الْمَدْرَسَةِ

النِّظَامِيَّةِ ، فَإِذَا بِهِ يَحْتَوِي عَلَى نَحْوِ سِتَّةِ آلَافٍ مُجَلَّدٍ ، وَفِي

ثَبَتِ كُتُبِ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَكُتُبِ الْحَمِيدِيِّ ، وَكُتُبِ شَيْخِنَا

عَبْدِ الْوَهَّابِ وَابْنِ نَاصِرٍ ، وَكُتُبِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ الْخَشَّابِ ،

وَكَانَتْ أَهْمَالًا ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ كِتَابٍ أَقْدَرُ عَلَيْهِ .

وَلَوْ قُلْتُ : إِنِّي طَالَعْتُ عِشْرِينَ أَلْفَ مُجَلَّدٍ كَانَ

أَكْثَرَ وَأَنَا بَعْدُ فِي الطَّلَبِ . فَاسْتَفَدْتُ بِالنَّظَرِ فِيهَا مِنْ

مُلَاحَظَةِ سِيرِ الْقَوْمِ ، وَقَدَرِ هِمَمِهِمْ ، وَحِفْظِهِمْ ،

وَعِبَادَاتِهِمْ ، وَغَرَائِبِ عُلُومِهِمْ ، مَا لَا يَعْرِفُهُ مَنْ لَمْ

يُطَالِعَ . فَصِرْتُ أَسْتَزِرِّي مَا النَّاسُ فِيهِ ، وَأَخْتَقِرُ هِمَمَ

الطُّلَابِ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ .

وَقَالَ أَيْضًا : مَا يَتَنَاهَى فِي طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَّا

عَاشِقُ الْعِلْمِ ، وَالْعَاشِقُ يَنْبَغِي أَنْ يَصْبِرَ عَلَى الْمَكَارِهِ ،

وَمِنْ ضَرُورَةِ الْمُتَشَاغِلِ بِهِ الْبُعْدُ عَنِ الْكَسْبِ ، وَمُذْ فَقَدْ

التَّفَقُّدُ لَهُمْ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَمِنَ الْإِخْوَانِ لَازِمُهُمُ الْفَقْرُ

ضَرُورَةٌ . وَالْفَضَائِلُ تُنَادِي : ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ

وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا﴾ .

فَكُلَّمَا خَافَتْ مِنْ ابْتِلَاءٍ قَالَتْ :

لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ تَمَرًا أَنْتَ آكِلُهُ

لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرَ

وَلَمَّا أَثَرَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - طَلَبَ

الْعِلْمَ وَكَانَ فَقِيرًا ، بَقِيَ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتَشَاغَلُ بِهِ وَلَا

يَتَزَوَّجُ ، فَيَنْبَغِي لِلْفَقِيرِ أَنْ يُصَابِرَ فَقْرَهُ كَمَا فَعَلَ أَحْمَدُ .

وَمَنْ يُطِيقُ مَا أَطَاقَ؟! فَقَدْ رَدَّ مِنَ الْمَالِ خَمْسِينَ أَلْفًا ،

النبل » للذهبي . وكتاب «تعريف ذوي العلا بمن لم

يذكره الذهبي في النبلا» لمؤرخ مكة الشهير تقي الدين

الفاسي .

(١) المنتقى من مكارم الأخلاق (١١٦) .

(٢) صيد الخاطر (٢٩٧) .

* ومن يتعشق أخبار النبلاء فعليه مراجعة كتاب «سير أعلام

وَكَانَ يَأْكُلُ الْكَامِخَ وَيَتَأَدَّمُ بِالْمَلْحِ. فَمَا شَاعَ لَهُ الذِّكْرُ
الْجَمِيلُ جُزَافًا، وَلَا تَرَدَّدَتِ الْأَقْدَامُ إِلَى قَبْرِهِ إِلَّا لِمَعْنَى
عَجِيبٍ، فَيَالَهُ ثَنَاءً مَلَأَ الْآفَاقَ!، وَجَمَالًا زَيْنَ الْوُجُودِ،
وَعِزًّا نَسَخَ كُلَّ ذُلٍّ. هَذَا فِي الْعَاجِلِ، وَثَوَابُ الْآجِلِ لَا
يُوصَفُ. فَالصَّبْرُ الصَّبْرُ أَيُّهَا الطَّالِبُ لِلْفَضَائِلِ، فَإِنَّ
لَذَّةَ الرَّاحَةِ بِالْهَوَى أَوْ الْبَطَالَةِ، تَذَهَبُ، وَيَبْقَى الْأَسَى،
وَقَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

يَا نَفْسُ مَا هُوَ إِلَّا صَبْرُ أَيَّامٍ

كَأَنَّ مَدَّتَهَا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ

يَا نَفْسُ جُوزِي عَنِ الدُّنْيَا مُبَادِرَةً

وَحَلَّ عَنْهَا فَإِنَّ الْعَيْشَ قُدَّامِي) * (١).

٤ - * (قَالَ الْمُتَنَبِّي :

وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَارًا

تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ) * (٢).

٥ - * (قَالَ عِكْرِمَةُ : السَّيِّدُ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ

غَضَبُهُ) * (٣).

٦ - * (قَالَ الضَّحَّاكُ : السَّيِّدُ الْحَسَنُ

الْخُلُقِ) * (٤).

٧ - * (قَالَ الضَّحَّاكُ : السَّيِّدُ : الْحَلِيمُ

التَّقِيُّ) * (٥).

٨ - * (قَالَ كُشَّاجِمُ :

لَا أَسْتَلِذُّ الْعَيْشَ لَمْ أَذَابْ لَهُ

طَلَبًا وَسَعْيًا فِي الْهَوَاجِرِ وَالْغَلَسِ

وَأَرَى حَرَامًا أَنْ يُوَاتِيَنِي الْغِنَى

حَتَّى يُجَاوَلَ بِالْعَنَاءِ وَيُلْتَمَسَ

فَاصْرِفْ نَوَالِكَ عَنْ أَخِيكَ مُوَفَّرًا

فَاللَّيْثُ لَيْسَ يُسَيِّغُ إِلَّا مَا افْتَرَسَ) * (٦).

٩ - * (قَالَ الشَّاعِرُ :

تَفَضَّلْ عَلَى مَنْ شِئْتَ وَاعْنِ بِأَمْرِهِ

فَأَنْتَ وَلَوْ كَانَ الْأَمِيرَ أَمِيرُهُ

وَكُنْ ذَا غِنَى عَنْ مَنْ تَشَاءُ مِنَ الْوَرَى

وَلَوْ كَانَ سُلْطَانًا فَأَنْتَ نَظِيرُهُ

وَمَنْ كُنْتَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ وَوَاقِفًا

عَلَى طَمَعٍ مِنْهُ فَأَنْتَ أَسِيرُهُ) * (٧).

من فوائد «النبيل»

٣ - النَّبِيلُ سَيِّدٌ فِي قَوْمِهِ.

٤ - يُثْمَرُ الْكَرَمَ وَالْجُودَ.

٥ - يُثْمَرُ الْحِلْمَ وَالْعَفْوَ وَالصَّفْحَ.

١ - يُثْمَرُ قُوَّةَ الْعَقْلِ.

٢ - فِيهِ تَأْسِسُ بِسَيِّدِ النَّبَلَاءِ وَأَشْرَفِ الْخُلُقِ رَسُولِ

اللَّهِ ﷺ.

(٥) المرجع السابق (١١٥).

(٦) أدب الدنيا والدين (٢٨٨).

(٧) صيد الخاطر (٤٢٦).

(١) صيد الخاطر (٥٥٢-٥٥٣).

(٢) أدب الدنيا والدين للهاوردي (٢٧٨).

(٣) المنتقى من مكارم الأخلاق (١١٥).

(٤) المرجع السابق (١١٥).

النزاهة

الآيات	الأحاديث	الآثار
-	١٧	١١

النزاهة لغةً:

هِيَ الْإِسْمُ مِنَ التَّنْزِهِ، وَهَذَا الْإِسْمُ مَا أُخُوذُ مِنْ مَادَّةٍ (ن ز هـ) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى بُعْدٍ فِي مَكَانٍ أَوْ غَيْرِهِ، يُقَالُ مِنْهُ: رَجُلٌ نَزِيهٌ أَيْ بَعِيدٌ عَنِ الْمَطَامِعِ الدُّنْيَا، وَنَزَهُ النَّفْسَ، وَنَازَهُ النَّفْسَ: ظَلَفَهَا (أَيْ بَعِيدَهَا) عَنِ الْمَدَانِسِ، وَقَوْلُهُمْ: خَرَجْنَا نَتَنَزَّهُ، إِذَا تَبَاعَدُوا عَنِ الْمَاءِ وَالرَّيْفِ، وَمَكَانٌ نَزِيهٌ: خَالٍ لَيْسَ بِهِ أَحَدٌ. وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: أَصْلُ النَّزْهِ: الْبُعْدُ، وَتَنَزَّيَهُ اللَّهُ تَعَالَى: تَبَعِيدُهُ عَمَّا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ مِنَ النَّقَائِصِ. قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: وَالتَّنْزَهُ: التَّبَاعُدُ، وَالْإِسْمُ النَّزْهَةُ. وَمَكَانٌ نَزْهٌ وَنَزِيهٌ، وَقَدْ نَزَهُ نَزَاهَةً وَنَزَاهِيَةً. وَخَرَجْنَا نَتَنَزَّهُ فِي الرِّيَاضِ وَأَصْلُهُ مِنَ الْبُعْدِ، وَقَدْ نَزَهَتْ الْأَرْضُ. وَهُوَ يَتَنَزَّهُ عَنِ الشَّيْءِ إِذَا تَبَاعَدَ عَنْهُ. وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْجَائِيَةُ أَرْضٌ نَزْهَةٌ أَيْ بَعِيدَةٌ عَنِ الْوَبَاءِ (وَالْجَائِيَةُ قَرْيَةٌ بِدِمَشْقَ) قَالَ ابْنُ سِيدَةَ: وَتَنَزَّهُ الْإِنْسَانُ خَرَجَ إِلَى الْأَرْضِ النَّزْهَةِ. قَالَ: وَالْعَامَّةُ يَضَعُونَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَيَغْلَطُونَ فَيَقُولُونَ خَرَجْنَا نَتَنَزَّهُ: إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْبَسَاتِينِ فَيَجْعَلُونَ التَّنْزَهُ الْخُرُوجَ إِلَى الْبَسَاتِينِ وَالْخَضِرِ وَالرِّيَاضِ، وَإِنَّمَا التَّنْزَهُ: التَّبَاعُدُ عَنِ الْأَرْيَافِ وَالْمِيَاهِ حَيْثُ لَا يَكُونُ مَاءٌ وَلَا نَدَى وَلَا جَمْعُ نَاسٍ. وَمِنْهُ قِيلَ: فَلَانٌ يَتَنَزَّهُ عَنِ الْأَقْدَارِ وَيُنْزَهُ نَفْسَهُ عَنْهَا، أَيْ يُبَاعِدُ نَفْسَهُ عَنْهَا.

وَرَجُلٌ نَزْهٌ الْخُلُقِ وَنَزْهَةٌ. وَنَازَهُ النَّفْسَ: عَفِيفٌ مُتَكَرِّمٌ يَحُلُّ وَحْدَهُ وَلَا يُخَالِطُ الْبُيُوتَ بِنَفْسِهِ وَلَا مَالِهِ. وَالْإِسْمُ النَّزْهَةُ وَالنَّزَاهَةُ. وَنَزَهُ نَفْسَهُ عَنِ الْقَبِيحِ: نَحَاها. وَالنَّزَاهَةُ: الْبُعْدُ عَنِ السُّوءِ. وَإِنْ فَلَانًا لَنَزِيهٍ كَرِيمٌ إِذَا كَانَ بَعِيدًا مِنَ اللَّؤْمِ، وَهُوَ نَزِيهٌ الْخُلُقِ. قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: التَّنْزَهُ: رَفَعَهُ نَفْسَهُ عَنِ الشَّيْءِ تَكْرُمًا وَرَغْبَةً عَنْهُ.

وَالْتَنَزِيهِ: تَسْبِيحُ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَإِبْعَادُهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ وَتَقْدِيسُهُ عَنِ الْأَنْدَادِ وَالْأَشْبَاهِ. وَفِي الْحَدِيثِ: كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَلَا يَمُرُّ بِأَيَّةٍ فِيهَا تَنَزِيهِ اللَّهِ إِلَّا نَزَّهَهُ. وَمِنْهُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْإِيمَانُ نَزْهٌ أَيْ بَعِيدٌ عَنِ الْمَعَاصِي.

وَمِنْهُ الْحَدِيثُ فِي تَفْسِيرِ سُبْحَانَ اللَّهِ: هُوَ تَنَزِيهِهُ أَيْ إِبْعَادُهُ عَنِ السُّوءِ وَتَقْدِيسُهُ.

وَفِي حَدِيثِ الْمُعَذِّبِ فِي قَبْرِهِ: كَانَ لَا يَسْتَنَزَّهُ مِنَ الْبَوْلِ أَيْ لَا يَسْتَبْرِئُ وَلَا يَتَطَهَّرُ وَلَا يَسْتَبْعِدُ مِنْهُ، وَقَوْمٌ أَنْزَاهُ أَيْ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الْحَرَامِ، الْوَاحِدُ نَزِيهٌ مِثْلُ مَلِيٍّ وَأَمْلَاءٍ، وَرَجُلٌ نَزِيهٌ وَنَزْهٌ أَيْ وَرَعٌ، وَيُقَالُ أَيْضًا: فَلَانٌ نَزِيهٌ أَيْ بَعِيدٌ (عَنِ الْمَاءِ)، وَتَنَزَّهُوا بِحُرْمَتِكُمْ عَنِ الْقَوْمِ أَيْ تَبَاعَدُوا، وَهَذَا مَكَانٌ نَزِيهٌ: خَلَاءٌ بَعِيدٌ عَنِ النَّاسِ لَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ، فَأَنْزَلُوا فِيهِ حُرْمَتَكُمْ، وَنَزَهُ الْفُلَانُ: مَا تَبَاعَدَ مِنْهَا عَنِ الْمِيَاهِ وَالْأَرْيَافِ^(١).

(١) لسان العرب لابن منظور (١٣/٥٤٨-٥٤٩). وانظر

النهاية في غريب الحديث (٥/٤٣). ومختار الصحاح:

(٦٥٥)، ومقاييس اللغة (٥/٤١٨).

واصطلاحًا:

قَالَ الْجُرْجَانِيُّ: النَّزَاهَةُ: هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ اِكْتِسَابِ مَالٍ مِنْ غَيْرِ مَهَانَةٍ وَلَا ظُلْمٍ لِلْغَيْرِ^(١) وَأَضَافَ الْمُنَاوِي إِلَى عَدَمِ الْمَهَانَةِ وَالظُّلْمِ قِيْدًا آخَرَ فِي تَعْرِيفِ النَّزَاهَةِ: هُوَ «الْإِنْفَاقُ فِي الْمَصَارِفِ الْحَمِيدَةِ، فَقَالَ: النَّزَاهَةُ: هِيَ اِكْتِسَابُ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ مَهَانَةٍ وَلَا ظُلْمٍ، وَإِنْفَاقُهُ فِي الْمَصَارِفِ الْحَمِيدَةِ»^(٢).

وَقَالَ الْمَاوَرِدِيُّ: النَّزَاهَةُ تَكُونُ عَنِ الْمَطَامِعِ الدُّنْيَا وَمَوَاقِفِ الرِّيْبَةِ^(٣).

أنواع النزاهة:

قَالَ الْمَاوَرِدِيُّ: النَّزَاهَةُ نَوْعَانِ: أَحَدُهُمَا: النَّزَاهَةُ عَنِ الْمَطَامِعِ الدُّنْيَا. وَالثَّانِي: النَّزَاهَةُ عَنِ مَوَاقِفِ الرِّيْبَةِ، فَأَمَّا الْمَطَامِعُ الدُّنْيَا، فَلَأَنَّ الطَّمَعَ ذُلٌّ، وَالِدَّنَاءَةُ لُؤْمٌ، وَهُمَا أَذْفَعُ شَيْءٍ لِلْمُرُوءَةِ وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ طَمَعٍ يَهْدِي إِلَى طَبَعٍ، أَيْ إِلَى شَيْنٍ وَعَيْبٍ.

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ:

لَا تَخْضَعَنَّ لِمَخْلُوقٍ عَلَى طَمَعٍ

فَإِنَّ ذَلِكَ نَقْصٌ مِنْكَ فِي الدِّينِ

وَاسْتَرْزَقِ اللَّهَ مِمَّا فِي خَزَائِنِهِ

فَإِنَّمَا هُوَ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ

وَالْبَاعِثُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئَانِ: الشَّرُّ، وَقِلَّةُ الْأَنْفَةِ،

فَلَا يَقْنَعُ بِمَا أُوتِيَ وَإِنْ كَانَ كَثِيرًا، لِأَجْلِ شَرِّهِ، وَلَا

يَسْتَنكِفُ مِمَّا مُنِعَ وَإِنْ كَانَ حَقِيرًا، لِقِلَّةِ أَنْفَتِهِ. وَهَذِهِ

حَالٌ مَنْ لَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ قَدْرًا، وَيَرَى الْمَالَ أَعْظَمَ خَطَرًا، فَيَرَى بِذَلِكَ أَهْوَنَ الْأَمْرَيْنِ لِأَجْلِهَامَا مَغْنَمًا، وَلَيْسَ لِمَنْ كَانَ الْمَالُ عِنْدَهُ أَجَلًا، وَنَفْسُهُ عَلَيْهِ أَقْلًا، إِصْغَاءً لِتَأْنِيْبٍ، وَلَا قَبُولَ لِتَأْدِيْبٍ. وَحَسَمَ هَذِهِ الْمَطَامِعِ شَيْئَانِ: الْيَأْسُ، وَالْقَنَاعَةُ. وَقَدْ رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي»^(٤): أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوِيَّ رِزْقَهَا؛ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ إِبْطَاءُ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - لَا يُدْرِكُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ» فَهَذَا شَرْطٌ. وَأَمَّا مَوَاقِفُ الرِّيْبَةِ فَهِيَ التَّرَدُّدُ بَيْنَ مَنَزِلَتَيْ حَمْدٍ وَذَمٍّ، وَالْوُقُوفُ بَيْنَ حَالَتَيْ سَلَامَةٍ وَسُقْمٍ، فَتَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ لَائِمَةُ الْمُتَوَهِّمِينَ، وَيَنَالُهُ ذِلَّةُ الْمُرِيْبِينَ، وَكَفَى بِصَاحِبِهَا مَوْقِفًا، إِنْ صَحَّ افْتِضَاحٌ، وَإِنْ لَمْ يَصَحَّ امْتِثَانٌ. وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ». وَالدَّاعِي إِلَى هَذِهِ الْحَالِ شَيْئَانِ: الْاسْتِرْسَالُ، وَحُسْنُ الظَّنِّ. وَالْمَانِعُ مِنْهُمَا شَيْئَانِ: الْحَيَاءُ وَالْحَذَرُ. وَرُبَّمَا انْتَفَتِ الرِّيْبَةُ بِحُسْنِ الثِّقَةِ، وَارْتَفَعَتِ التُّهْمَةُ بِطُولِ الْخَبَرَةِ^(٥).

[للاستزادة: انظر صفات: الشهامة - العفة -

المروءة - الورع - الرجولة - الشرف - علو الهمة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الاحتكار - أكل

الحرام - التطفيف - الغلول - التناجش - صغر الهمة -

الدياثة - الخنوثة].

(٤) الرُّوع: القلب والفؤاد (انظر: المعجم الوسيط «روع»).

(٥) أدب الدنيا والدين (٣١٤، ٣١٥).

(١) التعريفات (٢٦٠).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٣٢٣).

(٣) أدب الدنيا والدين (٣١٤).

الأحاديث الواردة في «النزاهة»

١ - * (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: عَلَى هَذَا وَاحِدًا، وَعَلَى هَذَا وَاحِدًا، ثُمَّ قَالَ: «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا، مَا لَمْ يَبْسَا».

وَعَنْ سُلَيْمَانَ الْأَعْمَشِ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ. غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «وَكَانَ الْآخِرُ لَا يَسْتَنْزِهِ عَنِ الْبَوْلِ (أَوْ مِنْ الْبَوْلِ)» * (٢).

١ - * (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ. فَقَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ».

قَالَ: فَدَعَا بِعَسِيبٍ ^(١) رَطَبٍ فَشَقَّهُ بِاثْنَيْنِ، ثُمَّ غَرَسَ

الأحاديث الواردة في «النزاهة» معني

٢ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا ^(٣) لَهُ. فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً ^(٤) فِيهَا ذَهَبٌ. فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي. إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْأَرْضَ. وَلَمْ أَبْتَغِ مِنْكَ الذَّهَبَ. فَقَالَ الَّذِي شَرَى الْأَرْضَ ^(٥): إِنَّمَا بَعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا. قَالَ: فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ. فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ

٢ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: أَنْكِحُوا الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ. وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ مِنْهُ وَتَصَدَّقَا) * (٦).

٣ - * (عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ: أَيُّ الْكَلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَا اصْطَفَى اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ» * (٧).

٤ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - مَلَائِكَةً سَيَّارَةً ^(٨) فَضُلًا ^(٩) يَتَّبِعُونَ ^(١٠) مَجَالِسَ الذِّكْرِ. فَإِذَا وَجَدُوا

(٨) سياراة: معناه: سياحون في الأرض.

(٩) فضلاً: ضبطوه على أوجه. أرجحها وأشهرها فضلاً. والثانية فضلاً ورجحها بعضهم وادعى أنها أكثر وأصوب. والثالثة: فضلاً. والرابعة: فضلاً على أنه خبر مبتدأ محذوف. والخامسة فضلاء، جمع فاضل. قال العلماء: معناه على جميع الروايات، أنهم ملائكة زائدون على الحفظة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق. فهؤلاء السياراة لا وظيفة لهم، وإنما مقصودهم خلق الذكر

(١٠) يتبعون: أي يتبعون، من التَّبَعَ، وهو البحث عن الشيء والتفتيش. والوجه الثاني: يتبعون، من الابتغاء، وهو الطلب. وكلاهما صحيح.

(١) بعسب: العسب هو الجريد والغصن من النخل.

(٢) البخاري - الفتح ١ (٢١٦). ومسلم (٢٩٢) واللفظ له.

(٣) عقاراً: العقار هو الأرض وما يتصل بها. وحقيقة العقار الأصل. سمي بذلك من العقر، بضم العين وفتحها، وهو الأصل. ومنه: عقر الدار، بالضم والفتح.

(٤) الجرة: إناء من خزف له بطن كبير وعروتان وفم واسع.

(٥) شرى الأرض: وفي بعض النسخ اشترى. قال العلماء: الأول أصح. وشرى بمعنى باع، كما في قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ ولهذا قال: فقال الذي شرى الأرض إنما بعثك.

(٦) البخاري - الفتح ٦ (٣٤٧٢). ومسلم (١٧٢١) واللفظ له.

(٧) مسلم (٢٧٣١).

مَجْلِسًا فِيهِ ذَكَرُ قَعَدُوا مَعَهُمْ . وَحَفَّ^(١) بَعْضُهُمْ
بَعْضًا بِأَجْنَحَتِهِمْ . حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ
الدُّنْيَا . فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ . قَالَ :
فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ : مَنْ أَيْنَ
جِئْتُمْ ؟ . فَيَقُولُونَ : جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ ،
يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ
وَيَسْأَلُونَكَ . قَالَ : وَمَا يَسْأَلُونِي ؟ . قَالُوا : يَسْأَلُونَكَ
جَنَّتَكَ . قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي ؟ . قَالُوا : لَا . أَيْ
رَبِّ ، قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي ؟ . قَالُوا :
وَيَسْتَجِيرُونَكَ^(٢) . قَالَ : وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي ؟ . قَالُوا : مِنْ
نَارِكَ . يَا رَبِّ ، قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا نَارِي ؟ . قَالُوا : لَا . قَالَ :
فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي ؟ . قَالُوا : وَيَسْتَغْفِرُونَكَ . قَالَ :
فَيَقُولُ : قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ . فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا ، وَأَجَرْتُهُمْ
مِمَّا اسْتَجَارُوا . قَالَ : فَيَقُولُونَ : رَبِّ ، فِيهِمْ فُلَانٌ . عَبْدٌ
خَطَاءً^(٣) . إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ . قَالَ : فَيَقُولُ : وَلَهُ
غَفَرْتُ . هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ^(٤) .

٥ - * (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنْ
جُوَيْرِيَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ
عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا^(٥) ،

ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى ، وَهِيَ جَالِسَةٌ . فَقَالَ : «مَا
زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟» . قَالَتْ : نَعَمْ .
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ، ثَلَاثَ
مَرَّاتٍ . لَوْ وَزَنْتَ بِهَا قُلْتُ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنْتَهُنَّ : سُبْحَانَ
اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، عَدَدَ خَلْقِهِ ، وَرِضَا نَفْسِهِ ، وَزِينَةَ عَرْشِهِ ،
وَمِدَادَ^(٦) كَلِمَاتِهِ»^(٧) .

٦ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، سَأَلَ
بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسَلِّفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ فَقَالَ : اتَّيْنِي
بِالشُّهَدَاءِ أَشْهَدُهُمْ ، فَقَالَ : كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا . قَالَ :
فَاتَّيْنِي بِالْكَفِيلِ ، قَالَ : كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا . قَالَ : صَدَقْتُ ،
فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ عَلَى أَجَلٍ مُسَمًّى . فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى
حَاجَتَهُ ، ثُمَّ التَّمَسَ مَرْكَبًا يَرْكُبُهَا يَقْدُمُ عَلَيْهِ لِأَجَلِ
الَّذِي أَجَلَهُ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا ، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا فَأَدْخَلَ
فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ ، ثُمَّ زَجَجَ
مَوْضِعَهَا^(٨) ، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ
تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلَنِي كَفِيلًا
فَقُلْتُ : كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا ، فَرَضِي بِكَ . وَسَأَلَنِي شَهِيدًا ،
فَقُلْتُ : كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ، فَرَضِي بِذَلِكَ . وَإِنِّي

(٥) فِي مَسْجِدِهَا : أَي مَوْضِع صَلَاتِهَا .

(٦) مِدَاد (بِكسر الميم) : قِيلَ مَعْنَاهُ مِثْلُهَا فِي الْعَدَدِ ، وَقِيلَ :
مِثْلُهَا فِي أَنَّهَا لَا تَنْفَدُ . وَقِيلَ فِي الثَّوَابِ . وَالْمِدَادُ ، هُنَا ،
مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْمَدَدِ وَهُوَ مَا كَثُرَتْ بِهِ الشَّيْءُ قَالَ الْعُلَمَاءُ :
وَاسْتَعْمَالُهُ ، هُنَا ، مُجَازٌ لِأَنَّ كَلِمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى لَا تَحْصُرُ بَعْدَ
وَلَا غَيْرِهِ ، وَالْمُرَادُ الْمُبَالَغَةُ بِهِ فِي الْكَثْرَةِ .

(٧) مُسْلِم (٢٧٢٦) .

(٨) زَجَجَ مَوْضِعَهَا : أَي سَوَّى مَوْضِعَ النِّقْرِ وَأَصْلَحَهُ .

(١) وَحَفَّ : وَفِي بَعْضِ النُّسخ : حَضَّ ، أَي حَثَّ عَلَى الْحُضُورِ
وَالِاسْتِمَاعِ . وَرَوَى : وَحَطَّ وَمَعْنَاهُ أَشَارَ إِلَى بَعْضِ النَّزُولِ .
وَيُؤَيِّدُ هَذِهِ الرِّوَايَةَ قَوْلُهُ بَعْدَهُ ، فِي الْبُخَارِيِّ : هَلُمُّوا إِلَى
حَاجَتِكُمْ . وَيُؤَيِّدُ الرِّوَايَةَ الْأُولَى ، وَهِيَ حَفَّ ، قَوْلُهُ فِي
الْبُخَارِيِّ : يَحْفُونَهُمْ بِأَجْنَحَتِهِمْ وَيَحْدَقُونَ بِهِمْ وَيَسْتَدِيرُونَ
حَوْلَهُمْ .

(٢) وَيَسْتَجِيرُونَكَ مِنْ نَارِكَ : أَي يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ مِنْهَا .

(٣) خَطَاءً : أَي كَثِيرُ الْخَطَايَا .

(٤) الْبُخَارِيُّ - الْفَتْحُ ١١ (٦٤٠٨) . وَمُسْلِم (٢٦٨٩) وَاللَّفْظُ لَهُ

جَهِدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ ،
وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا . فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَجَلَتْ
فِيهِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى
بَلَدِهِ ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفُهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ
مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِأَهْلِهِ ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ ،
فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَاطًا ، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ
وَالصَّحِيفَةَ ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفُهُ فَأَتَى بِالْأَلْفِ
دِينَارٍ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبَةٍ
لَأَتِيكَ بِهَا لَكَ فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ .
قَالَ : هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ شَيْئًا ؟ قَالَ : أَخْبِرْكَ أَنِّي لَمْ
أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ . قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى
عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ ، فَانْصَرِفْ بِالْأَلْفِ الدِّينَارِ
رَاشِدًا) * (١) .

٧ - * (عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلُكُمْ إِذْ
أَصَابَهُمْ مَطَرٌ ، فَأَوْوُوا إِلَى غَارٍ فَاَنْطَبَقَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّهُ وَاللَّهِ يَا هَؤُلَاءِ لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا
الصَّدَقُ ، فَلِيدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ
فِيهِ . فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي
أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ مِنْ أُرْزٍ ، فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ ، وَأَنِّي
عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَرَزَعْتُهُ ، فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي
اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقْرًا ، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ ، فَقُلْتُ لَهُ :
اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ فَسُقْهَا ، فَقَالَ لِي : إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ
مِنْ أُرْزٍ . فَقُلْتُ لَهُ : اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ ، فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ

الْفَرَقِ ، فَسَاقَهَا ، دَفَانٍ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ
خَشْيَتِكَ فَفَرَّجَ عَنَّا . فَاَنْسَاخَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ . فَقَالَ
الْآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ
كَبِيرَانِ ، وَكُنْتُ آتِيَهُمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي ، فَأَبْطَأْتُ
عَنْهُمَا لَيْلَةً ، فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا ، وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغُونَ
مِنَ الْجُوعِ ، وَكُنْتُ لَا أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ ،
فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَدْعُهُمَا فَيَسْتَكِنَا
لِشَرِبَتِهِمَا ، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ . فَإِنْ كُنْتُ
تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرَّجَ عَنَّا .
فَاَنْسَاخَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ .
فَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةٌ عَمٌّ
مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ إِلَّا
أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا
فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا ، فَأَمَكَّتَنِي مِنْ نَفْسِهَا ، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ
رَجُلَيْنِهَا فَقَالَتْ : اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْضُ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ ،
فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ الدِّينَارِ . فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي
فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرَّجَ عَنَّا ، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ
فَخَرَجُوا) * (٢) .

٨ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ :
جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا : ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنْ
الْأَمْوَالِ بِالْدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ : يُصَلُّونَ كَمَا
نُصَلِّي ، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ
يُحْجُونَ بِهَا وَيَعْتَمِرُونَ ، وَيُجَاهِدُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ . قَالَ :
«أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِأَمْرٍ إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ ،

وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ
ظَهْرَانِيهِ ، إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ: تُسَبِّحُونَ وَتُحَمِّدُونَ
وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، فَاخْتَلَفْنَا
بَيْنَنَا ، فَقَالَ بَعْضُنَا: نُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَنُحَمِّدُ ثَلَاثًا
وَتَلَاثِينَ ، وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ. فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ،
فَقَالَ: «تَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، حَتَّى
يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلُّهُنَّ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ» * (١).

٩ - * (عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -
يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « الْحَلَالُ بَيْنُ ،
وَالْحَرَامُ بَيْنُ ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ
النَّاسِ . فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ ،
وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ
أَنْ يُوَاقِعَهُ . أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي
أَرْضِهِ مَحْرَمُهُ . أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ
صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا
وَهِيَ الْقَلْبُ » * (٢).

١٠ - * (عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَعْطَانِي ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي،
ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي . ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَصِرَةٌ
حُلُوةٌ» (٣) ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ (٤) بُورِكَ لَهُ فِيهِ . وَمَنْ
أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ (٥) لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ . وَكَانَ كَالَّذِي
يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ (٦) . وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ
السُّفْلَى» * (٧).

١١ - * (عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: صَلَّى
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ مَعَهُ بِالْمَدِينَةِ الظُّهْرَ أَرْبَعًا وَالْعَصْرَ
بِذِي الْحُلَيْفَةِ رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ بَاتَ بِهَا حَتَّى أَصْبَحَ ، ثُمَّ
رَكِبَ حَتَّى اسْتَوَتْ بِهِ عَلَى الْبَيْدَاءِ ، حَمِدَ (٨) اللَّهَ وَسَبَّحَ
وَكَبَّرَ ، ثُمَّ أَهْلَلَ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ ، وَأَهْلَلَ النَّاسُ بِهِمَا ، فَلَمَّا
قَدِمْنَا أَمَرَ النَّاسَ فَحَلُّوا ، حَتَّى كَانَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ أَهَلُّوا
بِالْحَجِّ . قَالَ: وَنَحَرَ النَّبِيُّ ﷺ بَدَنَاتٍ بِيَدِهِ قِيَامًا ، وَذَبَحَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ كَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ) * (٩).

١٢ - * (عَنْ أَبِي الْحَوَرَاءِ السَّعْدِيِّ ؛ قَالَ: قُلْتُ
لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: مَا حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ:
حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: « دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا

(١) البخاري - الفتح ٢ (٨٤٣) وهذا لفظ البخاري. ومسلم (٥٩٥).

(٢) البخاري - الفتح ١ (٥٢) واللفظ له. ومسلم (١٥٩٩).

(٣) خضرة حلوة: شبهه في الرغبة فيه ، والميل إليه ، وحرص
النفوس عليه ، بالفاكهة الخضراء الحلوة المستلذة ، فإن
الأخضر مرغوب فيه على انفراده ، والحلو كذلك على
انفراده . فاجتماعهما أشد ، وفيه إشارة إلى عدم بقاءه . لأن
الخضراوات لا تبقى ولا تتراد للبقاء .

(٤) بطيب نفس: فيه احتمالان: أظهرهما أنه عائد على الآخذ .
ومعناه من أخذه بغير سؤال ولا إشراف ولا تطلع بورك له

فيه . والثاني أنه عائد إلى الدافع . ومعناه أنه من أخذ ممن
يدفع منشرحاً بدفعه إليه طيب النفس ، لا بسؤال اضطره
إليه أو نحوه ، مما لا تطيب معه نفس الدافع .

(٥) بإشراف نفس: قال العلماء: إشراف النفس تطلعها إليه
وتعرضها له وطمعها فيه .

(٦) كالذي يأكل ولا يشبع: قيل: هو الذي به داء لا يشبع
بسببه . وقيل: يحتمل أن المراد التشبيه بالبهيمة الراعية .

(٧) البخاري - الفتح ٣ (١٤٧٢) . ومسلم (١٠٣٥) واللفظ له.

(٨) المراد: فحمد الله .

(٩) البخاري - الفتح ٣ (١٥٥١).

يَرِيئُكَ ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ ، وَإِنَّ الكَذِبَ رِيْبَةٌ»*(١).

١٣ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»*(٢).

١٤ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْتَ إِذَا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ؟». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ ذَلِكَ؟. قَالَ: «إِذَا مَرَجْتَ عَنْهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ وَكَانُوا هَكَذَا»، وَشَبَّكَ يُونُسَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ، يَصِفُ ذَاكَ، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَصْنَعُ عِنْدَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟. قَالَ: «اتَّقِ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - وَخُذْ مَا تَعْرِفُ ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ ، وَعَلَيْكَ بِخَاصَّتِكَ ، وَإِيَّاكَ وَعَوَامَّتُهُمْ»*(٣).

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في «النزاهة»

١٥ - * (عَنْ حُذَيْفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ قَالَ فَافْتَتَحَ (البَقْرَةَ) فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ رَأْسَ الْمِائَةِ. فَقُلْتُ: يَرْكَعُ ثُمَّ مَضَى حَتَّى بَلَغَ الْمِائَتَيْنِ. فَقُلْتُ: يَرْكَعُ ثُمَّ مَضَى حَتَّى خَتَمَهَا قَالَ: فَقُلْتُ: يَرْكَعُ. ثُمَّ افْتَتَحَ سُورَةَ آلِ عِمْرَانَ حَتَّى خَتَمَهَا، قَالَ: فَقُلْتُ: يَرْكَعُ. ثُمَّ افْتَتَحَ سُورَةَ النِّسَاءِ فَقَرَأَهَا، قَالَ: ثُمَّ رَكَعَ، قَالَ: فَقَالَ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ». قَالَ: وَكَانَ رُكُوعُهُ بِمَنْزِلَةِ قِيَامِهِ، ثُمَّ سَجَدَ فَكَانَ سُجُودُهُ مِثْلَ رُكُوعِهِ ، وَقَالَ فِي سُجُودِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى». قَالَ: وَكَانَ إِذَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ سَأَلَ ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ عَذَابٍ تَعَوَّذَ ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَنْزِيهٌ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - سَبَّحَ»*(٤).

١٦ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لَأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي ، فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي فَأَرْفَعُهَا لِأَكُلَهَا ، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً فَأَلْقِيهَا»*(٥).

١٧ - * (عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: كُنْتُ أُرْتَمِي بِأَسْهُمِي بِالْمَدِينَةِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. إِذْ كَسَفَتِ الشَّمْسُ. فَنَبَذْتُهَا، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ! لَأَنْظُرَنَّ إِلَى مَا حَدَّثَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي كُسُوفِ الشَّمْسِ ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ قَائِمٌ فِي الصَّلَاةِ. رَافِعُ يَدَيْهِ ، فَجَعَلَ يُسَبِّحُ وَيُحَمِّدُ وَيُهَلِّلُ وَيُكَبِّرُ وَيَدْعُو ، حَتَّى حُسِرَ عَنْهَا. قَالَ: فَلَمَّا حُسِرَ عَنْهَا ، قَرَأَ سُورَتَيْنِ وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ»*(٦).

صحيح.

(٤) أصله وسياقه عند مسلم (٧٧٢) بنفس السند ، وهذا لفظ

أحمد (٣٨٤ / ٥). وابن ماجه (١٣٥١).

(٥) البخاري - الفتح ٥ (٢٤٣٢) واللفظ له. ومسلم (١٠٧٠).

(٦) مسلم (٩١٣).

(١) الترمذي (٢٥١٨) وقال : هذا حديث حسن صحيح.

والنسائي (٣٢٧ / ٨ و ٣٢٨). وقال محقق «جامع الأصول»

(٦ / ٤٤٤): إسناده صحيح واللفظ في الترمذي والجامع.

(٢) البخاري - الفتح ١١ (٦٤٠٦) واللفظ له. ومسلم (٢٦٩٤).

(٣) أحمد (١٦٢ / ٢) وقال الشيخ أحمد شاكر (٩ / ١٠): إسناده

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في «النزاهة»

١ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: «كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: (كُنْتُ) تَكْهَنُ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أَحْسَنُ الْكَهَانَةَ، إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ فَلَقَيْتَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتُ مِنْهُ، قَالَتْ: فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ»*)^(١).

٢ - * (عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ عُمَرُ عِنْدَ الْفَجْرِ أَوْ عِنْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ، فَأَتَيْتُهُ فَوَجَدْتُهُ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ أَرَى شَيْئًا مِنْ هَذَا الْمَالِ يَحِلُّ لِي قَبْلَ أَنْ أَلِيَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، ثُمَّ مَا كَانَ أَحْرَمَ عَلَيَّ مِنْهُ يَوْمَ وَلِيَّتُهُ، فَعَادَ بِأَمَانَتِي، وَإِنِّي كُنْتُ أَنْفَقْتُ عَلَيْكَ مِنْ مَالِ اللَّهِ شَهْرًا، فَلَسْتُ بِزَايِدِكَ عَلَيْهِ وَإِنِّي كُنْتُ أَعْطَيْتُكَ ثَمَرَتِي بِالْعَالِيَةِ الْعَامِ، فَبِعَهُ فَخَذْتُ ثَمَنَهُ، ثُمَّ أَتَيْتُ رِجَالًا مِنْ تُجَّارِ قَوْمِكَ فَكُنْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَإِذَا ابْتَاعَ شَيْئًا فَاسْتَشْرَكَهُ، وَأَنْفَقَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِكَ»، قَالَ: «فَذَهَبْتُ فَفَعَلْتُ»*)^(٢).

٣ - * (عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «بَيْنَمَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَمْشِي ذَاتَ يَوْمٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، إِذَا صَبِيَّةٌ

فِي السُّوقِ يَطْرَحُهَا الرِّيحُ لِيُوجِّهَهَا مِنْ ضَعْفِهَا، فَقَالَ عُمَرُ: يَا بُؤْسَ هَذَا، مَنْ يَعْرِفُ هَذِهِ؟ قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: أَوْ مَا تَعْرِفُهَا؟ هَذِهِ إِحْدَى بَنَاتِكَ، قَالَ: وَأَيُّ بَنَاتِي؟ قَالَ: بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: فَمَا بَلَغَ بِهَا مَا أَرَى مِنَ الضَّيْعَةِ؟ قَالَ: إِمْسَاكُكَ مَا عِنْدَكَ، قَالَ: إِمْسَاكِي مَا عِنْدِي عَنْهَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَطْلُبَ لِبَنَاتِكَ مَا تَطْلُبُ الْأَقْوَامُ، أَمَّا وَاللَّهِ مَا لَكَ عِنْدِي إِلَّا سَهْمُكَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَسِعَكَ أَوْ عَجَزَ عَنْكَ، بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ»*)^(٣).

٤ - * (عَنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «إِنَّهُ لَا أَجْدُهُ يَحِلُّ لِي، أَنْ أَكُلَ مِنْ مَالِكُمْ هَذَا، إِلَّا كَمَا كُنْتُ أَكُلُ مِنْ صُلْبِ مَالِي: الْخُبْزُ وَالزَّيْتُ، وَالْخُبْزُ وَالسَّمْنُ، قَالَ: فَكَانَ رَبًّا يُؤْتِي بِالْجَفْنَةِ قَدْ صُنِعَتْ بِالزَّيْتِ، وَمِمَّا يَلِيهِ مِنْهَا سَمْنٌ، فَيَعْتَذِرُ إِلَى الْقَوْمِ وَيَقُولُ: إِنِّي رَجُلٌ عَرَبِيٌّ، وَلَسْتُ أَسْتَمْرِي الزَّيْتُ»*)^(٤).

٥ - * (وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - شَرِبَ لَبَنًا فَأَعْجَبَهُ، فَقَالَ لِلَّذِي سَقَاهُ: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا اللَّبَنُ؟ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ وَرَدَ عَلَى مَاءٍ قَدْ سَمَّاهُ، فَإِذَا نَعَمٌ مِنْ نَعَمِ الصَّدَقَةِ وَهُمْ يَسْقُونَ فَحَلَبُوهُ لِي مِنَ اللَّبَانِ، فَجَعَلْتُهُ فِي سِقَائِي وَهُوَ هَذَا، فَأَدْخَلَ عُمَرُ يَدَهُ فَاسْتَقَاءَهُ»*)^(٥).

(٤) المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٥) مختصر شعب الايمان (٥٣).

(١) البخاري - الفتح ٧ (٣٨٤٢).

(٢) الورع لابن أبي الدنيا (١١٢).

(٣) المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها.

٦- * (وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -
«سُبْحَانَ اللَّهِ». قَالَ: «تَنْزِيَهُ اللَّهِ نَفْسَهُ عَنِ
السُّوءِ»*)^(١).

٧- * (عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: أَكْثَرُوا
عَلَى عَبْدِ اللَّهِ (ابْنِ مَسْعُودٍ) ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ:
«إِنَّهُ قَدْ أَتَى عَلَيْنَا زَمَانٌ وَلَسْنَا نَقْضِي وَلَسْنَا هُنَالِكَ،
ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - قَدَّرَ عَلَيْنَا: أَنْ بَلَّغْنَا مَا تَرَوْنَ،
فَمَنْ عَرَضَ لَهُ مِنْكُمْ قَضَاءٌ بَعْدَ الْيَوْمِ، فَلْيَقْضِ بِمَا فِي
كِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ جَاءَهُ أَمْرٌ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَلْيَقْضِ
بِمَا قَضَى بِهِ نَبِيُّهُ ﷺ، فَإِنْ جَاءَ أَمْرٌ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ،
وَلَا قَضَى بِهِ نَبِيُّهُ، فَلْيَقْضِ بِمَا قَضَى بِهِ الصَّالِحُونَ،
فَإِنْ جَاءَهُ أَمْرٌ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا قَضَى بِهِ نَبِيُّهُ ﷺ،
وَلَا قَضَى بِهِ الصَّالِحُونَ، فَلْيَجْتَهِدْ رَأْيَهُ، وَلَا يَقُلْ: إِنِّي
أَخَافُ، فَإِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَ ذَلِكَ
أُمُورٌ مُتَشَابِهَاتٌ، فَدَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا
يَرِيْبُكَ»*)^(٢).

٨- * (قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُكَدِّرِ - رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى: - «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: أَيُّنَ الَّذِينَ
كَانُوا يُنْزِهُونَ أَنْفُسَهُمْ وَأَسْمَاءَهُمْ عَنْ مَجَالِسِ اللَّهْوِ
وَمَزَامِيرِ الشَّيْطَانِ، أَسَكْنُوهُمْ بَيَاضَ الْمِسْكِ، ثُمَّ
يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ: أَسْمِعُوهُمْ تَمْجِيدِي
وَتَحْمِيدِي»*)^(٣).

٩- * (قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -:
«الْكَمَالُ عَزِيزٌ، وَالْكَامِلُ قَلِيلُ الْوُجُودِ، وَأَوَّلُ أَسْبَابِ
الْكَمَالِ تَنَاسُبُ أَعْضَاءِ الْبَدَنِ وَحُسْنُ صُورَةِ الْبَاطِنِ،
فَصُورَةُ الْبَدَنِ تُسَمَّى خُلُقًا، وَصُورَةُ الْبَاطِنِ تُسَمَّى
خُلُقًا، وَدَلِيلُ كَمَالِ صُورَةِ الْبَدَنِ حُسْنُ السَّمْتِ
وَاسْتِعْمَالُ الْأَدَبِ، وَدَلِيلُ كَمَالِ صُورَةِ الْبَاطِنِ حُسْنُ
الطَّبَائِعِ وَالْأَخْلَاقِ، فَالطَّبَائِعُ الْعِفَّةُ وَالنَّزَاهَةُ
وَالْأَنْفَةُ مِنَ الْجَهْلِ، وَمُبَاعَدَةُ الشَّرِّهِ، وَالْأَخْلَاقُ: الْكَرَمُ
وَالْإِيثَارُ وَسِرُّ الْعُيُوبِ وَإِتْدَاءُ الْمَعْرُوفِ وَالْحِلْمُ عَنِ
الْجَاهِلِ. فَمَنْ رُزِقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ رَفَّقَهُ إِلَى الْكَمَالِ،
وَوَظَّهَرَ عَنْهُ أَشْرَفُ الْخِلَالِ، وَإِنْ نَقَصَتْ خَلَّةٌ أَوْجَبَتْ
النَّقْصَ»*)^(٤).

١٠- * (قَالَ أَبُو يَزِيدَ الْفَيْضُ: «سَأَلْتُ مُوسَى
ابْنَ أَعْيَنَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ
الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة/ ٢٧)، قَالَ: «تَنْزَهُوا عَنْ أَشْيَاءَ مِنَ
الْحَلَالِ مَخَافَةَ أَنْ يَقَعُوا فِي الْحَرَامِ فَسَاءَهُمْ مُتَّقِينَ»*)^(٥).

١١- * (قَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: أَنْشَدَنِي الْحُسَيْنُ
ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ:

نُزْهَةُ الْمُؤْمِنِ الْفِكْرُ	لَذَّةُ الْمُؤْمِنِ الْعِبْرُ
نَحْمَدُ اللَّهَ وَخُدَّهُ	نَحْنُ كُلُّ عَلَى خَطَرُ
رُبَّ لَاهٍ وَعُمْرُهُ	قَدْ تَقَضَّى وَمَا شَعَرُ
رُبَّ عَيْشٍ قَدْ كَانَ فَوْ	قِ الْمُنَى مُونِقَ الزَّهَرُ

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٧٧).

(٢) أخرجه النسائي (٨/ ٢٣٠) وهذا لفظه وقال: هذا

(٣) الحديث جيد وقال محقق «جامع الأصول» (١٠/ ١٧٩):

(٤) صيد الخاطر (٢٨٩).

(٥) كتاب الورع لابن أبي الدنيا (٥٩).

إسناده حسن. وجاء نحوه عند الترمذي من حديث

فِي خَرِيرٍ مِنَ الْعُيُودِ نِ وَظِلٍّ مِنَ الشَّجَرِ نَحْمَدُ اللَّهَ وَحْدَهُ إِنَّ فِي ذَا الْمُسْتَبَرِّ
وَسُرُورٍ مِنَ النَّبَا تِ وَطِيبٍ مِنَ الثَّمَرِ إِنَّ فِي ذَا لَعِبْرَةٍ لِلْبَيْبِ إِنْ اغْتَبَرُ*^(١)
غَيْرَتُهُ وَأَهْلُهُ سُرْعَةُ الدَّهْرِ بِالْغَيْرِ

من فوائد «النزاهة»

- (١) تَنْزِيهِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ وَهُوَ التَّسْبِيحُ .
- (٢) الْمُؤْمِنُ التَّقِيُّ يَتَنَزَّهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنَ الْحَلَالِ مَخَافَةَ أَنْ يَقَعَ فِي الْحَرَامِ ، لِيَتَبَقَى الْعَلَاقَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - نَاصِعَةً لَا تُشَوِّبُهَا شَائِبَةٌ .
- (٣) مَنْ نَزَهَ نَفْسَهُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَصَانَهَا عَنْ مَوَاقِفِ الرِّيْبَةِ وَالتُّهْمِ أَحَبَّهُ النَّاسُ وَكَانَ مَوْضِعَ ثِقَتِهِمْ .
- (٤) إِنَّ الَّذِينَ يُنَزِّهُونَ أَنْفُسَهُمْ وَأَسْمَاعَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَنْ مَجَالِسِ اللَّهْوِ وَمَزَامِيرِ الشَّيْطَانِ يُسْكِنُهُمُ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ بَيَاضَ الْمِسْكِ ، ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ: أَسْمِعُوهُمْ تَحْمِيدِي وَتَحْمِيدِي .
- (٥) النَّزِيهُ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيُحِبُّهُ النَّاسُ .
- (٦) النَّزَاهَةُ تُثْمِرُ الْوَرَعَ وَتُنْمِي التَّقْوَى .

النشاط

الآيات	الأحاديث	الآثار
-	٧	-

النشاط لغةً:

مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ «نَشِطَ يَنْشِطُ» وَهُوَ مَا أَخُوذُ مِنْ مَادَّةٍ (ن ش ط) الَّتِي تَذُلُّ عَلَى اهْتِزَازٍ وَحَرَكَةٍ وَسُمِّيَتْ الْحَالَةُ الَّتِي يَنْشِطُ فِيهَا الْإِنْسَانُ وَيَخْفُ لِلْعَمَلِ وَيُسْرِعُ إِلَيْهِ نَشَاطًا لِمَا يُصَاحِبُهَا مِنَ الْحَرَكَةِ وَالْاهْتِزَازِ وَالتَّفَتُّحِ، وَسُمِّيَ الثَّوْرُ نَاشِطًا لِأَنَّهُ يَنْشِطُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَيُقَالُ: أَنْشَطَ الْقَوْمُ إِذَا كَانَتْ دَوَابُّهُمْ نَشِيطَةً، وَنَشِطَتِ النَّاقَةُ فِي سَيْرِهَا إِذَا شَدَّتْ، وَالْأَنْشُوطَةُ: الْعُقْدَةُ مِثْلُ عُقْدَةِ السَّرَاوِيلِ، يُقَالُ: أَنْشَطْتُهُ بِأَنْشُوطَةٍ، وَأَنْشَطْتُ الْعِقَالَ: مَدَدْتُ أَنْشُوطَتَهُ فَاِنْحَلَّتْ وَقَالَ قَوْمٌ: الْإِنْشَاطُ: الْحُلُّ، وَالتَّنْشِيطُ: الْعَقْدُ، وَالنَّاشِطَاتُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَالنَّاشِطَاتِ نَشِطًا)، قِيلَ أَرَادَ بِهَا النُّجُومَ الْخَارِجَاتِ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ بِسَيْرِ الْفَلَكَ أَوِ السَّائِرَاتِ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ بِسَيْرِ أَنْفُسِهَا مِنْ قَوْلِهِمْ ثَوْرٌ نَاشِطٌ أَيْ خَارِجٌ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ، وَقِيلَ الْمَلَائِكَةُ الَّتِي تَنْشِطُ أَرْوَاحَ النَّاسِ أَيْ تَنْزِعُهَا، وَقِيلَ الْمَلَائِكَةُ الَّتِي تَعْقِدُ الْأُمُورَ مِنْ قَوْلِهِمْ نَشِطَتِ الْعُقْدَةُ، وَتَخْصِيصُ النَّشِطِ وَهُوَ الْعَقْدُ الَّذِي يَسْهُلُ حُلُّهُ تَنْبِيْهَا عَلَى سُهُولَةِ الْأَمْرِ عَلَيْهِمْ، وَالنَّشِيطَةُ مَا يَنْشِطُ الرَّئِيسُ لِأَخْذِهِ (أَيْ يَخْفُ لَهُ وَيُسْرِعُ إِلَيْهِ) قَبْلَ الْقِسْمَةِ، وَفِي الْقَامُوسِ: يُقَالُ نَشِطَ كَسَمِعَ فَهُوَ نَاشِطٌ وَنَشِيطٌ أَيْ

طَابَتْ نَفْسُهُ لِلْعَمَلِ وَغَيْرِهِ وَنَشِطَ الْحَبْلُ كَنَصَرَ عَقْدَهُ، وَنَشِطَ مِنَ الْمَكَانِ كَضَرَبَ: خَرَجَ، وَنَشِطَ الدَّلْوُ يَنْشِطُهَا (بِالْكَسْرِ) نَزَعَهَا بِلَا بَكْرَةٍ.

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: يُقَالُ نَشِطَ الرَّجُلُ نَشَاطًا فَهُوَ نَشِيطٌ، وَتَنْشِطُ لِأَمْرٍ كَذَا وَالنَّاشِطُ الثَّوْرُ الْوَحْشِيُّ يُخْرَجُ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشِطًا﴾ يَعْنِي النُّجُومُ تَنْشِطُ مِنْ بُرْجٍ إِلَى بُرْجٍ كَالثَّوْرِ النَّاشِطِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَالْهُمُومُ تَنْشِطُ بِصَاحِبِهَا (أَيْ تَخْفُ بِهِ وَتُخْرِجُهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ) قَالَ هَمِيَانُ بْنُ قُحَافَةَ: أَمَسَتْ هُمُومِي تَنْشِطُ الْمَنَاشِطَا

الشَّامُ بِي طَوْرًا وَطَوْرًا وَاسِطًا وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: النَّشَاطُ ضِدُّ الْكَسَلِ، يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْإِنْسَانِ وَالِدَّابَّةِ يُقَالُ: نَشِطَ نَشَاطًا، وَنَشِطَ إِلَيْهِ، فَهُوَ نَشِيطٌ، وَنَشِطُهُ هُوَ وَأَنْشَطُهُ وَقَوْلُهُمْ «نَشِيطٌ» أَيْ طَيِّبُ النَّفْسِ لِلْعَمَلِ، وَالنَّعْتُ: نَاشِطٌ، وَفِي حَدِيثِ عُبَادَةَ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمَنْشِطِ وَالْمَكْرِهِ «الْمَنْشِطُ هُنَا مَفْعَلٌ مِنَ النَّشَاطِ وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي تَنْشِطُ لَهُ وَتَخْفُ إِلَيْهِ وَتُؤَثِّرُ فِعْلُهُ وَهُوَ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى النَّشَاطِ، وَيُقَالُ رَجُلٌ نَشِيطٌ وَمُنْشِطٌ أَيْ نَشِطَ دَوَابُّهُ وَأَهْلُهُ، وَرَجُلٌ مُتَنْشِطٌ إِذَا كَانَتْ لَهُ دَابَّةٌ يَرْكَبُهَا، فَإِذَا سَيَّمَ الرُّكُوبَ نَزَلَ عَنْهَا وَقِيلَ مُتَنْشِطٌ (مِنْ

يَنْبَغِي التَّثَاقُلُ عَنْهُ.

أهمية النشاط واطِّراح الكسل:

قَالَ الرَّاعِبُ فِي الذَّرِيعَةِ: مَنْ تَعَطَّلَ وَتَبَطَّلَ
انْسَلَخَ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ، بَلْ مِنَ الْحَيَوَانِيَّةِ، وَصَارَ مِنْ
جِنْسِ الْمَوْتَى، وَحَقُّ الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَأَمَّلَ قُوَّتَهُ وَيَسْعَى
بِحَسَبِ ذَلِكَ إِلَى مَا يُفِيدُهُ السَّعَادَةَ، وَيَتَحَقَّقَ أَنَّ
اضْطِرَابَهُ (أَيَّ نَشَاطِهِ) سَبَبٌ وَضُولِهِ مِنَ الدُّلِّ إِلَى الْعِزِّ،
وَمِنَ الْفَقْرِ إِلَى الْغِنَى، وَمِنَ الضَّعَةِ إِلَى الرِّفْعَةِ، وَمِنَ
الْخُمُولِ إِلَى النَّبَاهَةِ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَنْ تَعَوَّدَ الْكَسَلَ
وَمَالَ إِلَى الرَّاحَةِ فَقَدَ الرَّاحَةَ (فَحُبُّ الْهُوَيْنَى يُكْسِبُ
النَّصَبَ)، وَقَدْ قِيلَ: إِذَا أَرَدْتَ أَلَّا تَتَّعِبَ، فَاتَّعِبْ لئَلَّا
تَتَّعِبَ، وَقَدْ قِيلَ (أَيْضًا) إِيَّاكَ وَالْكَسَلَ وَالضَّجَرَ فَإِنَّكَ
إِنْ كَسَلْتَ لَمْ تُؤَدِّ حَقًّا، وَإِنْ ضَجِرْتَ لَمْ تَصْبِرْ عَلَى
الْحَقِّ، وَإِذَا تَأَمَّلْتَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ «سَافِرُوا تَغْنَمُوا»
وَنَظَرْتَ إِلَيْهِ نَظْرًا عَالِيًا عَلِمْتَ أَنَّهُ حَثَّكَ عَلَى التَّحَرُّكِ
(أَيَّ النَّشَاطِ) الَّذِي يُثْمِرُ لَكَ جَنَّةَ الْمَأْوَى، وَمُصَاحَبَةَ
الْمَلَأِ الْأَعْلَى بَلْ مُجَاوَرَةَ اللَّهِ تَعَالَى^(٢).

[للاستزادة: انظر صفات: الرجولة - القوة -

قوة الإرادة - العمل - علو الهمة - العزم والعزيمة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: التهاون -

الضعف - الكسل - الوهن - التفريط والإفراط].

الانْتِشَاطِ وَهُوَ النُّزُولُ عَنِ الدَّابَّةِ مِنْ طُولِ الرُّكُوبِ)
وَلَا يُقَالُ ذَلِكَ لِلرَّاجِلِ، وَأَنْشَطَ الْقَوْمُ إِذَا كَانَتْ
دَوَابُّهُمْ نَشِيطَةً، وَأَنْشَطَهُ الْكَلَاءُ أَسْمَنَهُ^(١).

النشاط اصطلاحًا:

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: الْمَنْشُطُ: مَفْعَلٌ مِنَ النَّشَاطِ وَهُوَ
الْأَمْرُ الَّذِي تَنْشُطُ لَهُ وَتَخَفُّ إِلَيْهِ وَتُؤَثِّرُ فِعْلُهُ، وَهُوَ
مَصْدَرٌ بِمَعْنَى النَّشَاطِ، وَمِنْ ثَمَّ يَكُونُ النَّشَاطُ هُوَ أَنْ
يَخْفَ الْإِنْسَانُ إِلَى الْأَمْرِ وَيُؤَثِّرُ فِعْلُهُ.

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ حَجَرٍ فِي شَرْحِ قَوْلِهِ ﷺ
«بَايَعْنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، أَيْ
فِي حَالَةِ نَشَاطِنَا، وَفِي الْحَالَةِ الَّتِي نَكُونُ فِيهَا عَاجِزِينَ
عَنِ الْعَمَلِ بِمَا نُؤْمَرُ بِهِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ أَرَادَ فِي وَقْتِ
الْكَسَلِ وَالْمَشَقَّةِ فِي الْخُرُوجِ لِيُطَابِقَ قَوْلُهُ «مَنْشَطِنَا» قَالَ
ابْنُ حَجَرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: وَيُؤَيِّدُهُ مَا وَقَعَ فِي رِوَايَةِ
إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُبَيْدٍ «فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ»، وَنَسْتَنْبِطُ مِنْ
ذَلِكَ أَنَّ النَّشَاطَ يُقَابِلُهُ الْكَسَلُ، وَإِذَا كَانَتْ كُتُبُ
الْمُصْطَلَحَاتِ لَمْ تُعَرِّفِ النَّشَاطَ فَإِنَّهَا عَرَّفَتِ الْكَسَلَ،
فَقَالَ ابْنُ الْمُنَاوِي: الْكَسَلُ هُوَ التَّغَافُلُ عَمَّا لَا يَنْبَغِي
التَّغَافُلُ عَنْهُ، وَقَالَ الرَّاعِبُ: الْكَسَلُ هُوَ التَّثَاقُلُ عَمَّا لَا
يَنْبَغِي التَّثَاقُلُ عَنْهُ. وَنَسْتَطِيعُ عَلَى ضَوْءِ ذَلِكَ أَنْ نَعْرِفَ
النَّشَاطَ اصْطِلَاحًا فَنَقُولُ: النَّشَاطُ هُوَ عَدَمُ التَّغَافُلِ
عَمَّا لَا يَنْبَغِي التَّغَافُلُ عَنْهُ أَوْ هُوَ عَدَمُ التَّثَاقُلِ عَمَّا لَا

المحيط (٨٩٠) ط. بيروت.

(٢) كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص ٣٨٣ وما بعدها.

(١) مقاييس اللغة (٥/٤٢٦)، والمفردات للراغب (٤٩٣)،

والصحيح (٣/١١٩٣)، اللسان (٧/٤٤٢٨)، القاموس

الأحاديث الواردة في «النشاط»

عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَالَ : إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ سَحَرَكَ ،
عَقَدَ لَكَ عُقْدًا فِي بئرٍ كَذَا وَكَذَا . فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ ، فَاسْتَخْرَجُوهَا ، فَجِيءَ بِهَا ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّمَا
نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ^(٤) ، فَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ لِذَلِكَ الْيَهُودِيِّ ، وَلَا
رَأَهُ فِي وَجْهِهِ قَطُّ^(٥) .

٤ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ :
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ
أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ ، يَضْرِبُ عَلَى مَكَانِ كُلِّ
عُقْدَةٍ : عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ ، فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ
انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ صَلَّى
انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ ، وَإِلَّا
أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ»^(٦) .

١ - * (عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- أَنَّهُ قَالَ : بَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي
الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا^(١) ،
وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا
كُنَّا ، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً^(٢) .

٢ - * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
قَالَ : دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ ،
فَقَالَ : «مَا هَذَا الْحَبْلُ ؟ » قَالُوا : هَذَا حَبْلُ زَيْنَبَ ، فَإِذَا
فَتَرْتُ تَعَلَّقْتُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لَا ، حُلُوهُ ، لِيُصَلَّ
أَحَدُكُمْ نَشَاطُهُ فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ»^(٣) .

٣ - * (عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ : سَحَرَ النَّبِيُّ ﷺ
رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ فَاشْتَكَى لِذَلِكَ أَيَّامًا ، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ -

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في «النشاط»

٦ - * (قَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِلْأَسْوَدِ
بْنِ يَزِيدَ سَأَلَهَا عَنْ قِيَامِ النَّبِيِّ ﷺ : كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ
وَيُحْيِي آخِرَهُ ، ثُمَّ إِنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى أَهْلِهِ قَضَى
حَاجَتَهُ ، ثُمَّ يَنَامُ ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ النَّدَاءِ وَثَبَ (وَلَا وَاللَّهُ
مَا قَالَتْ : قَامَ) فَأَفَاضَ عَلَيْهِ الْمَاءَ (وَلَا وَاللَّهُ مَا قَالَتْ :
اغْتَسَلَ) وَإِنْ لَمْ يَكُنْ جُنْبًا تَوَضَّأَ وَضُوءَ الرَّجُلِ

٥ - * (عَنِ الْبَرَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ :
رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ يَنْقُلُ التُّرَابَ - وَقَدْ
وَارَى بَيَاضَ بَطْنِهِ - وَهُوَ يَقُولُ :
«لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْنَا وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا
إِنَّ الْأَلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبِينَا»^(٧) .

(٥) النسائي (١١٣/٧) واللفظ له، وقال محقق جامع الأصول
(٥/٦٨)، إسناده صحيح. ورواه البخاري من حديث
عائشة - رضي الله عنها -، (٥٧٦٣)، وكذا مسلم
(٢١٨٩).

(٦) البخاري - الفتح ٣ (١١٤٢) واللفظ له، مسلم (٧٧٦).
(٧) البخاري . الفتح ٦ (٢٨٣٧) واللفظ له، ومسلم (١٨٠٢).

(١) الأثرة: بفتحيتين - الاسم من أثر إذا أعطى ، أراد أنه يُتأثر
عليكم فيفضل غيركم في نصيبه.

(٢) البخاري - الفتح ١٣ (٧١٩٩)، مسلم (١٧٠٩) ص
(١٤٧٠) واللفظ له.

(٣) البخاري - الفتح ٣ (١١٥٠).

(٤) العِقال - بكسر العين - الرباط الذي يعقل به والجمع عُقُل.

لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ*)^(١).

٧ - * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ نَزَلَ فِي عُلُوِّ

الْمَدِينَةِ^(٢)، فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، قَالَ:

فَأَقَامَ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى مَلَأِ بَنِي

النَّجَّارِ، قَالَ: فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِي سُيُوفِهِمْ، قَالَ وَكَأَنِّي

أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَبُوبَكْرٍ رَدْفُهُ، وَمَلَأُ

بَنِي النَّجَّارِ^(٣) حَوْلَهُ حَتَّى أَلْقَى بِفِنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ، قَالَ:

فَكَانَ يُصَلِّي حَيْثُ أَدْرَكَتُهُ الصَّلَاةُ وَيُصَلِّي فِي مَرَابِضِ

الْغَنَمِ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَمَرَ بِنَاءَ الْمَسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَلَأِ

بَنِي النَّجَّارِ، فَجَاءُوا، فَقَالَ: يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي

بِحَائِطِكُمْ هَذَا^(٤)، فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ، لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا

إِلَى اللَّهِ، قَالَ: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ: كَانَتْ فِيهِ قُبُورُ

الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَتْ فِيهِ خَرْبٌ، وَكَانَ فِيهِ نَخْلٌ، فَأَمَرَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ، وَبِالْخَرْبِ

فَسُوِّيَتْ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، قَالَ: فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ

الْمَسْجِدِ، قَالَ: وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ^(٥) حِجَارَةً، قَالَ:

جَعَلُوا يَنْقُلُونَ ذَاكَ الصَّخْرَ - وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ - وَرَسُولُ

اللَّهِ ﷺ مَعَهُمْ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ

فَانْصُرِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ*)^(٦).

من فوائد «النشاط»

٧ - النشاط في عمل الخير يُكسِبُ المرءَ حُبَّ الله ورضا

الناس ويزفَعُ ذِكْرَهُ فِي الْعَالَمِينَ.

٨ - بِهِ تَعْمُرُ الدُّنْيَا، وَتُفْتَحُ الْبُلْدَانُ لِشَرِّ دِينِ اللَّهِ.

٩ - بِهِ يُزَادُ عَنِ الْأَوْطَانِ، وَتَحْمَى الْأَعْرَاضُ وَتُنْشَرُ

الْفَضِيلَةُ، وَتُدْحَرُ الرِّذِيلَةُ.

١ - دَلِيلُ الْيَقِينِ وَالْإِيمَانِ.

٢ - عَلَامَةٌ مِنْ عِلَامَاتِ إِزْهَاقِ الشَّيْطَانِ بِذِكْرِ اللَّهِ.

٣ - كَثْرَةُ مُحْصِيلِ الثَّوَابِ.

٤ - الاجْتِهَادُ فِي الطَّاعَاتِ، وَبُلُوغُ أَعْلَى الْمَقَامَاتِ.

٥ - يَرْفَعُ قَدْرَ الضَّعِيفِ.

٦ - النَّشَاطُ فِي الْعِبَادَةِ دَلِيلُ رِضَا اللَّهِ وَعِلَامَةُ الْقُرْبِ

مِنْهُ.

أو ساوموني بثمانه.

(٥) عضادتيه: تثنية عضادة - بكسر العين - وهي الخشبة التي على

كتف الباب، ولكل باب عضادتان.

(٦) البخاري - الفتحة ٧ (٣٩٣٢) واللفظ له، ومسلم (١٨٠٤).

(١) البخاري . الفتحة ٣ (١١٤٦)، ومسلم (٧٣٩) واللفظ له.

(٢) علو المدينة: كل ما في جهة نجد يسمى العالية، وقباء من

عوالي المدينة. وما في جهة تهامة يسمى السافلة.

(٣) ملأ بني النجار: أي جماعتهم.

(٤) ثامنوني بحائطكم هذا: أي قروا معي ثمن بستانكم هذا،

النصيحة والتواصي

الآيات	الأحاديث	الآثار
٢١	٣٦	٢٦

النصيحة لغة:

هي الاسم من النصيح، وكلاهما مأخوذ من مادة (ن ص ح) التي تدل على ملاءمة بين شيئين وإصلاح لهما، وأصل ذلك النصيح وهو الخياط، والنصاح: هو الخيط يخاط به، ومن المادة النصيح، والنصيحة: خلاف الغش، يقال: نصحته أنصحته، وهو نصيح الجيب مثل يضرب لمن وصف بخلوص العمل، والتوبة النصوح منه^(١)، كأنها صحيحة ليس فيها خرق ولا ثلمة. وناصح العسل خالصه، كأنه الخالص الذي لا يتخلله ما يشوبه، وقال الراغب: النصيح مأخوذ من قولهم: نصحت له الود، أي أخلصته أو من قولهم: نصحت الجلد: خطته.

واستخدأ الفاعل باللام أفصح، قال تعالى: ﴿وَأَنْصَحْ لَكُمْ﴾ (الأعراف/ ٦٢)، والنصيح: النصيح، وجمعه نصحاء، ورجل نصيح الجيب أي: نقي القلب، قال الأصمعي: النصيح: الخالص من العسل وغيره، وكل شيء خلص فقد نصح، وانتصح فلان أي قبل النصيحة، يقال: انتصحتني إنني لك

ناصح، وتنصح أي تشبه بالنصحاء، واستنصحه: عدّه نصيحاً، والتوبة النصوح هي الصادقة، والنصح بالفتح مصدر قولهم نصحت الثوب: خطته.

وقال ابن منظور: نصح الشيء: خلص والناصح الخالص من العمل وغيره.

والنصح: الإخلاص والصدق والمشورة والعمل.

وقال ابن الأثير: النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة، هي إرادة الخير للمنصوح له^(٢).

واصطلاحاً:

كلمة جامعة تتضمن قيام النصيح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلًا، وتشمل النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم^(٣).

وقال الجرجاني: هي الدعاء إلى مافيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد^(٤).

وقال الكفوي: النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له^(٥).

قال الأغرب: نصح: نزل فيه صلاح صاحبه^(٦).

(١) هكذا قال ابن فارس (المقاييس ٥/ ٤٣٥)، وقال الراغب:

إن التوبة النصوح قد تكون من هذا (أي الإخلاص) وإما من معنى الإحكام من قولهم نصحت الجلد أي خطته.

(٢) لسان العرب (٧/ ٤٤٣٨). وانظر الصحاح (١/ ٤١٠،

(٤١١). والمصباح المنير (٢/ ٢٧٦)، مقاييس اللغة

(٥/ ٤٣٥)، المفردات للراغب (٤٩٤).

(٣) جامع العلوم والحكم (٧٦).

(٤) التعريفات (٣٦٠)، وإلى مثل هذا ذهب المناوي في التوقيف (٣٢٥).

(٥) الكليات (٩٠٨).

(٦) المفردات (٤٩٤).

وَقَالَ فِي الذَّرِيعَةِ: النَّصْحُ إِخْلَاصُ الْمَحَبَّةِ لِلْغَيْرِ بِإِظْهَارِ مَا فِيهِ صَلَاحُهُ^(١).

أول النصح:

أَوَّلُ النَّصْحِ أَنْ يَنْصَحَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ، فَمَنْ غَشَّهَا فَقَلَّمَا يَنْصَحْ غَيْرَهُ، وَحَقٌّ مَنْ اسْتُنْصَحَ أَنْ يَبْذُلَ غَايَةَ النَّصْحِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي شَيْءٍ يَضُرُّهُ، وَيَتَحَرَّى فِيهِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ (النساء/ ١٣٥)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ (الأنعام/ ١٥٢)، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَزْدَادُ فِي صِحَّةِ رَأْيِهِ مَا نَصَحَ لِمُسْتَشِيرِهِ، فَإِذَا غَشَّه سَلْبُهُ اللَّهُ نُصَحَهُ وَرَأْيُهُ، وَلَا يَلْتَفِتَنَّ إِلَى مَنْ قَالَ: إِذَا نَصَحْتَ الرَّجُلَ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْكَ فَتَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ بِغَشِّهِ، فَذَلِكَ قَوْلُ أَلْقَاهُ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُرِيدَ بِغَشِّهِ السُّكُوتَ عَنْهُ، فَقَدْ قِيلَ: كَثْرَةُ النَّصِيحَةِ تُورِثُ الظَّنَّ، وَمَعْرِفَةُ النَّاصِحِ مِنَ الْغَاشِّ صَعْبَةٌ جَدًّا، فَالْإِنْسَانُ - لِمَكْرِهِ - يَصْعُبُ الْإِطْلَاقُ عَلَى سِرِّهِ، إِذْ هُوَ قَدْ يُبْدِي خِلَافَ مَا يُخْفِي، وَلَيْسَ كَالْحَيَوَانَاتِ الَّتِي يُمَكِّنُ الْإِطْلَاقُ عَلَى طَبَائِعِهَا^(٢).

لمن تكون النصيحة ؟ وكيف ؟

النَّصِيحَةُ - كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ - تَكُونُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ^(٣). وَقَدْ أَوْضَحَ الْعُلَمَاءُ مَعْنَى هَذِهِ النَّصِيحَةِ فِيمَا يَحْكِيهِ ابْنُ حَجَرٍ قَالَ: النَّصِيحَةُ لِلَّهِ وَصَفُهُ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ،

وَالْخُضُوعُ لَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَالرَّغْبَةُ فِي مَحَابِّهِ بِفِعْلٍ طَاعَتِهِ، وَالرَّهْبَةُ مِنْ مَسَاخِطِهِ بِتَرْكِ مَعْصِيَتِهِ، وَالْجِهَادُ فِي رَدِّ الْعَاصِينَ إِلَيْهِ. وَالنَّصِيحَةُ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعْلُمُهُ، وَتَعْلِيمُهُ، وَإِقَامَةُ حُرُوفِهِ فِي التَّلَاوَةِ، وَتَحْرِيرُهَا فِي الْكِتَابَةِ، وَتَفْهَمُ مَعَانِيهِ، وَحِفْظُ حُدُودِهِ، وَالْعَمَلُ بِمَا فِيهِ، وَذَبُّ تَحْرِيفِ الْمُبْطِلِينَ عَنْهُ، وَالنَّصِيحَةُ لِرَسُولِهِ تَعْظِيمُهُ، وَنَصْرُهُ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَإِحْيَاءُ سُنَّتِهِ بِتَعْلِيمِهَا وَتَعْلِيمِهَا، وَالْإِقْتِدَاءُ بِهِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَمَحَبَّتُهُ وَمَحَبَّةُ أَتْبَاعِهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ إِعَانَتُهُمْ عَلَى مَا حُمِّلُوا الْقِيَامَ بِهِ، وَتَنْبِيهِهُمْ عِنْدَ الْغَفْلَةِ، وَسَدُّ خِلَّتِهِمْ عِنْدَ الْهَفْوَةِ، وَجَمْعُ الْكَلِمَةِ عَلَيْهِمْ، وَرَدُّ الْقُلُوبِ النَّافِرَةِ إِلَيْهِمْ، وَمِنْ أَعْظَمِ نَصِيحَتِهِمْ دَفْعُهُمْ عَنِ الظُّلْمِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ. وَمِنْ جُمْلَةِ أَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ أَيُّمَةُ الْاجْتِهَادِ، وَتَقَعُ النَّصِيحَةُ لَهُمْ بِبَيْتِ عُلُومِهِمْ، وَنَشْرِ مَنَاقِبِهِمْ، وَتَحْسِينِ الظَّنِّ بِهِمْ، وَالنَّصِيحَةُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ الشَّفَقَةُ عَلَيْهِمْ، وَالسَّعْيُ فِيمَا يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَيْهِمْ، وَتَعْلِيمُهُمْ مَا يَنْفَعُهُمْ، وَكَفُّ وَجْهِهِ الْأَذَى عَنْهُمْ، وَأَنْ يُحِبَّ لَهُمْ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهُ لَهُمْ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ^(٤).

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نَاصِرٍ السَّعْدِيُّ: النَّصِيحَةُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ تَكُونُ بِصَدَقِ الْإِيمَانِ، وَإِخْلَاصِ النِّيَّةِ فِي الْجِهَادِ وَالْعَزْمِ عَلَيْهِ عِنْدَ الْقُدْرَةِ، وَفِعْلِ الْمُسْتَطَاعِ مِنَ الْحَثِّ وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّشْجِيعِ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ^(٥).

التواصي لغة:

التَّوَاصِي مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ: تَوَاصَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ

(٤) فتح الباري ١/ ١٦٧.

(٥) تيسير الكريم الرحمن ١٠/ ٢٧٥ (بتصرف).

(١) الذريعة (٢٩٥).

(٢) المرجع السابق (٢٩٥-٢٩٦).

(٣) انظر الحديث رقم (٧).

أَيُّ أَوْصَى كُلُّ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ بِمَعْنَى عَهْدٍ إِلَيْهِ، وَأَوْصَى الرَّجُلَ وَوَصَّاهُ بِمَعْنَى، وَالْأَسْمُ مِنْ ذَلِكَ: الْوَصِيَّةُ وَالْوَصَاةُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي يَزِيدًا وَصَاةً مِنْ أَخِي ثِقَةً وَدُودٍ^(١).
وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام/ ١٥١) إِشَارَةٌ إِلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: هَذِهِ الْآيَةُ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ بِأَنْ يَدْعُوَ جَمِيعَ الْخَلْقِ إِلَى سَمَاعِ تِلَاوَةِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَهَكَذَا يَجِبُ عَلَى مَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنْ يُبَلِّغُوا النَّاسَ وَيُبينُوا لَهُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ بِمَا أَحَلَّ. وَقَوْلُهُ ﴿ذَلِكُمْ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى هَذِهِ الْمُحَرَّمَاتِ (وَالْمَأْمُورَاتِ)، وَالْوَصِيَّةُ هِيَ الْأَمْرُ الْمُؤَكَّدُ الْمَقْدُورُ^(٢)، وَقَالَ أَبُو حَيَّانَ: فِي لَفْظِ وَصَّاكُم مِنْ اللَّطْفِ وَالرَّفَافَةِ مَا لَا يَخْفَى مِنَ الْإِحْسَانِ، قَالَ الْأَعْمَشِيُّ: أَجَدَّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ

نَبِيِّ الْإِلَهِ حِينَ أَوْصَى وَأَشْهَدَا
وَقَدْ وَصَفَ بِهَا (أَيِ الْوَصِيَّةِ) مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عِبَادِهِ فِي كُلِّ الشَّرَائِعِ كَمَا يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَالْآيَتَيْنِ بَعْدَهَا (الآيَاتُ ١٥١ - ١٥٣ مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ)^(٣). فَهَذِهِ هِيَ الْآيَاتُ الْمُحْكَمَاتُ الَّتِي أَجْمَعَتْ عَلَيْهَا شَرَائِعُ الْخَلْقِ

وَلَمْ تُنْسَخْ قَطُّ فِي مِلَّةٍ^(٤)، وَقَالَ الطَّبْرِيُّ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر/ ٣) أَيُّ أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِلُزُومِ الْعَمَلِ بِمَا أُنْزِلَ فِي كِتَابِهِ مِنْ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ مَا نَهَى عَنْهُ فِيهِ، وَالْحَقُّ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، أَمَّا التَّوَاصِي بِالصَّبْرِ فَمَعْنَاهُ: أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالصَّبْرِ عَلَى الْعَمَلِ بِطَاعَةِ اللَّهِ^(٥). وَقَالَ النَّيسَابُورِيُّ وَفِي لَفْظِ التَّوَاصِي دُونَ الدُّعَاءِ أَوِ النَّصِيحَةِ تَأْكِيدٌ بَلِيغٌ كَأَنَّهُ أَمْرٌ مُهْتَمٌّ بِهِ كَالْوَصِيَّةِ^(٦).

التواصي اصطلاحاً:

لَمْ تَذْكُرْ كُتُبُ الْمُصْطَلَحَاتِ - الَّتِي وَقَفْنَا عَلَيْهَا - التَّوَاصِي مُصْطَلَحًا، وَيُمْكِنُ تَعْرِيفُهُ فِي ضَوْءِ مَا ذَكَرَهُ اللَّغَوِيُّونَ وَالْمُفَسِّرُونَ: أَنْ يُوصِيَ بَعْضُ النَّاسِ بَعْضًا بِالْعَمَلِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَبِطَاعَتِهِ وَبِالْإِنْتِهَاءِ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ. أَمَّا الْوَصِيَّةُ (يُرَادُفُهَا الْوَصَاةُ) فَإِنَّ لَهَا فِي الشَّرْعِ مَعْنَيَانِ:

الْأَوَّلُ: عَهْدٌ خَاصٌّ مُضَافٌ إِلَى مَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَقَدْ يَصْحَبُهُ التَّبَرُّعُ^(٧)، وَعَرَّفَ صَاحِبُ الْمُغْنِيِّ هَذَا النَّوعَ فَقَالَ: هِيَ التَّبَرُّعُ بِالْمَالِ بَعْدَ الْمَوْتِ^(٨)، وَقَدْ عَقَدَ الْفُقَهَاءُ لِذَلِكَ بَابَ الْوَصَايَا.

الْآخَرُ: وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا، مَا يَقَعُ بِهِ الرَّجُلُ عَنِ الْمَنَهِيَّاتِ وَالْحَثِّ عَلَى الْمَأْمُورَاتِ^(٩) وَيَكُونُ ذَلِكَ مِنَ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْ الرُّسُولِ ﷺ وَمِنْ صَالِحِ

(٦) تفسير النيسابوري، بهامش الطبري جـ ٣٠ (مجلد ١٢) ص ١٦٠.

(٧) فتح الباري جـ ٥، ص ٤١٩.

(٨) المغني لابن قدامة ٤١٤/٦، وانظر أيضا الشرح الكبير، المجلد نفسه والصفحة نفسها.

(٩) فتح الباري جـ ٥، ص ٤١٩.

(١) انظر لسان العرب ٣٩٤/١٥.

(٢) تفسير القرطبي ١٣٤/٧.

(٣) انظر هذه الآيات في الشاهد القرآني رقم (١٤).

(٤) تفسير البحر المحيط ٢٥٠/٤.

(٥) تفسير الطبري جـ ٣٠ (مجلد ١٢) ص ١٨٨.

المُسْلِمِينَ، وَالْمَوْصَى بِهِ فِي هَذَا النَّوعِ يَشْمَلُ أُمُورًا كَثِيرَةً مِنْهَا: الْوَصِيَّةُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَبِتَقْوَاهُ وَالصَّبْرِ عَلَى الطَّاعَةِ وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَإِكْرَامِ الْجَارِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

الْوَصِيَّةُ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: الْمُرَادُ بِالْوَصِيَّةِ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى حِفْظُهُ حِسًّا وَمَعْنَى، فَيُكْرَمُ وَيُصَانُ، وَ لَا يُسَافَرُ بِهِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ، وَيَتَّبَعُ مَا فِيهِ فَيَعْمَلُ بِأَوَامِرِهِ وَتُجْتَنَّبُ نَوَاهِيهِ، وَيُدَاوَمُ عَلَى تِلَاوَتِهِ وَتَعَلُّمِهِ وَتَعْلِيمِهِ^(١).

النَّصِيحَةُ وَالْوَصِيَّةُ (الْوَصَاةُ) وَالتَّوَاصِي:

بَيْنَ هَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ تَقَارُبٌ فِي الْمَعْنَى، فَجَمِيعُهَا يُرَاعَى فِيهِ إِرَادَةُ الْخَيْرِ لِلْمَنْصُوحِ أَوْ الْمَوْصَى وَدُعَاؤُهُ إِلَى مَا فِيهِ صَلَاحُهُ، بَيِّنٌ أَنَّ النَّصِيحَةَ يُرَاعَى فِيهَا قَيْدُ الْإِخْلَاصِ وَضِدُّهَا الْغِشُّ، أَمَّا الْوَصِيَّةُ فَيُرَاعَى فِيهَا الْمَحَبَّةُ وَالتَّأَكُّدُ وَمَزِيدُ الْاهْتِمَامِ، وَكِلَاهُمَا يَقْتَضِي طَرَفَيْنِ أَحَدُهُمَا مُعْطٍ وَالْآخَرُ مُتَلَقٌّ فَالْمُعْطِي هُوَ النَّاصِحُ أَوْ الْمَوْصِي، أَمَّا الْمُتَلَقِّي فَهُوَ الْمَنْصُوحُ أَوْ الْمَوْصَى، أَمَّا فِي التَّوَاصِي فَإِنَّ كِلَا الطَّرَفَيْنِ مُعْطٍ وَمُتَلَقٌّ فِي آنٍ وَاحِدٍ، لِأَنَّهُ يُوصِي غَيْرَهُ وَيُوصِيهِ غَيْرُهُ فِي حَالِ حَيَاتِهِمَا.

التواصي والشورى:

لَقَدْ أَقْسَمَ الْمَوْلَى - عَزَّ وَجَلَّ - أَنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ وَأَسْتَشْنَى مِنْ ذَلِكَ مَنْ تَوَفَّرَتْ فِيهِ أَرْبَعُ خِصَالٍ هِيَ: الْإِيْمَانُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ، وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالْعَصْرُ *

إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ وَقَدْ قَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: «لَوْ تَدَبَّرَ النَّاسُ هَذِهِ السُّورَةَ لَوَسِعَتْهُمْ»^(٢)، وَقَدْ صَدَقَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (الشَّافِعِيُّ)، لِأَنَّهَا تُنْظِمُ حَيَاةَ الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ، وَنَصِيبُ الْفَرْدِ فِيهَا الْإِيْمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، أَمَّا نَصِيبُ الْمُجْتَمَعِ فَهُوَ أَنْ يُوصَى بَعْضُ النَّاسِ بَعْضًا بِالْحَقِّ وَبِالصَّبْرِ أَيْ بِأَدَاءِ الطَّاعَاتِ وَتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ مِنْ نَاحِيَةٍ، وَعَلَى تَحْمُلِ الْبَلَايَا وَالْأَذَى مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى، وَلَا يَتَحَقَّقُ هَذَا التَّوَاصِي إِلَّا عِنْدَ الْاجْتِمَاعِ وَالتَّشَاوُرِ فِي أُمُورِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا، وَأَمْرُ الْمُؤْمِنِينَ - كَمَا أَخْبَرَ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ - إِنَّمَا هُوَ - شُورَى بَيْنَهُمْ^(٣)، وَلَا تَكُونُ هَذِهِ الشُّورَى ذَاتَ جَدْوَى إِلَّا إِذَا تَضَمَّنَتْ التَّوَاصِي بِالْحَقِّ وَبِالصَّبْرِ وَبِالْمَرْحَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا أَمَرَنَا اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ، وَهَكَذَا فَإِنَّهُ إِذَا صَلَحَ أَمْرُ الْمُسْلِمِ بِالْإِيْمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، صَلَحَ أَمْرُ الْأُمَّةِ كُلِّهَا بِالشُّورَى الْقَائِمَةِ عَلَى التَّوَاصِي بِالْحَقِّ وَنَحْوِهِ.

[للاستزادة: انظر صفات: الإصلاح - الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر - التذكير - الشورى -

الكلم الطيب - الإرشاد - الإيْمَان - التبليغ - الهدى.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأمر بالمنكر

والنهي عن المعروف - الضلال - الغي والإغواء -

الإعراض - التفريط والإفراط - التهاون].

الآيات الواردة في « النصيحة »

آيات فيها نصح من الرسل:

١- لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ ﴿٦٠﴾

قَالَ يَتَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾

أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾^(١)

٢- ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ

إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ

مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٦٦﴾

قَالَ يَتَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ

مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾

أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾^(٢)

٣- فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ

وَقَالُوا يُصْلِحُ أُنْتَابِمَا تَعْدُنَا إِن كُنْتَ

مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ

جَثِمِينَ ﴿٧٨﴾

فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ

النَّصِيحَةَ ﴿٧٩﴾^(٣)

٤- وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَيْتُمْ

شُعَبًا إِنَّكُمْ إِذَا الْخَسِرُونَ ﴿٩٠﴾

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ

جَثِمِينَ ﴿٩١﴾

الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَبًا كَانُوا لَمْ يَغْنُوا فِيهَا الَّذِينَ

كَذَّبُوا شُعَبًا كَانُوا لَهُمُ الْخَسِرِينَ ﴿٩٢﴾

فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ

رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ

عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾^(٤)

آيات فيها نفع النصح مرهون بإرادة الله:

٥- قَالُوا يَنْتُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا

فَأَنْتَابِمَا تَعْدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾

قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٢٣﴾

وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ
اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ
تَرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾^(١)

الْأَنْهَرُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ
يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا
إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٥﴾^(٥)

آيات النصيحة فيها علامة إخلاص:

آيات النصيحة فيها مدعى:

٦- لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى
الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ
إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ
مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾^(٢)

١٠- ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ
ءَايَاتٌ لِلْسَّائِلِينَ ﴿٧﴾﴾

٧- وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾
﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ
هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ
وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾^(٣)

إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا
وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨﴾
أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ
أَيْكُمُ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾
قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوَّةُ فِي غَيْبَتِ
الْجَبِّ بَلَنَقُطُّهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ
فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾
قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ
لَنَصِحُونَ ﴿١١﴾^(٦)

٨- وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمْوَسَّى
ابْنُ الْمَلَأَ يَا تَمْرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ
إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾^(٤)

١١- وَيَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾
فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ
عَنْهُمَا مِنْ سَوْءٍ تَهُمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا
عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا
مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾
وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾^(٧)

٩- يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا
عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا

الآيات الواردة في «الوصية والتواصي»

١٢ - وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ

نَفْسَهُ، وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا

وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾

إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمِ

قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾

وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنِي إِنْ أَلَّهِ

أَصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا

وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ (١)

١٣ - وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ

وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ

وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ

مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا

حَمِيدًا ﴿١٣٣﴾ (٢)

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ، وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ

بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ

اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾

وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ

وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ

ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ (٣)

١٥ - قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ، اتَّبَعْتَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا

وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ

وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ (٤)

١٦ - وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ

لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا

إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ (٥)

١٧ - وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ

وَهَنَّا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَلَّهُ فِي عَمَامِينَ

أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ (٦)

١٤ - قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي

عَلَيْكُمْ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ

إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ

نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا

الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ

ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

(٥) العنكبوت : ٨ مكية

(٦) لقمان : ١٤ مكية

(٣) الأنعام : ١٥١ - ١٥٣ مكية

(٤) مريم : ٣٠ - ٣٠ مكية

(١) البقرة : ١٣٠ - ١٣٢ مدنية

(٢) النساء : ١٣١ مدنية

١٨ - ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى

وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ

عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدُّعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي

إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾

١٩ - ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا

وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ

أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ

وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ

وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنِيتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي

مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا

وَنَنْجَاوُزُهُنَّ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ

وَعَدَ الصَّادِقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾

٢٠ - ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾

فَكَرْبَةُ ﴿١٣﴾

أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾

يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾

أَوْ مَسْكِنًا ذَا مَضْرِبَةٍ ﴿١٦﴾

ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا

بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾

أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمُنَنَةِ ﴿١٨﴾

٢١ - ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا

بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

الأحاديث الواردة في «النصيحة»

٥ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ الْكَسْبِ كَسْبُ يَدِ الْعَامِلِ إِذَا نَصَحَ» *^(٦).

٦ - * (عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَكِيمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُوا النَّاسَ يَرْزُقُوا اللَّهَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَإِذَا اسْتَشَارَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَنْصَحْهُ» *^(٧).

٧ - * (عَنْ تَيْمِ الدَّارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ». قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» *^(٨).

٨ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: فَرُؤْيَا حَقٌّ، وَرُؤْيَا يُحَدِّثُ بِهَا الرَّجُلُ نَفْسَهُ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ. فَمَنْ رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيُقِمْ فَلْيُصَلِّ». وَكَانَ يَقُولُ: «يُعْجِبُنِي الْقَيْدُ وَأَكْرَهُ الْغُلَّ. الْقَيْدُ ثَبَاتٌ فِي الدِّينِ». وَكَانَ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى فَإِنِّي أَنَا هُوَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ

١ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا نَصَحَ الْعَبْدُ لِسَيِّدِهِ وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ اللَّهِ فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ» *^(١).

٢ - * (عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُمَا - قَالَ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يُحْجَجْ....» - حَدِيثَ صِفَةِ حَجَّتِهِ ﷺ وَفِيهِ: «وَأَنْتُمْ مَسْئُولُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ» *^(٢).

٣ - * (عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ: «بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» *^(٣).

٤ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ». قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا لَقَيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَاَنْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ»^(٤). وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ» *^(٥).

(٦) أحمد (٣٣٤ / ٢) حديث (٨٤٣٣) وقال الشيخ أحمد

شاكِر: إسناده صحيح. وقال ذكره السيوطي في الجامع

الصغير وأشار إلى حسنه وذكره الألباني في صحيح الجامع

(١٣٢ / ٢) حديث (٣٢٧٨) وقال: حسن.

(٧) الإصابة (٣٣٩ / ٦): أخرجه أبو داود الطيالسي

(ص ١٨٥)، وجامع المسانيد (٤٢٥ / ١٢) برقم (٩٨٦١).

(٨) مسلم (٥٥).

(١) البخاري - الفتح ٥ (٢٥٥٠). ومسلم (١٦٦٤) واللفظ له.

(٢) أبو داود (١٩٠٥). وابن ماجه (٣٠٧٤). وأصله في

صحيح مسلم (١٢١٨).

(٣) البخاري - الفتح ٣ (١٤٠١)، ومسلم (٥٦)

(٤) فَسَمِّتُهُ: تسميت العاطس أن يقول له: يرحمك الله، ويقال

بالسين المهملة والمعجمة لغتان مشهورتان.

(٥) مسلم (٢١٦٢)، وقوله: إذا مات فاتبعه: أي اتبع جنازته.

لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَتَمَثَّلَ بِي»، وَكَانَ يَقُولُ: «لَا تُقْصِرُ الرُّؤْيَا إِلَّا عَلَى عَالَمٍ أَوْ نَاصِحٍ» * (١).

٩ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلَاثَةِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: شَهِيدٌ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ، وَعَبْدٌ أَحْسَنَ عِبَادَةَ اللَّهِ، وَنَاصِحٌ لِمَوَالِيهِ» * (٢).

١٠ - * (عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ يَوْمَ مَاتَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: «قَامَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ وَخُدْهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةَ، حَتَّى يَأْتِيَكُمْ أَمِيرٌ (وَكَانَ الْمُغِيرَةُ أَمِيرًا عَلَيْهِمْ) فَإِنَّمَا يَأْتِيكُمْ الْآنَ. ثُمَّ قَالَ: اسْتَغْفِرُوا لِأَمِيرِكُمْ، فَإِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الْعَفْوَ. ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، قُلْتُ: أَبَايُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَشَرَطَ عَلَيَّ «وَالنُّصْحَ» (٣) لِكُلِّ مُسْلِمٍ «فَبَايَعْتُهُ عَلَى ذَلِكَ، وَرَبَّ هَذَا الْمَسْجِدِ إِنِّي لَنَاصِحٌ لَكُمْ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَنَزَلَ» * (٤).

١١ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِلْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ سِتٌّ خِصَالٌ: يَعُودُهُ إِذَا مَرِضَ، وَيَشْهَدُهُ إِذَا مَاتَ، وَيُجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ، وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ، وَيُسَمِّتُهُ إِذَا عَطَسَ، وَيَنْصَحُ لَهُ إِذَا غَابَ أَوْ شَهِدَ» * (٥).

١٢ - * (عَنْ أَبِي مُوسَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِلْمَمْلُوكِ الَّذِي يُحْسِنُ عِبَادَةَ رَبِّهِ، وَيُؤَدِّي إِلَى سَيِّدِهِ الَّذِي لَهُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ وَالنَّصِيحَةِ وَالطَّاعَةِ، أَجْرَانِ» * (٦).

١٣ - * (عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً فَلَمْ يَحْطُهَا بِنُصْحِهِ لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ» * (٧).

١٤ - * (عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ غَيْرِ فِقْهِي، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ. ثَلَاثٌ لَا يُغْلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُؤْمِنٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِرُؤَاةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلِزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ» * (٨).

(١) الترمذي (٢٢٨٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وانظر «جامع الأصول» (٢/٥١٥-٥١٨) والتعليق عليه.
(٢) الترمذي (١٦٤٢) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن. وأحمد (٤٢٥/٢) برقم (٩٥٠٤) وقال مخرجه: إسناده حسن (١٣٧/١٨، ١٣٨). والحديث في المشكاة (١١٢٦/٢) حديث (٢٨٣٢) وعزاه للترمذي، ولم يذكر الشيخ ناصر فيه شيئاً. وقال مخرج جامع الأصول (١٠/٥٣٥): رواه أيضاً الحاكم والبيهقي والحديث كما قال الترمذي.

(٣) والنصح - بالجر - عطفاً على الإسلام. ويجوز نصبه عطفاً على مقدر أي شرط على الإسلام والنصح (الفتح ١/١٦٩).

(٤) البخاري - الفتح ١ (٥٨) واللفظ له. ومسلم (٥٦).
(٥) الترمذي (٢٧٣٧) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن صحيح. وذكره الشيخ الألباني في صحيح النسائي (٢/٤١٧٠) برقم (١٨٣٠)..
(٦) البخاري - الفتح ٥ (٢٥٥١) واللفظ له، ومسلم (١٦٦٥).
(٧) البخاري - الفتح ١٣ (٧١٥٠) واللفظ له. ومسلم (١٤٢).
(٨) الترمذي (٢٦٥٨)، وأحمد (٤/٨٠)، وابن ماجه (٣٠٥٦) واللفظ له وقال في الزوائد: إسناده فيه محمد بن اسحاق وهو مدلس، وقد عنعنه. والمتن على حاله صحيح، وذكره الألباني في صحيح الجامع (٦٦٤٢). واللفظ لابن ماجه. وقال ابن رجب: إسناده جيد، جامع العلوم والحكم (٧٣).

الأحاديث الواردة في «النصيحة» معنى

أَوْ قَالَ حَتَّى يَتَفَرَّقَا - فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لِهَمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَّتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا» * (٥).

١٧ - * (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ بَطَاتَانِ. بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَبَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَنْهَاهُ عَنِ الْبِرِّ، فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى» * (٦).

١٨ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ» * (٧).

١٩ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ مِرَاةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكْفُفُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَيَحْطُطُهُ مِنْ وَرَائِهِ» * (٨).

١٥ * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ^(١) فِي عَقَارِهِ جَرَّةً^(٢) فِيهَا ذَهَبٌ. فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْأَرْضَ، وَلَمْ أَتَّبِعْ مِنْكَ الذَّهَبَ. فَقَالَ الَّذِي شَرَى الْأَرْضَ^(٣): إِنَّمَا بَعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا. قَالَ: فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ. فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ. وَقَالَ الْآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ. قَالَ: أَنْكِحُوا الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِكُمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا» * (٤).

١٦ - * (عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا -

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في «النصيحة»

فَقَالَ: «مَنْ يَشْتَرِيهِ مِنِّي؟» فَاشْتَرَاهُ نَعِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَدَوِيُّ بِثَمَانِ مِائَةِ دِرْهَمٍ. فَجَاءَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: «ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا.

٢٠ - * (عَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: أَعْتَقَ

رَجُلٌ مِنْ بَنِي عُذْرَةَ عَبْدًا لَهُ عَنْ دُبُرٍ^(٩) فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: «أَلَيْكَ مَالٌ غَيْرُهُ؟» فَقَالَ: لَا.

(٥١٢٨) وقال المنذري: أصح طرق هذا الحديث حديث

أبي هريرة وعزاه أيضا للنسائي . مختصر السنن (٨/ ٢٨ -

٢٩) . وقال محقق «جامع الأصول» (١١/ ٥٦٢): وهو

حديث حسن .

(٨) أبو داود (٤٩١٨) واللفظ له . والأدب المفرد (٢٣٩)

للبخاري . وذكره الألباني في صحيح الجامع (٦/ ٦)

برقم (٦٥٣٢) وقال: حسن .

(٩) عن دبر: أي علق عتقه بموته، فقال: أنت حر يوم أموت .

(١) العقار: الأرض وما يتصل بها .

(٢) الجرة: إناء من خزف له بطن كبير وعروتان وفم واسع .

(٣) شري الأرض: أي باعها .

(٤) البخاري - الفتح ٦ (٣٤٧٢)، ومسلم (١٧٢١) واللفظ له .

(٥) البخاري - الفتح ٤ (٢٠٧٩) واللفظ له . ومسلم

(١٥٣٢) .

(٦) البخاري - الفتح ١٣ (٧١٩٨) .

(٧) الترمذي (٢٨٢٣) وقال: حسن غريب . وأبو داود

فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلَا هَلِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَيْءٌ فَلِذِي قَرَابَتِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا يَقُولُ فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ) * (١).

٢١ - * (عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ هَلَكَ وَتَرَكَ تِسْعَ بَنَاتٍ (أَوْ قَالَ: سَبْعَ) فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً ثَيِّبًا. فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا جَابِرُ، تَزَوَّجْتَ؟» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَبِكْرٌ أَمْ ثَيِّبٌ؟» قَالَ: قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «فَهَلَّا جَارِيَةٌ تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ (أَوْ قَالَ: تُضَاحِكُهَا وَتُضَاحِكُكَ)» قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ هَلَكَ وَتَرَكَ تِسْعَ بَنَاتٍ (أَوْ سَبْعَ) وَإِنِّي كَرِهْتُ أَنْ آتِيَهُنَّ أَوْ أَجِيَهُنَّ بِمِثْلِهِنَّ. فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَجِيءَ بِامْرَأَةٍ تَقُومُ عَلَيْهِنَّ وَتُضْلِحُهُنَّ. قَالَ: «فَبَارَكَ اللَّهُ لَكَ» أَوْ قَالَ لِي خَيْرًا) * (٢).

٢٢ - * (عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِثْلِي وَمِثْلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمِثْلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: يَا قَوْمُ، إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنِي، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ» (٣)، فَالْنَّجَاءُ (٤)، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَذْجُوا (٥) فَانْطَلَقُوا عَلَى

مُهْلَتِهِمْ. وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ. فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاَحَهُمْ (٦). فَذَلِكَ مِثْلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمِثْلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ) * (٧).

٢٣ - * (عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ أَبَا عَمْرٍو بْنَ حَفْصٍ طَلَّقَهَا الْبَتَّةَ، وَهُوَ غَائِبٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا وَكِيلُهُ بِشَعِيرٍ فَسَخِطَتْهُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ! مَا لَكَ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ، فَجَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ لَهَا: لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِ نَفَقَةٌ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَعْتَدَ فِي بَيْتِ أُمِّ شَرِيكِ، ثُمَّ قَالَ: «تِلْكَ امْرَأَةٌ يَغْشَاهَا أَصْحَابِي. اعْتَدِي عِنْدَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَعْمَى تَضَعِينَ ثِيَابَكَ فَإِذَا حَلَلْتَ فَادْنِينِي» (٨)، قَالَتْ: فَلَمَّا حَلَلْتُ ذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَأَبَا جَهْمٍ خَطَبَانِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ» (٩)، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُغْلُوكُ لَا مَالَ لَهُ، أَنْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ «فَكَرِهْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَنْكِحِي أُسَامَةَ»، فَانْكِحْتُهُ، فَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا وَاعْتَبَطْتُ) * (١٠).

٢٤ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ. لِمَالِهَا،

(٥) فاذلجوا: ساروا من أول الليل.

(٦) اجتاحتهم: استأصلهم.

(٧) البخاري - الفتوح ١١ (٦٤٨٢). ومسلم (٢٢٨٣) واللفظ له.

(٨) آذنيني: أي أعلميني.

(٩) فلا يضع عصاه عن عاتقه: دلالة على كثرة الأسفار، أو كثرة الضرب للنساء.

(١٠) مسلم (١٤٨٠).

(١) مسلم (٩٩٧).

(٢) البخاري - الفتوح ٩ (٥٠٨٠). ومسلم (٧١٥)، (١٠٨٧) كتاب الرضاع واللفظ له.

(٣) أنا النذير العريان: أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيداً منهم ليخبرهم بما دهمهم. وأكثر ما يفعل هذا طليعة القوم ورقبيهم.

(٤) النجاء: اطلبوا النجاة.

تَرَبَّتْ يَدَاكَ ^(١)» * ^(٢).

٢٥ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْظَرْتَ إِلَيْهَا؟» قَالَ: لَا. قَالَ: فَادْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّ فِي أَعْيُنِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا ^(٣)» * ^(٤).

٢٦ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَّاشُ ^(٥) وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا . وَجَعَلَ يَحْجِرُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَتَقَحَّمْنَ فِيهَا. قَالَ فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ، أَنَا آخِذٌ بِحُجْرِكُمْ ^(٦) عَنِ النَّارِ. هَلُمَّ عَنِ النَّارِ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ، فَتَغْلِبُونِي تَقَحَّمُونَ ^(٧) فِيهَا» * ^(٨).

الأحاديث الواردة في «الوصية والتواصي»

بِوَالِدَيْهِ ^(٩) وَفِيهَا: «وَصَاحِبُهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا» (لقمان ١٤ / ١٥) * ^(٩). الحديث ^(١٠).

٢٨ - * (عَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى: هَلْ أَوْصَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: لَا، قُلْتُ: فَلِمَ كُتِبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْوَصِيَّةُ ^(١١)، أَوْ فَلِمَ أُمِرُوا بِالْوَصِيَّةِ؟ قَالَ: أَوْصَى بِكِتَابِ اللَّهِ ^(١٢) عَزَّ وَجَلَّ» *.

٢٩ - * (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -

٢٧ - * (عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ - رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُمَا -، أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ: حَلَفْتُ أُمُّ سَعْدٍ أَلَّا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ، قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ، وَأَنَا أُمُّكَ وَأَنَا أُمُّكَ بِهَذَا، قَالَ (سَعْدُ): مَكَثْتُ ثَلَاثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ، فَقَامَ ابْنُ لَهَا يُقَالُ لَهُ عُمَارَةٌ فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ

(٩) مسلم (١٧٤٨).

(١٠) للحديث بقية تتضمن آيات أخرى نزلت في سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -.

(١١) الوصية المسئول عنها أولا هي وصية الرجل في ماله، أي في الأمور المادية، ولما كان الرسول ﷺ ليس عنده شيء يوصي به من نحو العقارات والأموال فقد انصرفت وصيته إلى الجانب الأهم وهو كتاب الله عز وجل، وبهذا يفسر تركه للوصية في حديث عائشة رقم (١٦٣٥) في صحيح مسلم حيث قالت: «ما ترك رسول الله ﷺ درهما ولا دينارا ولا شاة ولا بعيرا ولا أوصى بشيء» أي بشيء من أمور الدنيا.

(١٢) البخاري، الفتح (٥٠٢٢) ومسلم (١٦٣٤) واللفظ له.

(١) تربت يداك: ترب الرجل إذا افتقر، أي لصق بالترب، وهذه الكلمة جارية على السنة العرب لا يريدون بها الدعاء على المخاطب والمراد بها الحث والتحريض.

(٢) البخاري - الفتح ٩ (٥٠٩٠). ومسلم (١٤٦٦) واللفظ له.

(٣) شيئا: المراد صغر وقيل زرقة.

(٤) مسلم (١٤٢٤).

(٥) الفراش: الذي يطير كالبعوض.

(٦) بحجركم: جمع حجرة، وهي معقد الازار والسراريل.

(٧) تقحمون: تقدمون وتقعون في الأمور الشاقة من غير تثبت.

(٨) البخاري - الفتح ١١ (٦٤٨٣). ومسلم (٢٢٨٤) واللفظ له.

٣٣- * (عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «إِنَّ خَلِيلِي ﷺ أَوْصَانِي: إِذَا طَبَخْتَ مَرَقًا فَأَكْثِرْ مَاءَهُ، ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ، فَأَصْبِهِمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ»)* (٩).

٣٤- * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَإِذَا شَهِدَ أَمْرًا فَلْيَتَكَلَّمْ بِخَيْرٍ أَوْ لِيَسْكُتْ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنْ أَغْوَجَ شَيْءٌ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، إِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسْرَتُهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَغْوَجَ، اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا)* (١٠).

٣٥- * (عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِرَاطُ» (١١) فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ فِي مَوْضِعٍ لَبَنَةٍ فَاخْرُجْ مِنْهَا)* (١٢).

٣٦- * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَوْصِنِي، قَالَ: لَا تَغْضَبْ، فَرَدَّدَ مَرَارًا، قَالَ: لَا تَغْضَبْ)* (١٣).

قَالَ: «يَوْمَ الْخَمِيسِ! وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ! (١)، ثُمَّ بَكَى حَتَّى بَلَ دَمْعُهُ الْحَصَى، الْحَدِيثُ، وَفِيهِ: أَوْصِيكُمْ بِثَلَاثٍ: أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أَجِيزُهُمْ (٢)، قَالَ: وَسَكَتَ عَنِ الثَّالِثَةِ، أَوْ قَالَهَا فَأَنْسِيَتْهَا)* (٣)، (٤).

٣٠- * (عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا» (٥)، ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْتَلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا...)* (٦) الْحَدِيثُ (٦).

٣١- * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ: بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرُكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ»)* (٧).

٣٢- * (عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِّثُنِي»)* (٨).

واحد.

(٩) مسلم (٢٦٢٥).

(١٠) البخاري ٦ (٣٣٣١)، ومسلم ٢ (١٤٦٨).

(١١) القيراط جزء من أجزاء الدينار، والدرهم، وهو الآن كذلك ويستعمل أيضا اسما لجزء من أربعة وعشرين جزءا من الفدان وكان أهل مصر - ولا يزالون - يكثر من استعماله والتحدث به، وقد ورد التصريح باسم مصر في الحديث الذي أورده مسلم عقيب هذا.

(١٢) مسلم ٤ (٢٥٤٣).

(١٣) البخاري، الفتح ١٠ (٦١١٦).

(١) في هذه العبارة تفخيم أمر هذا اليوم في الشدة والمكروه.

(٢) معنى هذه العبارة: الأمر بضيافة الوفود وإكرامهم تطيبا لنفوسهم وترغيبا لغيرهم، وإعانة لهم على سفرهم.

(٣) الساكت هنا هو ابن عباس، والناسي هو سعيد بن جبير الذي روى حديثه، قال المهلب: والثالثة هي تجهيز جيش أسامة.

(٤) البخاري ٦ (٣٠٥٣)، ومسلم ٢ (١٦٢٧)، واللفظ له.

(٥) المراد أوصاه بمن معه.

(٦) مسلم ٣ (١٧٣١).

(٧) البخاري، الفتح ٣ (١١٧٨)، ومسلم ١ (٧٢١)، واللفظ له.

(٨) البخاري، الفتح ١٠ (٦٠١٤)، ومسلم (٢٦٢٥)، واللفظ

من الآثار وأقوال العلماء الواردة في «النصيحة»

١ - * (قال عمر بن الخطاب - رضوان الله عليه - وهو على المنبر: «أنشدكم الله! لا يعلم أحد مني عينا إلا عابه» فقال رجل: نعم يا أمير المؤمنين، فيك عيبان. قال: وما هما: قال: تدبيل بين البردين^(١)، وتجمع بين الأذمين^(٢) ولا يسع ذلك الناس. قال: فما أدال بين بردين، ولا جمع بين أذمين حتى لقي الله تعالى) *^(٣).

٢ - * (عن ابن عباس - رضي الله عنهما - «ولكل جعلنا مولا» قال: ورثة: * والذين عقدت أيمانكم * كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجرون الأنصاريون ذوي رحمهم للأخوة التي آخى النبي ﷺ بينهم، فلما نزلت * ولكل جعلنا مولا... * (النساء/ ١٣٣) نسخت، ثم قال: * والذين عقدت أيمانكم... * (النساء/ ١٣) من النصير والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث ويوصي له) *^(٤).

٣ - * (عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كنت أقرئ عبد الرحمن بن عوف، فلما كان آخر حجة حجها عمر، فقال عبد الرحمن بمنى: لو شهدت أمير المؤمنين أتاه رجل قال: إن فلانا يقول: لو مات أمير المؤمنين لبايعنا فلانا، فقال عمر: لأقومن العشيّة فأحذر هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغصبوهم، قلت: لا تفعل، فإن الموسم يجمع رعاك الناس يغلبون على مجلسك، فأخاف أن لا ينزلوها على وجهها، فيطير بها كل مطير، فأمهل حتى تقدم المدينة دار الهجرة ودار السنة فتخلص بأصحاب رسول الله ﷺ

من المهاجرين والأنصار فيحفظوا مقالتك وينزلوها على وجهها. فقال: والله لأقومن به في أول مقام أقومه بالمدينة. قال ابن عباس: فقد منّا المدينة، فقال: إن الله بعث محمدا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل آية الرجم) *^(٥).

٤ - * (عن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث - رضي الله عنهما - أنهما قالَا لعبيد الله بن عدي بن الحيار: ما يمنعك أن تكلم خالك عثمان (يعني ابن عفان) في أخيه الوليد بن عتبة (يعني أخاه من الرضاع) وكان أكثر الناس فيما فعل به. قال عبيد الله: فانتصبت لعثمان حين خرج إلى الصلاة فقلت له: إن لي إليك حاجة، وهي نصيحة. فقال: أيها المرء، أعوذ بالله منك. فانصرفت. فلما قضيت الصلاة جلست إلى المسور وإلى ابن عبد يغوث فحدثتهما بما قلت لعثمان وقال لي. فقالا: قد قضيت الذي كان عليك. فبينما أنا جالس معهما جاءني رسول عثمان، فقالا لي قد ابتلاك الله. فانطلقت حتى دخلت عليه، فقال: ما نصيحتك التي ذكرت أنفا؟ قال: فتشهدت ثم قلت: إن الله بعث محمدا ﷺ، وأنزل عليه الكتاب وكنت ممن استجاب لله ورسوله ﷺ، وأمنت به وهاجرت الهجرتين الأوليين، وصحبت رسول الله ﷺ ورأيت هديه. وقد أكثر الناس في شأن الوليد بن عتبة، فحق عليك أن تقيم عليه الحد... الأثر، وفيه «فجلد الوليد أربعين

الخطاب (١٥٤).

(٤) البخاري - الفتح ٨ (٤٥٨٠).

(٥) البخاري - الفتح ١٣ (٧٣٢٣).

(١) تدبيل بين البردين: أي تلبسه وتخليه وتلبس غيره.

(٢) الأذمين: مثنى أذم، وهو ما يؤكل به الخبز أي شيء كان

(٣) الدارمي (١/ ١٦٩) ومناقب أمير المؤمنين عمر بن

الصَّنْعَانِيُّ: «كَانَ يُقَالُ: أَنْصَحُ النَّاسَ لَكَ مَنْ خَافَ اللَّهَ
فِيكَ»*(٥).

٩ - * (قَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -:

تَعَهَّدَنِي بِنُصْحِكَ فِي الْفُرَادَى
وَجَنَّبَنِي النَّصِيحَةَ فِي الْجَمَاعَةِ
فَإِنَّ النُّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ

مِنَ التَّوْبِيخِ لَا أَرْضَى اسْتِمَاعَهُ
فَإِنْ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي
فَلَا تَغْضَبْ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَةٌ»*(٦).

١٠ - * (قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى - : «الْحُبُّ أَفْضَلُ مِنَ الْخَوْفِ ، أَلَا تَرَى إِذَا كَانَ
لَكَ عَبْدَانِ ، أَحَدُهُمَا يُحِبُّكَ وَالْآخَرُ يَخَافُكَ ، فَالَّذِي
يُحِبُّكَ يَنْصَحُكَ شَاهِدًا كُنْتَ أَوْ غَائِبًا لِحُبِّهِ إِيَّاكَ ،
وَالَّذِي يَخَافُكَ عَسَى أَنْ يَنْصَحَكَ إِذَا شَهِدْتَ لِمَا يَخَافُكَ
وَيَغُشُّكَ إِذَا غَبْتَ وَلَا يَنْصَحُكَ».

وَقَالَ أَيْضًا : الْمُؤْمِنُ يَسْتُرُ وَيَنْصَحُ وَالْفَاجِرُ
يَهْتِكُ وَيُعَيِّرُ»*(٧).

١١ - * (قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -:
«لَيْسَ عَلَى الْمُسْلِمِ نُصْحُ الدِّمِيِّ ، وَعَلَيْهِ نُصْحُ
الْمُسْلِمِ»*(٨).

١٢ - * (قَالَ الْأَجَرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : «لَا
يَكُونُ نَاصِحًا لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ وَلَا أُمَّةٍ الْمُسْلِمِينَ
وَعَامَتِهِمْ إِلَّا مَنْ بَدَأَ بِالنَّصِيحَةِ لِنَفْسِهِ ، وَاجْتَهَدَ فِي
طَلَبِ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ لِيَعْرِفَ بِهِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ ، وَيَعْلَمَ

جَلْدَةً ، وَأَمَرَ عَلِيًّا أَنْ يَجْلِدَهُ ، وَكَانَ هُوَ يَجْلِدُهُ»*(١).

٥ - * (قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «مَا
زَالَ لِلَّهِ تَعَالَى نَصَحَاءٌ ، يَنْصَحُونَ اللَّهَ فِي عِبَادِهِ ،
وَيَنْصَحُونَ لِعِبَادِ اللَّهِ فِي حَقِّ اللَّهِ ، وَيَعْمَلُونَ لِلَّهِ تَعَالَى فِي
الْأَرْضِ بِالنَّصِيحَةِ ، أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي
الْأَرْضِ»*(٢).

٦ - * (قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -
يُوصِي ابْنَهُ عَبْدَ الْمَلِكِ بَعْدَ مَا تَوَلَّى الْخِلَافَةَ: «أَمَّا بَعْدُ:
فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ تَعَاهَدْتُ بِالْوَصِيَّةِ وَالنَّصِيحَةِ بَعْدَ نَفْسِي
أَنْتَ ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ رَعَى ذَلِكَ وَحَفِظَهُ عَنِّي أَنْتَ ،
وَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - لَهُ الْحَمْدُ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا إِحْسَانًا كَثِيرًا
بَالِغًا فِي لَطِيفِ أَمْرِنَا وَعَامَّتِهِ ، ... إِلَى أَنْ قَالَ لَهُ : وَإِنِّي
لَأَعْظُكَ بِهَذَا ، وَإِنِّي لَكَثِيرُ الْإِسْرَافِ عَلَى نَفْسِي ، غَيْرُ
مُحْكَمٍ لِكَثِيرٍ مِنْ أَمْرِي ، وَلَوْ أَنَّ الْمَرْءَ لَمْ يَعِظْ أَخَاهُ حَتَّى
يُحْكِمَ نَفْسَهُ ، وَيَكْمُلَ فِي الَّذِي خُلِقَ لَهُ لِعِبَادَةِ رَبِّهِ ، إِذَا
تَوَاكَلَ النَّاسُ الْخَيْرَ ، وَإِذَا يُرْفَعُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ
عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَاسْتُحِلَّتِ الْمَحَارِمُ ، وَقَلَّ الْوَاعِظُونَ
وَالسَّاعُونَ لِلَّهِ بِالنَّصِيحَةِ فِي الْأَرْضِ ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»*(٣).

٧ - * (قَالَ مِسْعَرُ بْنُ كِدَامٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :
«رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي فِي سِرِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، فَإِنَّ
النَّصِيحَةَ فِي الْمَلَأِ تَقْرِيعٌ»*(٤).

٨ - * (قَالَ مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ بْنُ هَمَّامٍ

(٦) التعليق على الفرق بين النصيحة والتعير لابن رجب (٣٩).

(٧) جامع العلوم والحكم (٦٨-٧١).

(٨) الآداب الشرعية لابن مفلح (١/٢٩٠). جامع العلوم
والحكم (٧٨).

(١) البخاري - الفتح ٧ (٣٨٧٢).

(٢) بصائر ذوي التمييز (٥/٦٧ ، ٦٨).

(٣) حلية الأولياء (٥/٢٧٥-٢٧٧).

(٤) الآداب الشرعية ، لابن مفلح (١/٢٩٠).

(٥) جامع العلوم والحكم (٧١).

عَدَاوَةِ الشَّيْطَانِ لَهُ وَكَيْفَ الْحَذَرُ مِنْهُ، وَيَعْلَمَ قَبِيحَ مَا تَمِيلُ إِلَيْهِ النَّفْسُ حَتَّى يُخَالِفَهَا بِعِلْمٍ»^(١).*

١٣ - * (قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : مَحْضُ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ وَإِنْ كَانَتْ عِنْدَهُ فَضِيحَةً)^(٢).*

١٤ - * (قَالَ أَبُو زَكْرِيَّا (النَّوَوِي) - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : قَالُوا مَدَارُ الدِّينِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَحَادِيثَ ، وَأَنَا أَقُولُ بَلْ مَدَارُهُ عَلَى حَدِيثٍ «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»^(٣).*

١٥ - * (قَالَ ابْنُ رَجَبٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : «الْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُحِبَّ ظُهُورَ الْحَقِّ وَمَعْرِفَةَ الْمُسْلِمِينَ لَهُ ، سَوَاءً كَانَ ذَلِكَ فِي مُوَافَقَتِهِ أَوْ مُخَالَفَتِهِ . وَهَذَا مِنَ النَّصِيحَةِ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ وَدِينِهِ وَأُئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ ، وَذَلِكَ هُوَ الدِّينُ كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ»^(٤).*

١٦ - * (وَقَالَ أَيْضًا - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : «مَنْ عُرِفَ مِنْهُ أَنَّهُ أَرَادَ بَرْدَهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ النَّصِيحَةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَإِنَّهُ يُجِبُّ أَنْ يُعَامَلَ بِالْإِكْرَامِ وَالْإِحْتِرَامِ وَالتَّعْظِيمِ كَسَائِرِ أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانَ يُرَدُّ عَلَى الْمُخْطِئِ مِنْهُمْ ، وَمَنْ عُرِفَ أَنَّهُ أَرَادَ بَرْدَهُ عَلَيْهِمْ التَّنْقِصَ وَالذَّمَّ وَإِظْهَارَ الْعَيْبِ ، فَإِنَّهُ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُقَابَلَ بِالْعُقُوبَةِ لِيَرْتَدَّ هُوَ وَنَظَرَاؤُهُ عَنْ هَذِهِ الرِّذَائِلِ الْمُحَرَّمَاتِ»^(٥).*

١٧ - * (وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «فَشْتَانٌ بَيْنَ مَنْ قَصَدَهُ النَّصِيحَةُ ، وَبَيْنَ مَنْ قَصَدَهُ الْفَضِيحَةُ ، وَلَا تَلْتَبَسُ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى إِلَّا عَلَى مَنْ لَيْسَ مِنْ ذَوِي الْعُقُولِ الصَّحِيحَةِ»^(٦).*

١٨ - (وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «إِنَّ النَّاصِحَ لَيْسَ لَهُ غَرَضٌ فِي إِشَاعَةِ عُيُوبٍ مَنْ يَنْصَحُ لَهُ ، وَإِنَّمَا غَرَضُهُ إِزَالَةُ الْمَفْسَدَةِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ سِرًّا فِيمَا بَيْنَ الْأَمْرِ وَالْمَأْمُورِ ، وَأَمَّا الْإِشَاعَةُ وَإِظْهَارُ الْعُيُوبِ فَهُوَ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَمِنْ حُبِّ إِشَاعَةِ الْفَاحِشَةِ فِي الْمُؤْمِنِينَ»^(٧).*

١٩ - * (قَالَ عَبَّادُ بْنُ عَبَّادٍ الْخَوَّاصُ الشَّامِيُّ أَبُو عُتْبَةَ : «أَمَّا بَعْدُ : اعْقِلُوا وَالْعَقْلُ نِعْمَةٌ ، فَرُبَّ ذِي عَقْلٍ قَدْ شُغِلَ قَلْبُهُ بِالتَّعَمُّقِ فِيمَا هُوَ عَلَيْهِ ضَرَرٌ عَنِ الْإِنْتِفَاعِ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ حَتَّى صَارَ عَنْ ذَلِكَ سَاهِيًا ... إِلَى أَنْ قَالَ : وَنَاصِحُوا اللَّهَ فِي أَمَّتِكُمْ إِذْ كُنْتُمْ حَمَلَةً الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ . فَإِنَّ الْكِتَابَ لَا يَنْطِقُ حَتَّى يُنْطَقَ بِهِ ، وَإِنَّ السُّنَّةَ لَا تَعْمَلُ حَتَّى يُعْمَلَ بِهَا ، فَتَمَى يَتَعَلَّمُ الْجَاهِلُ إِذَا سَكَتَ الْعَالِمُ ، فَلَمْ يُنْكَرْ مَا ظَهَرَ وَلَمْ يَأْمُرْ بِمَا تُرِكَ ، وَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لِيُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ ... وَلَا تَكْتُمُوا مِنَ السُّنَّةِ بِإِنْتِحَالِهَا بِالْقَوْلِ دُونَ الْعَمَلِ بِهَا ، فَإِنَّ إِنْتِحَالَ السُّنَّةِ دُونَ الْعَمَلِ بِهَا كَذِبٌ بِالْقَوْلِ مَعَ إِضَاعَةِ الْعِلْمِ ، وَلَا تَعْيِيُوا بِالْبِدْعِ تَزِينًا بَعِيْبَهَا فَإِنَّ فَسَادَ أَهْلِ الْبِدْعِ لَيْسَ بِزَائِدٍ فِي صَلَاحِكُمْ ، وَلَا تَعْيِيُوها بَغْيًا عَلَى أَهْلِهَا . فَإِنَّ الْبَغْيَ مِنْ فَسَادِ أَنْفُسِكُمْ ، وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِلْمُطَبِّبِ أَنْ يُدَاوِيَ الْمَرْضَى بِمَا يُبْرِئُهُمْ وَيُمْرِضُهُ ، فَإِنَّهُ إِذَا مَرَضَ اشْتَغَلَ بِمَرَضِهِ عَنْ مُدَاوَاتِهِمْ ، وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَلْتَمِسَ لِنَفْسِهِ الصِّحَّةَ لِيَقْوَى بِهَا عَلَى عِلَاجِ الْمَرْضَى ، فَلْيَكُنْ أَمْرُكُمْ فِيمَا تُنْكِرُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ نَظَرًا مِنْكُمْ لَأَنْفُسِكُمْ ،

(٥) الفرق بين النصيحة والتعير (٣٦) بتصرف يسير.

(٦) الفرق بين النصيحة والتعير (٤١).

(٧) المرجع السابق (٣٩) بتصرف.

(١) بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (٥/٦٧).

(٢) المرجع السابق (٣/٦٠٥).

(٣) بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (٥/٦٤).

(٤) الفرق بين النصيحة والتعير (٣٢-٣٣).

أَصِفْ ضَمِيرًا لِمَنْ تُعَاشِرُهُ
وَاسْكُنْ إِلَى نَاصِحٍ تُشَاوِرُهُ
وَارْضَ عَنِ الْمَرْءِ فِي مَوَدَّتِهِ
مِمَّا يُؤَدِّي إِلَيْكَ ظَاهِرُهُ
مَنْ يَكْشِفِ النَّاسَ لَا يَجِدُ أَحَدًا
تَنْصَحُ مِنْهُمْ لَهُ سَرَائِرُهُ
أَوْشَكَ أَنْ لَا يَدُومَ وَضْلُ أَخٍ
فِي كُلِّ زَلَّاتِهِ تَنَافِرُهُ^(٢).
٢١- * (وَقَالَ آخَرُ:
وَأَجِبْ أَخَاكَ إِذَا اسْتَشَارَكَ نَاصِحًا
وَعَلَى أَخِيكَ نَصِيحَةً لَا تَرُدُّ^(٣)).

وَنَصِيحَةً مِنْكُمْ لِرَبِّكُمْ ، وَشَفَقَةً مِنْكُمْ عَلَى إِخْوَانِكُمْ ،
وَأَنْ تَكُونُوا مَعَ ذَلِكَ بِعُيُوبِ أَنْفُسِكُمْ أَغْنَى مِنْكُمْ
بِعُيُوبِ غَيْرِكُمْ ، وَأَنْ يَسْتَعْظِمَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا
النَّصِيحَةَ ، وَأَنْ يَخْطِئَ عِنْدَكُمْ مَنْ بَذَلَهَا لَكُمْ وَقَبِلَهَا
مِنْكُمْ . وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْهُ - : « رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي » ، تُحِبُّونَ أَنْ
تَقُولُوا فَيَحْتَمَلَ لَكُمْ ، وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ مِثْلُ الَّذِي قُلْتُمْ
غَضِبْتُمْ ، تَجِدُونَ عَلَى النَّاسِ فِيمَا تُنْكِرُونَ مِنْ أُمُورِهِمْ
وَتَأْتُونَ مِثْلَ ذَلِكَ ، أَفَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يُؤْخَذَ
عَلَيْكُمْ... » *^(١).

٢٠- * (قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ:

من الآثار وأقوال العلماء الواردة في «الوصية والتواصي»

يَأْكُلُ إِلَّا طَيِّبًا فَلْيَفْعَلْ ، وَمَنْ اسْتَطَاعَ إِلَّا يُحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْجَنَّةِ بِمِلءِ كَفٍّ مِنْ دَمٍ هَرَّاقَهُ فَلْيَفْعَلْ » *^(٨).
٢٥- * (عَنِ الشَّافِعِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ فِي
قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَالْعَصْرِ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ فِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا
بِالصَّبْرِ) (العصر / ١-٣) . لَوْ تَدَبَّرَ النَّاسُ هَذِهِ السُّورَةَ
لَوَسِعَتْهُمْ » *^(٩).
٢٦- * (سَأَلَ بَعْضُهُمْ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ
أَنْ يُوصِيَهُ بِمَا فِيهِ صَلَاحُ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ ، فَأَجَابَ - رَحِمَهُ
اللَّهُ - : أَمَّا الْوَصِيَّةُ فَمَا أَعْلَمُ وَصِيَّةً أَنْفَعَ مِنْ وَصِيَّةِ اللَّهِ

٢٢- * (قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
عِنْدَمَا قِيلَ لَهُ : أَوْصِنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : أَوْصِيكُمْ
بِدِمَّةِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ دِمَّةُ نَبِيِّكُمْ ، وَرِزْقُ عِيَالِكُمْ) *^(٤).
٢٣- * (عَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لَمَّا حَضَرَ
أَحَدٌ^(٥) . وَعَانَى أَبِي مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ : مَا أَرَانِي إِلَّا مَقْتُولًا
فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَإِنِّي لَا أَتْرُكُ
بَعْدِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ ، غَيْرَ نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَإِنْ
عَلَيَّ دَيْنًا فَاقْضِهِ^(٦) ، وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْرًا) *^(٧).
٢٤- * (قَالَ جُنْدُبٌ لِأَصْحَابِهِ وَهُوَ يُوصِيهِمْ :
إِنَّ أَوَّلَ مَا يَنْتُنُ مِنَ الْإِنْسَانِ بَطْنُهُ ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ إِلَّا

(٧) البخاري - الفتح ٣ (١٣٥١).

(٨) البخاري - الفتح ٣ (٧١٥٢)، قال ابن حجر: وقع هذا الحديث من هذا الوجه موقوفًا، وهكذا أخرجه الطبراني عن الحسن عن جندب موقوفًا، قال: وسياقه يحتمل الرفع والوقف.

(٩) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٨٥).

(١) الدارمي (١/ ١٦٦-١٦٧).

(٢) أدب الدنيا والدين (٢٩١).

(٣) المرجع السابق (٢٩٤).

(٤) البخاري - الفتح ٦ (٣١٦٢).

(٥) المراد: لما كان يوم غزوة أحد.

(٦) أي اقض عني هذا الدين.

وَرَسُولِهِ لِمَنْ عَقَلَهَا وَاتَّبَعَهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ (النساء/ ١٣١)، وَوَصَّى النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذًا لَمَّا بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»^(١). فَهَذِهِ وَصِيَّةٌ جَامِعَةٌ لِمَنْ عَقَلَهَا، مَعَ أَنَّهَا تَفْسِيرٌ لِلْوَصِيَّةِ الْقُرْآنِيَّةِ، أَمَّا بَيَانُ جَمْعِهَا فَلَأَنَّ الْعَبْدَ عَلَيْهِ حَقَّانِ: حَقُّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَحَقُّ لِعِبَادِهِ، ثُمَّ الْحَقُّ الَّذِي عَلَيْهِ لَا بُدَّ أَنْ يُخَلَّ بِبَعْضِهِ أحيانًا، إِمَّا بِتَرْكِ الْمَأْمُورِ بِهِ أَوْ فِعْلِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ، وَفِي قَوْلِهِ ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ» تَحْقِيقٌ لِحَاجَتِهِ إِلَى التَّقْوَى فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ (وَفِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ)، ثُمَّ

قَالَ: «وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا» لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ الذَّنْبُ لِلْعَبْدِ كَأَنَّهُ أَمْرٌ حَتْمٌ كَانَ الْكَيْسُ هُوَ الَّذِي لَا يَزَالُ يَأْتِي مِنَ الْحَسَنَاتِ مَا يَمْحُو بِهِ السَّيِّئَاتِ، وَفِي هَذَا إِرْشَادٌ لِلْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ بِمَا يُخَلِّصُ النُّفُوسَ مِنْ وَرَطَاتِ الذُّنُوبِ وَهُوَ إِتِّبَاعُ السَّيِّئَاتِ الْحَسَنَاتِ، وَلَمَّا قَضَى الرَّسُولُ ﷺ بِهَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ حَقَّ اللَّهِ مِنْ عَمَلِ الصَّالِحِ وَإِصْلَاحِ الْفَاسِدِ، قَالَ: «وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» وَهُوَ حَقُّ النَّاسِ، وَأَمَّا بَيَانُ أَنَّ هَذَا كُلَّهُ فِي وَصِيَّةِ اللَّهِ فَهُوَ أَنَّ اسْمَ «تَقْوَى اللَّهِ يَجْمَعُ فِعْلَ كُلِّ مَا أَمَرَ بِهِ اللَّهُ بِهِ إِجَابًا وَاسْتِحْبَابًا، وَمَا نَهَى عَنْهُ تَحْرِيمًا وَتَنْزِيهًا، وَهَذَا يَجْمَعُ حُقُوقَ اللَّهِ وَحُقُوقَ الْعِبَادِ»*(٢).

من فوائد «النصيحة والتواصي»

المُحَرَّمَةُ،

(٨) مَنْ قَامَ بِهَا عَلَى وَجْهِهَا يَسْتَحِقُّ الْإِكْرَامَ لَا اللَّوْمَ وَالتَّقْرِيعَ.

(٩) فِي التَّوَاصِي بِالْحَقِّ وَبِالصَّبْرِ وَنَحْوِهِمَا مَا يَكْفُلُ حَيَاةً مُسْتَقَرَّةً لِلْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ.

(١٠) فِي الْأَخْذِ بِوَصِيَّةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَوَصِيَّةِ رَسُولِهِ ﷺ صَلَاحٌ صَالِحٌ حَالِ الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ مَعًا.

(١١) لِلْوَصِيَّةِ الصَّادِقَةِ تَأْثِيرٌ بَالِغٌ فِي النَّفْسِ وَهِيَ دَافِعٌ قَوِيٌّ لِتَنْفِيذِ الْمُوصَى بِهِ.

(١٢) الْوَصِيَّةُ وَسِيلَةٌ مِنْ وَسَائِلِ التَّقْوَى وَالتَّذَكُّرِ وَالتَّعَقُّلِ^(٣)

(١) النَّصِيحَةُ لُبُّ الدِّينِ وَجَوْهَرُ الْإِيمَانِ.

(٢) دَلِيلٌ حُبِّ الْخَيْرِ لِلْآخَرِينَ، وَبُغْضِ الشَّرِّ لَهُمْ.

(٣) تَكْثِيرُ الْأَصْحَابِ؛ إِذْ إِنَّهُ يُؤْمَنُ مِنْهُ الْجَانِبُ، وَتَقْلِيلُ الْحُسَادِ؛ إِذْ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ لِغَيْرِهِ الشَّرَّ وَالْفَسَادَ.

(٤) صَلَاحُ الْمُجْتَمَعِ؛ إِذْ تُشَاعُ فِيهِ الْفَضِيلَةُ، وَتُسْتَرَفَّ فِيهِ الرَّذِيلَةُ.

(٥) إِحْلَالُ الرَّحْمَةِ وَالْوَدَادِ مَكَانَ الْقَسْوَةِ وَالشَّقَاقِ.

(٦) الْأَشْتِغَالُ بِالنَّفْسِ لَا اسْتِكْمَالَ الْفَضَائِلِ مِنْ تَمَامِ النَّصْحِ.

(٧) بَيَانُ خَطَأِ الْمُخْطِئِ فِي الْمَسْأَلَةِ وَالْمَسَائِلِ - وَإِنْ كَرِهَهُ - مِنَ النَّصِيحَةِ الْوَاجِبَةِ لَا مِنْ الْغِيْبَةِ

(٢) باختصار وتصرف يسير عن الفتاوى ١٠/ ٦٥٣ - ٦٥٤.

(٣) انظر الشاهد القرآني رقم (١٤).

(١) انظر هذا الحديث في صفة حسن الخلق، ج ٥ ص

١٥٧٥ (حديث رقم ١).

النظام

الآيات	الأحاديث	الآثار
٧	١٢	-

النظام لغة :

مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ: نَظَّمْتُ الشَّيْءَ، وَهُوَ مَا أُخُوذُ مِنْ مَادَّةٍ (ن ظ م) الَّتِي تَدُلُّ - كَمَا يَقُولُ ابْنُ فَارِسٍ - عَلَى تَأْلِيفِ الشَّيْءِ وَتَأْلِيفِهِ^(١)، وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: يُقَالُ: نَظَّمْتُ اللَّوْلُوَ أَيَّ جَمْعَتُهُ فِي السِّلْكِ، وَالتَّنْظِيمُ مِثْلُهُ، وَمِنْهُ نَظَّمْتُ الشَّعْرَ (نَظْمًا)، وَنَظَّمْتُهُ (تَنْظِيمًا)، وَالنِّظَامُ الْخِيْطُ الَّذِي يُنْظَمُ بِهِ اللَّوْلُو، وَنَظْمٌ مِنْ لَوْلُو، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ (سُمِّيَ بِهِ)، وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: وَفِي حَدِيثِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ «وَأَيَّاتٌ تَتَابَعُ كَنْظَامٌ بِأَلٍ قُطِعَ سِلْكُهُ» النَّظَامُ الْعِقْدُ مِنَ الْجَوْهَرِ وَالْحَرْزِ وَنَحْوِهِمَا، وَسِلْكُهُ خِيْطُهُ.

وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: النَّظْمُ التَّأْلِيفُ، يُقَالُ نَظَّمَهُ نَظْمًا وَنَظَامًا، وَنَظَّمَهُ فَانْتَظَمَ وَتَنَظَّمَ، وَيُقَالُ: نَظَّمْتُ اللَّوْلُوَ أَيَّ جَمْعَتُهُ فِي السِّلْكِ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَرْنَتُهُ بِآخِرِ أَوْ ضَمَمْتُ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ فَقَدْ نَظَّمْتُهُ، وَالنَّظْمُ (يُسْتَعْمَلُ أَيْضًا) بِمَعْنَى الْمَنْظُومِ، وَذَلِكَ وَصِفٌ بِالْمَصْدَرِ، وَالنِّظَامُ مَا نَظَّمْتَ فِيهِ الشَّيْءَ مِنْ خِيْطٍ

وغيره، وَنِظَامٌ كُلُّ أَمْرٍ مَلَكَهُ، وَالْجَمْعُ أَنْظَمَةٌ وَأَنَاظِيمٌ وَنُظْمٌ، وَالنَّظْمُ (أَيْضًا) نَظْمُكَ الْحَرْزَ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ فِي نِظَامٍ وَاحِدٍ، وَيُقَالُ: لَيْسَ لِأَمْرِهِ نِظَامٌ أَيَّ لَا تَسْتَقِيمُ طَرِيقَتُهُ، وَالانْتِظَامُ: الاتِّسَاقُ، وَالنِّظَامُ: الْهَدْيُ وَالسَّيْرَةُ، وَلَيْسَ لِأَمْرِهِمْ نِظَامٌ، أَيَّ لَيْسَ لَهُ هَدْيٌ وَلَا مُتَعَلِّقٌ وَلَا اسْتِقَامَةٌ، وَمَا زَالَ عَلَى نِظَامٍ وَاحِدٍ أَيَّ عَادَةً، وَيُقَالُ: تَنَاظَمَتِ الصُّخُورُ: تَلَاصَقَتْ، جَاءَ فِي الْمَعْجَمِ الْوَسِيطِ: النَّظَامُ التَّرْتِيبُ وَالِاتِّسَاقُ، وَنِظَامُ الْأَمْرِ: قِوَامُهُ وَعِمَادُهُ، وَالنِّظَامُ: الطَّرِيقَةُ: يُقَالُ مَا زَالَ عَلَى نِظَامٍ وَاحِدٍ (أَيَّ طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ)^(٢).

قُلْتُ: وَفِي حَدِيثِ أُمِّ مَعْبَدٍ جَاءَ فِي صِفَتِهِ ﷺ كَأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتُ نَظْمٍ يَتَحَدَّرْنَ، يَعْنِي أَنَّ كَلَامَهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - كَانَ يَنْسَابُ مُرْتَبًا مُنْسَقًا كَأَنَّهُ خَرَزَاتُ عِقْدٍ تَنْسَابُ فِي سَلَاسَةٍ وَتَرْتِيبٍ، فَلَا يَتَأَخَّرُ مَا حَقُّهُ التَّقْدِيمُ، وَلَا يَتَقَدَّمُ اللَّاحِقُ عَلَى السَّابِقِ، وَإِنَّمَا وُضِعَ كُلُّ فِي مَكَانِهِ اللَّائِقِ بِهِ^(٣).

(٢) مقاييس اللغة (٥/٤٤٣)، والصحاح (٥/٢٠٤١)،
والنهاية (٥/٧٩)، ولسان العرب (نظم) (١٤٦٩)
(ط. دار المعارف)، والمعجم الوسيط (٢/٩٤١).
(٣) منال الطالب في شرح طوال الغرائب لابن الأثير (١٧٢).

(١) في الأصل «على تأليف الشيء وتأليفه» بتكرير لفظ تأليفه،
وهذا التكرير لا معنى له وقد ذكر المحقق في هامش (٣)
أنه ربما كان المقصود «وتكثيفه» وهذا بعيد جدا من حيث
اللفظ والمعنى، ولعل الصواب ما أثبتناه.

النظام اصطلاحًا:

لَمْ تَذْكُرْ كُتُبُ الاصْطِلَاحَاتِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي وَقَفْنَا عَلَيْهَا لَفْظَ «نِظَامٍ» بِاعْتِبَارِهِ مُصْطَلَحًا خَاصًّا بِفَنِّ مُعَيَّنٍ وَمِنْ ثَمَّ يَكُونُ اللَّفْظُ فِي مَعْنَاهُ الْأَخْلَاقِيِّ بَاقِيًّا عَلَى أَصْلِ مَعْنَاهُ فِي الاسْتِعْمَالِ اللَّغَوِيِّ، وَإِذَا اسْتَرَشَدْنَا بِمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أُمِّ مَعْبُدٍ مِنْ وَصْفِ كَلَامِهِ ﷺ بِأَنَّهُ «خَرَزَاتُ نَظْمٍ يَتَحَدَّرْنَ» وَبِمَا جَاءَتْ بِهِ مَعَاجِمُ اللُّغَةِ، مِنْ أَنَّ النِّظَامَ يَعْنِي الاتِّسَاقَ وَالاسْتِقَامَةَ، فَإِنَّا نَسْتَطِيعُ الْقَوْلَ بِأَنَّ «النِّظَامَ» فِي الاصْطِلَاحِ (الْأَخْلَاقِيِّ) هُوَ:

أَنْ يُرَتَّبَ الْفَرْدُ أَوِ الْجَمَاعَةُ الْأُمُورَ تَرْتِيبًا يَجْعَلُهَا مُتَنَاسِقَةً مُؤْتَلِفَةً لَا تَنَاقُضُ فِيهَا وَلَا تَنَافَرُ (بِحَيْثُ يَتَقَدَّمُ مَا حَقُّهُ التَّقْدِيمُ وَيَتَأَخَّرُ مَا يَنْبَغِي فِيهِ التَّأَخِيرُ) وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِاتِّبَاعِ مَنْهَجِ الشَّرْعِ الْحَنِيفِ، وَمَا أَقَرَّتْهُ الْجَمَاعَةُ بِمَا لَا يَتَعَارَضُ مَعَ هَذَا الْمَنْهَجِ.

أَمَّا فِي الْمَعَاجِمِ الْمُتَخَصِّصَةِ الْحَدِيثَةِ؛ فَقَدْ وَرَدَتْ لِلنِّظَامِ التَّعَارِيفُ الْاِصْطِلَاحِيَّةُ الْآتِيَةُ:

النِّظَامُ: قَوَاعِدُ ضَبْطِ السُّلُوكِ أَوْ الْعَمَلِ وَرَقَابَتَهُمَا^(١) وَقِيلَ: هُوَ قَوَاعِدُ ضَبْطِ السُّلُوكِ أَوْ الْعَمَلِ بِهِ^(٢).

وَيُقَالُ: النِّظَامُ: وَضْعُ الْأَشْيَاءِ أَوْ الْأَفْكَارِ عَلَى صُورَةٍ مُرْتَبَةٍ.

أَمَّا النِّظَامُ الْاجْتِمَاعِيُّ فَهُوَ جُمْلَةُ الْقَوَانِينِ الَّتِي يَخْضَعُ لَهَا الْمُجْتَمَعُ^(٣).

وَفِي الْمَجَالِ الْإِدَارِيِّ يُعَرَّفُ النِّظَامُ بِأَنَّهُ:

الْمُبْدَأُ الَّذِي يَقْضِي بِضُرُورَةٍ تَرْتِيبَ الْعَنَاصِرِ الْمَادِّيَّةِ وَالْبَشَرِيَّةِ فِي الْمَشْرُوعِ بِطَرِيقَةٍ مَنْطِقِيَّةٍ وَمُنَسَّقَةٍ^(٤).

[للاستزادة: انظر صفات: الطاعة - المراقبة - المسئولية - الرجولة - الثاني.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإهمال -

التفريط والإفراط - التهاون - البذاءة - الطيش - العجلة].

(١) في الأصل: قواعد ضبط ورقابة السلوك أو العمل، وقد

أصلحنا العبارة بما يتفق مع الاستعمال الفصيح في اللغة.

(٢) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية (١١١) وانظر أيضًا

معجم مصطلحات العلوم الإنسانية (١٠٩).

(٣) المعجم الفلسفي (٢٠١).

(٤) معجم مصطلحات العلوم الإدارية (٣١٩).

الآيات الواردة في « النظام » معني

- ١- وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾
- فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴿١٢٢﴾^(٢)
- ٢- إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٣﴾
- وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾
- إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ ﴿١٢٥﴾
- بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٦﴾^(١)
- ٣- وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتَقِمَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٢٧﴾
- فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ
- قَالَ الْقَوَّامُ فَلَمَّا الْقَوَّاسُ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْأَرَهُمُ هُمْ وَجَاءَ وَبِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١٢٨﴾
- وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١٢٩﴾
- فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٠﴾

فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلِبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾

وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ دِينَ ﴿١٢٠﴾ ^(١)

٤ - وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَذِنُوا
كَمَا اسْتَذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾
وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا
فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ
ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ
وَأَنْ يَسْتَغْفِرْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ
وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ
أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَالِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ
مَفَاتِحُهُ أَوْ صَدِيقَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ
جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا إِذَا
دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكَةٌ طَيِّبَةٌ
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا

حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ

لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ

وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٢﴾ ^(٢)

٥ - وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ

وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾

حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّمْلُ

أَدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ

سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾

فَتَبَسَّ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي

أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي

وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ

فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾

وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْدَ

أَمْ كَانَ مِنَ الْفُكَايِينِ ﴿٢٠﴾

لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ

أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾ ^(٣)

٦ - قَالَتْ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢١﴾

إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢٢﴾

قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا
وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ^(١)

۷- إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ
صَفًا كَانَهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصًا ^(٢)

أَلَّا تَعْلُوا عَلَى وَاتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾
قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي
مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾
قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ
فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾

الأحاديث الواردة في « النظام » معنى

١ - * (عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْحُسَيْنِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

أَنَّهُ قَالَ : قَالَ عَمْرُو: كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْزِلًا، تَفَرَّقُوا فِي الشَّعَابِ وَالْأُودِيَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشَّعَابِ وَالْأُودِيَةِ، إِنَّمَا ذَلِكَ مِنْ الشَّيْطَانِ» فَلَمْ يَنْزِلْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْزِلًا إِلَّا انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى يُقَالَ: لَوْ بَسِطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبٌ لَعَمَّهُمْ) * (١).

٢ - * (عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْخَازِنَ الْمُسْلِمَ الْأَمِينَ الَّذِي (يُنْفِذُ وَرَبًّا قَالَ يُعْطَى) مَا أَمَرَ بِهِ، فَيُعْطِيهِ كَامِلًا مُوَفَّرًا، طَيِّبَةً بِهِ نَفْسُهُ، فَيَدْفَعُهُ إِلَى الَّذِي أَمَرَ لَهُ بِهِ، أَحَدُ الْمُتَصَدِّقِينَ» * (٢).

٣ - * (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ :

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلُ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ. فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فترد على فقرائهم، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ».

وَفِي لَفْظٍ آخَرَ : «وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ

بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ») * (٣).

٤ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَلَا تَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ، فَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ. وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَإِذَا صَلَّى جَالِسًا فَصَلُّوا جُلُوسًا أَجْمَعُونَ، وَأَقِيمُوا الصَّفَّ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّ إِقَامَةَ الصَّفِّ مِنْ حُسْنِ الصَّلَاةِ») * (٤).

٥ - * (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُمَا - قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ، فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ») * (٥).

٦ - * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَوُّوا صُفُوفَكُمْ، فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ») * (٦).

٧ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -

أَنَّهُ قَالَ: غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ نَجْدٍ، فَوَارَيْنَا الْعَدُوَّ فَصَافَفْنَا لَهُمْ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي لَنَا، فَقَامَتِ طَائِفَةٌ مَعَهُ تُصَلِّي، وَأَقْبَلَتِ طَائِفَةٌ عَلَى الْعَدُوِّ، وَرَكَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ

(٤) البخاري - الفتح ٢ (٧٢٢) واللفظ له ٠ ومسلم (٤١٤).

(٥) أبو داود (٢٦٠٨) وذكره ابن الأثير في جامع الأصول

(١٨/٥) وقال محققه: إسناده حسن.

(٦) البخاري - الفتح ٢ (٧٢٣). ومسلم (٤٣٣) واللفظ له.

(١) أبو داود (٢٦٢٨) واللفظ له. وذكره ابن الأثير في جامع

الأصول (٢١/٥) وقال محققه هو حديث حسن.

(٢) البخاري - الفتح ٣ (١٤٣٨). ومسلم (١٠٢٣) واللفظ له.

(٣) البخاري - الفتح ٥ (٢٤٤٨). ومسلم (١٩) واللفظ له.

يَقُولُ: «لَتَسُوْنَ صُفُوفَكُمْ أَوْ لِيَخَالَفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ
وُجُوْهِكُمْ» * (٥).

١١ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ
قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَصُمِ الْمَرْأَةُ وَبَعْلُهَا شَاهِدٌ
إِلَّا بِإِذْنِهِ » (٦) ، وَلَا تَأْذُنُ فِي بَيْتِهِ وَهُوَ شَاهِدٌ إِلَّا
بِإِذْنِهِ » * (٧).

١٢ - * (عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَبُهُمْ
لِكِتَابِ اللَّهِ ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ
بِالسُّنَّةِ ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً ، فَإِنْ
كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا . وَلَا يُؤَمِّنُ الرَّجُلُ
الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ ، وَلَا يَقْعُدُ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا
بِإِذْنِهِ » * (٨).

انصَرَفُوا مَكَانَ الطَّائِفَةِ الَّتِي لَمْ تُصَلِّ فَجَاءُوا ، فَكَرَعَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهِمْ رُكْعَةً وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ، ثُمَّ سَلَّمَ ،
فَقَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَكَرَعَ لِنَفْسِهِ رُكْعَةً وَسَجَدَ
سَجْدَتَيْنِ * (١).

٨ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -
أَنَّهُ قَالَ : « كُنَّا نُبَايِعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ
وَالطَّاعَةِ ، يَقُولُ لَنَا : فِيمَا اسْتَطَعْتَ » * (٢).

٩ - * (عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ
قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ
وَيَقُولُ : « اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ . لِيَلِينِي
مِنْكُمْ أَوْلُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى » (٣) ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ، ثُمَّ
الَّذِينَ يُلُونَهُمْ * (٤).

١٠ - * (عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

من فوائد النظام

- (٦) النَّظَامُ يُؤَدِّي إِلَى أُلْفَةِ الْجَمَاعَةِ وَعَدَمِ اخْتِلَافِهَا .
(٧) النَّظَامُ يُوطِّدُ أَرْكَانَ الْأُسْرَةِ وَيُدْعِمُ الْعَلَاقَاتِ
الاجْتِمَاعِيَّةَ .
(٨) النَّظَامُ يُبْعِدُ الشَّخْنَاءَ وَيُؤَدِّي إِلَى تَوَلِيَةِ الْأَحَقِّ فِي
الْإِمَامَةِ وَغَيْرِهَا .

- (١) دَلِيلُ الْإِلْتِزَامِ بِأَحْكَامِ الشَّرْعِ .
(٢) إِمْكَانُ الْقِيَامِ بِالْأَعْمَالِ الْكَثِيرَةِ فِي الْأَوْقَاتِ الْقَلِيلَةِ .
(٣) الْقِيَامُ بِالْأَعْبَاءِ عَلَى قَدْرِ التَّحْمُلِ وَالْإِمْكَانَاتِ .
(٤) الْإِلْتِزَامُ النَّظَامِ يُبْعِدُ الشَّيْطَانَ وَيَجْلِبُ الْبَرَكَةَ .
(٥) النَّظَامُ يَحْفَظُ أَمْرَ الْجَمَاعَةِ وَيَقِيهِمَا مِنَ الْاِخْتِلَافِ
وَالْتَفَرُّقِ .

(٦) شاهد : أي حاضر . وهذا في صوم التطوع أما صوم
الفريضة فلا تحتاج إلى إذنه .
(٧) البخاري - الفتح ٩ (٥١٩٥) . ومسلم (١٠٢٦) واللفظ له .
(٨) مسلم (٦٧٣) .

(١) البخاري - الفتح ٢ (٩٤٢) واللفظ له . ومسلم (٨٣٩) .
(٢) مسلم (١٨٦٧) .
(٣) الأحلام والنهي : أي ذوو الألباب والعقول .
(٤) مسلم (٤٣٢) .
(٥) البخاري - الفتح ٢ (٧١٧) . ومسلم (٤٣٦) واللفظ له .

النظر والتبصر

الآيات	الأحاديث	الآثار
١٤٥	١٣	١٦

النَّظَرُ وَالتَّبَصُّرُ لُغَةً: النَّظَرُ لُغَةً:

اسمٌ لحِسِّ العينِ، وَمَصْدَرٌ لِقَوْلِهِمْ: نَظَرُهُ، وَنَظَرَ
إِلَيْهِ نَظَرًا وَمَنْظَرًا وَنَظَرَانًا وَمَنْظَرَةً وَتَنْظَارًا بِمَعْنَى: تَأَمَّلَهُ
بِعَيْنِهِ، وَيُقَالُ: نَظَرَ لَهُمْ بِمَعْنَى رَأَى لَهُمْ وَأَعَانَهُمْ، وَنَظَرَ
بَيْنَهُمْ: حَكَمَ^(١)، وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: النَّظَرُ: الْفِكْرُ فِي
الشَّيْءِ تُقَدَّرُهُ وَتَقْيِسُهُ مِنْكَ، وَالنَّظَرَةُ: اللَّمَحَةُ بِالْعَجَلَةِ،
وَقَوْلُ بَعْضِهِمْ: مَنْ لَمْ يَعْمَلْ نَظَرُهُ لَمْ يَعْمَلْ لِسَانُهُ، مَعْنَاهُ:
مَنْ لَمْ يَرْتَدِّعْ بِالنَّظَرِ إِلَى نَفْسِهِ مِنْ ذَنْبٍ أَذْنَبَهُ لَمْ يَرْتَدِّعْ
بِالْقَوْلِ، أَمَّا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا
نَاطِرَةٌ﴾ (القيامة/ ٢٢) فَالْمُرَادُ أَنَّهَا نَصَرَتْ بِنَعِيمِ الْجَنَّةِ
وَالنَّظَرَ إِلَىٰ رَبِّهَا^(٢)، وَالنَّظَرُ يَقَعُ عَلَى الْأَجْسَامِ وَالْمَعَانِي،
فَمَا كَانَ بِالْأَبْصَارِ فَهُوَ لِلْأَجْسَامِ وَمَا كَانَ بِالْبَصَائِرِ كَانَ
لِلْمَعَانِي^(٣)، أَمَّا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ
وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف/ ١٩٨) فَالْمُرَادُ بِالنَّظَرِ
-كَمَا يَقُولُ الْقُرْطُبِيُّ: فَتَحُ الْعَيْنَيْنِ إِلَى الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ، أَيْ
وَتَرَاهُمْ (أَي الْأَصْنَامَ) كَالنَّاطِرِ إِلَيْكَ وَقِيلَ كَانَتْ لَهُمْ

أَعْيُنٌ مِنْ جَوَاهِرَ مَصْنُوعَةٍ فَلِذَلِكَ قَالَ: وَتَرَاهُمْ
يَنْظُرُونَ، وَقِيلَ الْمُرَادُ بِذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ، أَخْبَرَ عَنْهُمْ
بِأَنَّهُمْ لَا يُبْصِرُونَ حِينَ لَمْ يَتَفَعَّلُوا بِأَبْصَارِهِمْ^(٤)،
وَقَالَ صَاحِبُ الْبَصَائِرِ: وَاسْتِعْمَالَ النَّظَرِ فِي الْبَصَرِ أَكْثَرُ
اسْتِعْمَالًا عِنْدَ الْعَامَّةِ، وَفِي الْبَصِيرَةِ عِنْدَ الْخَاصَّةِ،
وَيُقَالُ: نَظَرْتُ إِلَى كَذَا إِذَا مَدَدْتَ طَرَفَكَ إِلَيْهِ رَأَيْتَهُ أَمْ
لَمْ تَرَهُ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ: إِذَا رَأَيْتَهُ وَتَدَبَّرْتَهُ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ
تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾
(الغاشية/ ١٧)، أَمَّا قَوْلُهُمْ: نَظَرْتُ فِي كَذَا. فَالْمَعْنَى
تَأَمَّلْتُهُ وَذَلِكَ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي
مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ (الأعراف/ ١٨٥)
إِذَا يُرَادُ مِنْهُ الْحَثُّ عَلَى تَأَمُّلِ حِكْمَتِهِ فِي خَلْقِهَا، وَالنَّظَرُ
أَيْضًا: الْإِنْتِظَارُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿انْظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ
نُورِكُمْ﴾ (الحديد/ ١٣)، وَيُسْتَعْمَلُ النَّظَرُ أَيْضًا فِي
التَّخْيِيرِ فِي الْأَمْرِ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَخَذْتُكُمُ الصَّاعِقَةَ
وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (البقرة/ ٥٥)، وَالنَّظَرُ: الْبَحْثُ، وَهُوَ
أَعَمُّ مِنَ الْقِيَاسِ، لِأَنَّ كُلَّ قِيَاسٍ نَظَرٌ، وَلَا عَكْسَ،

بالعين. انظر اللسان ٢١٦/٥، ٢١٧.

(٣) لسان العرب ٢١٨/٥.

(٤) تفسير القرطبي ٣٤٤/٧، وقد ذهب أبوعبيد إلى المعنى
الأول ولكنه ذكر أن المراد المقابلة لأن النظر لا يكون إلا بها،
انظر اللسان ٢١٨/٥.

(١) القاموس المحيط ٦٦٣ (ط. بيروت)، وقد حكى

الفيروزبادي فتح العين وكسرها في الماضي، فقال: نظره
كنصره وسمعه، لكن الفتح هو الأكثر استعمالاً.

(٢) نقل ابن منظور في هذا الموضع عن الأزهري قوله: ولا وجه
لمن قال في معنى الآية الكريمة أن النظر هنا معناه الانتظار
لأن الفعل «نظر» إذا تعدى بلى فإنه لا يكون (النظر) إلا

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: فِي ذَلِكَ قَوْلَانِ (آخِرَانِ) أَحَدُهُمَا: كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ فِي الضَّلَالَةِ^(٥)، وَالْآخَرُ: كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ قَدْ عَرَفُوا الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ بِظُهُورِ الْبَرَاهِينِ، وَهَذَا الْقَوْلُ أَشْبَهُ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُقَالُ: فَلَانٌ مُسْتَبْصِرٌ إِذَا عَرَفَ الشَّيْءَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، قَالَ الْفَرَاءُ: كَانُوا عُقْلَاءَ ذَوِي بَصَائِرٍ فَلَمْ تَنْفَعَهُمْ بَصَائِرُهُمْ^(٦).

وَقَالَ الْفَيْرُوزَابَارِيُّ: الْبَصِيرَةُ هِيَ قُوَّةُ الْقَلْبِ الْمُدْرِكَةُ، وَيُقَالُ لَهَا بَصَرٌ أَيْضًا، وَلَا يَكَادُ يُقَالُ لِلْجَارِحَةِ النَّاطِرَةِ بِصِيرَةٍ، إِنَّمَا هِيَ بَصَرٌ، وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ادْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ (يوسف / ١٠٨) فَالْمَعْنَى: عَلَى مَعْرِفَةٍ وَتَحْقُقٍ، أَمَّا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ فَالْمَعْنَى عَلَيْهِ مِنْ جَوَارِحِهِ بَصِيرَةٌ تُبَصِّرُهُ وَتَشْهَدُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقِيلَ جَعَلَهُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةً كَمَا يُقَالُ: فَلَانٌ جَوْدٌ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ بِبِدْيَةِ عَقْلِهِ يَعْلَمُ أَنَّ مَا يُقَرِّبُهُ إِلَى اللَّهِ هُوَ السَّعَادَةُ، وَمَا يُبْعِدُهُ عَنْ طَاعَتِهِ هُوَ الشَّقَاوَةُ، وَقِيلَ الْهَاءُ (أَيِ التَّاءِ) فِي بَصِيرَةٍ لِلْمُبَالَغَةِ، (وَالْمَعْنَى أَنَّ الْإِنْسَانَ بَصِيرٌ عَلَى نَفْسِهِ بِدَرَجَةٍ تُشْرِفُ عَلَى الْغَايَةِ)^(٧)، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: جَاءَ تَأْنِيثُ الْبَصِيرَةِ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْإِنْسَانِ هُنَا الْجَوَارِحُ لِأَنَّهَا شَاهِدَةٌ عَلَى نَفْسِ الْإِنْسَانِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: بَلِ الْجَوَارِحُ عَلَى نَفْسِ

وَالنَّظِيرُ الْمَثَلُ، وَالْجَمْعُ نُظَرَاءُ، وَأَصْلُهُ الْمُنَاطِرُ، كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَنْظُرُ إِلَى صَاحِبِهِ فَيُبَارِيهِ، وَالْمُنَاطِرَةُ الْمُبَاحَثَةُ وَالْمُبَارَاةُ فِي النَّظَرِ، وَاسْتِحْضَارُ كُلِّ مَا يَرَاهُ (الْمُنَاطِرُ) بِبَصِيرَتِهِ^(١).

التَّبَصُّرُ لُغَةً:

التَّبَصُّرُ فِي اللُّغَةِ مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ: تَبَصَّرَ الشَّيْءُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ هَلْ يَعْرِفُهُ؟ وَهُوَ مَا اخُذُ مِنْ مَادَّةٍ (ب ص ر) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْعِلْمِ بِالشَّيْءِ^(٢)، وَمَعْنَاهُ: التَّأَمُّلُ وَالتَّعَرُّفُ، أَمَّا التَّبَصُّرُ فَهُوَ التَّعَرِّيفُ وَالْإِيضَاحُ، يُقَالُ: بَصَّرَهُ بِالْأَمْرِ تَبَصِيرًا وَتَبَصْرَةً فَهَمَّهُ إِيَّاهُ، أَمَّا الْبَصَرُ فَهُوَ اسْمٌ لِحَاسَةِ الْإِبْصَارِ، أَيْ الرُّوْيَةِ^(٣) وَالْبَصِيرَةُ: عَقِيدَةُ الْقَلْبِ، وَقِيلَ هِيَ اسْمٌ لِمَا اعْتَقَدَ فِي الْقَلْبِ مِنَ الدِّينِ وَتَحْقِيقِ الْأَمْرِ، وَقِيلَ: هِيَ الْفِطْنَةُ، وَقِيلَ: هِيَ الثَّبَاتُ فِي الدِّينِ، وَقَوْلُهُمْ: فَعَلَ ذَلِكَ عَلَى بَصِيرَةٍ أَيْ عَلَى عَمْدٍ، وَعَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ أَيْ عَلَى غَيْرِ يَقِينٍ وَيُقَالُ: تَبَصَّرَ فِي رَأْيِهِ وَاسْتَبَصَرَ: تَبَيَّنَ مَا يَأْتِيهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، أَمَّا قَوْلُهُمْ: اسْتَبَصَرَ فِي أَمْرِهِ وَدِينِهِ، فَمَعْنَاهُ: كَانَ ذَا بَصِيرَةٍ، أَمَّا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ (فِي عَادٍ وَثَمُودٍ) ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ (العنكبوت / ٣٨) فَمَعْنَاهُ: أَتَتْهُمْ أَتَوْا مَا أَتَوْهُ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ عَاقِبَتَهُ عَذَابُهُمْ^(٤).

الإنسان بصيرة^(١)، أمّا جعل آية النهار مُبصرةً في قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ ((الإسراء/ ١٢)) فالمعنى: صار أهله بَصَرَاءَ^(٢)، وقيل: مُنيرةً أو مُضيئةً، يُبصر فيها^(٣)، والمستبصر في حديث أم سلمة «اليس الطريق يجمع التاجر وابن السبيل والمستبصر والمجبور» يقصد به: المستبين للشيء، أي أنهم كانوا على بصيرة من ضلالتهم، أرادت أن تلك الرقعة قد جمعت الأخيار والأشرار^(٤).

مادة البصر في القرآن الكريم:

قال ابن الجوزي: ذكر بعض أهل التفسير أن البصر^(٥) في القرآن الكريم على أربعة أوجه: الأول: البصر بالقلب ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف/ ١٩٨)^(٦). الثاني: البصر بالعين، ومنه قوله تعالى: ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق/ ٢٢).

الثالث: البصر بالحجة، ومنه قوله تعالى: ﴿لَمْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ (طه/ ١٢٥).

الرابع: البصر الاعتبار، ومنه قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات/ ٢١) أي تعتبرون وقد جعل بعضهم هذا الوجه من النوع الأول وهو

البصر بالقلب^(٧).

النظر والتبصر اصطلاحاً:

النظر اصطلاحاً:

قال الفيروزآبادي: النظر: تَقْلِبُ البَصِيرَةِ لِإِدْرَاكِ الشَّيْءِ وَرُؤْيِيهِ وَقَدْ يُرَادُ بِهِ التَّأَمُّلُ وَالْفَحْصُ، وَقَدْ يُرَادُ بِهِ الْمَعْرِفَةُ الْحَاصِلَةُ بَعْدَ الْفَحْصِ^(٨). أمّا التبصر:

فَلَمْ يَرِدْ ضَمْنًا مَا أوردته كتب المصطلحات -التي وقفنا عليها- ومن ثم فإنه يكون باقياً على أصل استعماله في اللغة، وإذا تأملنا ما ذكره صاحب اللسان من أن التبصر هو النظر إلى الشيء بقصد معرفته^(٩)، وأن تبصر واستبصر بمعنى، يقال تبصر في رأيه واستبصر: تبين ما يأتيه من خيرٍ وشرٍّ، وتأملنا أيضاً ما ذكره القرطبي من أن الاستبصار هو معرفة الشيء على الحقيقة (من خلال البراهين)^(١٠)، وأن الألف والسين والتاء تدل على الطلب (وهذا هو المعنى الصرفي للصيغة)؛ إذا كان الأمر كذلك فإنه يمكن تعريف التبصر من خلال ما ذكره اللغويون والمفسرون بالقول: **التبصر:**

طلب معرفة الأمور على حقيقتها من خلال

الأصنام (انظر المقدمة اللغوية).

(٧) نزهة الأعين النواظر ص ٢٠٠-٢٠١.

(٨) بصائر ذوي التمييز ٨٢/٥.

(٩) عبارة ابن منظور في اللسان: تبصر الشيء: نظر إليه، هل يعرفه؟ (اللسان ٤/٦٥).

(١٠) انظر تفسير القرطبي ٣٤٣/١٣.

(١) تفسير القرطبي ١٩/١٠٠.

(٢) بصائر ذوي التمييز ٢/٢٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير ٢٩/٣، والبحر المحيط ٦/٣.

(٤) النهاية لابن الأثير ١/١٣٢.

(٥) في الأصل «البصير»، وما ذكرناه أولى لأن الوجه الرابع يتعلق بالبصر مطلقاً لا بلفظ «بصر» فقط.

(٦) مبني هذا التفسير على أن المراد هنا هم المشركون وليس

البراهين الحسّية التي يُمكن للعَيْن رؤيتها وللبصيرة (أي قوّة القلب المدركة) تأملها واعتقاد صحتها.. وهذه خطوة نحو تحقيق النظر بمعناه الأخير الذي ذكره الفيروزآبادي، أمّا المعنيان الأولان للنظر وهما: تَقْلِبُ البصيرة، والتأمل والفحص فهما من أعمال العقل الخالصة، ولهذا فقد ربطنا بين الأمرين النظر والتبصر لأنّ كلا منهما لا يُغني عن الآخر من ناحية، ولأنّ الناس مُختلفون في قدراتهم من ناحية ثانية، فهناك من قويّت بصائرهم ويستطيعون من خلالها تحقيق المعرفة واليقين المطلوبين، وهناك من لم يزودوا بمثل هذه القوّة، وهؤلاء عليهم النظر في البراهين الحسّية التي توصّلهم إلى الغاية المطلوبة.

والخلاصة أنّ بين الأمرين (النظر والتبصر) تكاملاً وهما معاً يسدّان حاجة جميع الناس على اختلاف عقولهم، فالنظر (العقلي) قد يكتفي به

البعض، أمّا البعض الآخر فعليه أن يطلب المعرفة (وخاصّة ما يتعلّق بمعرفة الله عزّ وجلّ) من خلال رؤيته لعجائب الصنعة وعظيم الإتيان فيها، وفي ضوء ذلك نستطيع أن نصوغ تعريفاً للأمرين معاً على النحو التالي:

النظر والتبصر: تَقْلِبُ البصيرة لإدراك حقائق الأشياء ومعرفة ما بعد التأمل فيها وفحصها وطلب ذلك من خلال البراهين الحسّية المشاهدة^(١).

[للاستزادة: انظر صفات: الاعتبار - التأمل -

التبين - التدبر - التفكير - البصيرة - اليقين.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإعراض -

الغفلة - اللهو واللعب - التفريط والإفراط - طول

الأمّل].

(١) استنبطنا هذه الفقرة من أقواله العلماء في هذه المادة.

الآيات الواردة في «النظر والتبصر»

أولاً : الآيات الواردة في النظر :

أ - الأمر بالنظر في مخلوقات الله - عز وجل :-

١ - أَوَكَلَدَىٰ مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ (١) لَهُمْ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥٩﴾

٢ - وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢) ﴿١٦١﴾

٣ - فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٦٢﴾ (٣)

٤ - أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٦٥﴾ (٤)

٥ - قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦٦﴾ (٥)

٦ - قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٧﴾ (٦)

٧ - فَانْظُرْ إِلَىٰ ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٨﴾ (٧)

٨ - أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿١٦٩﴾ (٨) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿١٧٠﴾ (٨)

(٧) الروم : ٥٠ مكية

(٨) ق : ٦ - ٧ مكية

(٤) الأعراف : ١٨٥ مكية

(٥) يونس : ١٠١ مكية

(٦) العنكبوت : ٢٠ مكية

(١) البقرة : ٢٥٩ مدنية

(٢) الأنعام : ٩٩ مكية

(٣) الأعراف : ١٣٣ مكية

٩ - أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾

وَالِإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾

وَالِإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾

وَالِإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾^(١)

ب - الأمر بالنظر في أحوال الأمم السابقة :

١٠ - قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ

فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾^(٢)

١١ - قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ

كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾^(٣)

١٢ - وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ

عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾

وَالِإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوْمِ

أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ

جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا

الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ

أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ

بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾

وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ

وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ

وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا

إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ^(٤) وَانظُرُوا

كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾^(٥)

١٣ - ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ

وَمَلَإِيهِ فظلموا بها فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾^(٦)

١٤ - فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ

خَلْقًا خَلِيفًا وَآغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ

كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾^(٧)

١٥ - وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ

مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ

فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾^(٨)

١٦ - وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا

اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ

وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا

فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾^(٩)

١٧ - وَجَعَلُوا بِهَا وَأَسْتَيْقَنَتَهَا أَنْفُسَهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا

فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾^(٩)

(٧) يوسف : ١٠٩ مكية

(٨) النحل : ٣٦ مكية

(٩) النمل : ١٤ مكية

(٤) الأعراف : ٨٤ - ٨٦ مكية

(٥) الأعراف : ١٠٣ مكية

(٦) يونس : ٧٣ مكية

(١) الغاشية : ١٧ - ٢٠ مكية

(٢) آل عمران : ١٣٧ مدنية

(٣) الأنعام : ١١ مكية

١٨ - وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرًا مَكَرًا

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾

فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ

أَنَادَ مَرْنَتَهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾^(١)

١٩ - لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا

إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٥٨﴾

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ

عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾^(٢)

٢٠ - فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ

فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ

عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾^(٣)

٢١ - أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا

الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ

رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ

وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١﴾^(٤)

٢٢ - ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ

أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ

الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانُوا أَكْثَرُ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾^(٥)

٢٣ - أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ

اللَّهُ لِيُعْجزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ

إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿١١﴾^(٦)

٢٤ - وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾

فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٧٣﴾^(٧)

٢٥ - * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ

عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ

مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ

بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاكِ ﴿٢١﴾^(٨)

٢٦ - أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ

قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ

مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾^(٩)

٢٧ - * أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿١٠﴾^(١٠)

(٨) غافر: ٢١ مكية

(٩) غافر: ٨٢ مكية

(١٠) محمد: ١٠ مدنية

(٥) الروم: ٤١ - ٤٢ مكية

(٦) فاطر: ٤٤ مكية

(٧) الصافات: ٧٢ - ٧٣ مكية

(١) النمل: ٥٠ - ٥١ مكية

(٢) النمل: ٦٨ - ٦٩ مكية

(٣) القصص: ٤٠ مكية

(٤) الروم: ٩ مكية

جـ - الأمر بالنظر في أحوال المكذبين
والمشركين:

٢٨ - أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزْكِي
مَنْ يَشَاءُ وَلَا يَظْلُمُونَ فِتِيلًا ﴿٤١﴾

أَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ
إِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٠﴾^(١)

٢٩ - مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ
مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا
يَاكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ
لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى
يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾^(٢)

٣٠ - وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آتِنِ
شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾
ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ
رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾
أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾^(٣)

٣١ - قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَابْصَرَكُمْ وَخَمَّ
عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ
كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ
ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾^(٤)

٣٢ - قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ
أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ
بِأَسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ
الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾^(٥)

٣٣ - أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا
مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾
بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ
كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾^(٦)

٣٤ - أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا
فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾

وَقَالُوا آءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرَفْنَاءَ نَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا
جَدِيدًا ﴿٤٩﴾^(٧)

٣٥ - قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ
أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ
وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا
لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾^(٨)

٣٦ - وَقَالُوا مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ
وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَهُهِ مَلَكٌ
فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾

(٧) الإسراء: ٤٨ - ٤٩ مكية
(٨) طه: ٩٧ مكية

(٤) الأنعام: ٤٦ مكية
(٥) الأنعام: ٦٥ مكية
(٦) يونس: ٣٨ - ٣٩ مكية

(١) النساء: ٤٩ - ٥٠ مدنية
(٢) المائدة: ٧٥ مدنية
(٣) الأنعام: ٢٢ - ٢٤ مكية

أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَذَبًا أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ
يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ
إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾
أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا
فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾^(١)

٣٧- قُلْ أُولَٰئِكَ جُتِبُوا بِالْأَعْيُنِ وَمَا وَجَدُتُمْ عَلَيْهِ
ءَابَاءَهُمْ كَمَا قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾
فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظِرْ كَيْفَ
كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾^(٢)

د- الأمر بالنظر في أحوال الدنيا وخلق الإنسان:

٣٨- مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ جَعَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ
لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا
مَدْحُورًا ﴿١٨﴾
وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾
كُلًّا نُمِدُّ هُنَا لَآءً وَهُنَا لَآءٌ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ
وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾^(٣)

٣٩- أَذْهَبَ بِكُنُوزِهِمْ هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّىٰ عَنْهُمْ
فَأَنْظِرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾
قَالَتْ يَتَايَأُ آلُ الْمَلِكِ إِلَيْنَا أَلَيْسَ لَنَا بِكُنُوزٍ كَرِيمٍ ﴿٢٩﴾

إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾
أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾
قَالَتْ يَتَايَأُ آلُ الْمَلِكِ إِلَيْنَا أَلَيْسَ لَنَا بِكُنُوزٍ كَرِيمٍ
مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾
قَالُوا نَحْنُ أَوْلَىٰ بِأَمْرِكِ وَأَوْلَىٰ بِأَمْرِ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ
فَأَنْظِرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾^(٤)

٤٠- فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ
أَنِّي أَذْبَحُكَ فَأَنْظِرْ مَاذَا تَرَىٰ^٥ قَالَ يَتَايَأُ أَفْعَلُ
مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾^(٥)

٤١- فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٤٤﴾
أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا
ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٤٦﴾
فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٤٧﴾
وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٤٨﴾
وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٤٩﴾
وَحَدَاقٍ غُلْبًا ﴿٥٠﴾
وَفُكْهَةً وَأَبَا ﴿٥١﴾
مَنْعَالَكُمْ وَلَا تَعْلَمُكُمْ^(٦) ﴿٥٢﴾

٤٢- فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥٥﴾
خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٥٦﴾
يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٥٧﴾
إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٥٨﴾^(٧)

(٦) عبس : ٢٤ - ٣٣ مكية
(٧) الطارق : ٥ - ٨ مكية

(٤) النمل : ٢٨ - ٣٣ مكية
(٥) الصافات : ١٠٢ مكية

(١) الفرقان : ٧ - ٩ مكية
(٢) الزخرف : ٢٤ - ٢٥ مكية
(٣) الإسراء : ١٨ - ٢٠ مكية

ثانياً : التبصر :

أ - البصير من أسماء المولى - عز وجل -
وصفاته:

٤٣ - وَلَنَجْذِثُنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوَةٍ وَمِنْ
الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفٌ
سَنَةً وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزَجَةٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ
وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ^(١)

٤٤ - وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَحِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ
إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ^(٢)

٤٥ - وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ
لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ
وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا
لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ
وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ
تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ
أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا
سَلَّمْتُمْ مَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ^(٣)

٤٦ - وَإِنْ طَلَقْتُمْوهنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ

فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا
أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ
النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى
وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ^(٤)

٤٧ - وَمِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءً

مَرْضَاتٍ لِلَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِنْ أَنفُسِهِمْ كَمِثْلِ
جَنَّتُمْ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَثَانَتْ أَكْلَهَا
ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ^(٥)

ب - البصر من نعم الله - عز وجل - التي
وهبها للإنسان (يحفظها عليه ويسأله
عنها):

٤٨ - يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ
مَشْوَافِهِ إِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ^(٦)

٤٩ - قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَتَمَ
عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ

(١) البقرة: ٩٦ مدنية
(٢) البقرة: ١١٠ مدنية
(٣) البقرة: ٢٣٣ مدنية
(٤) البقرة: ٢٣٧ مدنية
(٥) البقرة: ٢٦٥ مدنية
* أكتفينا بها ورد في سورة البقرة،
وقد ورد الاسم الكريم «البصير»
والوصف «بصير» في ثمان وثلاثين آية

أخرى، تنظر في المصحف الشريف
وهي: آل عمران، الآيات / ١٥، ٢٠
١٥٦، ١٦٣، والنساء، الآيات / ٥٨،
١٣٤ المائدة / ٧١، الأنفال / ٣٩،
٧٢، هود / ١١٢، الإسراء / ١، ١٧،
٣٠، ٩٦، طه / ٣٥، الحج / ٦١،
٧٥، الفرقان / ٢٠، لقمان / ٢٨،
الأحزاب / ٩، سبأ / ١١، فاطر

(١) البقرة: ٩٦ مدنية
(٢) البقرة: ١١٠ مدنية
(٣) البقرة: ٢٣٣ مدنية
(٤) البقرة: ٢٣٧ مدنية
(٥) البقرة: ٢٦٥ مدنية
* أكتفينا بها ورد في سورة البقرة،
وقد ورد الاسم الكريم «البصير»
والوصف «بصير» في ثمان وثلاثين آية

كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ

ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾^(١)

إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ

وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٦﴾^(٢)

٥٠ - وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ

لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾^(٣)

٥٥ - قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ

وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾^(٤)

ج - البصر وسيلة لإدراك نعم الله - عز وجل -

ومعرفته :

٥١ - وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ

وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾^(٥)

٥٦ - قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ

سَكْرَمًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ

يَأْتِيَكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ

فِيهِ أَفَلَا تَبْصُرُونَ ﴿٧٢﴾^(٦)

٥٢ - وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ

وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾^(٧)

٥٣ - ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ

الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾

ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾

ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ

السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا

مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾^(٨)

٥٧ - أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ

فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعَاتَا كُلِّ مِمَّنْهُ أَنْعَمُ لَهُمْ

وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾^(٩)

٥٨ - وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾

وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾^(١٠)

٥٩ - هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾^(١١)

٥٤ - وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي مَآءٍ أَنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ

سَمْعًا وَأَبْصَرَ وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ

وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ

(١) الأنعام: ٤٦ مكية

(٢) النحل: ٧٨ مكية

(٣) الإسراء: ٣٦ مكية

(٤) المؤمنون: ٧٨ مكية

(٥) السجدة: ٦ - ٩ مكية

(٦) الأحقاف: ٢٦ مكية

(٧) الملك: ٢٣ مكية

(٨) القصص: ٧٢ مكية

(٩) السجدة: ٢٧ مكية

(١٠) الذاريات: ٢٠ - ٢١ مكية

(١١) الطور: ١٤ - ١٥ مكية

٦٠ - هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا
وَوَدَّوْنَ أَنْهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ
فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ
فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ
وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (١)

٦١ - الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ
الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى
مِنْ فُطُورٍ (٢)
ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا
وَهُوَ حَسِيرٌ (٣)

د - مجالات التبصر ووسائله :

٦٢ - وَإِذْ أَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا الْوَلَا أَجْتَبِيَّتَهَا
قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ
مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٤)

٦٣ - هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ
وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٥)

٦٤ - وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوَنَاءَ آيَةِ اللَّيْلِ
وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا

مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ
وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلُنَا تَفْصِيلًا (٦)
وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَمْنَهُ طَرِيقُهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (٧)

٦٥ - وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَبَ
بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَاثِنَا ثُمُودَ النَّاقَةِ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا
بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٨)

٦٦ - قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ بِصَايِرٍ وَإِنِّي لَأُظُنُّكُمْ
يَفْرَعُونَ مَثْبُورًا (٩)

٦٧ - فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايُنَا مُبْصِرَةً (١٠)
قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (١١)

٦٨ - أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِسُكُونٍ فِيهِ وَالنَّهَارَ
مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١٢)

٦٩ - وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ
مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بِصَايِرٍ لِلنَّاسِ
وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (١٣)

(٨) النمل : ١٣ مكية
(٩) النمل : ٨٦ مكية
(١٠) القصص : ٤٣ مكية

(٥) الإسراء : ١٢ - ١٣ مكية
(٦) الإسراء : ٥٩ مكية
(٧) الإسراء : ١٠٢ مكية

(١) الحشر : ٢ مدنية
(٢) الملك : ٣ - ٤ مكية
(٣) الأعراف : ٢٠٣ مكية
(٤) يونس : ٦٧ مكية

٧٠- اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْيَلَّ لَتَسْكُنُوا فِيهِ

وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ

عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ (١)

٧١- هَذَا بَصِيرٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ

لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٦٢﴾ (٢)

٧٢- وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَالْقِيَامَةَ فِيهَا رُؤًى

وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٦٣﴾ (٣)

تَبْصِرَةً وَذِكْرًا لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٦٤﴾ (٤)

هـ- التبصر من صفات الأنبياء والمؤمنين:

٧٨- قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ

أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعَنِي وَسُبِّحَانَ اللَّهِ (٩)

وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ (١٠)

٧٩- قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ

مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا

قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ يَسْتَوِي

الظُّلُمَتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ

فَتَشَبِهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ

وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١١٦﴾ (١١)

٧٣- قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِ الثَّقَافَةِ تُقَاتِلُ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ

مِثْلَيْنِ رَأَى أَلْعَيْنَ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ

مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي

الْأَبْصَارِ ﴿١١٣﴾ (١٢)

٧٤- قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ

الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا

يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ

أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ (١٣)

(٨) هود: ٢٣ - ٢٤ مكية

(٩) يوسف: ١٠٨ مكية

(١٠) الرعد: ١٦ مدنية

(٥) الأنعام: ٥٠ مكية

(٦) الأنعام: ١٠٤ مكية

(٧) الأعراف: ٢٠١ مكية

(١) غافر: ٦١ مكية

(٢) الجاثية: ٢٠ مكية

(٣) ق: ٧ - ٨ مكية

(٤) آل عمران: ١٣ مدنية

٨٠ - قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ^(١)

٨١ - أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ^(٢)

يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَرِ ^(٣)

٨٢ - وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ^(٤) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ^(٥) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ^(٦)

وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ^(٧)

٨٣ - وَأَبْصَرُهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ^(٨) أَفَعَذَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ ^(٩)

فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ^(١٠) وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ^(١١) وَأَبْصَرُ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ^(١٢)

٨٤ - وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِيَ الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرِ ^(١٣)

إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ^(١٤) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ^(١٥)

٨٥ - وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ^(١٦)

٨٦ - وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ^(١٧)

عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ^(١٨)

عِنْدَ هَاجِنَةِ الْمَأْوَىٰ ^(١٩)

إِذِ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ^(٢٠)

مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ^(٢١)

لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ^(٢٢)

٨٧ - وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ^(٢٣)

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ^(٢٤)

فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ^(٢٥)

بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ^(٢٦)

٨٨ - يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ^(٢٧)

بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ^(٢٨)

وَلَوْ أَنَّهُ لَرَأَىٰ مَعَادِيرَ ^(٢٩)

(٧) النجم: ١٣ - ١٨ مكية

(٨) القلم: ٣ - ٦ مكية

(٩) القيامة: ١٣ - ١٥ مكية

(٤) الصافات: ١٧٥ - ١٧٩ مكية

(٥) ص: ٤٥ - ٤٧ مكية

(٦) غافر: ٥٨ مكية

(١) طه: ٩٦ مكية

(٢) النور: ٤٣ - ٤٤ مدنية

(٣) فاطر: ١٩ - ٢٢ مكية

و - الكفار والمنافقون لا ينفعهم الله -
عز وجل - بالتبصر :

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى
وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ^(٦)

٨٩ - خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى
أَبْصَارِهِمْ غَشَوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ^(١)

٩٥ - الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا
وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ^(١٩)
أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ
لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ
مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا
كَانُوا يَبْصُرُونَ ^(٧)

٩٠ - وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ
أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ^(٢)

٩١ - وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ
لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا
وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ
أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ^(٣)

٩٦ - وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ
يَعْرُجُونَ ^(١٤)
لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا
بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ^(٨)

٩٢ - أَلَمْ أَرْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ
بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ
يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا
فَلَا تُنْظَرُونَ ^(٤)

٩٧ - مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ
أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ
مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ
مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ^(١٠٦)
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْكَافِرِينَ ^(١٠٧)
أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ
وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْغَافِلُونَ ^(٩)

٩٣ - وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَى
يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ^(٥)

٩٤ - وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الصُّمَّ
وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ^(٤٢)

(٧) هود: ١٩ - ٢٠ مكية
(٨) الحجر: ١٤ - ١٥ مكية
(٩) النحل: ١٠٦ - ١٠٨ مكية

(٤) الأعراف: ١٩٥ مكية
(٥) الأعراف: ١٩٨ مكية
(٦) يونس: ٤٢ - ٤٣ مكية

(١) البقرة: ٧ مدنية
(٢) الأنعام: ١١٠ مكية
(٣) الأعراف: ١٧٩ مكية

٩٨ - أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ^(١) ﴿٦٦﴾

إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ^(٦)
وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٦﴾

١٠٤ - فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا

فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ^(٢)
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ

فَأَصْمَهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ^(٧) ﴿٢٢﴾

ز - التبصر في غير وقته لا جدوى فيه :

٩٩ - وَعَادَا وَنمودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ^(٢) ﴿٣٨﴾

١٠٠ - وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ^(٣) ﴿١﴾

١٠٥ - فَأَخْلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ^(٤) ﴿٣٧﴾

أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ^(٨) ﴿٣٨﴾

١٠١ - الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ^(٥) ﴿٦٥﴾
وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ^(٤) ﴿٦٦﴾

١٠٦ - وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ^(٩) ﴿١٢﴾

١٠٢ - أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ عَنَسَةً ^(٥)
فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ^(٥) ﴿٢٧﴾

١٠٧ - وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ^(٦)
أَخَذَ اللَّهُ سِخْرِيَا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ^(٦) ﴿٦٢﴾
إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ^(١٠) ﴿٦٤﴾

١٠٣ - وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ

(٨) مريم : ٣٧ - ٣٨ مكية

(٩) السجدة : ١٢ مكية

(١٠) ص : ٦٢ - ٦٤ مكية

(٥) الجاثية : ٢٣ مكية

(٦) الأحقاف : ٢٦ مكية

(٧) محمد : ٢٢ - ٢٣ مدنية

(١) الحج : ٤٦ مدنية

(٢) العنكبوت : ٣٨ مكية

(٣) يس : ٩ مكية

(٤) يس : ٦٥ - ٦٦ مكية

١٠٨ - لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ
فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾^(١)

لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ
السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٣﴾

١٠٩ - وَلَا تَسْتَلْ حِمِيمًا حَمِيمًا ﴿١٠﴾

يَبْصُرُونَهُم بِوُدِّ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ
يَوْمٍ ذِي بَيْنَةٍ ﴿١١﴾^(٢)

١١٤ - وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ

أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾
أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ
بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُولٍ ﴿٥٥﴾^(٤)

ح - التبصر يمنع من الموبقات :

١١٠ - مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ
إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾

الآيات الواردة في «التبصر» معنى

١١٥ - هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا
وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾^(٨)

١١١ - فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى
وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٢﴾^(٥)

١١٦ - أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمُنْ
هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَنْذِرُكَ لِتُؤْمِنُوا بِالْآيَاتِ ﴿١٩﴾^(٩)

١١٢ - أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَّكَّنْتَهُمْ فِي
الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ
مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ
فَآهَلَكْنَاهُمْ يَدُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
ءَاخِرِينَ ﴿٦﴾^(٦)

١١٧ - أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ
يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿٤١﴾^(١٠)

١١٣ - أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ
مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ
يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾^(٧)

١١٨ - أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعِيوْا ظِلَالَهُ
عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾^(١١)

(٩) الرعد : ١٩ مدنية

(١٠) الرعد : ٤١ مدنية

(١١) النحل : ٤٨ مكية

(٥) البقرة : ٧٣ مدنية

(٦) الأنعام : ٦ مكية

(٧) التوبة : ١٢٦ مدنية

(٨) الرعد : ١٢ مدنية

(١) ق : ٢٢ مكية

(٢) المعارج : ١٠ - ١١ مكية

(٣) الأنبياء : ٢ - ٣ مكية

(٤) النمل : ٥٤ - ٥٥ مكية

١١٩- أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ
السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٦﴾^(١)

١٢٥- أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧٧﴾
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾^(٢)

١٢٠- ﴿٧٩﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ
لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ
إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٠﴾^(٣)

١٢٦- أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِسَكنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ
مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨١﴾^(٤)
١٢٧- وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيَّرَكُمْ بِإِذْنِهِ فَمَنْعَرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٢﴾^(٥)

١٢١- فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ
وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٣﴾
وَرَكْرَكًا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا
وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٤﴾^(٦)

١٢٨- أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٨٥﴾^(٧)

١٢٩- أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَاءً آمِنًا وَبُخَّطِفُ
النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ
وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٨٦﴾^(٨)

١٢٢- أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا
مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٧﴾^(٩)

١٣٠- وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا
وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٨٨﴾^(١٠)

١٢٣- بَلْ مَتَّعْنَاهُمَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ
الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا
مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٨٩﴾^(١١)

١٢٤- وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرًا سَوِيًّا
أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا

(٩) النمل : ٩٣ مكية
(١٠) العنكبوت : ١٩ مكية
(١١) العنكبوت : ٦٧ مكية
(١٢) الروم : ٢٤ مكية

(٥) الأنبياء : ٤٤ مكية
(٦) الفرقان : ٤٠ مكية
(٧) الشعراء : ٧ - ٨ مكية
(٨) النمل : ٨٦ مكية

(١) النحل : ٧٩ مكية
(٢) الإسراء : ٩٩ مكية
(٣) طه : ٨٨ - ٨٩ مكية
(٤) الأنبياء : ٣٠ مكية

١٣١- أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾^(١)

١٣٧- أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ
فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾^(٧)

١٣٢- أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى
وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾^(٢)

١٣٨- هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ
لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا
وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٢﴾^(٨)

١٣٩- وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾^(٩)

١٣٣- أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ
لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾^(٣)

١٤٠- فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا
بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾^(١٠)

١٣٤- أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ
فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُمُهُمْ
وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾^(٤)

١٤١- سَرَّيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ
حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ
أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾^(١١)

١٣٥- أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ
مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ
الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِنَّ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ
إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿١﴾^(٥)

١٤٢- أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَلَمْ يَغْيَ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَىٰ
إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٣﴾^(١٢)

١٣٦- أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا
فَهُمْ لَهَا مَلَائِكَةٌ ﴿٧١﴾^(٦)

(٩) غافر: ٨١ مكية
(١٠) فصلت: ١٥ مكية
(١١) فصلت: ٥٣ مكية
(١٢) الأحقاف: ٣٣ مكية

(٥) سبأ: ٩ مكية
(٦) يس: ٧١ مكية
(٧) يس: ٧٧ مكية
(٨) غافر: ١٣ مكية

(١) الروم: ٣٧ مكية
(٢) لقمان: ٢٠ مكية
(٣) لقمان: ٣١ مكية
(٤) السجدة: ٢٧ مكية

١٤٤ - أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفًى وَيَقْبِضْنَ^١
مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ^(٢)

١٤٥ - أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا^(١)
وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا^(٢)

١٤٣ - أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ^(١)
وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ^(٢)
وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ^(٣)
وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ^(٤)

الأحاديث الواردة في «النظر والتبصر»

١ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بِلَحْمٍ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ الذَّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً^(١)، فَقَالَ: أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَذَرُونَ بِي ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ^(٢) وَاحِدٍ، فَيَسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ، وَيَنْفِذُهُمُ الْبَصَرَ^(٣)، وَتَذْنُو الشَّمْسُ، فَيُلْغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ...» (الحديث) *^(٤).

٢ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا حَدِيثًا طَوِيلًا عَنْ الدَّجَالِ، فَكَانَ فِيهِ حَدَّثَنَا قَالَ: «يَأْتِي^(٥)، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نَقَابَ الْمَدِينَةِ^(٦)، فَيَنْتَهِي إِلَى بَعْضِ السَّبَاحِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمئِذٍ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ - أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ^(٧) - فَيَقُولُ لَهُ أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ،

فَيَقُولُ الدَّجَالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ، أَتَشْكُونَ فِي الْأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، قَالَ: فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ حِينَ يُحْيِيهِ^(٨): وَاللَّهِ! مَا كُنْتُ فِيكَ قَطُّ أَشَدُّ بَصِيرَةً مِنِّي الْآنَ، قَالَ فَيُرِيدُ الدَّجَالُ أَنْ يَقْتُلَهُ، فَلَا يُسَلِّطُ عَلَيْهِ» *^(٩).

٣ - * (عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ. ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاعْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ. لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ. اصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ. لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ^(١٠) وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ. وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ^(١١). تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ. أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ». وَإِذَا رَكَعَ

(٨) القائل هو الرجل الذي وصفه الرسول ﷺ بأنه خير الناس أو من خير الناس.

(٩) البخاري - الفتح ١٣ (٧١٣٢)، ومسلم ٤ (٢٩٣٨)، واللفظ له.

(١٠) سعديك: معناه مساعدة لأمرك بعد مساعدة ومتابعة

لدينك بعد متابعة.

(١١) أنا بك وإليك: أي التجائي وانتماي إليك وتوفيقي بك.

(١) نهس نهسة، أي أخذ قطعة بأطراف أسنانه.

(٢) الصعيد: الأرض الواسعة المستوية.

(٣) المعنى ينفذهم بصر الرحمن تبارك وتعالى حتى يأتي عليهم كلهم.

(٤) البخاري، الفتح ٨ (٤٧١٢)، ومسلم ١ (١٩٤)، واللفظ له.

(٥) أي الدجال.

(٦) نقاب المدينة أي طرقها وفجاجها، والنقاب جمع نقب،

وهو الطريق بين جبلين.

(٧) الشك من الراوي.

قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ. خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَخَيِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي» وَإِذَا رَفَعَ قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلءَ الْأَرْضِ وَمِلءَ مَا بَيْنَهُمَا وَمِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ». وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ. وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ. سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ. تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ». ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشْهُدِ وَالتَّسْلِيمِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي. أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ. لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(١).

٤ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَ بِي لأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ

مَسَاءَتَهُ»^(٢) *

٥ - * (عَنْ ابْنِ شَهَابٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَنَظَرَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ فَقَالَ: «مَاذَا فُتِحَ اللَّيْلَةُ مِنَ الْخَزَائِنِ؟ وَمَاذَا وَقَعَ مِنَ الْفِتَنِ؟ كَمْ مِنْ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أُيْقِظُوا صَوَاحِبَ الْحَجَرِ»^(٣) *)^(٤).

٦ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي سُجُودِ الْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ: سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ»^(٥) *).

٧ - * (عَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا سَجَدَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»^(٦) *).

٨ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُ مِمَّنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ»^(٧) *).

٩ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

(٥) الترمذي (٥٨٠)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي ٢/ ٢٢٢.

(٦) النسائي ٢/ ٢٢١ (ح ١١٢٦)، وقد روى مثله أيضا عن جابر بن عبد الله حديث رقم (١١٢٧)، ومحمد بن مسلمة (ح ١١٢٨) إلا أنه قيد هذا الدعاء بسجود صلاة التطوع، وابن ماجه (١٠٥٤).

(٧) البخاري، الفتح (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣).

(١) مسلم (٧٧١).

(٢) البخاري، الفتح (٦٥٠٢).

(٣) صواحب الحجر: هن أزواج النبي ﷺ، والحجر هي منازلهن، وإنما خصهن بالإيقاظ لأنهن الحاضرات حينئذ.

(٤) الموطأ ٢/ ٩١٣ (كتاب اللباس ح ٨)، هكذا رواه مالك مرسلًا، وقد رواه الإمام البخاري موصولًا عن أم سلمة - رضي الله عنها - غير أنه لم يذكر عبارة «فنظر في أفق السماء»، انظر: البخاري - الفتح ١ (١١٥).

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ^(١)». قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ «عَلَيْكُمْ» *^(٢).^(٣)

١٠ - * (عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ لِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ - وَهُوَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ - إِذْ ذُنَّ لِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ أُحَدِّثُكَ قَوْلًا قَامَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ الْغَدَ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ، سَمِعْتُهُ أُذْنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي، وَأَبْصَرْتُهُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ: حَمْدَ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلَا يَحِلُّ لَأَمْرِيءٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلَا يَعْصِدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهَا فَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذُنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ» *^(٤).

١١ - * (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: بِتُّ لَيْلَةً عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ، فَاتَى حَاجَتَهُ^(٥)، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، ثُمَّ نَامَ، ثُمَّ قَامَ فَاتَى الْفَرِيَّةَ، فَأَطْلَقَ شِنَاقَهَا^(٦)، ثُمَّ تَوَضَّأَ وَضُوءًا بَيْنَ الْوُضُوءَيْنِ، وَلَمْ يُكْثِرْ، وَقَدْ أَبْلَغَ، ثُمَّ قَامَ

فَصَلَّى. فَقُمْتُ فَتَمَطَّيْتُ كَرَاهِيَّةَ أَنْ يَرَى أَنِّي كُنْتُ أَنْتَبَهُ لَهُ، فَتَوَضَّأْتُ. فَقَامَ فَصَلَّى. فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَدَارَنِي عَنْ يَمِينِهِ. فَتَنَامْتُ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ اضْطَجَعَ. فَتَنَامَ حَتَّى نَفَخَ. وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ، فَأَتَاهُ بِلَالٌ فَأَذَنَهُ بِالصَّلَاةِ. فَقَامَ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ وَكَانَ فِي دُعَائِهِ «اللَّهُمَّ! اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَعَظْمٌ لِي نُورًا» *^(٧).

١٢ - * (عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَصَلَّى الْغَدَاةَ ثُمَّ جَلَسَ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الضُّحَى ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ جَلَسَ مَكَانَهُ حَتَّى صَلَّى الْأُولَى وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ، كُلُّ ذَلِكَ لَا يَتَكَلَّمُ، حَتَّى صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ النَّاسُ لِأَبِي بَكْرٍ: أَلَا تَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا شَأْنُهُ؟ صَنَعَ الْيَوْمَ شَيْئًا لَمْ يَصْنَعْهُ قَطُّ، قَالَ: فَسَأَلُهُ، فَقَالَ: نَعَمْ، عُرِضَ عَلَيَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَأَمْرِ الْآخِرَةِ، فَجُمِعَ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ بِصَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَفَطَعَ النَّاسُ^(٨) بِذَلِكَ،

(٤) البخاري - الفتح (١٠٤). ومسلم (٧٦٣)

(٥) أتى حاجته أي قضى حاجته في المحل الخاص بذلك.

(٦) أطلق شفاتها أي فك الخيط الذي تربط به في التودد، والشقاق الخيط.

(٧) مسلم (٧٦٣).

(٨) فطع من الفطاعة وهو الأمر الشديد الشنيع ومعنى فطع الناس أي اشتد عليهم الأمر وهالهم.

(١) مسلم (٢٩٦٣).

(٢) أبو معاوية هو الذي روى الحديث عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة.

(٣) الفرق بين هذا الحديث والذي قبله أن هنا حثا على النظر من أول الأمر إلى من هو أسفل، كما أن فيه ذكرا لسبب النظر، أما الحديث السابق فإن الإنسان هو الذي يبدأ بالنظر إلى من هو فوقه، وربما لحقه من ذلك حزن أو نحوه، فأرشد الرسول الكريم ﷺ إلى علاج هذه الحالة ومن ثم أثبتنا الحديثين معا.

حَتَّى انْطَلَقُوا إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْعَرَقُ يَكَادُ يُلْجِمُهُمْ ، فَقَالُوا : يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ ، وَأَنْتَ اصْطَفَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، اشفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، قَالَ : لَقَدْ لَقِيتُ مِثْلَ الَّذِي لَقِيتُمْ ، انْطَلِقُوا إِلَى أَبِيكُمْ بَعْدَ أَبِيكُمْ ، إِلَى نُوحٍ ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران / ٣٣) قَالَ فَيَنْطَلِقُونَ إِلَى نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَيَقُولُونَ : اشفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، فَأَنْتَ اصْطَفَاكَ اللَّهُ وَاسْتَجَابَ لَكَ فِي دُعَائِكَ ، وَلَمْ يَدْعُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا ، فَيَقُولُ : لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي ، انْطَلِقُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اتَّخَذَهُ خَلِيلًا ، فَيَنْطَلِقُونَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُ : لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي ، وَلَكِنْ انْطَلِقُوا إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَلَّمَهُ تَكْلِيمًا ، فَيَقُولُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي ، وَلَكِنْ انْطَلِقُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، فَإِنَّهُ يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَيُحْيِي الْمَوْتَى ، فَيَقُولُ عِيسَى : لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي ، وَلَكِنْ انْطَلِقُوا إِلَى سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَنَشَّقُ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، انْطَلِقُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَ : فَيَنْطَلِقُ ، فَيَأْتِي جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ ، فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ ، قَالَ فَيَنْطَلِقُ بِهِ جِبْرِيلُ فَيَخِرُّ سَاجِدًا قَدَرِ جُمُعَةٍ ، وَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ارفعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ ، وَقُلْ يُسْمَعُ ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ ، قَالَ : فَيَرْفَعُ رَأْسَهُ فَإِذَا نَظَرَ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَرَّ سَاجِدًا قَدَرِ جُمُعَةٍ أُخْرَى ، فَيَقُولُ

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ارفعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعُ ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ ، قَالَ : فَيَذْهَبُ لِيَقَعَ سَاجِدًا ، فَيَأْخُذُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِضَبْعِيهِ ^(١) ، فَيَفْتَحُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَيْهِ مِنَ الدُّعَاءِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى بَشَرٍ قَطُّ ، فَيَقُولُ : أَيُّ رَبِّ ، خَلَقْتَنِي سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنَشَّقُ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَرِدُ عَلَى الْخَوْضِ أَكْثَرُ مِمَّا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَأَيْلَةَ ، ثُمَّ يُقَالُ : ادْعُوا الصِّدِّيقِينَ فَيَشْفَعُونَ ، ثُمَّ يُقَالُ : ادْعُوا الْأَنْبِيَاءَ ، قَالَ : فَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الْعِصَابَةُ ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الْخُمْسَةُ وَالسِّتَّةُ ، وَالنَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، ثُمَّ يُقَالُ : ادْعُوا الشُّهَدَاءَ ، فَيَشْفَعُونَ لِمَنْ أَرَادُوا ، وَقَالَ : فَإِذَا فَعَلْتَ الشُّهَدَاءُ ذَلِكَ ، قَالَ : يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : أَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، أَدْخِلُوا جَنَّتِي مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا ، قَالَ : فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، قَالَ : ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - انْظُرُوا فِي النَّارِ هَلْ تَلْقَوْنَ مِنْ أَحَدٍ عَمِلَ خَيْرًا قَطُّ ؟ قَالَ : فَيَجِدُونَ فِي النَّارِ رَجُلًا . فَيَقُولُ لَهُ : هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أَسَامِحُ النَّاسَ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : أَسْمَحُوا لِعَبْدِي كَإِسْمَاحِهِ إِلَيَّ عِيْدِي ، ثُمَّ يُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ رَجُلًا فَيَقُولُ لَهُ : هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ أَمَرْتُ وَلَدِي إِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي بِالنَّارِ ثُمَّ اطْحَنُونِي حَتَّى إِذَا كُنْتُ مِثْلَ الْكُحْلِ فَادْهَبُوا بِي إِلَى الْبَحْرِ فَادْرُونِي فِي الرِّيحِ ، فَوَاللَّهِ لَا يَقْدِرُ عَلَيَّ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَبَدًا ! فَقَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : لَمْ فَعَلْتَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : مِنْ مَخَافَتِكَ ، قَالَ

فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: انْظُرْ إِلَى مُلْكٍ أَكْبَرَ مِنْكَ ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَهُ وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهِ ، قَالَ : فَيَقُولُ : لَمْ تَسْخَرْ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ ؟ قَالَ : وَذَلِكَ الَّذِي ضَحِكْتَ مِنْهُ مِنَ الضُّحَى) * (١) .

١٣ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «خَصَلَتَانِ مَنْ كَانَتْ فِيهِ كِتَابَةُ اللَّهِ شَاكِرًا صَابِرًا ، وَمَنْ لَمْ

تَكُنْ فِيهِ لَمْ يَكْتُبَهُ اللَّهُ شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا ، مَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فَاقْتَدَى بِهِ ، وَنَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ ، فَحَمِدَ اللَّهُ عَلَى مَا فَضَّلَهُ بِهِ عَلَيْهِ كَتَبَهُ اللَّهُ شَاكِرًا صَابِرًا ، وَمَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ ، وَنَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ فَوْقَهُ فَاسْتَفْ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْهُ لَمْ يَكْتُبَهُ اللَّهُ شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا) * (٢) .

الأحاديث الواردة في «النظر والتبصر» معنى

[انظر صفات: الفراسة والبصيرة - التفكير - التدبر]

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في «النظر والتبصر»

١ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ أَحَدِ هُزِمِ الْمُشْرِكُونَ ، فَصَرَخَ إِبْلِيسُ - لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ - أَيَّ عِبَادِ اللَّهِ أَقْرَأُكُمْ ، فَارْجَعْتُ أُولَاهُمْ فَاجْتَلَدْتُ هِيَ وَأَخْرَاهُمْ ، فَبَصُرَ حُذَيْفَةُ ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِيهِ الْيَمَانِ (٣) ، فَقَالَ : أَيَّ عِبَادِ اللَّهِ ، أَبِي أَبِي ، قَالَ : قَالَتْ : فَوَاللَّهِ مَا اخْتَجَزُوهُ حَتَّى قَتَلُوهُ ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ : يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ، قَالَ عُرْوَةُ : فَوَاللَّهِ مَا زَالَتْ فِي حُذَيْفَةَ بَقِيَّةٌ خَيْرٌ حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ) * (٤) .

٢ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ (٥) : «لَقَدْ بَصَّرَ أَبُو بَكْرٍ النَّاسَ الْهُدَى ، وَعَرَفَهُمُ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْهِمْ وَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ يَتْلُونَ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ...﴾ .. إِلَى وَالشَّاكِرِينَ (آل عمران / ١٤٤) » * (٦) .

٣ - * (قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ (القيامة / ١٤) : بَصِيرَةٌ أَيُّ شَاهِدٌ وَهُوَ شُهُودٌ

من البصيرة في الأمر، وأبصرت من «بصر العين»، ويقال: بصرت وأبصرت واحد.

(٤) البخاري، الفتح (٤٠٦٥).

(٥) جاء ذلك في سياق حديث عائشة عن انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وما حدث من أبي بكر وعمر حينذاك.

(٦) البخاري، الفتح (٣٦٧٠).

(١) أحمد: (٥/١-٤) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (١٦١/١).

(٢) الترمذي (٢٥١٢) واللفظ له وقال: حسن غريب وبعضه في مسلم من حديث أبي هريرة (٢٩٦٣). وابن ماجه (٤١٤٢). والحديث في المشكاة (١٤٤٦/٣) برقم (٥٢٥٦) وعزاه إلى الترمذي .

(٣) قال الإمام البخاري عقب إيراده الحديث: بصرت: علمت

جَوَارِحِهِ عَلَيْهِ، يَدَاهُ بِمَا يَبْطِشُ بِهِمَا، وَرِجْلَاهُ بِمَا مَشَى عَلَيْهِمَا، وَعَيْنَاهُ بِمَا أَبْصَرَ بِهِمَا»*(١).

٤- * (وَقَالَ الْحَسَنُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ السَّابِقَةِ: يَعْنِي أَنَّ الْإِنْسَانَ بَصِيرٌ بِعُيُوبِ غَيْرِهِ جَاهِلٌ بِعُيُوبِ نَفْسِهِ) *(٢).

٥- * (عَنِ اللَّيْثِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: وَكَانَ الَّذِي نُهِيَ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ -أَيُّ مِنْ كِرَاءِ الْأَرْضِ- مَا لَوْ نَظَرَ فِيهِ ذُو الْفَهْمِ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ لَمْ يُجِزْهُ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْمُخَاطَرَةِ) *(٣).

٦- * (قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «مَنْ عَايَنَ بَعِيْنَ بَصِيرَتِهِ تَنَاهَى الْأُمُورَ فِي بَدَايَاتِهَا، نَالَ خَيْرَهَا، وَنَجَا مِنْ شَرِّهَا، وَمَنْ لَمْ يَرَ الْعَوَاقِبَ غَلَبَ عَلَيْهِ الْحِسُّ، فَعَادَ عَلَيْهِ بِالْأَلَمِ مَا طَلَبَ مِنْهُ السَّلَامَةُ، وَبِالنَّصَبِ مَا رَجَا مِنْهُ الرَّاحَةُ») *(٤).

٧- * (وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ -أَيْضًا-: قَرَأْتُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ (الأنعام/ ٤٦)، فَلَا حَتَّ لِي إِشَارَةٌ كَذَتْ أَطِشُ مِنْهَا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ عُنِيَ بِالْآيَةِ نَفْسُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ فَإِنَّ السَّمْعَ آلَةٌ لِإِدْرَاكِ الْمَسْمُوعَاتِ، وَالْبَصَرَ آلَةٌ لِإِدْرَاكِ الْمُبْصَرَاتِ فَهُمَا يُعْرِضَانِ ذَلِكَ عَلَى الْقَلْبِ فَيَتَدَبَّرُ وَيَعْتَبِرُ، فَإِذَا عُرِضَتِ الْمَخْلُوقَاتُ عَلَى السَّمْعِ

وَالْبَصَرِ أَوْصَلَ إِلَى الْقَلْبِ أَخْبَارَهَا، وَأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى الْخَالِقِ، وَتَحْمِلُ عَلَى طَاعَةِ الصَّانِعِ، وَتُحَذِّرُ مِنْ بَطْشِهِ عِنْدَ مُخَالَفَتِهِ. وَإِنْ عُنِيَ مَعْنَى (حَقِيقَةُ) السَّمْعِ وَالْبَصَرِ، فَذَلِكَ يَكُونُ بِذُهُولِهِمَا عَنْ حَقَائِقِ مَا أُدْرِكَا (لَا نَهْمًا) شُغْلًا بِالْهَوَى، فَيَعَاقِبُ الْإِنْسَانُ بِسَلْبِ مَعَانِي تِلْكَ الْآلَاتِ، فَيَرَى وَكَأَنَّهُ مَا رَأَى، وَيَسْمَعُ وَكَأَنَّهُ مَا سَمِعَ»*(٥).

٨- * (وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ -أَيْضًا- «رَأَيْتُ كُلَّ مَنْ يَعْثُرُ شَيْءً أَوْ يَنْزِلُقُ فِي مَطَرٍ يَلْتَفِتُ إِلَى مَا عَثَرَ بِهِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهِ، طَبْعًا مَوْضُوعًا فِي الْخَلْقِ، إِمَّا لِيَحْذَرَ مِنْهُ إِنْ جَازَ عَلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى أَوْ لِيَنْظُرَ -مَعَ اخْتِرَازِهِ وَفَهْمِهِ- كَيْفَ فَاتَهُ التَّحَرُّزُ مِنْ مِثْلِ هَذَا؟ فَأَخَذْتُ مِنْ ذَلِكَ إِشَارَةً، وَقُلْتُ: يَا مَنْ عَثَرَ مِرَارًا، هَلَّا أَبْصَرْتَ مَا الَّذِي عَثَرَكَ؟ أَوْ، هَلَّا قَبَّحْتَ -مَعَ حَزْمِهَا- تِلْكَ الْوَاقِعَةَ») *(٦).

٩- * (وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:- إِذَا نَظَرَ الْعَاقِلُ إِلَى أَفْعَالِ الْبَارِي سُبْحَانَهُ، رَأَى أَشْيَاءَ لَا يَقْتَضِيهَا عَقْلُهُ، مِثْلُ الْآلَامِ وَالذَّبْحِ لِلْحَيَوَانِ، وَتَسْلِيْطِ الْأَعْدَاءِ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ - مَعَ قُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ عَلَى مَنْعِ ذَلِكَ - وَكَالْإِتْنَاءِ بِالْمَجَاعَةِ لِلصَّالِحِينَ.. وَأَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنْ هَذَا الْجِنْسِ يُعْرِضُهَا الْعَقْلُ عَلَى الْعَادَاتِ فِي تَدْبِيرِهِ فَيَرَى أَنَّهُ لَا حِكْمَةَ تَظْهَرُ لَهُ فِيهَا.

(١) تفسير القرطبي ١٩/ ١٠٠.

(٢) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) البخاري، الفتح (٢٣٤٧)، وهذا الأثر عن الليث جاء

تعقيباً على حديث رافع بن خديج عن غميه أنهم كانوا يكرّون الأرض على عهد النبي ﷺ، فنهى عن ذلك.

(٤) صيد الخاطر ص ٣.

(٥) المرجع السابق، ١١٤ - ١١٥ (بتصرف واختصار).

(٦) المرجع السابق ١٤٦ - ١٤٧.

فَالْاِحْتِرَازُ مِنَ الْعَقْلِ بِهِ (أَيِّ بِالْعَقْلِ أَيْضًا) أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ يَثْبُتْ عِنْدَكَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ مَا لَكَ حَكِيمٌ وَأَنَّهُ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا عَبَثًا؟ فَيَقُولُ: بَلَى. فَيُقَالَ لَهُ: نَحْنُ نَحْتَرِزُ مِنْ تَذْيِيرِكَ الثَّانِي بِمَا ثَبَتَ عِنْدَكَ فِي الْأَوَّلِ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنَّهُ خَفِيَ عَلَيْكَ وَجْهُ الْحِكْمَةِ فِي فِعْلِهِ تَعَالَى.. وَاعْتَبَرِ بِحَالِ الْخَضِرِ وَمُوسَى -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ- كَمَا فَعَلَ الْخَضِرُ أَشْيَاءَ تَخْرُجُ عَنِ الْعَادَاتِ أَنْكَرَ مُوسَى وَنَسِيَ إِعْلَامَ الْخَضِرِ لَهُ بِأَنَّهُ يَنْظُرُ فِيهَا لَا يَعْلَمُهُ مِنَ الْعَوَاقِبِ، فَإِذَا خَفِيَ الْعَاقِبَةُ عَلَى مُوسَى مَعَ مَخْلُوقٍ، فَأَوَّلَى أَنْ يَخْفَى عَلَيْنَا كَثِيرٌ مِنْ حِكْمَةِ الْحَكِيمِ، وَهَذَا أَصْلُ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَ الْإِنْسَانِ أَخْرَجَهُ إِلَى الْاِعْتِرَاضِ وَالْكُفْرِ، وَإِنْ ثَبَتَ اسْتِرَاحَ عِنْدَ نُزُولِ كُلِّ آفَةٍ»*(١).

١٠ - * (وَقَالَ ابْنُ الْجَوَازِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : النَّظَرُ فِي الْعَوَاقِبِ، وَفِيمَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ شَأْنُ الْعُقَلَاءِ وَأَمَّا النَّظَرُ فِي الْحَالَةِ الرَّاهِنَةِ فَحَسْبُ، فَحَالَةُ الْجَهْلَةِ الْحَمَقَى، مِثْلُ أَنْ يَرَى نَفْسَهُ مُعَافَى وَيَنْسَى الْمَرَضَ، أَوْ غَنِيًّا وَيَنْسَى الْفَقْرَ أَوْ يَرَى لَذَّةً عَاجِلَةً وَيَنْسَى مَا تَجَنَّبَ عَوَاقِبُهَا، وَلَيْسَ لِلْعَقْلِ شُغْلٌ إِلَّا النَّظَرُ فِي الْعَوَاقِبِ، وَهُوَ يُشِيرُ بِالصَّوَابِ، مِنْ أَيْنَ يُقْبَلُ؟) * (٢).

١١ - * (وَقَالَ ابْنُ مُفْلِحٍ (عَنْ أَبِي الْفَرَجِ) : إِنَّمَا فَضِّلَ الْعَقْلُ عَلَى الْحِسِّ بِالنَّظَرِ فِي الْعَوَاقِبِ فَإِنَّ الْحِسَّ لَا يَرَى إِلَّا الْحَاضِرَ، وَالْعَقْلُ يُلَاحِظُ الْآخِرَةَ (٣)

وَيَعْمَلُ عَلَى مَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَقَعَ، فَلَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَغْفَلَ عَنْ تَلَمُّحِ الْعَوَاقِبِ، فَمِنْ ذَلِكَ إِنْ التَّكَاسُلَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَإِثَارَ عَاجِلِ الرَّاحَةِ يُوجِبُ (عِنْدَ النَّظَرِ وَالتَّبَصُّرِ) حَسْرَاتٍ دَائِمَةً لَا تَقِي لَذَّةَ الْبَطَالَةِ بِمِغْشَارِ تِلْكَ الْحَسْرَةِ) * (٤).

١٢ - * (قَالَ ابْنُ مُفْلِحٍ الْمُقَدِّسِيُّ فِي الْفَصْلِ الَّذِي عَقَدَهُ لِلْبَصِيرَةِ (التَّبَصُّرِ) وَالنَّظَرِ فِي الْعَوَاقِبِ : كَانَ مُلُوكُ فَارِسَ يَعْتَبِرُونَ أَحْوَالَ الْحَوَاشِي (الرَّعِيَّةِ) بِإِيْفَادِ التُّخَفِ عَلَى أَيْدِي مُسْتَحْسَنَاتِ الْجَوَارِي، حَتَّى إِذَا أَطَالُوا الْجُلُوسَ، وَدَبَّتْ بَوَادِي الشَّهْوَةِ، قَتَلُوهُمْ، وَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا مُطَالَعَةَ عَقَائِدِ النَّسَاكِ دَسُّوا مَنْ يَتَابِعُهُمْ عَلَى ذِمِّ الدَّوْلَةِ، فَإِذَا أَظْهَرُوا مَا فِي نَفْسِهِمْ اسْتَأْصَلُوهُمْ. قَالَ بَعْضُهُمْ : لِذَلِكَ يَنْبَغِي الْحَذَرُ مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ، وَمَنْ مَخَضَ الرَّأْيَ كَانَتْ زُبْدَتُهُ الصَّوَابُ) * (٥).

١٣ - * (قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَيْضًا : (يَقُولُ الشَّيْطَانُ لِأَعْوَانِهِ) امْنَعُوا ثَغْرَ الْعَيْنِ أَنْ يَكُونَ نَظَرُهُ اعْتِبَارًا، بَلْ اجْعَلُوهُ تَفَرُّجًا وَاسْتِحْسَانًا وَتَلَهِّيًّا، فَإِنْ اسْتَرَقَ (الْبَصَرُ) نَظْرَةَ عِبْرَةٍ فَأَفْسِدُوهَا عَلَيْهِ بِنَظْرَةِ الْغَفْلَةِ وَالِاسْتِحْسَانِ وَالشَّهْوَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ وَأَعْلَقُ بِنَفْسِهِ، وَأَخَفُ عَلَيْهِ، وَعَلَيْكُمْ بِثَغْرِ الْعَيْنِ فَإِنَّكُمْ تَنَالُونَ مِنْهُ بُغْيَتَكُمْ، وَإِنِّي مَا أَفْسَدْتُ بَنِي آدَمَ

(٤) الآداب الشرعية ٢/ ٢٢٩، وقد ذكر أمثلة أخرى عديدة مشابهة.

(٥) المرجع السابق ٢/ ٢٢٩.

(١) صيد الخاطر ص ٤٦٣ - ٤٦٤.

(٢) المرجع السابق ص ٥٢٩.

(٣) الآخرة هنا ما يقع بالآخرة.

عمران / ١٩٠)، وَمِثْلُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ^(٢) وَالثَّانِي
كَقَوْلِهِ: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ (النساء /
٨٢) *^(٣)،^(٤).

١٥- * (وَقَالَ الشَّاعِرُ :

النَّاسُ فِي غَفْلَةٍ وَالْمَوْتُ يُوقِظُهُمْ
وَمَا يُفِيْقُونَ حَتَّى يَنْفَدَ الْعُمُرُ
يُشَيِّعُونَ أَهْلِيهِمْ بِجَمْعِهِمْ

وَيَنْظُرُونَ إِلَى مَا فِيهِ قَدْ قُبِرُوا
وَيَرْجِعُونَ إِلَى أَحْلَامِ غَفْلَتِهِمْ
كَأَنَّهُمْ مَا رَأَوْا شَيْئًا وَلَا نَظَرُوا) *^(٥).
١٦- * (وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الْقُرَشِيُّ :

وَإِذَا نَظَرْتَ تُرِيدُ مُعْتَبَرًا
فَانْظُرْ إِلَيْكَ فَفِيكَ مُعْتَبَرٌ) *^(٦).

بِشَيْءٍ مِثْلِ النَّظَرِ، فَإِنِّي أَبْذُرُ بِهِ فِي الْقَلْبِ بَذَرَ الشَّهْوَةِ،
ثُمَّ أَسْقِيهِ بِمَاءِ الْأُمْنِيَّةِ، ثُمَّ لَا أَزَالُ أَعِدُّهُ وَأُمْنِيَّةً، وَأَقْوَدُهُ
بِزِمَامِ الشَّهْوَةِ إِلَى الانْخِلَاعِ مِنَ الْعِصْمَةِ، فَلَا تُهْمِلُوا
أَمْرَ هَذَا الثَّغْرِ) *^(١).

١٤- * (قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -:
«الرَّبُّ تَعَالَى يَدْعُو عِبَادَهُ فِي الْقُرْآنِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ مِنْ
طَرِيقَيْنِ:

أَحَدُهُمَا : النَّظَرُ فِي مَفْعُولَاتِهِ.
وَالثَّانِي : التَّفَكُّرُ فِي آيَاتِهِ وَتَذَبُّرِهَا.
فَتِلْكَ آيَاتُهُ الْمَشْهُودَةُ، وَهَذِهِ آيَاتُهُ الْمَسْمُوعَةُ
الْمَعْقُولَةُ.

فَالنَّوْءُ الْأَوَّلُ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (آل

من فوائد « النظر والتبصر »

(٣) النَّظَرُ وَالتَّبَصُّرُ وَسِيلَةُ الْإِنْسَانِ الْعَاقِلِ إِلَى
الْيَقِينِ.

(٤) النَّظَرُ وَالتَّبَصُّرُ مِنْ وَسَائِلِ الْعِلْمِ الَّتِي يَهْتَدِي بِهَا
الْإِنْسَانُ إِلَى مَعْرِفَةِ صِدْقِ الرُّسُلِ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ عَنِ
اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -.

(١) فِي النَّظَرِ وَالتَّبَصُّرِ تَنْفِيدٌ لِأَمْرِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -
حَيْثُ أَمَرَ بِذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ عَدِيدَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ^(٧).

(٢) فِي النَّظَرِ فِي عَجَائِبِ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -
مَا يُوَصِّلُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ سُبْحَانَهُ عَنِ افْتِنَاعِ.

(٥) صيد الخاطر ص ١١٦.

(٦) هَذَا أَوَّلُ آيَاتِ سِتَّةَ ذَكَرَهَا ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ التَّفَكُّرِ
وَالاعتبار، ونقلها عنه ابن كثير في تفسيره ٤/ ١١٣.

(٧) انظر الآيات الواردة في الحث على النظر.

(١) الداء والدواء ص ١٨١.

(٢) انظر القسم الخاص بالآيات الواردة في الحث على النظر في
مخلوقات الله - عز وجل -.

(٣) انظر صفة التدبر، ومعرفة الله - عز وجل -.

(٤) الفوائد ص ٣١، ٣٢.

(٥) النَّظَرُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ يَقِي الْإِنْسَانَ مِنْ مَخَاطِرِ
الْعَجَلَةِ وَالْوُقُوعِ فِي الْمَهَالِكِ.

(٦) النَّظَرُ فِي الْأُمُورِ وَالتَّبَصُّرُ فِيهَا يُعَوِّدَانِ الْإِنْسَانَ
عَلَى التَّائِي فَتَأْتِي قَرَارَاتُهُ سَلِيمَةً وَأَفْعَالُهُ مُتَرَنَّةً.

(٧) النَّظَرُ فِي أَحْوَالِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ يُؤَدِّي إِلَى الْإِتْعَازِ
بِأَحْوَالِهِمْ وَيَدْفَعُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - حَتَّى
لَا يُصِيبُنَا مَا أَصَابَهُمْ.

(٨) النَّظَرُ فِي آلَاءِ اللَّهِ وَعَجَائِبِ قُدْرَتِهِ يَدْفَعَانِ الْمَرْءَ

إِلَى التَّصَدِيقِ وَالْإِيمَانِ بِمَا أَعَدَّهُ لِلْمُتَّقِينَ فِي الدَّارِ
الْآخِرَةِ.

(٩) النَّظَرُ وَالتَّبَصُّرُ يَرْتَفِعَانِ بِالْإِنْسَانِ عَنْ دَرَجَةِ
الْحَيَوَانِيَّةِ وَيَرْقِيَانِ بِهِ إِلَى أَعْلَى مَرَاتِبِ الْمَخْلُوقَاتِ.

(١٠) فِي النَّظَرِ اتِّبَاعُ لِسْنَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ، وَمَنْ يُطِعِ
الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ.

(١١) نَظَرُ الْإِنْسَانِ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا
يُؤَدِّي بِهِ إِلَى الرِّضَا وَالْقَنَاعَةِ وَشُكْرِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -

الهجرة

الآيات	الأحاديث	الآثار
٢١	٤٠	٩

الهجرة لغة:

الهِجْرَةُ هِيَ الاسْمُ مِنَ الْهَجَرِ أَوِ الْهِجْرَانِ، وَهِيَ مَاخُودَةٌ مِنْ مَادَّةِ (هـ ج ر) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى مَعْنَيْنِ: الْأَوَّلُ: الْقَطِيعَةُ، وَالْآخَرُ: شِدُّ شَيْءٍ وَرَبْطُهُ^(١). فَمِنْ الْأَوَّلِ؛ أُخِذَ الْهَجْرُ ضِدُّ الْوَصْلِ وَكَذَلِكَ الْهِجْرَانُ، وَقَوْلُهُمْ: هَاجَرَ الْقَوْمُ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ تَرَكُوا الْأَوَّلَى لِلثَّانِيَةِ، كَمَا فَعَلَ الْمُهَاجِرُونَ حِينَ هَاجَرُوا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَقَالَ الرَّاعِبُ: الْمُهَاجِرَةُ فِي الْأَصْلِ: مُصَارَمَةُ الْغَيْرِ وَمُتَارَكَتُهُ، مِنْ قَوْلِهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا﴾ (البقرة/ ٢١٨). وَالْهَجْرُ وَالْهِجْرَانُ مُفَارَقَةُ الْإِنْسَانِ غَيْرُهُ، إِمَّا بِالْبَدَنِ أَوْ بِاللِّسَانِ أَوْ بِالْقَلْبِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ (النساء/ ٣٤) وَهَذَا كِنَايَةٌ عَنْ عَدَمِ قُرْبِهِنَّ (مُفَارَقَةُ الْبَدَنِ) وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان/ ٣٠) فَهَذَا هَجْرٌ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، أَمَّا قَوْلُهُ - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (المزمل/ ١٠) فَيَحْتَمِلُ الثَّلَاثَةَ، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ (المدثر/ ٥) حَثٌّ عَلَى الْمُفَارَقَةِ بِالْوُجُوهِ كُلِّهَا.

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْهَجْرُ ضِدُّ الْوَصْلِ، وَالْمُهَاجِرَةُ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ، تَرَكُ الْأَوَّلَى لِلثَّانِيَةِ، وَالتَّهَاجُرُ: التَّقَاطُعُ، وَالْهَجْرُ أَيْضًا: الْهَذْيَانُ، يُقَالُ مِنْ ذَلِكَ هَجَرَ الْمَرِيضُ يَهْجُرُ هَجْرًا، فَهُوَ هَاجِرٌ، وَالْكَلَامُ مَهْجُورٌ، وَالْهَجْرُ بِالضَّمِّ: الْاسْمُ مِنَ الْإِهْجَارِ، وَهُوَ الْإِفْحَاشُ فِي الْمَنْطِقِ، وَالْحَنَاءُ.

وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: الْهِجْرَةُ وَالْمُهْجَرَةُ: الْخُرُوجُ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ. وَالْمُهَاجِرُونَ: الَّذِينَ ذَهَبُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، مُسْتَقِي مِنْهُ.

وَيُقَالُ: هَجَرَهُ يَهْجُرُهُ هَجْرًا وَهَجْرَانًا: صَرَمَهُ. وَهُمَا يَهْتَجِرَانِ وَيَتَهَاجِرَانِ، وَالْاسْمُ الْهِجْرَةُ. وَتَهَجَّرَ فُلَانٌ أَيْ تَشَبَّهَ بِالْمُهَاجِرِينَ.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: هَاجِرُوا وَلَا تَهَجَّرُوا، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: يَقُولُ أَخْلَصُوا الْهِجْرَةَ لِلَّهِ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْمُهَاجِرِينَ عَلَى غَيْرِ صِحَّةٍ مِنْكُمْ. فَهَذَا هُوَ التَّهَجُّرُ، وَهُوَ كَقَوْلِكَ فُلَانٌ يَتَحَلَّمُ وَلَيْسَ بِحَلِيمٍ، وَيَتَشَجَّعُ أَيْ أَنَّهُ يُظْهِرُ ذَلِكَ وَلَيْسَ فِيهِ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: وَأَصْلُ الْمُهَاجِرَةِ عِنْدَ الْعَرَبِ خُرُوجُ

إِلَى الْأَوَّلِ فَقَالَ: وَالْهَجَارُ حَبْلٌ يَشُدُّ بِهِ الْفَحْلُ فَيَصِيرُ سَبِيًّا لِهَجْرَانِهِ الْإِبِلِ. انظر المفردات للراغب ص (٥٣٧)، ومقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ٣٤).

(١) ذكر ذلك ابن فارس ولم يذكر له مثالا، ويبدو أن المقصود بذلك قولهم: حبل هَجَارٍ للذي يشدُّ به الفحل، وَفَحْلٌ مهجور أي مربوط به، وقد أرجع الراغب هذا المعنى الثاني

الْبَدَوِيِّ مِنْ بَادِيَّتِهِ إِلَى الْمَدِينِ . يُقَالُ : هَاجَرَ الرَّجُلُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مُخْلِ بِمَسْكَنِهِ مُنْتَقِلٌ إِلَى قَوْمٍ آخَرِينَ بِسُكْنَاهُ . فَقَدْ هَاجَرَ قَوْمُهُ . وَسُمِّيَ الْمُهَاجِرُونَ مُهَاجِرِينَ لِأَنَّهُمْ تَرَكُوا دِيَارَهُمْ وَمَسَاكِنَهُمُ الَّتِي نَشَأُوا بِهَا لِلَّهِ . وَلَحِقُوا بِدَارٍ لَيْسَ لَهُمْ بِهَا أَهْلٌ وَلَا مَالٌ حِينَ هَاجَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَكُلُّ مَنْ فَارَقَ بَلَدَهُ مِنْ بَدَوِيٍّ أَوْ حَضَرِيٍّ أَوْ سَكَنَ بَلَدًا آخَرَ ، فَهُوَ مُهَاجِرٌ . قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاجِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ (النساء / ١٠٠) وَكُلُّ مَنْ أَقَامَ مِنَ الْبُوَادِي بِيَوَادِيهِمْ وَمَحَاضِرِهِمْ فِي الْقَيْظِ وَلَمْ يَلْحَقُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يَتَحَوَّلُوا إِلَى أَمْصَارِ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي أُحْدِثَتْ فِي الْإِسْلَامِ وَإِنْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ، فَهُمْ غَيْرُ مُهَاجِرِينَ ، وَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْفَيْءِ نَصِيبٌ وَيُسَمَّوْنَ الْأَعْرَابَ ^(١) .

واصطلاحًا:

هِيَ تَرْكُ الْوَطَنِ الَّذِي بَيْنَ الْكُفَّارِ ، وَالْإِنْتِقَالُ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ ^(٢) .

وَقَالَ الرَّاعِبُ: الْهَجْرَةُ: الْخُرُوجُ مِنْ دَارِ الْكُفْرِ إِلَى دَارِ الْإِيمَانِ كَمَنْ هَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، قِيلَ: وَمُقْتَضَى ذَلِكَ هَجْرَانُ الشَّهَوَاتِ وَالْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ وَالْخَطَايَا وَتَرْكُهَا وَرَفْضُهَا ^(٣) .

وَقَالَ الْكُفَوِيُّ: الْهَجْرَةُ: هَجْرَتَانِ: أُولَاهُمَا: هَجْرَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ إِلَى الْحَبْشَةِ فِرَارًا مِنْ أَدَى

قُرَيْشٍ ، وَثَانِيَّتُهَا: هَجْرَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ وَمَعَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَقَدْ كَانَتْ الْهَجْرَةُ مِنْ فَرَائِضِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ هِجْرَتِهِ ﷺ ، ثُمَّ نُسِخَتْ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ لِقَوْلِهِ ﷺ « لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ » ^(٤) .

أنواع الهجرة:

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: الْهَجْرَةُ هَجْرَتَانِ: إِحْدَاهُمَا الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْجَنَّةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾ (التوبة / ١١١) فَكَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ وَيَدْعُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ ، لَا يَرْجِعُ فِي شَيْءٍ مِنْهُ وَيَنْقَطِعُ بِنَفْسِهِ إِلَى مُهَاجَرِهِ ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْرَهُ أَنْ يَمُوتَ الرَّجُلُ بِالْأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ مِنْهَا ، فَمَنْ ثُمَّ قَالَ: « لَكِنَّ الْبَائِسُ سَعْدُ بْنُ خُوَلَةَ » يَرِثِي لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ . وَقَالَ حِينَ قَدِمَ مَكَّةَ: « اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلَ مَنَايَاَنَا بِهَا » فَلَمَّا فُتِحَتْ مَكَّةَ صَارَتْ دَارَ إِسْلَامٍ كَالْمَدِينَةِ ، وَانْقَطَعَتِ الْهَجْرَةُ .

وَالْهَجْرَةُ الثَّانِيَّةُ: مَنْ هَاجَرَ مِنَ الْأَعْرَابِ وَغَزَا مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَمْ يَفْعَلْ كَمَا فَعَلَ أَصْحَابُ الْهَجْرَةِ الْأُولَى . فَهُوَ مُهَاجِرٌ وَلَيْسَ بِدَاخِلٍ فِي فَضْلِ مَنْ هَاجَرَ تِلْكَ الْهَجْرَةَ وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ « لَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ » فَهَذَا وَجْهُ الْجَمْعِ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ . وَإِذَا أُطْلِقَ فِي الْحَدِيثِ ذِكْرُ الْهَجْرَتَيْنِ فَإِنَّمَا يُرَادُ بِهِمَا هَجْرَةُ الْحَبْشَةِ وَهَجْرَةُ الْمَدِينَةِ ^(٥) .

والتوطن.

(٣) المفردات (٥٣٧).

(٤) الكليات (ص ٦٩٢).

(٥) النهاية لابن الأثير (٥ / ٢٤٤).

(١) الصحاح (٢ / ٨٥١) ، مقاييس اللغة (٦ / ٣٤) ، بصائر

ذوي التمييز (٥ / ٣٠٤) ، مفردات الراغب (٥٣٧) ، لسان

العرب (٥ / ٢٥٠) (ط بيروت).

(٢) التعريفات للجرجاني (٢٥٦) والمراد بالوطن هنا الإقامة

الهجرة إلى الله ورسوله:

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: الْهِجْرَةُ هِجْرَتَانِ: هِجْرَةٌ إِلَى اللَّهِ بِالطَّلَبِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ وَالتَّوَكُّلِ وَالْإِنَابَةِ وَالتَّسْلِيمِ وَالتَّفْوِضِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالْإِقْبَالَ عَلَيْهِ وَصِدْقُ اللَّجَأِ وَالْإِفْتِقَارِ فِي كُلِّ نَفْسٍ إِلَيْهِ. وَهِجْرَةٌ إِلَى رَسُولِهِ ﷺ فِي حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ بِحَيْثُ تَكُونُ مُوَافَقَةً لَشَرْعِهِ الَّذِي هُوَ تَفْصِيلُ مَحَابِّ اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ . وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا

سِوَاهُ، وَكُلُّ عَمَلٍ سِوَاهُ فَعَيْشُ النَّفْسِ وَحَظُّهَا لَا زَادُ الْمَعَادِ^(٢).

[للاستزادة: انظر صفات: الاتباع - الفرار إلى الله - مجاهدة النفس - الولاء والبراء - محاسبة النفس - الرغبة والترغيب - التعارف. وفي ضد ذلك: انظر صفات: اتباع الهوى - موالاته الكفار - الإعراض - التخاذل - التفريط والإفراط].

(٢) طريق المهجرتين لابن القيم (١/ ٢٠).

(١) مسند أحمد (٤/ ٣٨٥) واللفظ له، وعبد بن حميد (٣٠٠)،

وابن ماجه (٢٧٩٤) وروايته مختصرة على سؤاله عن الجهاد.

(٢) البخاري - الفتح ٧ (٤٣٠٥، ٤٣٠٦) واللفظ له. ومسلم

الآيات الواردة في « الهجرة »

هجرة الأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين:

١- وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمُوسَىٰ

إِبْنُ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ

إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾

فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي

مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاهُ مَدْيَنُ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي

أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾

وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً

مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ

أَمْرَاتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي

حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾

فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ

رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾^(١)

٢- وَإِذْ رَهَيْمُ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ

ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾

إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ

إِفْكًا إِنَّا لَنَعْلَمُ عِلْمَ بِلَدِّ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ

وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾

وَأَن تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ

وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾

أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ

يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ

بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ

إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ

تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ

وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ

يَكُونُوا مِنْ رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ

أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ

بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ

يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ

بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ

وَمَا لَكُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾

فَنَامَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي

إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾^(٢)

ثواب المهاجرين:

٣- إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢١٨)

٤- رَبَّنَا إِنَّا أَسْمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنِّي بِبَعْضِكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَلَّزِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَا كُفْرَانَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ

وَلَا ذُخْلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥)

٥- وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٩٦)

٦- الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠٠)

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢٠١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٠٢)

٧- وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ

وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠)

٨- لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧)

٩- وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١)

الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢)

١٠- ثُمَّ إِنِّي رَأَيْتُكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٠)

١١- وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَبِزْنِهِمْ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ (٥٨)

(٧) النحل : ٤١ - ٤٢ مكية

(٨) النحل : ١١٠ مكية

(٤) التوبة : ٢٠ - ٢٢ مدنية

(٥) التوبة : ١٠٠ مدنية

(٦) التوبة : ١١٧ مدنية

(١) البقرة : ٢١٨ مدنية

(٢) آل عمران : ١٩٣ - ١٩٥ مدنية

(٣) النساء : ١٠٠ مدنية

لِيَدْخُلْنَهُمْ مُدْخِلَ يُرْضَوْنَهُ، وَإِنَّ اللَّهَ
لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾^(١)

موالاة المهاجرين ومعاملتهم:

١٢- وَذُؤَالُو تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا
تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَإِنْ تَوَلَّوْا فُخْذُ وَهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ
وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا
وَلَا نَصِيرًا ﴿٥٩﴾

إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ
أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ
أَوْ يَقْتُلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ
فَلَقَتَلُوكُمْ فَإِنْ أَعَزَّ لُوكُمْ فَلَمْ يَقْتُلُوكُمْ وَالْقَوَا
إِلَيْكُمْ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٦٠﴾^(٢)

١٣- إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا
أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
وَلَمْ يَهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ
حَتَّى يَهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ
فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ
مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾^(٣)

١٤- وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ هُمُ
الْمُؤْمِنُونَ حَقَّ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٦٢﴾

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا وَأَمْعَكُمْ
فَأَوْلِيَّكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ
فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾^(٤)

١٥- يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ
وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا
مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي
مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦١﴾

وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى
الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٢﴾^(٥)

١٦- النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ
أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ
فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ
إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا
كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦٦﴾^(٦)

١٧- يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ءَاتَتْ
أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ
عَلَيْكَ وَبَنَاتٍ عَمِكَ وَبَنَاتٍ عَمَّتِكَ
وَبَنَاتٍ خَالَكِ وَبَنَاتٍ خَلَّتِكَ النَّبِيُّ هَاجِرٌ
مَعَكَ وَأَمْرَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ

إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ
مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ^(١)

١٨ - لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ
وَأَمْوَالِهِمْ يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ^(٨)
وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ
مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ
حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ^(٩)
وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا
اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا
بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ
آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ^(١٠) ^(٢)

١٩ - يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَ كُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مِنْهُمْ جَرَّتِ
فَأَمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ
فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهْنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ
وَأَتَوْهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ
إِذَا أَمَّالْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ
وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا ذَلِكَ كُمْ حُكْمُ اللَّهِ
يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ^(١١) ^(٣)

لا عذر عن عدم الهجرة:

٢٠ - إِنْ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا
فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا
أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْتِكَ
مَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ^(١٢)
إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَنِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ^(١٣)
قَالُوا لَيْتِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا
غَفُورًا ^(١٤) ^(٤)

ومن الآيات الواردة في «الهجرة» معنى

هجرة الرسول ﷺ:

٢١ - إِنْ أَنْتُمْ نَصَرْتُمْ فَقَدْ نَصَرْتُمْ اللَّهَ إِذَا أَخْرَجَهُ
الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا
فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنْ
إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ

عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ
كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى
وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ^(١٥)

الأحاديث الواردة في «الهجرة»

١ - * (عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ
تَبِعَكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ؟ قَالَ: «حُرٌّ وَعَبْدٌ». قُلْتُ: مَا
الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «طِيبُ الْكَلَامِ وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ». .
قُلْتُ: مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ «الصَّبْرُ وَالسَّاحَةُ» قَالَ:
قُلْتُ: أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ
مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الْإِيمَانِ أَفْضَلُ؟
قَالَ: «خُلُقٌ حَسَنٌ» قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ؟
قَالَ: «طُولُ الْقُنُوتِ» قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الْهَجْرَةِ أَفْضَلُ؟
قَالَ: «أَنْ تَهْجُرَ مَا هَجَرَ رَبُّكَ - عَزَّ وَجَلَّ -» قَالَ:
قُلْتُ: أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ عَقَرَ جَوَادُهُ،
وَأَهْرَيْقَ دَمَهُ» قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ السَّاعَاتِ
أَفْضَلُ، قَالَ: «جَوْفُ اللَّيْلِ الْآخِرِ» ثُمَّ الصَّلَاةُ مَكْتُوبَةٌ
مَشْهُودَةٌ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ ... الْحَدِيثُ) * (١).

٢ - * (عَنْ مُجَاشِعِ بْنِ مَسْعُودٍ السُّلَمِيِّ - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِأَخِي بَعْدَ الْفَتْحِ فَقُلْتُ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ! جِئْتُكَ بِأَخِي لِتُبَايِعَهُ عَلَى الْهَجْرَةِ. قَالَ:
«ذَهَبَ أَهْلُ الْهَجْرَةِ بِمَا فِيهَا» فَقُلْتُ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ
تُبَايِعُهُ؟ قَالَ «أُبَايِعُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ
وَالْجِهَادِ» * (٢).

٣ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا - قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَبَايَعُكَ
عَلَى الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ، أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ. قَالَ: «فَهَلْ
مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟» قَالَ: نَعَمْ. بَلْ كِلَاهُمَا. قَالَ:
«فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَارْجِعْ
إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا» * (٣).

٤ - * (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -:
أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْهَجْرَةِ فَقَالَ:
«وَيْحَكَ، إِنَّ شَأْنَهَا شَدِيدٌ، فَهَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ تُؤَدِّي
صَدَقَتَهَا؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَاعْمَلْ مِنْ وَرَاءِ الْبَحَارِ،
فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَتْرَكَ» (٤) مِنْ عَمَلِكَ شَيْئًا) * (٥).

٥ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: أَنَّ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ جَاءُوهُ. فَقَالُوا: يَا أَبَا
مُحَمَّدٍ! إِنَّا وَاللَّهِ مَا نَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ لَا نَفْقَهُ وَلَا دَابَّةٍ وَلَا
مَتَاعٍ. فَقَالَ لَهُمْ: إِنْ شِئْتُمْ رَجَعْتُمْ إِلَيْنَا فَأَعْطَيْنَاكُمْ مَا
يَسَّرَ اللَّهُ لَكُمْ، وَإِنْ شِئْتُمْ ذَكَّرْنَا أَمْرَكُمْ لِلسُّلْطَانِ. وَإِنْ
شِئْتُمْ صَبَرْتُمْ. فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ
فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الْأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ
بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا» قَالُوا: فَإِنَّا نَصْبِرُ لَا نَسْأَلُ شَيْئًا) * (٦).

٦ - * (عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

(١) مسند أحمد (٣٨٥/٤) واللفظ له، وعبد بن حميد (٣٠٠)،
وابن ماجه (٢٧٩٤) مختصراً، وأصله عند مسلم.

(٢) البخاري - الفتح ٧ (٤٣٠٥، ٤٣٠٦) واللفظ له. ومسلم
(١٨٦٣).

(٣) البخاري - الفتح ١٠ (٥٩٧٢). ومسلم (٢٥٤٩) واللفظ له.
(٤) يَتْرَكَ: أي يُنْقِصُكَ.

(٥) البخاري - الفتح ٣ (١٤٥٢) واللفظ له. ومسلم (١٨٦٥)
(٦) مسلم (٢٩٧٩).

أَنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ بَعْضُهُمْ:
الهِجْرَةُ قَدْ انْقَطَعَتْ فَاخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ . فَاَنْطَلَقْتُ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ إِنَّ
الهِجْرَةَ قَدْ انْقَطَعَتْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ الْهِجْرَةَ
لَا تَنْقَطِعُ مَا كَانَ الْجِهَادُ »*(١).

٧ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا فَتَحَ حُنَيْنًا قَسَمَ الْغَنَائِمَ فَأَعْطَى
الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ، فَبَلَغَهُ أَنَّ الْأَنْصَارَ يُحِبُّونَ أَنْ يُصِيبُوا
مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَطَبَهُمْ فَحَمِدَ
اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: « يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! أَلَمْ
أَجِدْكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي؟، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ
بِي؟، وَمُتَفَرِّقِينَ فَجَمَعَكُمُ اللَّهُ بِي؟ ». وَيَقُولُونَ: اللَّهُ
وَرَسُولُهُ أَمَنٌ. فَقَالَ: « أَلَا تُحِبُّونِي؟ »، فَقَالُوا: اللَّهُ
وَرَسُولُهُ أَمَنٌ. فَقَالَ: « أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ شِئْتُمْ أَنْ تَقُولُوا
كَذًا وَكَذًا، وَكَانَ مِنَ الْأَمْرِ كَذًا وَكَذًا - لِأَشْيَاءَ عَدَدَهَا
- زَعَمَ عَمْرُو أَنْ لَا يَحْفَظُهَا - . فَقَالَ: أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ
يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْإِبِلِ، وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى
رِحَالِكُمْ، الْأَنْصَارُ شِعَارٌ^(٢) وَالنَّاسُ دِثَارٌ، وَلَوْ لَا الْهِجْرَةُ
لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا
وَشِعْبًا لَسَلَكَتُ وَادِي الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهُمْ »*(٣) * (٤).

٨ - * (عَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ الطُّفَيْلَ
ابْنَ عَمْرِو الدَّؤُسِيِّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ!
هَلْ لَكَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَمَنْعَةٍ^(٥)؟ (قَالَ: حِصْنٌ
كَانَ لِدَوْسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ) فَأَبَى ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ. لِلَّذِي
ذَخَرَ اللَّهُ لِلْأَنْصَارِ. فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ
هَاجَرَ إِلَيْهِ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو. وَهَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنَ
قَوْمِهِ. فَاجْتَوُوا الْمَدِينَةَ^(٦). فَمَرِضَ، فَجَزَعَ، فَأَخَذَ
مَشَاقِصَ^(٧) لَهُ، فَقَطَعَ بِهَا بَرَاجِمَهُ^(٨)، فَشَخَبَتْ يَدَاهُ^(٩)
حَتَّى مَاتَ. فَرَأَاهُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي مَنَامِهِ. فَرَأَاهُ
وَهَيْئَتُهُ حَسَنَةً. وَرَأَاهُ مُغَطِّيًا يَدَيْهِ. فَقَالَ لَهُ: مَا صَنَعَ
بِكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: غَفَرَ لِي بِهَجْرَتِي إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ. فَقَالَ:
مَا لِي أَرَاكَ مُغَطِّيًا يَدَيْكَ؟ قَالَ قِيلَ لِي: لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ
مَا أَفْسَدْتَ. فَقَصَّهَا الطُّفَيْلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « اللَّهُمَّ، وَلِيَدَيْهِ فَاعْفِرْ »*(١٠).

٩ - * (عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ - أَنَّهُ بَكَى طَوِيلًا، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ
إِلَى الْجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ بِكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا؟ قَالَ
فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعَدُّ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ

(٥) منعة: بفتح النون وإسكانها: العزة والامتناع وقيل: منعة
جمع مانع، أي جماعة يمنعوك ممن يقصدك بمكروه.

(٦) فاجتووا المدينة: أي كرهوا المقام بها لضجر ونوع من سقم.

(٧) مشاقص: جمع مشقص وهو سهم فيه نصل عريض.

(٨) براجمه: البراجم مفاصل الأصابع.

(٩) شخبت يده: أي سال دمها.

(١٠) مسلم (١١٦).

(١) الهيثمي في المجمع (٢٥١/٥) وقال: رواه أحمد ورجاله
رجال الصحيح، وهو في أحمد (٦٢/٤، ٣٧٥/٥).

(٢) الشعار: الثوب الذي يلي الجسد، والدثار فوقه.

(٣) معنى الحديث: أن الأنصار هم البطانة والخاصة وألصق
الناس بي من سائر الناس.

(٤) البخاري - الفتح ٧ (٣٧٧٩) من حديث أبي هريرة
ومسلم (١٠٦١) واللفظ له.

ثَلَاثٌ ^(١) لَقَدْ رَأَيْتَنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنِّي، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمَكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ . فَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ . فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلَأُبَايِعَكَ ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ ، قَالَ : فَقَبَضْتُ يَدِي ، قَالَ : « مَا لَكَ يَا عَمْرُو ؟ » قَالَ : قُلْتُ : أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ ، قَالَ : « تَشْتَرِطُ بِمَاذَا ؟ » قُلْتُ : أَنْ يُغْفِرَ لِي ، قَالَ : « أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا ؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ؟ » وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا أَجَلَ فِي عَيْنِي مِنْهُ ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ . وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ ، لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنِي مِنْهُ . وَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا . فَإِذَا أَنَا مِتُّ فَلَا تَصْحَبَنِي نَائِحَةٌ وَلَا نَارٌ . فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَسُونُوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنَاءً ، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنَحِرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا . حَتَّى اسْتَأْنَسَ بِكُمْ ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أَرَا جُعَ بِهِ رُسُلَ رَبِّي) * ^(٢) .

١٠ - * (عَنْ أَبِي فَاطِمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : أَنَّهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! حَدِّثْنِي بِعَمَلٍ أَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ وَأَعْمَلُهُ . قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « عَلَيْكَ بِالْهِجْرَةِ ، فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ

لَهَا ») * ^(٣) .

١١ - * (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ ، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً ، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ فَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَمَكَثَ بِهَا عَشْرَ سِنِينَ ثُمَّ تُوَفِّيَ ﷺ) ^(٤) .

١٢ - * (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِمَقْدَارِ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ ») * ^(٥) .

١٣ - * (عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ ، وَإِنَّمَا لِأَمْرٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ ») * ^(٦) .

١٤ - * (عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : بَلَّغْنَا مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ ، أَنَا وَأَخَوَانِي ، أَنَا أَصْغَرُهُمَا ، أَحَدُهُمَا : أَبُو بُرْدَةَ . وَالْآخَرُ : أَبُو رُهْمٍ . - إِمَّا قَالَ فِي بَضْعٍ وَإِمَّا قَالَ ثَلَاثَةَ وَخَمْسِينَ أَوْ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي - قَالَ : فَرَكِبْنَا سَفِينَةً فَأَلْقَيْنَا سَفِينَتَنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ ، فَوَافَقَنَا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابُهُ عِنْدَهُ ،

(١) كنت على أطباق ثلاث: أي على أحوال ثلاث.

(٢) مسلم (١٢١).

(٣) النسائي (١٤٥/٧) وقال محقق جامع الأصول: إسناده حسن، وأورده السيوطي في الجامع الصغير وصحح إسناده الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٣٩٢٤)، وانظر الصحيحة (١٩٣٧).

(٤) البخاري - الفتح ٧ (٣٨٥١).

(٥) ابن ماجه (٤١٢٣). وحسنه الألباني صحيح ابن ماجه

(٣٣٢٧)، وأصله عند مسلم عن حديث عبدالله بن عمرو.

(٦) البخاري - الفتح ١١ (٦٦٨٩). ومسلم (١٩٠٧) متفق عليه.

فَقَالَ جَعْفَرٌ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَنَا هَاهُنَا، وَأَمَرَنَا بِالْإِقَامَةِ، فَأَقِيمُوا مَعَنَا، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا .
قَالَ: فَوَافَقْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، فَأَسْهَمَ لَنَا. أَوْ قَالَ: أَعْطَانَا مِنْهَا -، وَمَا قَسَمَ لِأَحَدٍ غَابَ عَنْ فَتْحِ خَيْبَرَ مِنْهَا شَيْئًا. إِلَّا لِمَنْ شَهِدَ مَعَهُ. إِلَّا لِأَصْحَابِ سَفِينَتِنَا مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ. قَسَمَ لَهُمْ مَعَهُمْ، قَالَ: فَكَانَ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ لَنَا - يَعْنِي لِأَهْلِ السَّفِينَةِ: نَحْنُ سَبَقْنَاكُمْ بِالْهَجْرَةِ) * (١).

١٥ - * (عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَضَرَمِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ لِلْمُهَاجِرِ بَعْدَ الصَّدْرِ» (٢) * (٣).

١٦ - * (عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: دَخَلْتُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، وَهِيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنَا، عَلَى حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ زَائِرَةً. وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ، فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى حَفْصَةَ، وَأَسْمَاءُ عِنْدَهَا. فَقَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَى أَسْمَاءَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ. قَالَ عُمَرُ: الْحَبَشِيَّةُ هَذِهِ؟ الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ؟ فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: نَعَمْ. فَقَالَ عُمَرُ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهَجْرَةِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكُمْ. فَغَضِبْتُ، وَقَالَتْ كَلِمَةً: كَذَبْتَ. يَا عُمَرُ! كَلَّا وَاللَّهِ! كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعْظُمُ جَاهِلَكُمْ. وَكُنَّا فِي دَارٍ، أَوْ فِي أَرْضِ الْبُعْدَاءِ الْبُغْضَاءِ (٤) فِي الْحَبَشَةِ، وَذَلِكَ فِي اللَّهِ وَفِي رَسُولِهِ، وَائِمْ اللَّهُ، لَا أَطْعِمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرِبُ شَرَابًا حَتَّى أَذْكَرَ مَا قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذِي وَنُخَافُ، وَسَأْذُكُرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَسْأَلُهُ. وَوَاللَّهِ! لَا أَكْذِبُ وَلَا أَزِيغُ وَلَا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ. قَالَ فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! إِنَّ عُمَرَ قَالَ كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلُ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ» قَالَتْ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونِي أَرْسَالًا (٥). يَسْأَلُونِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، مَا مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ وَلَا أَعْظَمُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) * (٦).

١٧ - * (عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي (٧) إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ، يَثْرِبُ، وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أَصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ. ثُمَّ هَزَزْتُهُ أُخْرَى، فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَأَيْتُ فِيهَا أَيْضًا

لأنهم كفار، إلا النجاشي.

(٥) أرسالا: أفواجا.

(٦) البخاري - الفتح ٧ (٤٢٣٠-٤٢٣١). ومسلم (٢٥٠٣) واللفظ له.

(٧) وهلي: أي وهمي واعتقادي.

(١) البخاري - الفتح ٧ (٤٢٣٠). ومسلم (٢٥٠٢) واللفظ له.

(٢) معنى الحديث: أن الإقامة بمكة كانت حراما على من هاجر منها قبل الفتح، لكن أبيع لمن قصدها منهم بحج أو عمرة أن يقيم بعد قضاء نسكه ثلاثة أيام لا يزيد عليها.

(٣) البخاري - الفتح ٧ (٣٩٣٣) واللفظ له، مسلم (١٣٥٢).

(٤) الْبُعْدَاءُ الْبُغْضَاءُ: البعداء في النسب، البغضاء في الدين،

بَقْرًا^(١) ، وَاللَّهُ خَيْرٌ^(٢) ، فَإِذَا هُمُ النَّفَرُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ
أُحُدٍ ، وَإِذَا الْخَيْرُ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ بَعْدُ ، وَثَوَابُ
الصِّدْقِ الَّذِي آتَانَا اللَّهُ بَعْدَ ، يَوْمَ بَدْرٍ^(٣) * .

١٨ - * (عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ^(٤) كَهَجْرَةِ
إِلَيَّ^(٥) » * .

١٩ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ -

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَيُّ
الْهَجْرَةِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : « أَنْ تَهْجُرَ مَا كَرِهَ رَبُّكَ - عَزَّ
وَجَلَّ » وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الْهَجْرَةُ هَجْرَتَانِ : هَجْرَةُ
الْحَاضِرِ وَهَجْرَةُ الْبَادِي . فَأَمَّا الْبَادِي فَيَجِيبُ إِذَا دُعِيَ
وَيُطِيعُ إِذَا أُمِرَ . وَأَمَّا الْحَاضِرُ فَهُوَ أَعْظَمُهَا بَلَاءً
وَأَعْظَمُهَا أَجْرًا^(٦) » * .

٢٠ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ :

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « هَاجَرَ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِسَارَةٍ
فَدَخَلَ بِهَا قَرْيَةً فِيهَا مَلِكٌ مِنَ الْمُلُوكِ ، أَوْ جَبَّارٌ مِنَ
الْجَبَابِرَةِ ، فَقِيلَ : دَخَلَ إِبْرَاهِيمُ بِامْرَأَةٍ هِيَ مِنْ أَحْسَنِ
النِّسَاءِ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ : أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ، مَنْ هَذِهِ الَّتِي

مَعَكَ ؟ قَالَ : أُخْتِي ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ : لَا تُكْذِبِي
حَدِيثِي ، فَإِنِّي أَخْبَرْتُهُمْ أَنَّكَ أُخْتِي ، وَاللَّهِ ، إِنَّ^(٧) عَلَى
الْأَرْضِ مِنْ مُؤْمِنٍ غَيْرِي وَغَيْرِكَ ، فَأَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ ،
فَقَامَ إِلَيْهَا ، فَقَامَتْ تَوَضُّأً وَتُصَلِّي ، فَقَالَتْ : اللَّهُمَّ إِنْ
كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ ، وَأَخَصَنْتُ فَرْجِي^(٨) إِلَّا
عَلَى زَوْجِي ، فَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ الْكَافِرَ . فَعُطِّ^(٩) حَتَّى

رَكَضَ^(١٠) بِرِجْلِهِ . قَالَتْ : اللَّهُمَّ ! إِنْ يَمُتْ يُقَالَ هِيَ
قَتَلَتْهُ . فَأَرْسَلَ ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا ، فَقَامَتْ تَوَضُّأً وَتُصَلِّي ،
وَتَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ ،
وَأَخَصَنْتُ فَرْجِي إِلَّا عَلَى زَوْجِي ، فَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ هَذَا
الْكَافِرَ . فَعُطِّ حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلِهِ . فَقَالَتْ : اللَّهُمَّ ! إِنْ
يَمُتْ فَيُقَالَ هِيَ قَتَلَتْهُ . فَأَرْسَلَ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي
الثَّالِثَةِ . فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَرْسَلْتُمْ إِلَيَّ إِلَّا شَيْطَانًا . أَرْجِعُوهَا
إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَعْطُوهَا أَجْرَ^(١١) . فَرَجَعَتْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ -
عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَالَتْ : أَشَعَرْتَ أَنَّ اللَّهَ كَبَتَ^(١٢) الْكَافِرَ
وَأَخَذَ وَلِيدَةً^(١٣) » * .

٢١ - * (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -

قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ افْتَتَحَ مَكَّةَ : « لَا هَجْرَةَ^(١٤)

(٨) أَخَصَنْتُ : مَنَعْتُ .

(٩) عُطِّ : مِنَ الْغَطِيطِ وَهُوَ صَوْتُ يَخْرُجُ مَعَ نَفْسِ النَّائِمِ .

(١٠) رَكَضَ : أَيُّ ضَرْبِ بَرَجْلِهِ .

(١١) أَجَرَ : وَفِي رِوَايَةِ هَاجَرَ .

(١٢) كَبَتَ الْكَافِرَ : أَيُّ أَخْزَاهُ أَوْ أَحْزَنَهُ .

(١٣) الْبُخَارِيُّ الْفَتْحَ ٤ (٢٢١٧) وَاللَّفْظُ لَهُ . وَمُسْلِمٌ (٢٣٧١) .

(١٤) لَا هَجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ : أَيُّ لَا هَجْرَةَ مِنْ مَكَّةَ لِأَنَّهَا صَارَتْ

دَارَ إِسْلَامٍ . وَأَمَّا الْهَجْرَةُ مِنْ دَارِ الْحَرْبِ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ

فَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

(١) جَاءَ فِي غَيْرِ مُسْلِمٍ : وَرَأَيْتُ بَقْرًا تَنْحَرُ ، وَبِهَذِهِ الزِّيَادَةِ يَتِمُّ

تَأْوِيلُ الرُّوْيَا بِمَا ذَكَرَ . فَنَحَرَ الْبَقْرَ هُوَ قَتْلُ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُمْ - الَّذِينَ قَتَلُوا بِأَحَدٍ .

(٢) قَالَ الْقَاضِي : قَالَ أَكْثَرُ شُرَاحِ الْحَدِيثِ مَعْنَاهُ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ .

(٣) الْبُخَارِيُّ - الْفَتْحَ ٦ (٣٦٢٢) . وَمُسْلِمٌ (٢٢٧٢) وَاللَّفْظُ لَهُ

(٤) الْمُرَادُ بِالْهَرَجِ : الْفِتْنَةُ وَاخْتِلَافُ أُمُورِ النَّاسِ .

(٥) مُسْلِمٌ (٢٩٤٨) .

(٦) النَّسَائِيُّ (١٤٤ / ٧) وَاللَّفْظُ لَهُ وَقَالَ مُحَقِّقُ جَامِعِ الْأَصُولِ

(٦٠٨ / ١١) : حَدِيثٌ حَسَنٌ .

(٧) إِنَّ هُنَا نَافِيَةً : أَيُّ مَا عَلَى الْأَرْضِ ... إلخ .

وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ ، وَإِذَا اسْتَنْفِرْتُمْ فَاَنْفِرُوا ، فَإِنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، لَا يُعْضَدُ^(١) شَوْكُهُ وَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهُ ، وَلَا يُلْتَقِطُ لُقْطَتُهُ إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا ، وَلَا يُجْتَنَى خَلَاهَا^(٢) » قَالَ الْعَبَّاسُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِلَّا الْإِذْخَرُ^(٣) فَإِنَّهُ لِقَيْنِهِمْ^(٤) وَلِيُوتِيَهُمْ . قَالَ : قَالَ « إِلَّا الْإِذْخَرُ » *^(٥) .

٢٢ - * (عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : « قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ فَنَزَلَ أَعْلَى الْمَدِينَةِ فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ : بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، فَأَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَبُو بَكْرٍ رَدْفُهُ وَمَلَأَ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ ، حَتَّى أَلْقَى بِفَنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ حَيْثُ أَدْرَكَتُهُ الصَّلَاةُ وَيُصَلِّيَ فِي مَرَابِضِ^(٦) الْغَنَمِ ، وَأَنَّهُ أَمَرَ بِنَاءَ الْمَسْجِدِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ فَقَالَ : « يَا بَنِي النَّجَّارِ ! ثَامِنُونِي^(٧) بِحَائِطِكُمْ هَذَا » قَالُوا : لَا وَاللَّهِ ، لَا نَطْلُبُ

ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ . فَقَالَ أَنَسٌ : فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ : قُبُورُ الْمُشْرِكِينَ ، وَفِيهِ خَرْبٌ^(٨) ، وَفِيهِ نَخْلٌ . فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَنُشِثَتْ ، ثُمَّ بِالْخَرْبِ فَسَوِّيتٌ ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ . فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ ، وَجَعَلُوا عِضَادَتِيهِ^(٩) الْحِجَارَةَ ، وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخَرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ ، وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ وَهُوَ يَقُولُ :

اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ

فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ *^(١٠) .
٢٣ - * (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ ثُمَّ أَمَرَ بِالْهَجْرَةِ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ (الإسراء / ٨٠ مكية) *^(١١) .
٢٤ - * (عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُنِي عَامَ حَجَّةِ الْوُدَّاعِ مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي ، فَقُلْتُ : إِنِّي قَدْ بَلَغَ بِي مِنَ الْوَجَعِ وَأَنَا ذُو مَالٍ ، وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلْثِي مَالِي ؟ قَالَ : « لَا » . فَقُلْتُ : بِالسَّطْرِ ؟ فَقَالَ : « لَا » .

كالمساومة.

(٨) خرب: هي جمع خربة.

(٩) عِضَادَتِيهِ: هما خشبتان منصوبتان مثبتتان في الحائط على جانبيه.

(١٠) البخاري - الفتح ١ (٤٢٨) واللفظ له. ومسلم ٣ (١٨٠٥)

(١١) الترمذي (٣١٣٩) وقال: حديث حسن صحيح. وأحمد

في المسند (١/ ٢٢٣ برقم ١٩٥٣) واللفظ له، وقال الشيخ

أحمد شاكر: إسناده صحيح (٣/ ٢٩١ برقم ١٩٤٨).

(١) لا يعضد: لا يقطع .

(٢) الخلا: الرطب من النبات واختلاؤه قطعه واحتشاشه.

(٣) الإذخر: نبات عشبي له رائحة عطرة .

(٤) لِقَيْنِهِمْ: القَيْن: الحداد. وقال الطبري: القين عند العرب كل ذي صناعة يعالجها بنفسه.

(٥) البخاري الفتح ٤ (١٨٣٤) واللفظ له. ومسلم (١٣٥٣).

(٦) مرابض الغنم: هي جمع مريض بكسر الباء أي أماكن بولها وإيعارها.

(٧) ثامنوني: اذكروا لي ثمنه لأذكر لكم الثمن الذي أختاره

ثُمَّ قَالَ: «الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَبِيرٌ - أَوْ كَثِيرٌ -، إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ»^(١)، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، إِلَّا أَجَرْتَ بِهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْلَفُ بَعْدَ أَصْحَابِي؟ قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تُخْلَفَ»^(٢)، فَتَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا إِلَّا أَزْدَدَتْ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً، ثُمَّ لَعَلَّكَ أَنْ تُخْلَفَ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ، اللَّهُمَّ أَمُضْ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ، وَلَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ، لَكِنَّ الْبَائِسُ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ، يَرِثُنِي^(٣) لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ»^(٤).

٢٥- * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: كَانَتْ الْمُؤْمِنَاتُ، إِذَا هَاجَرْنَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَمْتَحِنُهُنَّ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ﴾ (المتحنة/ ٢٠ مدنية) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا الشَّرْطِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ فَقَدْ أَقَرَّ بِالْمِحْنَةِ^(٥)، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا أَقْرَزَ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِنَّ. قَالَ لَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انْطَلِقْنَ فَقَدْ بَايَعْتُكُنَّ» لَا وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ، غَيْرَ أَنَّهُ بَايَعَهُنَّ

بِالْكَلَامِ، وَاللَّهُ مَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى النِّسَاءِ إِلَّا بِمَا أَمَرَ اللَّهُ، يَقُولُ لَهُنَّ، إِذَا أَخَذَ عَلَيْهِنَّ: «قَدْ بَايَعْتُكُنَّ» (كَلَامًا) *^(٦).

٢٦- * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا حِينَ طَلَعَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَيَأْتِي أَنْاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ نُورُهُمْ كَضَوْءِ الشَّمْسِ». قُلْنَا: مَنْ أُولَئِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ، الَّذِينَ تُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارَةُ، يَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ، يُحْشَرُونَ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ»^(٧).

٢٧- * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّعْدِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ مَا دَامَ الْعَدُوُّ يُقَاتِلُ». فَقَالَ مُعَاوِيَةُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْهَجْرَةَ خَصْلَتَانِ، إِحْدَاهُمَا أَنْ تَهْجُرَ السَّيِّئَاتِ، وَالْآخَرَى أَنْ تُهَاجِرَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَلَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ مَا تُقْبِلَتِ التَّوْبَةُ، وَلَا تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنَ الْمَغْرِبِ، فَإِذَا طَلَعَتْ طُبِعَ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ، وَكُفِيَ النَّاسُ

(١) يتكففون الناس: أي يسألون الناس بمد أكفهم إليهم.

(٢) إنك لن تخلف: المراد بالتخلف طول العمر والبقاء في الحياة بعد أصحابه.

(٣) يرثي له: يتوَجَّع له ويرق له لكونه مات بمكة. وقيل: إن القائل يرثي له... الخ. هو الزهري، وراجع ابن حجر في شرح هذا الحديث (٣/١٩٦/١٩٧).

(٤) البخاري - الفتح ٣ (١٢٩٥) واللفظ له. ومسلم (١٦٢٨)

(٥) أقر بالمحنة: أي بايع البيعة الشرعية.

(٦) البخاري - الفتح ٩ (٥٢٨٨) واللفظ له. ومسلم (١٨٦٦)

(٧) أحمد في المسند (٢/١٧٧ برقم ٦٦٥٩) واللفظ له، وقال

الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (١٠/١٣٦ برقم

٦٦٥٠). والهيثمى في المجمع ١٠ (٢٥٨، ٢٥٩) وقال:

رواه أحمد والطبراني في الأوسط وله في الكبير أسانيد رجال

أحدها رجال الصحيح.

الْعَمَلُ»*)^(١).

٢٨- * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ: لَمَّا قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ الْمَدِينَةَ مِنْ مَكَّةَ، وَلَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ - يَعْنِي شَيْئًا، وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ أَهْلَ الْأَرْضِ وَالْعَقَارِ، فَقَاسَمَهُمُ الْأَنْصَارُ عَلَى أَنْ يُعْطُوهُمْ ثَمَارَ أَمْوَالِهِمْ كُلَّ عَامٍ، وَيُكْفُوهُمْ الْعَمَلَ وَالْمُؤْنَةَ، وَكَانَتْ أُمُّهُ، أُمُّ أَنَسٍ، أُمُّ سُلَيْمٍ، كَانَتْ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، فَكَانَتْ أَعْطَتْ أُمُّ أَنَسٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عِذَاقًا^(٢).

فَأَعْطَاهُنَّ النَّبِيُّ ﷺ أُمُّ أَيْمَنَ مَوْلَاتِهِ أُمُّ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا فَرَغَ مِنْ قِتَالِ أَهْلِ خَيْبَرَ، فَانْصَرَفَ إِلَى الْمَدِينَةِ، رَدَّ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى الْأَنْصَارِ مَنَائِحَهُمْ^(٣) - مِنْ ثَمَارِهِمْ - فَرَدَّ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أُمِّهِ عِذَاقَهَا، فَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُمُّ أَيْمَنَ مَكَائِنَهُنَّ مِنْ حَائِطِهِ^(٤)*)^(٥).

٢٩- * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ -

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»*)^(٦).

٣٠- * (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قَالَ: هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ مِنَ الْيَمَنِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَجَرْتَ الشِّرْكَ، وَلَكِنَّهُ الْجِهَادُ، هَلْ بِالْيَمَنِ أَبَوَاكَ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «أَذِنَا لَكَ؟» قَالَ: لَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ارْجِعْ إِلَى أَبَوَيْكَ فَإِنْ فَعَلَا وَإِلَّا فَبِرَّهُمَا»*)^(٧).

٣١- * (عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ - رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرَبُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا^(٨)، وَلَا يُؤْمِنَنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يَقْعُدُ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ^(٩) إِلَّا بِإِذْنِهِ»*)^(١٠).

٣٢- * (عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا. قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ،

(٤) من حائطه: أي من بستانه.

(٥) البخاري - الفتح ٥ (٢٦٣٠) واللفظ له. ومسلم (١٧٧١)

(٦) البخاري - الفتح ١١ (٦٤٨٤) واللفظ له. ومسلم (٤٠).

(٧) الهيثمي في المجمع (٨/ ١٣٨) وقال: رواه أحمد وإسناده حسن.

(٨) سلما: أي إسلاما.

(٩) تكريمته: التكرمة الفراش ونحوه.

(١٠) مسلم (٦٧٣).

(١) أحمد في المسند (١/ ١٩٢ برقم ١٦٧٦) واللفظ له وقال

الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (٣/ ١٣٣، ١٣٤)

برقم ١٦٧١). والهيثمي في المجمع (٥/ ٢٥٠، ٢٥١)

وقال: رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ بَعْضَ حَدِيثٍ مُعَاوِيَةَ، رَوَاهُ

أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَالصَّغِيرِ مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ حَدِيثِ

ابن السعدي.

(٢) العذاق: جمع عذق وهي النخلة.

(٣) منائحهم: جمع منيحة والمنيحة هي المنحة.

قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ، أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاطِبُ ابْنِ أَبِي

بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ. فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بَيْتًا وَأَنَا غُيُورٌ. فَقَالَ: «أَمَّا ابْنَتُهَا فَادْعُوا اللَّهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا. وَادْعُوا اللَّهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ» * (١).

الأحاديث الواردة في «الهجرة» معنى

٣٣- * (عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى النَّجَاشِيِّ، وَنَحْنُ نَحْوُ مِنْ ثَمَانِينَ رَجُلًا، فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَجَعْفَرٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَرْفُطَةَ، وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، وَأَبُو مُوسَى. فَأَتَوْا النَّجَاشِيَّ، وَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ، وَعُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ، بِهَدِيَّةٍ، فَلَمَّا دَخَلَا عَلَى النَّجَاشِيِّ، سَجَدَا لَهُ، ثُمَّ ابْتَدَرَاهُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَا لَهُ: إِنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي عَمَّنَا نَزَلُوا أَرْضَكَ، وَرَغِبُوا عَنَّا وَعَنْ مِلَّتِنَا، قَالَ: فَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ فِي أَرْضِكَ فَأَبْعَثْ إِلَيْهِمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ جَعْفَرٌ: أَنَا خَطِيبُكُمْ الْيَوْمَ، فَاتَّبِعُوهُ، فَسَلِّمُوا، وَلَمْ يَسْجُدْ، فَقَالُوا لَهُ: مَا لَكَ لَا تَسْجُدُ لِلْمَلِكِ؟ قَالَ: إِنَّا لَا نَسْجُدُ إِلَّا لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - . قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - بَعَثَ إِلَيْنَا رَسُولَهُ ﷺ، وَأَمَرَنَا أَنْ لَا نَسْجُدَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: فَإِنَّهُمْ يُخَالِفُونَكَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ. قَالَ: مَا

تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأُمِّهِ؟ قَالُوا: نَقُولُ كَمَا قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ وَرُوحُهُ أَلْقَاهَا إِلَى الْعَذْرَاءِ الْبُتُولِ الَّتِي لَمْ يَمَسَّهَا بَشَرٌ، وَلَمْ يَفْرِضْهَا وَلَدٌ (٢). قَالَ: فَرَفَعَ عُودًا مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْحَبَشَةِ وَالْقِسِّيِّينَ وَالرُّهْبَانَ، وَاللَّهُ مَا يَزِيدُونَ عَلَى الَّذِي نَقُولُ فِيهِ مَا يَسُوءُ هَذَا، مَرْحَبًا بِكُمْ وَبِمَنْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِهِ، أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنَّهُ الَّذِي نَجِدُ فِي الْإِنْجِيلِ، وَإِنَّهُ الرَّسُولُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، انْزِلُوا حَيْثُ شِئْتُمْ، وَاللَّهُ لَوَلَا مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الْمُلْكِ لَا تَنْتَبِهُ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَحْمَلُ نَعْلَيْهِ وَأَوْضِيئُهُ. وَأَمَرَ بِهَدِيَّةِ الْآخَرِينَ فَرَدَّتْ إِلَيْهِمَا، ثُمَّ تَعَجَّلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَدْرَكَ بَدْرًا، وَزَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَغْفَرَ لَهُ حِينَ بَلَغَهُ مَوْتُهُ) * (٣).

٣٤ - * (عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ مَكَّةَ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلَ مِنَايَا بِهَا حَتَّى تُخْرِجَنَا مِنْهَا» * (٤) * (٥).

(١) مسلم (٩١٨).

(٢) ولم يفرضها ولد: أي لم يؤثر فيها ولم يحزها قبل المسيح عليه السلام. والفرض: الحز في الشيء والقطع.

(٣) أحمد في المسند (١/٤٦١ برقم ٤٣٩٩) وقال الشيخ أحمد

شاكراً: إسناده حسن، (١٨٦/٦ برقم ٤٤٠٠).

(٤) المعنى: أنه ﷺ كان يكره أن يموت هو أو أحد من المهاجرين بمكة حتى تثبت لهم هجرتهم.

(٥) أحمد في المسند (٢/٢٥ برقم ٤٧٧٧) وقال الشيخ أحمد =

٣٥- * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّهَا قَالَتْ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَعَكَ^(١) أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ، قَالَتْ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمَا، فَقُلْتُ: يَا أَبَتُ! كَيْفَ تَجِدُكَ؟ وَيَا بِلَالُ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَتْ: فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ

إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَّى يَقُولُ:

كُلُّ أَمْرٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ

وَالْمَوْتُ أَذْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ.)*^(٢).

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في «الهجرة»

٣٦- * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: أَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهُوَ مُرْدِفٌ أَبَا بَكْرٍ، وَأَبُو بَكْرٍ شَيْخٌ يُعْرِفُ، وَنَبِيُّ اللَّهِ ﷺ شَابٌّ لَا يُعْرِفُ. قَالَ: فَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَا بَكْرٍ فَيَقُولُ: يَا أَبَا بَكْرٍ! مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ؟ فَيَقُولُ: هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ، قَالَ فَيَحْسِبُ الْحَاسِبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي الطَّرِيقَ، وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الْخَيْرِ. فَالْتَفَتَ أَبُو بَكْرٍ فَإِذَا هُوَ بِفَارِسٍ قَدْ لَحِقَهُمْ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَذَا فَارِسٌ قَدْ لَحِقَ بِنَا، فَالْتَفَتَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اصْرَعْهُ فَصْرَعَهُ الْفَرَسُ، ثُمَّ قَامَتْ تُحْمِحُهُمْ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مُرْنِي بِمَا شِئْتَ. قَالَ: فَقِفْ مَكَانَكَ، لَا تَتْرُكَنَّ أَحَدًا يَلْحَقُ بِنَا. قَالَ: فَكَانَ أَوَّلَ النَّهَارِ جَاهِدًا عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ آخِرَ النَّهَارِ مَسْلَحَةً^(٣) لَهُ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَانِبَ الْحَرَّةِ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى الْأَنْصَارِ، فَجَاءُوا إِلَى

نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِمَا، وَقَالُوا: ارْكَبَا آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ. فَارْكَبَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَحَفُّوا دُونَهُمَا بِالسَّلَاحِ، فَقِيلَ فِي الْمَدِينَةِ: جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، فَأَشْرَفُوا يَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ. فَأَقْبَلَ يَسِيرُ حَتَّى نَزَلَ جَانِبَ دَارِ أَبِي أَيُّوبَ، فَإِنَّهُ لِيُحَدِّثُ أَهْلَهُ إِذْ سَمِعَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ وَهُوَ فِي نَخْلٍ لِأَهْلِهِ يَخْتَرِفُ^(٤) لَهُمْ، فَعَجَلَ أَنْ يَضَعَ الَّذِي يَخْتَرِفُ لَهُمْ فِيهَا، فَجَاءَ وَهِيَ مَعَهُ، فَسَمِعَ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ بُيُوتِ أَهْلِنَا أَقْرَبُ؟» فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: أَنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ، هَذِهِ دَارِي وَهَذَا بَابِي. قَالَ فَاَنْطَلَقَ فَهَيَّءَ لَنَا مَقِيلًا^(٥). قَالَ: قَوْمًا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ. فَلَمَّا جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَّكَ جِئْتَ بِحَقٍّ. وَقَدْ عَلِمْتُ يَهُودَ أَنِّي سَيِّدُهُمْ وَابْنُ سَيِّدِهِمْ وَأَعْلَمُهُمْ وَابْنُ

(٢) البخاري - الفتح ٧ (٣٩٢٦).

(٣) مسلحة: المسلحة القوم الذين يحفظون الثغور من العدو.

(٤) يخترف: يجتني الثمار.

(٥) مقيلًا: أي مكانًا تقع فيه القيلولة.

= شاكر: إسناده صحيح (٩/٧ برقم ٤٧٧٨) وهو في

مجمع الزوائد (٢٥٣/٥) وقال: رواه أحمد والبخاري ورجال أحمد رجال الصحيح.

(١) وعك: بالبناء للمجهول - أي أصابه الوعك وهي الحمى،

قاله ابن حجر في الفتح (٣٠٨/٧).

أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى جَعَلَ الْإِمَاءُ يَقْلَنَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَمَا قَدِمَ حَتَّى قَرَأْتُ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (الأعلى / ١) فِي سُورِ مِنَ الْمَفْصَلِ ﴿٣﴾.

٣٨- * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: هَاجَرَ إِلَى الْحَبْشَةِ رَجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَوْ تَرْجُوهُ بِأَبِي أَنْتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ». فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ لِصُحْبَتِهِ وَعَلَفَ رَاِحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمْرِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ. قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِنَا فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُقْبِلًا مُتَقَنَّعًا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَا لَكَ بِأَبِي وَأُمِّي. وَاللَّهِ إِنْ جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا لِأَمْرٍ. فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ فَقَالَ حِينَ دَخَلَ لِأَبِي بَكْرٍ: أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ. قَالَ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ^(٤) بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، قَالَ: فَالْصُّحْبَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: نَعَمْ. قَالَ فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِحْدَى رَاِحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بِالثَّمَنِ. قَالَتْ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحْتَّ^(٥) الْجِهَازَ، وَوَضَعْنَاهُمَا سُفْرَةً^(٦)

أَعْلَمِهِمْ، فَادْعُهُمْ فَاسْأَلُهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، فَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، قَالُوا فِيَّ مَا لَيْسَ فِيَّ. فَأَرْسَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلُوا فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ! وَيَلَكُمْ اتَّقُوا اللَّهَ، فَإِنَّ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقٍّ، فَاسْلِمُوا». قَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ - قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَارٍ - قَالَ: «فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ؟» قَالُوا: ذَاكَ سَيِّدُنَا، وَابْنُ سَيِّدِنَا، وَأَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا. قَالَ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟» قَالُوا: حَاشَا لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ. قَالَ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟» قَالُوا: حَاشَا لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ. قَالَ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟» قَالُوا: حَاشَا لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ. قَالَ: «يَا ابْنَ سَلَامٍ، اخْرُجْ عَلَيْهِمْ فَخَرَجَ» فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، اتَّقُوا اللَّهَ، فَإِنَّ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ. فَقَالُوا: كَذَبْتَ، فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿١﴾.

٣٧- * (عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَكَانُوا يَقْرَأُونَ^(٢) النَّاسَ، فَقَدِمَ بِلَالٌ وَسَعْدُ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، ثُمَّ قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عَشْرِينَ مِنْ أَصْحَابِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ فَمَا رَأَيْتُ

(١) البخاري - الفتح ٧ (٣٩١١).

(٣) البخاري الفتح ٧ (٣٩٢٥).

(٤) أهلك: أي زوجته عائشة رضي الله عنها.

(٥) أحت الجهاز: أي أسرع.

(٦) السفرة: طعام يتخذ لمسافر.

(٢) وكانوا يقرئون الناس: هكذا وردت. ووجهها ابن حجر على

أن أقل الجمع اثنان، وإما على أن من كان يقرأ بأنه كان يقرأ معها أيضًا. وفي رواية الأصيلي وكريمة «فكانا يقرئان الناس» قال ابن حجر: وهو أوجه. راجع فتح الباري

فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا فَأَوْكَاتُ^(١) بِهِ الْجِرَابَ - وَلِذَلِكَ كَانَتْ تُسَمَّى ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ - ثُمَّ لَحِقَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ ثَوْرٌ، فَمَكَثَ فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ - وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ لَقِنٌ ثَقِفٌ^(٢) فَيَرْحُلُ مِنْ عِنْدِهِمَا سَحَرًا فَيُصْبِحُ مِنْ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ، وَيَرَعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ، فَيَسْتَانِ فِي رِسْلِهِمَا حَتَّى يَنْعَقَ بِهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ^(٣). يَفْعَلُ ذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ^(٤) *.

٣٩ - * (عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: جَاءَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِلَى أَبِي فِي مَنْزِلِهِ فَاشْتَرَى مِنْهُ رَحْلاً، فَقَالَ لِعَازِبٍ: ابْعَثْ ابْنَكَ يَحْمِلْهُ مَعِيَ، قَالَ فَحَمَلْتُهُ مَعَهُ، وَخَرَجَ أَبِي يَنْتَقِدُ ثَمَنَهُ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا أَبَا بَكْرٍ، حَدِّثْنِي كَيْفَ صَنَعْتُمَا حِينَ سَرَيْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا وَمِنْ الْغَدِ حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ، وَخَلَا الطَّرِيقُ لَا يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ، فَرَفَعْتُ لَنَا صَخْرَةً طَوِيلَةً لَهَا ظِلٌّ لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ فَزَلْنَا عِنْدَهُ، وَسَوَّيْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَكَانًا بِيَدَيَّ يَنَامُ عَلَيْهِ، وَبَسَطْتُ عَلَيْهِ فَرْوَةً وَقُلْتُ لَهُ: نَمْ

يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَأَنَا أَنْفُضُ لَكَ مَا حَوْلَكَ. فَنَامَ وَخَرَجْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِرَاعٍ مُقْبِلٍ بِغَنَمِهِ إِلَى الصَّخْرَةِ يُرِيدُ مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي أَرَدْنَا. فَقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ؟ فَقَالَ: لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ - أَوْ مَكَّةَ - قُلْتُ: أَفِي غَنَمِكَ لَبَنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: أَفَتَحْلِبُ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَأَخَذَ شَاةً، فَقُلْتُ: أَنْفُضِ الضَّرْعَ مِنَ التُّرَابِ وَالشَّعْرِ وَالْقَذَى. قَالَ: فَرَأَيْتُ الْبَرَاءَ يَضْرِبُ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى يَنْفُضُ. فَحَلَبَ فِي قَعْبٍ^(٥) كُثْبَةً^(٦) مِنْ لَبَنٍ، وَمَعِيَ إِدَاوَةٌ حَمَلْتُهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ يَرْتَوِي مِنْهَا يَشْرَبُ وَيَتَوَضَّأُ. فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُ، فَوَافَقْتُهُ حِينَ اسْتَيْقَظَ، فَصَبَبْتُ مِنَ الْمَاءِ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ. فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيْتُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّحِيلِ: قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: فَارْتَحِلْنَا بَعْدَ مَا مَالَتِ الشَّمْسُ، وَاتَّبَعْنَا سُرَاقَةَ بْنَ مَالِكٍ، فَقُلْتُ: أَتَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: لَا تَحْزَنْ، إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا. فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَارْتَطَمَتْ بِهِ فَرْسُهُ إِلَى بَطْنِهَا - أَرَى فِي جِلْدٍ مِنَ الْأَرْضِ^(٧)، (شَكَّ زُهَيْرٌ) - فَقَالَ: إِنِّي أَرَاكُمْ قَدْ دَعَوْتُمَا عَلِيَّ، فَادْعُوا لِي، فَاللَّهُ لَكُمْ أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ. فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَجَعَلَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَالَ: كَفَيْتُكُمْ مَا هُنَا، فَلَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا رَدَّهُ، قَالَ: وَوَفَى لَنَا^(٨) *.

٤٠ - * (عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبَاحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(٦) كُثْبَةٌ: هِيَ حَلْبَةٌ خَفِيفَةٌ وَيَطْلُقُ عَلَى الْقَلِيلِ مِنَ الْمَاءِ وَاللَّبَنِ وَعَلَى الْجُرْعَةِ تَبْقَى فِي الْإِنَاءِ وَعَلَى الْقَلِيلِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ كُلِّ مَجْتَمَعٍ.
(٧) جِلْدٌ مِنَ الْأَرْضِ: أَيُّ أَرْضٍ صَلْبَةٍ.
(٨) الْبُخَارِيُّ - الْفَتْحُ ٦ (٣٦١٥) وَاللَّفْظُ لَهُ. وَمُسْلِمٌ (٢٠٠٩).

(١) فَأَوْكَاتٌ: مِنَ الْوُكَاءِ وَهُوَ مَا يَشُدُّ بِهِ الْكَيْسُ.
(٢) رَجُلٌ لَقِنٌ ثَقِفٌ: إِذَا كَانَ ضَابِطًا لَمَّا يَجُوه قَائِمًا بِهِ.
(٣) الْغَلَسُ: ظِلَامٌ آخِرُ اللَّيْلِ إِذَا اخْتَلَطَ بِضُوءِ الصَّبَاحِ.
(٤) الْبُخَارِيُّ الْفَتْحُ ١٠ (٥٨٠٧).
(٥) قَعْبٌ: هُوَ الْقَدَحُ الضَّخْمُ الْغَلِيزُ وَالْجَمْعُ قُعَابٌ وَأَقْعَبٌ.

- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: وَفَدَتْ وَفُودٌ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ ، فَكَانَ يَصْنَعُ بَعْضُنَا لِبَعْضِ الطَّعَامِ ، فَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَدْعُونَا إِلَى رَحْلِهِ ، فَقُلْتُ: أَلَا أَصْنَعُ طَعَامًا فَأَدْعُوهُمْ إِلَى رَحْلِي ؟ فَأَمَرْتُ بِطَعَامٍ يُصْنَعُ ، ثُمَّ لَقِيتُ أَبَا هُرَيْرَةَ مِنَ الْعِشِيِّ . فَقُلْتُ: الدَّعْوَةُ عِنْدِي اللَّيْلَةَ . فَقَالَ: سَبَقْتَنِي . قُلْتُ: نَعَمْ . فَدَعَوْتُهُمْ . فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَلَا أُعَلِّمُكُمْ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِكُمْ ؟ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! ثُمَّ ذَكَرَ فَتَحَ مَكَّةَ . فَقَالَ: أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ . فَبَعَثَ الزُّبَيْرَ عَلَى إِحْدَى الْمُجَنَّبَتَيْنِ^(١) ، وَبَعَثَ خَالِدًا عَلَى الْمُجَنَّبَةِ الْأُخْرَى ، وَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى الْحُسَرِ^(٢) . فَأَخَذُوا بَطْنَ الْوَادِي وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي كَتِيبَةٍ . قَالَ: فَنَظَرَ فَرَّانِي ، فَقَالَ: «أَبُو هُرَيْرَةَ؟» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ: «لَا يَأْتِينِي إِلَّا أَنْصَارِي» فَقَالَ: «اهْتَفِ لِي بِالْأَنْصَارِ» قَالَ: فَأَطَاعُوا بِهِ . وَوَبَّشَتْ قُرَيْشٌ أَوْبَاشًا لَهَا^(٣) وَأَتْبَاعًا . فَقَالُوا: نُقَدِّمُ هَؤُلَاءِ . فَإِنْ كَانَ لَهُمْ شَيْءٌ كُنَّا مَعَهُمْ . وَإِنْ أَصِيبُوا أَعْطَيْنَا الَّذِي سُئِلْنَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَرَوْنَ إِلَى أَوْبَاشِ قُرَيْشٍ وَأَتْبَاعِهِمْ» ثُمَّ قَالَ بِيَدَيْهِ ، إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى . ثُمَّ قَالَ: «حَتَّى تَوَافُونِي بِالصَّفَا» قَالَ: فَاَنْطَلَقْنَا . فَمَا شَاءَ أَحَدٌ مِنَّا أَنْ يَقْتُلَ أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ . وَمَا أَحَدٌ مِنْهُمْ يُوجِّهُ إِلَيْنَا شَيْئًا . قَالَ: فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أُبَيِّحُ خَضْرَاءَ قُرَيْشٍ .

لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ . ثُمَّ قَالَ: «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ» فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ ، بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ فِي قَرَيْتِهِ ، وَرَأْفَةٌ بِعَشِيرَتِهِ . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَجَاءَ الْوَحْيُ . وَكَانَ إِذَا جَاءَ الْوَحْيُ لَا يَخْفَى عَلَيْنَا . فَإِذَا جَاءَ فَلَيْسَ أَحَدٌ يَرْفَعُ طَرْفَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَنْقُضِيَ الْوَحْيُ . فَلَمَّا انْقَضَى الْوَحْيُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟» . قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «قُلْتُمْ أَمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ فِي قَرَيْتِهِ . قَالُوا: قَدْ كَانَ ذَاكَ . قَالَ «كَلَّا . إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ . هَاجَرْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ . وَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ . وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ» . فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَبْكُونَ وَيَقُولُونَ: وَاللَّهِ ، مَا قُلْنَا الَّذِي قُلْنَا إِلَّا الضَّنَّ^(٤) بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِيكُمْ وَيَعْذِرَانِيكُمْ» قَالَ: فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَى دَارِ أَبِي سُفْيَانَ . وَأَغْلَقَ النَّاسُ أَبْوَابَهُمْ . قَالَ: وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَقْبَلَ إِلَى الْحَجَرِ . فَاسْتَلَمَهُ . ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ . قَالَ: فَاتَى عَلَى صَنَمٍ إِلَى جَنْبِ الْبَيْتِ كَانُوا يَعْبُدُونَهُ . قَالَ: وَفِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْسٌ . وَهُوَ آخِذٌ بِسِيَةِ الْقَوْسِ^(٥) . فَلَمَّا أَتَى عَلَى الصَّنَمِ جَعَلَ يَطْعُنُهُ فِي عَيْنِهِ وَيَقُولُ: «جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ» . فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ طَوَافِهِ أَتَى الصَّفَا فَعَلَا عَلَيْهِ . حَتَّى نَظَرَ إِلَى الْبَيْتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ ، فَجَعَلَ يَحْمَدُ اللَّهَ وَيَدْعُو بِهَا شَاءَ أَنْ يَدْعُو^(٦) .

خفيفة الياء ولا مها محذوفة . وترد في النسبة فيقال: سيوي .

والهاء عوض عنها . ويقال لسيئتها العليا يدها ، وليسيئتها

السفلى رجلها . وقال النووي: هي المنعطف من طرفي

القوس .

(٦) مسلم (١٧٨٠) .

(١) المجنبتين: هما الميمنة والميسرة ويكون القلب بينهما .

(٢) الحسر: الذين لا دروع لهم .

(٣) أي جمعت جموعاً من قبائل شتى .

(٤) إلا الضن: هو الشح .

(٥) بسية القوس: أي بطرفها المنحنى . قال في المصباح: هي

من الآثار الواردة في «الهجرة»

١ - * (عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ فَرَضٌ لِلْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ أَرْبَعَةُ آلَافٍ فِي أَرْبَعَةٍ، وَفَرَضَ لِابْنِ عُمَرَ ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَخَمْسِائَةٍ، فَقِيلَ لَهُ: هُوَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ. فَلَمْ نَقْصُصْهُ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ؟ فَقَالَ: «إِنَّمَا هَاجَرَ بِهِ أَبَوَاهُ. يَقُولُ: لَيْسَ هُوَ كَمَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِهِ» * (١).

٢ - * (عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، أَذْهَبَ إِلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - . فَقُلْتُ: يَقْرَأُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَيْكَ السَّلَامَ، ثُمَّ سَلَهَا أَنْ أُدْفِنَ مَعَ صَاحِبِيَّ. قَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي فَلَا وَثَرَتُهُ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي. فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ لَهُ: مَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: أَذِنْتُ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: مَا كَانَ شَيْءٌ أَهَمَّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ الْمَضْجَعِ، فَإِذَا قُبِضْتُ فَاحْمِلُونِي، ثُمَّ سَلِمُوا، ثُمَّ قُلْتُ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَإِنْ أَذِنْتُ لِي فَادْفِنُونِي، وَإِلَّا فَارُدُّونِي إِلَى مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ، إِنِّي لَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ الَّذِينَ تُؤَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، فَمَنْ اسْتَخْلَفُوا بَعْدِي فَهُوَ الْخَلِيفَةُ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا. فَسَمِيَ عُثْمَانُ وَعَلِيًّا وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ. وَوَلَجَ عَلَيْهِ شَابٌّ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أَبْشُرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

بِشْرَى اللَّهِ: كَانَ لَكَ مِنَ الْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ اسْتَخْلَفْتَ فَعَدَلْتَ، ثُمَّ الشَّهَادَةُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ. فَقَالَ: لَيْتَنِي يَا ابْنَ أَخِي وَذَلِكَ كَفَافًا لَا عَلَيَّ وَلَا لِي. أَوْصِي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ خَيْرًا، أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَأَنْ يَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ. وَأَوْصِيهِ بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا، الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ أَنْ يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَيُعْفَى عَنْ مُسِيئِهِمْ. وَأَوْصِيهِ بِذِمَّةِ اللَّهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَأَنْ لَا يُكَلَّفُوا فَوْقَ طَاقَتِهِمْ» * (٢).

٣ - * (عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ كَانَ إِذَا قِيلَ لَهُ هَاجَرَ قَبْلَ أَبِيهِ يَغْضَبُ قَالَ: وَقَدِمْتُ أَنَا وَعُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدْنَاهُ قَائِلًا (٣) فَرَجَعْنَا إِلَى الْمَنْزِلِ فَأَرْسَلَنِي عُمَرُ، وَقَالَ: أَذْهَبُ فَاَنْظُرْ هَلِ اسْتَيْقِظَ؟ فَاتَيْتُهُ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَبَايَعْتُهُ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ إِلَى عُمَرَ فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّهُ قَدْ اسْتَيْقِظَ، فَاَنْطَلَقْنَا إِلَيْهِ نَهْرُولَ هَرُولَةً حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ فَبَايَعَهُ، ثُمَّ بَايَعْتُهُ» * (٤).

٤ - * (عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ قَالَ لِابْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ: هَلْ تَدْرِي مَا قَالَ أَبِي لِأَبِيكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَإِنَّ أَبِي قَالَ لِأَبِيكَ: يَا أَبَا مُوسَى، هَلْ يَسُرُّكَ إِسْلَامُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهَجَرْتُنَا مَعَهُ وَجِهَادُنَا مَعَهُ وَعَمَلُنَا كُلُّهُ مَعَهُ بَرْدٌ (٥) لَنَا،

(٤) البخاري - الفتح ٧ (٣٩١٦).

(٥) بَرَدٌ لَنَا: ثَبَتَ لَنَا وَدَامَ.

(١) البخاري - الفتح ٧ (٣٩١٢).

(٢) البخاري الفتح ٣ (١٣٩٢).

(٣) قَائِلًا: مِنَ الْقِيلُولَةِ.

وَأَنَّ كُلَّ عَمَلٍ عَمِلْنَاهُ بَعْدَهُ نَجَوْنَا مِنْهُ كَفَافًا، رَأْسًا بِرَأْسٍ. فَقَالَ أَبِي: لَا وَاللَّهِ، قَدْ جَاهَدْنَا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَصَلَيْنَا وَصُمْنَا وَعَمِلْنَا خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَسْلَمَ عَلَى أَيْدِينَا بَشَرٌ كَثِيرٌ، وَإِنَّا لَنَرْجُو ذَلِكَ، فَقَالَ أَبِي: لَكِنِّي أَنَا وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ بَرَدَ لَنَا وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَمِلْنَا بَعْدُ نَجَوْنَا مِنْهُ كَفَافًا رَأْسًا بِرَأْسٍ. فَقُلْتُ: إِنَّ أَبَاكَ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أَبِي»^(١).

٥ - * (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: كُنْتُ أَقْرَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَلَمَّا كَانَ آخِرُ حَجَّةٍ حَجَّهَا عُمَرُ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِمَنِي: لَوْ شَهِدْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَاهُ رَجُلٌ، قَالَ: إِنَّ فُلَانًا يَقُولُ: لَوْ مَاتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَبَايَعْنَا فُلَانًا. فَقَالَ لِعُمَرَ: لَا قَوْمَ الْعَشِيَّةِ فَأَحْذَرُ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوهُمْ. قُلْتُ: لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رِعَاعَ النَّاسِ يَغْلِبُونَ عَلَى مَجْلِسِكَ، فَأَخَافُ أَنْ لَا يُنْزِلُوهَا عَلَى وَجْهِهَا فَيَطِيرَ بِهَا كُلُّ مُطِيرٍ، فَأَمْهَلْ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ دَارَ الْهَجْرَةِ وَدَارَ السُّنَّةِ فَتَخْلُصَ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَيَحْفَظُوا مَقَالَتَكَ، وَيُنْزِلُوهَا عَلَى وَجْهِهَا. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا قَوْمَ بِهِ فِي أَوَّلِ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ»^(٢).

٦ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ كَانُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، لِأَنَّهُمْ هَجَرُوا الْمُشْرِكِينَ وَكَانَ مِنَ الْأَنْصَارِ مُهَاجِرُونَ، لِأَنَّ الْمَدِينَةَ كَانَتْ دَارَ شَرِكٍ فَجَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ»^(٣).

٧ - * (عَنْ خَبَّابٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، نَلْتَمِسُ وَجْهَ اللَّهِ، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ، فَمِنَّا مَنْ مَاتَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَمِنَّا مَنْ أَيْتَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِيهَا^(٤)، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ فَلَمْ نَجِدْ مَا نَكْفِيهِ إِلَّا بُرْدَةً إِذَا غَطَيْنَا بِهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا غَطَيْنَا رِجْلَيْهِ خَرَجَ رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نُغْطِيَ رَأْسَهُ وَأَنْ نَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ مِنَ الْإِذْخِرِ»^(٥)) *^(٦).

٨ - * (عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: مَا عَدُّوا مِنْ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا مِنْ وَفَاتِهِ مَا عَدُّوا إِلَّا مِنْ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ»^(٧)).

٩ - * (قَالَ الْعِزُّ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - «الْهَجْرَةُ هَجْرَتَانِ: هَجْرَةُ الْأَوْطَانِ، وَهَجْرَةُ الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ. وَأَفْضَلُهُمَا هَجْرَةُ الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ. لِمَا فِيهَا مِنْ إِرْضَاءِ الرَّحْمَنِ، وَإِرْغَامِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ»^(٨)).

(١) البخاري - الفتح ٧ (٣٩١٥).

(٢) البخاري - الفتح ١٣ (٧٣٢٣).

(٣) النسائي (٧/١٤٥) وقال محقق جامع الأصول: إسناده صحيح.

(٤) يَهْدِيهَا: يَجْتَنِيهَا.

(٥) الإِذْخِرُ: نَبْتٌ طِيبُ الرِّيحِ.

(٦) البخاري - الفتح ٣ (١٢٧٦) واللفظ له. ومسلم (٩٤٠).

(٧) البخاري - الفتح ٧ (٣٩٣٤).

(٨) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال للعز بن

عبد السلام (٣٨٣).

من فوائد «الهجرة»

- | | |
|--|--|
| (١) دَلِيلُ كَمَالِ الْإِيْمَانِ وَحُسْنِ الْإِسْلَامِ. | (٤) دَلِيلُ صَلاَحِ الْعَبْدِ وَاسْتِقَامَتِهِ. |
| (٢) إِعْلَانُ الْعُبُودِيَّةِ الْكَامِلَةِ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - | (٥) الْوَعْدُ بِالْكَرَامَةِ وَالْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ. |
| وَالْانْقِيَادِ لَهُ. | (٦) تَفْرِيجُ الْكُرْبَاتِ وَحُصُولُ الْخَيْرَاتِ. |
| (٣) دَلِيلُ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَمَحَبَّةِ رَسُولِهِ ﷺ. | (٧) تَمْحِصُ الْإِيْمَانِ وَاخْتِبَارُ الْإِنْسَانِ. |

الهدى

الآيات	الأحاديث	الأثار
١٧١	٥٢	١٤

الهدى لغة:

الهدى والهداية مصدران لقولهم: هدى يهدي، وهما مأخوذان من مادة (هـ دى) التى تدل على أصلين: أحدهما: التَّقدم لِلإرشاد، والآخر: بَعْثُ لَطْفٍ^(١)، فالأول قولهم: هديته الطريق هداية أي تقدّمته لإرشده، وكلُّ مُتَقَدِّمٍ لِدَلِك هادٍ، وينشعب هذا المعنى فيقال: الهدى خلاف الضلالة، ومن الباب قولهم: نظر فلان هدى أمره أي جهته، وما أحسن هديته أي هديه، والأصل الآخر الهدية: وهي ما أهديت من لطف إلى ذي مودة، يقال: أهديت أهدي إهداءً. ومن الباب الهدى والهدي: ما أهدى من النعم إلى الحرم قرينة إلى الله تعالى، وقال الراغب: الهداية دلالة بلطف، من ذلك هَوَادِي الوَحْش أي مُتَقَدِّمَاتُهَا الْهَادِيَةُ لغيرها، وخَصَّ مَا كَانَ دَلَالَةً بِـ «هَدَيْتُ» وَمَا كَانَ إِعْطَاءً بِأَهْدَيْتُ، والهدى والهداية في موضوع اللغة واحد، لكن قد خَصَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَفْظَةَ الْهُدَى بِمَا تَوَلَّاهُ وَأَعْطَاهُ وَاخْتَصَّ هُوَ بِهِ دُونَ مَا هُوَ إِلَى الْإِنْسَانِ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة/ ٢)، وقوله عَزَّ وَجَلَّ ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ (البقرة/ ٥)، وَالْإِهْدَاءُ يَخْتَصُّ بِمَا يَتَحَرَّاهُ الْإِنْسَانُ عَلَى طَرِيقِ

الِاخْتِيَارِ إِمَّا فِي الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ أَوِ الْآخِرَوِيَّةِ كَمَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا﴾ (الأنعام/ ٩٧) وَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (البقرة/ ٥٣)، وَيُقَالُ الْمُهْتَدِي لِمَنْ يَقْتَدِي بِعَالِمٍ كَمَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (المائدة/ ١٠٤) تَنْبِيْهَا إِلَى أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ بِأَنْفُسِهِمْ وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَالِمٍ).

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْهُدَى: الرَّشَادُ وَالِدَّلَالَةُ؛ يُؤَنَّثُ وَيُذَكَّرُ، يُقَالُ: هَدَاهُ اللهُ لِلدِّينِ هُدًى، وَالْهُدَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ (السجدة/ ٢٦) أَي لَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، وَالْإِهْدَاءُ مَصْدَرُ قَوْلِكَ: هَدَيْتُ الْمَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا هِدَاءً وَقَدْ هَدَيْتُ إِلَيْهِ، وَيُقَالُ: هَدَى هَدًى فُلَانٍ أَي سَارَ سِيرَتَهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: وَاهْدُوا هَدًى عَمَارٍ (أَي سِيرُوا سِيرَتَهُ)، وَالتَّهَادِي أَنْ يُهْدِيَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَفِي الْحَدِيثِ: «تَهَادُوا تَحَابُّوا».

وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: هُوَ مِنْ هَدَاهُ يَهْدِيهِ هُدًى وَهَدًى وَهَدَايَةً وَهَدِيَةً. وَالْهُدَى: ضِدُّ الضَّلَالِ وَهُوَ الرَّشَادُ وَالْبَيَانُ، لَا زِمٌ وَمُتَعَدٍّ، يُقَالُ: هَدَاهُ اللهُ الطَّرِيقَ وَهِيَ لُغَةُ الْحِجَازِ. وَلُغَةُ غَيْرِهِمْ يَتَعَدَّى بِالْحَرْفِ فَيُقَالُ

(١) اللطف بالتحريك التحفة والهدية، والبعثة المرة من البعث

هَدَاهُ إِلَى الطَّرِيقِ وَلِلطَّرِيقِ أَيْ بَيَّنَّهُ لَهُ وَعَرَّفَهُ بِهِ .

وَهَدَاهُ اللَّهُ إِلَى الْإِيمَانِ وَلِلْإِيمَانِ أَيْ أَرْشَدَهُ إِلَيْهِ .

وَهْدِي هَدْيَ فُلَانٍ سَارَ سِيرَتَهُ، وَهَدَى فُلَانًا تَقَدَّمَهُ . وَهَدَى الشَّيْءَ تَهْدِيَةً وَهُوَ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى: أَيْ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَنْتَقِلَ عَنْ مَكَانِهِ إِلَّا أَنْ يَنْقُلُوهُ. وَمَعْنَى لَا يَهْدِي: لَا يَهْتَدِي .

وَالْهَدَى: مُؤَنَّثٌ وَيُذَكَّرُ، يُقَالُ: هُوَ عَلَى الْهَدَى، وَسَلَّ اللَّهُ الْهَدَى: أَيْ الدَّلَالَهَ عَلَى الرَّشَادِ . وَالْهَدَى: النَّهَارُ أَيْضًا^(١) .

الهادي من أسماء الله تعالى:

قَالَ الزَّجَّاجُ: الْهَادِي: هُوَ الَّذِي هَدَى خَلْقَهُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ وَهُوَ الَّذِي هَدَى عِبَادَهُ إِلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ^(٢) .

وَقَالَ الزَّجَّاجِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْهَادِي يَهْدِي عِبَادَهُ إِلَيْهِ، وَيَهْدِيهِمْ عَلَيْهِ وَعَلَى سَبِيلِ الْخَيْرِ وَالْأَعْمَالِ الْمُقَرَّبَةِ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَالَ الْغَزَالِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - الْهَادِي - فِي أَسْمَائِهِ تَعَالَى - هُوَ الَّذِي هَدَى خَوَاصَّ عِبَادِهِ أَوَّلًا إِلَى مَعْرِفَةِ ذَاتِهِ حَتَّى اسْتَشْهَدُوا بِهَا عَلَى الْأَشْيَاءِ، وَهَدَى عَوَامَّ عِبَادِهِ إِلَى مَخْلُوقَاتِهِ حَتَّى اسْتَشْهَدُوا بِهَا عَلَى ذَاتِهِ، وَهَدَى كُلَّ مَخْلُوقٍ إِلَى مَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ فِي قَضَاءِ حَاجَاتِهِ فَهَدَى الطِّفْلَ إِلَى التَّقَامِ الثَّنِي عِنْدَ انْفِصَالِهِ، وَالْفَرْخَ إِلَى التَّقَاطِ الْحَبِّ وَقَسَتْ خُرُوجِهِ^(٣) .

وَالْهَدَاةُ مِنَ الْعِبَادِ: الْأَنْبِيَاءُ وَالْعُلَمَاءُ الَّذِينَ أَرْشَدُوا الْخَلْقَ إِلَى السَّعَادَةِ وَهَدَوْهُمْ إِلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، يَكُونُ الْمَوْلَى - عَزَّ وَجَلَّ - هُوَ الْهَادِي عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، وَهُمْ مُسَخَّرُونَ تَحْتَ قُدْرَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ^(٤) .

الهدى اصطلاحًا:

قَالَ الرَّاعِبُ: الْهَدَايَةُ دَلَالَةٌ بِلُطْفٍ، فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ جَعَلَتْ الْهَدَايَةُ دَلَالَةً بِلُطْفٍ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ (الصافات/ ٢٣) قِيلَ: اسْتَعْمَالَ اللَّفْظِ فِي ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ التَّهْكُمِ مُبَالِغَةً فِي الْمَعْنَى كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة/ ٣٤) .

وَقَالَ الْجُرْجَانِيُّ: الْهَدَايَةُ الدَّلَالَةُ عَلَى مَا يُوصِلُ إِلَى الْمَطْلُوبِ^(٥) وَقِيلَ: هِيَ سُلُوكُ طَرِيقٍ يُوصِلُ إِلَى الْمَطْلُوبِ . وَالْمُلَاحَظَةُ هُنَا أَنَّهَ أَضَافَ قَيْدَ «التَّوَصِيلِ إِلَى الْمَطْلُوبِ» وَحَذَفَ قَيْدَ «كَوْنِهَا بِلُطْفٍ» وَقَدْ جَمَعَ الْمُنَاوِي بَيْنَ كُلِّ مِنَ الرَّاعِبِ وَالْجُرْجَانِيِّ فَقَالَ: الْهَدَايَةُ: دَلَالَةٌ بِلُطْفٍ إِلَى مَا يُوصِلُ إِلَى الْمَطْلُوبِ^(٦) .

وَقَالَ الْكُفَوِيُّ: الْهَدَايَةُ هِيَ الدَّلَالَةُ عَلَى طَرِيقٍ مِنْ شَأْنِهِ الْإِيصَالُ (إِلَى الْمَطْلُوبِ) سَوَاءً حَصَلَ الْوُصُولُ بِالْفِعْلِ فِي وَقْتِ الْاهْتِدَاءِ أَوْ لَمْ يَحْصُلْ^(٧) .

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: الْهَدَايَةُ: هِيَ الْبَيَانُ وَالِدَّلَالَةُ، ثُمَّ التَّوْفِيقُ وَالْإِلْهَامُ، وَهُوَ بَعْدَ الْبَيَانِ وَالِدَّلَالَةِ . وَلَا سَبِيلَ إِلَى الْبَيَانِ وَالِدَّلَالَةِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الرُّسُلِ، فَإِذَا

(٥) التعريفات للجرجاني (٢٧٧) .

(٦) التوقيف (٣٤٣) .

(٧) الكليات (٩٥٢)، وقد نقل الكفوي نقاشًا طويلاً حول قيد الإيصال هذا بين المعتزلة وأهل السنة ليس هنا محل إيراده .

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٦ / ٢٤ - ٤٣)، والمفردات

لرأغب (٥٤٠) وما بعدها، والصحاح (٦ / ٢٥٣٣) .

(٢) الأسماء الحسنى (٦٤) .

(٣) اشتقاق أسماء الله الحسنى (١٨٧) .

(٤) المقصد الأسنى (١٤٦) .

حَصَلَ الْبَيَانُ وَالِدَّلَالَةُ وَالتَّعْرِيفُ تَرْتَّبَ عَلَيْهِ هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ^(١).

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: الْهِدَايَةُ: الْإِرْشَادُ وَالتَّوْفِيقُ، وَقَدْ تُعَدَّى الْهِدَايَةُ بِنَفْسِهَا كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة/ ٦)، فَتُضَمَّنُ مَعْنَى أَلْهَمْنَا أَوْ وَفَّقْنَا أَوْ أَرْزَقْنَا أَوْ أَعْطَيْنَا. وَ ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البلد/ ١٠) أَيَّ بَيْنَا لَهُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَقَدْ تُعَدَّى بِـ ﴿إِلَى﴾ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (النحل/ ١٢١)، وَذَلِكَ بِمَعْنَى الْإِرْشَادِ وَالِدَّلَالَةِ. وَقَدْ تُعَدَّى بِاللَّامِ كَقَوْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ (الأعراف/ ٤٣) أَيَّ وَفَّقَنَا وَجَعَلَنَا لَهُ أَهْلًا^(٢).

وَقَالَ الْبَغَوِيُّ: أَهْدَانَا: أَرْشَدْنَا، وَقَالَ عَلِيُّ وَأَبِيُّ ابْنِ كَعْبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: ثَبَّتْنَا^(٣).

أنواع الهداية:

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَالْهُدَى هُدَيَانِ:

١ - هُدَى دَلَالَةٍ: وَهُوَ الَّذِي تَقْدِرُ عَلَيْهِ الرُّسُلُ وَاتَّبَاعُهُمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد/ ٧) وَقَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى/ ٥٢)، فَأُثْبِتَ لَهُمُ الْهُدَى الَّذِي مَعْنَاهُ الدَّلَالَةُ وَالِدَّعْوَةُ وَالتَّنْبِيهُ.

٢ - وَهُدَى تَأْيِيدٍ وَتَوْفِيقٍ: وَهُوَ الَّذِي تَفَرَّدَ بِهِ سُبْحَانَهُ، فَقَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ (القصص/ ٥٦) فَالْهُدَى عَلَى هَذَا يَجِيءُ بِمَعْنَى خَلْقِ

الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ....^(٤).

وَقَالَ الطَّبْرِيُّ: هُدَى أَيَّ مِنْ الضَّلَالَةِ وَهُدَى لِلْمُتَّقِينَ نُورٌ لِلْمُتَّقِينَ وَالْهُدَى مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِكَ هَدَيْتُ فَلَانًا الطَّرِيقَ إِذَا أَرْشَدْتَهُ إِلَيْهِ وَدَلَلْتَهُ عَلَيْهِ وَبَيَّنْتَهُ لَهُ أَهْدِيهِ هُدَى وَهِدَايَةً. هـ^(٥).

وَيَقُولُ الْفَيْرُوزُ أِبَادِي: وَهِدَايَةُ اللَّهِ تَعَالَى لِلْإِنْسَانِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَضْرِبٍ:-

الأوَّلُ: الْهِدَايَةُ الَّتِي عَمَّ بِهَا كُلُّ مُكَلَّفٍ مِنَ الْعَقْلِ وَالْفِطْنَةِ وَالْمَعَارِفِ الضَّرُورِيَّةِ، بَلْ عَمَّ بِهَا كُلُّ شَيْءٍ حَسَبَ احْتِمَالِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (طه/ ٥٠).

الثَّانِي: الْهِدَايَةُ الَّتِي جُعِلَتْ لِلنَّاسِ بِدُعَائِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنْزَالِ الْقُرْآنِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَالْمَقْصُودُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (الأنبياء/ ٧٣).

الثَّالِثُ: التَّوْفِيقُ الَّذِي يَخْتَصُّ بِهِ مَنْ اهْتَدَى، وَهُوَ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ (محمد/ ١٧)، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ (التغابن/ ١١).

الرَّابِعُ: الْهِدَايَةُ فِي الْآخِرَةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَهُوَ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ (الأعراف/ ٤٣). وَهَذِهِ الْهِدَايَاتُ الْأَرْبَعُ مُتَرْتِبَةٌ. فَإِنَّ مَنْ لَمْ تَحْصُلْ لَهُ الْأُولَى لَا تَحْصُلْ لَهُ الثَّانِيَّةُ، بَلْ لَا يَصِحُّ تَكْلِيفُهُ. وَمَنْ لَمْ تَحْصُلْ لَهُ الثَّانِيَّةُ لَا تَحْصُلْ لَهُ الثَّالِثَةُ وَالرَّابِعَةُ.

(٤) معالم التنزيل (١/ ١٦٠).

(٥) جامع البيان (١/ ٧٦).

(١) فتح الباري (١/ ٢١١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٩). وانظر: عمدة التفسير (٨٠).

(٣) معالم التنزيل (١/ ٤١).

وَالْإِنْسَانُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَهْدِيَ أَحَدًا إِلَّا بِالْدُّعَاءِ
وَتَعْرِيفِ الطَّرِيقِ دُونَ سَائِرِ الْهَدَايَاتِ، وَإِلَى الْأَوَّلِ
أَشَارَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
(الشورى / ٥٢)، وَبِقَوْلِهِ: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد /
٧) أَيْ رَاعٍ، وَإِلَى سَائِرِ الْهَدَايَاتِ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ
لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ (القصص / ٥٦). وَكُلُّ هِدَايَةٍ
ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ مَنَعَ الْكَافِرِينَ وَالظَّالِمِينَ فَهِيَ الْهِدَايَةُ
الثَّالِثَةُ، الَّتِي هِيَ التَّوْفِيقُ الَّذِي يُخْتَصُّ بِهِ الْمُهْتَدُونَ.
وَالرَّابِعَةُ الَّتِي هِيَ الثَّوَابُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِدْخَالُ الْجَنَّةِ
الْمُشَارُ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا
بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ﴾ (آل عمران / ٨٦) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الجمعة / ٥)^(١).

الهدى في القرآن الكريم:

أَجْمَعْتُ كُتُبَ الْوُجُوهِ وَالنَّظَائِرِ فِي الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ أَنَّ لَفْظَ الْهُدَى وَمَا اشْتَقَّ مِنْهُ أَكْثَرُ الْأَلْفَافِ
وُجُوهاً وَقَدْ ذَكَرَ لَهُ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْبَلْخِيُّ فِي
الْأَشْبَاهِ وَالنَّظَائِرِ وَيَحْيَى بْنُ سَلَامٍ فِي «التَّصَارِيفِ»
وَالسُّيُوطِيُّ فِي «الْإِتْقَانِ» سَبْعَةَ عَشَرَ وَجْهًا، وَذَكَرَ ابْنُ
الْجَوَازِيِّ فِي «نُزْهَةِ الْأَعْيُنِ النَّوَظِرِ» أَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ
وَجْهًا أَنْفَرَدَ فِيهَا بِعَشْرَةِ أَوْجُهٍ، وَأَنْفَرَدَ مُقَاتِلُ وَابْنُ
سَلَامٍ وَالسُّيُوطِيُّ بِثَلَاثَةٍ، وَمِنْ ثَمَّ تُصْبِحُ جُمْلَةُ الْأَوْجُهِ
سَبْعَةً وَعِشْرِينَ وَجْهًا.

- قَالَ يَحْيَى بْنُ سَلَامٍ فِي تَفْسِيرِ لَفْظِ «الْهُدَى»
وَمَا اشْتَقَّ مِنْهُ سَبْعَةَ عَشَرَ وَجْهًا:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: هُدَى يَعْنِي بَيَانًا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي

الْبَقَرَةِ: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ (البقرة / ٥)
يَعْنِي عَلَى بَيَانٍ مِنْ رَبِّهِمْ، وَقَوْلُهُ ﴿قَدَّرَ فَهَدَى﴾
(الأعلى / ٣) يَعْنِي بَيَّنَّ لَهُ سَبِيلَ الْهُدَى وَسَبِيلَ الضَّلَالَةِ.
الْوَجْهُ الثَّانِي: هُدَى يَعْنِي دِينَ الْإِسْلَامِ، وَذَلِكَ
قَوْلُهُ فِي الْحَجِّ: ﴿إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾ (الحج /
٦٧) يَعْنِي عَلَى دِينٍ مُسْتَقِيمٍ حَقٍّ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ. وَقَالَ
فِي آلِ عِمْرَانَ: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ (آل عمران /
٧٣) يَعْنِي: إِنَّ الدِّينَ دِينَ اللَّهِ وَهُوَ الْإِسْلَامُ، وَهُوَ الْحَقُّ
وَنَحْوُهُ كَثِيرٌ.

الْوَجْهُ الثَّالِثُ: هُدَى يَعْنِي الْإِيمَانَ. وَذَلِكَ
قَوْلُهُ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾
(مريم / ٧٦) يَعْنِي يَزِيدُهُمْ إِيْمَانًا. وَفِي سُورَةِ سَبَأٍ
﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى﴾ (سبأ / ٣٢) يَعْنِي عَنِ
الْإِيمَانِ.

الْوَجْهُ الرَّابِعُ: هُدَى يَعْنِي دُعَاءً، وَذَلِكَ قَوْلُهُ
فِي الرَّعْدِ: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد / ٧) يَعْنِي دَاعِيًا
يَعْنِي نَبِيًّا، وَفِي الْأَنْبِيَاءِ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ﴾
(الأنبياء / ٧٣) يَعْنِي يَدْعُونَ «بِأَمْرِنَا».

الْوَجْهُ الْخَامِسُ: هُدَى يَعْنِي مَعْرِفَةً وَذَلِكَ قَوْلُهُ
فِي النَّحْلِ: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (النحل / ١٦)
يَعْنِي يَعْرِفُونَ الطَّرِيقَ، وَفِي سُورَةِ طهَ ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾
(طه / ٨٢)، ثُمَّ عَرَفَ الصَّوَابَ. وَفِي الْأَنْبِيَاءِ ﴿فَجَاجَا
سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (الأنبياء / ٣١) يَعْنِي لَعَلَّهُمْ
يَعْرِفُونَ الطَّرِيقَ.

الْوَجْهُ السَّادِسُ: هُدَى يَعْنِي أَمْرًا، يَعْنِي أَمْرَ

النَّبِيِّ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿مَنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ (محمد/ ٢٥) يَعْنِي أَمَرَ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَقَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ بِالنَّبِيِّ وَالْقُرْآنِ. وَفِي الْبَقَرَةِ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ (البقرة/ ١٥٩) يَعْنِي أَمَرَ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: وَكَتَمُوا الْإِسْلَامَ، وَكَتَمُوا مُحَمَّدًا وَهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ.

الْوَجْهُ السَّابِعُ: هُدَى يَعْنِي رُشْدًا. وَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الْقَصَصِ ﴿عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي﴾ (القصص/ ٢٢) قَالَ قَتَادَةُ: أَنْ يُرْشِدَنِي (سَوَاءَ السَّيْلِ) وَفِي صَ ﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ (ص/ ٢٢) يَعْنِي أَرْشِدْنَا.

الْوَجْهُ الثَّامِنُ: هُدَى يَعْنِي رُسُلًا وَكُتُبًا. وَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الْبَقَرَةِ ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدَى﴾ (البقرة/ ٣٨) يَعْنِي رُسُلًا وَكُتُبًا، وَفِي سُورَةِ طه ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ﴾ يَعْنِي رُسُلِي وَكُتُبِي، ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (طه/ ١٢٣).

الْوَجْهُ التَّاسِعُ: هُدَى يَعْنِي الْقُرْآنَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي النَّجْمِ ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ (النجم/ ٢٣) يَعْنِي الْقُرْآنَ فِيهِ بَيَانُ كُلِّ شَيْءٍ. وَفِي سُورَةِ الْكَهْفِ ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ (الكهف/ ٥٥) يَعْنِي الْقُرْآنَ.

الْوَجْهُ الْعَاشِرُ: هُدَى يَعْنِي التَّوْرَةَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي حَمَّ «الْمُؤْمِنُ»: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾ (غافر/ ٥٣) يَعْنِي التَّوْرَةَ. وَفِي آلم السَّجْدَةِ: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (السجدة/ ٢٣) يَعْنِي التَّوْرَةَ.

الْوَجْهُ الْحَادِي عَشَرَ: هُدَى يَعْنِي التَّوْفِيقَ. وَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الْبَقَرَةِ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ ((البقرة/ ١٥٧) إِلَى الْإِسْتِرْجَاعِ وَالصَّبْرِ يَعْنِي هُمُ الْمُؤَفَّقُونَ. وَفِي التَّغَابُنِ ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ (التغابن/ ١١) يَعْنِي يُوفِّقُ قَلْبَهُ إِلَى الْإِسْتِرْجَاعِ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ وَيُسَلِّمَ وَيَرْضَ وَيَعْرِفُ أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ.

الْوَجْهُ الثَّانِي عَشَرَ: هُدَى يَعْنِي إِقَامَةَ الْحُجَّةِ. وَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الْبَقَرَةِ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة/ ٢٥٨). الْمُشْرِكِينَ، لَا يَهْدِيهِمْ إِلَى الْحُجَّةِ وَلَا يَهْدِيهِمْ مِنَ الضَّلَالَةِ إِلَى دِينِهِ.

الْوَجْهُ الثَّالِثَ عَشَرَ: هُدَى يَعْنِي التَّوْحِيدَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الْقَصَصِ ﴿إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفَ مِنْ أَرْضِنَا﴾ (القصص/ ٥٧) يَعْنِي التَّوْحِيدَ وَهُوَ الْإِيمَانُ. وَفِي: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ (الفتح/ ٢٨) يَعْنِي التَّوْحِيدَ ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ يَعْنِي الْإِسْلَامَ.

الْوَجْهُ الرَّابِعَ عَشَرَ: هُدَى يَعْنِي سُنَّةً، وَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الزُّحُرْفِ ﴿وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الزحرف/ ٢٢) يَعْنِي مُسْتَنُونَ سُنَّتِهِمْ فِي الْكُفْرِ. وَفِي الْأَنْعَامِ يَقُولُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ﴿فَبِهْدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾ (الأنعام/ ٩٠) يَعْنِي بِسُنَّتِهِمْ، التَّوْحِيدِ «أَقْتَدِهِ» يَعْنِي اسْتَنَّ بِهَا.

الْوَجْهُ الْخَامِسَ عَشَرَ: هُدَى يَعْنِي التَّوْبَةَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الْأَعْرَافِ ﴿إِنَّا هُذْنَا إِلَيْكَ﴾ (الأعراف/ ١٥٦) تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ: إِنَّا تُبْنَا إِلَيْكَ.

الْوَجْهُ السَّادِسَ عَشَرَ: يَهْدِي يُصْلِحُ، وَذَلِكَ

قَوْلُهُ فِي سُورَةِ يُوسُفَ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾
(يوسف / ٥٢) يَعْنِي لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الزُّنَاةِ.

الْوَجْهُ السَّابِعَ عَشَرَ: هُدَى يَعْنِي الْإِلْهَامَ، وَذَلِكَ
قَوْلُهُ فِي طه ﴿الَّذِي أُعْطِيَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾
(طه / ٥٠) يَعْنِي أَلْهَمَهُ لِمَرْعَاهُ، فَمِنْهَا مَا يَأْكُلُ النَّبْتُ،
وَمِنْهَا مَا يَأْكُلُ الْحَبُّ، وَمِنْهَا مَا يَأْكُلُ اللَّحْمُ. وَقَوْلُهُ
(خَلْقَهُ) يَعْنِي صُورَتَهُ الَّتِي تَصْلُحُ لَهُ. قَالَ: ﴿ثُمَّ
هُدَى﴾ يَعْنِي أَلْهَمَهُ كَيْفَ يَأْتِي مَعِيشَتَهُ وَمَرْعَاهُ، وَذَلِكَ
قَوْلُهُ فِي سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾
(الأعلى / ٣) يَعْنِي قَدَّرَ الْخَلْقَ، الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى، فَهَدَى
يَعْنِي أَلْهَمَ كَيْفَ يَأْتِيهَا وَتَأْتِيهِ.

وَأَضَافَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: فِي نُزْهَةِ الْأَعْيُنِ النَّوَظِرِ
عِدَّةَ أَوْجِهٍ أُخْرَى وَهِيَ:

الْوَجْهُ الثَّامِنَ عَشَرَ: الِاسْتِبْصَارُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى
فِي الْبَقَرَةِ ﴿فَمَا رَبَّحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾
(البقرة / ١٦).

الْوَجْهُ التَّاسِعَ عَشَرَ: الدَّلِيلُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي
سُورَةِ طه ﴿أَوْ أَجِدْ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ (طه / ١٠) قِيلَ
مَعْنَاهُ (إِنْ لَمْ يَكُنْ هَذِهِ) نَارًا فَعَلَّنِي أَرَى مَنْ يَدُلُّنِي عَلَى
النَّارِ.

الْوَجْهُ الْعِشْرُونَ: التَّعْلِيمُ: وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي
سُورَةِ النَّسَاءِ ﴿وَيَهْدِيكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾
(النساء / ٢٦).

الْوَجْهُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ: الْفَضْلُ: وَمِنْهُ قَوْلُهُ
تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿هُؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا

سَبِيلًا﴾ (النساء / ٥٠) أَي: أَفْضَلُ.

الْوَجْهُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ: التَّقْدِيمُ: وَمِنْهُ قَوْلُهُ
تَعَالَى فِي سُورَةِ الصَّافَّاتِ ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ
الْحَكِيمِ﴾ (الصافات / ٢٣).

الْوَجْهُ الثَّلَاثُ وَالْعِشْرُونَ: الْمَوْتُ عَلَى الْإِسْلَامِ:
وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ طه ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ
وَأَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (طه / ٨٢).

الْوَجْهُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ: الثَّوَابُ: وَمِنْهُ قَوْلُهُ
تَعَالَى فِي سُورَةِ اللَّيْلِ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ (الليل /
١٢).

الْوَجْهُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ: الْإِذْكَارُ: وَمِنْهُ قَوْلُهُ
تَعَالَى فِي سُورَةِ الضُّحَى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾
(الضحى / ٧) أَي نَاسِيًّا فَذَكَرَكَ.

الْوَجْهُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ: الصَّوَابُ: وَمِنْهُ
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾
(العلق / ١١).

الْوَجْهُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ: الثَّبَاتُ: وَمِنْهُ قَوْلُهُ
تَعَالَى فِي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾
(الفاتحة / ٦)، (أَيِ ثَبَّتْنَا عَلَيْهِ) ^(١).

[للاستزادة: انظر صفات: الاتباع - الإرشاد -
الإسلام - الإيثار - التبليغ - الثبات - الكلم الطيب -
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الضلال - الغي
والإغواء - الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف -
الإعراض - التفريط والإفراط.]

الآيات الواردة في « الهدى »

الهدى على سبيل الرجاء:

- ١- أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾^(١)
- ٢- وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾^(٢)
- ٣- وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ
شَطْرَهُ لِكَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا
الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي
وَلَا تِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾^(٣)
- ٤- وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ
بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ
عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾^(٤)
- ٥- قُلْ يَتَايَأُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ
جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
- ٦- مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ
شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ
حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ
هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾
إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ
وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا
مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾^(٥)
- ٧- وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ
لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا ثَلَسُونَهَا
وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرِفِهِ وَلِتَبْتَغُوا
مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾
وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ
وَأَنْهَزَ أَوْسْبًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾
وَعَلَّمَتِ بِالْجَمِّ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾^(٦)
- ٨- وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾
إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ
عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشْدًا ﴿٢٤﴾^(٨)

(٧) النحل : ١٤ - ١٦ مكية

(٨) الكهف : ٢٣ - ٢٤ مكية

(٤) آل عمران : ١٠٣ مدنية

(٥) الأعراف : ١٥٨ - ١٥٩ مكية

(٦) التوبة : ١٧ - ١٨ مدنية

(١) الفاتحة : ٦ - ٧ مكية

(٢) البقرة : ٥٣ مدنية

(٣) البقرة : ١٥٠ مدنية

٩ - وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ^(١)

١٠ - وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ^(٢)

١١ - وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمُوسَى إِنَّكَ الْأَمْلَأُ يَأْتِمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنْ لَكَ مِنَ التَّصْحِيحِ ^(٣)

فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ^(٤)
وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ^(٥)

١٢ - أَلَمْ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَأَرِيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ^(٦)

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِنُنْذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ^(٧)

١٣ - وَإِنْ مِنْ شَيْعِنِهِ لَإِبْرَاهِيمَ

إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ^(٨)

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ^(٩)
أَيُفَكِّكُمُ اللَّهُ دُونِ اللَّهِ تَرِيدُونَ ^(١٠)
فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ^(١١)

فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ^(١٢)

فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ^(١٣)

فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ^(١٤)

فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمُ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ^(١٥)

مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ^(١٦)

فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ^(١٧)

فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُُونَ ^(١٨)

قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ^(١٩)

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ^(٢٠)

قَالُوا اتَّبَوَالَهُ بَيْنَنَا وَقُوَّةٌ فِي الْجَحِيمِ ^(٢١)

فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ^(٢٢)

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ^(٢٣)

١٤ - وَهَلْ أَتَاكَ نَبْوُ الْخَصَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا

الْمِحْرَابَ ^(٢٤)

إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ

خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ

وَلَا تَشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ^(٢٥)

١٥ - وَلَيْنَا سَأَلْنَاهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ^(٢٦)

الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ

لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ^(٢٧)

١٦ - وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ

إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ^(٢٨)

إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِينَ ^(٢٩)

(٧) الزخرف : ٩ - ١٠ مكية

(٨) الزخرف : ٢٦ - ٢٧ مكية

(٤) السجدة : ١ - ٣ مكية

(٥) الصافات : ٨٣ - ٩٩ مكية

(٦) ص : ٢١ - ٢٢ مكية

(١) الأنبياء : ٣١ مكية

(٢) المؤمنون : ٤٩ مدنية

(٣) القصص : ٢٠ - ٢٢ مكية

الهدى وصف للوحي (الكتب السماوية):

١٧- آله (١)

ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾
الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ
مِّن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾
أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ (١)

١٨- قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي
هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ (٢)

١٩- قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ
عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ (٣)

٢٠- وَلَن تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ
مِلَّتَهُمْ قُلْ إِن هُدًى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِن
اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ
مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ (٤)

٢١- شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ
هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ
وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ

وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ
مِّنْ أَتْيَامٍ أُخْرِجُوا بِكُم بِكُمُ الْيُسْرَ
وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ
وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدٰنَكُم
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ (٥)

٢٢- آله (١)

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿١﴾
نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٢﴾
مِّن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
ذُو نِقَامٍ ﴿٤﴾ (٦)

٢٣- هٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ (٧)

٢٤- يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ
رَسُولُنَا يَبَيِّنُ لَكُم كَثِيرًا مِّمَّا
كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ
وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ
مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾
يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ
سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ
وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ (٨)

(٧) آل عمران : ١٣٨ مدنية

(٨) المائدة : ١٥ - ١٦ مدنية

(٤) البقرة : ١٢٠ مدنية

(٥) البقرة : ١٨٥ مدنية

(٦) آل عمران : ١ - ٤ مدنية

(١) البقرة : ١ - ٥ مدنية

(٢) البقرة : ٣٨ مدنية

(٣) البقرة : ٩٧ مدنية

٢٥- إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا
النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا
وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا
مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا
تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا
بِعَائِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾
وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ
وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ
وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ
قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارٌ
لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾
وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى
وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَهُدًى
وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ (١)

٢٦- وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا
هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ
دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى
وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾
وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ
مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾

وَأِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا
فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾
وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ
وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾
ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾
أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ
فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوًا
بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْ لَهُمْ أَقْدَهُ
قُلْ لَا أَشْتَكُمُ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ
إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾
وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى
بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ
مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ
تُبَدُّونَهَا وَنَحْفُوفُونَ كَثِيرًا وَعِلِّمْتُم مِمَّا تَعْلَمُونَ أَنْتُمْ
وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ (٢)

٢٧- ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي
أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً
لَعَلَّهُمْ يَلْقَاءُ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ (٣)
٢٨- وَهَذَا كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾

أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ
مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾
أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى

مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ
وَهُدَى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ
اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ
عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾^(١)

٢٩- وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدَى
وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾^(٢)

٣٠- وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ
وَفِي نُسَخَتِهَا هُدَى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ
لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾

وَأَخْبَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا
أَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمُ
مِنْ قَبْلُ وَإِنِّي أَتْلُو أَسْفَهَاءَ مِنَّا إِنْ هِيَ
إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ
أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾^(٣)

٣١- وَإِذْ أَلَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا
قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَإُ
مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدَى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾^(٤)

٣٢- هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٢﴾^(٥)

٣٣- يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ
وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدَى
وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾^(٦)

٣٤- لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ
مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقُ
الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ
وَهُدَى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾^(٧)

٣٥- وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ
الَّذِي أُخْلِفُوا فِيهِ وَهُدَى وَرَحْمَةً
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾^(٨)

٣٦- وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ
وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ
الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدَى
وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾^(٩)

٣٧- وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَاتٍ آيَةً وَاللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفَرِّجُ
بَلٍّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ
لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدَى
وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾^(١٠)

٣٨- وَءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ لَّا تَتَّخِذُوا
مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾^(١١)

(٩) النحل : ٨٩ مكية
(١٠) النحل : ١٠١ - ١٠٢
مدنية
(١١) الإسراء : ٢ مكية

(٥) التوبة : ٣٣ مدنية
(٦) يونس : ٥٧ مكية
(٧) يوسف : ١١١ مكية
(٨) النحل : ٦٤ مكية

(١) الأنعام : ١٥٥ - ١٥٧ مكية
(٢) الأعراف : ٥٢ مكية
(٣) الأعراف : ١٥٤ - ١٥٥ مكية
(٤) الأعراف : ٢٠٣ مكية

٣٩- إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ
أَنْ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿١﴾

وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا
إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾

٤٠- وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى
إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿١٤﴾
قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَكَةٌ يَمْشُونَ
مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ
مَلَكًا رَسُولًا ﴿١٥﴾
قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٦﴾

٤٣- اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ
كَمِشْكُورَةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيُّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ
مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا
يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي
اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ
لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

٤٤- طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾

هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾

٤٥- إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْضَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ
أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾
وَإِنَّهُ لَهْدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾

٤٦- وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ
مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ
وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

٤٧- أَلَمْ
تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾
هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾

٤١- أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾
فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَكَ بِتَذَكُّرٍ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾
قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴿٤٥﴾
قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٤٦﴾
فَأَنبِأَهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا
بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْذِبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِثَابِتٍ
مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴿٤٧﴾

٤٢- إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
يُحْكَمُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا
وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿١٣﴾

(٧) النمل : ٧٦ - ٧٧ مكية

(٨) القصص : ٤٣ مكية

(٤) الحج : ٢٣ - ٢٤ مدنية

(٥) النور : ٣٥ مدنية

(٦) النمل : ١ - ٣ مكية

(١) الإسراء : ٩ مكية

(٢) الإسراء : ٩٤ - ٩٦ مكية

(٣) طه : ٤٣ - ٤٧ مكية

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤٧﴾

أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٤٨﴾

٤٨ - وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ
مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٤٩﴾

وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا
وَكَانُوا بَيْنَنَا يَوْمَئِذٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٥١﴾

أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ
مَنْ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٥٢﴾

٤٩ - وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ
مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ
الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٥٣﴾

٥٠ - اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ
نُفِصِلُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ
ذَلِكَ هُدًى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ
وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٥٤﴾

٥١ - وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدًى وَأَوْرَثْنَا
بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٥﴾

هُدًى وَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٦﴾

٥٢ - وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا فَجَعَلْنَاهُ لِقَالِ الْوَلَا فُصِّلَتْ
آيَاتُهُ وَأَنْجَمِي وَعَرَبِي قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا
هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
فِي آذَانِهِمْ وَقُرْءَانُهُمْ عَمًى أُولَئِكَ
يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٧﴾

٥٣ - وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي
مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي
بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٨﴾

صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٩﴾

٥٤ - هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ
مِنْ رَجْزِ الْبَرِّ ﴿٦٠﴾

٥٥ - هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٦١﴾

٥٦ - وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ
الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا
فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٦٢﴾
قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ
مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٣﴾

(٨) الجاثية : ١١ مكية
(٩) الجاثية : ٢٠ مكية
(١٠) الأحقاف : ٢٩ - ٣٠ مكية

(٥) غافر : ٥٣ - ٥٤ مكية
(٦) فصلت : ٤٤ مكية
(٧) الشورى : ٥٢ - ٥٣ مكية

(١) لقمان : ١ - ٥ مكية
(٢) السجدة : ٢٣ - ٢٦ مكية
(٣) سبأ : ٦ مكية
(٤) الزمر : ٢٣ مكية

٥٧ - هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى
وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ
وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (٢٨) (١)

٥٨ - أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّى (١٩)
وَمَنُوءَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠)
أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى (٢١)
تِلْكَ إِذْ أَوَّيْتُنَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ فَخُرُوتُمْ

٥٩ - هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ
عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (١) (٢) (٣)

٦٠ - قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا
إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا (١)

يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن تُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) (٤)

٦١ - وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ
فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (١٣) (٥)

٦٢ - أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى
عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠)
أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١)
أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَى (١٢) (٦)

الهدى واقع من الله وفضل منه:

٦٣ - لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا
فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ
مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ
الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا
هَدَىٰكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ
لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) (٧)

٦٤ - كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ
مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ
وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ
وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢١٣) (٨)

٦٥ - رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ
رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨) (٩)

٦٦ - وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنْ الْهُدَى
هُدَى اللَّهُ أَنْ يُؤْتِيَ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ
أَوْ يُحَاجُّكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ
يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٧٣) (١٠)

(٨) البقرة : ٢١٣ مدنية
(٩) آل عمران : ٨ مدنية
(١٠) آل عمران : ٧٣ مدنية

(٥) الجن : ١٣ مكية
(٦) العلق : ٩ - ١٢ مكية
(٧) البقرة : ١٩٨ مدنية

(١) الفتح : ٢٨ مدنية
(٢) النجم : ١٩ - ٢٣ مكية
(٣) الصف : ٩ مدنية
(٤) الجن : ١ - ٢ مكية

٦٧ - إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾^(١)

٦٨ - وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٧﴾^(٢)

٦٩ - يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِي فِيكُمْ وَيُخَذِّبَ لَكُمْ أَصْلَابَكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٨﴾^(٣)

٧٠ - وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَبِيئًا ﴿١٩﴾
وَإِذَا لَا تَأْتِيهِمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٠﴾
وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢١﴾^(٤)

٧١ - قُلْ أَدْعُوا إِلَىٰ دِينِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُزِّلُ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ انْتَظِرْ
هُدًى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا نُسَلِّمُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾^(٥)

٧٢ - وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٢٣﴾
فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكَبَ قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٢٤﴾
فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٢٥﴾

فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُغْوِيَانِي لَذَنِيٍّ أَفِيءُكُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٢٦﴾

إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢٧﴾

وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٨﴾

وَكَيفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُكُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾^(٦)

(٥) الأنعام : ٧١ مكية

(٦) الأنعام : ٧٥ - ٨٢ مكية

(٣) النساء : ٢٦ مدنية

(٤) النساء : ٦٦ - ٦٨ مدنية

(١) آل عمران : ٩٦ مدنية

(٢) آل عمران : ١٠١ مدنية

٨١- إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾

شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَجْتَبَنَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾^(١)

٨٢- نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ
إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٢٢﴾^(٢)

٨٣- أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ
آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذِ اتَّخَذُوا عَلَيْهِمْ
آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾^(٣)

٨٤- وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَقِيَّةُ
الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٧٦﴾^(٤)

٨٥- قَالَ فَمَنْ رَّبُّكُمْ يَا مُوسَى ﴿٤٩﴾
قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾^(٥)

٨٦- وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ
فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾
فَقُلْنَا يَتَدَبَّرُونَ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ
فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾
إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾
وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾

فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَدَبَّرُونَ
هَذَا أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبُلَى ﴿١٢٠﴾
فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخِصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ
وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾

ثُمَّ أَجْنَبْنَاهُ رَبَّهُ فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾
قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ
فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى
فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾^(٦)

٨٧- وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعِيرٍ اللَّهُ لَكُمْ فِيهَا
خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ
جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ
سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾
لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ
التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا
اللَّهَ عَلَى مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾^(٧)

٨٨- وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ
اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾^(٨)

٨٩- وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ
وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾^(٩)

(٧) الحج : ٣٦ - ٣٧ مدنية

(٨) الحج : ٥٤ مدنية

(٩) الفرقان : ٣١ مكية

(٤) مريم : ٧٦ مكية

(٥) طه : ٤٩ - ٥٠ مكية

(٦) طه : ١١٦ - ١٢٣ مكية

(١) النحل : ١٢٠ - ١٢١ مكية

(٢) الكهف : ١٣ مكية

(٣) مريم : ٥٨ مدنية

٩٠ - ﴿٥٢﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْكُمْ
مُتَّبِعُونَ ﴿٥٣﴾

فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٤﴾
إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٥﴾
وَأِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِطُونَ ﴿٥٦﴾

وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٥٧﴾
فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٨﴾
وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٩﴾
كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٦٠﴾
فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦١﴾

فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ
إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦٢﴾
(١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٣﴾

٩١ - قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾
أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾
فَأَنَّهُمْ عُدُوِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾
الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾
(٢)

٩٢ - أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ
(٣) أَيْلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾

٩٣ - مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ
أَزْوَاجَكُمْ أَلْفًا تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ
أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۚ وَاللَّهُ
يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٦٥﴾
(٤)

٩٤ - وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾
وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾
وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾
وَأَيَّدْنَاهُمَا بِالْكِتَابِ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾
(٥) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾

٩٥ - وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ
لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١١٩﴾
الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَيْنَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ
هُمْ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٢٠﴾
(٦)

٩٦ - يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَلَّ لَا تُمْنُوا عَلَىٰ إِسْلَامِكُمْ
بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُمُ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿١٢١﴾
(٧)

٩٧ - مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ
بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمًا ﴿١٢٢﴾
(٨)

(٧) الحجرات : ١٧ مدنية

(٨) التغابن : ١١ مدنية

(٤) الأحزاب : ٤ مدنية

(٥) الصافات : ١١٤ - ١١٨ مكية

(٦) الزمر : ١٧ - ١٨ مكية

(١) الشعراء : ٥٢ - ٦٢ مكية

(٢) الشعراء : ٧٥ - ٧٨ مكية

(٣) النمل : ٦٣ مكية

٩٨ - إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١﴾

(١)

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٢﴾

٩٩ - سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾

الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾

وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾

(٢)

١٠٠ - أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾

وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾

وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾

(٣)

١٠١ - وَالضُّحَى ﴿١﴾

وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴿٢﴾

مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿٣﴾

وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴿٤﴾

وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿٥﴾

أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾

وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾

وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾

فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾

وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾

(٤)

وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

الهدى رهن بمشيئة الله وإرادته:

١٠٢ - قَالُوا أَدْعُنَا رَبَّنَا يَبْدَأَ لَنَا مَاهِي إِنْ الْبَقَرِ تَشَبَهَ

عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾

قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَذُلُّ تُشِيرُ إِلَى الْأَرْضِ

وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةً لَا شَيْءَ فِيهَا قَالُوا

الَّتِي جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا

يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾

(٥)

١٠٣ - سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَهُمْ عَن

قِبَلِهِمُ الْحَقُّ كَانُوا عَلَيْنَهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ

يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا

شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ

شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا

لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ

وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا

كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَنِ الْإِيمَانِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ

لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾

(٦)

١٠٤ - لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي

مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ

فَلَا تُنْفِسْكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ

وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ

إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ ﴿٧٦﴾

(٧)

١٠٥- وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ
تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ
فَتَأْتِيهِمْ بِنَايَةٍ أَوْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى
الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾^(١)

١٠٦- فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ
وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا
حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ
كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾^(٢)

١٠٧- قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾^(٣)

١٠٨- وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ
قُلْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ
مَنْ أُنَابَ ﴿٢٧﴾^(٤)

١٠٩- وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ
لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾^(٥)

١١٠- وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ
وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾

وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ
وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾
وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ
إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ
رَحِيمٌ ﴿٧﴾

وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً
وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾
وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ
لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١﴾^(٦)

١١١- وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ
يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْتَلُنَّ
عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾^(٧)

١١٢- وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ
وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴿١٦﴾^(٨)

١١٣- لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾^(٩)

١١٤- إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾

وَقَالُوا إِن نَّبِيعُ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُخَطَفُ مِنْ أَرْضِنَا
أَوْ لَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا أَمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ

(٧) النحل : ٩٣ مكية

(٨) الحج : ١٦ مدنية

(٩) النور : ٤٦ مدنية

(٤) الرعد : ٢٧ مدنية

(٥) إبراهيم : ٤ مكية

(٦) النحل : ٥ - ٩ مكية

(١) الأنعام : ٣٥ مكية

(٢) الأنعام : ١٢٥ مكية

(٣) الأنعام : ١٤٩ مكية

ثَمَرْتُ كُلِّ شَيْءٍ رَزَقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾^(١)

الهدى في مقابل الضلال من الله أو من العبد:

١١٥ - وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى
وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٢﴾^(٢)

١١٩ - ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا
بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا
فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ
كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا

١١٦ - أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ لَمْ يَضِلُّ
مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ
عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾^(٣)

مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ
كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٦٦﴾^(٦)

١٢٠ - فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ
وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ ءَاسَلَمْتُ
فَإِنْ ءَسَلِمُوا فَقَدْ ءَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
عَلَيْكَ الْبَلَّغُ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾^(٧)

١١٧ - ﴿٨﴾ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى
وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ
عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي
إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾^(٤)

١٢١ - وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى
الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا
أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا
وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٤﴾

١١٨ - وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ
إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَفِيقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
وَيَزِدَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَزْنَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ
مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ
لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾^(٥)

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ
مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَإُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾^(٦)
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ
أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَشَانِ ذَوَا عَدْلٍ
مِنْكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي

(٦) البقرة : ٢٦ مدنية

(٧) آل عمران : ٢٠ مدنية

(٤) الشورى : ١٣ مكية

(٥) المدثر : ٣١ مكية

(١) القصص : ٥٦ - ٥٧ مكية

(٢) السجدة : ١٣ مكية

(٣) فاطر : ٨ مكية

الْأَرْضِ فَأَصْبَحْتُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا
مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ

لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ

شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْإِثْمِينَ ﴿١١٦﴾

فَإِنْ عُدِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا فَاخْرَأْ إِنَّ يَقُومَانِ

مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَايْنَ

فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتَيْهِمَا

وَمَا أَعْتَدَيْنَا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١١٧﴾

ذَلِكَ أَذَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا

أَوْ يَخَافُوا أَنْ تَرُدَّ آمِنٌ بَعْدَ آمِنِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ

وَأَسْمِعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١٨﴾ (١)

كُلِّ مَسْجِدٍ وَأَدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿١١٩﴾

فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ

اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿١٢٠﴾ (٤)

١٢٥- مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِّ

فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ (٥)

١٢٦- وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى

وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ﴿١٢٢﴾ (٦)

١٢٧- قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ

فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ

فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٢٣﴾ (٧)

١٢٢- قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ

اللَّهِ قُلْ لَا آتِيعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا

وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ (٢)

١٢٨- وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ

اللَّهُ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَىٰ اللَّهُ

وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا

فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾

إِنْ تَحَرَّصَ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي

مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ (٨)

١٢٣- وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ

إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ

أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ (٣)

١٢٤- قُلْ أَمْرٌ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ

(٧) يونس : ١٠٨ مكية

(٨) النحل : ٣٦-٣٧ مكية

(٤) الأعراف : ٢٩-٣٠ مكية

(٥) الأعراف : ١٧٨ مكية

(٦) يونس : ٤٣ مكية

(١) المائدة : ١٠٤-١٠٨ مدنية

(٢) الأنعام : ٥٦ مكية

(٣) الأنعام : ١١٦-١١٧ مكية

١٢٩ - ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ
الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ (١)

١٣٠ - مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ
فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ
وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ (٢)

١٣١ - وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَن تَجِدَ
لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَائًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ
كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿١٧﴾ (٣)

١٣٢ - وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ
ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ
وَهُمْ فِي فَجْوةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ
اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَن تَجِدَ
لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ (٤)

١٣٣ - إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أُعْبَدَ رَبُّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي
حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ
أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١﴾

وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ ۚ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي
لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٢﴾ (٥)

١٣٤ - وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ
مِنْ عِنْدِهِ ۖ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ
إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٧﴾ (٦)

١٣٥ - إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ
إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ
وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ (٧)

١٣٦ - قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى
أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ (٨)

١٣٧ - قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ
فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ (٩)

١٣٨ - أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ
مِنْ دُونِهِ ۖ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ
فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾
وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّضِلٍّ
أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ (١٠)

(٨) سبأ : ٢٤ مكية
(٩) سبأ : ٥٠ مكية
(١٠) الزمر : ٣٦ - ٣٧ مكية

(٥) النمل : ٩١ - ٩٢ مكية
(٦) القصص : ٣٧ مكية
(٧) القصص : ٨٥ مكية

(١) النحل : ١٢٥ مكية
(٢) الإسراء : ١٥ مكية
(٣) الإسراء : ٩٧ مكية
(٤) الكهف : ١٧ مكية

١٣٩ - إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ
فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا
يُضِلُّ عَلَيْهِمَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ^(١)

إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ يَتَابَتِ لِمَ تَعْبُدُونَ مَا لَا يَسْمَعُ
وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ^(٢)
يَتَابَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ
فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ^(٣)

١٤٠ - ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ
عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ^(٤)

١٤٥ - وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا
وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ^(٥)

١٤١ - وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا
النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ^(٦)

١٤٦ - وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَتَقَوَّمُ الْمُتَّبِعُونَ
أَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ^(٧)

١٤٢ - إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ ^(٨)

١٤٧ - وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ
عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ۖ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ^(٩)

الهدى وعد من الله أو من غيره:

١٤٣ - يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُفْرَهُنَّ مِنْ رَبِّكُم
وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ^(١٠)
فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ
فَسَيْدُ خَلْقِهِمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ
إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ^(١١)

فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ
فَشُدُّوا أَلْوَابَكُمْ فَامَّا مَتَابَعُودُ وَإِمَّا فِدَاءٌ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ
أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ
بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ^(١٢)
سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ^(١٣)

١٤٤ - وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ^(١٤)

(٧) العنكبوت : ٦٩ مكية

(٨) غافر : ٣٨ مكية

(٩) محمد : ٢ - ٥ مدنية

(٤) القلم : ٧ مكية

(٥) النساء : ١٧٤ - ١٧٥ مدنية

(٦) مريم : ٤١ - ٤٣ مكية

(١) الزمر : ٤١ مكية

(٢) النجم : ٣٠ مكية

(٣) الحديد : ٢٦ مدنية

١٤٨ - إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾

لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ

وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾

وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ (١)

١٤٩ - وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ

لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً

لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٤﴾ (٢)

١٥٠ - هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٥﴾

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿٦﴾

أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٧﴾

فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزَكَّى ﴿٨﴾

وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَخَشَى ﴿٩﴾ (٣)

١٥١ - إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴿١٠﴾

وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴿١١﴾ (٤)

الهدى وصفا للبشر إثباتاً أو نفياً:

١٥٢ - فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنُتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا

وَإِنْ نُولَوْا فَاِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمْ

اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢﴾ (٥)

١٥٣ - وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ

مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرَاتِ وَبَشِيرٍ

الصَّابِرِينَ ﴿١٣﴾

الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ

رَاجِعُونَ ﴿١٤﴾

أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ (٦)

١٥٤ - إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا

فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا

أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْتَ

مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٦﴾

إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ

لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿١٧﴾ (٧)

١٥٥ - وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا

بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ (٨)

١٥٦ - أَوْلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ

أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ

وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٩﴾ (٩)

(٧) النساء : ٩٧ - ٩٨ مدنية

(٨) الأنعام : ٩٧ مكية

(٩) الأعراف : ١٠٠ مكية

(٤) الليل : ١٢ - ١٣ مكية

(٥) البقرة : ١٣٧ مدنية

(٦) البقرة : ١٥٥ - ١٥٧ مدنية

(١) الفتح : ١ - ٣ مدنية

(٢) الفتح : ٢٠ مدنية

(٣) النازعات : ١٥ - ١٩ مدنية

١٥٧ - وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّ مَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾^(١)

١٥٨ - قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٤﴾^(٢)

١٥٩ - وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١﴾
إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا
لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ
عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾^(٣)

١٦٠ - كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ
عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾

وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا
ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾^(٤)

١٦١ - أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ
فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾^(٥)

١٦٢ - قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ
مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾^(٦)

١٦٣ - قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾

وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾
وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ
الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً
وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا
إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ
وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾^(٧)

١٦٤ - وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ
وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ﴿٢﴾

كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ
وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾^(٨)

١٦٥ - لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ
فَلَا يَنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ
هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾^(٩)

١٦٦ - قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ
تَهْتَدُوا وَمَعَ الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلَعُ الْمُبِيتُ ﴿٥٤﴾^(١٠)

(٨) الحج : ٣ - ٤ مدنية
(٩) الحج : ٦٧ مدنية
(١٠) النور : ٥٤ مدنية

(٥) طه : ١٢٨ مكية
(٦) طه : ١٣٥ مكية
(٧) الأنبياء : ٦٩ - ٧٣ مكية

(١) الرعد : ٧ مدنية
(٢) الإسراء : ٨٤ مكية
(٣) طه : ٩ - ١٠ مكية
(٤) طه : ٨١ - ٨٢ مكية

١٦٧- فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَنِيَ اللَّهُ

خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾

أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِّبَنَّهُمْ بِمِجْنَدٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا

وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾

قَالَ يَأَيُّهَا الْمَلَأُوا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا

قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾

قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ

مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾

قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ

أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ

هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ

وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ

وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾

قَالَ تَكَرُّوْا هَٰذَا عَرْشُهَا نَنْظُرُ أَنِ هَدَىٰ

أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ (١)

١٦٨- قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا

أَنَّا نَحْنُ صَدْدٌ بَيْنَكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ

بَلْ كُنْتُمْ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ (٢)

١٦٩- وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ

يَسْعَىٰ قَالَ يَنْقُومُ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٤٠﴾

اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ (٣)

١٧٠- وَالَّذِينَ آهَتُوا زَادَهُمُ هُدًى وَءَانَّهُمْ يَقُولُهُمْ ﴿٤٧﴾ (٤)

١٧١- أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ ءَأَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا

عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٢﴾ (٥)

الأحاديث الواردة في «الهدى»

١- * (عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ، وَحُجْرِ بْنِ حُجْرٍ، قَالَا: أَتَيْنَا الْعَرَبَابُضَ بْنَ سَارِيَةَ، وَهُوَ مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ (التوبة/ ٩٢) فَسَلَّمْنَا، وَقُلْنَا: أَتَيْنَاكَ، زَائِرِينَ، وَعَائِدِينَ، وَمُقْتَسِبِينَ. قَالَ الْعَرَبَابُضُ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجَلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ. فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودَعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟. فَقَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بِعَدِي فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»*)^(١).

٢- * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ - أَوْ صَاحِبُهُ - يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحْ بِالْكُم»*)^(٢).

٣- * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: أَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهُوَ مُرْدِفٌ أَبَا بَكْرٍ، وَأَبُو بَكْرٍ شَيْخٌ يُعْرِفُ وَنَبِيُّ اللَّهِ ﷺ شَابٌّ لَا يُعْرِفُ،

قَالَ: فَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَا بَكْرٍ فَيَقُولُ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ؟. فَيَقُولُ: هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ، قَالَ فَيَحْسِبُ الْحَاسِبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي الطَّرِيقَ، وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الْخَيْرِ. فَالْتَفَتَ أَبُو بَكْرٍ فَإِذَا هُوَ بِفَارِسٍ قَدْ لَحَقَهُمْ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا فَارِسٌ قَدْ لَحِقَ بِنَا، فَالْتَفَتَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اصْرَعْهُ»، فَصْرَعَهُ الْفَرَسُ، ثُمَّ قَامَتْ تُحْمِحُهُ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مُرْنِي بِمَا شِئْتَ. قَالَ: «فَقِفْ مَكَانَكَ، لَا تَتْرُكَنَّ أَحَدًا يَلْحَقُ بِنَا». قَالَ: فَكَانَ أَوَّلَ النَّهَارِ جَاهِدًا عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ آخِرُ النَّهَارِ مَسْلَحَةً لَهُ^(٣)، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَانِبَ الْحَرَّةِ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى الْأَنْصَارِ فَجَاءُوا إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ فَسَلَّمُوا عَلَيْهَا وَقَالُوا: ارْكَبَا آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ. فَرَكِبَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَحَفُّوا دُونَهُمَا بِالسَّلَاحِ، فَقِيلَ فِي الْمَدِينَةِ: جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ، جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، فَأَشْرَفُوا يَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ. فَأَقْبَلَ يَسِيرُ حَتَّى نَزَلَ جَانِبَ دَارِ أَبِي أَيُّوبَ، فَإِنَّهُ لِيَحْدِثُ أَهْلُهُ إِذْ سَمِعَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ وَهُوَ فِي نَخْلٍ لِأَهْلِهِ يَخْتَرِفُ لَهُمْ^(٤)، فَعَجَلَ أَنْ يَضَعَ الَّذِي يَخْتَرِفُ لَهُمْ فِيهَا، فَجَاءَ وَهِيَ مَعَهُ، فَسَمِعَ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ بَيْتٍ أَهْلُنَا أَقْرَبُ؟». فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: أَنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَذِهِ دَارِي وَهَذَا بَابِي.

(٢) البخاري - الفتح ١٠ (٦٢٢٤).

(٣) مَسْلَحَةٌ لَهُ: أَيُّ حَارِسًا لَهُ.

(٤) يَخْتَرِفُ لَهُمْ: أَيُّ يَجْتَنِي مِنَ الشَّارِ.

(١) أبوداود (٤٦٠٧) واللفظ له. وقال الألباني في صحيح أبي

داود (٨٧١/٣) حديث رقم (٣٨٥١): صحيح.

والترمذي (٢٦٧٦) وقال: حديث حسن صحيح. وقال

محقق جامع الأصول (٢٧٩/١): إسناده صحيح.

قَالَ فَاَنْطَلَقَ فَهَيَّئْ لَنَا مَقِيلًا^(١). قَالَ: قُومًا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ . فَلَمَّا جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّكَ جِئْتَ بِحَقٍّ . وَقَدْ عَلِمْتُ يَهُودَ أَنِّي سَيِّدُهُمْ وَابْنُ سَيِّدِهِمْ وَأَعْلَمُهُمْ وَابْنُ أَعْلَمِهِمْ، فَادْعُهُمْ فَاسْأَلْهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، فَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ قَالُوا فِيَّ مَا لَيْسَ فِيَّ . فَأَرْسَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلُوا فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، وَيَلَّكُمْ اتَّقُوا اللَّهَ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقٍّ، فَاسْلِمُوا». قَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ - قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَارٍ - قَالَ: «فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ؟». قَالُوا: ذَاكَ سَيِّدُنَا، وَابْنُ سَيِّدِنَا، وَأَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا. قَالَ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟». قَالُوا: حَاشَا لِلَّهِ، مَا كَانَ لِيُسْلِمَ. قَالَ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟». قَالُوا: حَاشَا لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ. قَالَ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟» قَالُوا: حَاشَا لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ. قَالَ: «يَا ابْنَ سَلَامٍ! اخْرُجْ عَلَيْهِمْ» فَخَرَجَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، اتَّقُوا اللَّهَ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ! إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ. فَقَالُوا: كَذَبْتَ، فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ * (٢).

٤ - * (عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ؟ وَكَانَ بَيْتًا فِي خَثْعَمٍ يُسَمَّى كَعْبَةَ الْيَمَانِيَّةِ.

فَاَنْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةٍ مِنْ أَحْمَسَ - وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ - فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنِّي لَا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ، فَضَرَبَ فِي صَدْرِي حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ أَصَابِعِهِ فِي صَدْرِي، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًا». فَاَنْطَلَقَ إِلَيْهَا فَكَسَرَهَا وَحَرَّقَهَا، فَأَرْسَلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُبَشِّرُهُ، فَقَالَ رَسُولُ جَرِيرٍ لِرَسُولِ اللَّهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا جِئْتُكَ حَتَّى تَرَكْتُهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْرَبُ. فَبَارَكَ عَلَى خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا مَرَاتٍ * (٣).

٥ - * (عَنْ أَبِي أَيُّوبَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي سَفَرٍ. فَأَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ^(٤) أَوْ بِزِمَامِهَا. ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ. ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ وَفَّقَ أَوْ لَقَدْ هُدِيَ». قَالَ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ فَأَعَادَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا. وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ. وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ. وَتَصِلُ الرَّحِمَ. دَعِ النَّاقَةَ» * (٥).

٦ - * (عَنْ أَبِي الْأَشْعَثِ الصَّنْعَانِيِّ أَنَّ خُطْبَاءَ قَامَتْ بِالسَّامِ وَفِيهِمْ رَجَالٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَامَ آخِرُهُمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ مُرَّةُ بْنُ كَعْبٍ، فَقَالَ: لَوْلَا حَدِيثُ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا قُمْتُ، وَذَكَرَ الْفِتْنَ فَقَرَّبَهَا، فَمَرَّ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ فِي ثَوْبٍ فَقَالَ: هَذَا يَوْمٌ مِثْلُ عَلَى الْهُدَى، فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، قَالَ:

(٤) بِخِطَامِ نَاقَتِهِ: الْخِطَامُ - بِكَسْرِ الْخَاءِ حَبْلٌ مِنْ لَيْفٍ أَوْ كَتَانٍ يَجْعَلُ فِي أَنْفِ الْبَعِيرِ لِيَقَادَ بِهِ .
(٥) مُسْلِمٌ (١٣).

(١) مَقِيلًا: أَيُّ مَكَانًا نَسْتَرِيحُ فِيهِ وَقْتُ الْقِيلُولَةِ وَهِيَ الظَّهِيرَةُ.

(٢) الْبُخَارِيُّ - الْفَتْحُ ٧ (٣٩١١).

(٣) الْبُخَارِيُّ - الْفَتْحُ ٦ (٣٠٧٦) وَاللَّفْظُ لَهُ وَمُسْلِمٌ (٢٤٧٦).

فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ، فَقُلْتُ: هَذَا؟ قَالَ نَعَمْ* (١).

٧ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو عَلَى أَرْبَعَةٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (الأعراف/ ١٢٨) قَالَ: فَهَذَا هُمْ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ)* (٢).

٨ - * (عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُكْثِرُ فِي دُعَائِهِ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ». قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوَّ أَنَّ الْقُلُوبَ لَتَتَقَلَّبُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، مَا مِنْ خَلْقٍ اللَّهُ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ بَشَرٍ إِلَّا أَنْ قَلْبَهُ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، فَإِنْ شَاءَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ اللَّهُ أَرَاغَهُ، فَتَسْأَلُ اللَّهُ رَبَّنَا أَنْ لَا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَتَسْأَلُهُ أَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ». قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تُعَلِّمُنِي دَعْوَةً أَدْعُو بِهَا لِنَفْسِي، قَالَ: «بَلَى. قُولِي: اللَّهُمَّ! رَبِّ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَأَذْهَبْ غَيْظَ قَلْبِي، وَأَجِرْنِي مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ مَا أَحْيَيْتَنَا»)* (٣).

٩ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُتَّقِي، الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، الْخَالِقُ، الْبَارِئُ، الْمُصَوِّرُ، الْغَفَّارُ، الْقَهَّارُ، الْوَهَّابُ، الرَّزَّاقُ، الْفَتَّاحُ، الْعَلِيمُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الْخَافِضُ، الرَّافِعُ، الْمُعِزُّ، الْمُدِلُّ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْحَكَمُ، الْعَدْلُ، اللَّطِيفُ، الْخَبِيرُ، الْحَلِيمُ، الْعَظِيمُ، الْغَفُورُ، الشَّكُورُ، الْعَلِيُّ، الْكَبِيرُ، الْحَفِيزُ، الْمُقَيِّتُ، الْحَسِيبُ، الْجَلِيلُ، الْكَرِيمُ، الرَّقِيبُ، الْمُجِيبُ، الْوَاسِعُ، الْحَكِيمُ، الْوَدُودُ، الْمَجِيدُ، الْبَاعِثُ، الشَّهِيدُ، الْحَقُّ، الْوَكِيلُ، الْقَوِيُّ، الْمُتَيْنُ، الْوَلِيُّ، الْحَمِيدُ، الْمُحْصِي، الْمُبْدِي، الْمُعِيدُ، الْمُحْيِي، الْمُمِيتُ، الْحَيُّ، الْقَيُّومُ، الْوَاجِدُ، الْمَاجِدُ، الْوَاحِدُ، الصَّمَدُ، الْقَادِرُ، الْمُقْتَدِرُ، الْمُقَدِّمُ، الْمُؤَخِّرُ، الْأَوَّلُ، الْآخِرُ، الظَّاهِرُ، الْبَاطِنُ، الْوَالِي، الْمُتَعَالِي، الْبَرُّ، التَّوَّابُ، الْمُنْتَقِمُ، الْعَفُوفُ، الرَّؤُوفُ، مَالِكُ الْمُلْكِ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، الْمُقْسِطُ، الْجَامِعُ، الْغَنِيُّ، الْمُغْنِي، الْمَانِعُ، الضَّارُّ، النَّافِعُ، النُّورُ، الْهَادِي، الْبَدِيعُ، الْبَاقِي، الْوَارِثُ، الرَّشِيدُ، الصَّبُورُ»)* (٤).

والهيثمي في مجمع الزوائد (٣٢٥/٦) وقال: روى الترمذي بعضه ورواه أحمد وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف وقد وثق.

(٤) الترمذي (٣٥٠٧) وقال: هذا حديث غريب، حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح، ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح، وهو ثقة عند أهل الحديث. وابن ماجه (٣٨٦١) وقال في الزوائد: طريق الترمذي أصح شيء في الباب. وقال النووي في الأذكار (١٢٨): حديث حسن رواه الترمذي وغيره.

(١) الترمذي (٣٧٠٤) واللفظ له وقال: حديث حسن صحيح وأحمد (٢٣٦/٤). وابن ماجه في المقدمة (١١١) ورواية أحمد فيها: (هذا يومئذ وأصحابه على الحق والهدى).

(٢) أحمد (١٠٤/٢) واللفظ له، وأصله عند البخاري (٧٤/٨) برقم (٤٥٦٠) وذكره ابن حجر وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح.

(٣) أحمد (٣٠٢/٦). ونحوه عند مسلم (٢٦٥٤) من حديث عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - وأقرب منه عند الترمذي (٢١٤٠-٢١٤١) وقال: حديث حسن صحيح.

١٠ - * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ نَحْلًا لِبَنِي النَّجَّارِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فَفَزِعَ، فَقَالَ: «مَنْ أَصْحَابُ هَذِهِ الْقُبُورِ؟». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَاسٌ مَاتُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ» قَالُوا: وَمِمَّ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَإِنْ اللَّهُ هَذَا قَالَ: كُنْتُ أَعْبُدُ اللَّهَ، فَيَقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَمَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ، غَيْرَهَا، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى بَيْتٍ كَانَ لَهُ فِي النَّارِ فَيَقَالُ لَهُ: هَذَا يَشْكُكَ كَانَ لَكَ فِي النَّارِ وَلَكِنَّ اللَّهَ عَصَمَكَ وَرَحِمَكَ فَأَبْدَلَكَ بِهِ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأُبَشِّرَ أَهْلِي، فَيَقَالُ لَهُ: اسْكُنْ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَيَنْتَهَرُهُ فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيَقَالُ لَهُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، فَيَقَالُ لَهُ: فَمَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيَضْرِبُهُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا الْخَلْقُ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ» * (١).

١١ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُمَا - أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْهُدَى الصَّالِحَ، وَالسَّمْتَ الصَّالِحَ، وَالْاِقْتِصَادَ، جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةِ

وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ» * (٢).

١٢ - * (عَنْ رَافِعِ بْنِ سِنَانٍ أَنَّهُ أَسْلَمَ، وَأَبَتْ

أُمُّهُ أَنْ تُسَلِّمَ، فَأَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ: ابْنَتِي وَهِيَ فَطِيمَةُ أَوْشِبْهَةَ، وَقَالَ رَافِعٌ: ابْنَتِي، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «اقْعُدْ نَاحِيَةً». وَقَالَ لَهَا: «اقْعُدِي نَاحِيَةً» قَالَ: وَأَقْعَدَ الصَّبِيَّةَ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ قَالَ: «ادْعُواَهَا» فَمَالَتْ الصَّبِيَّةُ إِلَى أُمِّهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِهَا». فَمَالَتْ الصَّبِيَّةُ إِلَى أَبِيهَا، فَأَخَذَهَا * (٣).

١٣ - * (عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَيَّانَ . قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا

وَحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ وَعُمَرُ بْنُ مُسْلِمٍ إِلَى زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ. فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ قَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: لَقَدْ لَقِيتَ، يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا. رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ. وَغَزَوْتَ مَعَهُ. وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ. لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا. حَدَّثَنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي! وَاللَّهِ لَقَدْ كَبُرَتْ سِنِّي. وَقَدِمَ عَهْدِي. وَنَسِيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعْي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَمَا حَدَّثْتُكُمْ فَاقْبَلُوا. وَمَا لَا، فَلَا تُكَلِّفُونِيهِ. ثُمَّ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِينَا خَطِيبًا. بِمَاءٍ يُدْعَى حُمًّا، بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ. فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعِظَ وَذَكَرَ. ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ. أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ. وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ.

(٢) أبوداود (٤٧٧٦) وقال الألباني في صحيح أبي داود

(٣/٧٩)، ٣٩٩٦: حسن.

(٣) أبوداود (٢٢٤٤/٢) وقال الألباني في صحيح أبي

داود (٢/٤٢٢): صحيح. والنسائي (١٨٥/٦).

(١) أبوداود (٤/٤٧٥١). واللفظ له وذكره الألباني في

الصحيحة (ح ١٣٤٤) وقال: أخرجه أحمد (٣/٣٣١).

وهذا إسناد جيد رجاله رجال الصحيح. وذكره في صحيح

أبي داود (ح ٣٩٧٧) وقال عنه: صحيح والثقلان هما

الإنس والجن.

وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ « فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ . ثُمَّ قَالَ : « وَأَهْلُ بَيْتِي . أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي . أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي . أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي . فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ : وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ ؟ يَا زَيْدُ ، أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ؟ قَالَ : نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ . وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِّمَ الصَّدَقَةُ بَعْدَهُ . قَالَ : وَمَنْ هُمْ ؟ قَالَ : هُمْ آلُ عَلِيٍّ ، وَآلُ عَقِيلٍ ، وَآلُ جَعْفَرٍ ، وَآلُ عَبَّاسٍ . قَالَ : كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِّمَ الصَّدَقَةُ ؟ قَالَ : نَعَمْ » (١) .

١٤ - * (عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ وَامْرَأَةٍ مِنْ قَيْسٍ أَنَّهُمَا سَمِعَا النَّبِيَّ ﷺ قَالَ أَحَدُهُمَا : سَمِعْتُهُ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي خَطِيئِي وَعَمْدِي » . قَالَ الْآخَرُ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ اسْتَهْدِيكَ لَأَرْشِدَ أَمْرِي ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي ») * (٢) .

١٥ - * (عَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تُرْسِلُنِي وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ وَلَا عِلْمَ لِي بِالْقَضَاءِ ؟ فَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ سَيَهْدِي قَلْبَكَ وَيُثَبِّتُ لِسَانَكَ ، فَإِذَا جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْكَ الْخَصْمَانِ فَلَا تَقْضِيَنَّ حَتَّى تَسْمَعَ مِنَ الْآخِرِ كَمَا سَمِعْتَ مِنَ الْأَوَّلِ ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يَتَبَيَّنَ لَكَ الْقَضَاءُ » . قَالَ : فَمَا زِلْتُ قَاضِيًا ، أَوْ مَا شَكَّكْتُ فِي

قَضَاءٍ بَعْدُ) * (٣) .

١٦ - * (عَنْ سَعْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : جَاءَ أَغْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَقَالَ : عَلِّمْنِي كَلَامًا أَقُولُهُ . قَالَ : « قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ » قَالَ : فَهَؤُلَاءِ لِرَبِّي . فَمَا لِي ؟ قَالَ : « قُلْ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ، وَارْحَمْنِي ، وَاهْدِنِي ، وَارْزُقْنِي ») * (٤) .

١٧ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « حِينَ أُسْرِيَ بِي لَقِيتُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، (فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ) فَإِذَا رَجُلٌ (حَسْبُهُ قَالَ) مُضْطَرَبٌ (٥) . رَجُلُ الرَّأْسِ . كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شُنُوءَةٍ . قَالَ ، وَلَقِيتُ عِيسَى (فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ) فَإِذَا رُبْعَةٌ (٦) أَحْمَرُ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيْمَاسٍ . (يَعْنِي الْحَمَامَ) (٧) قَالَ ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ . وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدَهُ بِهِ . قَالَ ، فَأَتَيْتُ بِإِنَاءَيْنِ فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ ، وَفِي الْآخَرِ خَمْرٌ . فَقِيلَ لِي : خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ . فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ . فَقَالَ : هُدَيْتَ الْفِطْرَةَ - أَوْ أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ - أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمَرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ) * (٨) .

١٨ - * (عَنْ لَقِيطِ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ خَرَجَ وَافِدًا إِلَى

(١) مسلم (٢٤٠٨) .

(٢) أحمد ٢١٧/٤ . ومجمع الزوائد ١٧٧/١٠ واللفظ له وقال : رواه أحمد والطبراني إلا أنه قال : وامرأة من قريش ورجالهما رجال الصحيح .

(٣) أبوداود ٣(٣٥٨٢) . قال الألباني في صحيح أبي داود (٢/٦٨٤) : حسن . وأحمد (١/١٣٦) . وقال الشيخ أحمد شاكر (٢/٧٣) : إسناده صحيح .

(٤) مسلم (٢٦٩٦) .

(٥) المضطرب : الطويل غير الشديد .

(٦) رُبْعَةٌ : بفتح الراء - هو المربعوع ، والمراد : أنه ليس بطويل جداً ولا قصير جداً بل وسط .

(٧) والمراد وصفه بصفاء اللون ونضارة الجسم وكثرة ماء الوجه حتى كأنه كان في موضع كين فخرج منه وهو عرقان .

(٨) البخاري - الفتح ٦(٣٤٣٧) . ومسلم (١٦٨) .

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ نَبِيُّكَ بْنُ
عَاصِمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْمُنتَفِقِ^(١) قَالَ لَقِيطٌ: فَخَرَجْتُ
أَنَا وَصَاحِبِي حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَانِسْلَاحِ
رَجَبٍ فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَوَافَيْنَاهُ حِينَ انْصَرَفَ مِنْ
صَلَاةِ الْغَدَاةِ^(٢) فَقَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا فَقَالَ: «أَيُّهَا
النَّاسُ، أَلَا إِنِّي خَبَأْتُ لَكُمْ صَوْتِي مُنْذُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، أَلَا
لَأُسمِعَنَّكُمْ، أَلَا فَهَلْ مِنْ أَمْرٍ بَعَثَهُ قَوْمُهُ» فَقَالُوا:
اعْلَمْنَا لَنَا مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا ثُمَّ لَعَلَّهُ أَنْ يُلْهِيَهُ
حَدِيثُ نَفْسِهِ، أَوْ حَدِيثُ صَاحِبِهِ، أَوْ يُلْهِيَهُ الضَّلَالُ
أَلَا إِنِّي مَسْئُولٌ: هَلْ بَلَغْتُ؟ أَلَا اسْمَعُوا تَعِيشُوا، أَلَا
اجْلِسُوا أَلَا اجْلِسُوا، قَالَ: فَجَلَسَ النَّاسُ وَقُمْتُ أَنَا
وَصَاحِبِي حَتَّى إِذَا فَرَغَ لَنَا فَوَادُهُ وَبَصَرُهُ^(٣)
قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عِنْدَكَ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ؟ فَضَحِكَ
لَعَمْرُ اللَّهِ وَهَزَّ رَأْسَهُ وَعَلِمَ أَنِّي أَبْتَغِي لِسْقَطِهِ فَقَالَ
«ضَنَّ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ بِمَفَاتِيحِ خَمْسٍ مِنَ الْغَيْبِ لَا
يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ» وَأَشَارَ بِيَدِهِ قُلْتُ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: «عِلْمُ
الْمُنِيَّةِ، قَدْ عَلِمَ مَنِيَّةَ أَحَدِكُمْ وَلَا تَعْلَمُونَهُ، وَعِلْمُ الْمَنِيِّ
حِينَ يَكُونُ فِي الرَّحِمِ، قَدْ عَلِمَهُ وَلَا تَعْلَمُونَ، وَعِلْمُ مَا
فِي غَدٍ، وَمَا أَنْتَ طَاعِمٌ غَدًا وَلَا تَعْلَمُهُ، وَعِلْمُ يَوْمِ
الْغَيْثِ يُشْرِفُ عَلَيْكُمْ أَزْلِينَ مُشْفِقِينَ^(٤)، فَيُظَلُّ يَضْحَكُ

قَدْ عَلِمَ أَنَّ غَيْرَكُمْ إِلَى قُرْبٍ، قَالَ لَقِيطٌ: لَنْ نَعْدِمَ مِنْ
رَبِّ يَضْحَكُ خَيْرًا، وَعِلْمُ يَوْمِ السَّاعَةِ، قُلْتُ يَا رَسُولَ
اللَّهِ! عَلِمْنَا مِمَّا تَعْلَمُ النَّاسَ وَمَا تَعْلَمُ، فَأَنَا مِنْ قَبِيلٍ لَا
يُصَدِّقُونَ تَصَدِيقَنَا أَحَدٌ مِنْ مَذْهَبِ النَّاسِ الَّتِي تَرَبُّو عَلَيْنَا
وَحَتْنَمَ الَّتِي تُوَالِينَا وَعَشِيرَتَنَا الَّتِي نَحْنُ مِنْهَا قَالَ:
تَلْبَثُونَ مَا لَبِثْتُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّى نَبِيُّكُمْ ﷺ، ثُمَّ تَلْبَثُونَ مَا لَبِثْتُمْ
ثُمَّ تُبْعَثُ الصَّائِحَةُ لَعَمْرُ إِلَهِكُ، مَا تَدْعُ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ
شَيْءٍ إِلَّا مَاتَ وَالْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ مَعَ رَبِّكَ - عَزَّ وَجَلَّ -
فَأَصْبَحَ رَبُّكَ - عَزَّ وَجَلَّ - يُطِيفُ فِي الْأَرْضِ وَخَلَّتْ
عَلَيْهِ الْبِلَادُ فَأَرْسَلَ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاءَ بِهَضْبٍ^(٥) مِنْ
عِنْدِ الْعَرْشِ، فَلَعَمْرُ إِلَهِكُ مَا تَدْعُ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ
مَضْرَعٍ قَتِيلٍ وَلَا مَدْفَنٍ مَيِّتٍ إِلَّا شَقَّتِ الْقَبْرَ عَنْهُ حَتَّى
تَجْعَلَهُ مِنْ عِنْدِ رَأْسِهِ فَيَسْتَوِي جَالِسًا، فَيَقُولُ رَبُّكَ:
مَهِيمٌ^(٦) لِمَا كَانَ فِيهِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَمْسِ الْيَوْمَ^(٧)
وَلَعَهْدِهِ الْحَيَاةَ يُحْسِبُهُ حَدِيثًا بِأَهْلِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ
اللَّهِ! كَيْفَ يَجْمَعُنَا بَعْدَ مَا تُمَزِّقُنَا الرِّيحَ وَالْبَلَى وَالسَّبَاحُ؟
قَالَ: «أُنَبِّئُكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي آلاءِ اللَّهِ، الْأَرْضُ أَشْرَفَتْ
عَلَيْهَا وَهِيَ مَدْرَةٌ^(٨) بِالْيَةِ فَقُلْتُ لَا تَحْيَا أَبَدًا، ثُمَّ أَرْسَلَ
رَبُّكَ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَيْهَا السَّمَاءَ فَلَمْ تَلْبَثْ عَلَيْكَ إِلَّا
أَيَّامٌ حَتَّى أَشْرَفَتْ عَلَيْهَا وَهِيَ شَرِيَّةٌ^(٩) وَاحِدَةٌ وَلَعَمْرُ

(١) في الأصل ليست منقوطة، وهو مشهور.

(٢) زاد في نسخة «فقام في الغداة خطيباً».

(٣) في النسخ: وحصره. وفي هامش إحداها: صوابه بصره.
المصنف.

(٤) أزلين مشفقين: أي في حال ضيق وشدة وخوف.

(٥) أي بمطر، وفي الأصل (تهضب) والتصويب من النهاية.

(٦) مهيم: أي ما شأنك وما حالك؟

(٧) أمس اليوم: أي أمس كأنه صار اليوم.

(٨) المدرة: قطعة الطين اليابس.

(٩) شريّة: الشريّة الحنظلة، أراد أن الأرض اخضرت بالنبات
فكأنها حنظلة واحدة، قال ابن الأثير: والرواية شربة بالباء
الموحدة.

إِلَهَكَ هُوَ أَقْدَرُ عَلَى أَنْ يَجْمَعَهُمْ مِنَ الْمَاءِ عَلَى أَنْ يَجْمَعَ
نَبَاتَ الْأَرْضِ فَيَخْرِجُونَ مِنَ الْأَصْوَاءِ^(١) وَمِنْ
مَصَارِعِهِمْ فَتَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْكُمْ قَالَ: قُلْتُ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَكَيْفَ نَحْنُ مِلْءُ الْأَرْضِ وَهُوَ شَخْصٌ
وَاحِدٌ نَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: أَنْبِئَكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي
آلَاءِ اللَّهِ^(٢) - عَزَّ وَجَلَّ - الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ آيَةٌ مِنْهُ صَغِيرَةٌ
تَرَوْنَهَا وَيَرِيَانِكُمْ سَاعَةً وَاحِدَةً لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا،
وَلَعَمْرُؤُا إلهَكَ هُوَ أَقْدَرُ عَلَى أَنْ يَرَاكُمْ وَتَرَوْنَهُ مِنْ أَنْ
تَرَوْنَهَا وَيَرِيَانِكُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا. قُلْتُ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَمَا يَفْعَلُ بِنَا رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ إِذَا لَقِينَاهُ؟ قَالَ:
«تُعَرِّضُونَ عَلَيْهِ بَادِيَةً لَهُ صَفَحَاتُكُمْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ
مِنْكُمْ خَافِيَةٌ فَيَأْخُذُ رَبُّكَ - عَزَّ وَجَلَّ - بِيَدِهِ غَرْفَةً
مِنَ الْمَاءِ فَيَنْضَحُ^(٣) قَبِيلَكُمْ بِهَا، فَلَعَمْرُؤُا إلهَكَ مَا تُخْطِئُ
وَجْهَ أَحَدِكُمْ مِنْهَا قَطْرَةً، فَأَمَّا الْمُسْلِمُ فَتَدْعُ وَجْهَهُ مِثْلَ
الرَّيْطَةِ^(٤) الْبَيْضَاءِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَتَخْطُمُهُ مِثْلَ الْحَمِيمِ
الْأَسْوَدِ^(٥) أَلَا تَمَّ يَنْصَرِفُ نَبِيُّكُمْ ﷺ وَيَفْتَرِقُ عَلَى أَثَرِهِ
الصَّالِحُونَ فَيَسْلُكُونَ جِسْرًا مِنَ النَّارِ فَيَطَأُ أَحَدُكُمْ
الْجَمْرَ فَيَقُولُ حَسْبُ^(٦)، يَقُولُ رَبُّكَ - عَزَّ وَجَلَّ -
أَوْ أَنَّهُ: أَلَا فَتَطْلُعُونَ عَلَى حَوْضِ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى
أَظْمَأَ وَاللَّهُ نَاهِلَةٌ عَلَيْهَا قَطُّ مَا رَأَيْتُهَا فَلَعَمْرُؤُا إلهَكَ مَا

يَسْطُ وَاحِدٌ مِنْكُمْ يَدُهُ إِلَّا وَضَعَ عَلَيْهَا قَدْحٌ يُطَهِّرُهُ مِنَ
الطُّوفِ^(٧) وَالْبَوْلِ وَالْأَذَى، وَتُحْبَسُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَلَا
تَرَوْنَ مِنْهُمَا وَاحِدًا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فِيمَ نُبْصِرُ؟
قَالَ: «بِمِثْلِ بَصْرِكَ سَاعَتِكَ هَذِهِ وَذَلِكَ قَبْلَ طُلُوعِ
الشَّمْسِ فِي يَوْمٍ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ وَاجْهَتْ بِهِ الْجِبَالُ»
قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيمَ نُجْزَى مِنْ سَيِّئَاتِنَا
وَحَسَنَاتِنَا؟ قَالَ: «الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا
إِلَّا أَنْ يَغْفُو» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَمَّا الْجَنَّةُ أَمَّا النَّارُ
قَالَ: «لَعَمْرُؤُا إلهَكَ إِنَّ لِلنَّارِ لَسَبْعَةَ أَبْوَابٍ، مَا مِنْهُمْ
بَابَانِ إِلَّا يَسِيرُ الرَّكَّابُ بَيْنَهُمَا سَبْعِينَ عَامًا، وَإِنَّ لِلْجَنَّةِ
لَثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ، مَا مِنْهُمْ بَابَانِ إِلَّا يَسِيرُ الرَّكَّابُ بَيْنَهُمَا
سَبْعِينَ عَامًا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَعَلَامَ نَطْلُعُ مِنَ
الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «عَلَى أَنْهَارٍ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى، وَأَنْهَارٍ مِنْ
كَأْسٍ مَا بِهَا مِنْ صُدَاعٍ وَلَا نَدَامَةٍ، وَأَنْهَارٍ مِنْ لَبَنٍ لَمْ
يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَمَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ^(٨)، وَبِفَاكِهَةٍ، لَعَمْرُؤُا إلهَكَ مَا
تَعْلَمُونَ، وَخَيْرٌ مِنْ مِثْلِهِ مَعَهُ، وَأَزْوَاجُ مُطَهَّرَةٍ» قُلْتُ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَلَنَا فِيهَا أَزْوَاجٌ أَوْ مِنْهُمْ مُصْلِحَاتٌ؟ قَالَ:
«الصَّالِحَاتُ لِلصَّالِحِينَ، تَلَذُّوْنَهُنَّ مِثْلَ لَذَاتِكُمْ فِي
الدُّنْيَا، وَيَلَذُّوْنَ بِكُمْ غَيْرَ أَنْ لَا تَوَالِدَ» قَالَ لَقِيطُ:
فَقُلْتُ: أَقْضِي مَا نَحْنُ بِالْعُورِ وَمُتَّهِنُونَ إِلَيْهِ؟ فَلَمْ يُجِبْهُ

يعني تجعل له أثراً مثل أثر الخطام، والحميم الماء الحار وفي
رواية مثل الحمم وهو الفحم .

(٦) حَسْبُ كلمة: يقال عند التألم من شيء محس

(٧) الطوف: الغائط يقال: طاف يطوف طوفاً أي ذهب إلى
البراز، لقضاء الحاجة .

(٨) غير آسن: غير متغير .

(١) الأصواء: القبور وأصلها من الصوى: الأعلام، فشبه القبور بها.

(٢) آلاء الله: نِعَمِهِ .

(٣) فينضح: أي يرش

(٤) الريطة: الملاعة إذا كانت قطعة واحدة، وقيل: كل ثوب لين
دقيق .

(٥) فتخطمه مثل الحميم الأسود: أي تصيب خطمه وهو أنفه

النَّبِيُّ ﷺ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! (عَلَى) ^(١) مَا أَبَايُكَ؟ قَالَ
فَبَسَطَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ وَقَالَ: «عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ
الزَّكَاةِ، وَزِيَالِ الْمُشْرِكِ، وَأَنْ لَا تُشْرِكَ بِاللَّهِ إِلَهًا غَيْرُهُ»
قَالَ: قُلْتُ: وَإِنَّ لَنَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَقَبَضَ
النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ، وَظَنَّ أَنِّي مُشْرِطٌ شَيْئًا لَا يُعْطِينِيهِ، قَالَ:
قُلْتُ: نَحِلُّ مِنْهَا حَيْثُ شِئْنَا وَلَا يَجْنِي أَمْرٌ إِلَّا عَلَى
نَفْسِهِ، فَبَسَطَ يَدَهُ، وَقَالَ: «ذَلِكَ لَكَ تَحِلُّ حَيْثُ شِئْتَ
وَلَا يَجْنِي عَلَيْكَ إِلَّا نَفْسُكَ» قَالَ: فَانصَرَفْنَا عَنْهُ، ثُمَّ
قَالَ: «إِنَّ هَذَيْنِ لَعَمْرُؤُا إِلَهُكَ مِنْ أَتَقَى النَّاسَ فِي الْأُولَى
وَالْآخِرَةِ» فَقَالَ لَهُ كَعْبُ ابْنُ الْخُدْرِيَّةِ أَحَدُ بَنِي بَكْرِ بْنِ
كَلَابٍ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «بَنُو الْمُنتَفِقِ أَهْلُ
ذَلِكَ» قَالَ: فَانصَرَفْنَا وَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ
هَلْ لِأَحَدٍ مِمَّنْ مَضَى مِنْ خَيْرٍ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ؟ قَالَ: قَالَ
رَجُلٌ مِنْ عُرُضِ قُرَيْشٍ، «وَاللَّهِ إِنَّ أَبَاكَ الْمُنتَفِقَ لَفِي
النَّارِ» قَالَ فَلَمَّا كَانَ وَقَعُ حَرْبٍ بَيْنَ جِلْدِي وَوَجْهِي وَلَحْمِي
مِمَّا قَالَ لِأَبِي عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ، فَهَمَمْتُ أَنْ
أَقُولَ: وَأَبُوكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَإِذَا الْآخِرَى أَجْمَلُ، فَقُلْتُ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَهْلُكَ؟ قَالَ: وَأَهْلِي لَعَمْرُؤُا اللَّهُ مَا أَتَيْتَ عَلَيْهِ
مِنْ قَبْرِ عَامِرِيٍّ أَوْ قُرَشِيٍّ مِنْ مُشْرِكٍ فَقُلْ: أَرْسَلَنِي
إِلَيْكَ مُحَمَّدٌ فَأُبَشِّرُكَ بِمَا يَسُوؤُكَ، تُجْرُ عَلَى وَجْهِكَ
وَبَطْنِكَ فِي النَّارِ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا فَعَلَ بِهِمْ

ذَلِكَ وَقَدْ كَانُوا عَلَى عَمَلٍ لَا يُحْسِنُونَ إِلَّا إِيَّاهُ، وَكَانُوا
يُحْسِنُونَهُ أَنَّهُمْ مُصْلِحُونَ قَالَ: «ذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
بَعَثَ فِي آخِرِ كُلِّ سَبْعِ أُمَمٍ - يَعْنِي نَبِيًّا - فَمَنْ عَصَى نَبِيَّهَ
كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ، وَمَنْ أَطَاعَ نَبِيَّهَ كَانَ مِنَ
الْمُهْتَدِينَ» * ^(٢).

١٩ - * (عَنْ أَسْمَاءَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ:
خَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَدَخَلْتُ
عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ تُصَلِّي. فَقُلْتُ: مَا شَأْنُ النَّاسِ
يُصَلُّونَ؟ فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا إِلَى السَّمَاءِ. فَقُلْتُ: آيَةٌ؟
قَالَتْ: نَعَمْ. فَأَطَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقِيَامَ جِدًّا. حَتَّى
تَجَلَّانِي الْغَشْيُ ^(٣). فَأَخَذْتُ قِرْبَةً مِنْ مَاءٍ إِلَى جَنْبِي.
فَجَعَلْتُ أَصْبُ عَلَى رَأْسِي - أَوْ عَلَى وَجْهِي - مِنَ الْمَاءِ.
قَالَتْ: فَانصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ.
فَخَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ. فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ.
ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ. مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ رَأَيْتُهُ إِلَّا قَدْ
رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا. حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ. وَإِنَّهُ قَدْ
أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيبًا أَوْ مِثْلَ فِتْنَةِ
الْمَسِيحِ الدَّجَالِ. (لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ)
فَيُوتَى أَحَدُكُمْ فَيَقَالُ: مَا عَلِمَكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا
الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُؤْمِنَةُ. (لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ)
فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ، هُوَ رَسُولُ اللَّهِ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ

ابن القيم في الزاد (٣/٦٧٣ - ٦٧٧) وقال عنه: هذا

حديث كبير جليل قد خرج من مشكاة النبوة. وذكر
كلامًا طويلًا في قوته.

(٣) تجلاني الغشي: أي علاني مرض قريب من الإغماء لطول
تعب الوقوف.

(١) زيادة من المسند الجامع (١٥ / ١٩).

(٢) رواه أحمد (٤/١٣ - ١٤) واللفظ له والهيتمي في المجمع
(١/٣٣٨) وقال: رواه عبدالله. والطبراني بنحوه وأحد
طريقي عبدالله إسناده متصل، ورجاها ثقات والإسناد
الآخر وإسناد الطبراني مرسل عن عاصم بن لقيط. وذكره

وَالْهُدَى . فَأَجَبْنَا وَأَطَعْنَا . ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . فَيُقَالُ لَهُ : نَمْ .
قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ إِنَّكَ لَتُؤْمِنُ بِهِ . فَنَمْ صَالِحًا . وَأَمَّا الْمُنَافِقُ
أَوِ الْمُزْتَابُ (لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ) فَيَقُولُ : لَا
أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُ * (١) .

٢٠ - * (عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -
قَالَتْ : دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ
بَصَرُهُ (٢) . فَأَغْمَضَهُ . ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ
الْبَصَرُ » فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ . فَقَالَ : « لَا تَدْعُوا عَلَى
أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ »
ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي
الْمَهْدِيِّينَ ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ (٣) . وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ
يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ . وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ . وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ » * (٤) .

٢١ - * (عَنْ الْبَرَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : لَمَّا
كَانَ يَوْمُ الْأَحْزَابِ وَخَنَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأَيْتُهُ يَنْقُلُ
مِنْ تُرَابِ الْخَنْدَقِ حَتَّى وَارَى عَنِّي التُّرَابُ جِلْدَةَ بَطْنِهِ
- وَكَانَ كَثِيرَ الشَّعْرِ - فَسَمِعْتُهُ يَرْجُزُ بِكَلِمَاتِ ابْنِ رَوَاحَةَ
وَهُوَ يَنْقُلُ مِنَ التُّرَابِ يَقُولُ :
اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا

وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَنْزَلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا

وَتَبَّتِ الْأَقْدَامُ إِنْ لَا قَيْنَا

(١) البخاري - الفتح ١ (٨٦) . و مسلم (٩٠٥) و اللفظ له .
(٢) شق بصره : أي شخص وهو الذي حضره الموت وصار
ينظر إلى الشيء لا يرتد إليه طرفه .
(٣) في الغابرين : أي الباقيين أي كن خليفة له في ذريته .
(٤) مسلم (٩٢٠) .
(٥) البخاري - الفتح ٧ (٤١٠٦) واللفظ له في هذا الموضع
٦ (٣٠٣٤) ، و مسلم (١٨٠٣) .

إِنَّ الْأَلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا

وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا
قَالَ ثُمَّ يَمُدُّ صَوْتَهُ بِآخِرِهَا (٥) .

٢٢ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا - قَالَ : زَوَّجَنِي أَبِي امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ ، فَلَمَّا دَخَلْتُ
عَلَيَّ جَعَلْتُ لَا أَنْحَاشُ لَهَا (٦) مِمَّا بِي مِنَ الْقُوَّةِ عَلَى
الْعِبَادَةِ مِنَ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ فَجَاءَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى
كِتَّتِهِ (٧) حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا ، فَقَالَ لَهَا : كَيْفَ وَجَدْتَ
بَعْلَكَ ؟ قَالَتْ : خَيْرُ الرِّجَالِ ، أَوْ كَخَيْرِ الْبُعُولَةِ مِنْ
رَجُلٍ لَمْ يُفْتَشْ لَنَا كَنَفًا ، وَلَمْ يَعْرِفْ لَنَا فِرَاشًا ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ
فَعَذَمَنِي (٨) وَعَضَّنِي بِلِسَانِهِ ! فَقَالَ : أَنْكَحْتُكَ امْرَأَةً مِنْ
قُرَيْشٍ ذَاتَ حَسَبٍ فَعَضَلْتُهَا (٩) وَفَعَلْتُ وَفَعَلْتُ !! ثُمَّ
انْطَلَقَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَشَكَانِي فَأَرْسَلَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ
فَأَتَيْتُهُ ، فَقَالَ لِي : أَتَصُومُ النَّهَارَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : وَتَقُومُ
اللَّيْلَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأَصَلِّي
وَأَنَامُ ، وَأَمْسُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ
مِنِّي » قَالَ : « اقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ » قُلْتُ : إِنِّي
أَجِدُنِي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : « فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرَةِ
أَيَّامٍ » قُلْتُ : إِنِّي أَجِدُنِي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : فَلَمْ يَزَلْ
يَرْفَعُنِي حَتَّى قَالَ : صُمْ يَوْمًا وَأُفْطِرْ يَوْمًا فَإِنَّهُ أَفْضَلُ
الصِّيَامِ وَهُوَ صِيَامُ أَخِي دَاوُدَ ﷺ قَالَ حُصَيْنٌ فِي

(٦) لا أنحاش لها : أي لا أكثر لها ، ولا أعبأ بها .
(٧) الكن : بكسر الكاف : الستر والبيت أيضاً والجمع أكنان
وأكنة
(٨) فعذمني : أي لامني .
(٩) فعضلتها : هومن العضل : وهو المنع ، أراد أنك لم تعاملها
معاملة الأزواج لنسائهم ، ولم تتركها تتصرف في نفسها
فكأنك قد منعتها .

حَدِيثُهُ: ثُمَّ قَالَ ﷺ: فَإِنَّ لِكُلِّ عَابِدٍ شِرَّةً^(١) وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فِتْرَةٌ^(٢)، فَإِمَّا إِلَى سُنَّةٍ، وَإِمَّا إِلَى بِدْعَةٍ، فَمَنْ كَانَتْ فِتْرَتُهُ إِلَى سُنَّةٍ فَقَدْ اهْتَدَى، وَمَنْ كَانَتْ فِتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ» قَالَ مُجَاهِدٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو حَيْثُ ضَعُفَ وَكَبِرَ، يَصُومُ الْأَيَّامَ كَذَلِكَ، يَصِلُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، لِيَتَقَوَّى بِذَلِكَ، ثُمَّ يُفْطِرُ بَعْدَ تِلْكَ الْأَيَّامِ، قَالَ: وَكَانَ يَقْرَأُ فِي كُلِّ حِزْبِهِ^(٣) كَذَلِكَ، يَزِيدُ أَحْيَانًا وَيَنْقُصُ أَحْيَانًا، غَيْرَ أَنَّهُ يُوفِي الْعَدَدَ إِمَّا فِي سَبْعٍ وَإِمَّا فِي ثَلَاثٍ، قَالَ: ثُمَّ كَانَ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ: لَأَنْ أَكُونَ قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدَلُ بِهِ أَوْ عَدَلُ، لَكِنِّي فَارَقْتُهُ عَلَى أَمْرٍ أَكْرَهُ أَنْ أَخَالَفَهُ إِلَى غَيْرِهِ» *^(٤).

٢٣ - * (عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عَبِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقِنَعًا» *^(٥)).

٢٤ - * (قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: قَدِمَ طُقَيْلُ بْنُ عَمْرِو الدَّوْسِيِّ وَأَصْحَابُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا، فَقِيلَ: هَلَكْتَ دَوْسٌ. قَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا

وَأَتِ بِهِمْ» *^(٦).

٢٥ - * (عَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ. وَالسَّدَادَ، سَدَادَ السَّهْمِ» *^(٧).

٢٦ - * (عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا خَطَبَ أَهْمَرَتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ، يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّكُمْ، وَيَقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إصْبَعَيْهِ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى، وَيَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ^(٨)، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». ثُمَّ يَقُولُ: «أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضِيَاعًا^(٩) فَلِيَ وَعَلَيَّ» *^(١٠).

٢٧ - * (عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ الْيَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ^(١١) عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: «يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ»، فَيَقُولُ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ،

(١) شِرَّة: نشاط.

(٢) فِتْرَةٌ: انكسار وضعف.

(٣) الْحِزْبُ: ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة وصلاة كالورد.

(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ. وَأَحْمَدُ ١٥٨/٢. قَالَ أَحْمَدُ شَاكِرٌ

١٨٨/٩، ٦٤٧٧: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، رَوَاهُ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ

التَّابِعِينَ وَأَخْرَجَهُ الْأَثَمَةُ فِي دَوَائِنِهِمْ وَلَكِنِّي لَمْ أَجِدْهُ

مَفْصُلًا بِهَذَا السِّيَاقِ إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

(٥) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٥٧٦/٤) وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ

صَحِيحٌ. وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ (٣٥/١) وَقَالَ: صَحِيحٌ

عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ. وَابْنُ مَاجَةَ (١٣٨٦/٢)

من حديث عبد الله بن عمرو وبلغه «قد أفلح».

(٦) البخاري - الفتح ٦ (٢٩٣٧). ومسلم (٢٥٢٤) متفق عليه.

(٧) مسلم (٢٧٢٥)

(٨) الهدى هدى محمد: الهدى - بضم الهاء وفتح الدال - فيها، ويفتح الهاء وإسكان الدال. وجهان ذكرهما العلماء.

(٩) الضياع: - بفتح الضاد - العيال، والمراد: من ترك أطفالاً

وعيالا ذوي ضياع. فأوقع المصدر موقع الاسم.

(١٠) البخاري - الفتح ١٠ (٦٠٩٨). ومسلم (٨٦٧)

(١١) يتعاطسون: أي يتكلفون العُطاس ويتظاهرون به.

وَيُضْلِحُ بِالْكُفْرِ»^(١) .

٢٨ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ أَهْلِ النَّارِ يُرَى مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي فَيَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً، قَالَ: وَكُلُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ يُرَى مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ فَيَقُولُ: لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي . قَالَ: فَيَكُونُ لَهُ شُكْرًا»^(٢) .

٢٩ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعْتَنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا أَبْكِي . قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْتِي عَلَيَّ فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعْتَنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ» . فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ، فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ^(٣) فَسَمِعْتُ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ^(٤)، فَقَالَتْ: مَكَانَكَ! يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ^(٥) . قَالَ فَاغْتَسَلْتُ وَلَبِستُ دِرْعَهَا^(٦)، وَعَجَلْتُ عَنْ خِمَارِهَا فَفَتَحَتِ الْبَابَ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . قَالَ: فَارْجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا

أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ . قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَبْشِرْ قَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ . فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: «خَيْرًا» . قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحِبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُحِبِّبَهُمْ إِلَيْنَا . قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ هَذَا - يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ - وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ . وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ» . فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي، وَلَا يَرَانِي، إِلَّا أَحَبَّنِي»^(٧) .

٣٠ - * (عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ - رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» . فَقَالُوا: هُوَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ . قَالَ: «فَارْسِلُوا إِلَيْهِ» . فَأَتَى بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ . حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ . فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ . فَقَالَ عَلِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَقَاتِلْهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ . فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ . حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ . ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ . فَوَ اللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»^(٨) .

٣١ - * (عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِيهِ -

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ، جَاءَهُ

(١) الترمذي (٢٧٣٩) وقال: حسن صحيح. وأبوداود

(٥٠٣٨)، وقال الألباني ٣/ ٩٤٤: صحيح.

(٢) أحمد (٥١٢/٢) والهيتمي في المجمع (٣٩٩/١٠) وقال:

رجاله رجال الصحيح. والحاكم في المستدرک (٤٣٥/٢) -

(٤٣٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

(٣) مجاف: مغلق

(٤) خشف قدمي: أي صوتها في الأرض

(٥) خضخضة الماء: أي صوت تحريكه.

(٦) درع المرأة: قميصها.

(٧) مسلم (٢٤٩١).

(٨) البخاري - الفتح ٧ (٣٧٠١). ومسلم (٢٤٠٦) متفق

عليه، وحمر النعم: هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال

العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وأنه ليس هناك

أعظم منه.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي
 أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يَا عَمَّ قُلْ : لَا
 إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ» . فَقَالَ أَبُو
 جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ : يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرَعْبُ عَنْ مِلَّةِ
 عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟ . فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْزِضُهَا عَلَيْهِ ،
 وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا
 كَلَّمَهُمْ : هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . وَأَبَى أَنْ يَقُولَ : لَا
 إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَمَّا وَاللَّهِ لَا أُسْتَغْفِرَنَّ
 لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ
 وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي
 قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾
 (التوبة / ١١٣) . وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ
 لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ
 يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (القصص /
 ٥٦) * (١) .

٣٢ - * (عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
 قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ ، قَالَ : نَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَصْحَابِهِ
 وَهُمْ ثَلَاثُمِائَةٍ وَنِيفٌ ، وَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ فَإِذَا هُمْ أَلْفٌ
 وَزِيَادَةٌ ، فَاسْتَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْقِبْلَةَ ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ وَعَلَيْهِ
 رِدَاؤُهُ وَإِزَارُهُ ، ثُمَّ قَالَ : «اللَّهُمَّ ! أَيْنَ مَا وَعَدْتَنِي ؟ ،
 اللَّهُمَّ ! أَنْجِزْ مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ ! إِنَّكَ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ
 الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَلَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ أَبَدًا» ،
 قَالَ : فَمَا زَالَ يَسْتَغِيثُ رَبَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَيَدْعُوهُ حَتَّى
 سَقَطَ رِدَاؤُهُ ، فَاتَاهُ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَأَخَذَ رِدَاءَهُ

فَرَدَّهُ ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ ثُمَّ قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، كَفَاكَ
 مُنَاشِدَتُكَ رَبَّكَ ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ
 - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي
 مُمِدِّكُمْ بِالْأَلْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (الأنفال / ٩) فَلَمَّا
 كَانَ يَوْمَئِذٍ وَالتَقَوْا ، فَهَزَمَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - الْمُشْرِكِينَ ،
 فَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا ، وَأُسِرَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا ،
 فَاسْتَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا بَكْرٍ وَعَلِيًّا وَعُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُمْ - ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : يَا نَبِيَّ اللَّهِ !
 هَؤُلَاءِ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ وَالْإِخْوَانُ ، فَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْخُذَ
 مِنْهُمْ الْفِدْيَةَ ، فَيَكُونَ مَا أَخَذْنَا مِنْهُمْ قُوَّةً لَنَا عَلَى الْكُفَّارِ ،
 وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ فَيَكُونُوا لَنَا عَضُدًا ، فَقَالَ رَسُولُ
 اللَّهِ ﷺ : «مَا تَرَى يَا بَنَ الْخَطَّابِ ؟» . قَالَ : قُلْتُ : وَاللَّهِ مَا
 أَرَى مَا رَأَى أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ
 تُمَكِّنَنِي مِنْ فُلَانٍ ، قَرِيبًا لِعُمَرَ ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ ، وَتُمْكِّنَ
 عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ وَتُمْكِّنَ حَمْزَةً مِنْ فُلَانٍ أَخِيهِ
 فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ ، حَتَّى يَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّهُ لَيْسَتْ فِي قُلُوبِنَا هَوَادَةٌ
 لِلْمُشْرِكِينَ ، هَؤُلَاءِ صَنَادِيدُهُمْ وَأَيْمَتُهُمْ ، وَقَادَتُهُمْ ،
 فَهَوِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ،
 وَلَمْ يَهُوَ مَا قُلْتُ ، فَأَخَذَ مِنْهُمْ الْفِدَاءَ ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ مِنَ
 الْغَدِ ، قَالَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : غَدَوْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ
 فَإِذَا هُوَ قَاعِدٌ وَأَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، وَإِذَا هُمَا
 يَبْكِيَانِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مَاذَا يُبْكِيكَ أَنْتَ
 وَصَاحِبُكَ ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءَ بَكَيْتُ ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءَ
 تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا ، قَالَ : فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «الَّذِي عَرَضَ

وَكَانَ يُعَلِّمُنَا هَذَا الدُّعَاءَ: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ»، وَرُبَّمَا قَالَ «تَبَارَكَتْ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ» * (٣).

٣٤ - * (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -

قَالَ: مَا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْجَنِّ وَمَا رَأَاهُمْ . انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ ^(٤)، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ، قَالُوا: مَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ حَدَثَ . فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ^(٥)، فَاَنْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَاَنْطَلَقُوا يَضْرِبُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، فَمَرَّ النَّفَرُ الَّذِينَ أَخَذُوا نَحْوَ تِهَامَةَ (وَهُوَ بَنَخْلٍ ^(٦))، عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ (فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ، وَقَالُوا: هَذَا حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا * إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآَمَنَّا بِهِ وَلَنْ

عَلَى أَصْحَابِكَ مِنَ الْفِدَاءِ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُكُمْ أَذْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ»، لِشَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ ﴾ (الأنفال / ٦٧) مِنَ الْفِدَاءِ، ثُمَّ أُحِلَّ لَهُمُ الْغَنَائِمُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمٌ أُحِدَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ عَوْقِبُوا بِهَا صَنَعُوا يَوْمَ بَذَرٍ مِنْ أَخَذِهِمُ الْفِدَاءَ، فَقَتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ، وَقَرَأَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ وَهَشِمَتِ الْبَيْضَةُ ^(١) عَلَى رَأْسِهِ، وَسَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا ﴾ الْآيَةُ (آل عمران / ١٦٥)، بِأَخْذِكُمُ الْفِدَاءِ * ^(٢).

٣٣ - * (عَنِ أَبِي الْخَوَرَاءِ السَّعْدِيِّ، قَالَ: قُلْتُ

لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: مَا تَذَكَّرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: أَذْكُرُ أَنِّي أَخَذْتُ ثَمَرَةً مِنْ ثَمَرِ الصَّدَقَةِ، فَأَلْقَيْتُهَا فِي فَمِي، فَانْتَزَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِلُعَابِهَا فَأَلْقَاهَا فِي الثَّمَرِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا عَلَيْكَ لَوْ أَكَلْتَ هَذِهِ الثَّمَرَةَ؟ قَالَ: «إِنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ» قَالَ: وَكَانَ يَقُولُ «دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبةٌ». قَالَ:

كغراب ، سوق بصحراء بين نخلة والطائف ، كانت تقوم

هلال ذي القعدة ، وتستمر عشرين يوماً تجتمع قبائل

العرب فيتعاكظون ، أي يتفاخرون ويتناشدون ، قال

النووي: قيل سميت بذلك لقيام الناس فيها على سوقهم .

(٥) فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها: الضرب في الأرض

الذهاب فيها ، وهو ضربها بالأرجل

(٦) وهو بنخل: هكذا وقع في صحيح مسلم: بنخل ، وصوابه

بنخلة ، بالهاء ، وهو موضع معروف هناك ، كذا جاء صوابه

في صحيح البخاري .

(١) البيضة : الخوذة على الرأس تقي المحارب.

(٢) أحمد (٣٠ - ٣١). وقال الشيخ أحمد شاكر (١/ ٢٤٤):

إسناده صحيح.

(٣) أحمد (١/ ٢٠٠) والترمذي: (٢٥١٨) والدارمي: (١٥٨٩)

- (١٥٩٤). وقال محقق جامع الأصول (٦/ ٤٤٤): إسناده

صحيح.

(٤) سوق عكاظ: هو موضع بقرب مكة كانت تقام به في

الجاهلية سوق يقيمون فيه أياماً ، قال النووي: تصرف ولا

تصرف ، والسوق تؤنث وتذكر ، وفي القاموس: وعكاظ

نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿ (الجن / ١، ٢) فَأَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ (الجن / ١) * (١).

٣٥ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَا كَانَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ كَانَ لَهُ حَوَارِيُّونَ يَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِ» (٢) وَيَسْتَنْوَنَ بِسُنَّتِهِ) * (٣).

٣٦ - * (عَنْ أَبِي مُوسَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرَبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ» (٤) لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مِثْلُ مَنْ فَقَهُ (٥) فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمِثْلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ». قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: قَالَ إِسْحَاقُ: وَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ قِيلَتْ (٦) الْمَاءُ قَاعٌ يَغْلُوهُ الْمَاءُ، وَالصَّفْصَفُ الْمُسْتَوِي مِنَ الْأَرْضِ) * (٧).

٣٧ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ

الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا») * (٨).

٣٨ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَنَّ سُنَّةَ ضَلَالٍ فَاتَّبَعَ عَلَيْهَا كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ أَوْزَارِهِمْ مَنْ غَيْرَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةَ هُدًى فَاتَّبَعَ عَلَيْهَا كَانَ لَهُ مِثْلُ أُجُورِهِمْ مَنْ غَيْرَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ») * (٩).

٣٩ - * (عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فِي حَدِيثِهِ مَعَ هِرْقَلٍ، قَالَ: ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دَحِيَّةً إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ إِلَى هِرْقَلٍ، فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرْقَلٍ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمَ تَسْلِمًا، أَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ» (١٠) ﴿وَيَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران / ٦٤). قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ، وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ

(١) البخاري - الفتح ٨ (٤٩٢١). ومسلم (٤٤٩).

(٢) يهتدون بهديه: أي بطريقته وسمته.

(٣) مسلم (٤٩).

(٤) القيعان: بكسر القاف جمع قاع، وهو الأرض المستوية الملساء التي لا تنبت.

(٥) فقه: أي صار فقيها.

(٦) قيلت: أي شربت، والقليل: شرب نصف النهار.

(٧) البخاري - الفتح ١ (٧٩). واللفظ له ومسلم (٢٢٨٢).

(٨) مسلم (٢٦٧٤).

(٩) أحمد (٥٠٥ / ٢). وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح. وهو عند مسلم بلفظ آخر وعند الترمذي والنسائي وغيرهم.

(١٠) الأريسيين: اختلفوا في المراد بهم على أقوال: أصحابها وأشهرها أنهم الأكارون أي الفلاحون والزراعون ومعناه: إن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك.

الْكِتَابِ، كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ، وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ، وَأُخْرِجْنَا، وَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا: لَقَدْ أَمَرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ^(١)، إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ^(٢)، فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيُظْهِرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ)*^(٣).

٤٠ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيَدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ فَهَدَانَا اللَّهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ، الْيَهُودُ غَدًا، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ»)*^(٤).

٤١ - * (عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا. فَلَا تَظَالُمُوا. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ. فَاسْتَهِدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ. فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمَكُمْ. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ. فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ. يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا. فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ. يَا

عِبَادِي! إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي. وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى اتَّقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ. مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ. وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ. قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ. مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ. وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ. قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي. فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ^(٥) إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ. يَا عِبَادِي! إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُخْصِيهَا لَكُمْ. ثُمَّ أَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا. فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ. وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ)*^(٦).

٤٢ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ، يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ»، فَقَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «يُقْتَلُ هَذَا فَيَلْجُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ يَثُوبُ اللَّهُ عَلَى الْآخَرِ فَيَهْدِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ، ثُمَّ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُسْتَشْهِدُ»)*^(٧).

(١) أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ: أَمْرٌ: أَيُّ عَظْمٍ، وَابْنُ أَبِي كَبْشَةَ قِيلَ: هُوَ رَجُلٌ مِنْ خَزَاعَةَ كَانَ يَعْبُدُ الشَّعْرَى وَلَمْ يُوَافِقْهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ فِي عِبَادَتِهَا فَشَبَّهُوا النَّبِيَّ ﷺ بِهِ لِمَخَالَفَتِهِ إِيَّاهُمْ فِي دِينِهِمْ كَمَا خَالَفَهُمْ أَبُو كَبْشَةَ.

(٢) بنو الأصفر: هم الروم.

(٣) البخاري - الفتح ١ (٧). ومسلم (١٧٧٣).

(٤) البخاري - الفتح ٢ (٨٧٦). ومسلم (٨٥٥).

(٥) المخيط: أي الإبرة. قالوا: هذا تقريب للأفهام، ومعناه لا ينقص شيئاً أصلاً.

(٦) حديث قدسي رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٧) البخاري - الفتح ٦ (٢٨٢٦). ومسلم (١٨٩٠) واللفظ له.

الأحاديث الواردة في «الهدى» معنى

٤٣ - * (عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ فَقِيلَ: كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «يُوفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ»*)^(١).

٤٤ - * (عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ أَنَّ رَجُلًا خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِيهِمَا فَقَدْ غَوَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ». قَالَ: قُلْ: وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»^(٢). قَالَ ابْنُ نُعْمَانَ: فَقَدْ غَوَى*)^(٣).

٤٥ - * (عَنْ أَبِي قَتَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ تَسِيرُونَ عَشِيَّتَكُمْ وَلَيْلَتَكُمْ. وَتَأْتُونَ الْمَاءَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، غَدًا فَاَنْطَلِقَ النَّاسُ لَا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»^(٤) قَالَ أَبُو قَتَادَةَ: فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ حَتَّى ابْهَارَ اللَّيْلُ^(٥) وَأَنَا إِلَى جَنْبِهِ. قَالَ فَنَعَسَ^(٦) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَمَا لَ عَنْ رَاحِلَتِهِ. فَاتَّيْتُهُ فَدَعَمْتُهُ^(٧). مِنْ غَيْرِ أَنْ أُوقِظَهُ. حَتَّى اعْتَدَلَ

عَلَى رَاحِلَتِهِ. قَالَ: ثُمَّ سَارَ حَتَّى تَهَوَّرَ اللَّيْلُ^(٨) مَا لَ عَنْ رَاحِلَتِهِ. قَالَ: فَدَعَمْتُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أُوقِظَهُ. حَتَّى اعْتَدَلَ عَلَى رَاحِلَتِهِ. قَالَ: ثُمَّ سَارَ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ السَّحَرِ مَا لَ مَيْلَةً. هِيَ أَشَدُّ مِنَ الْمَيْلَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ. حَتَّى كَادَ يَنْجَفِلُ^(٩). فَاتَّيْتُهُ فَدَعَمْتُهُ. فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟». قُلْتُ: أَبُو قَتَادَةَ. قَالَ: «مَتَى كَانَ هَذَا مَسِيرَكَ مِنِّي؟». قُلْتُ: مَا زَالَ هَذَا مَسِيرِي مُنْذُ اللَّيْلَةِ. قَالَ: «حَفِظَكَ اللَّهُ بِمَا حَفِظْتَ بِهِ نَبِيَّهِ»^(١٠) ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَرَانَا نَخْفَى عَلَى النَّاسِ؟». ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَرَى مِنْ أَحَدٍ؟». قُلْتُ: هَذَا رَاكِبٌ. ثُمَّ قُلْتُ: هَذَا رَاكِبٌ آخَرُ. حَتَّى اجْتَمَعْنَا فَكُنَّا سَبْعَةَ رُكَبٍ^(١١). قَالَ: فَمَا لَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الطَّرِيقِ. فَوَضَعَ رَأْسَهُ. ثُمَّ قَالَ: «اخْفَظُوا عَلَيْنَا صَلَاتَنَا. فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالشَّمْسُ فِي ظَهْرِهِ. قَالَ: فَقُمْنَا فَرَعَيْنَ. ثُمَّ قَالَ: «ارْكَبُوا». فَارْكَبْنَا. فَسَرْنَا. حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ نَزَلَ. ثُمَّ دَعَا بِمِيضَاءَ^(١٢) كَانَتْ مَعِيَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ

(٧) فدعمته: أي أقمت ميله من النوم، وصرت تحته. كالدعامة للبناء فوقها.

(٨) تهوور الليل: أي ذهب أكثره. مأخوذ من تهوور البناء، وهو انهداة.

(٩) ينجفل: أي يسقط.

(١٠) بما حفظت به نبيه: أي بسبب حفظك نبيه.

(١١) سبعة ركب: هو جمع راكب. كصاحب وصاحب، ونظائره.

(١٢) بميضأة: هي الإناء الذي يتوضأ به، كالركوة.

(١) الترمذي (٢١٤٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وأحمد (١٣٥/٤) من حديث عمر الجمعي بلفظ «يهديه

الله - عز وجل - إلى العمل الصالح».

(٢) مسلم (٨٧٠).

(٣) كأنه قصد بذلك إرشاد الخطيب إلى عدم التسوية بين الله

- تبارك وتعالى - وبينه ﷺ وإفراد كل منهما بالذكر.

(٤) لا يلوي على أحد: أي لا يعطف.

(٥) ابهار الليل: أي انتصف.

(٦) فنعس: النعاس مقدمة النوم.

النَّاسُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ . فَإِنْ يُطِيعُوا
أَبَابَكَرٍ وَعُمَرَ يَرْشُدُوا . قَالَ: فَانْتَهَيْنَا إِلَى النَّاسِ حِينَ
امْتَدَّ النَّهَارُ وَحَمِيَ كُلُّ شَيْءٍ . وَهُمْ يَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ!
هَلَكْنَا . عَطِشْنَا . فَقَالَ: «لَا هُلْكَ عَلَيْكُمْ»^(٦) . ثُمَّ قَالَ:
«أَطْلِقُوا لِي غَمْرِي»^(٧) . قَالَ: وَدَعَا بِالْمِضَاةِ . فَجَعَلَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُبُّ وَأَبُو قَتَادَةَ يَسْقِيهِمْ . فَلَمْ يَعُدْ أَنْ
رَأَى النَّاسَ مَاءً فِي الْمِضَاةِ تَكَابَّوْا عَلَيْهَا^(٨) . فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: «أَحْسِنُوا الْمَلَأَ»^(٩) . كُلُّكُمْ سَيَرَوِي . قَالَ
فَفَعَلُوا . فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُبُّ وَأَسْقِيهِمْ حَتَّى مَا
بَقِيَ غَيْرِي وَغَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . قَالَ ثُمَّ صَبَّ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِي: «اشْرَبْ» . فَقُلْتُ: لَا أَشْرَبُ حَتَّى
تَشْرَبَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِنَّ سَاقِي الْقَوْمِ آخِرُهُمْ
شُرْبًا» . قَالَ فَشَرِبْتُ . وَشَرِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . قَالَ
فَأَتَى النَّاسَ الْمَاءَ جَامِينَ رِوَاءً^(١٠) . قَالَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ

مَاءٍ . قَالَ: فَتَوَضَّأَ مِنْهَا وَضُوءًا دُونَ وَضُوءٍ^(١) . قَالَ:
وَبَقِيَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ . ثُمَّ قَالَ لِأَبِي قَتَادَةَ: «احْفَظْ
عَلَيْنَا مِضَاةَكَ . فَسَيَكُونُ لَهَا نَبَأٌ» . ثُمَّ أَذَّنَ بِلَالٌ
بِالصَّلَاةِ . فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَكَعَتَيْنِ . ثُمَّ صَلَّى
الْغَدَاةَ فَصَنَعَ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ كُلَّ يَوْمٍ . قَالَ: وَرَكِبَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَكِبْنَا مَعَهُ . قَالَ فَجَعَلَ بَعْضُنَا يَهْمِسُ
إِلَى بَعْضٍ^(٢): «مَا كَفَّارَةٌ مَا صَنَعْنَا بِتَفْرِيطِنَا فِي صَلَاتِنَا؟
ثُمَّ قَالَ: «أَمَا لَكُمْ فِي أُسْوَةٍ»^(٣)؟ . ثُمَّ قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ
لَيْسَ فِي النَّوْمِ تَفْرِيطٌ»^(٤) . إِنَّمَا التَّفْرِيطُ عَلَى مَنْ لَمْ يُصَلِّ
الصَّلَاةَ حَتَّى يَجِيءَ وَقْتُ الصَّلَاةِ الْآخَرَى . فَمَنْ فَعَلَ
ذَلِكَ فَلْيُصَلِّهَا حِينَ يَنْتَبِهْ لَهَا . فَإِذَا كَانَ الْغَدُ فَلْيُصَلِّهَا
عِنْدَ وَقْتِهَا . ثُمَّ قَالَ: «مَا تَرَوْنَ النَّاسَ صَنَعُوا؟» . قَالَ:
ثُمَّ قَالَ^(٥): «أَصْبَحَ النَّاسُ فَقَدُوا نَبِيَّهُمْ» . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ
وَعُمَرُ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَكُمْ . لَمْ يَكُنْ لِيُخْلِفْكُمْ . وَقَالَ

وراءه ويتقدم بين أيديكم . فينبغي لكم أن تنتظروه حتى
يلحقكم . وقال باقي الناس: إنه سبقكم فالحقوه . فإن
أطاعوا أبا بكر وعمر رشدوا ، فإنها على الصواب .

(٦) لاهلك عليكم: أي لا هلاك .

(٧) أطلقوا لي غمري: أي اتنوني به . والغمر القدح الصغير .

(٨) فلم يعد أن رأى الناس ماء في الميضاة تكابوا عليها: أي لم
يتجاوز رؤيتهم الماء في الميضاة تكاسبهم ، أي تزاوجهم
عليها ، مكباً بعضهم على بعض .

(٩) أحسنوا الملاء: الملاء الخلق والعشرة . يقال: ما أحسن ملاء
فلان أي خلقه وعشرته . وما أحسن ملاء بني فلان أي
عشرتهم وأخلاقهم . ذكره الجوهري وغيره . وأنشد
الجوهري: تنادوا يالْبَهْثَةَ إِذْ رَأَوْنا

فقلنا: أحسن ملاء جهينا

(١٠) جامين رواء: أي مستريحين قد رووا من الماء . والرواء ضد
العطاش جمع ريان ورياً ، مثل عطشان وعطشى .

(١) وضوءاً دون وضوء: أي وضوءاً خفيفاً .

(٢) يهمس إلى بعض: أي يكلمه بصوت خفي .

(٣) أسوة: الأسوة كالقُدوة والقِدوة ، هي الحالة التي يكون
الإنسان عليها في اتباع غيره . إن حسناً وإن قبيحاً . وإن
ساراً وإن ضاراً . ولهذا قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي
رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب/ ٢١) . فوصفها
بالحسنة . كذا قال الراغب .

(٤) ليس في النوم تفريط: أي تقصير في فوت الصلاة . لانعدام
الاختيار من النائم .

(٥) ماترون الناس صنعوا قال ثم قال .. الخ: قال النووي:
معنى هذا الكلام أنه ﷺ لما صلى بهم الصبح ، بعد ارتفاع
الشمس ، وقد سبقهم الناس . وانقطع النبي ﷺ وهؤلاء
الطائفة اليسيرة عنهم . قال: ما تظنون الناس يقولون فينا ؟
فسكت القوم . فقال النبي ﷺ: أما أبو بكر وعمر فيقولان
للناس: إن النبي ﷺ وراءكم . ولا تطيب أنفسه أن يخلفكم

رَبَّاحٍ: إِنِّي لأُحَدِّثُ هَذَا الْحَدِيثَ فِي مَسْجِدِ الْجَامِعِ^(١).
إِذْ قَالَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ: انْظُرْ أَيُّهَا الْفَتَى كَيْفَ
تُحَدِّثُ. فَإِنِّي أَحَدُ الرُّكْبِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ. قَالَ قُلْتُ:
فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالْحَدِيثِ. فَقَالَ: يَمَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ

الْأَنْصَارِ. قَالَ: حَدِّثْ فَأَنْتُمْ أَعْلَمُ بِحَدِيثِكُمْ. قَالَ:
فَحَدَّثْتُ الْقَوْمَ. فَقَالَ عِمْرَانُ: لَقَدْ شَهِدْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ
وَمَا شَعَرْتُ أَنَّ أَحَدًا حَفِظَهُ كَمَا حَفِظْتَهُ^(٢))*^(٣).

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في «الهدى»

٤٦ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ
النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى
وَالْتَقَى وَالْعَفَافَ^(٤) وَالْغِنَى^(٥)»)*^(٦).

٤٧ - * (عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
عَوْفٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَ الْمُؤْمِنِينَ: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ
نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ
إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «اللَّهُمَّ رَبِّ جِبْرَائِيلَ
وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمِ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ
تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»)*^(٧).

٤٨ - * (عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ قَالَ: سَأَلْتُ

عَائِشَةَ: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَفْتَتِحُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قِيَامَ
اللَّيْلِ؟ فَقَالَتْ: لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ
أَحَدٌ قَبْلَكَ، كَانَ إِذَا قَامَ كَبَّرَ عَشْرًا، وَحَمِدَ اللَّهَ عَشْرًا،
وَسَبَّحَ عَشْرًا، وَهَلَّلَ عَشْرًا، وَاسْتَغْفَرَ عَشْرًا، وَقَالَ:
«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي، وَعَافِنِي». وَتَعَوَّذُ مِنْ ضَيْقِ الْمَقَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ أَبُو دَاوُدَ:
وَرَوَاهُ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ عَنْ رِبْعَةَ الْجُرَشِيِّ عَنْ عَائِشَةَ،
نَحْوَهُ)*^(٨).

٤٩ - * (عَنِ السَّائِبِ، قَالَ صَلَّى بِنَا عَمَّارُ بْنُ
يَاسِرٍ صَلَاةً فَأَوْجَزَ فِيهَا فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: لَقَدْ
خَفَّفْتَ أَوْ أَوْجَزْتَ الصَّلَاةَ، فَقَالَ: أَمَا عَلَى ذَلِكَ فَقَدْ
دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَوَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا

(٤) العفاف: العفاف والعفة: هو التنزه عما لا يباح، والكف عنه.

(٥) الغنى: الغنى هنا: غنى النفس والاستغناء عن الناس، وعما في أيديهم.

(٦) مسلم (٢٧٢١).

(٧) مسلم (٧٧٠).

(٨) أبو داود (٢٠٣/١)، (٢٦٦). والنسائي (٢٠٩/٣).

وابن ماجه (١٣٥٦). وقال الألباني في صحيح أبي داود (١٤٦/١) ح ٦٩٣: حسن صحيح. وقال محقق جامع

الأصول (٢٣٦/٤): حسن صحيح

(١) في مسجد الجامع: هو من باب إضافة الموصوف إلى صفته. فعند الكوفيين يجوز ذلك بغير تقدير. وعند البصريين لا يجوز إلا بتقدير. ويتأولون ما جاء بهذا بحسب موطنه. والتقدير هنا: مسجد المكان الجامع. وفي قول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ (القصص/ ٤٤) أي المكان الغربي. وقوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ (النحل/ ٣٠) أي الحياة الآخرة.

(٢) حفظته: ضبطناه، حفظته بضم التاء وفتحها. وكلاهما حسن.

(٣) مسلم (٦٨١).

قَامَ تَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ هُوَ أَبِي غَيْرَ أَنَّهُ كُنِيَ عَنْ
نَفْسِهِ، فَسَأَلَهُ عَنِ الدُّعَاءِ ثُمَّ جَاءَ فَأَخْبَرَ بِهِ الْقَوْمَ :
اللَّهُمَّ بَعْلَمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيَيْ مَا
عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا
لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ،
وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ وَأَسْأَلُكَ
الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ،
وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَقْطَعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ
الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ
النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ
مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيْنًا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ،
وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ) * (١).

٥٠ - * (عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -

قَالَ: مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ نَبِيِّكُمْ ﷺ، إِلَّا سَمِعْتُهُ يَقُولُ
حِينَ انْصَرَفَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئِي وَعَمْدِي، اللَّهُمَّ
اهْدِنِي لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ، إِنَّهُ لَا يَهْدِي لِصَالِحِهَا
وَلَا يَصْرِفُ سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ» * (٢).

٥١ - * (عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ
قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِي» (٣) لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ حَنِيفًا (٤) وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٥). إِنَّ صَلَاتِي
وَنُسُكِي (٦) وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي (٧) لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨) لَا
شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ أَنْتَ
الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ. ظَلَمْتُ
نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي فَاعْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا. إِنَّهُ لَا
يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ (٩) لَا

(١) أحمد (٤ / ٢٦٤). والنسائي (٣ / ٥٤). وابن الأثير في
«جامع الأصول» (٤ / ٢١٠) وقال محققه: إسناده جيد .
وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١٢٣٧).

(٢) الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ١٧٣) وقال: رواه الطبراني
ورجاله وثقوا .

(٣) وجهت وجهي: قصدت بعبادتي للذي فطر السماوات
والأرض . أي ابتداء خلقها .

(٤) حنيفا: قال الأكثرون: معناه مائلا إلى الدين الحق وهو
الإسلام . وأصل الحنف الميل . ويكون في الخير والشر .
وينصرف إلى ما تقتضيه القرينة: وقيل: المراد بالحنيف ، هنا
المستقيم . قاله الأزهري وآخرون . وقال أبو عبيد: الحنيف
عند العرب من كان على دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم:
وانتصب حنيفا على الحال . أي وجهت وجهي في حال
حنيفيتي .

(٥) وما أنا من المشركين: بيان للحنيف وإيضاح لمعناه:
والمشرك يطلق على كل كافر من عابد وثن وصنم ويهودي

ونصراني ومجوسي ومرتد وزنديق وغيرهم .

(٦) إن صلاتي ونسكي: قال أهل اللغة: النسك العبادة.
وأصله من النسيكة ، وهي الفضة المذابة المصفاة من كل
خلط . والنسيكة ، أيضا ، ما يتقرب به إلى الله تعالى .

(٧) ومحياي ومماتي: أي حياتي وموتي . ويجوز فتح الياء فيهما
وإسكانها . والأكثر على فتح ياء محياي وإسكان مماتي .

(٨) رب العالمين: في معنى رب أربعة أقوال: حكاهما الماوردي
وغیره: الملك والسيد والمدبر والمربي . فإن وصف الله تعالى
برب ، لأنه مالك أو سيد ، فهو من صفات الذات . وإن
وصف به لأنه مدبر خلقه ومربيهم فهو من صفات فعله .
ومتى دخلته الألف واللام ، فقليل الرب ، اختص بالله
تعالى . وإذا حذفنا جاز إطلاقه على غيره ، فيقال: رب
المال ورب الدار ونحو ذلك . والعالمين: جمع عالم ، وليس
للعالم واحد من لفظه .

(٩) واهدني لأحسن الأخلاق: أي أرشدني لصوابها ، ووفقني
للتخلق بها .

يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ . وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا
لَا يَصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ . لَبَّيْكَ ^(١) وَسَعْدَيْكَ ^(٢)
وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ . وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ . أَنَا بِكَ
وَإِلَيْكَ ^(٣) . تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ . أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ
إِلَيْكَ . وَإِذَا رَكَعَ قَالَ : «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ . وَبِكَ
آمَنْتُ . وَلَكَ أَسْلَمْتُ . خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي .
وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصْبِي» . وَإِذَا رَفَعَ قَالَ : «اللَّهُمَّ رَبَّنَا
لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ وَمِلْءَ مَا
بَيْنَهُمَا وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ» . وَإِذَا سَجَدَ
قَالَ : «اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ وَبِكَ آمَنْتُ . وَلَكَ أَسْلَمْتُ .

سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ
وَبَصَرَهُ . تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» . ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ
مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ : «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا
قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ . وَمَا
أَسْرَفْتُ . وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي . أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ
الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» * ^(٤) .

٥٢ - * (عَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ :
قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْرَقْتَنَا نَبَالَ ثَقِيفٍ ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ .
قَالَ : «اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا» * ^(٥) .

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في «الهدى»

١ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : مَنْ
سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ
الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادِي بِهِنَّ . فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ
سُنَنَ الْهُدَى وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى لَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي
بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ
نَبِيِّكُمْ . وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ . وَمَا مِنْ رَجُلٍ
يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ
الْمَسَاجِدِ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً ،
وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً ، وَيَحِطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةٌ . وَلَقَدْ رَأَيْنَا وَمَا

يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ ، مَعْلُومُ النِّفَاقِ ، وَلَقَدْ كَانَ
الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يَهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي
الصِّفِّ) * ^(٦) .

٢ - * (وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَيُّضًا : «كُونُوا يَنَابِيعَ
الْعِلْمِ مَصَابِيحَ الْهُدَى ، أَخْلَاسَ ^(٧) الْبُيُوتِ ، وَسُرُجَ
اللَّيْلِ ، جُدُدَ الْقُلُوبِ ، خِلْقَانَ الثِّيَابِ ، تُعْرِفُونَ فِي السَّمَاءِ
وَتُخَفُونَ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ» * ^(٨) .

٣ - * (وَقَالَ : لَا يَكُنْ أَحَدُكُمْ إِمَّعَةً ، قَالُوا وَمَا
الْإِمَّعَةُ ؟ قَالَ : يَقُولُ : «أَنَا مَعَ النَّاسِ ، إِنْ اهْتَدَوْا

(٥) الترمذي (٣٩٤٥ / ٥) وقال : وهذا حديث حسن صحيح
غريب .

(٦) مسلم (٦٥٤) .

(٧) ملازمين بيوتكم .

(٨) الفوائد (٢٠٣) .

(١) لبيك : قال العلماء : معناه أنا مقيم على طاعتك إقامة بعد
إقامة . يقال : لب بالمكان لبًا ، وألب إلبابًا ، إذا أقام به

(٢) وسعديك : قال الأزهري وغيره : معناه مساعدة لأمرك بعد
مساعدة ، ومتابعة لدينك بعد متابعة .

(٣) أنا بك وإليك : أي التجائي وانتمائي إليك ، وتوفيقى بك .

(٤) مسلم (٧٧١) .

اهْتَدَيْتُ وَإِنْ ضَلُّوا ضَلَلْتُ، أَلَا لِيُوطِنَنَّ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ عَلَى أَنَّهُ إِنْ كَفَرَ النَّاسُ لَا يَكْفُرُ»*)^(١).

٤ - *) (وَقَالَ أَيْضًا: «امْشُوا إِلَى الْمَسْجِدِ، فَإِنَّهُ مِنْ الْهُدَى وَسُنَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ»*)^(٢).

٥ - *) (عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ، قَالَ: «كُنَّا مَعَ عُثْمَانَ وَهُوَ مُحْصُورٌ فِي الدَّارِ، فَدَخَلَ مَدْخَلًا كَانَ إِذَا دَخَلَهُ يَسْمَعُ كَلَامَهُ مِنْ عَلَى الْبَلَاطِ، قَالَ: فَدَخَلَ ذَلِكَ الْمَدْخَلَ، وَخَرَجَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: إِنَّهُمْ يَتَوَعَّدُونِي بِالْقَتْلِ أَنْفًا، قَالَ: قُلْنَا: يَكْفِيكَهُمْ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: وَبِمَ يَقْتُلُونَنِي؟ إِنْني سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِأَحَدٍ ثَلَاثٍ: رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ، أَوْ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ، أَوْ قَتَلَ نَفْسًا فَيُقْتَلُ بِهَا. فَوَاللَّهِ مَا أَحْبَبْتُ أَنْ لِي بِدِينِي بَدَلًا مِنْذُ هَدَانِي اللَّهُ، وَلَا زَنَيْتُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا فِي إِسْلَامٍ قَطُّ، وَلَا قَتَلْتُ نَفْسًا، فَبِمَ يَقْتُلُونَنِي؟»*)^(٣).

٦ - *) (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي قَصَصِهِ يَذْكُرُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَخَا لَكُمْ لَا يَقُولُ الرَّفَثَ يَعْنِي بِذَلِكَ ابْنُ رَوَاحَةَ قَالَ:

فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتْلُو كِتَابَهُ

إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الْفَجْرِ سَاطِعٌ أَرَانَا الْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى، فَقُلُوبُنَا

بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنْ مَا قَالَ وَاقِعٌ

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ

إِذَا اسْتَقَلَّتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ*)^(٤)

٧ - *) (عَنْ حُذَيْفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «إِنَّ أَشْبَهَ النَّاسِ دَلًّا وَسَمْتًا وَهَدِيًّا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا بَنُ أُمَّ عَبْدٍ، مِنْ حِينَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِ لَا نَذْرِي مَا يَصْنَعُ فِي أَهْلِهِ إِذَا خَلَا»*)^(٥).

٨ - *) (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ الْغَدَّ حِينَ بَايَعَ الْمُسْلِمُونَ أَبَا بَكْرٍ وَاسْتَوَى عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، تَشْهَدَ قَبْلَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: «أَمَّا بَعْدُ فَاخْتَارَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ ﷺ الَّذِي عِنْدَهُ عَلَى الَّذِي عِنْدَكُمْ، وَهَذَا الْكِتَابُ الَّذِي هَدَى اللَّهُ بِهِ رَسُولَكُمْ فَخُذُوا بِهِ تَهْتَدُوا، وَإِنَّمَا هَدَى اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ»*)^(٦).

٩ - *) (قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: «وَاللَّهُ مَا يَنْفَعُ تَأْدِيبُ الْوَالِدِ إِذَا لَمْ يَسْبِقْ اخْتِيَارُ الْخَالِقِ لِذَلِكَ الْوَلَدِ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ إِذَا أَرَادَ شَخْصًا رَبَّاهُ مِنْ طُفُولَتِهِ وَهَدَاهُ إِلَى الصَّوَابِ وَدَلَّاهُ عَلَى الرَّشَادِ، وَحَبَّبَ إِلَيْهِ مَا يُصْلِحُ، وَصَحَّبَهُ مَنْ يُصْلِحُ، وَبَغَضَ إِلَيْهِ ضِدَّ ذَلِكَ»*)^(٧).

١٠ - *) (قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : «وَالْعَبْدُ مُضْطَرٌّ دَائِمًا إِلَى أَنْ يَهْدِيَهُ اللَّهُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، فَهُوَ مُضْطَرٌّ إِلَى مَقْصُودِ هَذَا الدُّعَاءِ، فَإِنَّهُ لَا نَجَاةَ مِنَ الْعَذَابِ وَلَا وُصُولَ إِلَى السَّعَادَةِ إِلَّا بِهَذِهِ الْهِدَايَةِ، وَهَذَا الْهُدَى لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِهُدَى اللَّهِ»*)^(٨).

(٤) البخاري - الفتح ١٠ (٦١٥١).

(٥) البخاري - الفتح ١٠ (٦٠٩٧).

(٦) البخاري - الفتح ١٣ (٧٢٦٩).

(٧) صيد الخاطر (٢٩٩).

(٨) الفتاوى (٣٧/١٤).

(١) الفوائد (٢٠٤).

(٢) أحمد (٤٤٤/١).

(٣) أحمد (٦٢/١) وقال الشيخ أحمد شاكر (٤٣٧/١):

إسناده صحيح، هذا أثر في سياقه حديث والمقصود هنا

الاستشهاد بالأثر.

١٢ - * (قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «الْهُدَايَةُ تَجْرُ الْهُدَايَةَ، وَالضَّلَالُ يَجْرُ الضَّلَالُ، فَأَعْمَالُ الْبِرِّ تُثْمِرُ الْهُدَى، وَكُلَّمَا زِدْتَ مِنْهَا زِدَادَ الْهُدَى، وَأَعْمَالُ الْفُجُورِ بِالضِدِّ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ أَعْمَالَ الْبِرِّ فَيَجَازِي عَلَيْهَا بِالْهُدَى وَالْفَلَاحِ، وَيُبْغِضُ أَعْمَالَ الْفُجُورِ وَيُجَازِي عَلَيْهَا بِالضَّلَالِ وَالشَّقَاءِ»*)^(١).

١٢ - * (وَقَالَ أَيْضًا: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا آمَنَ بِالْكِتَابِ وَاهْتَدَى بِهِ مُجْمَلًا وَقَبْلَ أَوَامِرِهِ وَصَدَّقَ بِأَخْبَارِهِ، كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِهْدَايَةٍ أُخْرَى تَحْصُلُ لَهُ عَلَى

التَّفْصِيلِ، فَإِنَّ الْهُدَايَةَ لَا نِهَايَةَ لَهَا وَلَوْ بَلَغَ الْعَبْدُ فِيهَا مَا بَلَغَ * (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى) * (مريم/ ٧٦) *^(٢).

١٣ - * (وَقَالَ أَيْضًا: «فَالْهُدَى وَالْفَضْلُ وَالنِّعْمَةُ وَالرَّحْمَةُ مُتَلَازِمَاتٌ لَا يَنْفَكُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ»*)^(٣).

١٤ - * (وَقَالَ أَيْضًا: «أَكْمَلُ الْهُدَى هَدْيُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ مُوَفِّيًا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَيْ الْإِسْلَامَ وَالْإِحْسَانَ حَقًّا»*)^(٤).

من فوائد « الهدى »

وَجَلَّ - بِالذُّعَاءِ لِأَقْوَامٍ وَأَفْرَادٍ يَسْأَلُهُ الْهُدَايَةَ لَهُمْ.

(٦) الْهُدَى كُلُّ الْهُدَى فِي كِتَابِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(٧) طَرِيقٌ مُوصِّلٌ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَجَنَّتِهِ.

(٨) الْمُهْتَدِي قَرِيبٌ مِنْ رَبِّهِ قَرِيبٌ مِنْ إِخْوَانِهِ.

(٩) نَشْرُ الْهُدَى فِي الْمُجْتَمَعَاتِ يَزِيدُ فِي الطَّاعَاتِ وَيُنْعِدُ عَنِ الْمَعَاصِي.

(١) يُنِيرُ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ بِنُورِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ .

(٢) مِنْ أَكْبَرِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَهْدِيَهُ اللَّهُ سَبِيلَ الرِّشَادِ .

(٣) الْهُدَى هُدْيَانِ: هُدَى اللَّهِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مَخْلُوقٌ. وَهُدَى الدَّلَالَةِ مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الرُّسُلِ وَاتِّبَاعِهِمْ.

(٤) أَسَاسُ الْهُدَى التَّوْحِيدُ فَمَنْ أَخْلَصَ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ كَانَ مِنَ الْمُهْتَدِينَ.

(٥) إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ كَثِيرًا مَا يَبْتَهِلُ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ

(٣) المصدر السابق (١/ ١٨٤).

(٤) المصدر السابق (١/ ١٩٥).

(١) تنوير الحوالك (١/ ٣٣٨).

(٢) المصدر السابق (١/ ١٧٧).

الورع

الآيات	الأحاديث	الآثار
-	٣١	٢٢

الورع لغةً:

مَصْدَرٌ قَوْلُهُمْ: وَرِعَ يَرِيعُ وَهُوَ مَا أُخُوذُ مِنْ مَادَّةٍ (ورع) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْكَفِّ وَالْانْقِبَاضِ، قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: وَمِنْهُ (أَيُّ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى) الْوَرَعُ: الْعِفَّةُ، وَهِيَ الْكَفُّ عَمَّا لَا يَنْبَغِي، وَالْوَرَعُ (أَيْضًا) الرَّجُلُ الْجَبَانُ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ وَرِعَ يَوْرُعُ وَرُعًا إِذَا كَانَ جَبَانًا، وَوَرَعَتْهُ وَأَوْرَعَتْهُ: كَفَفَتْهُ^(١).

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: قَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ وَأَصْحَابُنَا (الْكُوفِيُّونَ) يَذْهَبُونَ بِالْوَرَعِ إِلَى الْجَبَانِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا الْوَرَعُ: الصَّغِيرُ الضَّعِيفُ الَّذِي لَا غِنَاءَ عِنْدَهُ، وَيُقَالُ مِنْ ذَلِكَ: إِنَّمَا مَالُ فُلَانٍ أَوْرَاعٌ: أَيُّ صِغَارٌ، وَالْوَرَعُ (بِكْسْرِ الرَّاءِ): الرَّجُلُ التَّقِيُّ، وَتَوَرَّعَ مِنْ كَذَا أَيُّ تَحَرَّجَ.

وَقَالَ الْفَيْرُوزَابَادِيُّ: الْوَرَعُ التَّقْوَى، وَقَدْ وَرِعَ كَوْرَثَ، وَوَجَلَ، وَوَضَعَ، وَكَرَّمَ^(٢) أَيُّ تَحَرَّجَ.

وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: الْوَرَعُ: التَّحَرُّجُ، وَالْوَرِعُ: بِكْسْرِ الرَّاءِ: الرَّجُلُ التَّقِيُّ الْمُتَحَرِّجُ.

وَالْوَرَعُ فِي الْأَصْلِ: الْكَفُّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالتَّحَرُّجُ مِنْهَا، ثُمَّ اسْتُعِيرَ لِلْكَفِّ عَنِ الْمُبَاحِ وَالْحَلَالِ وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الرِّعَةُ الْهُدَى وَحُسْنُ الْهَيْئَةِ. يُقَالُ: قَوْمٌ حَسَنَةُ رِعَتِهِمْ أَيُّ شَأْنُهُمْ وَأَمْرُهُمْ وَأَدَبُهُمْ وَأَصْلُهُ مِنَ الْوَرَعِ، وَهُوَ الْكَفُّ عَنِ الْقَبِيحِ^(٣).

واصطلاحاً:

قَالَ الْمَنَاوِيُّ: قِيلَ (فِي تَعْرِيفِهِ): الْوَرَعُ تَرَكُ مَا يَرِيئُكَ، وَنَفْيُ مَا يَعْيبُكَ، وَالْأَخْذُ بِالْأَوْثَقِ، وَحَمْلُ النَّفْسِ عَلَى الْأَشَقِّ.

وَقِيلَ: النَّظَرُ فِي الْمَطْعَمِ وَاللِّبَاسِ، وَتَرَكُ مَا بِهِ بَأْسٌ، وَقِيلَ: تَجَنَّبُ الشُّبُهَاتِ، وَمُرَاقَبَةُ الْخَطَرَاتِ^(٤). وَقَالَ الْكَفْوِيُّ:

الْوَرَعُ: الْاجْتِنَابُ عَنِ الشُّبُهَاتِ سَوَاءً كَانَ تَحْصِيلاً أَوْ غَيْرَ تَحْصِيلٍ؛ إِذْ قَدْ يَفْعَلُ الْمَرْءُ فِعْلاً تَوَرَّعًا، وَقَدْ يَتْرُكُهُ تَوَرَّعًا أَيْضًا، وَيُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى التَّقْوَى، وَهُوَ الْكَفُّ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ الْقَطْعِيَّةِ^(٥).

وَقَالَ الرَّاعِبِيُّ: الْوَرَعُ عِبَارَةٌ عَنْ تَرَكِ التَّسَرُّعِ إِلَى

والقاموس المحيط (٣/٩٦).

(٣) لسان العرب (٨/٣٨٨).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف (٣٣٧).

(٥) الكليات للكفوي (٩٤٤).

(١) معنى ذلك أنه يقال وَرِعَ يَرِيعُ مِثْلَ وَرِثَ يَرِثُ، وَوَرِعَ يَوْرُعُ مِثْلَ وَجَلَ يَوْجُلُ، وَوَرِعَ يَرِيعُ مِثْلَ وَضَعَ يَضَعُ وَوَرِعَ يَوْرُعُ مِثْلَ كَرَّمَ يَكْرُمُ.

(٢) مقاييس اللغة (٦/١٠٠)، و الصحاح (٣/١٢٩٧)، ولسان العرب (ورع) (٦/٤٨١٤) (ط. دار المعارف)،

تَنَاولِ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا^(١).

وَقِيلَ تَرَكَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا مِمَّا بِهِ بَأْسٌ .

وَقِيلَ هُوَ: تَرَكَ الشُّبُهَاتِ وَهُوَ الْوَرَعُ الْمَنْدُوبُ،

وَيُطْلَقُ عَلَى تَرَكَ الْمَحْرَمَاتِ^(٢).

وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: هُوَ الْوَرَعُ عَمَّا قَدْ تَخَافُ عَاقِبَتُهُ

وَهُوَ مَا يُعْلَمُ تَحْرِيمُهُ وَمَا يُشَكُّ فِي تَحْرِيمِهِ ، وَلَيْسَ فِي

تَرْكِهِ مَفْسَدَةٌ أَعْظَمُ مِنْ فِعْلِهِ ، وَكَذَلِكَ الْاِحْتِيَالُ بِفِعْلِ

مَا يُشَكُّ فِي وَجُوبِهِ لَكِنْ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ^(٣).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: تَرَكَ مَا يُحْشَى ضَرَرُهُ فِي

الْآخِرَةِ^(٤).

كمال الورع:

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: تَمَامُ الْوَرَعِ أَنْ

يَعْلَمَ الْإِنْسَانُ خَيْرَ الْخَيْرَيْنِ وَشَرَّ الشَّرَّيْنِ ، وَيَعْلَمَ أَنَّ

الشَّرِيعَةَ مَبْنَاهَا عَلَى تَحْصِيلِ الْمَصَالِحِ وَتَكْمِيلِهَا

وَتَعْطِيلِ الْمَفَاسِدِ وَتَقْلِيلِهَا وَإِلَّا فَمَنْ لَمْ يُوَازِنْ مَا فِي

الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ مِنَ الْمَصْلَحَةِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَالْمَفْسَدَةِ

الشَّرْعِيَّةِ فَقَدْ يَدَعُ وَاجِبَاتٍ وَيَفْعَلُ مُحَرَّمَاتٍ، وَيَرَى

ذَلِكَ مِنَ الْوَرَعِ، كَمَنْ يَدَعُ الْجِهَادَ مَعَ الْأُمَرَاءِ الظَّالِمَةِ

وَيَرَى ذَلِكَ وَرَعًا ، وَيَدَعُ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ خَلْفَ الْأَيْمَةِ

الَّذِينَ فِيهِمْ بِدْعَةٌ أَوْ فُجُورٌ وَيَرَى ذَلِكَ مِنَ الْوَرَعِ ،

وَيَمْتَنِعُ عَنْ قَبُولِ شَهَادَةِ الْعِبَادِ وَأَخَذِ عِلْمِ الْعَالَمِ لِمَا فِي

صَاحِبِهِ مِنْ بِدْعَةٍ خَفِيَّةٍ، وَيَرَى تَرَكَ قَبُولِ سَمَاعِ هَذَا

الْحَقِّ الَّذِي يَجِبُ سَمَاعُهُ مِنَ الْوَرَعِ^(٥).

الورع عن الحرام والمكروهات لا عن

الواجبات والمستحبات:

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - بَعْدَ كَلَامِ ذَكَرَ

فِيهِ الْفَرْقَ بَيْنَ الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ: وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ الْوَاجِبَاتِ

وَالْمُسْتَحَبَّاتِ لَا يَصْلُحُ فِيهَا زُهْدٌ وَلَا وَرَعٌ، وَأَمَّا

الْمَحْرَمَاتُ وَالْمَكْرُوهَاتُ فَيَصْلُحُ فِيهَا الزُّهْدُ وَالْوَرَعُ^(٦).

وَلِذَا يَقُولُ الْجُرْجَانِيُّ: هُوَ اجْتِنَابُ الشُّبُهَاتِ

خَوْفًا مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمَحْرَمَاتِ .

وَقِيلَ: هُوَ مُلَازِمَةُ الْأَعْمَالِ الْجَمِيلَةِ^(٧).

أنواع الورع ودرجاته:

قَسَمَ الرَّائِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ الْوَرَعَ إِلَى ثَلَاثِ

مَرَاتِبَ:

١ - وَاجِبٌ: وَهُوَ الْإِحْجَامُ عَنِ الْمَحَارِمِ ،

وَذَلِكَ لِلنَّاسِ كَافَّةً .

٢ - مَنْدُوبٌ: وَهُوَ الْوُقُوفُ عَنِ الشُّبُهَاتِ ،

وَذَلِكَ لِلأَوَاسِطِ .

٣ - فَضِيلَةٌ: وَهُوَ الْكَفُّ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمُبَاحَاتِ

وَالْاِقْتِصَارُ عَلَى أَقَلِّ الضَّرُورَاتِ ، وَذَلِكَ لِلنَّبِيِّينَ

وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ^(٨).

(٥) المرجع السابق (١٠/٥١٢).

(٦) المرجع السابق (١٠/٥١٢).

(٧) التعريفات للجرجاني (٢٥٢).

(٨) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٣٢٣).

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٣٢٣).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد بن علان

(٢٦/٣).

(٣) الفتاوى (١٠/٥١١-٥١٢).

(٤) الفوائد (١١٨).

وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو إِسْمَاعِيلَ الْهَرَوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى -: الْوَرَعُ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ:
الدَّرَجَةُ الْأُولَى: تَجَنُّبُ الْقَبَائِحِ لِصِدْقِ النَّفْسِ،
وَتَوْفِيرِ الْحَسَنَاتِ وَصِيَانَةِ الْإِيمَانِ.
الدَّرَجَةُ الثَّانِيَّةُ: حِفْظُ الْحُدُودِ عِنْدَ مَا لَا بَأْسَ
بِهِ، إِبْقَاءُ عَلَى الصِّيَانَةِ، وَالتَّقْوَى، وَصُغُودًا عَنِ
الدَّنَاءَةِ، وَتَخَلُّصًا عَنِ اقْتِحَامِ الْحُدُودِ.
الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ: التَّوَرُّعُ عَنْ كُلِّ دَاعِيَةٍ تَدْعُو إِلَى
شَتَاتِ الْوَقْتِ وَالتَّعَلُّقِ بِالتَّفَرُّقِ^(١).

مظاهر الورع:

لِلْوَرَعِ مَظَاهِيرُ عَدِيدَةٌ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ أَعْضَاءِ
الْإِنْسَانِ الَّتِي يُتَصَوَّرُ اسْتِحْدَامُهَا فِي أَغْرَاضِ الدُّنْيَا،
كَمَا تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْعَلَاقَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي قَدْ
تَتَعَارَضُ فِيهَا الرِّغَبَاتُ، وَتَخْتَلِفُ الْمَصَالِحُ، وَلِلَّهِ دَرُّ ابْنِ
أَبِي الدُّنْيَا الَّذِي قَسَمَ الْوَرَعَ إِلَى أَبْوَابٍ بِحَسَبِ ذَلِكَ
كُلِّهِ، فَعَقَدَ أَبْوَابًا كِبَارًا حَشَدَ فِيهَا أَحَادِيثَ وَآثَارًا. وَقَدْ
جَاءَتْ عَلَى النُّحُوِّ التَّالِي:

- ١ - باب الورع في النَّظَرِ .
- ٢ - باب الورع في السَّمْعِ .
- ٣ - باب الورع في الشَّمِّ .
- ٤ - باب الورع في اللِّسَانِ .
- ٥ - باب الورع في البَطْشِ .
- ٦ - باب الورع في البَطْنِ .
- ٧ - باب الورع في الفَرْجِ .
- ٨ - باب الورع في السَّعْيِ .
- ٩ - باب الورع في الشِّرَاءِ وَالْبَيْعِ^(٢) .

[للاستزادة: انظر صفات : التقوى - حسن
الخلق - الزهد - مجاهدة النفس - المروءة - النزاهة -
الرضا - الرهبة - الرغبة والترغيب - الخشوع - محاسبة
النفس - الخشية - الخوف.
وفي ضد ذلك: انظر صفات: انتهاك الحرمات -
التطيف - الطمع - الغلول - العصيان - الغفلة -
الفجور - الفسوق].

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ٢٤ - ٢٦).

(٢) انظر رسالة ابن أبي الدنيا في «الورع».

الأحاديث الواردة في « الورع »

٢ - * (عَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: ذَكَرَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بَعَادَةَ وَاجْتِهَادَ، وَذَكَرَ عِنْدَهُ آخَرَ بَرِّعَةً. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَعْدِلْ بِالرَّعَةِ»^(٢))*^(٣).

١ - * (عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَضْلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ، وَخَيْرُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ»)*^(١).

الأحاديث الواردة في « الورع » معنى

قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ. فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْأَرْضَ وَلَمْ أَبْتَغِ مِنْكَ الذَّهَبَ. وَقَالَ الَّذِي لَهُ الْأَرْضُ: إِنَّمَا بَعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ، فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قَالَ: أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ. وَقَالَ الْآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ. قَالَ: أَنْكِحُوا الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ، وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ، وَتَصَدَّقَا»)*^(٦).

٦ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنْ يُسَلِّفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، فَخَرَجَ فِي

٣ - * (عَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبِدٍ صَاحِبِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَسْأَلُهُ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ: «جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ» فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا جِئْتُكَ أَسْأَلُكَ عَنْ غَيْرِهِ، فَقَالَ: «الْبِرُّ مَا أَنْشَرَحَ لَهُ صَدْرُكَ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ عَنْهُ النَّاسُ»)*^(٤).

٤ - * (عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ. خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرَّمَ»)*^(٥).

٥ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ

الخشني (٤/ ١٩٤)، وذكره المنذري في الترغيب (٣/ ١٦) وجوّد إسناده وأورده السيوطي في الجامع الصغير (٣١٩٨)، وصحح إسناده الشيخ الألباني (٢٨٧٨).
(٥) ابن ماجه (٢١٤٤) واللفظ له. وذكر الشيخ أحمد شاكِر له شواهد كثيرة جدا فانظره في التعليق على الرسالة للإمام الشافعي (٩٤). وقال الشيخ أحمد شاكِر: قال ابن الأثير في شرحه على المسند: هذا الحديث مشهور دائر بين العلماء. والحاكم (٢/ ٤) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.
(٦) البخاري - الفتح ٦ (٣٤٧٢) واللفظ له. ومسلم (١٧٢١).

(١) البزار كما في كشف الأستار (١/ ٨٥) / ١٣٩، والطبراني في الأوسط (٤/ ٥٦٩) / ٣٩٧٢، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢١١-٢١٢)، والحاكم (١/ ٩٢-٩٣) وقال: صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي. وقال المنذري في الترغيب (١/ ٩٣): حسن. وله شواهد كثيرة لعله يصح بها.
(٢) بالرعة: الرعة مصدر من الورع وهو التقى، يُقَالُ وَرَعَ كَعَلِمَ يَرَعُ رَعَةً.
(٣) الترمذي (٢٥١٩) وقال: حسن غريب. وذكره ابن مفلح في الآداب الشرعية، وقال: إسناده جيد.
(٤) أحمد (٤/ ٢٢٧) واللفظ له، والدارمي (٢/ ٢٤٦)، ورواه أيضاً أحمد بنحوه في «المسند» من حديث أبي ثعلبة

الْبَحْرِ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطْبًا، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ»^(١) .

٧ - * (عَنْ أَبِي قَتَادَةَ وَأَبِي الدَّهْمَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَا: أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَقُلْنَا: هَلْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ. سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - إِلَّا أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ» وَفِي رِوَايَةٍ: أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَقَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتَّقَاءَ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - إِلَّا أَعْطَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ»^(٢) .

٨ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ»^(٣) .

٩ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ،

فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾. (المؤمنون/ ٥١)، وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة/ ١٧٢). ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ. يَارَبِّ يَارَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟^(٤) *^(٥) .

١٠ - * (عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ تَزَوَّجَ ابْنَةً لِأَبِي إِهَابٍ بْنِ عَزِيزٍ فَاتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُ عُقْبَةَ وَالتَّتِي تَزَوَّجَ. فَقَالَ لَهَا عُقْبَةُ: مَا أَعْلَمُ أَنَّكَ أَرْضَعْتَنِي، وَلَا أَخْبَرْتَنِي. فَرَكِبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ؟» فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ، وَنَكَحَتْ زَوْجًا غَيْرَهُ^(٦) *^(٧) .

١١ - * (عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبةٌ»^(٧) *^(٨) .

١٢ - * (عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْبِرِّ

(١) البخاري - الفتح ٣ (١٤٩٨).

(٢) مجمع الزوائد (١٠/ ٢٩٦) وقال: رواه كله أحمد بأسانيد ورجاله رجال الصحيح. وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية (٣/ ٢٨٧): رواه النسائي وإسناده جيد.

(٣) مجمع الزوائد (١٠/ ٢٩٥) وقال: رواه أحمد والطبراني وإسنادهما حسن، وقال الشيخ أحمد شاكر في المسند (١٠/ ١٣٧ - ١٣٩) واللفظ له: حديث رقم (٦٦٥٢) إسناده صحيح، وعزاه للخرائطي في مكارم الأخلاق (١/ ٤١).

(٤) فأنى يستجاب لذلك: فكيف يستجاب له؟.

(٥) مسلم (١٠١٥).

(٦) البخاري - الفتح ١ (٨٨).

(٧) سنن النسائي (٨/ ٣٢٧، ٣٢٨) وصحيح سنن النسائي (٥٢٦٩). الترمذي (٢٥١٨) واللفظ له وقال: حسن صحيح. وقال الشيخ أحمد شاكر في نسخته (٣/ ١٦٩): إسناده صحيح حديث رقم (١٧٢٣). ومعنى الحديث على ما قاله النووي في الرياض: اترك ما تشك فيه، وخذ ما لا تشك فيه.

وَالْإِثْمُ ؟ . فَقَالَ : « الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ » * (١) .

١٣ - * (عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « الْحَلَالُ بَيِّنٌ ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَزْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحْرَمُهُ ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » * (٢) .

١٤ - * (عَنْ طَرِيفِ أَبِي تَيْمَةَ قَالَ : شَهِدْتُ صَفْوَانَ وَجُنْدُبًا وَأَصْحَابَهُ وَهُوَ يُوصِيهِمْ فَقَالُوا : هَلْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا ؟ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ : « مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » قَالَ : « وَمَنْ شَاقَّ شَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » فَقَالُوا : أَوْصِنَا . فَقَالَ : إِنَّ أَوَّلَ مَا يَتَنُّ مِنَ الْإِنْسَانِ بَطْنُهُ فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَلَّا يَأْكُلَ إِلَّا طَبِيبًا فَلْيَفْعَلْ ، وَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يُحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ بِمِلءٍ كَفَّ مِنْ دَمٍ هَرَاقَةٌ (٣) فَلْيَفْعَلْ » * (٤) .

١٥ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ -

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَنَحْنُ عِنْدَهُ : « طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ » فَقِيلَ : مَنْ الْغُرَبَاءُ يَارَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « أَنْاسٌ صَالِحُونَ ، فِي أَنْاسٍ سُوءٌ كَثِيرٌ ، مَنْ يَعَصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ » ، قَالَ : وَكُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا آخَرَ حِينَ طَلَعَتِ الشَّمْسُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « سَيَأْتِي أَنْاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ نُورُهُمْ كَضَوْءِ الشَّمْسِ » . قُلْنَا : مَنْ أُولَئِكَ يَارَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : « فَقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ ، وَالَّذِينَ تُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهِ ، يَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَّتُهُ فِي صَدْرِهِ ، يُحْشَرُونَ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ » * (٥) .

١٦ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : « كُلُّ مَخْمُومٍ الْقَلْبِ (٦) صَدُوقِ اللِّسَانِ » . قَالُوا : صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ ؛ فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ ؟ قَالَ : « هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ ، لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيٍ وَلَا غِلٍّ وَلَا حَسَدٍ » * (٧) .

١٧ - * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : « طَلَبُ الْحَلَالِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ » * (٨) .

١٨ - * (عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ

(١) مسلم (٢٥٥٣) .

(٢) البخاري - الفتح ١ (٥٢) واللفظ له . مسلم (١٥٩٩) .

(٣) هراقة : أي صبه . قاله الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» .

(٤) البخاري - الفتح ١٣ (٧١٥٢) .

(٥) المسند بتحقيق الشيخ أحمد شاكر (١٣٦/١٠) حديث

(٦٦٥٠) واللفظ له وقال : صحيح . وذكره الهيثمي في

المجمع (١٠/٢٥٨-٢٥٩) .

(٦) قلب مخموم : أي نقي من الغل والحسد .

(٧) ابن ماجه (٤٢١٦) واللفظ له وقال في الزوائد : هذا إسناد

صحيح ، رجاله ثقات . وذكره الألباني في الصحيحة

(٢/٦٦٩) حديث (٩٤٨) وعزاه أيضا لابن عساكر .

(٨) مجمع الزوائد (١٠/٢٩١) وقال : رواه أحمد وإسناده جيد

عَنْهُ - قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْقَاحَةِ^(١)، وَمِنَّا الْمُحْرِمُ وَمِنَّا غَيْرُ الْمُحْرِمِ، فَرَأَيْتُ أَصْحَابِي يَتَرَاءَوْنَ شَيْئًا فَظَنَرْتُ فَإِذَا حِمَارٌ وَحِشٌ - يَعْنِي وَقَعَ سَوْطُهُ - فَقَالُوا: لَا نَعِينُكَ عَلَيْهِ شَيْءٌ، إِنَّا مُحْرِمُونَ، فَتَنَاوَلْتُهُ فَأَخَذْتُهُ، ثُمَّ أَتَيْتُ الْحِمَارَ مِنْ وَرَاءِ أَكْمَةِ فَعَقَرْتُهُ^(٢) فَاتَيْتُ بِهِ أَصْحَابِي، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كُلُّوا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَأْكُلُوا. فَاتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ أَمَامَنَا، فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: «كُلُّوهُ حَلَالٌ»^(٣).*

١٩* (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ ثُمَّ يَغْدُو - أَحْسِبُهُ قَالَ - إِلَى الْجَبَلِ فَيَحْتَطِبُ فَيَبِيعُ فَيَأْكُلُ وَيَتَصَدَّقَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ»^(٤).*

٢٠* (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ لَيْسَ الْمُسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرْدُهُ اللَّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنَّ الْمُسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ وَلَا يُفْطَنُ بِهِ فَيَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلَ النَّاسَ»^(٥).*

٢١* (عَنْ عَدِيِّ بْنِ عَمِيرَةَ الْكِنْدِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ

اسْتَعْمَلَنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ، فَكَتَمْنَا مَخِيطًا^(٦) فَمَا فَوْقَهُ، كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ أَسْوَدُ مِنَ الْأَنْصَارِ. كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! اقْبَلْ عَنِّي عَمَلَكَ. قَالَ: «وَمَا لَكَ؟» قَالَ: سَمِعْتُكَ تَقُولُ: كَذَا وَكَذَا. قَالَ: «وَأَنَا أَقُولُهُ الْآنَ. مَنْ اسْتَعْمَلَنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَلْيَجِءْ بِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ، فَمَا أُوتِيَ مِنْهُ أَخَذَ. وَمَا نُهِيَ عَنْهُ انْتَهَى»^(٧).*

٢٢* (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»^(٨).*

٢٣* (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمَ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟» فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا وَقَالَ: «اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ عَبْدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ»^(٩).*

٢٤* (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

(٢/٦٨٩)، وقال الزرقاني في شرح الموطأ: الحديث حسن بل صحيح، وقال: أخرجه أحمد وأبو يعلى والترمذي .
(٩) الترمذي (٢٣٠٥) واللفظ له وقال: حديث غريب ، والحسن لم يسمع عن أبي هريرة شيئا وهو من روايته عنه، وابن ماجه (٤٢١٧) بمعناه، وقال في الزوائد: هذا إسناد حسن . ومسنده أحمد بتخريج الشيخ أحمد شاكر (١٥/٢٢٨) حديث (٨٠٨١) وقال: صحيح لغيره . والورع لابن أبي الدنيا (٤٠) وقال مخرجه إسناده حسن . وقال محقق «جامع الأصول» (١١/٦٨٧): وهو حديث حسن .

(١) القاحه: اسم واد على بعد ثلاثة أميال من المدينة .
(٢) الأكمة: هي التل وهو ما ارتفع عن الأرض . ومعنى عقرفته أي نحرفته .
(٣) البخاري - الفتح ٤ (١٨٢٣) واللفظ له . ومسلم (١١٩٦) .
(٤) البخاري الفتح ٣ (١٤٨٠) واللفظ له . ومسلم (١٠٤٢) .
(٥) البخاري الفتح ٣ (١٤٧٩) واللفظ له . ومسلم (١٠٢٩) .
(٦) المَخِيط: هو الإبرة .
(٧) مسلم (١٨٣٣) .
(٨) الترمذي (٢٣١٧) وقال: حديث غريب . ابن ماجه (٣٩٧٦) . وذكره مالك في الموطأ عن علي بن أبي طالب

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَذْهَبَ إِلَى الْجَبَلِ فَيَحْتَطِبَ ثُمَّ يَأْتِيَ بِهِ يَحْمِلُهُ عَلَى ظَهْرِهِ ، فَيَبِيعُهُ فَيَأْكُلُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ ، وَلَأَنْ يَأْخُذَ تِرَابًا فَيَجْعَلَهُ فِي فِيهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ فِي فِيهِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ» * (١).

٢٥ - * (عَنْ عَطِيَّةِ السَّعْدِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا لِمَا بِهِ الْبَأْسُ ») * (٢).

٢٦ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ ... الْحَدِيثُ ، وَفِي آخِرِهِ: «وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي ، فَقَالَ : يَا زَيْنَبُ ، مَا عَلِمْتَ ؟ مَا رَأَيْتِ ؟ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي ، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا . قَالَتْ : وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِنِي ^(٣) فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ ») * (٤).

المثل التطبيقي من حياة رسول الله ﷺ في «الورع»

٢٧ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَخَذَ ثَمْرَةً مِنْ ثَمَرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْفَارِسِيَّةِ: « كَخْ ، كَخْ » ^(٥) . أَمَا تَعْرِفُ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ ») * (٦).

٢٨ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: « إِنِّي لَأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي فَأَجِدُ الثَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي ثُمَّ أَرْفَعُهَا لِأَكُلَهَا ، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً فَأُلْقِيهَا ») * (٧).

٢٩ - * (عَنْ نَافِعٍ مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ ابْنَ عُمَرَ سَمِعَ صَوْتَ زَمَارَةٍ رَاحٍ ، فَوَضَعَ أَصْبُعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ ، وَعَدَلَ رَاحِلَتَهُ عَنِ الطَّرِيقِ وَهُوَ يَقُولُ: يَا نَافِعُ ، أَتَسْمَعُ ؟ فَأَقُولُ: نَعَمْ ، فَيَمْضِي ، حَتَّى قُلْتُ: لَا ، فَوَضَعَ يَدَيْهِ وَأَعَادَ رَاحِلَتَهُ إِلَى الطَّرِيقِ ، وَقَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَسَمِعَ صَوْتَ زَمَارَةٍ رَاحٍ فَصَنَعَ مِثْلَ هَذَا ») * (٨).

٣٠ - * (عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ

(٤) البخاري الفتح ٥ (٢٦٦١) واللفظ له ، ومسلم (٢٧٧٠).

(٥) كَخْ كَخْ: كلمة زجر للصبي .

(٦) البخاري الفتح ٦ (٣٠٧٢) واللفظ له ، مسلم (١٠٦٩).

(٧) البخاري الفتح ٥ (٢٤٣٢) ، ومسلم (١٠٧٠) واللفظ له .

(٨) أحمد (٨/٢) واللفظ له وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده

صحيح (٢٤٦/٦) برقم (٤٥٣٥) وعزاه لأبي داود (٤٩٢٤)

ورد قول أبي داود أن الحديث منكروا . الورع لابن أبي

الدنيا (٦٧) ، وقال مخرجه: صحيح وعزاه لابن حبان والبيهقي .

(١) مجمع الزوائد (٢٩٣/١٠) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال

الصحيح غير محمد بن إسحاق ، وقد وثق . وقال أحمد

شاكر في تخريج المسند: إسناده صحيح حديث رقم

١٣ (٢٣٧) (٧٤٨٢) واللفظ له .

(٢) الترمذي (٢٤٥١) وقال: حديث حسن غريب ، ابن

ماجه (٤٢١٥) واللفظ لهما ، وقال محقق جامع الأصول

٤ (٦٨٢): حديث حسن ، حديث رقم (٢٧٩١).

(٣) تساميني: تقرب مني في المنزلة .

نَعَمْ. كَثِيرًا، كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِذَا طَلَعَتْ قَامَ، وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَيَضْحَكُونَ، وَيَتَبَسَّمُونَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) * ^(١).

٣١ * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مُسْتَجْمِعًا قَطُّ ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ ^(٢)، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ) * ^(٣).

من الآثار وأقوال العلماء الواردة في «الورع»

١ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكْهَنُ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أَحْسَنُ الْكَهَانَةَ إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتُ مِنْهُ. فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ) * ^(٤).

٣ - * (عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ كَانَ فَرَضَ لِلْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ فِي أَرْبَعَةٍ، وَفَرَضَ لَابْنِ عُمَرَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَخَمْسِمِائَةٍ. فَقِيلَ لَهُ: هُوَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَلِمَ نَقَصْتَهُ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا هَاجَرَ بِهِ أَبَوَاهُ، يَقُولُ: لَيْسَ هُوَ كَمَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِهِ) * ^(٦).

٢ - * (عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ رَأَيْتُ عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَبْلَ أَنْ يُصَابَ بِأَيَّامٍ بِالْمَدِينَةِ... وَفِيهِ: فَقَالُوا: «أَوْصِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اسْتَخْلِفْ». قَالَ: مَا أَجِدُ أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ - أَوِ الرَّهْطِ - الَّذِينَ تُؤَفِّي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ. فَسَمَى عَلِيًّا وَعُثْمَانَ وَالزُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ وَسَعْدًا وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَقَالَ: يَشْهَدُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) * ^(٥).

٤ - * (عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ أَبِي مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَسَمَ مُرُوطًا بَيْنَ نِسَاءٍ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَبَقِيَ مِنْهَا مِرْطٌ جَيِّدٌ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ عِنْدَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَعْطِ هَذَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الَّتِي عِنْدَكَ - يُرِيدُونَ أُمَّ كُلثُومَ بِنْتَ عَلِيٍّ - فَقَالَ عُمَرُ: أُمَّ سُلَيْطٍ أَحَقُّ بِهِ (وَأُمُّ سُلَيْطٍ مِنْ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ مِمَّنْ بَايَعَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)). قَالَ عُمَرُ: فَإِنَّهَا كَانَتْ تُزْفِرُ ^(٧) لَنَا الْقَرَبَ يَوْمَ أُحُدٍ) * ^(٨).

٥ - * (عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُثْمَانَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ. قَالَ: كُنَّا مَعَ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَنَحْنُ

(٤) البخاري الفتح ٧ (٣٨٤٢).

(٥) البخاري الفتح ٧ (٣٧٠٠).

(٦) البخاري الفتح ٧ (٣٩١٢).

(٧) تزفر: تحمل.

(٨) البخاري الفتح ٧ (٤٠٧١).

(١) مسلم (٢٣٢٢).

(٢) لهواته: جمع لهاة، وهي لحمية في سقف أقصى الفم مشرفة على الحلق.

(٣) البخاري الفتح ١٠ (٦٠٩٢) واللفظ له. مسلم (٨٩٩).

بأطول من هذا.

حُرْمٌ فَأَهْدِي لَهُ طَيْرٌ، وَطَلْحَةُ رَاقِدٌ، فَمِنَّا مَنْ أَكَلَ، وَمِنَّا مَنْ تَوَرَّعَ. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ طَلْحَةُ وَفَقَّ مَنْ أَكَلَهُ، وَقَالَ: أَكَلْنَاهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) * (١).

٦ - * (قَالَ طَاوُسٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : «مَثَلُ الْإِسْلَامِ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ، فَأَصْلُهَا الشَّهَادَةُ، وَسَاقُهَا كَذَا، وَوَرَقُهَا كَذَا - شَيْءٌ سَمَاءُ - وَثَمَرُهَا الْوَرَعُ، لَا خَيْرَ فِي شَجَرَةٍ لَا ثَمَرَ لَهَا، وَلَا خَيْرَ فِي إِنْسَانٍ لَا وَرَعَ لَهُ» * (٢).

٧ - * (قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : «أَفْضَلُ الْعِلْمِ الْوَرَعُ وَالتَّوَكُّلُ» * (٣).

٨ - * (وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «الْفَقِيهُ الْوَرَعُ الزَّاهِدُ الْمُقِيمُ عَلَى سُنَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، الَّذِي لَا يَسْخَرُ بِمَنْ أَسْفَلَ مِنْهُ، وَلَا يَهْزَأُ بِمَنْ فَوْقَهُ، وَلَا يَأْخُذُ عَلَى عِلْمِ عِلْمِهِ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - حُطَامًا» * (٤).

٩ - * (وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : «مَا عَبَدَ الْعَابِدُونَ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ تَرْكِ مَا نَهَاهُمْ اللَّهُ عَنْهُ» * (٥).

١٠ - * (وَقَالَ أَيْضًا: «مَا فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ أَحَبُّهُ لِلنَّاسِ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: فَأَيْنَ الْوَرَعُ؟ قَالَ: بِهِ بِهِ (٦) ذَلِكَ مَلَاكُ الْأَمْرِ» * (٧).

١١ - * (وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - لِغُلَامٍ: «مَا

مَلَاكُ الدِّينِ؟» قَالَ: الْوَرَعُ. قَالَ: «فَمَا آفَتْهُ؟» قَالَ: الطَّمَعُ. فَعَجِبَ الْحَسَنُ مِنْهُ» * (٨).

١٢ - * (قَالَ خَرِشَةُ بْنُ الْحَرِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: شَهِدَ رَجُلٌ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِشَهَادَةٍ، فَقَالَ لَهُ: لَسْتُ أَعْرِفُكَ، وَلَا يَضُرُّكَ أَنْ لَا أَعْرِفُكَ، أَنْتَ بِمَنْ يَعْرِفُكَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا أَعْرِفُهُ. قَالَ: بِأَيِّ شَيْءٍ تَعْرِفُهُ؟ قَالَ: بِالْعَدَالَةِ وَالْفَضْلِ، قَالَ: فَهُوَ جَارُكَ الْأَذْنَى الَّذِي تَعْرِفُهُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ وَمَذْخَلَهُ وَمَخْرَجَهُ، قَالَ: لَا. قَالَ: فَمُعَامِلُكَ بِالْدِّينَارِ وَالْدِّرْهَمِ اللَّذَيْنِ بِهِمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الْوَرَعِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَزَيْفُكَ فِي السَّفَرِ الَّذِي يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: لَسْتُ تَعْرِفُهُ، ثُمَّ قَالَ لِلرَّجُلِ: أَنْتَ بِمَنْ يَعْرِفُكَ» * (٩).

١٣ - * (قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: «كُنَّا نَمَزُحُ وَنَضْحَكُ فَلَمَّا صِرْنَا يُقْتَدَى بِنَا خَشِيتُ أَنْ لَا يَسْعَنَا التَّبَسُّمُ» * (١٠).

١٤ - * (قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: عَلَيْكَ بِالْوَرَعِ يُخَفِّفِ اللَّهُ حِسَابَكَ، وَدَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ، وَادْفَعْ الشَّكَّ بِالْيَقِينِ يَسْلَمْ لَكَ دِينُكَ»، وَعَنْ قُتَيْبَةَ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: «لَوْ لَا سُفْيَانُ

(٧) الورع لابن أبي الدنيا (٥٠) وقال مخرجه: إسناده حسن

(٨) مدارج السالكين (٢٣/٢).

(٩) سنن البيهقي (١٠/١٢٥ ١٢٦). وذكره الألباني في

الإرواء (٨/٢٦٠) حديث رقم (٢٦٢٧)، وقال:

صحيح وعزاه للعقيلي (٣٥٤) ونقل تصحيح ابن السكن

له.

(١٠) الآداب الشرعية (٢/٤٤).

(١) مسلم (١١٩٧). ومعنى وفقَّ مَنْ أَكَلَهُ: أَي صَوَّبَهُ.

(٢) الورع لابن أبي الدنيا (١٠٩) وقال مخرجه: إسناده صحيح.

(٣) الزهد للإمام أحمد (٣٢٥).

(٤) الآداب الشرعية (٢/٤٥).

(٥) الورع لابن أبي الدنيا (٤٢) وقال مخرجه: إسناده حسن.

(٦) به به: حسن حسن.

تَعَالَى: «لَنْ يَْعْدِمَ الْمُتَوَرَّعُ عَنِ الْحَرَامِ فُتُوْحًا مِّنَ الْحَلَالِ» * (٦).

٢٠ - * (قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «إِنَّمَا أَهْلَكَ النَّاسَ فُضُولُ الْكَلَامِ وَفُضُولُ الْمَالِ» * (٧).

٢١ - * (قَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «زِينَةُ الْعِلْمِ الْوَرَعُ وَالْحِلْمُ» * (٨).

٢٢ - * (قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي زَيْدٍ - إِمَامُ الْمَالِكِيَّةِ فِي زَمَانِهِ: «جَمَاعُ آدَابِ الْخَيْرِ وَأَزِمَّتُهُ تَتَفَرَّغُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَحَادِيثَ: قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»، وَقَوْلِهِ: «مَنْ حُسِنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ تَرَكَّهُ مَا لَا يَغْنِيهِ» وَقَوْلِهِ لِلَّذِي اخْتَصَرَ لَهُ فِي الْوَصِيَّةِ: «لَا تَغْضَبْ» وَقَوْلِهِ: «الْمُؤْمِنُ يُحِبُّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» * (٩).

الثَّوْرِيُّ لَمَاتِ الْوَرَعُ» * (١).

١٥ - * (قَالَ صَالِحُ الْمُرِّي - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «كَانَ يُقَالُ: التَّوَرُّعُ فِي الْفِتَنِ كِعِبَادَةِ النَّبِيِّ فِي الرَّخَاءِ» * (٢).

١٦ - * (قَالَ حَبِيبٌ - يَعْنِي ابْنَ أَبِي ثَابِتٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «لَا يُعْجِبُكُمْ كَثْرَةُ صَلَاةٍ أَمْرِيٍّ وَلَا صِيَامِهِ، وَلَكِنْ انْظُرُوا إِلَى وَرَعِهِ، فَإِنْ كَانَ وَرَعًا مَعَ مَا رَزَقَهُ اللَّهُ مِنَ الْعِبَادَةِ فَهُوَ عَبْدٌ لِلَّهِ حَقًّا» * (٣).

١٧ - * (قَالَ الضَّحَّاكُ بْنُ عُثْمَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «أَدْرَكْتُ النَّاسَ وَهُمْ يَتَعَلَّمُونَ الْوَرَعَ، وَهُمْ الْيَوْمَ يَتَعَلَّمُونَ الْكَلَامَ» * (٤).

١٨ - * (قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «يَكْفِي مِنَ الدُّعَاءِ مَعَ الْوَرَعِ الْيَسِيرُ مِنْهُ» * (٥).

١٩ - * (قَالَ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ

من فوائد «الورع»

- (٤) إِشَاعَتُهُ فِي الْمُجْتَمَعِ يَجْعَلُهُ مُجْتَمَعًا صَالِحًا نَظِيفًا.
- (٥) الْوَرَعُ يُحِبُّهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَيُحِبُّهُ الْخَلْقُ.
- (٦) الْوَرَعُ يُسْتَجَابُ دُعَاؤُهُ.

- (١) الْوَرَعُ مِنْ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ، وَأَفْضَلِ دَرَجَاتِ الْإِحْسَانِ.
- (٢) يُحَقِّقُ لِلْمُؤْمِنِ رَاحَةَ الْبَالِ، وَطُمَأْنِينَةَ النَّفْسِ.
- (٣) الْكَفُّ عَنِ الْحَرَامِ وَالْبُعْدُ عَمَّا لَا يَنْبَغِي.

(٥) المرجع السابق (١٢٥) وقال مخرجه: إسناده حسن.

(٦) إحياء علوم الدين (١/٢٢٣).

(٧) الآداب الشرعية (٣/٢٧٠).

(٨) المرجع السابق (٢/٤٥).

(٩) جامع العلوم والحكم لابن رجب (١٠٥).

(١) الورع لابن أبي الدنيا (١١٢) وقال مخرجه: إسناده صحيح، وحلية الأولياء (٧/٢٠).

(٢) الورع لابن أبي الدنيا (٥١) وقال مخرجه: إسناده حسن.

(٣) المرجع السابق (٦٠) وقال مخرجه: إسناده حسن.

(٤) المرجع السابق (٥٠) وقال مخرجه: إسناده صحيح.

الوعظ

الآيات	الأحاديث	الآثار
٢٢	١٢	٦

الوعظ لغة :

الْوَعْظُ مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ: وَعَظَ يَعْظُ وَهُوَ مِنْ مَادَّةِ (وع ظ) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى التَّخْوِيفِ، وَالْعِظَّةُ الْأِسْمُ مِنْهُ^(١)، وَقَالَ الْخَلِيلُ: الْعِظَّةُ: الْمَوْعِظَةُ. يُقَالُ: وَعَظْتُ الرَّجُلَ أَعْظُهُ عِظَةً وَمَوْعِظَةً، وَاتَّعَظَ: تَقَبَّلَ الْعِظَةَ، وَهُوَ تَذَكِيرُكَ إِيَّاهُ الْخَيْرَ وَنَحْوَهُ مِمَّا يَرِيقُ لَهُ قَلْبُهُ.

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْوَعْظُ: النَّصْحُ وَالتَّذَكِيرُ بِالْعَوَاقِبِ، تَقُولُ: وَعَظْتُهُ وَعَظًّا وَعِظَةً فَاتَّعَظَ^(٢)، وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُسْتَحَلُّ فِيهِ الرَّبَا بِالْبَيْعِ، وَالْقَتْلُ بِالْمَوْعِظَةِ» وَالْمَعْنَى فِي ذَلِكَ أَنَّ يُقْتَلَ الْبَرِيءُ لِيَتَّعَظَ بِهِ الْمُرِيبُ^(٣).

وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: الْوَعْظُ وَالْعِظَةُ وَالْعِظَّةُ وَالْمَوْعِظَةُ: النَّصْحُ وَالتَّذَكِيرُ بِالْعَوَاقِبِ، قَالَ ابْنُ سِيدِهِ هُوَ تَذَكِيرُكَ لِلْإِنْسَانِ بِمَا يُلَيِّنُ قَلْبَهُ مِنْ ثَوَابٍ وَعِقَابٍ. وَقَدْ وَعَظَهُ وَعَظًّا وَعِظَةً، وَاتَّعَظَ هُوَ: قَبِلَ الْمَوْعِظَةَ، حِينَ يُذَكَّرُ الْخَيْرَ وَنَحْوَهُ. وَيُقَالُ: السَّعِيدُ مَنْ وَعَظَ بَغَيْرِهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ اتَّعَظَ بِهِ غَيْرُهُ^(٤).

واصطلاحًا:

قِيلَ: هُوَ التَّذَكِيرُ بِالْخَيْرِ فِيمَا يَرِيقُ لَهُ الْقَلْبُ^(٥).
وَقَالَ الرَّائِغُ: الْوَعْظُ زَجْرٌ مُقْتَرِنٌ بِتَخْوِيفٍ^(٦).

من يصلح للوعظ؟:

لَيْسَ كُلُّ النَّاسِ يَصْلُحُ لَوَعْظِ الْعَامَّةِ وَإِرشَادِهِمْ، وَإِنَّمَا يَقْتَصِرُ ذَلِكَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ أَشَارَ إِلَيْهِمُ الرَّائِغُ عِنْدَمَا قَالَ: حَقُّ الْوَاعِظِ أَنْ تَكُونَ لَهُ مُنَاسَبَةٌ إِلَى الْحُكَمَاءِ لِيَقْدِرَ عَلَى الْاِقْتِبَاسِ عَنْهُمْ وَالِاسْتِفَادَةِ مِنْهُمْ، وَمُنَاسَبَةٌ إِلَى الدَّهْمَاءِ، حَتَّى يَقْدِرُوا بِهَا عَلَى الْأَخْذِ مِنْهُ، وَمَثَلُ ذَلِكَ كَمَثَلِ الْوَزِيرِ لِلسُّلْطَانِ، إِذْ يَجِبُ فِيهِ (أَيِ الْوَزِيرِ) أَنْ يَكُونَ مُتَخَلِّقًا بِأَخْلَاقِ الْمُلُوكِ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُ تَوَاضُعُ السُّوقَةِ لِيَصْلُحَ أَنْ يَكُونَ وَاسِطَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَإِذَنْ حَقُّ الْوَاعِظِ أَنْ تَكُونَ لَهُ نِسْبَةٌ إِلَى الْحَكِيمِ، وَنِسْبَةٌ إِلَى الْعَامَّةِ يَأْخُذُ مِنَ الْحَكِيمِ وَيُعْطِيهِمْ، وَذَلِكَ كَنِسْبَةِ الْغَضَارِيفِ إِلَى اللَّحْمِ وَالْعَظْمِ جَمِيعًا، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا أَمَكْنَ لِلْعَظْمِ أَنْ يَكْتَسِبَ الْغِذَاءَ مِنَ اللَّحْمِ^(٧).

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف لابن المناوي (٣٣٩)،

التعريفات للجرجاني (٢٧٥).

(٦) المفردات للراغب (٥٢٧).

(٧) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٢٥٢) بتصرف يسير.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (١٢٦/٦).

(٢) الصحاح (١١٨١/٣).

(٣) بصائر ذوي التمييز (٢٤٠/٥).

(٤) لسان العرب (٤٦٦/٧).

الحالة التي يجب أن يكون عليها الواعظ:

قَالَ الرَّاعِبُ: حَقُّ الْوَاعِظِ أَنْ يَتَّعِظَ ثُمَّ يَعِظَ، وَيُبْصِرَ ثُمَّ يُبْصِرَ، وَيَهْتَدِيَ ثُمَّ يَهْدِيَ، وَلَا يَكُونُ كَدَفْتَرٍ يُفِيدُ وَلَا يَسْتَفِيدُ، وَيَجِبُ أَلَّا يَجْرَحَ مَقَالَهُ بِفَعَالِهِ، وَأَلَّا يَكْذِبَ لِسَانَهُ بِحَالِهِ، فَيَكُونَنَّ مِمَّنْ وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.. إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (البقرة/ ٢٠٤، ٢٠٥)، وَنَحْوِ مَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: « قَصَمَ ظَهْرِي رَجُلَانِ: جَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ وَعَالِمٌ مُتَهَتِّكٌ، فَالْجَاهِلُ يَغُرُّ النَّاسَ بِتَنَسُّكِهِ، وَالْعَالِمُ يَنْفَرُهُمْ بِتَهْتُّكِهِ » وَالْوَاعِظُ مَا لَمْ يَكُنْ مَعَ مَقَالِهِ فَعَالُهُ لَا يُنْتَفِعُ بِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ عَمَلَهُ يُدْرِكُ بِالْبَصَرِ، وَعِلْمُهُ يُدْرِكُ بِالْبَصِيرَةِ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ هُمْ أَصْحَابُ الْأَبْصَارِ دُونَ الْبَصَائِرِ، فَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ عِنَايَتُهُ بِإِظْهَارِ عَمَلِهِ الَّذِي يُدْرِكُهُ جَمَاعَتُهُمْ أَكْثَرُ مِنْ عِنَايَتِهِ بِالْعِلْمِ الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ سِوَى أَصْحَابِ الْبَصَائِرِ مِنْهُمْ .

وَمَنْزِلَةُ الْوَاعِظِ مِنَ الْمُوعُوظِ كَمَنْزِلَةِ الْمُدَاوِي، فَكَمَا أَنَّ الطَّبِيبَ إِذَا قَالَ لِلنَّاسِ: لَا تَأْكُلُوا هَذَا، فَإِنَّهُ سُمٌّ قَاتِلٌ. ثُمَّ رَأَوْهُ آكِلًا لَهُ عُدٌّ سُخْرِيَّةٌ وَهَزَأَ، كَذَلِكَ الْوَاعِظُ إِذَا أَمَرَ بِمَا لَا يَعْمَلُهُ. وَبِهَذَا النَّظَرِ قِيلَ يَا طَبِيبُ طَبِّبْ نَفْسَكَ. بَلْ قَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف/ ٢-٣) إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ. وَأَيْضًا فَالْوَاعِظُ مِنَ الْمُوعُوظِ يَجْرِي مَجْرَى الطَّبَائِعِ بِمَا لَيْسَ

مُتَشَقِّشًا بِهَا، فَكَمَا أَنَّهُ مُحَالٌ أَنْ يَنْطَبِعَ الطِّينُ بِمَا لَيْسَ مُتَشَقِّشًا فِي الطَّابِعِ، كَذَلِكَ مُحَالٌ أَنْ يَحْصَلَ فِي نَفْسِ الْمُوعُوظِ مَا لَيْسَ بِمَوْجُودٍ فِي نَفْسِ الْوَاعِظِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنِ الْوَاعِظُ إِلَّا ذَا قَوْلٍ مُجَرَّدٍ مِنَ الْفِعْلِ لَمْ يَتَلَقَّ عَنْهُ الْمُوعُوظُ إِلَّا الْقَوْلَ دُونَ الْفِعْلِ، وَأَيْضًا فَإِنَّ الْوَاعِظَ يَجْرِي مِنَ النَّاسِ مَجْرَى الظِّلِّ مِنْ ذِي الظِّلِّ، فَكَمَا أَنَّهُ مُحَالٌ أَنْ يَعْجَجَ ذُو الظِّلِّ وَالظِّلُّ مُسْتَقِيمٌ، كَذَلِكَ مِنَ الْمُحَالِ أَنْ يَعْجَجَ الْوَاعِظُ وَالْمُوعُوظُ مُسْتَقِيمٌ. وَكَذَلِكَ النَّارُ وَالْأَرْضُ وَالْهَوَاءُ. فَالْوَاعِظُ إِذَا كَانَ غَاوِيًا جَرَّ بِغِيَّةٍ غَيْرَهُ إِلَى نَفْسِهِ، وَلِهَذَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْكُفَّارِ قَوْلَهُمْ: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ (القصص/ ٦٣) وَقَالَ أَيْضًا ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ (الصفات/ ٣٢).

فَمَنْ تَرَشَّحَ لِلْوَعْظِ ثُمَّ فَعَلَ فِعْلًا قَبِيحًا اقْتَدَى بِهِ غَيْرُهُ فَقَدْ جَمَعَ بَيْنَ وَزْرِهِ وَوِزْرِهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَاتِّقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ (النحل/ ٢٥) الْآيَةُ. وَقَدْ قَالَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - «مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» بَلْ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ (الأنعام/ ٣١)^(١).

تفسير الحكمة والموعظة الحسنة:

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: « وَإِنَّمَا يُنْتَفَعُ

بِالْعِظَةِ بَعْدَ حُصُولِ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : شِدَّةُ الْاِفْتِقَارِ إِلَيْهَا
وَالْعَمَى عَنْ عَيْبِ الْوَاعِظِ . وَتَذَكُّرُ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ .
وَإِنَّمَا يَشْتَدُّ اِفْتِقَارُ الْعَبْدِ إِلَى الْعِظَةِ - وَهِيَ التَّرْغِيبُ
وَالتَّرْهِيْبُ - إِذَا ضَعُفَتْ إِنْابَتُهُ وَتَذَكُّرُهُ ، وَإِلَّا فَامْتَنَى
قَوِيَّتْ إِنْابَتُهُ وَتَذَكُّرُهُ : لَمْ تَشْتَدَّ حَاجَتُهُ إِلَى التَّذْكِيرِ
وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ ، وَلَكِنْ تَكُونُ الْحَاجَةُ مِنْهُ
شَدِيدَةً إِلَى مَعْرِفَةِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ .

وَ « الْعِظَةُ » يُرَادُ بِهَا أَمْرَانِ : الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ
الْمَقْرُونَانِ بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَنَفْسُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ .
فَالْمُنِيبُ الْمُتَذَكِّرُ : شَدِيدُ الْحَاجَةِ إِلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ،
وَالْمُعْرِضُ الْغَافِلُ شَدِيدُ الْحَاجَةِ إِلَى التَّرْغِيبِ
وَالتَّرْهِيْبِ . وَالْمُعَارِضُ الْمُتَكَبِّرُ : شَدِيدُ الْحَاجَةِ إِلَى
الْمُجَادَلَةِ .

فَجَاءَتْ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ فِي حَقِّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ فِي
قَوْلِهِ : ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل / ١٢٥) أَطْلَقَ
الْحِكْمَةَ ، وَلَمْ يُقَيِّدْهَا بِوَصْفِ الْحَسَنَةِ . إِذْ كُلُّهَا حَسَنَةٌ ،
وَوُصِفَ الْحَسَنُ لَهَا ذَاتِيٌّ .

وَأَمَّا « الْمَوْعِظَةُ » فَقَيِّدْهَا بِوَصْفِ الْإِحْسَانِ . إِذْ
لَيْسَ كُلُّ مَوْعِظَةٍ حَسَنَةً .

وَكَذَلِكَ « الْجِدَالُ » قَدْ يَكُونُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .
وَقَدْ يَكُونُ بغيرِ ذَلِكَ . وَهَذَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى
حَالِ الْمُجَادِلِ وَغِلْظَتِهِ ، وَلِينِهِ وَحِدَّتِهِ وَرِفْقِهِ .
فَيَكُونُ مَأْمُورًا بِمُجَادَلَتِهِمْ بِالْحَالِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً لِمَا يُجَادَلُ بِهِ ، مِنْ الْحُجَجِ
وَالْبَرَاهِينِ ، وَالْكَلِمَاتِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ شَيْءٍ وَأَبْيَنُهُ ،

وَأَدْلُهُ عَلَى الْمَقْصُودِ . وَأَوْصَلُهُ إِلَى الْمَطْلُوبِ . وَالتَّحْقِيقُ :
أَنَّ الْآيَةَ تَتَنَاوَلُ النَّوعَيْنِ .

وَأَمَّا الْعَمَى عَنْ عَيْبِ الْوَاعِظِ : فَإِنَّهُ إِذَا اشْتَغَلَ
بِهِ حُرْمَ الْاِنْتِفَاعِ بِمَوْعِظَتِهِ . لِأَنَّ النَّفْسَ مَجْبُولَةً عَلَى
عَدَمِ الْاِنْتِفَاعِ بِكَلَامٍ مَنْ لَا يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ .
وَهَذَا بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَصِفُ لَهُ الطَّيِّبُ دَوَاءً لِمَرَضٍ بِهِ مِثْلُهُ .
وَالطَّيِّبُ مُعْرِضٌ عَنْهُ غَيْرُ مُلْتَفِتٍ إِلَيْهِ . بَلِ الطَّيِّبُ
الْمَذْكُورُ عِنْدَهُمْ : أَحْسَنُ حَالًا مِنْ هَذَا الْوَاعِظِ
الْمُخَالِفِ لِمَا يَعِظُ بِهِ . لِأَنَّهُ قَدْ يَقُومُ دَوَاءً آخَرَ عِنْدَهُ مَقَامَ
هَذَا الدَّوَاءِ . وَقَدْ يَرَى أَنَّ بِهِ قُوَّةً عَلَى تَرْكِ التَّدَاوِيِّ . وَقَدْ
يَقْنَعُ بِعَمَلِ الطَّبِيعَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، بِخِلَافِ هَذَا الْوَاعِظِ .
فَإِنَّ مَا يَعِظُ بِهِ طَرِيقٌ مُعَيَّنٌ لِلنَّجَاةِ لَا يَقُومُ غَيْرُهَا
مَقَامَهَا . وَلَا بُدَّ مِنْهَا . وَلَا جُلَّ هَذِهِ النَّفَرَةِ قَالَ شُعَيْبٌ -
عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِقَوْمِهِ : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا
أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ (هود / ٨٨) وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : إِذَا
أَرَدْتَ أَنْ يَقْبَلَ مِنْكَ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ ، إِذَا أَمَرْتَ بِشَيْءٍ
فَكُنْ أَوَّلَ الْفَاعِلِينَ لَهُ ، الْمُؤْتَمِرِينَ بِهِ . وَإِذَا نَهَيْتَ عَنْ
شَيْءٍ ، فَكُنْ أَوَّلَ الْمُنْتَهِينَ عَنْهُ . وَقَدْ قِيلَ :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرُهُ

هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ؟

تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ وَذِي الضَّنَى

وَمِنْ الضَّنَى تُمِى وَأَنْتَ سَقِيمٌ

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ

عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ

أَبْدَأُ بِنَفْسِكَ فَانْهَاهَا عَنْ غِيَّهَا

فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ

فَهُنَاكَ يُقْبَلُ مَا تَقُولُ وَيُقْتَدَى

بِالْقَوْلِ مِنْكَ. وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ.

فَالْعَمَى عَنْ عَيْبِ الْوَاعِظِ : مِنْ شُرُوطِ تَمَامِ

الانْتِفَاعِ بِمَوْعِظَتِهِ.

وَأَمَّا تَذَكُّرُ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ : فَإِنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ

خَشْيَتَهُ وَالْحَذَرَ مِنْهُ. وَلَا تَنْفَعُ الْمَوْعِظَةُ إِلَّا لِمَنْ آمَنَ بِهِ،

وَخَافَهُ وَرَجَاهُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ

خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ﴾ (هود/ ١٠٣) وَقَالَ : ﴿ سَيَذَكِّرُ

مَنْ يَخْشَى ﴾ (الأعلى / ١٠) وَقَالَ : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ

يَخْشَاهَا ﴾ (النازعات / ٤٥) وَأَصْرَحَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ

تَعَالَى : ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ (ق : ٤٥)

فَالْإِيْمَانُ بِالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَذِكْرُهُ : شَرْطٌ فِي الْإِنْتِفَاعِ
بِالْعِظَاتِ وَالْآيَاتِ وَالْعِبَرِ. مِمَّا يَسْتَحِيلُ حُصُولُهُ
بِدُونِهِ^(١).

[للاستزادة: انظر صفات: الإرشاد - الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر - الإنذار - التذكير -

الدعوة إلى الله - الهدى - التبليغ - الكلم الطيب -

التقوى.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الأمر بالمنكر

والنهي عن المعروف - الضلال - الغي والإغواء -

التفريط والإفراط - الإعراض.]

الآيات الواردة في « الوعظ »

آيات الله وكتبه وشرائعه أعظم المواعظ:

- ١

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ

فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾

فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا

وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾

- ٢

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُغْنِ أَجَلُهُنَّ فَامْسِكُوهُنَّ

بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَخُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تَمْسِكُوهُنَّ

ضِرَارًا لِّلْعُنْدِ وَأَوْ مِنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ

وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْدِي اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ

اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ

وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ عِوَاتِقُوا اللَّهَ

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٧﴾

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُغْنِ أَجَلُهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ

أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ

ذَلِكَ يُوعِظُكُمْ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ ذَلِكَ لَكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ

لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾

- ٣

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا

يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ

اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ

مِّن رَّبِّهِ فَاسْتَمِعْ فَلَهُ مَآ سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ

وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾

- ٤

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا

وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ

اللَّهَ نِعَمًا يُعْظِمُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾

وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ

فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ

وَذِكْرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾

- ٦

وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا

فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَآ سَاءَ ذَلِكَ كُمْ تُوَعِّظُونَ

بِهِ وَاللَّهُ يَمَاتَمِلُونَ خَيْرٌ ﴿٢﴾

- ٧

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ

لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ

لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ

إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ

وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي
لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾
فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا
الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ
لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾

٨- قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٣٧﴾
هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾

٩- وَقَفَيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ يَعْنِي ابْنَ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى
وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَهُدًى
وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾

١٠- وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ
وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ
دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾

١١- يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ
وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى
وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

١٢- وَلَيْسَتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ
مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ
مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ
عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّنَبْغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٢﴾

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ
خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾

وجوب الوعظ والتلطف فيه:

١٣- الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ
فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ
بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ
فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ
وَأْضَرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ
سَبِيلًا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾

١٤- وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى
الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَفِّقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ
صُدُودًا ﴿٦١﴾

فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ
أَيْدِيَهُمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا
إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ
فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي
أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ^(١) ﴿١٦٣﴾

١٥- وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً
الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ
حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ
لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ
بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ
أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْدِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ
وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُونَ ﴿١٦٤﴾
فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ
عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ
بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ^(٢) ﴿١٦٥﴾

١٦- أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ
الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ ^(٣) ﴿١٦٥﴾

١٧- وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ
وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ
وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٦٦﴾

وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنِي لَا تَشْرِكْ
بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ^(٤) ﴿١٦٦﴾

١٨- ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ
وَفَرْدَى ثُمَّ تَنْفَكُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ
إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ^(٥) ﴿١٦٦﴾

وجوب العمل بالموعظة:

١٩- وَلَوْ أَنَّا كَذَّبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ
أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ
وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ
وَأَشَدُّ تَنبِيْثًا ^(٦) ﴿١٦٦﴾

٢٠- قَالَ يَنْفُخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ
فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ
مِنَ الْجَاهِلِينَ ^(٧) ﴿١٦٦﴾

٢١- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ
ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ^(٨) ﴿١٦٦﴾

٢٢- وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ
بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا ابْتِهَانٌ عَظِيمٌ ^(٩) ﴿١٦٦﴾
يَعِظُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ^(٩) ﴿١٦٧﴾

(٧) هود : ٤٦ مكية

(٨) النحل : ٩٠ مكية

(٩) النور : ١٦ - ١٧ مدنية

(٤) لقمان : ١٢ - ١٣ مكية

(٥) سبأ : ٤٦ مكية

(٦) النساء : ٦٦ مدنية

(١) النساء : ٦١ - ٦٣ مدنية

(٢) الأعراف : ١٦٣ - ١٦٥ مكية

(٣) النحل : ١٢٥ مكية

الأحاديث الواردة في «الوعظ»

١ - * (عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : إِنِّي لَا تَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ . مِمَّا يُطِيلُ بِنَا . فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ . فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّ مِنْكُمْ مُنْفِرِينَ . فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ ») * (١) .

٢ - * (عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْأَخْوَصِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَرَ وَوَعِظَ . فَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ قِصَّةً ، فَقَالَ : « أَلَا . وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ (٢) عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ ، إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا . أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا ، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا . فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلَا يُوطِئَنَّ فُرْشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ وَلَا يَأْذَنَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ . أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ ») * (٣) .

٣ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يُخْطُبُ وَذَكَرَ النَّاقَةَ وَالَّذِي عَقَرَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا » : أَنْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عَارِمٌ (٤) مَنِيْعٌ فِي رَهْطِهِ مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ وَذَكَرَ النِّسَاءَ . فَقَالَ : « يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ يَجْلِدُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ فَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ » . ثُمَّ وَعَظَهُمْ فِي ضَحِكِهِمْ مِنَ الضَّرْطَةِ وَقَالَ : « لِمَ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ ؟ ») * (٥) .

٤ - * (عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : دَخَلْتُ أَسْمَاءَ بِنْتُ عُمَيْسٍ ، وَهِيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنَا ، عَلَى حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ زَائِرَةً . وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ ، فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى حَفْصَةَ ، وَأَسْمَاءُ عِنْدَهَا . فَقَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَى أَسْمَاءَ : مَنْ هَذِهِ ؟ قَالَتْ : أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ . قَالَ عُمَرُ : الْحَبَشِيَّةُ هَذِهِ ؟ الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ ؟ فَقَالَتْ أَسْمَاءُ : نَعَمْ . فَقَالَ عُمَرُ : سَبَقْنَاكُمْ بِالْهَجْرَةِ ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكُمْ . فَغَضِبَتْ ، وَقَالَتْ كَلِمَةً : كَذَبْتَ يَا عُمَرُ . كَلَّا . وَاللَّهِ كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ ، وَيَعْطِي جَاهِلَكُمْ وَكُنَّا فِي دَارٍ ، أَوْ فِي أَرْضِ الْبُعْدَاءِ الْبُغَضَاءِ فِي الْحَبَشَةِ وَذَلِكَ فِي اللَّهِ وَفِي رَسُولِهِ ، وَإِنَّمَا اللَّهُ ! لَا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا

عنه - الطويل في حجة النبي ﷺ عند مسلم ، فالحديث صحيح ..

(٤) عارم : أي صعب على من يرومه .

(٥) البخاري - الفتح ٨ (٤٩٤٢) .

(١) البخاري - الفتح ٢ (٧٠٢) . ومسلم (٤٦٦) واللفظ له .

(٢) عوان عندكم : أي أسرى في أيديكم .

(٣) الترمذي (١١٦٣) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وقال محقق «جامع الأصول» (٥٠٤ / ٦) : وللحديث

شواهد في «الصحيحين» منها حديث جابر - رضي الله

حَتَّى أَذْكَرَ مَا قُلْتَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذَى وَنُخَافُ ، وَسَأَذْكَرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَسْأَلُهُ . وَوَاللَّهِ لَا أَكْذِبُ وَلَا أَزِيعُ وَلَا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ . قَالَ : فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَتْ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنَّ عُمَرَ قَالَ كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ ، وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلُ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ » قَالَتْ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونِي أَرْسَالًا ^(١) يَسْأَلُونِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ ، مَا مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ وَلَا أَغْظُمُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ * ^(٢) .

٥ - * (عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ يَوْمَ الْعِيدِ . فَبَدَأَ بِالصَّلَاةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ . بِغَيْرِ أَذَانٍ وَلَا إِقَامَةٍ . ثُمَّ قَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَى بِلَالٍ ، فَأَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ . وَحَثَّ عَلَى طَاعَتِهِ . وَوَعَظَ النَّاسَ . وَذَكَرَهُمْ . ثُمَّ مَضَى . حَتَّى أَتَى النِّسَاءَ . فَوَعَظَهُنَّ وَذَكَرَهُنَّ . فَقَالَ : «تَصَدَّقْنَ فَإِنَّ أَكْثَرُكُمْ حَطَبُ جَهَنَّمَ » . فَقَامَتِ امْرَأَةٌ مِنْ سَطَةِ النِّسَاءِ ^(٣) سَفْعَاءُ الْخَذَّيْنِ ^(٤) . فَقَالَتْ : لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : «لَأَنَّكُمْ تُكْثِرْنَ الشَّكَاةَ ^(٥) وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ ^(٦) » قَالَ : فَجَعَلْنَ يَتَصَدَّقْنَ مِنْ حُلِيِّهِنَّ . يُلْقِينَ فِي ثَوْبٍ

بِلَالٍ مِنْ أَقْرِطَتِهِنَّ وَخَوَاتِمِهِنَّ * ^(٧) .

٦ - * (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ ﷺ غَلَبْنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ . فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ ، فَكَانَ فِيهَا قَالَ لَهُنَّ : « مَا مِنْكُمْ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةَ مِنْ وَلَدِهَا إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ » . فَقَالَتِ امْرَأَةٌ . وَاثْنَيْنِ ؟ فَقَالَ : « وَاثْنَيْنِ » * ^(٨) .

٧ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهَةِ السَّامَةِ عَلَيْنَا) * ^(٩) .

٨ - * (عَنِ الْعَرَبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ ، وَوَجَلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ . فَقَالَ رَجُلٌ : إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُودِعٍ ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ ، فَإِنَّهُ مِنْ يَعْشُ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ عَصُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ » * ^(١٠) .

معرفتھن .

- (٧) البخاري - الفتح ٢ (٩٧٨) . ومسلم (٨٨٥) واللفظ له .
(٨) البخاري - الفتح ١ (١٠١) واللفظ له . ومسلم (٢٦٣٣) .
(٩) البخاري - الفتح ١ (٦٨) واللفظ له . ومسلم (٢٨٢١) .
(١٠) الترمذي (٢٦٧٦) واللفظ له وقال : حديث حسن صحيح . وأبو داود (٤٦٠٧) . وابن ماجه في المقدمة (٤٢) .

(١) أرسالا : أفواجا .

- (٢) البخاري - الفتح ٦ (٣١٣٦) . ومسلم (٢٥٠٣) واللفظ له
(٣) من سطة النساء : أي من خيارهن . والوسط العدل والخيار .
(٤) سفعاء الخدين : السفعة : سواد مشرب بحمرة .
(٥) الشكاة : الشكوى .
(٦) تكفرن العشير أي يحدن الإحسان لضعف عقولهن وقلة

الأحاديث الواردة في «الوعظ» معنى

٩ - * (عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمَجَاشِعِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ : « أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلِمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي ، يَوْمِي هَذَا ، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ » ... (الْحَدِيثُ) * (١).

١٠ - * (عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ قَالَ : دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ . وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ . فَأَتَيْتُهُمْ . فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ . فَقَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ . فَزَلْنَا مَنْزِلًا . فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِבَاءَهُ . وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ - وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ (٢) . إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ . فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ ، وَيُنْذِرُهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ » .. (الْحَدِيثُ) * (٣).

١١ - * (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ : « لَا وَاللَّهِ ! مَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ ، أَيُّهَا النَّاسُ إِلَّا مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا » . فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ !

أَيُّتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ ؟ . فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاعَةً . ثُمَّ قَالَ : « كَيْفَ قُلْتَ ؟ » . قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَيُّتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ ؟ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ الْخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ أَوْ خَيْرٌ هُوَ ؟ . إِنَّ كُلَّ مَا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ حَبَطًا (٤) أَوْ يُلِمُّ (٥) . إِلَّا أَكَلَةَ الْخَضِرِ أَكَلْتُ حَتَّى إِذَا امْتَلَأَتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسُ . ثَلُطَتْ (٦) أَوْ بَالَتْ . ثُمَّ اجْتَرَّتْ ، فَعَادَتْ فَأَكَلَتْ . فَمَنْ يَأْخُذْ مَالًا بِحَقِّهِ يُبَارِكْ لَهُ فِيهِ . وَمَنْ يَأْخُذْ مَالًا بِغَيْرِ حَقِّهِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ » * (٧).

١٢ - * (عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ ، وَعَلَا صَوْتُهُ ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ . حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ ، يَقُولُ : صَبَحَكُمْ وَمَسَّكُمْ . وَيَقُولُ : « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ » وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى . وَيَقُولُ : « أَمَّا بَعْدُ . فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ . وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ . وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا . وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » . ثُمَّ يَقُولُ : « أَنَا أَوَّلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ . مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلَأْهِلِهِ . وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضِيَاعًا فَلِئِيَّ وَعَلَيَّ » * (٨).

الإفراط في الأكل.

(٥) يُلِمُّ : يقارب الإهلاك .

(٦) ثلطت : ثلط البعير إذا ألقى رجيعة سهلاً رقيقاً .

(٧) البخاري - الفتح ٦ (٢٨٤٢) . ومسلم (١٠٥٢) واللفظ له .

(٨) مسلم (٨٦٧) .

(١) مسلم (٢٨٦٥) .

(٢) في جشره : الجشر : قوم يخرجون بدواهم إلى المرعى ويبيتون مكانهم .

(٣) مسلم (١٨٤٤) .

(٤) حبطاً : أي تخمة . وهي امتلاء البطن وانتفاخه من

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في «الوعظ»

- ١ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ».. الْحَدِيثُ) * (١).
- ٢ - (وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّهُ بَكَى يَوْمًا بَيْنَ أَصْحَابِهِ فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «فَكَرْتُ فِي الدُّنْيَا وَلَذَاتِهَا وَشَهَوَاتِهَا فَاعْتَبَرْتُ مِنْهَا بِهَا، مَا تَكَادُ شَهَوَاتُهَا تَقْضِي حَتَّى تُكَدِّرَهَا مَرَارَتُهَا، وَلَئِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا عِبْرَةٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ إِنَّ فِيهَا مَوَاعِظَ لِمَنْ اذْكَرَ» * (٢).
- ٣ - * (قَالَ مُقَاتِلٌ - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ (الفرقان/ ٧٣): قَالَ: «إِذَا وُعِظُوا بِالْقُرْآنِ لَمْ يَقْعُوا عَلَيْهِ صُمًّا لَمْ يَسْمَعُوهُ، عُمْيَانًا لَمْ يُبْصِرُوهُ، وَلَكِنَّهُمْ
- ١ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ».. الْحَدِيثُ) * (١).
- ٢ - (وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّهُ بَكَى يَوْمًا بَيْنَ أَصْحَابِهِ فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «فَكَرْتُ فِي الدُّنْيَا وَلَذَاتِهَا وَشَهَوَاتِهَا فَاعْتَبَرْتُ مِنْهَا بِهَا، مَا تَكَادُ شَهَوَاتُهَا تَقْضِي حَتَّى تُكَدِّرَهَا مَرَارَتُهَا، وَلَئِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا عِبْرَةٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ إِنَّ فِيهَا مَوَاعِظَ لِمَنْ اذْكَرَ» * (٢).
- ٣ - * (قَالَ مُقَاتِلٌ - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ (الفرقان/ ٧٣): قَالَ: «إِذَا وُعِظُوا بِالْقُرْآنِ لَمْ يَقْعُوا عَلَيْهِ صُمًّا لَمْ يَسْمَعُوهُ، عُمْيَانًا لَمْ يُبْصِرُوهُ، وَلَكِنَّهُمْ
- ٤ - * (قَالَ أَبُو مُحْرِزٍ الطُّنَّائِيُّ: «كَفَّكَ الْقُبُورُ مَوَاعِظَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ» * (٥).
- ٥ - * (قَالَ بَعْضُ الصُّلَحَاءِ: «لَنَا مِنْ كُلِّ بَيْتٍ عِظَةٌ بِحَالِهِ، وَعِبْرَةٌ بِآلِهِ» * (٦).
- ٤ - * (قَالَ بَعْضُ الصُّلَحَاءِ: «لَنَا مِنْ كُلِّ بَيْتٍ عِظَةٌ بِحَالِهِ، وَعِبْرَةٌ بِآلِهِ» * (٦).

من فوائد «الوعظ»

- ١ - طَرِيقٌ مُوصِلٌ إِلَى الْجَنَّةِ.
- ٢ - يُنِيرُ الْعُقُولَ وَيُصْلِحُ الْقُلُوبَ.
- ٣ - حُصُولُ الْمَحَبَّةِ وَالْأُلْفَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.
- ٤ - يُثْمِرُ السَّعَادَةَ فِي الدَّارَيْنِ.
- ٥ - يَحْفَظُ الْإِنْسَانَ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ.

(٤) إحياء علوم الدين (١/ ٦٣).

(٥) أدب الدنيا والدين (١٣٠).

(٦) المرجع السابق (١٣٠).

(١) مسلم (٢٦٤٥).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٤٣٨).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٤٧٤).

الوفاء

الآيات	الأحاديث	الآثار
٢١	٤٢	١٦

الوفاء لغة:

مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ: وَفَى يَفِي وَفَاءً، وَهُوَ مَا اخُذَ مِنْ مَادَّةٍ (و ف ي) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى «إِكْمَالٍ وَإِتْمَامٍ» يَقُولُ ابْنُ فَارِسٍ: وَمِنْ هَذَا الْوَفَاءِ: إِتْمَامُ الْعَهْدِ وَإِكْمَالُ الشَّرْطِ، وَيَقُولُونَ مِنْهُ أَيْضًا: أَوْفَيْتُكَ الشَّيْءَ، إِذَا قَضَيْتَهُ إِلَيْهِ وَافِيًا، وَتَوَفَيْتُ الشَّيْءَ وَاسْتَوْفَيْتُهُ، إِذَا أَخَذْتَهُ كُلَّهُ حَتَّى لَمْ تَتْرَكْ مِنْهُ شَيْئًا^(١).

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْوَفَاءُ ضِدُّ الْغَدْرِ، يُقَالُ: وَفَى بِعَهْدِهِ وَأَوْفَى بِمَعْنَى، وَوَفَى الشَّيْءُ وَفِيًا عَلَى (وَزْنِ) فُعُولٍ أَيْ تَمَّ وَكَثُرَ^(٢)، وَالْوَفِيُّ الْوَافِي، وَوَفَى عَلَى الشَّيْءِ: أَشْرَفَ، وَأَوْفَاهُ حَقَّهُ وَوَفَّاهُ بِمَعْنَى، وَاسْتَوْفَى حَقَّهُ وَتَوَفَّاهُ بِمَعْنَى، وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ: قَبَضَ رُوحَهُ، وَوَافَى فُلَانٌ: أَتَى، وَتَوَافَى الْقَوْمُ: تَتَامَوْا^(٣).

وَقَالَ الرَّاعِبِيُّ: الْوَافِي: الَّذِي بَلَغَ التَّمَامَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، يُقَالُ: دَرَهْمٌ وَافٍ وَكَيْلٌ وَافٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾ (الإسراء/ ٣٥) وَوَفَى بِعَهْدِهِ وَأَوْفَى إِذَا تَمَّ الْعَهْدُ وَلَمْ يَنْقُصْ حِفْظُهُ، وَاشْتِقَاقُ ضِدِّهِ وَهُوَ الْغَدْرُ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ تَرَكُ (الْحِفْظِ)، وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ جَاءَ بِصِيغَةِ الرُّبَاعِيِّ «أَوْفَى» قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا

بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ﴾ (البقرة/ ٤٠)، وَتَوَفِيَةُ الشَّيْءِ بِذُلِّهِ وَافِيًا، وَاسْتِيفَاؤُهُ: تَنَاوُلُهُ وَافِيًا، وَقَدْ عُبرَ عَنِ النَّوْمِ وَالْمَوْتِ بِالتَّوْفِي.

قَالَ الْكِسَائِيُّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ: وَفَيْتُ بِالْعَهْدِ وَأَوْفَيْتُ بِهِ سَوَاءً. وَالْوَفِيُّ: الَّذِي يُعْطِي الْحَقَّ وَيَأْخُذُ الْحَقَّ.

وَفِي حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ: وَفَتْ أَدْنُكَ وَصَدَّقَ اللَّهُ حَدِيثَكَ. كَأَنَّهُ جَعَلَ أَدْنَهُ فِي السَّمْعِ كَالضَّامِنَةِ بِتَصْدِيقِ مَا حَكَتْ، فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ فِي تَحْقِيقِ ذَلِكَ الْخَبَرِ صَارَتْ الْأُذُنُ كَأَنَّهَا وَافِيَةٌ بِضَمَانِهَا خَارِجَةٌ مِنَ التُّهْمَةِ فِيمَا أَدَّتْهُ إِلَى اللِّسَانِ.

وَفِي رِوَايَةٍ: أَوْفَى اللَّهُ بِأَدْنِهِ. أَيْ أَظْهَرَ صِدْقَهُ فِي إِنْخِبَارِهِ عَمَّا سَمِعَتْ أَدْنُهُ.

يُقَالُ: وَفَى بِالشَّيْءِ وَأَوْفَى وَوَفَى بِمَعْنَى وَاحِدٍ. وَأَوْفَى الْكَيْلَ أَتَمَّهُ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ شَيْئًا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾، ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾، وَفِي الْحَدِيثِ: «فَمَرَرْتُ بِقَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ كُلَّمَا قُرِضَتْ وَفَتْ» أَيْ تَمَّتْ وَطَالَتْ.

وَالْمُؤَافَاةُ: أَنْ تُوَافِيَ إِنْسَانًا فِي الْمِيعَادِ، تَوَافَيْنَا فِي الْمِيعَادِ وَوَافَيْتُهُ فِيهِ، وَتَوَفَّى الْمُدَّةَ: بَلَغَهَا وَاسْتَكْمَلَهَا،

مثل قُعود وجُلوس .

(٣) الصحاح (٦/ ٢٥٢٦).

(١) مقاييس اللغة (٦/ ١٢٩).

(٢) يشير الجوهري بذلك إلى أَنَّ مَصْدَرَ وَفَى قَدْ يَأْتِي عَلَى فُعُولٍ

وَهُوَ مِنْ ذَلِكَ. وَكُلُّ شَيْءٍ بَلَغَ تَمَامَ الْكَمَالِ فَقَدْ وَفَى وَتَمَّ، وَيُقَالُ: أَوْفَيْتُهُ حَقَّهُ وَوَفَّيْتُهُ أَجْرَهُ^(١).

وَالْوَفَاءُ فِي اللَّغَةِ: الْخُلُقُ الشَّرِيفُ الْعَالِي الرَّفِيعُ مِنْ قَوْلِهِمْ: وَفَى الشَّعْرُ فَهُوَ وَافٍ إِذَا زَادَ، وَوَفَّيْتُ لَهُ بِالْعَهْدِ أَفِي، وَوَفَّيْتُ أَوْافِي.

وَمِنْهُ الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ: وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنْ بُلُوغِ تَمَامِ الْكَمَالِ فِي تَنْفِيذِ كُلِّ مَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ، وَفِي كُلِّ مَا عَاهَدَ عَلَيْهِ الْعِبَادُ^(٢).

الوفاء اصطلاحاً:

قَالَ الْجُرْجَانِيُّ: الْوَفَاءُ: هُوَ مُلَازِمَةُ طَرِيقِ الْمُوَاسَاةِ، وَمُحَافَظَةُ عَهْدِ الْخُلَطَاءِ^(٣).

وَقَالَ الْجَا حِظُّ: الْوَفَاءُ: هُوَ الصَّبْرُ عَلَى مَا يَبْذُلُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ وَيَرْهَنُهُ بِهِ لِسَانَهُ^(٤). وَالْخُرُوجُ مِمَّا يَضُمُّنُهُ بِمُقْتَضَى الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعَهُ عَلَى نَفْسِهِ (وَإِنْ كَانَ مُجْحِظاً بِهِ، فَلَيْسَ يُعَدُّ وَفِيّاً مَنْ لَمْ تَلَحُّقْهُ بَوَفَائِهِ أَذِيَّةٌ وَإِنْ قَلَّتْ، وَكُلَّمَا أَضْرَّ بِهِ الدُّخُولُ تَحْتَ مَا حَكَمَ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ كَانَ ذَلِكَ أَبْلَغَ فِي الْوَفَاءِ^(٥)).

وَقَالَ الرَّاعِبُ: الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ: إِتِمَامُهُ وَعَدَمُ نَقْضِ حِفْظِهِ^(٦).

وَقَالَ أَيُّضاً: الْوَفَاءُ صِدْقُ اللِّسَانِ وَالْفِعْلُ مَعاً^(٧).

الوفاء قيمة إنسانية نادرة:

لِلْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ قِيَمَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ وَأَخْلَاقِيَّةٌ عَظْمَى لِأَنَّهُ يُرْسِي دَعَائِمَ الثِّقَةِ فِي الْأَفْرَادِ وَيُؤَكِّدُ أَوَاصِرَ التَّعَاوُنِ فِي الْمُجْتَمَعِ، يَقُولُ الرَّاعِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي ذَلِكَ: الْوَفَاءُ: أَخُو الصِّدْقِ وَالْعَدْلِ، وَالْغَدْرُ: أَخُو الْكَذِبِ وَالْجَوْرِ، ذَلِكَ أَنَّ الْوَفَاءَ: صِدْقُ اللِّسَانِ وَالْفِعْلُ مَعاً، وَالْغَدْرُ كَذِبٌ بِهِمَا، لِأَنَّ فِيهِ مَعَ الْكَذِبِ نَقْضٌ لِلْعَهْدِ.

وَالْوَفَاءُ: يَخْتَصُّ بِالْإِنْسَانِ، فَمَنْ فَقَدَ فِيهِ (الْوَفَاءَ) فَقَدْ انْسَلَخَ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَهْدَ مِنَ الْإِيمَانِ وَصِيرَةً قَوَامًا لِأُمُورِ النَّاسِ، فَالنَّاسُ مُضْطَرُونَ إِلَى التَّعَاوُنِ، وَلَا يَتِمُّ تَعَاوُنُهُمْ إِلَّا بِمُرَاعَاةِ الْعَهْدِ وَالْوَفَاءِ بِهِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَتَنَافَرَتِ الْقُلُوبُ وَارْتَفَعَ التَّعَايُشُ. وَلِذَلِكَ عَظَّمَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرَهُ فَقَالَ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (البقرة/ ٤٠)، وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ (المدثر/ ٤)، أَيْ نَزَّهَ نَفْسَكَ عَنِ الْغَدْرِ، وَقَدْ

يضمّنه» أي خروج الإنسان من العهد الذي قطعه على نفسه وألزمه به لسانه مما ضمّنه للغير.

(٥) تهذيب الأخلاق (ص ٢٤) ويبدو أن الجاحظ يتحدث هنا عن وفاء بعينه وهو ما تعلق بالوعود المقطوعة للآخرين.

(٦) المفردات (٥٢٨).

(٧) الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص ٢٩٢).

(١) لسان العرب (٣٩٨/١٥ - ٤٠٠).

(٢) المرجع السابق. وانظر: بصائر ذوي التمييز (٤/ ١١٤ - ١١٥). ونزهة الأعين النواظر (٤٤٦ - ٤٤٨).

(٣) التعريفات (ص ٢٧٤)، و المناوي في التوقيف (ص ٣٣٩).

(٤) معنى هذه العبارة: أن الإنسان يُصْبِحُ رَهِينَةً بِمَا يَنْطِقُ بِهِ لِسَانُهُ وَلَا يَكُونُ وَفِيّاً إِلَّا إِذَا حَرَّرَ نَفْسَهُ بِالْوَفَاءِ بِمَا التَزَمَ بِهِ، وَهَذَا هُوَ مَضْمُونُ الْعِبَارَةِ التَّالِيَةِ فِي قَوْلِهِ «وَالْخُرُوجُ مِمَّا

أَمَّا الْوَفَاءُ بِالْعَقْدِ: فَاَلْمُرَادُ بِهِ إِمَّا الْعَهْدُ، وَبِذَلِكَ يَتَطَابَقُ مَعَ النَّوعِ الْأَوَّلِ، وَقِيلَ: الْعُقُودُ هِيَ أَوْكَدُ الْعُهُودِ، وَقِيلَ: هِيَ عُهُودُ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ، وَقِيلَ: هِيَ مَا يَتَعَاقَدُهُ النَّاسُ فِيْمَا بَيْنَهُمْ^(٤).

أَمَّا الْوَفَاءُ بِالْوَعْدِ: فَاَلْمُرَادُ بِهِ أَنْ يَصْبِرَ الْإِنْسَانُ عَلَى أَدَاءِ مَا يَعِدُ بِهِ الْغَيْرَ وَيَبْذُلُهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ، وَيَرْهَنُهُ بِهِ لِسَانَهُ حَتَّى وَإِنْ أَضُرَّ بِهِ ذَلِكَ، وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْ قَبْلُ قَوْلَ الْجَاحِظِ: وَكَلَّمَا أَضُرَّ بِهِ الدُّخُولُ تَحْتَ مَا حَكَمَ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ كَانَ ذَلِكَ أَبْلَغَ فِي الْوَفَاءِ^(٥).

[للاستزادة: انظر صفات: الاعتراف بالفضل -

الأمانة - الصدق - المسؤولية - المواساة - كتمان السر - الإخلاص.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الغدر - الجحود -

نقض العهد - نكران الجميل - الخيانة - إفشاء السر - التنصل من المسؤولية].

عُظِمَ حَالُ السَّمَوَالِ فِيْمَا التَزَمَ بِهِ مِنَ الْوَفَاءِ بِدُرُوعِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوَفَاءَ قِيَمَةٌ عَظِيمَةٌ قَدَّرَهَا عَرَبُ الْجَاهِلِيَّةِ. وَقَدْ أَقَرَّهُمُ الْإِسْلَامُ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ إِلَّا الْقَلِيلُونَ، وَلِقَلَّةِ وُجُودِ ذَلِكَ فِي النَّاسِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾ (الأعراف/ ١٠٣)، وَقَدْ ضُرِبَ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْعِزَّةِ فَقَالَتْ الْعَرَبُ: «هُوَ أَعَزُّ مِنَ الْوَفَاءِ»^(١).

أنواع الوفاء :

لِلْوَفَاءِ أَنْوَاعٌ عَدِيدَةٌ بِاعْتِبَارِ الْمُوفَى بِهِ، فَهِيَ قَدْ تَكُونُ وَفَاءً بِالْعَهْدِ، وَقَدْ تَكُونُ وَفَاءً بِالْعَقْدِ أَوْ الْمِيثَاقِ، وَقَدْ تَكُونُ وَفَاءً بِالْوَعْدِ. وَتَوْضِيحُ ذَلِكَ فِيْمَا يَلِي:

الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ : هُوَ - كَمَا ذَكَرَ الرَّائِغُ - إِتْمَامُهُ وَعَدَمُ نَقْضِ حِفْظِهِ، وَيَتَطَابَقُ مِنْ ثَمَّ صِدْقُ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ جَمِيعًا^(٢)، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - «الْعُهُودُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ وَمَا حَرَّمَ وَمَا فَرَضَ وَمَا حَدَّ فِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ»^(٣).

(٤) تفسير البغوي (٦/٢).

(٥) انظر: نص الجاحظ كاملاً في «الوفاء اصطلاحاً».

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٢٩٢-٢٩٣).

(٢) المفردات (٥٢٨)، والذريعة إلى مكارم الشريعة (٢٩٢).

(٣) عمدة التفسير للشيخ أحمد شاكر (٦٢/٤).

الآيات الواردة في « الوفاء »

أولاً: الوفاء بالعهد :

أ - الوفاء بالعهد على سبيل الأمر:

١ - يَبْنِي إِسْرَاءَ يَلْ أذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ

وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٤٠﴾

وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا

تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا

وَإِنِّي فَأَتَّقُونَ ﴿٤١﴾

وَلَا تَلْسُؤُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ

وَتَكْفُرُوا بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ

الرَّكَعِينَ ﴿٤٣﴾ (١)

٢ - ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي﴾

عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ

إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ

نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا

الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ

ذَلِكَ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ وَالْعِزَّانَ

بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ

اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾

وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ

وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ

ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ (٢)

٣ - بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ

مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾

فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ

غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾

وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ

الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ

فَإِنْ بُئِيتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا

أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا

بِعَذَابِ الْيَمِّ ﴿٣﴾

إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ

يَنْقُصُوا شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا

فَاتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُنْقِينَ ﴿٤﴾

فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ

حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا

لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ

وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ

غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾

وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ
حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا آمَنَهُ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ
اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ
عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ
فَأَسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾
كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا
فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى
قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾

أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا
عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾
لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾

فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ
فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾

وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا
فِي دِينِكُمْ فَقَتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ
لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾ (١)

٤ - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ
ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١)

وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا
الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ
عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩﴾
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ
أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ
أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ
اللَّهُ بِهِ وَلِيَبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ
تَخْلِفُونَ ﴿١٢﴾ (٢)

٥ - وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ
أَشُدَّهُ، وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ
مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾

وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ السِّمْتِيمِ
ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ (٣)

ب - الوفاء بالعهد من سمات الإيمان:

٦ - ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ
وَعَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَى

وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ
وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ
وَعَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا

عَهْدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ
الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾^(١)

جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ
وُذُرَيْتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٢﴾^(٢)
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾^(٣)

٧- * وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ
يُودِيهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِيهِ
إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا
لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّةِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ
عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾^(٤)
بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾^(٥)
إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا
قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾^(٦)

٨- * أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ
هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَنْذَرُكُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾^(٧)

الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقِضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾^(٨)
وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ
وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾^(٩)
وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ
بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ هُمُ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾^(١٠)

٩-

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾^(١)
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾^(٢)
وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾^(٣)
وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾^(٤)
إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ
فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُلُومِينَ ﴿٦﴾^(٥)

فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾^(٦)
وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾^(٧)
وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾^(٨)
أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾^(٩)
الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾^(١٠)

١٠- مَنِ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ
فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ
وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾^(١١)

لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ
الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٤﴾^(١٢)

١١ - ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾

إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾

وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾

إِلَّا الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٢﴾

الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾

وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾

لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾

وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَاتِ اللَّهِ ﴿٢٦﴾

وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾

إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾

وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾

إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ

غَيْرُ مُلْتَمِسِينَ ﴿٣٠﴾

فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾

وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾

وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾

أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ (١)

ج - الوفاء من صفة الله - عز وجل :-

١٢ - وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا نَارُ إِلَّا آتِيَا مَا

مَعْدُودَةٌ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ

يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ

مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾

بِكُلِّ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ

خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ

فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ (٢)

١٣ - ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ

وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرِّلُونَ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْبَلُونَ وَيُقْبَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ

حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ

وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا

بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ ﴿٨٢﴾ (٣)

د - الوفاء المطلق من صفة الأنبياء -

صلوات الله عليهم أجمعين :-

١٤ - أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾

وَأَبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾

أَلَا نَزَرُ وَأَنْزَرُ وَزُرْ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾

وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾

يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ

ثُمَّ يَجْزَنُهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤٠﴾ (٤)

ه - الوفاء بالعهد سبيل الوصول إلى الأجر

العظيم من الله - عز وجل :-

١٥ - إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ

أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ

أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ أَوْفَىٰ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤١﴾

وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ^(٢)

ثالثاً : الوفاء بالوعود :

١٧ - وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ
صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ^(٥٤)

وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ^(٥٥)

١٨ - فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ
وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ^(٥٦)
إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ^(٥٧)
جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ
بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ^(٥٨)
لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ
فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ^(٥٩)

سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا
أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ
مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ^(٦٠)

ثانيًا : الوفاء بالعقود :

١٦ - يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ
لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحْلِ
الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنْ اللَّهُ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ^(٦١)
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعِيرَ اللَّهِ
وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ
وَلِءَا أَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَفِعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ
وَرِضْوَانًا إِذَا حُلَّتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شَتَانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى

الآيات الواردة في «الوفاء» معنى

١٩ - وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ
الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ^(٦٢)

٢١ - وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ
وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ
مِيثَاقًا غَلِيظًا ^(٦٣)

لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابًا أَلِيمًا ^(٦٤)

٢٠ - وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ
هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ^(٦٥)
مَاعِدَ كُمْ يَنْفِذُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنْ جَزِينَ الَّذِينَ

(٦) النحل : ٩٥ - ٩٦ مكية

(٧) الأحزاب : ٧ - ٨ مدنية

(٤) مريم : ٥٩ - ٦٢ مكية

(٥) المائدة : ٧ مكية

(١) الفتح : ١٠ - ١١ مدنية

(٢) المائدة : ١ - ٢ مدنية

(٣) مريم : ٥٤ - ٥٥ مكية

الأحاديث الواردة في «الوفاء»

جَابِرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيُخْبِرَهُ بِالَّذِي كَانَ، فَوَجَدَهُ يُصَلِّي الْعَصْرَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَخْبَرَهُ بِالْفَضْلِ^(٦)، فَقَالَ: أَخْبِرْ ذَلِكَ ابْنَ الْخَطَّابِ، فَذَهَبَ جَابِرٌ إِلَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَقَدْ عَلِمْتُ حِينَ مَشَى فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُبَارِكَ فِيهَا)*^(٧).

٤ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُؤْتِي بِالرَّجُلِ الْمُتَوَفَّى عَلَيْهِ الدِّينَ، فَيَسْأَلُ: هَلْ تَرَكَ لِدَيْنِهِ فَضْلًا؟ فَإِنْ حَدَّثَ أَنَّهُ تَرَكَ لِدَيْنِهِ وَفَاءً صَلَّى، وَإِلَّا قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ. فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْفُتُوحَ قَالَ: أَنَا أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ تُوفِّيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَرَكَ دَيْنًا فَعَلِيَ قَضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلَوَرَّثَتْهُ)*^(٨).

٥ - * (قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: فَأَخْبَرَنِي أَبُو سَفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ أَنَّهُ كَانَ بِالشَّامِ فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدِمُوا تِجَارًا^(٩) فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ ... الْحَدِيثَ. وَفِيهِ: قَالَ - يَعْنِي قَيْصَرَ - فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ؟ قَالَ^(١٠): يَأْمُرُنَا

١ - * (عَنْ عُقْبَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَحَقُّ مَا أُوفِيْتُمْ مِنَ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا بِهِ مَا اسْتَحَلَلْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ»)*^(١).

٢ - * (عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا ائْتُمْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكَفُّوا أَيْدِيَكُمْ»)*^(٢).

٣ - * (عَنْ وَهَبِ بْنِ كَيْسَانَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّ أَبَاهُ تُوفِّيَ وَتَرَكَ عَلَيْهِ ثَلَاثِينَ وَسَقًا^(٣) لِرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَاسْتَنْظَرَهُ^(٤) جَابِرٌ، فَأَبَى أَنْ يُنْظَرَهُ، فَكَلَّمَ جَابِرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيَشْفَعَ لَهُ إِلَيْهِ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَ الْيَهُودِيَّ لِيَأْخُذَ تَمْرَ نَخْلِهِ بِالتِّي لَهُ، فَأَبَى، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّخْلَ فَمَشَى فِيهَا، ثُمَّ قَالَ لِحَابِرٍ: جُدَّ لَهُ^(٥) فَأَوْفِ لَهُ الَّذِي لَهُ، فَجَدَّهُ بَعْدَ مَا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَوْفَاهُ ثَلَاثِينَ وَسَقًا، وَفَضَّلَتْ لَهُ سَبْعَةَ عَشَرَ وَسَقًا، فَجَاءَ

وثلاث، والجمع أَوْسُقٌ وَوُسُوقٌ.

(٤) استنظره: أي طلب إعطاءه مهلة للسداد.

(٥) جُدَّ لَهُ: أي اقطع له.

(٦) أخبره بالفضل: أي بالزيادة.

(٧) البخاري - الفتح ٥ (٢٣٩٦).

(٨) البخاري - الفتح ٤ (٢٢٩٨).

(٩) تِجَارًا: رجل تاجر والجمع تِجَار - بالكسر والتخفيف - وَتِجَار - بالضم والتشديد - وَتَجَّرَ.

(١٠) قال: يَأْمُرُنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ. القائل هو أبو سفيان.

(١) البخاري - الفتح ٩ (٥١٥١) واللفظ له. ومسلم (١٤١٨)

أي أحق الشروط بالوفاء شروط النكاح.

(٢) رواه أحمد (٣٢٣/٥) والطبراني حكاية الهيثمي في المجمع

(٢١٨/٤) واللفظ عندهما متفق. ورجال أحمد ثقات إلا أن

المطلب لم يسمع من عبادة. والحاكم في المستدرک

(٣٥٩/٤) وقال: حديث صحيح ولم يخرجاه

ووافقه الذهبي وقال فيه إرسال.

(٣) الوُسُق: بفتح الواو وكسرها - مكيّلة معلومة، وقيل: حِمْل

بعير وهو ستون صاعًا بصاع النبي ﷺ وهو خمسة أرتال

أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَيَنْهَانَا عَمَّا كَانَ
يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ ، وَالصَّدَقَةِ ، وَالْعَفَافِ ،
وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ . فَقَالَ لِتَرْجُمَانِهِ حِينَ قُلْتُ
ذَلِكَ لَهُ : قُلْ لَهُ إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَيَكُفُّكُمْ ، فَزَعَمْتَ
أَنَّهُ ذُو نَسَبٍ ، وَكَذَا الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبٍ قَوْمِهَا .
وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ ، هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ ؟
فَزَعَمْتَ أَنْ لَا ، فَقُلْتُ : لَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَالَ هَذَا
الْقَوْلَ قَبْلَهُ - قُلْتُ - رَجُلٌ يَأْتُمُّ بِقَوْلٍ قَدْ قِيلَ قَبْلَهُ .
وَسَأَلْتُكَ : هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا
قَالَ ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدْعَ الْكَذِبَ
عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ . وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ
آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا ، فَقُلْتُ : لَوْ كَانَ مِنْ
آبَائِهِ مَلِكٌ قُلْتُ يَطْلُبُ مُلْكَ آبَائِهِ ، وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ
النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضِعَفَاؤُهُمْ ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ ضِعَفَاءَهُمْ
اتَّبَعُوهُ ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ ، وَسَأَلْتُكَ : هَلْ يَزِيدُونَ
أَوْ يَنْقُصُونَ ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ ، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ
حَتَّى يَتِمَّ ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخَطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ
يَدْخُلَ فِيهِ ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا ، فَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تَخْلُطُ
بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ لَا يَسْخَطُهُ أَحَدٌ . وَسَأَلْتُكَ : هَلْ
يَغْدِرُ ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا يَغْدِرُونَ .
وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ وَقَاتَلَكُمُ ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ قَدْ فَعَلَ ،
وَأَنَّ حَرْبَكُمْ وَحَرْبَهُ تَكُونُ دُولًا ، وَيُدَالُ عَلَيْكُمُ الْمَرَّةُ
وَتُدَالُونَ عَلَيْهِ الْأُخْرَى ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى وَتَكُونُ لَهَا

الْعَاقِبَةُ . وَسَأَلْتُكَ بِمَاذَا يَأْمُرُكُمْ ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ
تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَيَنْهَاكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ
آبَاؤُكُمْ ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ ، وَالصَّدَقَةِ ، وَالْعَفَافِ ،
وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ . قَالَ : وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيِّ قَدْ
كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ ، وَلَكِنْ لَمْ أَعْلَمْ أَنَّهُ مِنْكُمْ ، وَإِنْ
يَكُ مَا قُلْتَ حَقًّا فَيُوشِكُ أَنْ يَمْلِكَ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ
هَاتَيْنِ ، وَلَوْ أَرَجُو أَنْ أَخْلُصَ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ ،
وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ قَدَمَيْهِ ... (الْحَدِيثُ) * (١)

٦ - * (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ
امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ : إِنَّ أُمِّي
نَذَرَتْ أَنْ تَحْجَّ فَلَمْ تَحْجَّ حَتَّى مَاتَتْ ، أَفَأَحْجُّ عَنْهَا ؟
قَالَ : « نَعَمْ ، حُجِّي عَنْهَا ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكَ دَيْنٌ
أَكُنْتَ قَاضِيَتَهُ ؟ اقْضُوا اللَّهَ ، فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ ») * (٢)

٧ - * (عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ : أَنَّهُمْ حِينَ قَدِمُوا
الْمَدِينَةَ ، مِنْ عِنْدِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ بْنِ
عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - لَقِيَهِ الْمِسُورُ بْنُ مَخْرَمَةَ ، فَقَالَ لَهُ :
هَلْ لَكَ إِلَيَّ مِنْ حَاجَةٍ تَأْمُرُنِي بِهَا ؟ . قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ :
لَا . قَالَ لَهُ : هَلْ أَنْتَ مُعْطِي سَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟
فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَغْلِبَكَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ . وَابْتِغَاءَ اللَّهِ ؛ لِيُنْ
أَعْطِيَتِيهِ لَا يُخْلَصُ إِلَيْهِ أَبَدًا ، حَتَّى تَبْلُغَ نَفْسِي . إِنَّ عَلِيَّ
ابْنَ أَبِي طَالِبٍ خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ عَلَى فَاطِمَةَ .
فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ فِي ذَلِكَ ،
عَلَى مِنْبَرِهِ هَذَا ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ مُحْتَلِمٌ ، فَقَالَ : « إِنَّ فَاطِمَةَ

(١) البخارى - الفتح ٦ (٢٩٤١) واللفظ له . ومسلم (١٧٧٣) .

(٢) البخارى - الفتح ٤ (١٨٥٢) واللفظ له . ومسلم (١٣٣٤) .

فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَرَّهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ : إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ . فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ) * (٦) .

١٠ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ يَمْنَعُ مِنْهُ ابْنُ السَّبِيلِ . وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَاهُ ، إِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ وَفَى لَهُ ، وَإِلَّا لَمْ يَفِ لَهُ . وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ ، فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا كَذَا وَكَذَا ، فَصَدَّقَهُ فَأَخَذَهَا ، وَلَمْ يُعْطَ بِهَا ») * (٧) .

١١ - * (عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ : قَاعَدْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ خَمْسَ سِنِينَ . فَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ . قَالَ : « كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ » (٨) . كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ (٩) . وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي . وَسَتَكُونُ خُلَفَاءُ

مِنِّي . وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ تُفْتَنَ فِي دِينِهَا » (١) . قَالَ : ثُمَّ ذَكَرَ صَهْرًا (٢) لَهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ . فَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي مُصَاهَرَتِهِ إِيَّاهُ فَأَحْسَنَ . قَالَ : « حَدَّثَنِي فَصَدَّقَنِي . وَوَعَدَنِي فَأَوْفَى لِي . وَإِنِّي لَسْتُ أَحَرِّمُ حَلَالًا (٣) وَلَا أُحِلُّ حَرَامًا . وَلَكِنْ ، وَاللَّهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ مَكَانًا وَاحِدًا أَبَدًا ») * (٤) .

٨ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ : « أَوْفُوا بِحِلْفِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يَزِدْهُ إِلَّا شِدَّةً ، وَلَا تُحْدِثُوا حِلْفًا فِي الْإِسْلَامِ ») * (٥) .

٩ - * (عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَكَانَ شَهِيدَ بَدْرٍ ، وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَحَوْلَهُ عَصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ : « بَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا تَسْرِقُوا ، وَلَا تَزْنُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ . فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ

(٥) أحمد (٢٠٧/٢) واللفظ له . والترمذي (١٥٨٥) وقال : هذا حديث حسن صحيح . وقال محقق جامع الأصول (٥٦٦/٦) : كما قال الترمذي .

(٦) البخاري الفتح ١ (١٨) واللفظ له . ومسلم (٧٠٩) .

(٧) البخاري الفتح ١٣ (٧٢١٢) واللفظ له . ومسلم (١٠٨) .

(٨) تسوسهم الأنبياء : أي يتولون أمورهم كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية . والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه .

(٩) كلما هلك نبي خلفه نبي : في هذا الحديث جواز قول : هلك فلان ، إذا مات . وقد كثرت الأحاديث به . وجاء في القرآن العزيز قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ﴾ .

(١) أن تفتن في دينها : أي بسبب الغيرة الناشئة من البشرية .

(٢) ثم ذكر صهرا : هو أبو العاص بن الربيع . زوج زينب رضي الله عنها ، بنت رسول الله ﷺ . والصهر يطلق على الزوج وأقاربه وأقارب المرأة . وهو مشتق من صهرت الشيء وأصهرته ، إذا قربته . والمصاهرة مقاربة بين الأجنبي والمتباعدين .

(٣) لست أحرم حلالاً : أي لا أقول شيئاً يخالف حكم الله . فإذا أحل شيئاً لم أحرمه . وإذا حرمه لم أحله ، ولم أسكت عن تحريمه ، لأن سكوتي تحليل له . ويكون من جملة محرمات النكاح الجمع بين بنت نبي الله وبنت عدو الله .

(٤) البخاري الفتح ٧ (٣٧٢٩) . ومسلم (٢٤٤٩) واللفظ له .

فَيَكْثُرُونَ». قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ
فَالأَوَّلِ»^(١). وَأَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ. فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا
اسْتَرْعَاهُمْ»^(٢).*

١٢ - * (عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي نَذَرْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ
أَعْتَكِفَ لَيْلَةً فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:
«أَوْفِ نَذْرَكَ». فَاعْتَكَفَ لَيْلَةً) *^(٣).

١٣ - * (عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ
ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أَنَّهُ قَالَ: «يَا
عِبَادِي، إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي»^(٤) وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ
مُحَرَّمًا. فَلَا تَظَالُمُوا»^(٥). يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ^(٦) إِلَّا مَنْ
هَدَيْتُهُ. فَاسْتَهِدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا
مَنْ أَطْعَمْتُهُ. فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمَكُمْ. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ
عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ. فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ. يَا عِبَادِي،

إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ^(٧) بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ
جَمِيعًا. فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ. يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ
تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي. وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي.
يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنِّكُمْ
كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ. مَا زَادَ ذَلِكَ فِي
مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ.
وَإِنْسَكُمْ وَجَنِّكُمْ. كَانَُوا عَلَى أَفَجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ.
مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ
وَأَخْرَكُمْ. وَإِنْسَكُمْ وَجَنِّكُمْ. قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ
فَسَأَلُونِي. فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ. مَا نَقَصَ ذَلِكَ
مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ^(٨) إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ.
يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ. ثُمَّ أَوْفِيكُمْ
إِيَّاهَا. فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ. وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ
ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»^(٩).*

(٧) إنكم تخطئون: الرواية المشهورة: تخطئون، بضم التاء.
وروى بفتحها وفتح الطاء. يقال: خطيء يخطأ إذا فعل ما
يأثم به، فهو خاطيء. ومنه قوله تعالى: ﴿استغفر لنا
ذنوبنا إنا كنا خاطئين﴾ (يوسف/ ٩٧). ويقول في الإثم
أيضا: أخطأ. فهما صحيحان.

(٨) إلا كما ينقص المخيط: قال العلماء: هذا تقريب إلى
الإفهام. ومعناه لا ينقص شيئا أصلاً. كما قال في الحديث
الآخر «لا يغيضها نفقة» أي لا ينقصها نفقة. لأن ما عند
الله لا يدخله نقص، وإنما يدخل النقص المحدود الفاني.
وعطاء الله تعالى من رحمته وكرمه، وهما صفتان قديمتان لا
يتطرق إليهما نقص فضرر المثل بالمخيط في البحر لأنه
غاية ما يضرب به المثل في القلة. والمقصود التقريب إلى
الأفهام بما شاهدوه. فإن البحر من أعظم المرئيات عياناً
وأكبرها والإبرة من أصغر الموجودات مع أنها صقيلة لا
يتعلق بها ماء.

(٩) مسلم (٢٥٧٧).

(١) فوا ببينة الأول فالأول: معنى هذا الحديث إذا بويع لخليفة
بعد خليفة، فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها. وبيعة
الثاني باطلة يحرم الوفاء بها ويحرم عليه طلبها. وسواء عقدوا
للثاني عالين بعقد الأول أم جاهلين. وسواء كانا في بلدين
أو بلد. أو أحدهما في بلد الإمام المنفصل والآخر في غيره.

(٢) البخاري - الفتح ٦ (٣٤٥٥). ومسلم (١٨٤٢) واللفظ له.

(٣) البخاري - الفتح ٤ (٢٠٤٢) واللفظ له. ومسلم (١٦٥٦)

(٤) إني حرمت الظلم على نفسي: قال العلماء: معناه تقدست
عنه وتعاليت. وأصل التحريم في اللغة المنع. فسمى تقدسه
عن الظلم تحريماً، لمساботه للممنوع في أصل عدم الشيء.

(٥) فلا تظالموا: أي لا تتظالموا. والمراد لا يظلم بعضكم بعضاً.

(٦) كلكم ضال إلا من هديته: ظاهر هذا أنهم خلقوا على

الضلال، إلا من هداه الله تعالى. وفي الحديث المشهور

«كل مولود يولد على الفطرة». فقد يكون المراد بالأول

وصفهم بما كانوا عليه قبل مبعث النبي ﷺ. وأنهم لو تركوا

وما في طباعهم من إثارة الشهوات والراحة وإهمال النظر

لضلوا. وهذا الثاني أظهر.

الأحاديث الواردة في «الوفاء» معنى

١٤ - * (عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: حَدَّثَ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ قَالَ: آخِرُ مَا عَاهَدَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَمَمْتَ قَوْمًا فَأَخِفْ بِهِمُ الصَّلَاةَ»)*^(١).

١٥ - * (عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: أَخَذَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ الْبَيْعَةِ أَنْ لَا نُنُوحَ، فَمَا وَفَتْ مِنَّا امْرَأَةً غَيْرَ خَمْسِ نِسْوَةٍ: أُمِّ سُلَيْمٍ، وَأُمِّ الْعَلَاءِ، وَابْنَةُ أَبِي سَبْرَةَ امْرَأَةً مُعَاذٍ، وَامْرَأَتَيْنِ، أَوْ ابْنَةَ أَبِي سَبْرَةَ، وَامْرَأَةً مُعَاذٍ، وَامْرَأَةً أُخْرَى)*^(٢).

١٦ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا»^(٣) لَهُ. فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً^(٤) فِيهَا ذَهَبٌ. فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي. إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْأَرْضَ. وَلَمْ أَتَبَعَ مِنْكَ الذَّهَبَ. فَقَالَ الَّذِي شَرَى الْأَرْضَ^(٥): «إِنَّمَا بَعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا. قَالَ: فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ. فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ. وَقَالَ الْآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ. قَالَ: أَنْكِحُوا

الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ. وَأَنْفَقُوا عَلَى أَنْفُسِكُمَا مِنْهُ. وَتَصَدَّقَا»)*^(٦).

١٧ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَتَّخِذُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ. فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ. فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَذِيَّتُهُ، شَتْمَتُهُ، لَعْنَتُهُ، جَلَدَتُهُ. فَاجْعَلْهَا لَهُ صَلَاةً وَزَكَاةً وَقُرْبَةً، تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»)*^(٧).

١٨ - * (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُنْشِدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ. اللَّهُمَّ إِن شِئْتَ لَمْ تُعْبِدْ بَعْدَ الْيَوْمِ». فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ. وَهُوَ فِي الدَّرْعِ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ * بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ ﴿(القمر/ ٤٥ - ٤٦)﴾، وَقَالَ وَهَيْبٌ: حَدَّثَنَا خَالِدٌ «يَوْمَ بَدْرٍ»)*^(٨).

١٩ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصٌ^(٩) وَأَقْرَعٌ وَأَعْمَى. فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ»^(١٠) فَبَعَثَ

باع، كما في قوله تعالى: ﴿وَشَرُّهُ بِشْمَنِ بَخْسٍ﴾. ولهذا قال:

فقال الذي شرى الأرض إنما بعثتك.

(٦) البخاري الفتح ٦ (٣٤٧٢). ومسلم (١٧٢١) واللفظ له.

(٧) البخاري - الفتح ١١ (٦٣٦١). ومسلم (٢٦٠١) واللفظ له.

(٨) البخاري - الفتح ٦ (٢٩١٥).

(٩) أبرص: قال في القاموس: البرص بياض يظهر في ظاهر

البدن، لفساد مزاج. برص، كفرح، فهو أبرص. وأبرصه الله.

(١٠) يبتليهم: أي يختبرهم.

(١) مسلم (٤٦٨).

(٢) البخاري - الفتح ٣ (١٣٠٦) واللفظ له. ومسلم (٩٣٦).

(٣) عقارًا: العقار هو الأرض وما يتصل بها. وحقيقة العقار

الأصل. سمي بذلك من العقر، بضم العين وفتحها،

وهو الأصل. ومنه: عقر الدار، بالضم والفتح.

(٤) جرة: إناء من خزف له بطن كبير وعروتان وفم واسع.

(٥) شرى الأرض: هكذا هو في أكثر النسخ. شرى. وفي

بعضها: اشترى. قال العلماء: الأول أصح. وشرى بمعنى

وَهَيْئَتِهِ^(٥). فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ. قَدْ انْقَطَعَتْ بِي الْحَبَالُ^(٦) فِي سَفَرِي. فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ. أَسْأَلُكَ ، بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي. فَقَالَ: الْحَقُّوْكَ كَثِيرَةٌ. فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ. أَلَمْ تُكُنْ أَبْرَصَ يَقْدَرُكَ النَّاسُ ؟ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ^(٧). فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا ، فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ. قَالَ: وَآتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا. وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى هَذَا. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ. قَالَ: وَآتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ. فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنٌ سَبِيلٍ. انْقَطَعَتْ بِي الْحَبَالُ فِي سَفَرِي. فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ. أَسْأَلُكَ ، بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ ، شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي. فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي. فَخُذْ مَا شِئْتَ. وَدَعْ مَا شِئْتَ. فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ^(٨) شَيْئًا أَخَذْتَهُ اللَّهُ. فَقَالَ: أَمْسِكْ مَا لَكَ. فَإِنَّمَا ابْتَلَيْتُمْ. فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ^(٩) *.

إِلَيْهِمْ مَلَكًا. فَآتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ: لَوْ أَنَّ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَدَرَنِي^(١) النَّاسُ. قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَدْرُهُ وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا. قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ: الْإِبِلُ (أَوْ قَالَ الْبَقَرُ. شَكَّ إِسْحَاقُ) إِلَّا أَنَّ الْأَبْرَصَ وَالْأَقْرَعَ قَالَ أَحَدُهُمَا: الْإِبِلُ. وَقَالَ الْآخَرُ: الْبَقَرُ قَالَ: فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشْرَاءَ^(٢). فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا. قَالَ: فَآتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدَرَنِي النَّاسُ. قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا. قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ: الْبَقَرُ. فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا. فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا. قَالَ: فَآتَى الْأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ. قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصْرَهُ. قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ: الْغَنَمُ. فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا^(٣). فَانْتَجَ هَذَانِ وَوَلَدَ هَذَا^(٤). قَالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ. وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ. وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ. قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ

(٥) أي جاءه في صورة رجل أبرص - كما كان كذلك قبل أن يمسحه الملك.

(٦) انقطعت بي الحبال: هي الأسباب. وقيل: الطرق.

(٧) إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر: أي ورثته من آبائي الذين ورثوه من آبائهم، كبيراً عن كبير، في العز والشرف والثروة.

(٨) أجهدك: معناه لا أشق عليك برد شيء تأخذه.

(٩) البخاري - الفتح ٦ (٣٤٦٤). ومسلم (٢٩٦٤) واللفظ له.

(١) قدرني الناس: أي اشمأزوا من رؤيتي.

(٢) ناقة عشراء: هي الحامل القريبة الولادة.

(٣) شاة والداً: أي وضعت ولدها، وهو معها.

(٤) فأنج هذان وولد هذا: هكذا الرواية: فأنج، رباعي وهي لغة قليلة الاستعمال. والمشهور نتج، ثلاثي. وممن حكى اللغتين الأخفش. ومعناه تولى الولادة، وهي النتج والإنتاج. ومعنى ولد هذا، بتشديد اللام، معنى أنتج. والنتاج للإبل، والمولد للغنم وغيرها، هو كالقابلة للنساء.

٢٠ - * (عَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَجُلًا قَدِمَ مِنْ جَيْشَانَ (وَجَيْشَانَ مِنَ الْيَمَنِ) فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ شَرَابٍ يَشْرَبُونَهُ بِأَرْضِهِمْ مِنَ الذُّرَّةِ يُقَالُ لَهُ الْمِرْزُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْ مُسْكِرٌ هُوَ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ. إِنَّ عَلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - عَهْدًا، لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ، أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ: «عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ، أَوْ عُصَاةُ أَهْلِ النَّارِ» * (١).

٢١ - * (عَنْ ابْنِ مُحَرَّرٍ؛ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي كِنَانَةَ يُدْعَى الْمُخْدَجِيُّ سَمِعَ رَجُلًا بِالشَّامِ يُدْعَى أَبَا مُحَمَّدٍ يَقُولُ: إِنَّ الْوِثَرَ وَاجِبٌ، قَالَ الْمُخْدَجِيُّ: فَرُحْتُ إِلَى عِبَادَةِ بَنِي الصَّامِتِ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ عِبَادَةُ: كَذَبَ أَبُو مُحَمَّدٍ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ، فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيَّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ: إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ» * (٢).

٢٢ - * (عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ، كَتَبُوا إِلَى ابْنِ أَبِي وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مَعَهُ الْأَوْثَانَ، مِنَ الْأَوْسِ، وَالْخَزَرَجِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ بِالْمَدِينَةِ، قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ: إِنَّكُمْ أَوَيْتُمْ صَاحِبَنَا، وَإِنَّا نُقْسِمُ بِاللَّهِ لَتُقَاتِلَنَّهُ أَوْ لَتَخْرُجَنَّ أَوْ لَنَسِيرَنَّ إِلَيْكُمْ بِأَجْمَعِنَا حَتَّى

نَقْتُلَ مُقَاتِلَتَكُمْ، وَنَسْتَيْحِ نِسَاءَكُمْ فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ عِبَدَةِ الْأَوْثَانِ، اجْتَمَعُوا لِقِتَالِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ لَقِيَهُمْ فَقَالَ: «لَقَدْ بَلَغَ وَعِيدُ قُرَيْشٍ مِنْكُمْ الْمَبَالِغَ، مَا كَانَتْ تَكِيدُكُمْ بِأَكْثَرِ مِمَّا تُرِيدُونَ أَنْ تَكِيدُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ، تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا أَبْنَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ؟». فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، تَفَرَّقُوا، فَبَلَغَ ذَلِكَ كُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَكَتَبَتْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ إِلَى الْيَهُودِ: إِنَّكُمْ أَهْلُ الْحَلَقَةِ (٣) وَالْحُصُونِ، وَإِنَّكُمْ لَتُقَاتِلُنَّ صَاحِبَنَا، أَوْ لَنَفْعَلَنَّ كَذَا وَكَذَا، وَلَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَدَمِ نِسَائِكُمْ شَيْءٌ - وَهِيَ الْخَلَاخِيلُ - فَلَمَّا بَلَغَ كِتَابُهُمُ النَّبِيَّ ﷺ، أَجْمَعَتْ بَنُو النَّضِيرِ بِالْغَدْرِ، فَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: اخْرُجْ إِلَيْنَا فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ، وَلِيُخْرِجَ مِنَّا ثَلَاثُونَ حَبْرًا، حَتَّى نَلْتَقِيَ بِمَكَانِ الْمُنْصِفِ فَيَسْمَعُوا مِنْكَ، فَإِنْ صَدَّقُوكَ وَآمَنُوا بِكَ، آمَنَّا بِكَ، [فَقُصَّ خَبَرُهُمْ] فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، غَدَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْكَتَائِبِ فَحَصَرَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّكُمْ وَاللَّهِ لَا تَأْمُنُونَ عِنْدِي إِلَّا بِعَهْدٍ تُعَاهِدُونِي عَلَيْهِ» فَأَبَوْا أَنْ يُعْطَوْهُ عَهْدًا، فَقَاتَلَهُمْ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ. ثُمَّ غَدَا عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ بِالْكَتَائِبِ، وَتَرَكَ بَنِي النَّضِيرِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى أَنْ يُعَاهِدُوهُ، فَعَاهَدُوهُ. فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ، وَغَدَا عَلَى بَنِي النَّضِيرِ بِالْكَتَائِبِ فَقَاتَلَهُمْ، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الْجَلَاءِ، فَجَلَتْ بَنُو النَّضِيرِ، وَاحْتَمَلُوا مَا أَقْلَتِ الْإِبِلُ

(١) مسلم (٢٠٠٢).

(٢) أبوداود (١٤٢٠) واللفظ له وقال الألباني (١٢٥٨):

صحيح. والنسائي (٢٣٠/١). الموطأ: صلاة الليل

(١٥٧٧).

(٣) الحلقة: الدروع، وقد يراد بها السلاح مطلقاً.

مِنْ أُمْتَعَتِهِمْ، وَأَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ وَخَشَبِهَا، فَكَانَ نَخْلُ
بَنِي النَّضِيرِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَاصَّةً، أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا،
وَوَحَّصَهُ بِهَا، فَقَالَ: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا
أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ (الحشر/ ٦) يَقُولُ:
بِغَيْرِ قِتَالٍ، فَأَعْطَى النَّبِيُّ ﷺ، أَكْثَرَهَا لِلْمُهَاجِرِينَ،
وَقَسَمَهَا بَيْنَهُمْ، وَقَسَمَ مِنْهَا لِرَجُلَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ،
وَكَانَا ذَوِي حَاجَةٍ، لَمْ يَقْسِمَ لِأَحَدٍ مِنَ الْأَنْصَارِ
غَيْرَهُمَا، وَبَقِيَ مِنْهَا صَدَقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، الَّتِي فِي
أَيْدِي بَنِي فَاطِمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - * (١).

٢٣ - * (عَنْ كَعْبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ
تَقَاضَى ابْنُ أَبِي حَذَرْدٍ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي الْمَسْجِدِ،
فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي
بَيْتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهَا حَتَّى كَشَفَ سَجْفَ (٢) حُجْرَتِهِ
فَنَادَى: يَا كَعْبُ، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ضَعِ
مِنْ دَيْنِكَ هَذَا، وَأَوْمَأَ إِلَيْهِ أَيْ الشَّطْرَ، قَالَ: لَقَدْ فَعَلْتُ
يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: قُمْ فَاقْضِهِ) * (٣).

٢٤ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ
بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسَلِّفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ فَقَالَ: اتَّبَنِي
بِالشُّهْدَاءِ أَشْهَدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا. قَالَ:
فَأُتِنِنِي بِالْكَفِيلِ، قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا. قَالَ: صَدَقْتَ،
فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ عَلَى أَجَلٍ مُسَمًّى. فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى
حَاجَتَهُ، ثُمَّ التَّمَسَّ مَرْكَبًا يَرْكُبُهَا يَقْدُمُ عَلَيْهِ لِأَجَلٍ

الَّذِي أَجَلُهُ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَتَقَرَّهَا،
فَادْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ
زَجَجَ مَوْضِعَهَا (٤)، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ
إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فَلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلَنِي
كَفِيلًا فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، فَرَضِي بِكَ. وَسَأَلَنِي
شَهِيدًا فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، فَرَضِي بِذَلِكَ. وَإِنِّي
جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ،
وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا. فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَجَعَتْ فِيهِ،
ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ،
فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ
جَاءَ بِأَلِهِ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ، فَأَخَذَهَا
لِأَهْلِهِ حَطْبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ
قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ فَأَتَى بِالْأَلْفِ دِينَارٍ فَقَالَ: وَاللَّهِ
مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لَاتِيكَ بِمَالِكَ فَمَا
وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ. قَالَ: هَلْ كُنْتُ
بَعَثْتُ إِلَيْكَ شَيْءًا؟ قَالَ: أَخْبَرْتُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ
الَّذِي جِئْتُ فِيهِ. قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي
بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ، فَانْصَرَفَ بِالْأَلْفِ الدِّينَارِ
رَاشِدًا) * (٥).

٢٥ - * (عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَنَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ إِذْ
أَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوُوا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللَّهِ يَا هَؤُلَاءِ؛ لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا

(٣) البخاري - الفتح ٥ (٢٤١٨).

(٤) زجج موضعها: أي سوى موضع النقر وأصلحه.

(٥) البخاري - الفتح ٤ (٢٢٩١).

(١) أبو داود (٣٠٠٤) وقال: الألباني (٢٥٩٥): صحيح الإسناد

(٢) سَجَفٌ (بفتح السين وكسرهما): السَّتر مشقوق الوسط

كما مصرعَيْنِ.

الصِّدْقُ ، فَلْيَدْعُ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ . فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ : اللَّهُمَّ ، إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرْقٍ مِنْ أَرْزٍ ، فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ ، وَأَنْبَى عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرْقِ فَزَرَعْتُهُ ، فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنْبَى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقْرًا ، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ فَسُقْهَا ، فَقَالَ لِي : إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرْقٌ مِنْ أَرْزٍ . فَقُلْتُ لَهُ : اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ ، فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرْقِ . فَسَاقَهَا . فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا . فَنَسَاخَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ . فَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، وَكُنْتُ آتِيَهُمَا كُلَّ لَيْلَةٍ يَلْبَنِ غَنَمِي لِي ، فَأَبْطَأْتُ عَنْهُمَا لَيْلَةً ، فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا ؛ وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغُونَ مِنَ الْجُوعِ ، وَكُنْتُ لَا أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَدْعُهُمَا فَيَسْتَكِنَا لِشَرِّبَتِهِمَا ، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ . فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا . فَنَسَاخَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ . فَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةٌ عَمٌّ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ ، وَأَنْبَى رَاوَدْتِهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا ، فَأَمَكَنْتَنِي مِنْ نَفْسِهَا ، فَلَمَّا قَعَدْتُ

بَيْنَ رَجُلَيْهَا فَقَالَتْ : اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْضُ الْخَاتِمَ إِلَّا بِحَقِّهِ ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ الدِّينَارِ . فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا ، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا» * (١) .

٢٦ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كُنْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حَيْثُ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ بِرَاءَةً قَالَ : مَا كُنْتُمْ تُنَادُونَ؟ قَالَ : كُنَّا نُنَادِي : أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ ، وَمَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَهْدٌ فَإِنَّ أَجَلَهُ - أَوْ أَمَدَهُ - إِلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِذَا مَضَتْ الْأَرْبَعَةُ الْأَشْهُرُ فَإِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ، وَلَا يُجِجُ هَذَا الْبَيْتَ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ ، فَكُنْتُ أُنَادِي حَتَّى صَحِلَ صَوْتِي » * (٢) (٣) .

٢٧ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ : دَعَانِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا ، فَقَالَتْ : هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «وَمَا أَرَدْتَ أَنْ تُعْطِيَهُ؟» قَالَتْ : أُعْطِيهِ تَمْرًا ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تُعْطِيهِ» (٤) شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكَ كِذْبَةٌ» * (٥) .

٢٨ - * (عَنْ أُمِّ هَانِيٍّ ابْنَةِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ

(١) البخاري - الفتح ٦ (٣٤٦٥) واللفظ له . ومسلم (٢٧٤٣)

(٢) صحل صوتي : أي بَحَّ أي غلظ وخشونة في الصوت .

(٣) أحمد (٢٩٩/٢) واللفظ له . والترمذي (٣٠٩١ - ٣٠٩٢)

وآخر عنده من حديث علي رضي الله عنه (٨٧١) . وقد

سأله زيد بن أتبغ ، وقال الترمذي : حسن ، وفي الباب عن

أبي هريرة رضي الله عنه . وابن مردويه والبخاري . وأصله عند

البخاري (٤٦٥٥) .

(٤) لم تعطيه : هكذا وردت بإثبات الياء ، والقواعد تقتضي

حذفها بعد لم .

(٥) أبو داود (٤٩٩١) واللفظ له وقال الألباني (٤١٧٦) :

حسن ، الصحيحة (٧٤٨) . وأحمد (٤٤٧) .

الْفَتْحِ فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ ؟ فَقُلْتُ: أَنَا أُمُّ هَانِيٍّ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ. فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِيٍّ»، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ قَامَ فَصَلَّى ثَمَانِ رَكَعَاتٍ مُلْتَحِفًا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، زَعَمَ ابْنُ أُمِّي عَلِيٌّ، أَنَّهُ قَاتِلُ رَجُلًا قَدْ أَجْرْتُهُ؛ فَلَانَ ابْنُ هُبَيْرَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتَ يَا أُمُّ هَانِيٍّ»، قَالَتْ أُمُّ هَانِيٍّ: وَذَلِكَ ضَحَى*(١).

٢٩-*(عَنْ أَبِي جُرَيْجٍ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ، قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا يَصُدِّرُ النَّاسَ عَنْ رَأْيِهِ، لَا يَقُولُ شَيْئًا إِلَّا صَدَرُوا عَنْهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: «أَنَا رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي إِذَا أَصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتُهُ كَشَفَهُ عَنْكَ، وَإِنْ أَصَابَكَ عَامٌ سَنَةٍ*(٢) فَدَعَوْتُهُ أَنْبَتَهَا لَكَ وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفْرَاءَ أَوْ فَلَاةٍ فَضَلَّتْ رَاِحِلَتُكَ فَدَعَوْتُهُ رَدَّهَا عَلَيْكَ» قُلْتُ: اعْهَدْ إِلَيَّ، قَالَ: «لَا تَسْبِنَ أَحَدًا» قَالَ: فَمَا سَبَيْتُ بَعْدَهُ حُرًّا وَلَا عَبْدًا وَلَا بَعِيرًا وَلَا شَاةً، قَالَ: «وَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَأَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهَكَ، إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَارْفَعْ

(١) البخاري الفتح ٦ (٣١٧١) واللفظ له. ومسلم (٣٣٦).

(٢) عام سنة: أي عام جذب.

(٣) المخيلة- بفتح الميم وكسر الخاء - والخال والخيال والخيلاء والخيلاء كله الكبر.

(٤) أبوداود (٤٠٨٤) وقال الألباني: صحيح، و الترمذي (٢٨٧٧). وصححه ابن حبان رقم (١٢٢١) في الموارد، ومحقق جامع الأصول (٧٤٦/١١).

(٥) الترمذي (٢٦٢١) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. والنسائي (٢٣١/١) وغيرهم وقال محقق الجامع (٢٠٤/٥): وهو حديث صحيح.

(٦) ومنا من ينتضل: هو من المناضلة، وهي المراماة بالنشاب.

(٧) في جشره: قوم يخرجون بدوابهم إلى المرعى ويبيتون مكانهم

إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ، فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ*(٣)، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ، وَإِنْ أَمَرُوا شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلَا تُعَيِّرُهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإِنَّمَا وَبَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ»*(٤).

٣٠-*(عَنْ بُرَيْدَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»*(٥).

٣١-*(عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ. وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ. فَأَتَيْتُهُمْ. فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ. فَقَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ. فَتَزَلْنَا مَنَزِلًا. فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ. وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ*(٦) وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ*(٧) إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ*(٨). فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرُهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ. وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا. وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكَرُونَهَا. وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيَرْقُقُ بَعْضُهَا بَعْضًا*(٩)، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ

ولا يأوون إلى البيوت.

(٨) الصلاة جامعة: هي بنصب الصلاة، على الإغراء. ونصب جامعة على الحال.

(٩) فيرقق بعضها بعضًا: هذه اللفظة، رويت على أوجه: أحدها، وهو الذي نقله القاضي عن جمهور الرواة، يرقق أي يصير بعضها رقيقًا أي خفيفًا لعظم ما بعده، والثاني يجعل الأول رقيقًا. وقيل معناه يشبه بعضه بعضًا. وقيل: يدور بعضها في بعض ويذهب ويحيى. وقيل: معناه يسوق بعضها إلى بعض بتحسينها وتسويلها. والثاني: فيرقق. والثالث: فيدقق، أي يدفع ويصب. والدقيق هو الصب.

الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي. ثُمَّ تَنَكَّشَفُ. وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ،
فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ. فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْحُزَ عَنِ
النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ. وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ ^(١).
وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا، فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ وَثَمَرَةً قَلْبِهِ، فَلْيُطِعهُ
إِنْ اسْتَطَاعَ. فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخِرِ
فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ لَهُ: أَنْشُدَكَ اللَّهَ أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَأَهْوَى إِلَى أُذُنِهِ وَقَلْبِهِ بِيَدَيْهِ. وَقَالَ:
سَمِعْتُهُ أَذْنَايَ وَوَعَاةُ قَلْبِي. فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا ابْنُ عَمِّكَ
مُعَاوِيَةُ يَأْمُرُنَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ. وَنَقْتُلَ
أَنْفُسَنَا. وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا
أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ
مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾
(٤/ النساء/ ٢٩). قَالَ: فَسَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «أَطِعهُ
فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَاعْصِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ» ^(٢).

٣٢- * (عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ - رَجُلٍ مِنْ حِمِيرٍ -
قَالَ: كَانَ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ، وَبَيْنَ الرُّومِ عَهْدٌ، وَكَانَ يَسِيرُ
نَحْوَ بِلَادِهِمْ، حَتَّى إِذَا انْقَضَى الْعَهْدُ غَزَاهُمْ، فَجَاءَ
رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ أَوْ بِرَدَوْنٍ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ
أَكْبَرُ، وَفَاءٌ لَا غَدْرَ، فَنَظَرُوا فَإِذَا عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ،

فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ يَقُولُ: «مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فَلَا يَشُدُّ عَقْدَةً،
وَلَا يَحْلُلُهَا حَتَّى يَنْقُضِيَ أَمْدُهَا أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ»
فَرَجَعَ مُعَاوِيَةُ ^(٣) *.

٣٣- * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ
دِمَاؤُهُمْ: يَسْعَى بِدِمَتِهِمْ أَذْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ
أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَرُدُّ مُشَدُّهُمْ عَلَى
مُضْعِفِهِمْ، وَمُتَسَرِّعُهُمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ، لَا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ
بِكَافِرٍ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ» ^(٤) *.

٣٤- * (عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ، فَهُوَ فِي
ذِمَّةِ اللَّهِ. فَلَا تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي عَهْدِهِ. فَمَنْ قَتَلَهُ، طَلَبَهُ اللَّهُ
حَتَّى يَكْبَهُ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ» ^(٥) *.

٣٥- * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ: «وَدِدْتُ أَنْ عِنْدِي بَعْضُ
أَصْحَابِي» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَدْعُو لَكَ أَبَا بَكْرٍ؟
فَسَكَتَ. قُلْنَا: أَلَا نَدْعُو لَكَ عُمَرَ؟ فَسَكَتَ. قُلْنَا: أَلَا
نَدْعُو لَكَ عُثْمَانَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَجَاءَ، فَخَلَا بِهِ، فَجَعَلَ
النَّبِيُّ ﷺ يُكَلِّمُهُ. وَوَجْهُهُ عُثْمَانُ يَتَغَيَّرُ. قَالَ قَيْسٌ:

(١) وليأت إلى الناس الذي يجب أن يؤتى إليه: هذا من جوامع
كلمه ﷺ، وبديع حكمه. وهذه قاعدة مهمة، فينبغي
الاعتناء بها. وإن الإنسان يلزم أن لا يفعل مع الناس إلا
ما يجب أن يفعلوا معه.

(٢) مسلم (١٨٤٤).

(٣) الترمذي (١٥٨٠) وقال: حديث حسن. وأبو داود
(٢٧٥٩) واللفظ له وقال الألباني (٢٣٩٧): صحيح.
وعند أحمد (١١٣/٤). وقال محقق «جامع الأصول»

(٢/ ٦٤٨): إسناده صحيح.

(٤) أبوداود (٢٧٥١) وقال الألباني (٢٣٩٠): حسن صحيح.

وقال محقق جامع الأصول (١٠/ ٢٥٥): إسناده حسن.

(٥) الترمذي (٢١٦٤) و (٢٢٢). وابن ماجه (٣٩٤٥). وقال

في الزوائد: رجال إسناده ثقات. إلا أنه منقطع. وسعد بن

إبراهيم لم يدرك حابس بن سعد، قاله في التهذيب. وهو

عند مسلم (٦٥٧) بلفظ آخر نحوه.

٣٦- * (عَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ: «لَا يُحِبُّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يَبْغِضُنِي إِلَّا مُنَافِقٌ»)*^(٢).

فَحَدَّثَنِي أَبُو سَهْلَةَ، مَوْلَى عُثْمَانَ: أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ قَالَ يَوْمَ الدَّارِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَهْدٌ إِلَيَّ عَهْدًا. فَأَنَا صَائِرٌ إِلَيْهِ. وَقَالَ عَلِيٌّ فِي حَدِيثِهِ: وَأَنَا صَابِرٌ عَلَيْهِ. قَالَ قَيْسٌ: فَكَانُوا يُرَوْنَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ»)*^(١).

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في «الوفاء»

مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَلَمَّا رَأَاهُ لَا يَفْقَهُ عَنْهُ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: اذْهَبْ إِلَى خُوَيْلَةَ بِنْتِ حَكِيمِ بْنِ أُمَيَّةَ فَقُلْ لَهَا: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ عِنْدَكَ وَسْقٌ مِنْ تَمْرٍ فَأَسْلِفِينَاهُ حَتَّى نُؤَدِّيَهُ إِلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» فَذَهَبَ إِلَيْهَا الرَّجُلُ، ثُمَّ رَجَعَ الرَّجُلُ فَقَالَ: قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ عِنْدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَبْعَثْ مَنْ يَقْبِضُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلرَّجُلِ: «اذْهَبْ بِهِ فَأَوْفِهِ الَّذِي لَهُ» قَالَ: فَذَهَبَ بِهِ فَأَوْفَاهُ الَّذِي لَهُ. قَالَتْ: فَمَرَّ الْأَعْرَابِيُّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ فَقَالَ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا. فَقَدْ أَوْفَيْتَ وَأَطَيْبْتَ. قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُولَئِكَ خِيَارُ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ الْمُؤْفُونَ الْمُطِيبُونَ»)*^(٥).

٣٨- * (عَنْ أَبِي رَافِعٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: بَعَثَنِي قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُلْقِيَ فِي قَلْبِي الْإِسْلَامُ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَرْجِعُ إِلَيْهِمْ أَبَدًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

٣٧- * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: ابْتَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَعْرَابِ جُزُورًا^(٣) أَوْ جَزَائِرَ بَوْسُقٍ مِنْ تَمْرِ الذُّخْرَةِ - وَتَمَرِ الذُّخْرَةِ الْعَجْوَةُ - فَرَجَعَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ وَالتَّمَسَّ لَهُ التَّمَرُ فَلَمْ يَجِدْهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ! إِنَّا قَدْ ابْتَعْنَا مِنْكَ جُزُورًا أَوْ جَزَائِرَ بَوْسُقٍ مِنْ تَمْرِ الذُّخْرَةِ فَالْتَمَسْنَاهُ فَلَمْ نَجِدْهُ، قَالَ: فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: وَاعْذِرَاهُ، قَالَتْ: فَفَنَهَمَهُ^(٤) النَّاسُ وَقَالُوا: قَاتِلْكَ اللَّهُ، أَيَعْدِرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟. قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا»، ثُمَّ عَادَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ! إِنَّا ابْتَعْنَا مِنْكَ جَزَائِرَكَ وَنَحْنُ نَظُنُّ أَنَّ عِنْدَنَا مَا سَمِينَا لَكَ، فَالْتَمَسْنَاهُ فَلَمْ نَجِدْهُ» فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: وَاعْذِرَاهُ، فَفَنَهَمَهُ النَّاسُ، وَقَالُوا: قَاتِلْكَ اللَّهُ، أَيَعْدِرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا»، فَكَرَّدَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(٣) الجزور - بفتح الجيم - البعير ذكرًا كان أو أنثى إلا أن اللفظة مؤنثة، والجمع جُزُر - بضمين - وجزائر.

(٤) فنهمه الناس: أي زجروه.

(٥) رواه أحمد (٢٦٨/٦) واللفظ له. وقال الهيثمي في المجمع

(٤/١٤٠٠): إسناده أحمد صحيح.

(١) أحمد ٥٢/٦، ٢١٤ وبعضه في الترمذي (٣٧١١) وقال:

هذا حديث حسن صحيح غريب. وابن ماجه مقدمه

(١١٣) واللفظ له وقال محققه في الزوائد: إسناده صحيح.

ورجاله ثقات.

(٢) مسلم (٧٨).

«إِنِّي لَا أَحِيسُ بِالْعَهْدِ»^(١)، وَلَا أَحِيسُ الْبُرْدَ، وَلَكِنْ أَرْجِعْ، فَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِكَ، الَّذِي فِي نَفْسِكَ الْآنَ، فَارْجِعْ» قَالَ: فَذَهَبْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَسْلَمْتُ*^(٢).

٣٩- * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْزِضُ سِلْعَتَهُ، أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ، فَقَالَ: لَا وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَامَ فَلَطَمَ وَجْهَهُ، وَقَالَ: تَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ فَذَهَبَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا، فَمَا بَالُ فُلَانٍ لَطَمَ وَجْهِي؟ فَقَالَ: «لَمْ لَطَمْتُ وَجْهَهُ؟» فَذَكَرَهُ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى رُؤِيَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «لَا تُفْضِلُوا بَيْنَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيُصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَحُوسِبُ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ، أَمْ بُعِثَ قَبْلِي»)*^(٣).

٤٠- * (عَنِ الْمُسَوَّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَا: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَمَنَ الْحُدَيْيَةِ،

حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ خَالِدَ ابْنَ الْوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ^(٤) فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةً، فَخُذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ. فَوَاللَّهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتْرَةٍ^(٥) الْجَيْشِ، فَاَنْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبِطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتٌ بِهِ رَاِحِلَتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ حَلْ^(٦). فَأَلَحَّتْ. فَقَالُوا: خَلَّاتِ الْقَصْوَاءُ^(٧). فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا خَلَّاتِ الْقَصْوَاءُ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ. وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ»^(٨). ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونَنِي خُطَّةً^(٩) يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا. ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ. قَالَ: فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحُدَيْيَةِ عَلَى ثَمَدٍ^(١٠) قَلِيلِ الْمَاءِ يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ^(١١) تَبَرُّضًا، فَلَمْ يَلْبِثْهُ^(١٢) النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ، وَشَكِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعَطَشُ؛ فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ، فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمْ بِالرِّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ^(١٣). فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُزَاعَةَ - وَكَانُوا عَيْبَةً نَصَحَ^(١٤) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ - فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ

مكة كما حبس الفيل عن دخولها.

(٩) خُطَّة: أي خصلة.

(١٠) ثمد: بفتح تين - أي حفيرة فيها ماء مثمود أي قليل.

(١١) يتبرضه الناس: أي يأخذون منه قليلًا قليلًا.

(١٢) لم يلبثه الناس: أي لم يتركوه يلبث أي يقيم.

(١٣) يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه: أي يفور بالماء حتى رجعوا.

(١٤) عيبة نصح رسول الله: أي موضع النصح له والأمانة على

سره.

(١) لا أحيس بالعهد: أي لا أنقضه.

(٢) أبوداود (٢٧٥٨). وقال الألباني (٢٣٩٦): صحيح.

(٣) البخاري الفتح ٦ (٣٤١٤).

(٤) الغميم: موضع بين مكة والمدينة.

(٥) قتر: بفتح تين: الغبار الأسود.

(٦) حل حل: هو زجر الناقة للنهوض.

(٧) خلَّاتِ القصواء: حرَّثت من غير علة والقصواء: اسم لناقاة رسول الله ﷺ.

(٨) حبسها حابس الفيل: أي حبسها الله عز وجل عن دخول

وَعَامِرَ بْنِ لُؤَيٍّ ، نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَمَعَهُمُ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ ^(١) ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُوكَ عَنِ الْبَيْتِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّا لَمْ نَجِءْ لِقِتَالِ أَحَدٍ ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ ، وَإِنْ قُرَيْشًا قَدْ نَهَكْتَهُمُ الْحَرْبُ وَأَضْرَتْ بِهِمْ ، فَإِنْ شَاءُوا مَا دَدْتُهُمْ مُدَّةً وَيُحْلُوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ ، فَإِنْ أَظْهَرُوا فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيهَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا ، وَإِلَّا فَقَدْ جَمُوا ^(٢) . وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا قَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي ^(٣) ، وَلَيَنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ » فَقَالَ بُدَيْلٌ : سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ . قَالَ : فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا ، قَالَ : إِنَّا جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ ، وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا ، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا . فَقَالَ : سَفَهَاؤُهُمْ : لَا حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُخْبِرُونَا عَنْهُ بِشَيْءٍ . وَقَالَ ذُووُ الرِّأْيِ مِنْهُمْ : هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ . قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا . فَحَدَّثْتُهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ . فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ : أَيُّ قَوْمٍ أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ ؟ قَالُوا : بَلَى . قَالَ : أَوَلَسْتُ بِالْوَلَدِ ؟ قَالُوا : بَلَى . قَالَ : فَهَلْ تَتَّهِمُونِي ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظٍ ، فَلَمَّا بَلَغُوا ^(٤) عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي ؟ قَالُوا : بَلَى . قَالَ :

فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ ، اقْبُلُوهَا وَدَعُونِي آتِهِ . قَالُوا : آتِهِ . فَآتَاهُ ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ . فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ : أَيُّ مُحَمَّدٍ ، أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ ، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَاكَ أَهْلُهُ ^(٥) قَبْلَكَ ؟ وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى ، فَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَرَى وُجُوهًا ، وَإِنِّي لَأَرَى أَشْوَابًا ^(٦) مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا ^(٧) أَنْ يَفْرُوا وَيَدْعُوكَ . فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : امْصُصْ بَظَرَ اللَّاتِ ^(٨) ، أَنْحَنُ نَفْرُ عَنْهُ وَنَدْعُهُ ؟ فَقَالَ : مَنْ ذَا ؟ قَالُوا : أَبُو بَكْرٍ . قَالَ : أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْرِكَ بِهَا لِأَجْبُثِكَ . قَالَ : وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَكَلَّمَا تَكَلَّمَ كَلِمَةً أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمَغْفَرُ ^(٩) ، فَكَلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لَحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ وَقَالَ لَهُ : أَخْرَجِي يَدَكَ عَنْ لَحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ . فَقَالَ : أَيُّ غَدَرٍ ^(١٠) ، أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدَرَتِكَ ؟ وَكَانَ الْمُغِيرَةُ صَحْبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَمَّا الْإِسْلَامُ

(٨) امصص بظر اللات: البظر قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة، واللات اسم أحد الأصنام التي كانوا يعبدونها، وكانت عادة العرب الشتم بذلك لكن بلفظ «الأم» بدلا من «اللات» فأراد أبو بكر المبالغة في سب عروة بإقامة من كان يعبد مقام أمه.
(٩) المغفر: حلق يتقنع به المتسلح وربما كان مثل القلنسوة غير أنها أوسع.
(١٠) أي غدر: مبالغة في وصفه بالغدر.

(١) العوذ المطافيل: الناقة التي وضعت إلى أن يقوى ولدها.

(٢) جَمُوا: أي قووا.

(٣) حتى تنفرد سالفتي: أي حتى أموت وأبقى منفردًا في قبري، والسالفة: صفحة العنق.

(٤) بَلَغُوا: أي امتنعوا من الإجابة.

(٥) اجتاحت أهله: أي أهلك أصلهم.

(٦) أشوَابًا: أي أخلاطًا من أنواع شتى.

(٧) خَلِيقًا: أي حقيقًا وجديرًا.

فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا الْمَالُ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ». ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ^(١) أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا تَنْخَمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نُخَامَةً^(٢) إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَّكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرُهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ^(٣)، وَإِذَا تَكَلَّمُوا خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحَدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيماً لَهُ. فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعْظِمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعْظِمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا وَاللَّهِ إِنْ يَتَنَخَمُ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَّكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرُهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمُوا خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحَدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيماً لَهُ. وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ: دَعُونِي آتِهِ، فَقَالُوا: آتِهِ. فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا فُلَانٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعْظِمُونَ الْبُذْنَ^(٤)، فَابْعَثُوهَا لَهُ». فَبِعِثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلْبُونَ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا يَنْبَغِي لَهُوْلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ. فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالَ: رَأَيْتُ الْبُذْنَ قَدْ قُلِدْتُ وَأَشْعِرْتُ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ. فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ فَقَالَ: دَعُونِي آتِهِ.

فَقَالُوا: آتِهِ. فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا مِكْرَزُ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ» فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ. فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو. قَالَ مَعْمَرٌ: فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ عَنْ عِكْرَمَةَ أَنَّهَا لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ سَهِّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ» قَالَ مَعْمَرٌ: قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ: فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا. فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْكَاتِبَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* فَقَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا «الرَّحْمَنُ» فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هِيَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللَّهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ*. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ». ثُمَّ قَالَ: «هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ «مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَاللَّهِ إِنْ لَرَسُولُ اللَّهِ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ». قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ: «لَا يَسْأَلُونَنِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا». فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: عَلَى أَنْ تُخْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَتَطُوفَ بِهِ. فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أَخَذْنَا ضُغْطَةً^(٥). وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَكَتَبَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى

(٤) الْبُذْنُ: جَمْعُ بَذْنَةٍ وَهِيَ تَقَعُ عَلَى الْجَمَلِ وَالنَّاقَةِ وَالْبَقَرَةِ. وَهِيَ

بِالْإِبِلِ أَشْبَهَ. سَمِيَتْ بَذْنَةً لِعَظْمِهَا وَسَمْنِهَا.

(٥) أَخَذْنَا ضُغْطَةً: أَيَّ قَهْرًا.

(١) يَرْمُقُ: أَيُّ يَلْحَظُ.

(٢) النُّخَامَةُ: الْبَزَقَةُ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ أَقْصَى الْحَلْقِ وَمِنْ مَخْرَجِ الْخَاءِ.

(٣) الْوَضُوءُ - بَفَتْحِ الْوَاوِ: الْمَاءُ الَّذِي يَتَوَضَّأُ بِهِ.

دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا. قَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سُهَيْلٍ بْنُ عَمْرِو يَرْسِفُ فِي قِيُودِهِ^(١)، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَنْ أَقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ». قَالَ: فَوَاللَّهِ إِذَا لَمْ أَصْلَحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَأَجِزْهُ لِي»، قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ، قَالَ: «بَلَى فافْعَلْ»، قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ. قَالَ مَكْرُزٌ: بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ. قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيُّ مَعْشَرِ الْمُسْلِمِينَ، أُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟ وَكَانَ قَدْ عَذَّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ. قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَاتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: «بَلَى» قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُّونَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: «بَلَى» قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي»، قُلْتُ: أَوَ لَيْسَ كُنْتُ تُحَدِّثُنَا، أَنَا سَنَأِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَا نَأْيِيهِ الْعَامَ؟» قَالَ: قُلْتُ: لَا. قَالَ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ». قَالَ: فَاتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُّونَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ،

فَاسْتَمْسَكَ بِغَرْزِهِ^(٢)، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ. قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَا سَنَأِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، فَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ. قَالَ الزُّهْرِيُّ: قَالَ عُمَرُ: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا. قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ اخْلِقُوا. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ، حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ اخْرُجْ، ثُمَّ لَا تُكَلِّمَ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرُ بُذْنَكَ، وَتَدْعُو حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ. فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمَ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ: نَحَرَ بُذْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَانْحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا. ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (الْمُتَحَنِّنَ / ١٠) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿بِعَصْمِ الْكَوَافِرِ﴾ فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ فِي الشِّرْكِ، فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا، مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَالْأُخْرَى، صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ - رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ - وَهُوَ مُسْلِمٌ، فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ فَقَالُوا: الْعَهْدَ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا، فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ، فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى بَلَغَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَزَلُّوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمْرِ لَهُمْ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا

(١) يرسف في قيوده: أي يمشي مشيًا بطيئًا بسبب القيد.

(٢) فاستمسك بغرزه: الغرز للناقة مثل الحزام للفرس والمراد اعتلق به واتبع قوله وفعله ولا تخالفه.

يَا فُلَانُ جَيِّدًا، فَاسْتَلَّهُ الْآخَرُ فَقَالَ: أَجَلٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ
لَجَيِّدٌ، لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ ثُمَّ جَرَّبْتُ. فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: أَرِنِي
أَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَأَمَكَنَهُ مِنْهُ، فَضْرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ^(١)، وَفَرَّ الْآخَرُ
حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعْذُو، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ حِينَ رَأَاهُ: «لَقَدْ رَأَى هَذَا ذُعْرًا»، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى
النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قُتِلَ وَاللَّهِ صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ. فَجَاءَ
أَبُو بَصِيرٍ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَدْ وَاللَّهِ أَوْفَى اللَّهُ ذِمَّتَكَ قَدْ
رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَنْجَانِي اللَّهُ مِنْهُمْ. قَالَ النَّبِيُّ
ﷺ: «وَيْلٌ أُمِّهِ مِسْعَرٌ حَرْبٍ^(٢) لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ» فَلَمَّا
سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُّهُ إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى
سَيْفَ الْبَحْرِ^(٣). قَالَ وَيَنْفِلْتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ
سُهَيْلٍ فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ
رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ
مِنْهُمْ عَصَابَةٌ، فَوَاللَّهِ مَا يَسْمَعُونَ بَعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ
إِلَى الشَّامِ إِلَّا اغْتَرَضُوا لَهَا، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ.
فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُنَاشِدُهُ اللَّهَ وَالرَّحِمَ لَمَّا
أَرْسَلَ فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (الفتح / ٢٤) ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ
عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ
عَلَيْهِمْ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿الْحِمِيَّةَ حِمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ وَكَانَتْ
حِمِيَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَقْرَأُوا أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ، وَلَمْ يَقْرَأُوا بِسْمِ اللَّهِ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَيْتِ) *^(٤).
٤١ - * (عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا - قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَكُنْتُ عَلَى
جَهْلٍ ثَفَالٍ^(٥) إِنَّمَا هُوَ فِي آخِرِ الْقَوْمِ، فَمَرَّ بِي النَّبِيُّ ﷺ
فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» قُلْتُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. قَالَ:
«مَالِك؟» قُلْتُ: إِنِّي عَلَى جَهْلٍ ثَفَالٍ. قَالَ: «أَمَعَكَ
قَضِيبٌ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «أَعْطِيهِ»، فَأَعْطَيْتُهُ
فَضْرَبَهُ فَزَجَرَهُ، فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ مِنْ أَوَّلِ الْقَوْمِ.
قَالَ: «بِعْنِيهِ»، فَقُلْتُ: بَلْ هُوَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ:
«بَلْ بِعْنِيهِ. قَدْ أَخَذْتُهُ بِأَرْبَعَةِ دَنَانِيرَ وَلَكَ ظَهْرُهُ^(٦) إِلَى
الْمَدِينَةِ». فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ أَخَذْتُ أَرْحَلُ،
قَالَ: «أَيْنَ تُرِيدُ؟» قُلْتُ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً قَدْ خَلَا
مِنْهَا. قَالَ: «فَهَلَا جَارِيَةٌ تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ؟». قُلْتُ:
إِنَّ أَبِي تُوفِّيَ وَتَرَكَ بَنَاتٍ فَأَرَدْتُ أَنْ أَنْكِحَ امْرَأَةً قَدْ
جَرَّبْتُ، خَلَا مِنْهَا، قَالَ: «فَذَلِكَ». فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ
قَالَ: «يَا بِلَالُ اقْضِهِ، وَزِدْهُ». فَأَعْطَاهُ أَرْبَعَةَ دَنَانِيرَ
وَزَادَهُ قِيرَاطًا. قَالَ جَابِرٌ: لَا تُفَارِقْنِي زِيَادَةُ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ، فَلَمْ يَكُنِ الْقِيرَاطُ يُفَارِقُ جِرَابَ جَابِرِ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ) *^(٧).

٤٢ - * (عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -
قَالَ: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي

(١) حتى برَد: أي حتى مات.

(٢) ويل أمه مسعر حرب: ويل أمه كلمة ذم تقولها العرب في
المدح ولا يقصدون معنى ما فيها من الذم، مسعر حرب:

أي من يسعرها كأنه يصفه بالإقدام في الحرب.

(٣) سيف البحر: أي ساحله.

(٤) البخاري - الفتح ٥ (٢٧٣٢). ومسلم مقطعا في (١٧٨٣)،

(١٧٨٤، ١٧٨٥).

(٥) جهل ثفال: أي بطيء السير.

(٦) ولك ظهره إلى المدينة: أي تركبه إلى المدينة.

(٧) البخاري - الفتح ٤ (٢٣٠٩).

فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَنَاهُ الْخَبَرَ . فَقَالَ : «انصَرِفَا .
نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ ، وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ» *^(١) .

حُسَيْلٌ . قَالَ : فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ . قَالُوا : إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ
مُحَمَّدًا ؟ فَقُلْنَا : مَا نُرِيدُهُ . مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ . فَأَخَذُوا مِنَّا
عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَا نُقَاتِلَ مَعَهُ .

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في «الوفاء»

السَّلَامُ ، ثُمَّ سَلَهَا أَنْ أُدْفَنَ مَعَ صَاحِبِيَّ . قَالَتْ : كُنْتُ
أُرِيدُهُ لِنَفْسِي ، فَلَا وَثَرَتُهُ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي . فَلَمَّا أَقْبَلَ : قَالَ
لَهُ : مَا لَدَيْكَ ؟ قَالَ : أَذِنْتُ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : مَا
كَانَ شَيْءٌ أَهَمَّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ الْمُضْجَعِ ، فَإِذَا قُبِضْتُ
فَاخْمِلُونِي ، ثُمَّ سَلِمُوا ، ثُمَّ قُلْ : يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ ، فَإِنْ أَذِنْتَ لِي فَادْفِنُونِي ، وَإِلَّا فَرُدُّونِي إِلَى
مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ ، إِنِّي لَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ
هَؤُلَاءِ النَّفَرِ الَّذِينَ تُؤَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ
رَاضٍ ، فَمَنْ اسْتَخْلَفُوا بَعْدِي فَهُوَ الْخَلِيفَةُ فَاسْمَعُوا لَهُ
وَأَطِيعُوا فَسَمَّى عُثْمَانَ وَعَلِيًّا وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ
وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ وَسَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ . وَوَلَجَ عَلَيْهِ
شَابٌّ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ : أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى
اللَّهِ : كَانَ لَكَ مِنَ الْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ ، ثُمَّ
اسْتَخْلَفْتَ فَعَدَلْتَ ، ثُمَّ الشَّهَادَةُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ . قَالَ :
لَيْتَنِي يَا ابْنَ أَخِي ، وَذَلِكَ كَفَافًا لَا عَلَيَّ وَلَا لِي . أَوْصِي
الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ خَيْرًا ، أَنْ يَعْرِفَ
لَهُمْ حَقَّهُمْ ، وَأَنْ يَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ . وَأَوْصِيهِ بِالْأَنْصَارِ
خَيْرًا ، الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ أَنْ يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ ،
وَيُعْفَى عَنْ مُسِيئَتِهِمْ . وَأَوْصِيهِ بِذِمَّةِ اللَّهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ

١ - * (عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ :
رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَبْيَضَ قَدْ شَابَ ، وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ
عَلِيٍّ يُشَبِّهُهُ ، وَأَمَرَ لَنَا بِثَلَاثَةِ عَشَرَ قُلُوصًا ، فَذَهَبْنَا
نَقْبِضُهَا فَأَتَانَا مَوْتُهُ فَلَمْ يُعْطُونَا شَيْئًا ، فَلَمَّا قَامَ أَبُو بَكْرٍ
قَالَ : مَنْ كَانَتْ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِدَّةٌ فَلْيَجِءْ ،
فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَأَمَرَ لَنَا بِهَا) *^(٢) .

٢ - * (عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -
قَالَ : «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِي : لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ
الْبَحْرَيْنِ قَدْ أُعْطِيتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا . فَلَمَّا قُبِضَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : مَنْ
كَانَتْ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِدَّةٌ فَلْيَأْتِنِي ، فَأَتَيْتُهُ
فَقُلْتُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَانَ قَالَ لِي : لَوْ قَدْ جَاءَنَا
مَالُ الْبَحْرَيْنِ لَأُعْطِيتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا . فَقَالَ
لِي : احْشُهُ . فَحَشَوْتُ حَشِيَّةً . فَقَالَ لِي : عُدَّهَا . فَعَدَدْتُهَا ،
فَإِذَا هِيَ خَمْسِمِائَةٍ ، فَأَعْطَانِي أَلْفًا وَخَمْسِمِائَةً» *^(٣) .

٣ - * (عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ ؛ قَالَ :
رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : يَا
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ، اذْهَبْ إِلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فَقُلْ : يَقْرَأُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَيْكَ

(٣) البخاري - الفتح ٦ (٣١٦٤) وهذا لفظه . ومسلم

(١) مسلم (١٧٨٧) .

(٢) الترمذي (٢٨٢٦) واللفظ له وقال : هذا حديث حسن .

وأصله عند البخاري (٣٥٤٤) . ومسلم (٢٣٤٢) .

أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ ، وَأَنْ لَا يُكَلَّفُوا فَوْقَ طَاقَتِهِمْ» *^(١).

٤ - * (عَنْ مُعَدَّانَ^(٢) بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمُرِيِّ : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ ذَكَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَذَكَرَ أَبَا بَكْرٍ ، ثُمَّ قَالَ : « رَأَيْتُ رُؤْيَا لَا أَرَاهَا إِلَّا لِحُضُورِ أَجَلِي ، رَأَيْتُ كَأَنَّ دِيكَمَا نَقَرَنِي نَقْرَتَيْنِ ، قَالَ : وَذَكَرَ لِي أَنَّهُ دِيكَ أَحْمَرٌ ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ امْرَأَةِ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَتْ : يَقْتُلُكَ رَجُلٌ مِنَ الْعَجَمِ ، قَالَ : وَإِنَّ النَّاسَ يَأْمُرُونَنِي أَنْ أَسْتَخْلِفَ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لِيُضِيعَ دِينَهُ وَخِلَافَتَهُ الَّتِي بَعَثَ بِهَا نَبِيَّهُ ﷺ ، وَإِنْ يَعْجَلُ بِي أَمْرٌ فَإِنَّ الشُّورَى فِي هَؤُلَاءِ السَّنَةِ الَّذِينَ مَاتَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ ، فَمَنْ بَايَعْتُمْ مِنْهُمْ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا ، وَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ أَنْاسًا سَيَطْعُنُونَ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، أَنَا قَاتِلْتُهُمْ بِيَدِي هَذِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ ، أُولَئِكَ أَعْدَاءُ اللَّهِ الْكَفَّارُ الضَّلَالُ ، وَإِيمُ اللَّهِ ، مَا أَنْتَ فِيهِمَا عَهْدَ إِلَيَّ رَبِّي فَاسْتَخْلَفَنِي شَيْئًا أَهَمَّ إِلَيَّ مِنَ الْكَلَالَةِ^(٣) ، وَإِيمُ اللَّهِ مَا أَغْلَظَ لِي نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فِي شَيْءٍ مُنْذُ صَحَبْتُهُ أَشَدَّ مَا أَغْلَظَ لِي فِي شَأْنِ الْكَلَالَةِ ، حَتَّى طَعَنَ بِإِصْبَعِهِ فِي صَدْرِي ، وَقَالَ : تَكْفِيكَ آيَةُ

الصَّيْفِ^(٤) الَّتِي نَزَلَتْ فِي آخِرِ سُورَةِ النَّسَاءِ^(٥) ، وَإِنِّي إِنْ أَعِشُ فَسَأَقْضِي فِيهَا بِقَضَاءٍ يَعْلَمُهُ مَنْ يَقْرَأُ وَمَنْ لَا يَقْرَأُ ، وَإِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ عَلَى أَمْرَاءِ الْأَمْصَارِ ، أَنِّي إِنَّمَا بَعَثْتُهُمْ لِيَعْلَمُوا النَّاسَ دِينَهُمْ ، وَيُيَسِّنُوا لَهُمْ سُنَّةَ نَبِيِّهِمْ ﷺ وَيَرْفَعُوا إِلَيَّ مَا عُمِّي عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ تَأْكُلُونَ مِنْ شَجَرَتَيْنِ لَا أَرَاهُمَا إِلَّا خَيْشَتَيْنِ ، هَذَا الشَّوْمُ وَالْبَصْلُ . وَإِيمُ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَرَى نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ يَجِدُ رِيحَهُمَا مِنَ الرَّجُلِ فَيَأْمُرُ بِهِ فَيُؤْخَذُ بِيَدِهِ فَيُخْرِجُ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى يُؤْتَى بِهِ الْبَقِيعَ ، فَمَنْ أَكَلَهَا لَا بُدَّ فَلَيْمَتُهَا طَبْخًا ، قَالَ : فَخَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَأُصِيبَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ^(٦) *^(٧).

٥ - * (عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ^(٧) وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ الْآيَةَ ، قَالَ : جَمَعَهُمْ فَجَعَلَهُمْ أَرْوَاحًا ثُمَّ صَوَّرَهُمْ فَاسْتَنْطَقَهُمْ فَتَكَلَّمُوا ، ثُمَّ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ . قَالَ : فَإِنِّي أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ ، وَأَشْهَدُ عَلَيْكُمْ أَبَاكُمْ آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ نَعْلَمْ بِهَذَا ، اْعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرِي ، وَلَا رَبَّ غَيْرِي ، فَلَا تُشْرِكُوا بِي شَيْئًا ، إِنِّي

(٤) آية الصيف: أي التي نزلت في الصيف.

(٥) الآية / ١٧٦ من سورة النساء وهي قوله: «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ .. إِلَى قَوْلِهِ: وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

(٦) أحمد (١/ ١٥) وقال الشيخ أحمد شاكر (١/ ١٩٢): إسناده صحيح.

(٧) هكذا وردت في مسند أحمد، وفي رواية حفص «ذُرِّيَّتَهُمْ» الآية ١٧٢ من سورة الأعراف.

(١) البخاري - الفتح ٣ (١٣٩٢).

(٢) تحرفت في «المسند» بطبعته القديمة إلى «معبد» والصواب ما أثبتناه ، وانظر «الجرح والتعديل» (٨/ ٤٠٤).

(٣) الكلاله: أن يموت الرجل ولا يدع والدًا ولا ولدًا يرثانه، فإن كان له أخت فلها نصف ما ترك وإن كانتا اثنتين فلها الثلثان، وإن كانوا إخوة رجالًا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين.

سَأَرْسِلُ إِلَيْكُمْ رَسُولِي، يُذَكِّرُونَكُمْ عَهْدِي وَمِيثَاقِي،
وَأُنْزِلُ عَلَيْكُمْ كُتُبِي. قَالُوا: شَهِدْنَا بِأَنَّكَ رَبُّنَا وَإِلَهُنَا،
لَا رَبَّ لَنَا غَيْرُكَ، فَأَقْرَأُوا بِذَلِكَ وَرَفَعَ عَلَيْهِمْ آدَمَ يَنْظُرُ
إِلَيْهِمْ، فَرَأَى الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرَ، وَحَسَنَ الصُّورَةِ، وَدُونَ
ذَلِكَ، فَقَالَ: رَبِّ لَوْلَا سَوَّيْتَ بَيْنَ عِبَادِكَ، قَالَ: إِنِّي
أَحْبَبْتُ أَنْ أَشْكُرَ. وَرَأَى الْأَنْبِيَاءَ فِيهِمْ مِثْلَ الشُّجْرِ
عَلَيْهِ النُّورُ، خُصُّوا بِمِثَاقٍ آخَرَ فِي الرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ،
وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾
...إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (الأحزاب / ٧) كَانَ
فِي تِلْكَ الْأَرْوَاحِ فَأَرْسَلَهُ إِلَى مَرْيَمَ، فَحَدَّثَ عَنْ أَبِي:
أَنَّهُ دَخَلَ مِنْ فِيهَا) * (١).

٦ - * (قِيلَ: «إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ وَفَاءَ الرَّجُلِ
وَدَوَامَ عَهْدِهِ فَانْظُرْ إِلَى حَنِينِهِ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَتَشَوُّقُهُ إِلَى
إِخْوَانِهِ، وَكَثْرَةِ بُكَائِهِ عَلَى مَا مَضَى مِنْ زَمَانِهِ») * (٢).

٧ - * (قَالَ الشَّاعِرُ:
تَعْجِيلُ وَعْدِ الْمَرْءِ أَكْرَمَةٌ
تَنْشُرُ عَنْهُ أَطْيَبَ الذِّكْرِ
وَالْحُرُّ لَا يَمْطُلُ مَعْرُوفَهُ
وَلَا يَلِيْقُ الْمَطْلُ بِالْحُرِّ) *

٨ - * (وَقَالَ آخَرُ:
وَلَقَدْ وَعَدْتَ وَأَنْتَ أَكْرَمُ وَاعِدٍ
لَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ بِغَيْرِ تَمَامٍ

أَنْعِمَ عَلَيَّ بِهَا وَعَدْتَ تَكْرُمًا
فَالْمَطْلُ يُذْهِبُ بِهِجَةَ الْإِنْعَامِ) * (٣).

٩ - * (وَقَالَ آخَرُ:
وَمِيعَادُ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ دَيْنٌ
فَلَا تَزِدِ الْكَرِيمَ عَلَى السَّلَامِ
يُذَكِّرُهُ سَلَامُكَ مَا عَلَيْهِ

وَيُغْنِيكَ السَّلَامُ عَنِ الْكَلَامِ) * (٤).

١٠ - * (وَأَنْشَدُوا:
إِذَا قُلْتَ فِي شَيْءٍ «نَعَمْ» فَأَتَمَّهُ
فَإِنَّ «نَعَمْ» دَيْنٌ عَلَى الْحُرِّ وَاجِبٌ
وَلَا فَقُلْ «لَا» تَسْتَرْخِ وَتُخْرِجَ بِهَا

لِيَلَّا يَقُولَ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبٌ) *
١١ - * (وَقَالَ آخَرُ:

لَا كَلَّفَ اللَّهُ نَفْسًا فَوْقَ طَاقَتِهَا
وَلَا تَجُودُ يَدٌ إِلَّا بِمَا تَجِدُ
فَلَا تَعِدْ عِدَّةً إِلَّا وَفَيْتَ بِهَا

وَاحْذَرْ خِلَافَ مَقَالٍ لِلَّذِي تَعِدُ) * (٥).

١٢ - * (وَقَالَ آخَرُ:
أَشَدُّ يَدَيْكَ بِمَنْ بَلَوْتَ وَفَاءً
إِنَّ الْوَفَاءَ مِنَ الرِّجَالِ عَزِيزٌ) * (٦).

١٣ - * (مِنْ قَصَصِ الْوَفَاءِ: وَأَمَّا الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ
وَرِعَايَةُ الذِّمَمِ: فَقَدْ نُقِلَ فِيهِ مِنْ عَجَائِبِ الْوَقَائِعِ،

(٣) المرجع السابق (١/ ٢٨٦).

(٤) المرجع السابق (١/ ٢٨٦).

(٥) المرجع السابق (١/ ٢٨٥).

(٦) المرجع السابق (١/ ٢٩١).

(١) رواه عبدالله بن الإمام أحمد في مسند أبيه (٥/ ١٣٥). ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه في تفاسيرهم من رواية ابن جعفر الرازي به. ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٧٤).

(٢) المستطرف (٢٩١).

وَعَرَائِبِ الْبَدَائِعِ ، مَا يُطْرِبُ السَّمَاعَ ، وَيُشْنِفُ الْمَسَامِعَ ،
كَقَضِيَّةِ الطَّائِيِّ وَشَرِيكِ ، نَدِيمِي النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ .
وَتَلْخِيصُ مَعْنَاهَا أَنَّ النُّعْمَانَ كَانَ قَدْ جَعَلَ لَهُ يَوْمَيْنِ :
يَوْمَ بُؤْسٍ ، مَنْ صَادَفَهُ فِيهِ قَتْلُهُ وَأَزْدَاهُ ، وَيَوْمَ نَعِيمٍ ، مَنْ
لَقِيَهُ فِيهِ أَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَغْنَاهُ ، وَكَانَ هَذَا الطَّائِيُّ قَدْ رَمَاهُ
حَادِثُ دَهْرِهِ بِسَهَامٍ فَاقَتْهُ وَفَقَّرَهُ ، فَأَخْرَجَتْهُ الْفَاقَةُ مِنْ
مَحَلِّ اسْتِقْرَارِهِ لِيَرْتَادَ شَيْئًا لِصَبِيَّتِهِ وَصِغَارِهِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ
كَذَلِكَ إِذْ صَادَفَهُ النُّعْمَانُ فِي يَوْمٍ بُؤْسِهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ الطَّائِيُّ
عَلِمَ أَنَّهُ مَقْتُولٌ وَأَنَّ دَمَهُ مَطْلُورٌ . فَقَالَ : حَيَّا اللَّهُ الْمَلِكُ
إِنَّ لِي صَبِيَّةً صِغَارًا ، وَأَهْلًا جِيَاعًا ، وَقَدْ أَرَقْتُ مَاءً
وَجُهِيًا فِي حُصُولِ شَيْءٍ مِنَ الْبُلْغَةِ لَهُمْ ، وَقَدْ أَقْدَمَنِي
سُوءُ الْحَظِّ عَلَى الْمَلِكِ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْعَبُوسِ ، وَقَدْ
قَرُبْتُ مِنْ مَقَرِّ الصَّبِيَّةِ وَالْأَهْلِ وَهُمْ عَلَى شَفَا تَلَفٍ مِنَ
الطَّوَى ، وَلَنْ يَتَفَاوَتْ الْحَالُ فِي قَتْلِي بَيْنَ أَوَّلِ النَّهَارِ
وَأَخْرِهِ ، فَإِنْ رَأَى الْمَلِكُ أَنَّ يَأْذَنَ لِي فِي أَنْ أُوصَلَ إِلَيْهِمْ
هَذَا الْقُوتَ وَأُوصِيَ بِهِمْ أَهْلَ الْمُرُوءَةِ مِنَ الْحَيِّ ، لَيْلًا
يَهْلِكُوا ضِيَاعًا ثُمَّ أَعُودَ إِلَى الْمَلِكِ وَأُسَلِّمَ نَفْسِي لِنَفَازِ
أَمْرِهِ . فَلَمَّا سَمِعَ النُّعْمَانُ صُورَةَ مَقَالِهِ ، وَفَهُمَ حَقِيقَةَ
حَالِهِ ، وَرَأَى تَلَهُفَهُ عَلَى ضِيَاعِ أَطْفَالِهِ ، رَقَّ لَهُ وَرَثَى
لِحَالِهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ : لَا آذَنُ لَكَ حَتَّى يَضْمَنَكَ رَجُلٌ
مَعَنَا ، فَإِنْ لَمْ تَرْجِعْ قَتْلَنَا ، وَكَانَ شَرِيكُ بْنُ عَدِيٍّ بْنُ
شُرْحَيْلٍ نَدِيمُ النُّعْمَانِ مَعَهُ فَالْتَفَتَ الطَّائِيُّ إِلَى شَرِيكِ
وَقَالَ لَهُ :

يَا شَرِيكَ بْنَ عَدِيٍّ مَا مِنَ الْمَوْتِ انْهَزَامٌ
مَنْ لِأَطْفَالٍ ضِعَافٍ عَدِمُوا طَعْمَ الطَّعَامِ

بَيْنَ جُوعٍ وَانْتِظَارٍ وَافْتِقَارٍ وَسِقَامٍ
يَا أَخَا كُلِّ كَرِيمٍ أَنْتَ مِنْ قَوْمٍ كِرَامٍ
يَا أَخَا النُّعْمَانِ جُدِّي بِضَمَانٍ وَالتَّزَامِ
وَلَكَ اللَّهُ بِأَنِّي رَاجِعٌ قَبْلَ الظَّلَامِ
فَقَالَ شَرِيكَ بْنُ عَدِيٍّ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْمَلِكُ ، عَلَيَّ
ضَمَانُهُ ، فَمَرَّ الطَّائِيُّ مُسْرِعًا ، وَصَارَ النُّعْمَانُ يَقُولُ
لِشَرِيكِ : إِنَّ صَدْرَ النَّهَارِ قَدْ وَلَّى ، وَلَمْ يَرْجِعْ ، وَشَرِيكَ
يَقُولُ : لَيْسَ لِلْمَلِكِ عَلَيَّ سَبِيلٌ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَسَاءُ ، فَلَمَّا
قَرَّبَ الْمَسَاءَ ، قَالَ النُّعْمَانُ لِشَرِيكِ : قَدْ جَاءَ وَقْتُكَ قُمْ
فَتَأَهَّبْ لِلْقَتْلِ ، فَقَالَ شَرِيكَ : هَذَا شَخْصٌ قَدْ لَاحَ
مُقْبِلًا ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ الطَّائِيُّ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَأَمْرُ الْمَلِكِ
مُتَمَثِّلٌ ، قَالَ : فَبَيْنَمَا هُمَا كَذَلِكَ وَإِذْ بِالطَّائِيِّ قَدْ اشْتَدَّ فِي
عَدُوهِ وَسَيْرِهِ مُسْرِعًا ، حَتَّى وَصَلَ ، فَقَالَ : خَشِيتُ أَنْ
يَنْقُضِيَ النَّهَارُ قَبْلَ وُصُولِي ، ثُمَّ وَقَفَ قَائِمًا ، وَقَالَ :
أَيُّهَا الْمَلِكُ ، مُرْ بِأَمْرِكَ فَأَطْرَقَ النُّعْمَانُ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ
وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَعْجَبَ مِنْكُمَا ، أَمَّا أَنْتَ يَا طَائِيُّ
فَمَا تَرَكْتَ لِأَحَدٍ فِي الْوَفَاءِ مَقَامًا يَقُومُ فِيهِ ، وَلَا ذِكْرًا
يَفْتَخِرُ بِهِ ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا شَرِيكَ فَمَا تَرَكْتَ لِكَرِيمٍ سَمَاحَةً
يُذَكِّرُ بِهَا فِي الْكُرَمَاءِ ، فَلَا أَكُونُ أَنَا الْأَمُّ الثَّلَاثَةَ ، أَلَا
وَإِنِّي قَدْ رَفَعْتُ يَوْمَ بُؤْسِي عَنِ النَّاسِ ، وَنَقَضْتُ
عَادَتِي ، كَرَامَةً لِيُوفَاءِ الطَّائِيِّ وَكَرَمَ شَرِيكِ . فَقَالَ
الطَّائِيُّ :

وَلَقَدْ دَعَتْنِي لِلْخِلَافِ عَشِيرَتِي

فَعَدَدْتُ قَوْلَهُمْ مِنَ الْإِضْلَالِ

إِنِّي أَمْرٌ مِّنِي الْوَفَاءُ سَجِيَّةٌ

وَفَعَالَ كُلِّ مُهَذَّبٍ مِفْضَالٍ

فَقَالَ لَهُ النُّعْمَانُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى الْوَفَاءِ وَفِيهِ

إِتْلَافٌ نَفْسِكَ ، فَقَالَ : دِينِي ، فَمَنْ لَا وَفَاءَ فِيهِ لَا دِينَ

لَهُ ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ النُّعْمَانُ وَوَصَلَهُ بِمَا أَغْنَاهُ وَأَعَادَهُ مُكْرَمًا

إِلَى أَهْلِهِ وَأَنَالَهُ مَا تَمَنَّا^(١) * .

١٤ - * (وَمِنْ ذَلِكَ مَا حَكِي أَنْ الْخَلِيفَةَ

الْمَأْمُونِ ، لَمَّا وَلِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ بْنُ الْحُسَيْنِ مِصْرَ

وَالشَّامَ ، وَأَطْلَقَ حُكْمَهُ دَخَلَ عَلَى الْمَأْمُونِ بَعْضُ

إِخْوَانِهِ يَوْمًا فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ طَاهِرٍ

يَمِيلُ إِلَى وَلَدِ أَبِي طَالِبٍ ، وَهَوَاهُ مَعَ الْعَلَوِيِّينَ ، وَكَذَلِكَ

كَانَ أَبُوهُ قَبْلَهُ ، فَحَصَلَ عِنْدَ الْمَأْمُونِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ

أَخِيهِ مِنْ جِهَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، فَتَشَوَّشَ فِكْرُهُ وَضَاقَ

صَدْرُهُ . فَاسْتَحْضَرَ شَخْصًا وَجَعَلَهُ فِي زِيِّ الزُّهَادِ ،

وَالنُّسَاكِ الْغُرَاةِ وَدَسَّهُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ وَقَالَ لَهُ :

امْضِ إِلَى مِصْرَ ، وَخَالِطْ أَهْلَهَا ، وَدَاخِلْ كِبَرَاءَهَا

وَاسْتَمِلْهُمْ إِلَى الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَلَوِيِّ ، وَادْكُرْ

مَنَاقِبَهُ ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ اجْتَمَعَ بِبَعْضِ بَطَانَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

طَاهِرٍ ، ثُمَّ اجْتَمَعَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ بَعْدَ ذَلِكَ وَادَّعَاهُ

إِلَى الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَلَوِيِّ ، وَاكْشَفَ بَاطِنَهُ ،

وَابْحَثَ عَنْ دَفِينِ نَيْتِهِ وَائْتَنِي بِمَا تَسْمَعُ . فَفَعَلَ ذَلِكَ

الرَّجُلُ مَا أَمَرَهُ بِهِ الْمَأْمُونُ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى مِصْرَ ، وَدَعَا

جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِهَا ، ثُمَّ كَتَبَ وَرَقَةً لَطِيفَةً وَدَفَعَهَا إِلَى

عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ وَقَتَ رُكُوبِهِ ، فَلَمَّا نَزَلَ مِنَ الرُّكُوبِ

وَجَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ ، خَرَجَ الْحَاجِبُ إِلَيْهِ وَأَدْخَلَهُ عَلَى

عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَهُوَ جَالِسٌ وَخَدَهُ ، فَقَالَ لَهُ : لَقَدْ

فَهِمْتُ مَا قَصَدْتَهُ ، فَهَاتِ مَا عِنْدَكَ فَقَالَ : وَلِي الْأَمَانُ ؟

قَالَ : نَعَمْ فَأَظْهَرَ لَهُ مَا أَرَادَهُ وَدَعَاهُ إِلَى الْقَاسِمِ بْنِ

مُحَمَّدٍ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ ، أَوْ تُنْصِفُنِي فِيمَا أَقُولُهُ

لَكَ ؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ : فَهَلْ يَجِبُ شُكْرُ النَّاسِ بَعْضِهِمْ

لِبَعْضٍ عِنْدَ الْإِحْسَانِ وَالْمِنَّةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَيَجِبُ

عَلَيَّ وَأَنَا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ الَّتِي تَرَاهَا مِنَ الْحُكْمِ وَالنِّعْمَةِ ،

وَالْوِلَايَةِ ، وَلِي خَاتَمٌ فِي الْمَشْرِقِ ، وَخَاتَمٌ فِي الْمَغْرِبِ ،

وَأَمْرِي فِيمَا بَيْنَهُمَا مُطَاعٌ ، وَقَوْلِي مَقْبُولٌ . ثُمَّ إِنِّي أَلْتَفِتُ

يَمِينًا وَشِمَالًا فَأَرَى نِعْمَةَ هَذَا الرَّجُلِ غَامِرَةً ، وَإِحْسَانَهُ

فَائِضًا عَلَيَّ ، أَفَتَدْعُونِي إِلَى الْكُفْرِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ ، وَتَقُولُ

اغْدُرْ وَجَانِبِ الْوَفَاءِ ، وَاللَّهُ لَوْ دَعَوْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ عَيْنًا

لَمَا غَدَرْتُ وَلَمَا نَكَلْتُ بَيْعَتَهُ ، وَتَرَكْتُ الْوَفَاءَ لَهُ . فَسَكَتَ

الرَّجُلُ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : وَاللَّهُ ، مَا أَخَافُ إِلَّا عَلَى

نَفْسِكَ . فَارْحَلْ مِنْ هَذَا الْبَلَدِ ، فَلَمَّا يَسَّرَ الرَّجُلُ مِنْهُ

وَكَشَفَ بَاطِنَهُ وَسَمِعَ كَلَامَهُ رَجَعَ إِلَى الْمَأْمُونِ فَأَخْبَرَهُ

بِصُورَةِ الْحَالِ فَسَرَّهُ ذَلِكَ ، وَزَادَ فِي إِحْسَانِهِ إِلَيْهِ ،

وَضَاعَفَ إِنْْعَامَهُ عَلَيْهِ^(٢) * .

١٥ - * (وَمِمَّا أَسْفَرَتْ عَنْهُ وَجُوهُ الْأَوْرَاقِ ،

وَأَخْبَرَتْ بِهِ الثَّقَاتُ فِي الْأَفَاقِ ، وَظَهَرَتْ رِوَايَتُهُ بِالشَّامِ

وَالْعِرَاقِ ، وَضُرِبَ بِهِ الْأَمْثَالُ فِي الْوَفَاءِ بِالْإِتِّفَاقِ ،

حَدِيثُ السَّمَوَالِ بْنِ عَادِيَا ، وَتَلْخِيصُ مَعْنَاهُ أَنَّ أَمْرًا

الْقَيْسِ الْكِنْدِيِّ ، لَمَّا أَرَادَ الْمُضِيَّ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ ،

أَوْدَعَ عِنْدَ السَّمَوَالِ دُرُوعًا وَسِلَاحًا ، وَأَمْتِعَةً تُسَاوِي

مِنَ الْمَالِ جُمْلَةً كَثِيرَةً . فَلَمَّا مَاتَ أَمْرُ الْقَيْسِ أَرْسَلَ مَلِكُ

فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ. فَذَبَحَ وَلَدَهُ وَهُوَ يَنْظُرُ. ثُمَّ لَمَّا عَجَزَ عَنِ الْحِصْنِ رَجَعَ خَائِبًا، وَاحْتَسَبَ السَّمَوَّالُ ذَبْحَ وَلَدِهِ وَصَبَرَ، مُحَافِظَةً عَلَى وَفَائِهِ. فَلَمَّا جَاءَ الْمَوْسِمُ وَحَضَرَ وَرَثَتُهُ امْرِئٌ الْقَيْسِ سَلَّمَ إِلَيْهِمُ الدُّرُوعَ وَالسَّلَاحَ. وَرَأَى حِفْظَ ذِمَامِهِ وَرِعَايَةَ وَفَائِهِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ حَيَاةِ وَلَدِهِ وَبَقَائِهِ. فَصَارَتِ الْأَمْثَالُ فِي الْوَفَاءِ تُضْرَبُ بِالسَّمَوَّالِ، وَإِذَا مَدَحُوا أَهْلَ الْوَفَاءِ فِي الْأَنَامِ ذَكَرَ السَّمَوَّالُ فِي الْأَوَّلِ. وَكَمْ أَعْلَى الْوَفَاءِ رُتْبَةً مَنْ اعْتَقَلَهُ بِيَدَيْهِ، وَأَعْلَى قِيَمَةٍ مَنْ جَعَلَهُ نُصَبَ عَيْنَيْهِ، وَاسْتَنْطَقَ الْأَفْوَاهَ لِفَاعِلِهِ بِالنِّثَاءِ عَلَيْهِ، وَاسْتَطْلَقَ الْأَيْدِيَ الْمُقْبُوضَةَ عَنْهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ» *^(١).

١٦ - * (قَالَ الشَّاعِرُ:

سَقَى اللَّهُ أَطْلَالَ الْوَفَاءِ بِكَفِّهِ

فَقَدْ دَرَسَتْ أَعْلَامُهُ وَمَنَازِلُهُ) *^(٢).

من فوائد « الوفاء »

عَلَى الْوَفَاءِ، فَإِذَا انْعَدَمَ الْوَفَاءُ انْعَدَمَتِ الثِّقَةُ، وَسَاءَ التَّعَامُلُ وَسَادَ التَّنَافُرُ.

(٥) مِنْ أَهَمِّ الْوَفَاءِ، الْوَفَاءُ بِالْعُهُودِ مِنْ بَيْعَةٍ وَبَيْعٍ وَدَيْنٍ وَنَذْرٍ وَشُرُوطٍ تَتَعَلَّقُ بِالْمُعَامَلَاتِ الْمَالِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ

(٦) الْمُسْلِمُ الْمُتَمَسِّكُ بِالْوَفَاءِ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ سَعَادَةً عَظِيمَةً عِنْدَمَا يُوفِّي حُقُوقَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - كَامِلَةً وَحُقُوقَ إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ. وَلَا يَنْسَى حَقَّ أَهْلِهِ وَنَفْسِهِ عَلَيْهِ فَيُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ.

كِنْدَةَ يَطْلُبُ الدُّرُوعَ وَالْأَسْلِحَةَ الْمُوَدَّعَةَ عِنْدَ السَّمَوَّالِ. فَقَالَ السَّمَوَّالُ لَا أَذْفَعُهَا إِلَّا لِمُسْتَحِقِّهَا. وَأَبَى أَنْ يَذْفَعَ إِلَيْهِ مِنْهَا شَيْئًا، فَعَاوَدَهُ فَأَبَى، وَقَالَ لَا أَغْدِرُ بِذِمَّتِي، وَلَا أَخُونُ أَمَانَتِي، وَلَا أَتْرُكُ الْوَفَاءَ الْوَاجِبَ عَلَيَّ. فَقَصَدَهُ ذَلِكَ الْمَلِكُ مِنْ كِنْدَةَ بَعْسَكَرِهِ فَدَخَلَ السَّمَوَّالُ فِي حِصْنِهِ، وَامْتَنَعَ بِهِ. فَحَاصَرَهُ ذَلِكَ الْمَلِكُ، وَكَانَ وَلَدُ السَّمَوَّالِ خَارِجَ الْحِصْنِ فَظَفَرَ بِهِ ذَلِكَ الْمَلِكُ فَأَخَذَهُ أَسِيرًا ثُمَّ طَافَ حَوْلَ الْحِصْنِ وَصَاحَ بِالسَّمَوَّالِ. فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ مِنْ أَعْلَى الْحِصْنِ. فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ لَهُ: إِنَّ وَلَدَكَ قَدْ أَسْرَتُهُ، وَهِيَ هِيَ مَعِي، فَإِنْ سَلَّمْتَ إِلَيَّ الدُّرُوعَ وَالسَّلَاحَ الَّتِي لَامْرِئِ الْقَيْسِ عِنْدَكَ، رَحَلْتُ عَنْكَ وَسَلَّمْتُ إِلَيْكَ وَلَدَكَ، وَإِنْ امْتَنَعْتَ مِنْ ذَلِكَ ذَبَحْتُ وَلَدَكَ وَأَنْتَ تَنْظُرُ، فَاخْتَرِ أَيُّهُمَا شِئْتَ. فَقَالَ لَهُ السَّمَوَّالُ: مَا كُنْتُ لِأَخْفِرَ ذِمَامِي، وَأُبْطِلَ وَفَائِي،

(١) مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِ اللَّهِ مِنْ تَوْحِيدِهِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ، أَوْفَى اللَّهُ بِعَهْدِهِ مِنْ تَوْفِيقِهِ إِلَى الطَّاعَاتِ وَأَسْبَابِ الْعِبَادَاتِ.

(٢) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ، هُمْ أَوْلُو الْأَلْبَابِ وَهُمْ الَّذِينَ بَاعُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ لِلَّهِ فَوَعَدَهُمْ أَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ؟

(٣) مَدَحَ اللَّهُ الْمُوفِينَ بِعُهُودِهِمْ كَثِيرًا فِي الْقُرْآنِ.

(٤) الْوَفَاءُ صِفَةُ أَسَاسِيَّةٌ فِي بَنِيَّةِ الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ، حَيْثُ تَشْمَلُ سَائِرَ الْمُعَامَلَاتِ، إِذْ كُلُّ الْمُعَامَلَاتِ وَالْعَلَاَقَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْوُعُودِ وَالْعُهُودِ تَتَوَقَّفُ

الوقار

الآيات	الأحاديث	الآثار
٢	٤	١٢

الوقار لغة :

مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ: وَقَرَّ يَقْرُ وَقَارًا وَهُوَ مَا أُخِذَ مِنْ مَادَّةٍ (و ق ر) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى ثِقَلٍ فِي الشَّيْءِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقَارُ: الْحِلْمُ وَالرَّزَانَةُ، وَرَجُلٌ ذُو قِرَّةٍ أَيْ وَقُورٌ وَرَجُلٌ مُوَقَّرٌ: مُجَرَّبٌ، وَقَالَ الرَّاعِبُ: الْوَقَارُ: السُّكُونُ وَالْحِلْمُ، يُقَالُ: هُوَ وَقُورٌ وَوَقَارٌ وَمُتَوَقِّرٌ، وَفُلَانٌ ذُو قِرَّةٍ أَيْ وَقَارٍ، وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ (الأحزاب / ٣٣)، قِيلَ: هُوَ مِنَ الْوَقَارِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: وَقَرْتُ أَقِرُّ وَقَرًا: أَيْ جَلَسْتُ.

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْوَقَارُ: الْحِلْمُ وَالرَّزَانَةُ، وَقَدْ وَقَرَّ الرَّجُلُ يَقْرُ وَقَارًا وَقِرَةً إِذَا ثَبَتَ، فَهُوَ وَقُورٌ، قَالَ الرَّاجِزُ: بِكُلِّ أَخْلَاقٍ الرِّجَالِ قَدْ مَهَرُ

ثَبَتَ إِذَا مَا صِيحَ بِالْقَوْمِ وَقَرَّ وَالتَّوْقِيرُ: التَّعْظِيمُ وَالتَّرْزِينُ، وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾، أَيْ لَا تَخَافُونَ لِلَّهِ عَظَمَةً، وَفِي الْحَدِيثِ: «لَمْ يَسْبِقْكُمْ أَبُو بَكْرٍ بِكَثْرَةِ صَوْمٍ وَلَا صَلَاةٍ، وَلَكِنَّهُ بِشَيْءٍ وَقَرَ فِي الْقَلْبِ»، وَفِي رَوَايَةٍ، «لِسِرِّ وَقَرَ فِي صَدْرِهِ أَيْ سَكَنَ فِيهِ وَثَبَتَ، مِنْ الْوَقَارِ وَالْحِلْمِ وَالرَّزَانَةِ، وَيُقَالُ: الْوَقَارُ، الْحِلْمُ وَالسَّكِينَةُ.

وَالْوَقَارُ: الْحِلْمُ وَالسَّكِينَةُ وَالرَّزَانَةُ وَالْوَدَاعَةُ، وَهُوَ مِنْ بَابٍ وَعَدَ، تَقُولُ: وَقَرَّ الرَّجُلُ يَقْرُ وَقَارًا وَقِرَةً (بِكْسِرِ أَوَّلِهِ) فَهُوَ وَقُورٌ، وَوَقَارٌ، وَوَقَّرَ إِذَا ثَبَتَ. وَالْمَرْأَةُ أَيْضًا وَقُورٌ. وَالْأَمْرُ مِنْهُ قَرَّ (بِكْسِرِ أَوَّلِهِ).

وَأَمَّا قَوْلُكَ: وَقَرَّ الرَّجُلُ: أَيْ بَجَلَهُ وَعَظَمَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَعَزَّزُوا وَتَوَقَّروا﴾^(١).

واصطلاحًا :

هُوَ التَّأَنِّي فِي التَّوَجُّهِ نَحْوَ الْمُطَالِبِ^(٢).
وَقَالَ الْجَا حِظُّ: الْوَقَارُ هُوَ الْإِمْسَاكُ عَنْ فُضُولِ الْكَلَامِ وَالْعَبَثِ، وَكَثْرَةِ الْإِشَارَةِ وَالْحَرَكَةِ، فِيمَا يُسْتَغْنَى عَنِ التَّحَرُّكِ فِيهِ، وَقِلَّةِ الْغَضَبِ، وَالْإِصْغَاءِ عِنْدَ الْاسْتِفْهَامِ، وَالتَّوَقُّفِ عَنِ الْجَوَابِ وَالتَّحْقُظِ مِنْ التَّسْرِعِ، وَالْمُبَاكَرَةِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ^(٣).

ماهية وقار الله عز وجل وثمرته :

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : «مِنْ أَعْظَمِ الظُّلْمِ وَالْجَهْلِ أَنْ تَطْلُبَ التَّعْظِيمَ وَالتَّوْقِيرَ لَكَ مِنَ النَّاسِ وَقَلْبُكَ خَالٍ مِنْ تَعْظِيمِ اللَّهِ وَتَوْقِيرِهِ، فَإِنَّكَ تُوَقِّرُ الْمَخْلُوقَ وَتُجِلُّهُ أَنْ يَرَاكَ فِي حَالٍ لَا تُوقِّرُ اللَّهُ أَنْ يَرَاكَ عَلَيْهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ

(١) الصحاح (٨٤٨ / ٢)، لسان العرب (٨ / ٤٨٨٩ -

(٤٨٩١)، مفردات القرآن (٨٨٠)، المصباح المنير

(٦٦٨).

(٢) التعريفات (٢٠٥) وانظر التوقيف لابن المنأوى (٣٣٨).

(٣) تهذيب الأخلاق للجاحظ (٢٢).

وَقَارًا^(١)، أَي لَا تُعَامِلُونَهُ مُعَامَلَةً مِّنْ تُوَقِّرُونَهُ،
وَالْتَوْقِيرُ: التَّعْظِيمُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ يَعْنِي
أَنَّهُمْ لَوْ عَظَّمُوا اللَّهَ وَعَرَفُوا حَقَّ عَظَمَتِهِ وَحَدُّهُ وَأَطَاعُوهُ
وَشَكَرُوهُ، فَطَاعَتُهُ - سُبْحَانَهُ - وَاجْتِنَابُ مَعَاصِيهِ،
وَالْحَيَاءُ مِنْهُ بِحَسَبِ وَقَارِهِ فِي الْقَلْبِ. وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ
السَّلَفِ: لِيَعْظُمَ وَقَارُ اللَّهِ فِي قَلْبِ أَحَدِكُمْ أَنْ يَذْكُرَهُ
عِنْدَ مَا يُسْتَحْيَى مِنْ ذِكْرِهِ، فَيُقَرَّنَ اسْمُهُ بِهِ كَمَا تَقُولُ:
قَبَّحَ اللَّهُ الْكَلْبَ وَالْخَنزِيرَ وَالنَّتْنَ وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَهَذَا مِنْ
وَقَارِ اللَّهِ. وَمِنْ وَقَارِهِ أَنْ لَا تَعْدَلَ بِهِ شَيْئًا مِنْ خَلْقِهِ، لَا
فِي اللَّفْظِ، بَحَيْثُ تَقُولُ: وَاللَّهِ وَحَيَاتِكَ، مَا لِي إِلَّا اللَّهُ
وَأَنْتَ، وَمَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، وَلَا فِي الْحُبِّ وَالتَّعْظِيمِ
وَالْإِجْلَالِ، وَلَا فِي الطَّاعَةِ، فَتُطِيعَ الْمَخْلُوقَ فِي أَمْرِهِ
وَنَهْيِهِ كَمَا تُطِيعُ اللَّهَ، بَلْ أَعْظَمُ، كَمَا عَلَيْهِ أَكْثَرُ الظُّلْمَةِ
وَالْفَجَرَةِ، وَلَا فِي الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ. وَيَجْعَلُهُ أَهْوَنَ
النَّاظِرِينَ إِلَيْهِ، وَلَا يَسْتَهِينُ بِحَقِّهِ وَيَقُولُ: هُوَ مَبْنِيٌّ
عَلَى الْمُسَاحَةِ، وَلَا يَجْعَلُهُ عَلَى الْفَضْلَةِ، وَيَقْدِّمُ حَقَّ
الْمَخْلُوقِ عَلَيْهِ، وَلَا يَكُونُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِي حَدٍّ وَنَاحِيَةٍ،
وَالنَّاسُ فِي نَاحِيَةٍ وَحَدٍّ، فَيَكُونُ فِي الْحَدِّ وَالشَّقِّ الَّذِي
فِيهِ النَّاسُ دُونَ الْحَدِّ وَالشَّقِّ الَّذِي فِيهِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا
يُعْطِي الْمَخْلُوقَ فِي مُخَاطَبَتِهِ قَلْبَهُ وَلُبَّهُ وَيُعْطِي اللَّهَ فِي
خِدْمَتِهِ بَدَنَهُ وَلِسَانَهُ دُونَ قَلْبِهِ وَرُوحِهِ، وَلَا يَجْعَلُ مُرَادَ
نَفْسِهِ مُقَدِّمًا عَلَى مُرَادِ رَبِّهِ.

فَهَذَا كُلُّهُ مِنْ عَدَمِ وَقَارِ اللَّهِ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْ
كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُلْقِي لَهُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ وَقَارًا

وَلَا هَيْبَةً، بَلْ يُسْقِطُ وَقَارَهُ وَهَيْبَتَهُ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِنْ
وَقَرُّهُ مَخَافَةً شَرِّهِ فَذَلِكَ وَقَارُ بُغْضٍ لَا وَقَارُ حُبٍّ
وَتَعْظِيمٍ. وَمِنْ وَقَارِ اللَّهِ أَنْ يَسْتَحْيِيَ مِنْ إِطْلَاعِهِ عَلَى
سِرِّهِ وَضَمِيرِهِ فَيَرَى فِيهِ مَا يَكْرَهُ. وَمِنْ وَقَارِهِ أَنْ
يَسْتَحْيِيَ مِنْهُ فِي الْخَلْوَةِ أَعْظَمَ مِمَّا يَسْتَحْيِيَ مِنْ أَكْبَرِ
النَّاسِ.

وَالْمَقْصُودُ أَنْ مَنْ لَا يُوقِّرُ اللَّهَ وَكَلَامَهُ وَمَا آتَاهُ مِنَ
الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ كَيْفَ يَطْلُبُ مِنَ النَّاسِ تَوْقِيرَهُ
وَتَعْظِيمَهُ؟! الْقُرْآنُ وَالْعِلْمُ وَكَلَامُ الرَّسُولِ ﷺ صَلَاتُ
مِنَ الْحَقِّ وَتَنْبِيهَاتُ وَرَوَادِعُ وَزَوَاجِرُ وَارِدَةٌ إِلَيْكَ،
وَالشَّيْبُ زَاجِرٌ وَرَادِعٌ وَمَوْقِظٌ قَائِمٌ بِكَ، فَلَا مَا وَرَدَ
إِلَيْكَ وَعَظَمَكَ! وَلَا مَا قَامَ بِكَ نَصَحَكَ! وَمَعَ هَذَا
تَطْلُبُ التَّوَقِيرَ وَالتَّعْظِيمَ مِنْ غَيْرِكَ! فَأَنْتَ كَمُصَابٍ لَمْ
تُؤَثِّرْ فِيهِ مُصِيبَتُهُ وَعَظَاً وَانْزَجَارًا، وَهُوَ يَطْلُبُ مِنْ غَيْرِهِ
أَنْ يَتَّعِظَ وَيَنْزَجِرَ بِالنَّظَرِ إِلَى مُصَابِهِ. فَالضَّرْبُ لَمْ يُؤَثِّرْ
فِيهِ زَجْرًا، وَهُوَ يُرِيدُ الْانْزَجَارَ مِمَّنْ نَظَرَ إِلَى ضَرْبِهِ^(٢).

[للاستزادة: انظر صفات: السكينة - التدبر -

الحلم - الصمت وحفظ اللسان - الطمأنينة - تعظيم
الحرمات - الرضا - الرهبة - الرغبة والترغيب - حُسن
السمت.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الحمق - شرب

الخمر - الطيش - الإعراض - القلق - البذاءة - البذاذة -
الغضب].

الآيات الواردة في « الوقار »

١- إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾
لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ
وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾^(١)

٢- إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ
أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾
قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾
أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرًا
يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخِرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى
إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾
فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾
وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ
فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا
اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾
ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾

ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾
فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾
يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾
وَيُمَدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلُ
لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾
مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾
الَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾
وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾
وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾
ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾
وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بَسَاطًا ﴿١٩﴾
لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾^(٢)

الأحاديث الواردة في «الوقار»

١ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَرْقُ أَفِيدَةٍ، وَأَلَيْنُ قُلُوبًا. الْإِيْمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ، وَالْفَخْرُ وَالْخِيَلَاءُ فِي أَصْحَابِ الْإِبِلِ، وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ»*)^(١).

٢ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ فَاْمْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، وَلَا تُسْرِعُوا، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتُّوا»*)^(٢).

٣ - * (عَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنْ أَخَذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرَكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ»^(٣))، ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَآلَ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا الزَّهْرَاوَانِ، يُظَلَّانِ صَاحِبَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَاتَانِ»^(٤). أَوْ فِرْقَانِ^(٥). مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا

أَعْرِفُكَ. فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ. فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ، وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ، فَيُعْطَى الْمَلِكُ بِيَمِينِهِ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يَقُومُ لَهَا أَهْلُ الدُّنْيَا، فَيَقُولَانِ: بِمِ كُسِينَا هَذِهِ؟، فَيَقَالُ: بِأَخَذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ، ثُمَّ يَقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغُرْفَتِهَا، فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ، وَهَذَا^(٦) كَانَ أَوْ تَرْتِيلًا*)^(٧).

٤ - * (عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِيكَرِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ - وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ»*)^(٨).

(٧) أحمد (٣٤٨/٥)، الدارمي (٥٤٣/٢)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٣٤/١)، وقال: بعضه عند ابن ماجه بإسناد حسن على شرط مسلم.
(٨) الترمذي (١٦٦٣)، وقال: حسن صحيح غريب، أحمد (١٣١/٤). وقال الألباني في تعليقه على «مشكاة المصابيح» رقم (٣٨٣٤): إسناده صحيح.

(١) البخاري - الفتح ٧ (٤٣٨٨) واللفظ له، مسلم (٥٢).
(٢) البخاري - الفتح ٢ (٦٣٦) واللفظ له، مسلم (٦٠٢).
(٣) البطلة: السحرة.
(٤) غيائتان: الغياية: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها.
(٥) فرقان: أي قطعتان.
(٦) الهذ: سرعة القراءة.

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في «الوقار»

- ١ - * (قَالَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : كَانَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَوْمَ السَّقِيفَةِ أَحْلَمَ مِنِّي وَأَوْقَرَ، وَاللَّهُ مَا تَرَكَ مِنْ كَلِمَةٍ أَعْجَبْتَنِي فِي تَزْوِيرِي^(١) . إِلَّا قَالَ فِي بَدِيهِتِهِ مِثْلَهَا أَوْ أَفْضَلَ مِنْهَا حَتَّى سَكَتَ.. (الْحَدِيثُ) *^(٢) .
- ٢ - * (مِنْ كَلَامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ بَاكِيًا مَحْزُونًا حَكِيمًا حَلِيمًا سَكِينًا ، وَلَا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ جَافِيًا ، وَلَا غَافِلًا ، وَلَا صَخَّابًا ، وَلَا صَيَّاحًا ، وَلَا حَدِيدًا) *^(٣) .
- ٣ - * (قَامَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَوْمَ مَاتَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ : عَلَيْكُمْ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ وَخُدْهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَالْوَقَارَ وَالسَّكِينَةَ حَتَّى يَأْتِيَكُمُ أَمِيرٌ ، فَإِنَّمَا يَأْتِيَكُمُ الْآنَ . ثُمَّ قَالَ : اسْتَغْفِرُوا لِأَمِيرِكُمْ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الْعَفْوَ) *^(٤) .
- ٤ - * (قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ الْأَنْصَارِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : لَمَّا رَأَى الْأَذَانَ فِي الْمَنَامِ وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ : أَحْمَدُ اللَّهِ ذَا الْجَلَالِ وَذَا الْإِكْرَامِ حَمْدًا عَلَى الْأَذَانِ كَثِيرًا
- إِذْ أَتَانِي بِهِ الْبَشِيرُ مِنَ اللَّهِ
- هُ فَأَكْرَمَ بِهِ لَدَيَّ بَشِيرًا
- فِي لَيْالٍ وَآلِي بَيْنَ ثَلَاثٍ
- كُلَّمَا جَاءَ زَادَنِي تَوْقِيرًا^(٥) .
- ٥ - * (عَنِ الْحَسَنِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - قَالَ : قَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَطْلُبُ الْعِلْمَ فَلَا يَلْبَثُ أَنْ يُرَى ذَلِكَ فِي تَخَشُّبِهِ ، وَهَدْيِهِ ، وَلِسَانِهِ ، وَبَصَرِهِ ، وَبِرِّهِ) *^(٦) .
- ٦ - * (قَالَ النَّوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : الْفَرْقُ بَيْنَ السَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ : أَنَّ السَّكِينَةَ هِيَ التَّأَنِّي فِي الْحَرَكَاتِ وَاجْتِنَابُ الْعَبَثِ ، وَالْوَقَارُ فِي الْهَيْئَةِ كَغَضِّ الْبَصَرِ وَخَفْضِ الصَّوْتِ وَعَدَمِ الْإِلْتِفَاتِ) *^(٧) .
- ٧ - * (قَالَ الْقُرْطُبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : إِنْ مِنْ الْحَيَاءِ مَا يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى الْوَقَارِ ، بَأَنْ يُوقِّرَ غَيْرَهُ ، وَيَتَوَقَّرَ هُوَ فِي نَفْسِهِ) *^(٨) .
- ٨ - * (قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : عَلَى قَدْرِ الْمَعْرِفَةِ يَكُونُ تَعْظِيمُ الرَّبِّ - تَعَالَى - فِي الْقَلْبِ . وَأَعْرِفُ النَّاسَ بِهِ ، أَشَدُّهُمْ لَهُ تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا ، وَقَدْ ذَمَّ - اللَّهُ تَعَالَى - مَنْ لَمْ يُعْظِمْهُ حَقَّ عَظَمَتِهِ ، وَلَا عَرَفَهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ ، وَلَا وَصَفَهُ حَقَّ صِفَتِهِ ، وَأَقْوَالُ السَّلَفِ تَدُورُ عَلَى هَذَا ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ اللَّهَ وَقَارًا ﴾ (نوح / ١٣) أَيْ لَا تُعَامِلُونَهُ مُعَامَلَةً مَنْ تُوَقَّرُونَهُ.

(٤) البخاري - الفتح ١ (٥٨).

(٥) ابن ماجه (١/٢٣٣).

(٦) الشعب (٨/٤٢٧) ، وقال مخرجه : رجاله ثقات .

(٧) فتح الباري (٢/١٣٩).

(٨) الفتح (١٠/٥٣٨) بتصرف .

(١) تزويري : التصوير : إصلاح الشيء وتحسينه وكلام مزور : أي مُحَسَّنٌ .

(٢) البخاري - الفتح ١٢ (٦٨٣٠) ، وهو جزء من حديث طويل .

(٣) الفوائد (١٤٧).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ : لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ عَظَمَةً.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : مَا لَكُمْ لَا تُعَظِّمُونَ اللَّهَ

حَقَّ عَظَمَتِهِ.

وَقَالَ الْكَلْبِيُّ : لَا تَخَافُونَ لِلَّهِ عَظَمَةً.

وَقَالَ الْحَسَنُ : لَا تَعْرِفُونَ لِلَّهِ حَقًّا ، وَلَا تَشْكُرُونَ

لَهُ نِعْمَةً .

وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ : لَا تَرْجُونَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ أَنْ

يُشَبِّحَكُمْ عَلَى تَوْفِيرِكُمْ إِيَّاهُ خَيْرًا) * (١).

٩ - * (قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : كَانَ

الْأَوْزَاعِيُّ كَثِيرَ الْعِبَادَةِ ، حَسَنَ الصَّلَاةِ ، وَرِعَا ،

نَاسِكًا ، طَوِيلَ الصَّمْتِ ، وَكَانَ يَقُولُ : مَنْ أَطَالَ الْقِيَامَ

فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ هَوَّنَ اللَّهُ عَلَيْهِ طُولَ الْقِيَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ..

وَكَانَ مِنْ شِدَّةِ الْخُشُوعِ كَأَنَّهُ أَعْمَى . وَخَرَجَ الْأَوْزَاعِيُّ

يَوْمًا مِنْ بَابِ مَسْجِدِ بَيْرُوتَ ، وَهَنَاكَ دُكَّانٌ فِيهِ رَجُلٌ

يَبِيعُ النَّاطِفَ (٢) ، وَإِلَى جَانِبِهِ رَجُلٌ يَبِيعُ الْبَصَلَ ، وَهُوَ

يَقُولُ : يَا بَصْلُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، أَوْ قَالَ : أَحْلَى مِنَ

النَّاطِفِ ، فَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ : سُبْحَانَ اللَّهِ أَيُّظُنُّ هَذَا أَنَّ

شَيْئًا مِنَ الْكَذِبِ يُبَاحُ ؟ فَكَأَنَّ هَذَا مَا يَرَى فِي الْكَذِبِ

بَأْسًا) * (٣).

١٠ - * (قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : كَانَ

الْإِمَامُ مَالِكٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحَدِّثَ

تَنَظَّفَ وَتَطَيَّبَ وَسَرَّحَ لِحْيَتَهُ وَلَبَسَ أَحْسَنَ

الثِّيَابِ) * (٤).

١١ - * (قَالَ رَجُلٌ يَصِفُ الْإِمَامَ مَالِكًا - رَحِمَهُ

اللَّهُ تَعَالَى - :

يَدْعُ الْجَوَابَ وَلَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً

وَالسَّائِلُونَ نَوَاصِي الْأَذْقَانِ

نُورُ الْوَقَارِ وَعِزُّ سُلْطَانِ التَّقَى

فَهُوَ الْمَهِيْبُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانٍ) * (٥).

١٢ - * (قَالَ الشَّاعِرُ :

انْطِقْ مُصِيبًا لَا تَكُنْ هَذِرًا

عِيَابَةً نَاطِقًا بِالْفُحْشِ وَالرِّيبِ

وَكُنْ رَزِينًا طَوِيلَ الصَّمْتِ ذَا فِكْرٍ

فَإِنْ نَطَقْتَ فَلَا تُكْثِرْ مِنَ الْخُطْبِ

وَلَا تُجِبْ سَائِلًا مِنْ غَيْرِ تَرْوِيَةٍ

وَبِاللَّذِي مِثْلُهُ لَمْ تُسَأَلْ فَلَا تُجِبْ) * (٦).

من فوائد «الوقار»

(١) الْوَقَارُ مِنْ آثَارِ الْحَيَاءِ وَالْحِشْمَةِ.

(٢) الْوَقَارُ يُبْعَدُ صَاحِبَهُ عَنِ الرَّذَائِلِ وَيُجَافِيهِ عَنْهَا.

(٣) حُبُّ النَّاسِ لِلشَّخْصِ الْوَقُورِ.

(٤) الْوَقُورُ يُدْرِكُ مَا لَا يُدْرِكُهُ غَيْرُهُ مِنْ مَعَانِي الْعِزِّ

وَالشَّرَفِ وَالرَّئَاسَةِ.

(٥) الْوَقَارُ عِزٌّ لِصَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَيُكْسِبُهُ

الْمُهَابَةَ بَيْنَ النَّاسِ.

(١) بتصرف من مدارج السالكين (٢/٥١٦ - ٥١٧).

(٢) الناطف : شيء مصنوع من اللبن والعسل .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (١٠/١٢٠ - ١٢١).

(٤) البداية والنهاية (١٠/١٨٠).

(٥) شرح حديث «ذئبان جائعان» (٧٨).

(٦) حسن السميت في الصمت (٤٧).

الوقاية

الآيات	الأحاديث	الآثار
١٦	١٤	١٠

الوقاية لغة :

مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ: وَقَى يَقِي وَهُوَ مَا خُوذُ مِنْ مَادَّةٍ (وقى) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى دَفْعِ شَيْءٍ عَنْ شَيْءٍ بغيره، وَالْوَقَايَةُ مَا يَقِي الشَّيْءَ، وَقَوْلُهُمْ: اتَّقِ اللَّهَ: تَوَقَّهْ أَيِ اجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ كَالْوَقَايَةِ، وَيُقَالُ: وَقَاهُ اللَّهُ وَقَايَةً بِالْكَسْرِ أَيِ حَفِظَهُ، وَالْوَقَايَةُ (بِالْفَتْحِ) لُغَةٌ فِي الْوَقَايَةِ بِالْكَسْرِ، وَقِيلَ أَيْضًا: الْوَقَايَةُ بِالضَّمِّ، وَالْوَقَاءُ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ: مَا وَقَيْتَ بِهِ شَيْئًا، وَالْأَوَاقِي جَمْعُ وَاقِيَةٍ.

وَيُقَالُ: اتَّقَى بِكَذَا: إِذَا جَعَلَهُ وَقَايَةً لِنَفْسِهِ، وَالتَّوَقُّيَةُ: الْكَلَاءَةُ وَالْحِفْظُ مِمَّا يُؤْذِي وَيُضُرُّ: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ (الإنسان/ ١١)، وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ «كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ» أَيِ جَعَلْنَاهُ وَقَايَةً لَنَا مِنَ الْعَدُوِّ قَدَّامَنَا، وَاسْتَقْبَلْنَا الْعَدُوَّ بِهِ وَقُمْنَا خَلْفَهُ وَقَايَةً (لَهُ).

وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: يُقَالُ: وَقَاهُ اللَّهُ وَقِيًا وَوَقَايَةً وَوَقَايَةً صَانَةً.

وَيُقَالُ: وَقَيْتُ الشَّيْءَ أَقِيهِ: إِذَا صُنِّتَهُ عَنْ

الْأَذَى، وَفِي الْحَدِيثِ «فَوَقَى أَحَدُكُمْ وَجْهَهُ النَّارَ» فَهَذَا خَبَرٌ أُريدَ بِهِ الْأَمْرُ: أَيِ لِيَقِ أَحَدُكُمْ وَجْهَهُ النَّارَ بِالطَّاعَةِ وَالصَّدَقَةِ. وَقَوْلُهُ ﷺ فِي حَدِيثِ مُعَاذٍ «وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ» أَيِ تَجَنَّبَهَا وَلَا تَأْخُذْهَا فِي الصَّدَقَةِ، وَتَوَقَّى وَاتَّقَى بِمَعْنَى، وَفِي الْحَدِيثِ «تَبَقَّهْ وَتَوَقَّهْ» أَيِ اسْتَبَقِ نَفْسَكَ وَلَا تُعَرِّضْهَا لِلتَّافِ، وَالْوَقَاءُ وَالْوَقَايَةُ وَالْوَقَايَةُ وَالْوَقَايَةُ وَالْوَقَايَةُ: كُلُّ مَا وَقَيْتَ بِهِ شَيْئًا. قَالَ اللَّحْيَانِيُّ: كُلُّ ذَلِكَ مَصْدَرٌ وَقَيْتُهُ الشَّيْءَ، وَفِي الْحَدِيثِ «مَنْ عَصَى اللَّهَ لَمْ تَقِهِ مِنْهُ وَاقِيَةً إِلَّا بِإِحْدَاثِ تَوْبَةٍ، وَيُقَالُ: وَقَاكَ شَرُّ فُلَانٍ وَقَايَةً، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ أَيِ مَنْ دَافِعٌ^(١).

الوقاية اصطلاحًا :

قَالَ الْمُنَاوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -:

الْوَقَايَةُ: حِفْظُ الشَّيْءِ عَمَّا يُؤْذِيهِ وَيُضُرُّهُ،

وَالْتَوَقَّى: جَعَلَ الشَّيْءَ وَقَايَةً مِمَّا يَخَافُ^(٢).

وَقَالَ الرَّاعِبِيُّ: الْوَقَايَةُ حِفْظُ الشَّيْءِ مِمَّا يُؤْذِيهِ

وَيُضُرُّهُ^(٣).

(١) المقاييس (١٣١/٦)، الصحاح ٢٥٢٨/٦، المفردات ص

(٥٣١)، البصائر (٢٥٦/٥)، لسان العرب (وقى)

(٤٩٠٢ ط. دار المعارف).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٣٣٩).

(٣) المفردات (٥٣٠). وانظر تعريف صفة «التقوى».

الفرق بين الوقاية والتقوى:

أَنَّ الْوَقَايَةَ تَتَعَلَّقُ بِالْإِنْسَانِ فِي بَدَنِهِ وَمَعَاشِهِ
وَمُمْتَلَكَاتِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الْمَحْسُوسَةِ كَمَا أَنَّهَا قَدْ
تَكُونُ مِنَ اللَّهِ لِلْإِنْسَانِ أَوْ مِنَ الْإِنْسَانِ لِغَيْرِهِ، أَمَّا
التَّقْوَى فَهِيَ - كَمَا يَقُولُ الرَّاعِبُ -: جَعْلُ النَّفْسِ فِي
وَقَايَةٍ مِمَّا تَخَافُ^(١) فَكُلُّ تَقْوَى وَقَايَةٌ وَلَا عَكْسَ.

[للاستزادة: انظر صفات: التقوى - حفظ
الأيمان - حفظ الفرج - الخوف - الخشية - الصمت
وحفظ اللسان - العفة - النزاهة - الحيطة - الحذر -
الإنفاق - الصدقة.
وفي ضد ذلك: انظر صفات: اتباع الهوى - أكل
الحرام - التفريط والإفراط - العصيان - الإصرار على
الذنب - الإعراض].

الآيات الواردة في « الوقاية »

- ١- وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا
حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ
النَّارِ ﴿٢٠١﴾ (١)
- ٢- قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا
عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ
مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾
الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا
ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ (٢)
- ٣- إِنَّا فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ
الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾
الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ
وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ
فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ (٣)
- ٤- أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا
لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ
فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِّلَّذِينَ
كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ
وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾
لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ
وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَّاقٍ ﴿٣٤﴾ (٤)
- ٥- وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ
أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ (٥)
- ٦- وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ
لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ
ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا
وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَاوُمْتَعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾
وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ
لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ
سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ
بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ
لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ (٦)
- ٧- رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ
وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ
وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾
وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ
فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَكَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ (٧)
- ٨- أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ
مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَّاقٍ ﴿٩١﴾ (٨)

(٧) غافر: ٨ - ٩ مكية

(٨) غافر: ٢١ مكية

(٤) الرعد: ٣٣ - ٣٤ مدنية

(٥) الرعد: ٣٧ مدنية

(٦) النحل: ٨٠ - ٨١ مكية

(١) البقرة: ٢٠١ مدنية

(٢) آل عمران: ١٥ - ١٦ مدنية

(٣) آل عمران: ١٩٠ - ١٩١ مدنية

٩ - ﴿ وَيَقَوْمٍ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ

وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾

تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ

لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾

لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا

وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ

وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾

فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ

أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾

فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا

وَحَاقَ بِثَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾^(١)

١٠ - إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾

فِي جَنَّاتٍ وَعُيُوبٍ ﴿٥٢﴾

يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ

مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾

كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾

يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾

لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ

الْأُولَىٰ وَوَقَّهَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾^(٢)

١١ - إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾

فَكَهِينٍ بِمَاءٍ النَّهْمِ رَبُّهُمْ

وَوَقَّهَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾^(٣)

١٢ - وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾

قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾

فَمَنْكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّهَنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾

إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ

إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾^(٤)

١٣ - وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ

مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ

حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ

وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ

فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٩﴾^(٥)

١٤ - يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ

وَأَوْلَادِكُمْ وَعَدُوَّالْكُفَّاءِ فَاحْذَرُوهُمْ

وَلِإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا

فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٠﴾

إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ

وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣١﴾

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا

وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ

شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٢﴾^(٦)

١٥ - يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا

النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ

لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٣٣﴾^(٧)

١٦ - إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غَمًى قَطِرًا ﴿١٠﴾

فَوَقَّهَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾

وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾^(٨)

(٧) التحريم : ٦ مدنية

(٨) الإنسان : ١٠ - ١٢ مدنية

(٤) الطور : ٢٥ - ٢٨ مكية

(٥) الحشر : ٩ مدنية

(٦) التغابن : ١٤ - ١٦ مدنية

(١) غافر : ٤١ - ٤٥ مكية

(٢) الدخان : ٥١ - ٥٦ مكية

(٣) الطور : ١٧ - ١٨ مكية

الأحاديث الواردة في «الوقاية»

١ - * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ : بِاسْمِ اللَّهِ ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » قَالَ : « يُقَالُ حِينَئِذٍ : هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ ، فَتَسْتَحْيَ لَهُ الشَّيَاطِينُ ، فَيَقُولُ شَيْطَانُ آخَرُ : كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ ») * (١) .

٢ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « إِنَّ الْمَيِّتَ يَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ . فَيَجْلِسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ ، غَيْرَ فَرَحٍ وَلَا مَشْغُوفٍ (٢) . ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : فِيمَ كُنْتَ (٣) ؟ فَيَقُولُ : كُنْتُ فِي الْإِسْلَامِ . فَيُقَالُ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ (٤) ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَصَدَّقْنَاهُ . فَيُقَالُ لَهُ : هَلْ رَأَيْتَ اللَّهَ ؟ فَيَقُولُ : مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَرَى اللَّهَ ، فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ النَّارِ . فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا (٥) . فَيُقَالُ لَهُ : انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللَّهُ . ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ قَبْلُ الْجَنَّةِ . فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا . فَيُقَالُ لَهُ : هَذَا مَقْعَدُكَ . وَيُقَالُ لَهُ : عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ (٦) . وَعَلَيْهِ مَتَّ . وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ (٧) . وَيَجْلِسُ الرَّجُلُ السُّوءُ فِي قَبْرِهِ فَرَعًا مَشْغُوفًا . فَيُقَالُ لَهُ : فِيمَ كُنْتَ ؟ فَيَقُولُ : لَا

أَدْرِي . فَيُقَالُ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ ؟ فَيَقُولُ : سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا فَقُلْتُهُ . فَيُفْرَجُ لَهُ قَبْلُ الْجَنَّةِ . فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا . فَيُقَالُ لَهُ : انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ النَّارِ . فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا . يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا . فَيُقَالُ لَهُ : هَذَا مَقْعَدُكَ . عَلَى الشَّكِّ كُنْتَ . وَعَلَيْهِ مَتَّ . وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى) * (٨) .

٣ - * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ يَهُودِيَّةً كَانَتْ تَخْدُمُهَا ، فَلَا تَصْنَعُ عَائِشَةَ إِلَيْهَا شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ إِلَّا قَالَتْ لَهَا الْيَهُودِيَّةُ : وَقَاكَ اللَّهُ عَذَابَ الْقَبْرِ . قَالَتْ : فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ لِلْقَبْرِ عَذَابٌ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : لَا ، وَعَمَّ ذَاكَ ؟ قَالَتْ : هَذِهِ يَهُودِيَّةٌ لَا نَصْنَعُ إِلَيْهَا شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ إِلَّا قَالَتْ وَقَاكَ اللَّهُ عَذَابَ الْقَبْرِ . قَالَ : كَذَبَتْ يَهُودٌ . هُمْ عَلَى اللَّهِ كَذِبٌ . لَا عَذَابَ دُونَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ . قَالَتْ : ثُمَّ مَكَثَ بَعْدَ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمُوتَ ، فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ بِنِصْفِ النَّهَارِ ، مُشْتَمِلًا بِثَوْبِهِ ، مُحْمَرَّةً عَيْنَاهُ ، وَهُوَ يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ : أَيُّهَا النَّاسُ ، أَظَلَّتْكُمْ الْفِتْنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا ، أَيُّهَا النَّاسُ

منه الحضور. وترك ما يشعر بالتعظيم لئلا يصير تلقينا.

وهو لا يناسب موضع الاختبار.

(٥) يحطم بعضها بعضًا : من شدة المزاحمة.

(٦) على اليقين كنت : أي من كان على اليقين في الدنيا، يموت

عليه عادة. وكذا في جانب الشك.

(٧) إِنْ شَاءَ اللَّهُ : للتبرك لا للشك .

(٨) ابن ماجه ٢ (٤٢٦٨) . وفي الزوائد : إسناده صحيح .

(١) أبو داود (٥٠٩٥) واللفظ له . وقال الألباني (٩٥٩/٣) :

صحيح ، والترمذي (٣٤٢٦) وقال : حسن صحيح . وقال

محقق «جامع الأصول» (٢٧٦/٤) ، وهو حديث صحيح .

(٢) ولا مشغوف : الشغف شدة الفزع والخوف حتى يذهب

بالقلب .

(٣) فِيمَ كُنْتَ : أي في أي دين .

(٤) ما هذا الرجل : أي الرجل المشهور بين أظهركم . ولا يلزم

اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ؛ فَإِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ*^(١).

٤ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَارٍ، فَتَزَلَّتْ الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا* وَإِنَّا لَنَتَلَقَّاهَا مِنْ فِيهِ، إِذْ خَرَجْتُ حَيَّةً مِنْ جُحْرِهَا، فَابْتَدَرْنَاهَا لِنَقْتُلَهَا، فَسَبَقْتَنَا، فَدَخَلَتْ جُحْرَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وُقِيَتْ شَرْكُمُ، كَمَا وَقِيتُمْ شَرَّهَا». وَعَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ مِثْلَهُ. قَالَ: «وَإِنَّا لَنَتَلَقَّاهَا مِنْ فِيهِ رَطْبَةً». وَتَابَعَهُ أَبُو عَوَانَةَ عَنْ مُغِيرَةَ*^(٢).

٥ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ إِلَّا وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ»*^(٣).

٦ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ وَلَا وَالٍ إِلَّا وَلَهُ بَطَانَتَانِ، بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَبَطَانَةٌ لَا تَأْلُوهُ

خَبَالًا، وَمَنْ وَقِيَ شَرَّهَا فَقَدْ وَقِيَ، وَهُوَ مَعَ الَّتِي تَغْلِبُ عَلَيْهِ مِنْهَا*)*^(٤).

٧ - * (عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ وَقَاهُ اللَّهُ شَرَّ اثْنَيْنِ وَلَجَ الْجَنَّةَ»^(٥)، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تُخْبِرُنَا^(٦)، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ عَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ الْأُولَى، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ، لَا تُخْبِرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ أَيْضًا، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَا تُخْبِرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ أَيْضًا. ثُمَّ ذَهَبَ الرَّجُلُ يَقُولُ مِثْلَ مَقَالَتِهِ الْأُولَى، فَأَسْكَنَتْهُ رَجُلٌ إِلَى جَنْبِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ وَقَاهُ اللَّهُ شَرَّ اثْنَيْنِ وَلَجَ الْجَنَّةَ: مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ^(٧) مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ*)*^(٨).

٨ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ وَقَاهُ اللَّهُ شَرَّ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَشَرَّ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»*)*^(٩).

(٧) ما بين لحييه: يريد اللسان، وما بين رجليه: يريد الفرج. ولم يصرح به استهجاناً واستحياء.

(٨) الموطأ (٢/٧٥٤) واللفظ له مراسلاً؛ في الكلام، باب ما جاء فيما يخاف من اللسان ولكن يشهد له معنى الحديث الذي بعده عند الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ورقمه (٢٤٠٩). وجامع الأصول برقم (٩٣٦٧). (١١/٧٠٩).

(٩) الترمذي (٢٤٠٩) وقال: هذا حديث حسن غريب. ويشهد له حديث الموطأ في باب الكلام، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٥٧٠٣)، والحاكم (٤/٣٥٧) وصححه ووافقه الذهبي مع أن فيه وهو ضعيف ولكن إسناده صحيح بمجموع طرقه حسن.

(١) الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٥٤) واللفظ له وقال: هو في الصحيح باختصار - ورواه أحمد (٦/٨١) ورجاله رجال الصحيح.

(٢) البخاري - الفتح ٦ (٣٣١٧).

(٣) الترمذي (١٠٧٤)، وقال: هذا حديث حسن غريب. وأحمد (٢/١٦٩)، وأورده السيوطي في الجامع الصغير وحسن إسناده الشيخ الألباني صحيح الجامع (٥٦٤٩).

(٤) أحمد (٢/٢٣٧) واللفظ له، وقال الشيخ أحمد شاكر (١٢/٢٢٨): إسناده صحيح. والحاكم في المستدرک (٤/١٣١) وصححه ووافقه الذهبي.

(٥) وَلَجَ الْجَنَّةَ: أي دخلها.

(٦) هكذا وردت «لا تخبرنا» على النهي، وفي جامع الأصول «ألا تخبرنا؟» على الاستفهام وهو المناسب للسياق.

الأحاديث الواردة في «الوقاية» معنى

١٢ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا، فَقَالَ : «مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلَا بُرْهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلْفٍ»)* (٥).

١٣ - * (عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَابِسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، لَمْ يَرِ فِي مَنْزِلِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ حَتَّى يَرْتَحِلَ . قَالَ أُبَيٌّ : فَلَقِيتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَابِسٍ فِي الْمَنَامِ فَقُلْتُ : حَدَّثَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ)* (٦).

١٤ - * (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ اخْتِنَاثِ الْأَسْقِيَةِ ، يَعْنِي : أَنْ تُكْسَرَ أَفْوَاهُهَا فَيُشْرَبَ مِنْهَا)* (٧) (٨).

٩ - * (عَنْ أَبِي قَتَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ ، وَإِذَا بَالَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَمْسَحُ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ ، وَإِذَا تَمَسَّحَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَمَسَّحُ بِيَمِينِهِ)* (١).

١٠ - * (عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - ، يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ أَوْ أَمْسَيْتُمْ - فَكُفُّوا صَبْيَانَكُمْ ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْشُرُ حِينَئِذٍ ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَحُلُّوهُمْ ، فَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا ، وَأَوْكُوا قَرَبَكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ ، وَخَمِّرُوا آيَتَكُمْ (٢) وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ ، وَلَوْ أَنَّ تَعْرِضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا ، وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ)* (٣).

١١ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الشُّرْبِ مِنْ فَمِ الْقَرْبَةِ ، أَوِ السَّقَاءِ . وَأَنْ يَمْنَعَ جَارُهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشْبَهُ فِي دَارِهِ)* (٤).

ورجاله رجال الصحيح.

(٧) وتأويل النهي عن ذلك أن الشرب من أفواهها ربما ينتنها فإن أدامة الشرب هكذا مما يغير ريحها وقيل : إنه لا يؤمن أن يكون فيها حية أو شيء من الحشرات ، قال ابن الأثير : وقد جاء في حديث آخر إباحته ، قال : ويحتمل أن يكون النهي خاصًا بالسقاء الكبير دون الصغير.

(٨) البخاري - الفتح ١٠ (٥٦٢٥) واللفظ له. ومسلم (٢٠٢٣).

(١) البخاري - الفتح ١٠ (٥٦٣٠).

(٢) أوكوا : من الوكاء وهو رباط يشد به فم القربة أي شدوا رؤوسها بالوكاء ، وخرروا آييتكم : من التخمير وهو التغطية

(٣) البخاري - الفتح ١٠ (٥٦٢٣).

(٤) البخاري - الفتح ١٠ (٥٦٢٧) ومثله عن ابن عباس.

(٥) أحمد (١٦٩/٢) وقال الشيخ أحمد شاكر (١٠/٨٣) :

إسناده صحيح.

(٦) الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٣٣) وقال : رواه الطبراني

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في «الوقاية»

١ - * (عَنْ قَيْسٍ ، قَالَ : رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ ^(١))

شَلَاءً ^(٢) وَقَى بِهَا النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ ^(٣)) * ^(٤) .

٢ - * (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ :

كُنْتُ أَقْرِئُ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، فَبَيْنَمَا أَنَا فِي مَنْزِلِهِ بِمَنْى ، وَهُوَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا ، إِذْ رَجَعَ إِلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَالَ : لَوْ رَأَيْتَ رَجُلًا أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَلْ لَكَ فِي فُلَانٍ ؟ يَقُولُ : لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ لَقَدْ بَايَعْتُ فُلَانًا ، فَوَاللَّهِ مَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا فَلْتَةً فَتَمَّتْ ، فَغَضِبَ عُمَرُ ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَقَائِمٌ الْعَشِيَّةَ فِي النَّاسِ فَمُحَذِّرُهُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوهُمْ أُمُورَهُمْ . قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا تَفْعَلْ ، فَإِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رِعَاعَ النَّاسِ وَغَوَغَاءَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَغْلِبُونَ عَلَى قُرْبِكَ حِينَ تَقُومُ فِي النَّاسِ ، وَأَنَا أَخْشَى أَنْ تَقُومَ فَتَقُولَ مَقَالَةً يُطِيرُهَا عَنْكَ كُلُّ مُطِيرٍ ، وَأَنْ لَا يَعُوهَا ، وَأَنْ لَا يَضَعُوهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا ، فَأَمْهَلْ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ ، فَإِنَّهَا دَارُ الْهِجْرَةِ وَالسُّنَّةِ ، فَتَخْلُصَ بِأَهْلِ الْفِقْهِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ ، فَتَقُولَ مَا قُلْتَ مُتَمَكِّنًا ، فَيَعِيَ أَهْلُ الْعِلْمِ مَقَالَاتَكَ ، وَيَضَعُونَهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا . فَقَالَ عُمَرُ : أَمَا وَاللَّهِ - إِنْ شَاءَ

اللَّهُ - لَا أَقُومَنَّ بِذَلِكَ أَوَّلَ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فِي عَقَبِ ذِي الْحِجَّةِ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَجَلْتُ الرِّوَّاحَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ حَتَّى أَجِدَ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ جَالِسًا إِلَى رُكْنِ الْمِنْبَرِ ، فَجَلَسْتُ حَوْلَهُ تَمَسُّ رُكْبَتِي رُكْبَتَهُ ، فَلَمْ أَنْشَبْ ^(٥) أَنْ خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ مُقْبِلًا قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ : لَيَقُولَنَّ الْعَشِيَّةَ مَقَالَةً لَمْ يَقُلْهَا مُنْذُ اسْتُخْلِفَ . فَأَنْكَرَ عَلَيَّ وَقَالَ : مَا عَسَيْتَ أَنْ يَقُولَ مَا لَمْ يَقُلْ قَبْلَهُ ! فَجَلَسَ عُمَرُ عَلَى الْمِنْبَرِ فَلَمَّا سَكَتَ الْمُؤَدِّثُونَ قَامَ فَأَتَنِي عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي قَائِلٌ لَكُمْ مَقَالَةً قَدْ قُدِّرَ لِي أَنْ أَقُولَهَا ، لَا أَذْرِي لَعَلَّهَا بَيْنَ يَدَيَّ أَجَلِي ، فَمَنْ عَقَلَهَا وَوَعَاَهَا فَلْيُحَدِّثْ بِهَا حَيْثُ انْتَهَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ ، وَمَنْ خَشِيَ أَنْ لَا يَعْقِلَهَا فَلَا أُحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَكْذِبَ عَلَيَّ ، إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ ، فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الرَّجْمِ ، فَقَرَأْنَاهَا وَعَقَلْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا ، وَرَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ ، فَأَخْشَى إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ : وَاللَّهِ مَا نَجِدُ آيَةَ الرَّجْمِ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةِ أَنْزَلَهَا اللَّهُ ، وَالرَّجْمُ فِي كِتَابِ اللَّهِ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أَحْصَيْنَا مِنَ الرِّجَالِ

تسعة وثلاثين أو خمسًا وثلاثين ، وشلت أصبعه» أي السبابة

والتي تليها.

(٤) البخاري - الفتح ٧ (٤٠٦٣).

(٥) فلم أنشب: أى فلم ألبث.

(١) رأيت يد طلحة : أي ابن عبيد الله .

(٢) شلاء : بفتح المعجمة وتشديد اللام مع المد أي أصابها

الشلل ، وهو ما يبطل عمل الأصابع أو بعضها .

(٣) وقى بها النبي ﷺ يوم أحد: وقع بيان ذلك عند الحاكم في

«الإكليل» من طريق موسى بن طلحة « جرح يوم أحد

وَالنِّسَاءَ إِذَا قَامَتِ الْبَيْتَةُ أَوْ كَانَ الْحَبْلُ أَوْ الْإِعْتِرَافُ. ثُمَّ إِنَّا كُنَّا نَقْرَأُ فِيهَا نَقْرَأُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، أَنْ لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ؛ فَإِنَّهُ كُفِّرَ بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ - أَوْ إِنْ كُفِّرَ بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ - أَلَا تُمِّنُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَا تُطْرُونِي كَمَا أُطْرِيَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ. ثُمَّ إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ قَائِلًا مِنْكُمْ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ بَايَعْتُ فَلَانًا، فَلَا يَغْتَرَّنَ أَمْرُؤُا أَنْ يَقُولَ إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةً^(١) وَتَمَّتْ، أَلَا وَإِنَّمَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ وَقَى شَرَّهَا، وَلَيْسَ فِيكُمْ مَنْ تُقَطِّعُ الْأَغْنَاقُ إِلَيْهِ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ... الْحَدِيثُ)*^(٢).

٣-*(عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ قَالَ: كُنْتُ أَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ قِنِّي شُحَّ نَفْسِي، لَا يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ، فَقُلْتُ لَهُ^(٣)، فَقَالَ: إِنِّي إِذَا وُقِيتُ شُحَّ نَفْسِي لَمْ أَسْرِقْ، وَلَمْ أَزْنِ، وَلَمْ أَفْعَلْ شَيْئًا، وَإِذَا الرَّجُلُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ)*^(٤).

٤-*(عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: إِنْ نَجَوْتُ مِنْ ثَلَاثٍ طَمَعْتُ أَنْ أَنْجُو، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ مَاهِنًا، أَنْبِيكَ فِيهِنَّ؟ قَالَ: أَخْرِجُ الْمَالَ الْعَظِيمَ فَأَخْرِجْهُ ضِرَارًا ثُمَّ أَقُولُ: أَقْرِضْ رَبِّي هَذِهِ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ تَعُودُ نَفْسِي

فِيهِ حَتَّى أُعِيدَهُ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُهُ، وَإِنْ نَجَوْتُ مِنْ شَأْنِ عُثْمَانَ، قَالَ ابْنُ صَفْوَانَ: أَمَّا عُثْمَانُ فَقُتِلَ يَوْمَ قِتْلٍ، وَأَنْتَ تُحِبُّ قِتْلَهُ وَتَرْضَاهُ، فَأَنْتَ مِمَّنْ قَتَلَهُ، وَأَمَّا أَنْتَ فَرَجُلٌ لَمْ يَقْكِ اللَّهُ شُحَّ نَفْسِكَ قَالَ: صَدَقْتَ)*^(٥).

٥-*(قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ (التغابن / ١٦) قَالَ: مَنْ وَقِيَ شُحَّ نَفْسِهِ فَلَمْ يَأْخُذْ مِنَ الْحَرَامِ شَيْئًا، وَلَمْ يَقْرَبْهُ، وَلَمْ يَدْعُ الشُّحَّ أَنْ يَحْبِسَ مِنَ الْحَلَالِ شَيْئًا، فَهُوَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ)*^(٦).

٦-*(عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (التحریم / ٦) اَعْمَلُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَاتَّقُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ، وَمُرُوا أَهْلِيكُمْ بِالذِّكْرِ يُنْجِكُمْ اللَّهُ مِنَ النَّارِ)*^(٧).

٧-*(وَقَالَ الطَّبْرِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ...﴾ (أَيَّ عَلِمُوا بَعْضَكُمْ مَا تَقُونُ بِهِ مِنْ تَعْلُمُونَهُ النَّارَ، وَتَدْفَعُونَهَا عَنْهُ إِذَا عَمِلَ بِهِ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَاعْمَلُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ)*^(٨).

٨-*(عَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: مَنْ أَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ فَقَدْ وَقِيَ شُحَّ نَفْسِهِ)*^(٩).

٩-*(وَعَنْ عَلِيٍّ وَقَتَادَةَ وَمُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ...﴾ قُوا أَنْفُسَكُمْ بِأَفْعَالِكُمْ، وَقُوا

(١) فلتة: أراد بالفلتة الفجأة، ومثل هذه البيعة جديرة بأن تكون مهيجة للشر والفتنة فعصم الله تعالى من ذلك ووقى، والفلتة: كل شيء فعل من غير روية، وإنما بودر بها خوف انتشار الأمر. وقيل: أراد بالفلتة: الخلسة، أي أن الإمامة يوم السقيفة مالت الأنفس إلى توليها فما قلدها أبو بكر إلا انتزاعاً من الأيدي واختلاساً.

(٢) البخاري - الفتح ١٢ (٦٨٣٠).

(٣) أي: فقلت له في ذلك.

(٤) جامع البيان (٤٢/١٢) والقرطبي (٢١/٩).

(٥) المرجع السابق (٤٢/١٢).

(٦) المرجع السابق (٤٢/١٢) والقرطبي (٢١/٩).

(٧) المرجع السابق (١٥٧/١٢).

(٨) المرجع السابق (١٥٦/١٢).

(٩) روح المعاني للآلوسي (٥٤/٢٨).

أَهْلِيكُمْ بِوَصِيَّتِكُمْ)*^(١).
وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴿يَا رَسُولَ اللَّهِ نَقِي أَنْفُسَنَا، فَكَيْفَ لَنَا
بِأَهْلِينَا؟ فَقَالَ «تَنْهَوْنَهُمْ عَمَّا نَهَاكُمُ اللَّهُ، وَتَأْمُرُونَهُمْ بِمَا
أَمَرَ اللَّهُ»)*^(٢).

١٠- * (عَنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: لَمَّا

نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ

من فوائد « الوقاية »

انظر : فوائد صفة « الحذر »

الولاء والبراء

الآيات	الأحاديث	الآثار
٦٩	٣١	١٩

الولاء لغة:

مَصْدَرٌ وَآلِي يُوَالِي وَهُوَ مَا أُخُوذُ مِنْ مَادَّةٍ (وَلَى) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْقُرْبِ، يُقَالُ تَبَاعَدَ بَعْدَ وَلِيٍّ أَيْ قُرْبٍ، وَجَلَسَ مِمَّا يَلِينِي أَيْ يُقَارِبُنِي، وَالْوَلِيُّ: الْمَطْرُ يُجِيءُ بَعْدَ الْوَسْمِيِّ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَلِيهِ، قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: وَمِنْ الْبَابِ الْمَوْلَى: الْمُعْتَقُ وَالْمُعْتَقُ، وَالصَّاحِبُ وَالْحَلِيفُ، وَابْنُ الْعَمِّ وَالنَّاصِرُ وَالْجَارُ، كُلُّ هَؤُلَاءِ مِنَ الْوَلِيِّ، وَهُوَ الْقُرْبُ، وَكُلُّ مَنْ وَلِيَ أَمْرًا آخَرَ فَهُوَ وَلِيُّهُ. وَفُلَانٌ أَوْلَى بِكَذَا، أَيْ آخَرَى وَأَجْدَرُ^(١).

وَقَالَ الرَّاعِبُ: الْوَلَاءُ وَالْتَوَالِي أَنْ يَحْصُلَ شَيْئَانِ فَصَاعِدًا لَيْسَ بَيْنَهُمَا مَا لَيْسَ مِنْهُمَا، وَيُسْتَعَارُ ذَلِكَ لِلْقُرْبِ مِنْ حَيْثُ الْمَكَانُ، وَمِنْ حَيْثُ النِّسْبَةُ، وَمِنْ حَيْثُ الدِّينِ وَمِنْ حَيْثُ الصَّدَاقَةُ وَالنُّصْرَةُ وَالْإِعْتِقَادُ، وَالْوِلَايَةُ (بِالْكَسْرِ) النُّصْرَةُ، وَالْوِلَايَةُ (بِالْفَتْحِ) تَوَلَّى الْأَمْرَ، وَقِيلَ هُمَا لُغَتَانِ مِثْلُ الدَّلَالَةِ وَالِدِلَالَةِ، وَالْوَلِيُّ وَالْمَوْلَى يُسْتَعْمَلَانِ مَعًا فِي مَعْنَى الْفَاعِلِ، أَيْ الْمُوَالِي وَفِي مَعْنَى الْمَفْعُولِ، أَيْ الْمُوَالَى يُقَالُ لِلْمُؤْمِنِ: هُوَ وَلِيُّ اللَّهِ وَلَا يُقَالُ فِي ذَلِكَ مَوْلَى، وَلَكِنْ يُقَالُ: اللَّهُ تَعَالَى وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وَمَوْلَاهُمْ، فَمِنْ الْأَوَّلِ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (البقرة/ ٢٥٧) وَمِنْ الثَّانِي قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (الحج/ ٧٨) وَالْوَالِي فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ

دُونِهِ مِنْ وَلٍ﴾ (الرعد/ ١١) مَعْنَاهُ الْوَلِيُّ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ (مريم/ ٥) أَيْ ابْنًا يَكُونُ مِنْ أَوْلِيَائِكَ^(٢).

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْوَلِيُّ: الْقُرْبُ وَالْدُنُو، وَمَعْنَى «كُلُّ مِمَّا يَلِيكَ» أَيْ مِمَّا يُقَارِبُكَ، يُقَالُ مِنْ ذَلِكَ، وَلِي يَلِي بِكَسْرِ اللَّامِ فِيهِمَا، وَأَوَّلِيَّتُهُ الشَّيْءَ فَوَلِيَّتُهُ، وَكَذَلِكَ وَلِي الْوَالِي الْبَلَدَ، وَوَلِيَ الرَّجُلُ الْبَيْعَ وَلَايَةً فِيهِمَا، وَتَوَلَّى عَنْهُ: أَعْرَضَ، وَوَلَّى هَارِبًا: أَذْبَرَ، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيُهَا﴾ أَيْ مُسْتَقْبِلُهَا بِوَجْهِهِ.

وَالْوَلِيُّ ضِدُّ الْعَدُوِّ وَالْمُوَالَاةُ ضِدُّ الْمُعَادَاةِ، وَيُقَالُ: بَيْنَهُمَا وَلَاءٌ بِالْفَتْحِ: أَيْ قَرَابَةٌ وَوَالِي بَيْنَهُمَا وَلَاءٌ (بِالْكَسْرِ) أَيْ تَابَعٌ، وَالْوِلَايَةُ بِالْكَسْرِ: السُّلْطَانُ وَالْوِلَايَةُ (بِالْفَتْحِ) وَالْكَسْرِ) النُّصْرَةُ، يُقَالُ هُمْ عَلَى وَلَايَةٍ. أَيْ مُجْتَمِعُونَ فِي النُّصْرَةِ، وَقَالَ سِيبَوَيْهِ: الْوِلَايَةُ بِالْفَتْحِ: الْمَصْدَرُ وَالْوِلَايَةُ بِالْكَسْرِ: الْأَسْمُ مِثْلُ الْإِمَارَةِ وَالنِّقَابَةِ؛ لِأَنَّهُ اسْمٌ لِمَا تَوَلَّيْتَهُ وَقُمْتَ بِهِ فَإِذَا أَرَادُوا الْمَصْدَرَ فَتَحُوا^(٣).

وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: وَالْوِلَايَةُ عَلَى الْإِيمَانِ وَاجِبَةٌ، وَالْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَالْمَوْلَى: الْحَلِيفُ وَهُوَ مَنْ انْضَمَّ إِلَيْكَ فَعَزَّ بِعِزِّكَ وَامْتَنَعَ بِمَنْعَتِكَ.

وَالْمَوْلَى: الْمُعْتَقُ انْتَسَبَ بِنَسَبِكَ، وَلِهَذَا قِيلَ لِلْمُعْتَقِينَ الْمُوَالِي^(٤).

وَقَالَ الْفَرَّاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ

(١) مقاييس اللغة (٦/ ١٤١).

(٢) المفردات ٥٢٤، الصحاح (٦/ ٢٥٢٨).

(٣) الصحاح (٦/ ٢٥٢٨).

(٤) للمولى معانٍ أخرى عديدة ذكر منها ابن الأثير: الرب =

اتَّخَذَهُ وَلِيًّا . وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾
(البقرة/ ٢٥٧). وَلِيُّهُمْ فِي نَصْرِهِمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ،
وَإِظْهَارِ دِينِهِمْ عَلَى دِينِ مُخَالِفِيهِمْ، وَقِيلَ: وَلِيُّهُمْ أَيُّ
يَتَوَلَّى ثَوَابَهُمْ وَمُجَازَاتَهُمْ بِحُسْنِ أَعْمَالِهِمْ^(١).

الموالة اصطلاحاً:

هِيَ التَّقَرُّبُ وَإِظْهَارُ الْوُدِّ بِالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ
وَالنَّوَايَا، لِمَنْ يَتَّخِذُهُ الْإِنْسَانُ وَلِيًّا، فَإِنْ كَانَ هَذَا التَّقَرُّبُ
وَالْوُدُّ مَقْصُودًا بِهِ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ، فَهِيَ الْمُوَالَاةُ
الشَّرْعِيَّةُ الْوَاجِبَةُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَإِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ
هُمُ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ، عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهِمْ، فَهِيَ
مُوَالَاةُ كُفْرٍ وَرِدَّةٍ عَنِ الْإِسْلَامِ^(٢).

أَمَّا الْوَلِيُّ: فَلَهُ مَعَانٍ اصْطِلَاحِيَّةٌ عَدِيدَةٌ مِنْهَا:
الْوَلِيُّ: هُوَ الَّذِي يَتَوَلَّاهُ اللَّهُ بِالطَّاعَةِ وَيَتَوَلَّاهُ اللَّهُ
بِالْكَرَامَةِ. ذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو حَيَّانَ^(٣).

وَقَالَ الْجُرْجَانِيُّ: هُوَ مَنْ تَوَلَّى طَاعَاتَهُ مِنْ غَيْرِ
أَنْ يَتَخَلَّلَهَا عَصِيَانٌ^(٤).

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ: وَالْمُرَادُ بِوَلِيِّ اللَّهِ الْعَالِمُ بِاللَّهِ تَعَالَى
الْمُؤَاطِبُ عَلَى طَاعَتِهِ الْمُخْلِصُ فِي عِبَادَتِهِ^(٥).

وَقِيلَ إِنَّ لَفْظَ الْمُوَالَاةِ مُشْتَقٌّ مِنَ الْوَلَاءِ، وَهُوَ
الدُّنُوُّ وَالتَّقَرُّبُ، وَالْوِلَايَةُ ضِدُّ الْعَدَاوَةِ، وَالْوَلِيُّ عَكْسُ
الْعَدُوِّ، وَالْمُؤْمِنُونَ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ، وَالْكَافِرُونَ أَوْلِيَاءُ
الطَّاغُوتِ وَالشَّيْطَانِ، لِقُرْبِ الْفَرِيقِ الْأَوَّلِ مِنَ اللَّهِ
بِطَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ. وَقُرْبِ الْفَرِيقِ الثَّانِي مِنَ الشَّيْطَانِ

الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ
وظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ ﴿الْمُمْتَحَنَةُ/ ٩﴾
أَيُّ تَنْصُرُوهُمْ، يَعْنِي أَهْلَ مَكَّةَ، جُعِلَ التَّوَلَّى هُنَا بِمَعْنَى
النَّصْرِ مِنَ الْوَلِيِّ وَهُوَ النَّاصِرُ، وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:
مَنْ تَوَلَّانِي فَلْيَتَوَلَّ عَلِيًّا؛ مَعْنَاهُ مَنْ نَصَرَنِي فَلْيَنْصُرْهُ،
وَالْمُوَالَاةُ (فِي كَلَامِ الْعَرَبِ) عَلَى وَجْهِهِ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَتَشَاجَرَ اثْنَانِ فَيَدْخُلَ ثَالِثٌ بَيْنَهُمَا
لِلصُّلْحِ، وَيَكُونُ لَهُ فِي أَحَدِهِمَا هَوًى فَيُوَالِيهِ أَوْ يُجَاهِيهِ.
الثَّانِي: الْمُوَالَاةُ: الْمَحَبَّةُ، يُقَالُ: وَالِي فُلَانٌ فُلَانًا إِذَا
أَحَبَّهُ.

الثَّلَاثُ: التَّمْيِيزُ. قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: سَمِعْتُ الْعَرَبَ
تَقُولُ: وَالُوا حَوَاشِي نَعْمِكُمْ عَنْ جِلَّتِهَا أَيُّ: اغْزَلُوا
صِغَارَهَا عَنْ كِبَارِهَا، يُقَالُ: وَالَيْنَاهَا فَتَوَلَّتْ إِذَا تَمَيَّزَتْ.
وَالْوَلِيُّ: الصَّدِيقُ وَالنَّصِيرُ، وَقِيلَ التَّابِعُ الْمُحِبُّ،
وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ فِي قَوْلِهِ ﷺ «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ
مَوْلَاهُ، أَيُّ مَنْ أَحَبَّنِي وَتَوَلَّانِي فَلْيَتَوَلَّهُ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ:
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَعْنِي بِذَلِكَ وَلَاءَ الْإِسْلَامِ، كَقَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا
مَوْلَى لَهُمْ﴾ (محمد/ ١١).

وَالْمُوَالَاةُ ضِدُّ الْمُعَادَاةِ، وَالْوَلِيُّ ضِدُّ الْعَدُوِّ، قَالَ
تَعَالَى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ
الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (مريم: ٤٥).

قَالَ ثَعْلَبٌ: كُلُّ مَنْ عَبَدَ شَيْئًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ

(٢) الموالة والمعاداة في الشريعة الإسلامية لمحساس بن عبد الله
الجلعود (٢٨)، وانظر أيضا كتاب الإيمان للدكتور محمد
نعيم ياسين.

(٣) البحر المحيط (١٧٥/٥).

(٤) التعريفات للجرجاني (٢٠٥).

(٥) فتح الباري (٢٩٣/١٣).

= والمالك، والسيد والمنعم، والمعتق، والناصر، والمحِب،
والتابع، والجار، وابن العم، والحليف والعقيد، والصهر،
والعبد، والمعتق، والمنعم عليه. وأكثرها جاء في الحديث
ويضاف كل واحد إلى ما يقتضيه الحديث الوارد فيه. انظر
النهاية (٢٢٨/٥).

(١) لسان العرب (٤٠٦/١٥ - ٤٠٩).

بِطَاعَةِ أَمْرِهِ وَبُعْدِهِمْ عَنِ اللَّهِ بِعُضْيَانِهِ وَمُخَالَفَتِهِ^(١).
 قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: الْوَلَايَةُ: ضِدُّ
 الْعَدَاوَةِ. وَأَصْلُ الْوَلَايَةِ: الْمَحَبَّةُ وَالتَّقَرُّبُ، وَأَصْلُ
 الْعَدَاوَةِ: الْبُغْضُ وَالتَّبَعْدُ. فَإِذَا كَانَ وَلِيُّ اللَّهِ هُوَ الْمُوَافِقُ
 الْمُتَابِعُ لَهُ فِيهَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَيُبْغِضُهُ وَيُسْخِطُهُ
 وَيَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ، كَانَ الْمُعَادِي لَوْلِيَّهِ مُعَادِيًا لَهُ.
 كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي
 وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ﴾ (المتحنة: ١).
 فَمَنْ عَادَى أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فَقَدْ عَادَاهُ، وَمَنْ عَادَاهُ فَقَدْ
 حَارَبَهُ^(٢).

وَمُسَمَّى الْمُوَالَاةِ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ: يَقَعُ عَلَى شُعَبٍ
 مُتَفَاوِتَةٍ، مِنْهَا مَا يُوجِبُ الرِّدَّةَ وَذَهَابَ الْإِسْلَامِ بِالْكُلِّيَّةِ
 وَمِنْهَا مَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ مِنَ الْكِبَائِرِ وَالْمُحَرَّمَاتِ^(٣).

معنى الولي من أسماء الله الحسنى :

وَالْوَلِيُّ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى وَهُوَ النَّاصِرُ،
 وَقِيلَ: الْمُتَوَلَّى لِأُمُورِ الْعَالَمِ وَالْخَلَائِقِ، الْقَائِمُ بِهَا.
 وَقَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : هُوَ الْمَحِبُّ
 النَّاصِرُ، وَمَعْنَى مَحَبَّتِهِ قَدْ جَاءَ فِي صِفَةِ الْمَحَبَّةِ وَمَعْنَى
 نَصْرَتِهِ ظَاهِرٌ فَإِنَّهُ يَقْمَعُ أَعْدَاءَ الدِّينِ وَيَنْصُرُ أَوْلِيَاءَهُ.
 قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وَقَالَ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ
 اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾^(٤).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: وَأَمَّا الْجُمْهُورُ
 فَيَقُولُونَ: الْوَلَايَةُ وَالْعَدَاوَةُ وَإِنْ تَضَمَّنَتَا مَحَبَّةَ اللَّهِ
 وَرِضَاهُ وَبُغْضَهُ وَسَخْطَهُ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ يَرْضَى عَنِ
 الْإِنْسَانِ وَيُحِبُّهُ، بَعْدَ أَنْ يُؤْمِنَ وَيَعْمَلَ صَالِحًا، وَإِنَّمَا
 يَسْخَطُ عَلَيْهِ وَيَبْغِضُ بَعْدَ أَنْ يَكْفُرَ^(٥).

قَالَ الْقَحْطَانِيُّ: وَالْوَلَاءُ وَالْوَلَايَةُ: هِيَ النُّصْرَةُ
 وَالْمَحَبَّةُ وَالْإِكْرَامُ وَالْإِحْتِرَامُ وَالْكَوْنُ مَعَ الْمَحْبُوبِينَ
 ظَاهِرًا وَبَاطِنًا. قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمُ
 مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ
 الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ (البقرة/ ٢٥٧).
 فَمُوَالَاةُ الْكُفَّارِ تَعْنِي التَّقَرُّبَ إِلَيْهِمْ وَإِظْهَارَ
 الْوُدِّ لَهُمْ بِالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَالنَّوَايَا^(٦).

من معاني الموالاتة في القرآن الكريم:

وَرَدَّتْ لِلْفِظِ الْوَلَايَةِ وَمَا اشْتَقَّ مِنْهَا الْوُجُوهُ
 الْآتِيَّةُ:

١ - الْمَوْلَى: بِمَعْنَى الْوَلَدِ، وَذَلِكَ قَوْلُ زَكَرِيَّا فِي
 (سُورَةِ مَرْيَمَ / ٥): ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ يَعْنِي
 الْوَلَدَ.

٢ - الْوَلِيُّ: يَعْنِي الصَّاحِبَ مِنْ غَيْرِ قَرَابَةٍ،
 وَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي (سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ / ١١١): ﴿وَلَمْ يَكُنْ
 لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ﴾ يَعْنِي لَمْ يَكُنْ لَهُ صَاحِبٌ يَتَعَزَّزُ بِهِ مِنْ
 ذُلٍّ، وَكَقَوْلِهِ فِي (سُورَةِ الْكَهْفِ / ١٧): ﴿وَمَنْ يَضِلَّ
 فَلَنْ نَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ يَعْنِي صَاحِبًا مُرْشِدًا.

٣ - الْوَلِيُّ: يَعْنِي الْقَرَابَةَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي
 (سُورَةِ فَصَلَتْ / ٣٤) ﴿كَأَنَّهُ وَلِيُّ حَمِيمٍ﴾ يَعْنِي: قَرِيبًا
 وَقَالَ فِي (سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ / ٢٢): ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يَعْنِي مِنْ قَرِيبٍ يَمْنَعُكُمْ، يَعْنِي الْكُفَّارَ.

٤ - الْوَلِيُّ: يَعْنِي الرَّبَّ وَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي (سُورَةِ
 الْأَنْعَامِ / ١٤): ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَخَذُ وَلِيًّا﴾ يَعْنِي رَبًّا.
 ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. وَقَالَ فِي (سُورَةِ
 يُونُسَ / ٣٠): ﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ﴾ يَعْنِي

(٤) الرسائل المفيدة لعبد الله آل الشيخ (٤٣).

(٥) الفتاوى (٧/ ٤٤٢).

(٦) الولاء والبراء (٨٩ - ٩٠).

(١) كتاب الايمان لنعيم ياسين (١٩٠).

(٢) المقصد الأسنى (١٢٩).

(٣) الفرقان لابن تيمية (٧).

أَوْلِيَاءُ ﴿ يَعْنِي فِي النَّصِيحَةِ . وَقَالَ فِي (آلِ عِمْرَانَ / ٢٨) ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ ﴾ يَعْنِي فِي النَّصِيحَةِ ﴿ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(١) .

الموالاتة بين المدح والذم:

المُوَالَاةُ إِذَا كَانَتْ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَرَبِّهِ أَوْ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضِهِمْ وَبَعْضٍ فَهِيَ المُوَالَاةُ المَحْمُودَةُ المَأْمُورُ بِهَا شَرْعًا، وَهِيَ الَّتِي تُورِثُ الْعِزَّ فِي الدُّنْيَا وَتُكْسِبُ الْفُوزَ وَالنَّجَاةَ فِي الْآخِرَةِ، أَمَّا إِذَا كَانَتْ المُوَالَاةُ بَيْنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ بَعْضِهِمْ وَبَعْضٍ أَوْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الشَّيْطَانِ، أَوْ تِلْكَ الَّتِي يَكُونُ الْكَافِرُ أَوْ الشَّيْطَانُ طَرَفًا فِيهَا فَهِيَ المُوَالَاةُ المَذْمُومَةُ الْمَنْهِي عَنْهَا، وَهِيَ الَّتِي تُورِثُ ذُلَّ الدُّنْيَا وَغَضَبَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَهَذِهِ الْآخِرَةُ تَبَرُّأٌ مِنْهَا أَطْرَافُهَا وَلَا يُغْنِي بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ شَيْئًا فِي الْآخِرَةِ.

يَقُولُ الرَّاعِبُ: نَفَى اللَّهُ تَعَالَى الْوِلَايَةَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي غَيْرِ آيَةٍ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ (المائدة / ١٥)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (المتحنة / ١) وَجَعَلَ سُبْحَانَهُ بَيْنَ الْكَافِرِينَ وَالشَّيَاطِينِ مُوَالَاةً فِي الدُّنْيَا، وَنَفَى بَيْنَهُمُ المُوَالَاةَ فِي الْآخِرَةِ قَالَ سُبْحَانَهُ فِي المُوَالَاةِ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا ﴿وَالْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ (التوبة / ٦٧) وَقَالَ سُبْحَانَهُ ﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (الأعراف / ٣٠) وَلَمَّا جَعَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الشَّيْطَانِ مُوَالَاةً، جَعَلَ لِلشَّيْطَانِ فِي الدُّنْيَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا، وَمِنْ نَفْيِ المُوَالَاةِ بَيْنَهُمْ فِي

عبد المنعم أحمد (٢٤٩-٢٥١)، و نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي، ت/ محمد عبد الكريم كاظم (٦١٣-٦١٤).

رَبِّهِمْ.

٥ - الْوَلِيُّ: يَعْنِي الْعَوْنُ، وَذَلِكَ فِي الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (محمد / ١١) يَعْنِي وَلِيُّهُمْ فِي الْعَوْنِ لَهُمْ.

٦ - الْوَلِيُّ: يَعْنِي الْإِلَهَةُ وَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي (سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ / ٤١) ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يَعْنِي إِلَهَةً وَكَقَوْلِهِ فِي (سُورَةِ الشُّورَى / ٦) ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يَعْنِي إِلَهَةً ﴿اللَّهُ حَفِيزٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.

٧ - الْوَلِيُّ: يَعْنِي الْعَصْبَةُ. وَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي (سُورَةِ مَرْيَمَ / ٥): ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾ يَعْنِي الْعَصْبَةَ مِنْ بَعْدِي. وَكَقَوْلِهِ فِي (سُورَةِ النَّسَاءِ / ٣٣) ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ يَعْنِي الْعَصْبَةَ.

٨ - الْوَلِيُّ: يَعْنِي الْوِلَايَةَ فِي دِينِ الْكُفْرِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي (سُورَةِ الْمُجَادَلَةِ / ١٤) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ تَوَلَّوْا الْيَهُودَ فِي الدِّينِ.

٩ - الْوَلِيُّ: يَعْنِي الْوِلَايَةَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي (سُورَةِ الْمَائِدَةِ / ٥٥) ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ وَقَالَ فِي (سُورَةِ بَرَاءَةِ / ٧١) ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ يَعْنِي فِي الدِّينِ.

١٠ - الْوَلِيُّ: يَعْنِي الْمَوْلَى الَّذِي تُعْتَقُهُ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي (سُورَةِ الْأَحْزَابِ / ٥) ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ يَعْنِي الْمَوْلَى الَّذِي تُعْتَقُهُ.

١١ - الْوَلِيُّ: يَعْنِي الْوَلِيَّ فِي النَّصِيحِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي (سُورَةِ الْمُتَحَنَةِ / ١) ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ

(١) التصارييف، تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه، وتصرفت معانيه ليحيى بن سلام (٢٣٥-٢٣٧)، كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر لابن العماد / فؤاد

الْآخِرَةَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا﴾ (الدخان / ٤١).

البراء لغة:

مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ: بَرِئْتُ مِنْكَ، وَهُوَ مَا أُخِذَ مِنْ مَادَّةٍ (بَ رَأ) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى التَّبَاعُدِ مِنَ الشَّيْءِ وَمُزَايَلَتِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ: الْبُرْءُ وَهُوَ السَّلَامَةُ مِنَ السَّقَمِ، وَالْوَصْفُ مِنْ ذَلِكَ: بَرَاءٌ عَلَى لُغَةِ أَهْلِ الْحِجَازِ وَأَنَا بَرِيءٌ مِنْكَ عَلَى لُغَةِ غَيْرِهِمْ وَقَدْ جَاءَتْ اللَّغَتَانِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (الزخرف / ٢٦)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾ (الحشر / ١٦) وَمَنْ قَالَ إِنِّي بَرَاءٌ لَمْ يَثْنِ وَلَمْ يُؤْنِثْ، وَمَنْ قَالَ: بَرِيءٌ قَالَ (فِي الْمُؤَنَّثِ بَرِيئَةٌ) وَفِي الْمُثَنَّى بَرِيئَانِ وَفِي الْجَمْعِ: بَرِيئُونَ وَبُرَاءٌ وَبُرَاءٌ، وَالْبَرَاءَةُ تَكُونُ مِنَ الْعَيْبِ وَالْمَكْرُوهِ وَنَحْوِهِمَا، فَقَوْلُ: بَرِئْتُ مِنْكَ وَمِنْ الدُّيُونِ وَالْعُيُوبِ بَرَاءَةٌ وَبَرِئْتُ مِنَ الْمَرَضِ بَرَاءً، وَأَهْلُ الْحِجَازِ يَفْتَحُونَ الرَّاءَ فِي الْفِعْلِ وَالْبَاءَ فِي الْمَصْدَرِ فَيَقُولُونَ بَرَأْتُ بَرَاءً، وَبَارَأْتُ شَرِيكِي إِذَا فَارَقْتَهُ.

وَقَالَ الرَّائِبِيُّ: أَصْلُ الْبُرْءِ وَالْبَرَاءِ وَالتَّبَرُّؤِ التَّفَصُّي (التَّبَاعُدِ) مِمَّا يُكْرَهُ مُجَاوَرَتُهُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: بَرَأْتُ مِنَ الْمَرَضِ، وَمِنْ فُلَانٍ وَتَبَرَأْتُ وَأَبْرَأْتُهُ مِنْ كَذَا، وَبَرَأْتُهُ.

وَيُقَالُ: بَرِيءٌ إِذَا تَخَلَّصَ، وَبَرِيءٌ إِذَا تَنَزَّهَ وَتَبَاعَدَ، وَبَرِيءٌ إِذَا أَعْذَرَ وَأَنْذَرَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (التوبة / ١) أَيْ إِعْذَارٌ وَإِنْذَارٌ، وَالْبَرَاءُ وَالْبَرِيءُ سَوَاءٌ.

وَلَيْلَةُ الْبَرَاءِ: لَيْلَةٌ يَتَبَرَّأُ الْقَمَرُ مِنَ الشَّمْسِ وَهِيَ

أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنَ الشَّهْرِ^(١).

البراء اصطلاحًا:

الْبَرَاءَةُ هِيَ انْقِطَاعُ الْعِصْمَةِ، يَقُولُ أَبُو حَيَّانٍ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ (التوبة / ١) يُقَالُ: بَرِئْتُ مِنْ فُلَانٍ إِذَا انْقَطَعَتْ بَيْنَنَا الْعِصْمَةُ^(٢).

وَقَالَ الْأَلُوسِيُّ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ السَّابِقَةِ: هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ إِنْهَاءِ حُكْمِ الْأَمَانِ وَرَفْعِ الْخَطَرِ الْمُتَرْتَّبِ عَلَى الْعَهْدِ السَّابِقِ^(٣).

وَقِيلَ: الْبُعْدُ وَالْخَلَاصُ وَالْعِدَاوَةُ بَعْدَ الْإِعْذَارِ وَالْإِنْذَارِ.

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعْدِيٍّ: وَحَيْثُ إِنَّ الْوَلَاءَ وَالْبَرَاءَ تَابِعَانِ لِلْحُبِّ وَالْبُغْضِ فَإِنَّ أَصْلَ الْإِيْمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ أَنْبِيََاءَهُ وَتَتَّبَعَهُمْ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ أَعْدَاءَهُ وَأَعْدَاءَ رُسُلِهِ^(٤).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يُعَادِيَ فِي اللَّهِ، وَيُؤَالِيَ فِي اللَّهِ، فَإِنْ كَانَ هُنَاكَ مُؤْمِنٌ فَعَلَيْهِ أَنْ يُؤَالِيَهُ - وَإِنْ ظَلَمَهُ - فَإِنَّ الظُّلْمَ لَا يَقْطَعُ الْمُؤَالَاةَ الْإِيْمَانِيَّةَ. وَإِذَا اجْتَمَعَ فِي الرَّجُلِ الْوَاحِدِ: خَيْرٌ وَشَرٌّ وَفُجُورٌ وَطَاعَةٌ، وَمَعْصِيَةٌ وَسُنَّةٌ، وَبِدْعَةٌ اسْتَحَقَّ مِنَ الْمُؤَالَاةِ وَالشَّوَابِ بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ. وَاسْتَحَقَّ مِنَ الْمُعَادَاةِ وَالْعِقَابِ بِحَسَبِ مَا فِيهِ مِنَ الشَّرِّ^(٥).

[للاستزادة: انظر صفات: الاتباع - التودد - الطاعة - المحبة - الإيْمَان - الإسلام - تعظيم الحرمات. وفي ضد ذلك: انظر صفات: موالاة الكفار - اتباع الهوى - الابتداع - الإصرار على الذنب - انتهاك الحرمات].

(١) لسان العرب (٣٢/١٣، ٣٣).

(٢) تفسير البحر المحيط (٦/٥).

(٣) روح المعاني للألوسي (٤٣/١٠).

(٤) الفتاوى السعدية (١ / ٩٨).

(٥) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٨ - ٢٠٩).

الآيات الواردة في « الولاء والبراء »

الموالاة تكون لله وحده:

١- ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٦)

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٧) (١)

٢- إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا

وَلَا تُشْغِلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (١١٩)
وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَى وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠) (٢)

٣- اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ

الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥٧) (٣)

٤- لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا

أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦) (٤)

٥- إِنْ أَوَّلَى النَّاسُ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٢٨) (٥)

٦- وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ الْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١)
إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢) (٦)

٧- يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا

الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (١٤٩)
بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (١٥٠) (٧)

٨- أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ (٤٤)
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا (٤٥) (٨)

(٧) آل عمران ١٤٩ - ١٥٠ مدنية

(٨) النساء ٤٤ - ٤٥ مدنية

(٤) البقرة ٢٨٦ مدنية

(٥) آل عمران ٦٨ مدنية

(٦) آل عمران ١٢١ - ١٢٢ مدنية

(١) البقرة ١٠٦ - ١٠٧ مدنية

(٢) البقرة ١١٩ - ١٢٠ مدنية

(٣) البقرة ٢٥٧ مدنية

٩- ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٧٤)

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ (١)

١٠- وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾

لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزِيهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ (٢)

١١- لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا

لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ (٣)

١٢- قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ

الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾

وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ (٤)

١٣- وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾

ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾ (٥)

١٤ - وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾

﴿١٢٦﴾ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ

بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجِنَ

قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ

مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا

أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ

فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾

وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا

بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ (١)

١٥ - وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ
وَفِي نُسخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ
لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾

وَأَخْبَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا

أَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمُ

مِن قَبْلُ وَإِنِّي أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ

إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ

أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ (٢)

١٦ - إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يُتَوَلَّى
الصَّالِحِينَ ﴿١٦٦﴾

وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ
نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٦٧﴾

وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ

يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٦٨﴾ (٣)

١٧ - وَمَا لَهُمُ الْأَيْدِيَّ بِهِمْ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ

عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ

إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ (٤)

١٨ - إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ

وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا

أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾

قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ

اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ

فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ (٥)

١٩ - يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ

عَلَيْهِمْ وَمَا وَنَهُمْ جَهَنَّمُ وَيُنْسِ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾

يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ

وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ سَوَاءٌ مِمَّنْ قَالُوا

وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ

فَإِنْ يَتُوبُوا إِلَيْكَ خَيْرٌ لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمْ

اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ

فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ (٦)

- ٢٠- وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلَوْا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾^(١)
- ٢١- وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ ۖ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾^(٢)
- ٢٢- أَلَا يَأْتِ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾^(٣)
- ٢٣- الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾^(٤)
- ٢٤- أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُجْرِمُونَ ﴿٢٥﴾^(٥)
- ٢٥- قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٢﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَبَكَ بِعُضِّ آلِ هَارُونَ بِسُوءٍ قَالَ إِنْ أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾^(٦)
- ٢٦- فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾^(٧)
- ٢٧- ﴿١١٤﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١١٥﴾^(٨)
- ٢٨- اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

(٧) هود : ١١٢ - ١١٣ مكية

(٨) يوسف : ١٠١ مكية

(٤) هود : ١٩ - ٢٠ مكية

(٥) هود : ٣٥ مكية

(٦) هود : ٥٣ - ٥٤ مكية

(١) يونس : ٢٨ - ٣٠ مكية

(٢) يونس : ٤٠ - ٤١ مكية

(٣) يونس : ٦٢ - ٦٣ مكية

الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿١﴾

سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ.

وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾

لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ.

مَنْ أَمَرَ اللَّهُ ابْنَ اللَّهِ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يُغَيِّرُوا

مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ.

وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾

٣٣- وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ

وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ

إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ

وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ

وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

وآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ

فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

٢٩- قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُ

مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا

قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي

الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ

فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ

وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾

٣٤- وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ

أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾

قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ

مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ

وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ

وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾

٣٠- وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلِيُنَبِّئَ

أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ

مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾

٣٥- قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا

أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ

وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٩﴾

٣١- وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ

فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

٣٦- وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا

وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾

٣٢- هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾

(٧) الفرقان : ١٧ - ١٨ مكية

(٨) الأحزاب : ١٧ مدنية

(٩) الشورى : ٢٨ مكية

(٤) الإسراء : ١١١ مكية

(٥) الكهف : ٤٤ مكية

(٦) الحج : ٧٨ مدنية

(١) الرعد : ٨ - ١١ مدنية

(٢) الرعد : ١٦ مدنية

(٣) الرعد : ٣٧ مدنية

٣٧- وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ ۖ وَتَرَى

الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ

هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾^(١)

٣٨- إِنَّهُمْ لَنْ يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤٥﴾^(٢)

٣٩- ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ

لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿٤٦﴾^(٣)

وجوب البراء من الكافرين وأعمالهم:

٤٢- وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا

يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا

لِللَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ

الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿٤٧﴾

إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا

الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿٤٨﴾

وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ لَتَرْجِفُنَّهُمْ

كَمَا تَرْجِفُ الْأَسَنَاءَ ۚ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ

حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿٤٩﴾^(٤)

٤٠- يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ

تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ

مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ

رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ

مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ

وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَن يُفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ

السَّبِيلِ ﴿٥٠﴾^(٥)

٤١- يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْلَغِي مَرْضَاتِ

أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥١﴾

قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَنِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ

وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٥٢﴾

وَإِذَا سَرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ

وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ ۖ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ

٤٣- ﴿٥٣﴾ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكُسَهُمْ

بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَن أَضَلَّ اللَّهُ

وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٥٤﴾

وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ فَلَا

تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهْجُرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

(٥) التحريم : ١ - ٤ مدنية

(٦) البقرة ١٦٥ - ١٦٧ مدنية

(٣) محمد : ١١ مدنية

(٤) الممتحنة : ١ مدنية

(١) الشورى : ٤٤ مكية

(٢) الجاثية : ١٩ مكية

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ
وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَنْخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا
وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾^(١)

٤٤ - بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾
الَّذِينَ يَتَخَذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ ابْتَغُوا عَنْهُمْ الْعِزَّةَ
فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾^(٢)

٤٥ - يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ
أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ
أَنْ يَجْعَلُوا اللَّهَ عَالِيَكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٤﴾^(٣)

٤٦ - قُلْ أَى شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
وَأُوحِيَ إِلَى هَٰذَا الْقُرْءَانِ لِأَنْذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ
لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ
قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرِّئُ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٤٩﴾
الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ
أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٠﴾^(٤)

٤٧ - وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَا زَرَأْتَنِ اتَّخَذُوا صَنَامًا
ءَالِهَةً إِنِّى أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧٤﴾
وَكَذَٰلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ
وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكَوْكَبَ قَالَ هَٰذَا رَبِّى
فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾
فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ
لَئِنْ لَّمْ يَهْدِنِ رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ
الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾

فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَا
أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُرِيدُونَ بِى بَرِّئُ مِمَّا
تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾
إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهَى لِذِى فَطَرِ السَّمٰوٰتِ
وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾^(٥)

٤٨ - بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ

مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾
فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ
غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾
وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ
أَلَّا كُفْرَ أَنَّ اللَّهَ بَرِّئُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ
فَإِنْ تَبَيَّنَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا
أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣﴾^(٦)

٤٩ - يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ
وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ

(٥) الأنعام : ٧٤ - ٧٩ مكية

(٦) التوبة : ١ - ٣ مدنية

(٣) النساء : ١٤٤ مدنية

(٤) الأنعام : ١٩ - ٢٠ مكية

(١) النساء : ٨٨ - ٨٩ مدنية

(٢) النساء : ١٣٨ - ١٣٩ مدنية

عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٢٣﴾^(١)

٥٠ - وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾
وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾
إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾^(٢)

٥١ - تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَرَزَيْنَا لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾^(٣)

٥٢ - وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾
فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٌّ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١١٩﴾
وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿١٢٠﴾
الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿١٢١﴾^(٤)

٥٣ - قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿١٢٢﴾^(٥)

٥٤ -

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ كُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿١٢٣﴾
أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ بَلْ لَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٤﴾

الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿١٢٥﴾^(٦)

٥٥ -

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿١٢٦﴾
قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِسْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿١٢٧﴾
فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٢٨﴾^(٧)

(٦) الأحزاب : ٤ - ٦ مدنية

(٧) سبأ : ٤٠ - ٤٢ مكية

(٤) الشعراء : ٢١٥ - ٢١٨ مكية

(٥) القصص : ٦٣ مكية

(١) التوبة : ٢٣ مدنية

(٢) التوبة : ١١٤ - ١١٦ مدنية

(٣) النحل : ٦٣ مكية

٥٦ - وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ

مِنْ دُوبِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣٦﴾^(١)

٥٧ - وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ

إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾

إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿٣٧﴾^(٢)

٥٨ - إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾

يَوْمَ لَا يَغْنَى مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ

يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾^(٣)

٥٩ - قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ

إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ

اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ

أَبَدًا حَتَّى تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ

لَا تَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ

رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾^(٤)

٦٠ - لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ

وَلَمْ يَخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٣﴾

إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ

وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ

أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٤﴾^(٥)

وجوب البراء من اليهود والنصارى:

٦١ - يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ

أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ

مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾^(٦)

وجوب موالاته المؤمنين :

٦٢ - يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ

يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا

يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ

وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ

الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾

وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ

هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾

يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا

وَلِعِبَاءَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ

أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّكُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُوعًا وَلِعِبَاءَ ذَلِكَ

بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾^(٧)

٦٣ - إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَّهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ

وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأَ وَنَصَرُوا

أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا

وَلَمْ يَهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ

حَتَّى يَهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ

فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ

مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ

تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾^(٨)

(٧) المائدة : ٥٤ - ٥٨ مدنية

(٨) الأنفال : ٧٢ - ٧٣ مدنية

(٤) الممتحنة : ٤ مدنية

(٥) الممتحنة : ٨ - ٩ مدنية

(٦) المائدة : ٥١ مدنية

(١) الشورى : ٣١ مكية

(٢) الزخرف : ٢٦ - ٢٧ مكية

(٣) الدخان : ٤٠ - ٤١ مكية

٦٤ - وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ
إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾^(١)

وجوب البراء من الأصنام وما شاكلها:

٦٥ - قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَخَذُوا لِيَافَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَهُوَ يُطْعِمُهُمْ وَلَا يُطْعِمُهُمْ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾^(٢)

٦٦ - وَذَرِ الَّذِينَ أَخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُوَ

وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ
أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ
اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ عَدْلٍ
لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا
لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ
بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾^(٣)

٦٧ - اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ
مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾^(٤)

براء الشيطان من الكافرين:

٦٨ - وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ

لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ
لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتْ الْفِتْنَانِ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ
وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ
إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾^(٥)

ثواب أولياء الله:

٦٩ - إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ

عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا
وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾

نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ
وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾

نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ
صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾

وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ

أَدْفَعُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي

بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾

وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا

إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾^(٦)

(٥) الأنفال : ٤٨ مدنية

(٦) فصلت : ٣٥ - ٣٠ مكية

(٣) الأنعام : ٧٠ مكية

(٤) السجدة : ٤ مكية

(١) التوبة : ٧١ مدنية

(٢) الأنعام : ١٤ مكية

الأحاديث الواردة في «الولاء والبراء»

٤ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ. وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ. وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَ بِي لِأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»*)^(٧).

٥ - * (عَنْ أَبِي أُمَامَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ»*)^(٨).

٦ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ زَيْنَبًا أبا رُوحَ وَجَدَ غُلَامًا مَعَ جَارِيَةٍ لَهُ، فَجَدَعَ أَنْفَهُ وَجَبَهُ^(٩)، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «مَنْ فَعَلَ

١ - * (عَنْ نَوْفَلٍ (أَبِي فَرْوَةَ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِنَوْفَلٍ: «اقْرَأْ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ثُمَّ نَمَّ عَلَى خَاتَمَتِهَا، فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ»*)^(١).

٢ - * (عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ - جَهَارًا غَيْرَ سِرٍّ - يَقُولُ: «إِنَّ آلَ أَبِي^(٢) - لَيْسُوا بِأَوْلِيَائِي، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ». زَادَ عُبَيْسَةُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ عَنْ بَيَانَ عَنْ قَيْسٍ عَنْ عَمْرِو ابْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «وَلَكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ أَبْلُهَا بِلَالُهَا، يَعْنِي أَصْلُهَا بِصِلَتِهَا»*)^(٣).

٣ - * (عَنْ أَبِي أُمَامَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَغْبَطَ أَوْلِيَائِي عِنْدِي، لِمُؤْمِنٍ خَفِيفُ الْحَاذِ^(٤) ذُو حَظٍّ مِنَ الصَّلَاةِ أَحْسَنَ عِبَادَةِ رَبِّهِ وَأَطَاعَهُ فِي السِّرِّ وَكَانَ غَامِضًا فِي النَّاسِ لَا يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ، وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافًا فَصَبَرَ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ نَفَضَ بِيَدِهِ^(٥) فَقَالَ: عَجَلْتُ مَنِيَّتَهُ قَلْتُ بَوَاكِيهِ قَلْتُ ثَرَاتُهُ»*)^(٦).

الأنملة أو على الأرض كالمثقل للشيء. تحفة الأحوذى: (١٣/٧).

(٦) أحمد ٥/٢٥٢، الترمذي ٤(٢٣٤٧) واللفظ له وقال: حديث حسن، والحاكم (٤/١٢٣)، وقال: هذا إسناد للشاميين صحيح عندهم ولم يخرجاه، وقال الذهبي: لا، بل إلى الضعف هو، وقال محقق جامع الأصول (١٣٧/١٠): إسناده حسن.

(٧) البخاري - الفتح ١١(٦٥٠٢).

(٨) رواه أبوداود (٥١٩٧)، والترمذي وحسنه، ولفظه: قيل يارسول الله: الرجلان يلتقيان أيهما يبدأ بالسلام؟ قال: «أولاهما بالله تعالى»، وصححه الشيخ الألباني صحيح أبي داود (٩٧٦/٣) وصحيح الكلم الطيب (١٩٨).

(٩) الجدع: هو القطع البائن في الأنف والأذن والشفة والجب: هو القطع وخص به بعضهم قطع الذكر.

(١) أبوداود (٤/٣١٣) (ح: ٥٠٥٥) واللفظ له، الترمذي (٥/٤٧٤، ح: ٣٤٠٣)، أحمد ٥/٥٦٠، وقال الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/١٤٠): حديث حسن. وكذا في جامع الأصول (٤/٢٦٤-٢٦٥).

(٢) في مسلم (يعني فلانا) والمعنى أن خشي أن يسميه فيترتب عليه مفسدة وفتنة منى عنه.

(٣) البخاري - الفتح ١٠(٥٩٩٠) واللفظ له، ومسلم (٢١٥). قيل «التحقيق: أبلها بيلها، وبللت الرحم بلاً وبللاً وبللاً أي نديتها بالصلة من البلل وهو النداءة ومنه الحديث: بلوا أرحامكم ولو بالسلام» ذكره ابن حجر في فتح الباري (١٠/٤٣٦).

(٤) خفيف الحاذ: خفيف الحال قليل المال خفيف الظهر من العيال.

(٥) نفض بيده: في التحفة - نقر بأصبعيه بلفظ النص وعند الشرح أعاده (نقر بيديه). والمراد به ضرب الأنملة على

هَذَا بِكَ؟ قَالَ: زِنْبَاعٌ، فَدَعَاهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟» فَقَالَ: كَانَ مِنْ أَمْرِهِ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْعَبْدِ: «أَذْهَبْ فَأَنْتَ حُرٌّ؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَوْلَى مَنْ أَنَا؟ قَالَ: «مَوْلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ. فَأَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ: فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: نَعَمْ، نُجْرِي عَلَيْكَ النِّفَقَةَ وَعَلَى عِيَالِكَ، فَأَجْرَاهَا عَلَيْهِ، حَتَّى قُبِضَ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ عُمَرُ جَاءَهُ، فَقَالَ: وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: نَعَمْ أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: مِصْرَ فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى صَاحِبِ مِصْرَ أَنْ يُعْطِيَهُ أَرْضًا يَأْكُلُهَا»*(١).

٧- * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ قَسَمَ رَحْمَةً بَيْنَ أَهْلِ الدُّنْيَا وَسَعَتَهُمْ إِلَى آجَالِهِمْ وَأَخَّرَ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً لِأَوْلِيَائِهِ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَابِضُ تِلْكَ الرَّحْمَةِ الَّتِي قَسَمَهَا بَيْنَ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَى التَّسْعِ وَالتَّسْعِينَ فَيُكْمِلُهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ لِأَوْلِيَائِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»)* (٢).

٨- * (عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: إِنِّي لَجَالِسٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ: إِذْ أَتَاهُ تِسْعَةُ رَهْطٍ، فَقَالُوا: يَا أَبَا عَبَّاسٍ، إِمَّا أَنْ تَقُومَ مَعَنَا وَإِمَّا أَنْ يَخْلُونَا هَؤُلَاءِ، فَقَالَ: ابْنُ عَبَّاسٍ: بَلْ أَقُومُ مَعَكُمْ، قَالَ: وَهُوَ يَوْمٌ مِئْدٌ صَحِيحٌ قَبْلَ أَنْ يَعْمَى، قَالَ: فَابْتَدَأُوا فَتَحَدَّثُوا، فَلَا نَذْرِي مَا قَالُوا، قَالَ: فَجَاءَ يَنْفُضُ ثَوْبَهُ وَيَقُولُ: أَفٍّ وَتَفٍّ وَقَعُوا فِي رَجُلٍ لَهُ عَشْرٌ وَقَعُوا فِي رَجُلٍ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «لَأَبْعَثَنَّ رَجُلًا لَا يُخْزِيهِ اللَّهُ أَبَدًا، يُحِبُّ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ»، قَالَ: فَاسْتَشْرَفَ لَهَا مَنْ اسْتَشْرَفَ، قَالَ: أَيْنَ عَلِيٌّ؟ قَالُوا: هُوَ فِي الرَّحْلِ يَطْحَنُ، قَالَ: وَمَا كَانَ أَحَدُكُمْ لِيَطْحَنَ قَالَ: فَجَاءَ وَهُوَ أَرْمَدٌ لَا يَكَادُ يُبْصِرُ، قَالَ: فَنَفَثَ فِي عَيْنَيْهِ ثُمَّ هَزَّ الرَّايَةَ ثَلَاثًا فَأَعْطَاهَا إِيَّاهُ، فَجَاءَ بِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ، قَالَ: ثُمَّ بَعَثَ فَلَانًا بِسُورَةِ التَّوْبَةِ، فَبَعَثَ عَلِيًّا خَلْفَهُ فَأَخَذَهَا مِنْهُ، قَالَ: لَا يَذْهَبُ بِهَا إِلَّا رَجُلٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، قَالَ: وَقَالَ لِبَنِي عَمِّهِ: أَيُّكُمْ يُوَالِيَنِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟ قَالَ: وَعَلِيٌّ مَعَهُ جَالِسٌ، فَأَبَوْا، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَنَا أُوَالِيكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ: أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ: فَتَرَكَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يُوَالِيَنِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟ فَأَبَوْا، قَالَ: فَقَالَ عَلِيٌّ: أَنَا أُوَالِيكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَالَ: أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَالَ: وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ النَّاسِ بَعْدَ خَدِيجَةَ، قَالَ: وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَوْبَهُ فَوَضَعَهُ عَلَى عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَحَسَنَ وَحُسَيْنَ، فَقَالَ: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»، قَالَ: وَشَرَى عَلِيٌّ نَفْسَهُ، لِبَسِ ثَوْبَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ نَامَ مَكَانَهُ، قَالَ: وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَزْمُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَعَلِيٌّ نَائِمٌ، قَالَ: وَأَبُو بَكْرٍ يَحْسِبُ أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ، قَالَ: فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَدْ انْطَلَقَ نَحْوَ بَيْتِ مَيْمُونٍ فَأَذْرِكُهُ، قَالَ: فَاِنْطَلَقَ أَبُو بَكْرٍ فَدَخَلَ مَعَهُ الْغَارَ، قَالَ: وَجَعَلَ عَلِيٌّ يُرْمِي بِالْحِجَارَةِ كَمَا كَانَ يُرْمِي نَبِيَّ اللَّهِ وَهُوَ يَتَصَوَّرُ قَدْ لَفَّ رَأْسَهُ فِي الثَّوْبِ لَا يُخْرِجُهُ حَتَّى أَصْبَحَ، ثُمَّ كَشَفَ عَنْ رَأْسِهِ فَقَالُوا: إِنَّكَ لِلنَّبِيِّ كَانِ صَاحِبُكَ نَزْمِيهِ فَلَا

(٢) أحمد (٥١٤/٢)، والحاكم في المستدرک (٢٤٨/٤) واللفظ له وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة ووافقه الذهبي .

(١) مسلم (٢٧٥٢)، وأحمد ١٨٢/٢ وقال الشيخ أحمد شاكر (١٧٩/١٠): إسناده صحيح .

يَتَضَوَّرُ وَأَنْتَ تَتَضَوَّرُ ، وَقَدْ اسْتَنْكَرْنَا ذَلِكَ قَالَ : وَخَرَجَ
بِالنَّاسِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، قَالَ : فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : أَخْرِجْ
مَعَكَ ؟ قَالَ : فَقَالَ لَهُ نَبِيُّ اللَّهِ : لَا . فَبَكَى عَلِيٌّ ، فَقَالَ لَهُ :
أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ؟ إِلَّا
أَنْكَ لَسْتَ بِنَبِيِّ ، إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ أَذْهَبَ إِلَّا وَأَنْتَ
خَلِيفَتِي ، قَالَ : وَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ : أَنْتَ وَلِيِّي فِي كُلِّ
مُؤْمِنٍ بَعْدِي ، وَقَالَ : سُدُّوا أَبْوَابَ الْمَسْجِدِ غَيْرَ بَابِ
عَلِيٍّ . فَقَالَ : فَيَدْخُلُ الْمَسْجِدَ جُنُبًا وَهُوَ طَرِيقُهُ ، لَيْسَ لَهُ
طَرِيقٌ غَيْرُهُ ، قَالَ : وَقَالَ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَإِنَّ مَوْلَاهُ عَلِيٌّ ،
قَالَ : أَخْبَرَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ ، أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ عَنْهُمْ ،
عَنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ ، فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ، هَلْ حَدَّثَنَا
أَنَّهُ سَخِطَ عَلَيْهِمْ بَعْدُ ؟ قَالَ : وَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ لِعُمَرَ
حِينَ قَالَ : ائْذَنْ لِي فَلَأَضْرِبَ عُقْبَةَ ، قَالَ : أَوْ كُنْتُ
فَاعِلًا ؟ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ قَدْ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ .
فَقَالَ : اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ) * (١) .

٩- * (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ ، الْمَوَالَاةُ فِي اللَّهِ
وَالْمُعَادَاةُ فِي اللَّهِ ، وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ ») * (٢) .

١٠- * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -
قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَيْشًا اسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ زَيْدَ بْنَ
حَارِثَةَ ، (وَقَالَ) : فَإِنْ قُتِلَ زَيْدٌ أَوْ اسْتُشْهِدَ فَأَمِيرُكُمْ
جَعْفَرٌ ، فَإِنْ قُتِلَ أَوْ اسْتُشْهِدَ فَأَمِيرُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ،

فَلَقُوا الْعَدُوَّ ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، ثُمَّ
أَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرٌ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ رَوَاحَةَ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ خَالِدُ بْنُ
الْوَلِيدِ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَأَتَى خَبَرُهُمُ النَّبِيُّ ﷺ ، فَخَرَجَ
إِلَى النَّاسِ ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : « إِنَّ
إِخْوَانَكُمْ لَقُوا الْعَدُوَّ ، وَإِنَّ زَيْدًا أَخَذَ الرَّايَةَ ، فَقَاتَلَ
حَتَّى قُتِلَ أَوْ اسْتُشْهِدَ ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ بَعْدَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي
طَالِبٍ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ أَوْ اسْتُشْهِدَ ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ أَوْ اسْتُشْهِدَ ، ثُمَّ
أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ ، خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَفَتَحَ
اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَأَمْهَلَ ، ثُمَّ أَمْهَلَ آلَ جَعْفَرٍ ثَلَاثًا أَنْ يَأْتِيَهُمْ ،
ثُمَّ أَنَاهُمْ ، فَقَالَ : لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ ادْعُوا لِي
ابْنِي أَخِي ، قَالَ : فَجِيءَ بِنَا ، كَأَنَّا أَفْرُخٌ ، فَقَالَ : ادْعُوا لِي
الْحَلَّاقَ ، فَجِيءَ بِالْحَلَّاقِ ، فَحَلَقَ رُءُوسَنَا ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا
مُحَمَّدٌ فَشَبِيهُ عَمَّنَا أَبِي طَالِبٍ ، وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ فَشَبِيهُ خَلْقِي
وَخُلُقِي ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَشَاهَا (٣) ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ اخْلُفْ
جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ ، قَالَهَا
ثَلَاثَ مَرَارٍ ، قَالَ : فَجَاءَتْ أُمُّنَا فَذَكَرَتْ لَهُ يُتَمَنَّا
وَجَعَلَتْ تُفْرَحُ (٤) لَهُ ، فَقَالَ : « الْعِيْلَةُ تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا
وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ») * (٥) .

١١- * (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ :
بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا بَكْرٍ وَأَمْرَهُ أَنْ يُنَادِيَ بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ ،

(١) أحمد (٣٣٠ / ١) واللفظ له وقال الشيخ أحمد شاكر
(٥ / ٢٥) : إسناده صحيح وهو في مجمع الزوائد
(٩ / ١١٩ ١٢٠) . وقال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني في
الكبير والأوسط باختصار ورجال أحمد رجال الصحيح
غير أبي بلج الفزاري وهو ثقة وفيه لين .

(٢) الطبراني في الكبير ، السيوطي في الجامع الصغير
(١ / ٦٩) ، وقال الألباني في صحيح الجامع الصغير
(٢ / ٣٤٣) : حسن ، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم
(١٧٢٨) .
(٣) أشاهها : يعني رفعها
(٤) تفرح : من أفرحه إذا غمه وأزال عنه الفرح ، وأفرحه الدين
إذا أثقله .
(٥) أحمد (١ / ٢٠٤) ، وقال الشيخ أحمد شاكر (٣ / ١٩٢) :
إسناده صحيح .

ثُمَّ أَتْبَعَهُ عَلِيًّا ، فَبَيَّنَا أَبُو بَكْرٍ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ إِذْ سَمِعَ رُغَاءً^(١) نَاقَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْقَصُوءَاءِ ، فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فَرِعًا ، فَظَنَّ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ عَلِيٌّ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَ عَلِيًّا أَنْ يُنَادِيَ بِهِؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَاَنْطَلَقَا فَحَجَّجَا ، فَقَامَ عَلِيٌّ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ ، فَنَادَى : ذِمَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بَرِيَّةٌ مِنْ كُلِّ مُشْرِكٍ ، فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ^(٢) أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، وَلَا يَحْجُنْ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ ، وَلَا يَطُوفَنَّ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَكَانَ عَلِيٌّ يُنَادِي ، فَإِذَا عَمِي قَامَ أَبُو بَكْرٍ فَنَادَى بِهَا^(٣) * (٣)

١٢- * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ سَمِعَ الْقَوْمَ وَهُمْ يَقُولُونَ : أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِيْمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَحَجٌّ مَبْرُورٌ » . ثُمَّ سَمِعَ نِدَاءً فِي الْوَادِي يَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَأَنَا أَشْهَدُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا يَشْهَدُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا بَرِيءٌ مِنَ الشِّرْكِ » * (٤)

١٣- * (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « ثَلَاثٌ أَخْلَفْتُ عَلَيْهِنَّ وَالرَّابِعُ لَوْ حَلَفْتُ عَلَيْهِ لَرَجَوْتُ أَنْ لَا آتَمَ . لَا يَجْعَلُ اللَّهُ عَبْدًا لَهُ سَهْمٌ فِي الْإِسْلَامِ كَمَنْ لَا سَهْمَ لَهُ ، وَلَا يَتَوَلَّى اللَّهُ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا فَيُؤَلِّيَهُ غَيْرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يُحِبُّ رَجُلٌ قَوْمًا إِلَّا

كَانَ مَعَهُمْ أَوْ مِنْهُمْ ، وَالرَّابِعَةُ لَوْ حَلَفْتُ عَلَيْهَا لَرَجَوْتُ أَنْ لَا آتَمَ ، لَا يَسْتُرُ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ » . قَالَ فَحَدَّثْتُ بِهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ عُمَرُ : إِذَا سَمِعْتُمْ مِثْلَ هَذَا الْحَدِيثِ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاحْفَظُوهُ وَاحْتَفِظُوا بِهِ * (٥)

١٤- * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : جِئْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حِينَ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ بِبَرَاءَةٍ ، قَالَ : مَا كُنْتُمْ تُنَادُونَ قَالَ كُنَّا نُنَادِي . أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ ، وَمَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَهْدٌ فَأَجَلُهُ أَوْ أَمَدُهُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، فَإِذَا مَضَتْ الْأَرْبَعَةُ أَشْهُرٌ فَإِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ، وَلَا يَحْجُبُ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ فَكُنْتُ أَنْادِي حَتَّى صَحِلَ^(٦) صَوْتِي * (٧)

١٥- * (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : حَضَرْتُ عَصَابَةَ مِنَ الْيَهُودِ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ حَدِّثْنَا عَنْ خِلَالٍ نَسَأَلُكَ عَنْهُنَّ ، لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ ، قَالَ : سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ ، وَلَكِنْ اجْعَلُوا لِي ذِمَّةَ اللَّهِ وَمَا أَخَذَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى بَنِيهِ ، لَئِنْ حَدَّثْتُكُمْ شَيْئًا فَعَرَفْتُمُوهُ لَتُسَابِعُنِي عَلَى الْإِسْلَامِ ، قَالُوا : فَذَلِكَ لَكَ ، قَالَ : فَسَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ ، قَالُوا : أَخْبِرْنَا عَنْ أَرْبَعٍ خِلَالٍ نَسَأَلُكَ عَنْهُنَّ . أَخْبَرْنَا ، أَيُّ الطَّعَامِ حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ؟ وَأَخْبَرْنَا ،

عمر بن عبد العزيز الأمر بحفظه والاحتفاظ به وكذا الذهبي . والهيثمي في المجمع (٣٧ / ١) مختصراً وقال رواه أحمد ورجاله ثقات ، وأبو يعلى .

(٦) صحل : ذهب حذته .

(٧) البخاري - الفتح ٨ (٤٦٥٥) ، والنسائي ٥ (٢٣٤) وهذا لفظ النسائي ، وأحمد (٢ / ٢٩٩) ، والدرامي (١٤٣٧) ، (٢٥٠٩) .

(١) رغاء : صوت الابل .

(٢) فسيحوا : سيروا آمين .

(٣) الترمذي ٥ (٣٠٩١) واللفظ له وقال حديث حسن غريب وقال محقق جامع الأصول (٨ / ٦٦٠) : إسناده حسن .

(٤) رواه أحمد (٥ / ٤٥١) واللفظ له ، والهيثمي في المجمع (٥ / ٢٧٨) وقال : رجاله ثقات .

(٥) رواه الحاكم في المستدرک (٤ / ٣٨٤) واللفظ له ، ونقل عن

كَيْفَ مَاءُ الْمَرْأَةِ وَمَاءُ الرَّجُلِ؟ كَيْفَ يَكُونُ الذِّكْرُ مِنْهُ؟
وَأَخْبَرْنَا كَيْفَ هَذَا النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ فِي النَّوْمِ؟ وَمَنْ وَلِيُّهُ مِنَ
الْمَلَائِكَةِ؟ قَالَ: «فَعَلَيْكُمْ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ لَيْسَ أَنَا
أَخْبَرْتُكُمْ لَتَسَابِعُنِي؟» قَالَ: فَأَعْطُوهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ
وَمِيثَاقٍ. قَالَ: «فَأَنْشِدُكُمْ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى
مُوسَى عليه السلام، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِسْرَائِيلَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ، مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا وَطَالَ سَقَمُهُ، فَذَرَّ اللَّهُ
نَذْرًا، لَيْسَ شِفَاؤُهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ سَقَمِهِ لِيَحْرِمَنَّ أَحَبَّ
الشَّرَابِ إِلَيْهِ وَأَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ
إِلَيْهِ لَحْمَانُ الْإِبِلِ، وَأَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ الْبَانُهَا. «قَالُوا:
اللَّهُمَّ نَعَمْ»، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِمْ، فَأَنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ
الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى،
هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مَاءَ الرَّجُلِ أَبْيَضُ غَلِيظٌ، وَأَنَّ مَاءَ الْمَرْأَةِ
أَصْفَرُ رَقِيقٌ، فَأَيُّهُمَا عَلَا كَانَ لَهُ الْوَلَدُ وَالشَّبَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ،
إِنْ عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ عَلَى مَاءِ الْمَرْأَةِ كَانَ ذَكَرًا بِإِذْنِ اللَّهِ،
وَإِنْ عَلَا مَاءُ الْمَرْأَةِ عَلَى مَاءِ الرَّجُلِ كَانَ أُنْثَى بِإِذْنِ اللَّهِ»
قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِمْ، فَأَنْشِدُكُمْ
بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا
النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ؟» قَالُوا: اللَّهُمَّ
نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» قَالُوا: وَأَنْتَ الْآنَ فَحَدِّثْنَا
مَنْ وَلِيُّكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ فَعِنْدَهَا نُجَامِعُكَ أَوْ نُفَارِقُكَ،
قَالَ: فَإِنَّ وَلِيِّي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا

قَطُّ إِلَّا وَهُوَ وَلِيُّهُ» قَالُوا: فَعِنْدَهَا نُفَارِقُكَ، لَوْ كَانَ وَلِيُّكَ
سِوَاهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَتَابَعْنَاهُ وَصَدَّقْنَاهُ قَالَ: «فَمَا يَمْنَعُكُمْ
مَنْ أَنْ تُصَدِّقُوهُ؟» قَالُوا: إِنَّهُ عَدُوُّنَا قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى
قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿كِتَابَ اللَّهِ
وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فَعِنْدَ ذَلِكَ ﴿بَاوُوا
بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ...﴾ (الآية) * (١).

١٦- * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُرَيْشٌ ^(٢) وَالْأَنْصَارُ ^(٣) وَمُزَيْنَةُ ^(٤)
وَجُهَيْنَةُ ^(٥) وَأَسْلَمُ ^(٦) وَغِفَارُ ^(٧) وَأَشْجَعُ ^(٨)، مَوَالِي. لَيْسَ
لَهُمْ مَوْلَى دُونَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» * (٩).

١٧- * (عَنْ أَبِي الْحَوَرَاءِ، قَالَ: قُلْتُ لِلْحُسَيْنِ
ابْنِ عَلِيٍّ: مَا تَذْكُرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: أَذْكُرُ مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنِّي أَخَذْتُ ثَمَرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ،
فَجَعَلْتُهَا فِي فِيَّ، قَالَ: فَنَزَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِلُعَابِهَا
فَجَعَلَهَا فِي التَّمْرِ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَانَ عَلَيْكَ مِنْ
هَذِهِ التَّمَرَةِ لِهَذَا الصَّبِيِّ؟ قَالَ: «إِنَّا آلُ مُحَمَّدٍ لَا نَحِلُّ لَنَا
الصَّدَقَةُ» قَالَ: وَكَانَ يَقُولُ: «دَعْ مَا يَرِيئُكَ إِلَى مَا لَا
يَرِيئُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَالْكَذِبُ رِييَةٌ». قَالَ:
وَكَانَ يُعَلِّمُنَا هَذَا الدُّعَاءَ: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ،
وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي
فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا

(٤) ومزينة: هي بنت كلب بن وبرة بن ثعلب.

(٥) وجهينة: ابن زيد بن ليث بن سود.

(٦) وأسلم: في خزاعة.

(٧) وغفار: هو ابن مليل بن ضمرة بن بكر.

(٨) وأشجع: هو ابن ريث بن غطفان بن قيس.

(٩) مسلم (٢٥٢٠).

(١) أحمد (٢٧٨/١) وقال الشيخ أحمد شاكر (٤/١٧٦):
إسناده صحيح.

(٢) قريش: قال الزبير: قالوا قريش اسم فهر بن مالك، وما لم
يلد فهر فليس من قريش. قال الزبير: قال عمي: فهر هو
قريش اسمه، وفهر لقبه.

(٣) الأنصار: يريد بالأنصار الأوس والخزرج، ابني حارثة بن
ثعلبة.

يُقْضَى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَذُلُّ مَنْ وَالَيْتَ». قَالَ شُعْبَةُ: وَأَظْنُهُ قَدْ قَالَ هَذِهِ أَيْضًا: تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ، قَالَ شُعْبَةُ: وَقَدْ حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ هَذَا مِنْهُ، ثُمَّ إِنِّي سَمِعْتُهُ حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ مَخْرَجَهُ إِلَى الْمُهَدِيِّ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ، فَلَمْ يَشْكُ فِي «تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ» فَقُلْتُ لِشُعْبَةَ: إِنَّكَ تَشْكُ فِيهِ؟ فَقَالَ: لِي فِيهِ شَكٌّ* (١).

١٨- * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - يَقُولُ: كُنَّا قُعُودًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ الْفِتَنَ فَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الْأَحْلَاسِ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا فِتْنَةُ الْأَحْلَاسِ؟ قَالَ: «هِيَ هَرَبٌ وَحَرْبٌ» (٢)، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ دَخْنُهَا (٣) مِنْ تَحْتِ قَدَمِي رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي وَلَيْسَ مِنِّي، وَإِنَّمَا أَوْلِيَايَ: الْمُتَّقُونَ، ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوْرِكَ عَلَى ضِلْع (٤)، ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهْيَاءِ (٥) لَا تَدْعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتَهُ لَطْمَةً، فَإِذَا قِيلَ انْقَضَتْ تَمَادَتْ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ (٦) فُسْطَاطِ إِيْمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لَا إِيْمَانَ فِيهِ، فَإِذَا كَانَ ذَاكُم فَانْتَظِرُوا الدَّجَالَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ (مِنْ) غَدِهِ* (٧).

١٩- * (عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: لَمَّا بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ خَرَجَ مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوصِيهِ وَمُعَاذٌ رَاكِبٌ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْشِي تَحْتَ رَاحِلَتِهِ فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: «يَا مُعَاذُ إِنَّكَ عَسَى أَنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي

هَذَا أَوْ لَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا، أَوْ قَبْرِي» فَبَكَى مُعَاذٌ جَشَعًا لِفِرَاقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ انْتَفَتَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالْمُتَّقُونَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا»* (٨).

٢٠- * (عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ اخْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَقَدْ بَرِيَءَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرِيَءَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ، وَأَيُّهَا أَهْلُ عَرَصَةِ أَصْبَحَ فِيهِمْ أَمْرٌ جَائِعٌ، فَقَدْ بَرِثَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ تَعَالَى»* (٩).

٢١- * (عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ جَمَعَ قَوْمَهُ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَشْعَرِيِّينَ اجْتَمِعُوا أَوْ اجْمَعُوا نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ أَعْلِمَكُمْ صَلَاةَ النَّبِيِّ ﷺ، صَلَّى لَنَا بِالْمَدِينَةِ فَاجْتَمِعُوا وَاجْمَعُوا نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ، فَتَوَضَّأُوا وَأَرَاهُنَّ كَيْفَ يَتَوَضَّأُ، فَأَخَصَى الْوُضُوءَ إِلَى أَمَاكِنِهِ حَتَّى لَمَّا أَنْ فَاءَ الْفَيْءِ وَانْكَسَرَ الظِّلُّ، قَامَ فَأَذَنَ فَصَفَّ الرِّجَالَ فِي أَدْنَى الصَّفِّ، وَصَفَّ الْوِلْدَانَ خَلْفَهُمْ وَصَفَّ النِّسَاءَ خَلْفَ الْوِلْدَانِ، ثُمَّ أَقَامَ الصَّلَاةَ فَتَقَدَّمَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَكَبَّرَ فَقَرَأَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَسُورَةٍ، ثُمَّ كَبَّرَ فَرَكَعَ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ثَلَاثَ مَرَارٍ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، وَاسْتَوَى قَائِمًا ثُمَّ كَبَّرَ وَخَرَّ سَاجِدًا ثُمَّ كَبَّرَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ كَبَّرَ فَسَجَدَ ثُمَّ كَبَّرَ فَنَهَضَ قَائِمًا فَكَانَ تَكْبِيرُهُ فِي أَوَّلِ رَكْعَةٍ سِتِّ تَكْبِيرَاتٍ، وَكَبَّرَ حِينَ قَامَ إِلَى

مَشْتُومَةٌ غَزَا عَلَيْهَا سَبْعَةُ أَخْوَةِ فَقَتَلُوا عَنْ آخِرِهِمْ.

(٦) فُسْطَاطَيْنِ: أَيِ إِلَى فَرْقَتَيْنِ مِنْحَازَتَيْنِ عَنْ بَعْضِهِمَا.

(٧) أَبُو دَاوُدَ (٤٢٤٢) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَقَالَ مُحَقِّقُ «جَامِعِ

الْأَصُولِ» (٢٤/١٠): وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

(٨) أَحْمَدُ (٢٣٥/٥)، وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ (٢٤١/٢٠). وَالْهَيْثَمِيُّ

فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ (١٦/٣) وَقَالَ: رَوَاهُ الْبَزَارُ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ.

(٩) أَحْمَدُ (٣٢/٢)، وَقَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ شَاكِرٌ (٤٨٨٠):

إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

(١) التِّرْمِذِيُّ (٢٥٢٠) وَقَالَ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَقَالَ الشَّيْخُ

أَحْمَدُ شَاكِرٌ فِي الْمُسْنَدِ (١٧١/٣): إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ. وَقَالَ

مُحَقِّقُ جَامِعِ الْأَصُولِ (٤٤٤/٦): إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

(٢) حَرْبٌ: بَفَتْحِ الرَّاءِ ذَهَابُ الْمَالِ وَالْأَهْلِ.

(٣) دَخْنُهَا: إِثَارَتُهَا وَهَيْجُهَا.

(٤) كَوْرِكَ عَلَى ضِلْعٍ: هَذَا مِثْلُ، أَيِ أَنَّهُ لَا يَسْتَقِلُّ بِالْمَلِكِ وَلَا

يَلِائِمُهُ كَمَا أَنَّ الْوَرِكَ لَا تَلِائِمُ الضِّلْعَ.

(٥) فِتْنَةُ الدُّهْيَاءِ: الدُّهْيَاءُ: السُّودَاءُ الْمَظْلَمَةُ وَقِيلَ الدَّاهِيَةُ

يَذْهَبُ بِهَا إِلَى الدُّهْيَمِ، وَهِيَ فِي زَعَمِ الْعَرَبِ اسْمُ نَاقَةٍ

نَاسٌ مِنَ النَّاسِ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغِطُّهُمْ
الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ؟ انْعَتُهُمْ
لَنَا - يَعْنِي صِفَهُمْ لَنَا - فَسَرَّ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِسُؤَالِ
الْأَعْرَابِيِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُمُ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ
النَّاسِ»^(١)، وَنَوَازِعِ الْقَبَائِلِ^(٢) لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامُ
مُتَقَارِبَةٍ، تَحَابُّوا فِي اللَّهِ، وَتَصَافَوْا بِصُغُرِ اللَّهِ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، فَيُجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُورًا،
وَتِيَابَهُمْ نُورًا يَفْرَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَفْرَعُونَ، وَهُمْ
أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»^(٣) .

الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ أَقْبَلَ إِلَى قَوْمِهِ بِوَجْهِهِ
فَقَالَ: احْفَظُوا تَكْبِيرِي، وَتَعَلَّمُوا رُكُوعِي وَسُجُودِي
فَإِنَّهَا صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي كَانَ يُصَلِّي لَنَا كَذَا
السَّاعَةَ مِنَ النَّهَارِ ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ
أَقْبَلَ إِلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا
وَاعْقِلُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ
وَلَا شُهَدَاءَ، يَغِطُّهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ
وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ. فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ مِنْ قَاصِيَةِ
النَّاسِ وَالْوَيْ بِيَدِهِ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ!

الأحاديث الواردة في «الولاء والبراء» معنى

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرَّمَ مَالَهُ
وَدَمَهُ . وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»^(٨) .

٢٥- * (عَنْ سَمُرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ
ﷺ قَالَ: «لَا تُسَاكِنُوا الْمُشْرِكِينَ، وَلَا تُجَامِعُوهُمْ فَمَنْ
سَاكَنَهُمْ أَوْ جَامَعَهُمْ فَلَيْسَ مِنَّا»^(٩) .

٢٦- * (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى
يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ، وَحَتَّى أَنْ يُقَدَفَ فِي النَّارِ أَحَبُّ
إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ، وَحَتَّى
يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»^(١٠) .

٢٢- * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُيَّةَ^(٤)
الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَخَرَهَا بِالْأَبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ،
أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيْدَعَنَّ رِجَالٌ فَخَرَهُمْ
بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ
عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعْلَانِ^(٥) الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ»^(٦) .

٢٣- * (عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(٧) .
٢٤- * (عَنْ طَارِقِ بْنِ أَشِيمٍ الْأَشْجَعِيِّ - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ:

(٦) أبوداود (٥١١٦) واللفظ له، الترمذي حديث (٣٩٥٥)
وقال: حديث حسن .

(٧) أبوداود (٤٠٣١/١) واللفظ له، أحمد (ح ٥١١٤) جزء من
حديث وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح . وقال
الألباني في صحيح الجامع (٥/٢٧٠): صحيح .

(٨) مسلم (٢٣) .
(٩) الحاكم في المستدرک (٢/١٤١)، وقال: صحيح على شرط
البخاري، ووافقه الذهبي .

(١٠) البخاري - الفتح (١٠/٦٠٤١) واللفظ له، مسلم (٤٣) .

(١) أفناء الناس: أي لم يعلم ممن هو .

(٢) نوازع القبائل: أي غرباؤهم .

(٣) رواه أحمد (٣٤٣) واللفظ له، والطبراني بنحوه وزاد على
منابر من نور من لؤلؤ قدام الرحمن، والهيثمي في المجمع
(١٠/٢٧٦) وقال: رجاله ثقات .

(٤) عيبة: بعين مضمومة بعدها باء مشددة مكسورة وبعدها
ياء مفتوحة مشددة: أي فخرها ونخوتها .

(٥) الجعلان: جمع جعلل بوزن صرد، وهو دويبة تنشأ في
القاذورات .

المُسْلِمِ»^(١) *

٢٧- * (عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ

النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ وَلَا الْكَافِرُ

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في «الولاء والبراء»

رَجَعَ فَأَذْرَكَهُ بِالْبَيْدَاءِ . فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ: «تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ؟» . قَالَ: نَعَمْ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَانْطَلِقْ»^(٥) *

٣٠- * (عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً إِلَى خَثْعَمَ، فَأَعْتَصَمَ نَاسٌ مِنْهُمْ بِالسُّجُودِ فَأَسْرَعَ فِيهِمُ الْقَتْلُ، قَالَ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَمَرَ لَهُمْ بِنُصْفِ الْعَقْلِ، وَقَالَ: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُشْرِكِينَ» قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ؟ قَالَ: «لَا تَرَاءَى نَارَاهُمَا»^(٦) *

٣١- * (عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ . اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا . وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا . أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا . اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»^(٧) *

٢٨- * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْمُتَوَفَّى، عَلَيْهِ الدِّينُ، فَيَسْأَلُ: هَلْ تَرَكَ لِدِينِهِ فَضْلاً؟ فَإِنْ حُدِّثَ أَنَّهُ تَرَكَ وَفَاءً صَلَّى، وَإِلَّا قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ . فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْفُتُوحَ قَالَ: «أَنَا أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ تُوِفِّيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَرَكَ دِينًا فَعَلِيَ قِضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ»^(٢) *

٢٩- * (عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ - أَنَّهَا قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ بَدْرِ . فَلَمَّا كَانَ بِحَرَّةِ الْوَبَرَةِ^(٣) أَذْرَكَهُ رَجُلٌ . قَدْ كَانَ يُذَكِّرُ مِنْهُ جُرْأَةً وَنَجْدَةً، فَفَرَحَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَوْهُ . فَلَمَّا أَذْرَكَهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: جِئْتُ لَأَتَّبِعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ . قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ؟» قَالَ: لَا . قَالَ فَارْجِعْ . فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ . قَالَتْ: ثُمَّ مَضَى . حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالشَّجَرَةِ^(٤) أَذْرَكَهُ الرَّجُلُ . فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ . قَالَ «فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ» . قَالَ: ثُمَّ

ويحتمل أنها أرادت بقولها: كنا، كان المسلمون .

(٥) مسلم (١٨١٧) .

(٦) أبوداود حديث (٢٦٤٥) واللفظ له، الترمذي (١٦٠٤) . وابن الأثير في جامع الأصول (٤/٤٤٥)، وقال محققه: ورجال إسناده ثقات . وقال الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٧/٢): هو حديث حسن . (٧) مسلم (٢٧٢٢) .

(١) البخاري - الفتح ١٢ (٦٧٦٤) .

(٢) البخاري - الفتح ٩ (٥٣٧١) واللفظ له، مسلم ٣ (١٦١٩) .

(٣) الوبرة: هكذا ضبطناه بفتح الباء . وكذا نقله القاضي عن جميع رواة مسلم . قال: وضبطه بعضهم باسكانها وهو موضع على نحو من أربعة أميال من المدينة

(٤) حتى إذا كنا بالشجرة: هكذا هو في النسخ: حتى إذا كنا . فيحتمل أن عائشة كانت مع المودعين فرأت ذلك

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في «الولاء والبراء»

١- * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: لَمَّا وَقَفَ الزُّبَيْرُ يَوْمَ الْجَمَلِ دَعَانِي فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ لَا يُقْتَلُ الْيَوْمَ إِلَّا ظَالِمٌ أَوْ مَظْلُومٌ، وَإِنِّي لَا أُرَانِي إِلَّا سَاقُتُلُ الْيَوْمَ مَظْلُومًا، وَإِنَّ مِنْ أَكْبَرِ هَمِّي لَدَيْنِي، أَفْتَرَى دَيْنَنَا مِنْ مَالِنَا شَيْئًا؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، بَعْ مَالِنَا، فَاقْضِ دَيْنِي. وَأَوْصَى بِالثَّلْثِ، وَثَلَّثَهُ لِبَنِيهِ - يَعْنِي بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، يَقُولُ: ثَلُثُ الثَّلْثِ - فَإِنْ فَضَلَ مِنْ مَالِنَا فَضْلٌ بَعْدَ قَضَاءِ الدَّيْنِ فَثَلَّثَهُ لَوْلَدِكَ. قَالَ هِشَامٌ: وَكَانَ بَعْضُ وَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ قَدْ وَازَى بَعْضَ بَنِي الزُّبَيْرِ - حُبِيبٌ وَعَبَّادٌ - وَلَهُ يَوْمَئِذٍ تِسْعَةُ بَنِينَ وَتِسْعُ بَنَاتٍ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَجَعَلَ يُوصِينِي بِدَيْنِهِ وَيَقُولُ: يَا بُنَيَّ! إِنْ عَجَزْتَ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَوْلَايَ. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ: يَا أَبَتِ مَنْ مَوْلَاكَ؟ قَالَ: اللَّهُ. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ إِلَّا قُلْتُ: يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ اقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ، فَيَقْضِيهِ. فَقُتِلَ الزُّبَيْرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ...)* (١).

٢- * (الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُدَافَةَ السَّهْمِيِّ، لَمَّا أَسْرَتْهُ الرُّومُ جَاءُوا بِهِ إِلَى مَلِكِهِمْ فَقَالَ لَهُ: تَنْصُرُ. وَأَنَا أُشْرِكُكَ فِي مُلْكِي وَأَزْوَجُكَ ابْنَتِي، فَقَالَ لَهُ: لَوْ أَعْطَيْتَنِي جَمِيعَ مَا تَمْلِكُ وَجَمِيعَ مَا تَمْلِكُهُ الْعَرَبُ عَلَى أَنْ أَرْجِعَ عَنْ دِينِ مُحَمَّدٍ طَرْفَةَ عَيْنٍ مَا فَعَلْتُ. فَقَالَ: إِذَا أَقْتُلَكَ، قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ، فَأَمَرَ بِهِ فَصُلِبَ، وَأَمَرَ الرُّمَّةَ فَرَمَوْهُ قَرِيبًا مِنْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَهُوَ يَعْزِضُ عَلَيْهِ دِينَ

النَّصْرَانِيَّةَ فَيَأْبَى، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُنْزِلَ، ثُمَّ أَمَرَ بِقَدْرِ. وَفِي رِوَايَةٍ بِبُكْرَةٍ مِنْ نَحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ وَجَاءَ بِأَسِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَأَلْقَاهُ وَهُوَ يَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ عِظَامٌ تَلُوحُ وَعَرَضَ عَلَيْهِ فَأَبَى، فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُلْقَى فِيهَا، فَرُفِعَ فِي الْبُكْرَةِ لِيُلْقَى فِيهَا، فَبَكَى فَطَمَعَ فِيهِ وَدَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي إِنَّمَا بَكَيْتُ؛ لِأَنَّ نَفْسِي إِنَّمَا هِيَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ تُلْقَى فِي هَذِهِ الْقَدْرِ السَّاعَةِ فِي اللَّهِ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ لِي بَعْدُ كُلِّ شَعْرَةٍ مِنْ جَسَدِي نَفْسٌ تُعَذِّبُ هَذَا الْعَذَابَ فِي اللَّهِ)* (٢).

٣- * (عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ أَتَيْنَا حُذَيْفَةَ فَقُلْنَا دُلَّنَا عَلَى أَقْرَبِ النَّاسِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَدِيًّا وَسَمْتًا وَوَلَاءً نَأْخُذُ عَنْهُ وَنَسْمَعُ مِنْهُ فَقَالَ: كَانَ أَقْرَبَ النَّاسِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَدِيًّا وَسَمْتًا وَدَلًّا ابْنُ أُمِّ عَبْدِ (٣)، حَتَّى يَتَوَارَى عَنِّي فِي بَيْتِهِ، وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُحْظُوظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّ ابْنَ أُمِّ عَبْدِ مَنْ أَقْرَبَهُمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَةً)* (٤).

٤- * (عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ قَالَ: مَنْ بَنَى بِأَرْضِ الْمُشْرِكِينَ فَصَنَعَ نِيْرُوزَهُمْ وَمِهْرَجَانَهُمْ وَتَشَبَّهَ بِهِمْ حَتَّى يَمُوتَ وَهُوَ كَذَلِكَ حُسْرَ مَعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)* (٥).

٥- * (عَنْ أَبِي مُوسَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قُلْتُ لِعُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِنَّ لِي كَاتِبًا نَصْرَانِيًّا قَالَ: مَا لَكَ؟ قَاتَلَكَ اللَّهُ؟ أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا

(٤) أحمد (٣٨٩/٥).

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم (٢٠٠)، وقال ابن تيمية: إسناده صحيح.

(١) البخاري - الفتح ٦ (٣١٢٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/٢) بتصرف.

(٣) ابن أم عبد، هو: عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -.

الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴿٥١﴾ أَلَا اتَّخَذَتْ حَنِيفًا... قَالَ: قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِي كِتَابَتُهُ وَلَهُ دِينُهُ. قَالَ: لَا أَكْرِمُهُمْ إِذْ أَهَانَهُمُ اللَّهُ وَلَا أُعِزُّهُمْ إِذْ أَذَلَّهُمُ اللَّهُ وَلَا أُدْنِيهِمْ إِذْ أَقْصَاهُمُ اللَّهُ ﴿١﴾.

٦- ﴿لَقَدْ كَانَ بِلَالٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - تُفَعِّلُ بِهِ الْأَفَاعِيلَ، حَتَّى إِنَّهُمْ لَيَضَعُونَ الصَّخْرَةَ الْعَظِيمَةَ عَلَى صَدْرِهِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ، وَيَأْمُرُونَهُ أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَيَأْبَى عَلَيْهِمْ وَيَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ. وَيَقُولُ: وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمْتُ كَلِمَةً أَغِيظُ لَكُمْ مِنْهَا لَقُلْتُهَا﴾ ﴿٢﴾.

٧- ﴿حَبِيبُ بْنُ زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ لَمَّا قَالَ لَهُ مُسْلِمَةُ الْكَذَّابُ: أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَسْمَعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَقْطَعُهُ إِرْبًا إِرْبًا وَهُوَ ثَابِتٌ عَلَى ذَلِكَ﴾ ﴿٣﴾.

٨- ﴿قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ: أَنْ تَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ، تَرْجُو ثَوَابَ اللَّهِ، وَأَنْ تَتْرَكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ، عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ، تَخَافُ عِقَابَ اللَّهِ﴾ ﴿٤﴾.

٩- ﴿عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «أَحِبَّ فِي اللَّهِ وَأَبْغِضْ فِي اللَّهِ، وَوَالِ فِي اللَّهِ وَعَادِ فِي اللَّهِ فَإِنَّكَ لَا تَنَالُ وَلَايَةَ اللَّهِ إِلَّا بِذَلِكَ، وَلَا يَجِدُ رَجُلٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ﴾ ﴿٥﴾.

١٠- ﴿عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، لَيْسَ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيْرِينَ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ، يَعْنِي أَصْحَابَهُ وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ، يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ. ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، الْجَنَّةُ وَرَبُّ النَّضْرِ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أَحَدٍ. قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ. قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بَضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمَحٍ أَوْ رَمِيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ، وَقَدْ مَثَلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتَهُ بِنَانَةَ. قَالَ أَنَسٌ: كُنَّا نَرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (إلى آخر الآية) ﴿٦﴾.

١١- ﴿عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدْرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبُدُ الْجُهَنِيِّ فَاَنْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمَيْرِيُّ حَاجِّينَ أَوْ مُعْتَمِرِينَ فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدْرِ. فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ. فَاسْتَفْتَانَا وَصَاحِبِي، أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ. فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قَبْلَنَا نَاسٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ ﴿٧﴾. وَذَكَرَ مِنْ

(٥) حلية الأولياء (١/٣١٢).

(٦) البخاري - الفتح ٦ (٢٨٠٥).

(٧) ويتقفرون العلم: ومعناه يطلبونه ويتتبعونه وقيل معناه يجمعونه.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٥٠) وأورده البيهقي في الكبرى (١٢٧/١٠).

(٢) أسد الغابة (١/٢٠٦) بتصرف.

(٣) أسد الغابة (١/٣٧٠) بتصرف.

(٤) الولاء والبراء للقطاني (٢٥).

شأنهم^(١) وأنهم يزعمون أن لا قدر . وأن الأمر أنف^(٢) .
قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم،
وأنهم براء مني ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر ، لو
أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ، ما قبل الله منه
حتى يؤمن بالقدر...)*^(٣) .

١٢- * (عن عبد الله بن عبد الله بن أبي ؛ لما بلغه
ما كان من أبيه ، أتى رسول الله ﷺ ، فقال: يا رسول
الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك
عنه ، فإن كنت فاعلاً فمُرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه ،
فوالله لقد علمت الخزرج ، ما كان لها من رجل أبر
بوالديه مني ، إني أخشى أن تأمر غيري فيقتله ، فلا
تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في
الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافراً فأدخل النار .
فقال رسول الله ﷺ: «بل نترقب به ونحسن صحبتَه ما
بقي معنا»^(٤) .

ووقف عبد الله بن عبد الله بن أبي على باب
المدينة واستل سيفه ، فلما جاء أبوه قال له: وراءك ،
فقال: مالك ويلك؟ قال: والله لا تجوز حتى يأذن لك
رسول الله ﷺ وكان إنما يسير ساقه فشكا إليه عبد الله
ابنه . فقال الابن: والله يا رسول الله لا يدخلها حتى
تأذن له ، فأذن له رسول الله ﷺ: فأجازه)*^(٥) .

١٣- * (قال عبد الله بن عتبة: ليتق أحدكم أن

يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر، قال: فظنناه
يريد هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ
وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ (الآية)*^(٦) .

١٤- * (قال البغوي ، في تفسير (الآية) / ٨ من
العنكبوت) ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ...﴾ (والآية
٥٠ من سورة لقمان) ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ...﴾ : نزلت في
سعد ابن أبي وقاص - رضي الله عنه - وأمه حمّة بنت
أبي سفيان فقد كان سعد من السابقين الأولين
للإسلام ، وكان باراً بأمه . قالت له أمه: ما هذا الدين
الذي أحدثت؟ والله لا أكل ولا أشرب حتى ترجع
إلى ما كنت عليه ، أو أموت فتعير بذلك أباد الدهر ،
يقال: يا قاتل أمه . ثم إنها مكثت يوماً وليلة لم تأكل ولم
تشرّب ولم تستظل ، فجاء سعد إليها وقال: يا أمّاه لو
كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت
ديني ، فكلي وإن شئت فلا تأكلي فلما أيست منه
أكلت وشربت . فأنزل الله: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ...﴾ إلى
آخر الآيات)*^(٧) .

١٥- * (يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -
رحمه الله -: ليس للقلوب سرور ولا لذة إلا في محبة
الله والتقرب إليه بما يحبّه ، ولا تمكن محبته إلا
بالإعراض عن كل محبوب سواه ، وهذا حقيقة لا إله
إلا الله وهي ملّة إبراهيم الخليل عليه السلام ، وسائر

(١) وذكر من شأنهم: هذا الكلام من كلام بعض الرواة الذين
دون يحيى بن يعمر . يعني وذكر ابن يعمر من حال هؤلاء ،
ووصفهم بالفضيلة في العلم والاجتهاد في تحصيله والاعتناء
به .

(٢) وإن الأمر أنف: أي مستأنف ، لم يسبق به قدر ولا علم من
الله تعالى . وإنما يعلمه بعد وقوعه .

(٣) مسلم (٨) .

(٤) السيرة لابن هشام (٢/ ٣٩٢) ، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٣) .

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٣) بتصرف .

(٦) تفسير ابن كثير (٢/ ٦٩) .

(٧) تفسير البغوي (٥/ ١٨٨) .

الأنبياء والمرسلين صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين ،
أما شقها الثاني محمد رسول الله: فمعناه تجريد متابعتي
ﷺ فيما أمر والانتفاء عما نهى عنه وزجر . ومن هنا
كانت « لا إله إلا الله » ولأء وبراء نفياً وإثباتاً
(...)* (١).

١٦- * (قال البغوي: والعمل على هذا عند
عامّة أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم على: أن
الكافر لا يرث المسلم والمسلم لا يرث الكافر لقطع
الولاية بينهما)* (٢).

١٧- * (يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب:
«واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمناً بالله إلا بالكفر
بالطاغوت ، والدليل هذه الآية - يعني الآية / ٢٥٦

من سورة البقرة ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ...﴾ (٣).

١٨- * (قال الشوكاني رحمه الله: وأولياء الله
سبحانه متفاوتون في الولاية بقوة ما رزقهم الله سبحانه
من الإيمان ، فمن كان أقوى إيماناً كان في باب الولاية
أعظم شأنًا وأكبر قدرًا وأعظم قربًا من الله وكرامةً
لديه)* (٤).

١٩- * (قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل
الشيخ: فتبين أن معنى «لا إله إلا الله» توحيد الله
بإخلاص العبادة له، والبراءة من كل ما سواه. وذكر الله
سبحانه أن هذه البراءة، وهذه الموالاة هي شهادة أن
لا إله إلا الله)* (٥).

من فوائد «الولاء والبراء»

طاغوت في أي حكم من الأحكام الدينية أو
الدنيوية .

(٦) عدم موالاة الكفار في أي حال من الأحوال
ويعني ذلك: التقرب إليهم وموادتهم بالأقوال أو
الأفعال أو النوايا أو التشبه بهم .

(٧) المؤمنون بعضهم أولياء بعض والكفرة بعضهم
من بعض ضد المؤمنين.

(١) بيان صفة أولياء الله وفضائلهم المتنوعة .

(٢) محبة الله لأوليائه المؤمنين التي هي أعظم ما
تنافس فيه المتنافسون .

(٣) إن الله مع أوليائه المؤمنين وناصرهم ومؤيّدهم
ومسدّدهم ومجيب دعواتهم .

(٤) إخلاص العبادة لله وحده دون غيره .

(٥) الولاء والبراء يقتضي عدم الاختكام إلى أي

(٤) ولاية الله والطريق إليها (٢٤٢).

(٥) فتح المجيد (٧٩).

(١) فتاوى ابن تيمية (٢٨ / ٣٢).

(٢) شرح السنة (٨ / ٣٦٤).

(٣) الدرر السنية (١ / ٩٥).

اليقظة

الآيات	الأحاديث	الآثار
١	٣	٦

اليقظة لغة :

هي الاسم أو المصدر من قولهم: يقظ فلان يقظاً وهو مأخوذ من مادة (ي ق ظ) التي تدل على تقيض النوم والتنبه للشيء، والفعل (الثلاثي) من ذلك: يقظ كعلم والمصدر يقظاً ويقظة ويقال أيضاً: يقظ يقظاً يقاظة ويقظاً، والوصف من الأول: رجل يقظ ويقظ وهو خلاف النائم، ويقال أيضاً: رجل يقظان وامرأة يقظى ورجال ونسوة أيقاظ، وقيل يقال: رجال أيقاظ ونسوة يقاظى، والوصف من الثانى (أي من يقظ) يقظ بالضم. وفي القرآن الكريم ﴿وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ﴾ (الكهف / ١٨) الأيقاظ جمع يقظ أو يقظان، وهو المنتبه كما قال القرطبي، وقيل جمع يقظ أو يقظ والمراد اليقظان، قال الألوسي: وهما لغتان.

ويقال: استيقظ وأيقظته، والنعت يقظان، ورجل يقظ بكسر القاف وفتحها أي متيقظ حذر، أو كان كثير التيقظ، وتيقظ للأمر تنبه له، ويقال قد يقظته التجارب، وأيقظته من نومه أي نبهته فتيقظ واستيقظ، وجاء في الحديث الشريف: إذا استيقظ أحدكم من منامه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً ويقال: أيقظت الغبار أثرته، وكذلك يقظته، وقال أبو عمرو: يقال: إن فلاناً ليقظ إذا كان خفيف الرأس، ويقال ما

رأيت أيقظ منه، ومن المجاز: استيقظ الخلخال والحلي أي صوّت، واليقظة بسكون القاف لغة في اليقظة، ويقال: رجل يقظان.

ومتيقظه ويقظه وهو يستيقظ إلى صوته كل ذلك مجاز، قال الليث: يقال للذي يثير الغبار: قد يقظه إذا فرقّه، وأيقظت الغبار: أثرتّه^(١).

وقال ابن منظور: ورجل يقظ ويقظ: كلاهما على النسب أي متيقظ حذر، والجمع أيقاظ.

وأما سيبويه فقال: لا يكسر يقظ لقلّة فعل في الصفات، وإذا قل بناء الشيء قل تصرفه في التكسير، وإنما أيقاظ عنده جمع يقظ، لأن فعلاً في الصفات أكثر من فعل، قال ابن بري: جمع يقظ أيقاظ، وجمع يقظان يقاظ، وجمع يقظى صفة المرأة يقاظى. غيره: والاسم اليقظة.

وما كان يقظاً، ولقد يقظ يقاظة ويقظاً بيّناً. ابن السكيت في باب فعل وفعل: رجل يقظ ويقظ إذا كان متيقظاً كثير التيقظ فيه معرفة وفطنة. والأنثى يقظى، والجمع يقاظ.

وتيقظ فلان للأمر إذا تنبه له، وقد يقظته. ويقال: يقظ فلان يقظاً ويقظة، فهو يقظان^(٢).

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٩/ ٢٦٠)، والصحاح للجوهري (٣/ ١١٨١)، وتاج العروس للزبيدي (١/ ٥٠٠)، وتفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) (١٠/ ٢٤١)، وتفسير الألوسي (روح المعاني) (١٥/ ٢٢٥)،

وبصائر ذوي التمييز للفيروز ابادى (٥/ ٣٨٨)، ولسان العرب «يقظ» (٤٩٦٤) (ط. دار المعارف).
(٢) لسان العرب (٧/ ٤٦٦-٤٦٧)، مختار الصحاح (٧٤٣)، وبصائر ذوي التمييز (٥/ ٣٨٨-٣٩٠).

واصطلاحًا :

قَالَ الْكَفَوِيُّ : التَّيَقُّظُ : كَمَا لَ التَّيَبُّهِ وَالتَّحَرُّزُ عَمَّا لَا يَنْبَغِي ^(١) .

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ : الْيَقَظَةُ : أَوَّلُ مَنَازِلِ الْعُبُودِيَّةِ ، وَهِيَ انْزِعَاجُ الْقَلْبِ لِرُوعَةِ الْإِنْتِبَاهِ مِنْ رَقْدَةِ الْغَافِلِينَ ، وَلِلَّهِ مَا أَنْفَعَ هَذِهِ الرُّوعَةَ ، وَمَا أَعْظَمَ قَدْرَهَا وَخَطَرَهَا ، وَمَا أَقْوَى إِعَانَتَهَا عَلَى السُّلُوكِ ، فَمَنْ أَحَسَّ بِهَا فَقَدْ أَحَسَّ وَاللَّهُ بِالْفَلَاحِ ، وَإِلَّا فَهُوَ فِي سَكْرَاتِ الْغَفْلَةِ ، فَإِذَا انْتَبَهَ وَتَيَقَّظَ شَمَّرَ بِهَمَّتِهِ إِلَى السَّفَرِ إِلَى مَنَازِلِهِ الْأُولَى ، فَأَخَذَ فِي أَهْبَةِ السَّفَرِ ، فَانْتَقَلَ إِلَى مَنْزِلَةِ الْعَزْمِ ، وَهُوَ الْعَقْدُ الْجَازِمُ عَلَى الشَّيْءِ ، وَمُفَارَقَةُ كُلِّ قَاطِعٍ وَمُعَوِّقٍ ، وَمُرَافَقَةُ كُلِّ مُعِينٍ وَمُوصِّلٍ ، وَبَحَسَبِ كَمَالِ انْتِبَاهِهِ وَيَقَظَتِهِ تَكُونُ عَزِيمَتُهُ ، وَبَحَسَبِ قُوَّةِ عَزْمِهِ يَكُونُ اسْتِعْدَادُهُ ، فَإِذَا اسْتَيَقَّظَ أَوْجَبَتْ الْيَقَظَةُ الْفِكْرَةَ وَهِيَ تَحْدِيقُ الْقَلْبِ نَحْوَ الْمَطْلُوبِ الَّذِي قَدْ اسْتَعَدَّ لَهُ مُجْمَلًا ، وَلَمْ يَهْتَدِ إِلَى تَفْصِيلِهِ وَطَرِيقِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ ، فَإِذَا صَحَّتْ فِكْرَتُهُ أَوْجَبَتْ لَهُ الْبَصِيرَةَ ، وَهِيَ نُورٌ فِي الْقَلْبِ يَرَى بِهِ حَقِيقَةَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْأَوَّلِيَّاتِ ، وَفِي هَذِهِ الْأَعْدَائَةِ ، فَأَبْصَرَ النَّاسَ قَدْ خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ مُهْطِعِينَ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ ، وَقَدْ نَزَلَتْ مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ فَأَحَاطَتْ بِهِمْ ، وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ

وَقَدْ نُصِبَ كُرْسِيُّهُ لِفَضْلِ الْقَضَاءِ ، وَقَدْ أَشْرَقَتْ الْأَرْضُ بِنُورِهِ ، وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيَّ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ ، وَقَدْ نُصِبَ الْمِيزَانُ ، وَتَطَايَرَتِ الصُّحُفُ ، وَاجْتَمَعَتِ الْخُصُومُ ، وَتَعَلَّقَ كُلُّ غَرِيمٍ بِغَرِيمِهِ ، وَلَاحَ الْحَوْضُ وَأَكْوَابُهُ عَنْ كَثَبٍ ، وَكَثُرَ الْعِطَاشُ ، وَقَلَّ الْوَارِدُ ، وَنُصِبَ الْجِسْرُ لِلْعُبُورِ عَلَيْهِ ، وَالنَّارُ تَحْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضًا تَحْتَهُ وَالسَّاقِطُونَ فِيهَا أَضْعَافُ أَضْعَافِ النَّاجِينَ ، فَيَنْفَتِحُ فِي قَلْبِهِ عَيْنٌ تَرَى ذَلِكَ ، وَيَقُومُ بِقَلْبِهِ شَاهِدٌ مِنْ شَوَاهِدِ الْآخِرَةِ يُرِيهِ الْآخِرَةَ وَدَوَامَهَا ، وَالْدُّنْيَا وَسُرْعَةَ انْقِضَائِهَا . وَالْبَصِيرَةُ نُورٌ يَقْدِفُهُ اللَّهُ فِي الْقَلْبِ يَرَى بِهِ حَقِيقَةَ مَا أَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ كَأَنَّهُ يُشَاهِدُهُ رَأْيَ عَيْنٍ ، فَيَتَحَقَّقُ مَعَ ذَلِكَ انْتِفَاعُهُ بِمَا دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ وَتَضَرُّرُهُ بِمُخَالَفَتِهِمْ . وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ بَعْضِ الْعَارِفِينَ : الْبَصِيرَةُ تَحَقُّقُ الْإِنْتِفَاعِ بِالشَّيْءِ ، وَالتَّضَرُّرُ بِهِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : تَحَقُّقُ الْبَصِيرَةِ : مَا خَلَّصَكَ مِنَ الْحَيْرَةِ إِمَّا بِإِيْمَانٍ وَإِمَّا بِعِيَانٍ ^(٢) .

[للاستزادة : انظر صفات : الحذر - الحيلة - الوقاية - الفطنة - الإيْمَان - الفقه - العلم .
وفي ضد ذلك : انظر صفات : الغفلة - التفريط والإفراط - اتباع الهوى - البلادة والغباء - الإهمال .]

الآيات الواردة في « اليقظة »

بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا ^(٣)

١ - وَتَحَسَّبُهُمْ أَيَقَظَا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلَبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَسِيطٌ ذِرَاعِيهِ

الأحاديث الواردة في «اليقظة»

١- * (عَنْ أَبِي عُمَيْرٍ بْنِ أَنَسٍ ، عَنْ عُمُومَةٍ لَهُ مِنَ الْأَنْصَارِ ، قَالَ : اهْتَمَّ النَّبِيُّ ﷺ لِلصَّلَاةِ كَيْفَ يَجْمَعُ النَّاسَ لَهَا ، فَقِيلَ لَهُ : انْصِبْ رَايَةً عِنْدَ حُضُورِ الصَّلَاةِ ، فَإِذَا رَأَوْهَا آذَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَلَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ ، قَالَ : فَذَكَرَ لَهُ الْقَنْعَ - يَعْنِي السَّبُورَ - وَقَالَ زِيَادٌ: سَبُورَ الْيَهُودِ - فَلَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ ، وَقَالَ : «هُوَ مِنْ أَمْرِ الْيَهُودِ» ، قَالَ : فَذَكَرَ لَهُ النَّاقُوسَ ، فَقَالَ : «هُوَ مِنْ أَمْرِ النَّصَارَى» فَانْصَرَفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ ، وَهُوَ مُهْتَمٌّ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَأَرَى الْأَذَانَ فِي مَنْامِهِ ، قَالَ : فَغَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي لَبِيتَ نَائِمٌ وَيَقْظَانُ ، إِذْ أَتَانِي آتٍ فَأَرَانِي الْأَذَانَ . قَالَ : وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَدْ رَأَاهُ قَبْلَ ذَلِكَ فَكْتَمَهُ عَشْرِينَ يَوْمًا ، قَالَ : ثُمَّ أَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ : «مَا مَنَعَكَ أَنْ تُخْبِرَنِي ؟» فَقَالَ : سَبَقَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ فَاسْتَحْيَيْتُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يَا بِلَالُ ، قُمْ فَانْظُرْ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ فَافْعَلْهُ» ، قَالَ : فَأَذَّنَ بِلَالٌ . قَالَ أَبُو بَشِيرٍ : فَأَخْبَرَنِي أَبُو عُمَيْرٍ : أَنَّ الْأَنْصَارَ تَزْعُمُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ زَيْدٍ لَوْلَا أَنَّهُ كَانَ يَوْمئِذٍ مَرِيضًا لَجَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُؤَذِّنًا) * (١).

٢- * (عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - يَقُولُ : جَاءَتْ مَلَائِكَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُ نَائِمٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ

وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ ، فَقَالُوا : إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا ، قَالَ : فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُ نَائِمٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ ، فَقَالُوا : مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا ، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَآكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ . فَقَالُوا : أَوَلَوْهَا لَهُ يَفْقَهُهَا ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُ نَائِمٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ ، فَقَالُوا : فَالِدَّارُ الْجَنَّةُ ، وَالدَّاعِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ ، وَمُحَمَّدٌ فَرَّقَ بَيْنَ النَّاسِ) * (٢).

٣- * (عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ : أُحِيلَتِ الصَّلَاةُ ثَلَاثَةَ أَحْوَالٍ : قَالَ : وَحَدَّثَنَا أَصْحَابُنَا : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «لَقَدْ أَعْجَبَنِي أَنْ تَكُونَ صَلَاةُ الْمُسْلِمِينَ - أَوْ قَالَ : الْمُؤْمِنِينَ - وَاحِدَةً ، حَتَّى لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَبُتَّ رِجَالًا فِي الدُّورِ يُنَادُونَ النَّاسَ بِحِينَ الصَّلَاةِ ، وَحَتَّى هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ رِجَالًا يَقُومُونَ عَلَى الْأَطَامِ (٣) يُنَادُونَ الْمُسْلِمِينَ بِحِينَ الصَّلَاةِ حَتَّى نَقْسُوا (٤) أَوْ كَادُوا أَنْ يَنْقُسُوا» قَالَ : فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي لَمَّا رَجَعْتُ رَأَيْتُ مِنْ اهْتِمَامِكَ ، رَأَيْتُ رِجَالًا كَأَنَّ عَلَيْهِ تَوْبِينَ أَخْضَرِينَ ، فَقَامَ عَلَى الْمَسْجِدِ فَأَذَّنَ ، ثُمَّ قَعَدَ قَعْدَةً ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ مِثْلَهَا ، إِلَّا أَنَّهُ يَقُولُ : قَدْ قَامَتِ

(٣) الأطام : جمع أطم ، وهو بناء مرتفع ، وأطام المدينة : حصون كانت لأهلها.

(٤) نقسوا : ضربوا بالناقوس.

(١) أبو داود (٤٩٨) ، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود

(٩٨/١) : صحيح ، وأصل الحديث في الصحيحين.

(٢) البخاري - الفتح ١٣ (٧٢٨١).

أَصْحَابُنَا قَالَ : وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا جَاءَ يَسْأَلُ فَيُخْبِرُ بِمَا سَبَقَ مِنْ صَلَاتِهِ وَإِنَّهُمْ قَامُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ قَائِمٍ وَرَاكِعٍ وَقَاعِدٍ وَمُصَلٍّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى : قَالَ عُمَرُو وَحَدَّثَنِي بِهَا حُصَيْنٌ عَنْ أَبِي لَيْلَى حَتَّى جَاءَ مُعَاذٌ ، قَالَ شُعْبَةُ : وَقَدْ سَمِعْتُهَا مِنْ حُصَيْنٍ ، لَا أَرَاهُ عَلَى حَالٍ إِلَى قَوْلِهِ كَذَلِكَ فَافْعَلُوا) * (١).

الصَّلَاةُ ، وَلَوْلَا أَنْ يَقُولَ النَّاسُ . قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى : أَنْ تَقُولُوا ، لَقُلْتُ إِنِّي كُنْتُ يَقْظَانِ غَيْرِ نَائِمٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَقَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى - : «لَقَدْ أَرَاكَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - خَيْرًا» وَلَمْ يَقُلْ عُمَرُو : «لَقَدْ أَرَاكَ اللَّهُ خَيْرًا» ، فَمُرْ بِلَا فُلْيُودَنَّ . قَالَ : فَقَالَ عُمَرُو : أَمَا إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مِثْلَ الَّذِي رَأَى وَلَكِنِّي لَمَّا سُبِقْتُ اسْتَحْيَيْتُ . قَالَ وَحَدَّثَنَا

الأحاديث الواردة في «اليقظة» معنى انظر صفة «الحذر»

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في «اليقظة»

فَحَيَّ عَلَى جَنَاتٍ عَدَنٍ فَإِنَّهَا
مَنَازِلُكَ الْأُولَى وَفِيهَا الْمُخِيمُ
وَلَكِنَّا سَبِيَّ الْعَدُوِّ فَهَلْ تُرَى
نَعُودُ إِلَى أَوْطَانِنَا وَنُسَلِّمُ ؟ * (٣)
٣ - * (قَالَ الْعَزَّيُّ : كَأَنَّ الْيَقْظَةَ هِيَ الْقَوْمَةُ لِلَّهِ ،
الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ
أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خُفٍّ ﴾ (سبأ/ ٤٦) ، فَالْقَوْمَةُ لِلَّهِ
هِيَ الْيَقْظَةُ مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ) * (٤)
٤ - * (وَقَالَ الْعَزَّيُّ أَيْضًا : إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا نَهَضَ
مِنْ وَرْطَةِ الْغَفْلَةِ اسْتَنَارَ قَلْبُهُ بِرُؤْيَا نُورِ التَّنْبِيهِ فَأَوْجَبَ
لَهُ مُلَاحَظَةً نِعَمِ اللَّهِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ ، وَكُلَّمَا حَدَّقَ قَلْبُهُ
وَطَرَفَهُ فِيهَا شَاهَدَ عَظَمَتَهَا وَكَثْرَتَهَا فَيَسَّ مِنْ عَدِّهَا
وَالْوُقُوفِ عَلَى حَدِّهَا) * (٥).

١ - * (قَالَ عُمَرُو بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعِيشُ شَقِيًّا
جِيْفَةَ اللَّيْلِ غَافِلَ الْيَقْظَةِ
فَإِذَا كَانَ ذَا حَيَاءٍ وَدِينٍ
رَاقِبَ اللَّهَ وَاتَّقَى الْحَفْظَةَ
إِنَّمَا النَّاسُ سَائِرٌ وَمُقِيمٌ
وَالَّذِي سَارَ لِلْمُقِيمِ عِظَةٌ) * (٢)
٢ - * (قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : الْيَقْظَةُ :
انْزِعَاجُ الْقَلْبِ لِرُوعَةِ الْاِتِّبَاهِ مِنْ رَقْدَةِ الْغَافِلِينَ ، وَلِلَّهِ مَا
أَنْفَعَ هَذِهِ الرُّوعَةَ ! وَمَا أَعْظَمَ قَدْرَهَا ! وَمَا أَشَدَّ إِعَانَتَهَا
عَلَى السُّلُوكِ ! فَمَنْ أَحَسَّ بِهَا فَقَدْ أَحَسَّ وَاللَّهُ بِالْفَلَاحِ ،
وَالْإِلَّا فَهُوَ فِي سَكْرَاتِ الْغَفْلَةِ ، فَإِذَا انْتَبَهَ شَمَّرَ بِهَمَّتِهِ إِلَى
السَّفَرِ إِلَى مَنَازِلِهِ الْأُولَى ، وَأَوْطَانِهِ الَّتِي سَافَرَ مِنْهَا).

(٢) لسان العرب (٧/ ٤٦٦-٤٦٧).

(٣) مدارج السالكين (١/ ١٣٨).

(٤) تهذيب مدارج السالكين (١٠١).

(٥) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(١) أبو داود (٥٠٦)، وقال الألباني (١/ ١٠١) : صحيح،

ورواه ابن خزيمة (٣٨٣) والبيهقي في دلائل النبوة

(٧/ ١٨). وقال محقق «جامع الأصول» (٥/ ٢٧٦) : وهو

حديث صحيح بشواهده وطرقه.

٥ - * (وَقَالَ الْعَزِيزُ أَيْضًا : اَعْلَمْ أَنَّ الْعَبْدَ قَبْلَ
وُصُولِ الدَّاعِي إِلَيْهِ فِي نَوْمِ الْغَفْلَةِ قَلْبُهُ نَائِمٌ وَطَرَفُهُ
يَقْظَانُ ، فَصَاحَ بِهِ النَّاصِحُ وَأَسْمَعَهُ دَاعِي النِّجَاحِ وَأَذَّنَ
بِهِ مُؤَذِّنُ الرَّحْمَنِ : حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ) * (١).

٦ - * (قَالَ الْفَيْرُوزَابَادِيُّ : وَالْيَقْظَةُ عِنْدَ الْقَوْمِ
أَوَّلُ مَنَازِلِ الْعُبُودِيَّةِ، وَهِيَ انْزِعَاجُ الْقَلْبِ لِرَوْعَةِ الْإِنْتِبَاهِ
مِنْ رَقْدَةِ الْغَافِلِينَ، وَلِلَّهِ مَا أَنْفَعَ هَذِهِ الرِّوْعَةَ، وَمَا أَعْظَمَ
قَدَرَهَا وَخَطَرَهَا، وَمَا أَقْوَى إِعَانَتَهَا عَلَى السُّلُوكِ، فَمَنْ
أَحْسَسَ بِهَا فَقَدْ أَحْسَسَ وَاللَّهِ بِالْفَلَاحِ، وَإِلَّا فَهُوَ فِي
سَكَرَاتِ الْغَفْلَةِ، فَإِذَا انْتَبَهَ وَتَيَقَّظَ شَمَّرَ بِهَمَّتِهِ إِلَى

السَّفَرِ إِلَى مَنَازِلِهِ الْأُولَى، فَأَخَذَ فِي أَهْبَةِ السَّفَرِ وَانْتَقَلَ إِلَى
مَنْزِلَةِ الْقَوْمِ، وَهُوَ الْعَهْدُ الْجَازِمُ عَلَى الشَّيْءِ وَمُفَارَقَةُ كُلِّ
قَاطِعٍ وَمُعَوَّقٍ، وَمُرَافَقَةُ كُلِّ مُعِينٍ وَمَوْصِلٍ، وَبِحَسَبِ
كَمَالِ انْتِبَاهِهِ وَيَقْظَتِهِ تَكُونُ عَزِيمَتُهُ، وَبِحَسَبِ قُوَّةِ عَزْمِهِ
يَكُونُ اسْتِعْدَادُهُ، فَإِذَا اسْتَيَقَّظَ أُوجِبَتِ الْيَقْظَةُ الْفِكْرَةَ،
وَهِيَ تَحْدِيقُ الْقَلْبِ نَحْوَ الْمَطْلُوبِ الَّذِي قَدْ سَعَدَ بِهِ
مُجْمَلًا وَلَمْ يَهْتَدِ إِلَى تَفْصِيلِهِ وَطَرِيقِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ، فَإِذَا
صَحَّتْ فِكْرَتُهُ أُوجِبَتْ لَهُ الْبَصِيرَةُ، وَهِيَ نُورٌ فِي الْقَلْبِ
تَرَى بِهِ حَقِيقَةَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ) * (٢).

من فوائد «اليقظة»

- (٥) يَسْتَنِيرُ قَلْبُهُ بِنُورِ الْإِيمَانِ.
- (٦) يَسِيرُ عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ.
- (٧) يَشْعُرُ بِسَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

- (١) تُعَمِّرُ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ بِحُبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.
- (٢) تُبَصِّرُ الْمُؤْمِنَ طَرِيقَ الْهُدَايَةِ وَالنُّورِ.
- (٣) يَلْتَزِمُ بِحُدُودِ اللَّهِ فَلَا يَتَعَدَّاهَا.
- (٤) يَزْهَدُ بِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ فَيُحِبُّهُ النَّاسُ.

اليقين

الآيات	الأحاديث	الآثار
٢٠	١٢	١٨

اليقين لغةً:

مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ «يَقِن» وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى مَادَّةِ (ي ق ن) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى زَوَالِ الشَّكِّ، وَقِيلَ: الْيَقِينُ مَنْ صِفَةِ الْعِلْمِ فَوْقَ الْمَعْرِفَةِ وَالِدِرَايَةِ وَأَخَوَاتِهَا، يُقَالُ: عِلْمٌ يَقِينٌ وَلَا يُقَالُ: مَعْرِفَةٌ يَقِينٌ.

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْيَقِينُ: الْعِلْمُ وَزَوَالُ الشَّكِّ، يُقَالُ مِنْهُ: يَقِنْتُ الْأَمْرَ يَقَنًا (وَيَقَنًا)، وَأَيَقَنْتُهُ وَأَيَقَنْتُ بِهِ وَأَسْتَيَقَنْتُهُ وَأَسْتَيَقَنْتُ بِهِ وَتَيَقَنْتُ: كُلُّهُ بِمَعْنَى: أَيْ عِلْمُهُ وَتَحَقُّقُهُ، وَيُقَالُ: هُوَ يَقِنٌ، وَيَقْنٌ وَيَقَنٌ، وَيَقَنَةٌ، وَمِيقَانٌ: إِذَا كَانَ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا إِلَّا أَيْقَنَهُ.

وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: الْيَقِينُ هُوَ الْعِلْمُ وَإِزَاحَةُ الشَّكِّ وَتَحْقِيقُ الْأَمْرِ. يُقَالُ مِنْ ذَلِكَ: أَيْقَنَ يُوقِنُ إِيقَانًا فَهُوَ مُوقِنٌ، وَيَقِنَ يَقِنًا فَهُوَ يَقِنٌ، وَالْيَقِينُ: نَقِيضُ الشَّكِّ، وَالْعِلْمُ نَقِيضُ الْجَهْلِ، تَقُولُ عِلْمُهُ يَقِينًا (أَيْ عِلْمًا لَا شَكَّ فِيهِ) وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ (الحاقة/ ٥١) أَضَافَ الْحَقَّ إِلَى الْيَقِينِ لَا أَنَّهُ غَيْرُهُ، إِنَّمَا هُوَ خَالِصُهُ وَأَصْحُهُ، فَصَارَ بِمَنْزِلَةِ إِضَافَةِ الْبَعْضِ إِلَى الْكُلِّ، وَالْيَقِينُ هُوَ الْمَوْتُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر/ ٩٩) وَإِنَّمَا صَارَتِ الْيَأْيُ وَآوَا فِي قَوْلِكَ مُوقِنٌ لِلْضَمَّةِ قَبْلَهَا. وَإِذَا صَغُرَتْهَا رَدَدْتَهَا إِلَى الْأَصْلِ فِي قَوْلِكَ مُيَقِنٌ. وَرُبَّمَا عَبَّرُوا عَنِ الظَّنِّ بِالْيَقِينِ، وَبِالْيَقِينِ عَنِ الظَّنِّ^(١).

اليقين اصطلاحًا:

قَالَ الرَّاعِبِيُّ: الْيَقِينُ هُوَ سُكُونُ الْفَهْمِ مَعَ ثَبَاتِ الْحُكْمِ^(٢).

وَقَالَ الْمُنَاوِيُّ: الْيَقِينُ هُوَ الْعِلْمُ بِالشَّيْءِ بَعْدَ أَنْ كَانَ صَاحِبُهُ شَاكًّا فِيهِ، وَلِذَلِكَ لَا يُطْلَقُ عَلَى عِلْمِهِ تَعَالَى^(٣).

وَقَالَ الْكَفَوِيُّ: الْيَقِينُ هُوَ أَنْ تَعْلَمَ الشَّيْءَ وَلَا تَتَخَيَّلَ خِلَافَهُ^(٤).

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: الْيَقِينُ: هُوَ الْإِعْتِقَادُ الْجَازِمُ الثَّابِتُ الْمُطَابِقُ لِلْوَاقِعِ، وَقِيلَ: هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الْعِلْمِ الْمُسْتَقَرِّ فِي الْقَلْبِ لِثَبُوتِهِ مِنْ سَبَبٍ مُتَعَيِّنٍ لَهُ بِحَيْثُ لَا يَقْبَلُ الْإِنْهَادَ^(٥).

وَقَالَ التَّهَانَوِيُّ: الْيَقِينُ هُوَ الْإِعْتِقَادُ الْجَازِمُ الْمُطَابِقُ الثَّابِتُ، أَيْ الَّذِي لَا يَزُولُ بِتَشْكِيكِ الْمُتَشَكِّكِ،

(١) المقاييس (٦/ ١٥٧) والصحاح (٦/ ٢٢١٩)، بصائر ذوي

التمييز (٣٩٥)، ولسان العرب (٥/ ٤٩٦٤).

(٢) المفردات (٥٥٢).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (٣٤٧).

(٤) الكليات (٦٧).

(٥) المرجع السابق (٩٧٩).

فَبِالْاِعْتِقَادِ يُخْرَجُ الشَّكُّ، وَبِالْجَازِمِ يُخْرَجُ الظَّنُّ،
وَبِالْمُطَابِقِ يُخْرَجُ الْجَهْلُ، وَبِالشَّابِتِ يُخْرَجُ اِعْتِقَادُ
الْمُقَلِّدِ^(١).

وَقَالَ الْجُرْجَانِيُّ: اِعْتِقَادُ الشَّيْءِ بِأَنَّهُ كَذَا مَعَ
اِعْتِقَادِ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ إِلَّا كَذَا مُطَابِقًا لِلْوَاقِعِ غَيْرِ
مُمَكِّنِ الزَّوَالِ^(٢).

الفرق بين التصديق والإيقان:

الْفَرْقُ بَيْنَ التَّصَدِيقِ وَالْإِيقَانِ: أَنَّ الْيَقِينَ قَدْ
يَكُونُ ضَرُورِيًّا وَالتَّصَدِيقُ اخْتِيَارِيًّا إِذْ قَدْ يَحْدُثُ الْيَقِينُ
وَلَا يَحْدُثُ التَّصَدِيقُ وَذَلِكَ كَمَنْ شَاهَدَ مُعْجِزَةَ النَّبِيِّ
ﷺ وَلَمْ يُصَدِّقْ بِهِ، هَذَا فِي الدُّنْيَا، أَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّ
التَّصَدِيقَ يَكُونُ مُقَدِّمًا عَلَى الْيَقِينِ إِذْ لَا يَحْدُثُ الْيَقِينُ
بِأَحْوَالِ الْآخِرَةِ إِلَّا بِتَّصَدِيقِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ
رَبِّهِ فِي ذَلِكَ^(٣). وَقَدْ يُذَكَّرُ الْيَقِينُ بِمَعْنَى التَّصَدِيقِ
(الِإِيمَانِ) لِلْمُنَاسَبَةِ بَيْنَهُمَا^(٤).

متى يكون (لفظ) الظن يقيناً؟

سَبَقَ أَنْ ذَكَرْنَا أَنَّ الظَّنَّ قَدْ يُعْبَرُ عَنْهُ بِالْيَقِينِ وَأَنَّ
الْيَقِينَ قَدْ يُعْبَرُ عَنْهُ بِالظَّنِّ، وَقَدْ نُقِلَ عَنْ مُجَاهِدٍ قَوْلُهُ:
كُلُّ ظَنٍّْ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ يَقِينٌ وَهَذَا مُشْكِلٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ
الآيَاتِ، وَقَدْ ذَكَرَ الْمُحَقِّقُونَ ضَوَابِطَ لِتَحْدِيدِ الْمُرَادِ
بِالظَّنِّ.

أَحَدُهَا: أَنَّهُ حَيْثُ وُجِدَ الظَّنُّ مُحْمُودًا مُثَابًا عَلَيْهِ
فَهُوَ يَقِينٌ وَحَيْثُ وُجِدَ مَذْمُومًا مُتَوَعَّدًا عَلَيْهِ بِالْعَذَابِ

فَهُوَ الشَّكُّ. (وَهَذَا مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى).

الثَّانِي: أَنَّ كُلَّ ظَنٍّْ يَتَّصِلُ بِهِ أَنَّ (الْمُخَفَّفُ مِنَ
الثَّقِيلَةِ) فَهُوَ شَكٌّ وَكُلُّ ظَنٍّْ يَتَّصِلُ بِهِ أَنَّ الْمُسَدَّدَةَ فَهُوَ
يَقِينٌ^(٥).

منزلة اليقين:

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: وَمِنْ مَنَازِلِ ﴿إِيَّاكَ
نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة / ٥) مَنْزِلَةُ الْيَقِينِ وَهُوَ
مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ، وَبِهِ تَفَاضَلُ
الْعَارِفُونَ، وَفِيهِ تَنَافَسَ الْمُتَنَافِسُونَ، وَإِلَيْهِ شَمَّرَ
الْعَامِلُونَ، وَعَمِلَ الْقَوْمُ إِنَّمَا كَانَ عَلَيْهِ، وَإِشَارَاتُهُمْ
كُلُّهَا إِلَيْهِ، وَإِذَا تَزَوَّجَ الصَّبْرُ بِالْيَقِينِ. وَلِدَ بَيْنَهُمَا
حُصُولُ الْإِمَامَةِ فِي الدِّينِ. قَالَ تَعَالَى: - وَبَقَوْلِهِ يَهْتَدِي
الْمُهْتَدُونَ - ، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا
صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة / ٢٤) وَخَصَّ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَهْلَ الْيَقِينِ بِالِانْتِفَاعِ بِالْآيَاتِ
وَالْبَرَاهِينِ، فَقَالَ - وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ - ﴿وَفِي
الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ (الذاريات / ٢٠) وَخَصَّ
أَهْلَ الْيَقِينِ بِالْهُدَى وَالْفَلَاحِ بَيْنَ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ
سُبْحَانَهُ: ﴿...وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ * أَوْلَيْكَ عَلَى
هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأَوْلَيْكَ هُمْ الْمُقْلِحُونَ * البقرة / ٤ -
(٥) وَأَخْبَرَ عَنْ أَهْلِ النَّارِ بِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ
الْيَقِينِ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنَّ نَظْنَ

(٤) كشف اصطلاحات الفنون (٣/ ١٥٤٧).

(٥) الكليات (٥٨٨).

(١) الكليات (٢١٣ - ٩٨٠).

(٢) التعريفات (٢٥٩).

(٣) الكليات (٩٧٩) بتصرف.

إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَيَقِّينَ ﴿الْجاثية/ ٣٢﴾، فَالْيَقِينُ رُوحُ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ الَّتِي هِيَ أَزْوَاحُ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ وَهُوَ حَقِيقَةُ الصِّدْقِ، وَقُطْبُ هَذَا الشَّيْءِ الَّذِي عَلَيْهِ مَدَارُهُ، وَالْيَقِينُ قَرِينُ التَّوَكُّلِ، وَهَذَا فُسْرُ التَّوَكُّلِ بِقُوَّةِ الْيَقِينِ. وَمَتَى وَصَلَ الْيَقِينُ إِلَى الْقَلْبِ امْتَلَأَ نُورًا وَإِشْرَاقًا وَانْتَفَى عَنْهُ كُلُّ شَكٍّ وَرَيْبٍ، وَهَمٌّ وَغَمٌّ، فَامْتَلَأَ مَحَبَّةً لِلَّهِ، وَخَوْفًا مِنْهُ، وَرِضًى بِهِ، وَشُكْرًا لَهُ، وَتَوَكُّلاً عَلَيْهِ وَإِنَابَةً إِلَيْهِ، فَهُوَ مَادَّةُ جَمِيعِ الْمَقَامَاتِ وَالْحَامِلُ لَهَا^(١).

وَالْيَقِينُ يَحْمِلُ عَلَى مُبَاشَرَةِ الْأَهْوَالِ وَرُكُوبِ الْأَخْطَارِ، وَهُوَ يَأْمُرُ بِالتَّقَدُّمِ دَائِمًا، فَإِنْ لَمْ يُقَارِنْهُ الْعِلْمُ حَمَلَ عَلَى الْمَعَاطِبِ، وَالْعِلْمُ (وَحْدَهُ) يَأْمُرُ بِالتَّأَخُّرِ دَائِمًا وَبِالِإِحْجَامِ، فَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ الْيَقِينُ فَقَدْ يَصُدُّ صَاحِبَهُ عَنِ الْمَكَاسِبِ وَالْمَغَانِمِ^(٢).

علامات اليقين:

قَالَ الْفَيْرُوزَابَادِيُّ: ثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِ الْيَقِينِ:

١ - قِلَّةُ مُحَالَطَةِ النَّاسِ فِي الْعِشْرَةِ.

٢ - تَرْكُ الْمَدْحِ لَهُمْ فِي الْعَطِيَّةِ.

٣ - التَّنَزُّهُ عَنْ ذَمِّهِمْ عِنْدَ الْمَنَعِ.

وَمِنْ عِلَامَاتِهِ أَيْضًا:

النَّظَرُ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَالرُّجُوعُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ، وَالِاسْتِعَانَةُ بِهِ فِي كُلِّ حَالٍ^(٣).

أنواع اليقين:

قَالَ أَبُو بَكْرِ الْوَرَّاقُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: الْيَقِينُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: يَقِينُ خَبَرٍ، وَيَقِينُ دَلَالَةٍ، وَيَقِينُ مُشَاهَدَةٍ. يُرِيدُ بِيَقِينِ الْخَبَرِ سُكُونَ الْقَلْبِ إِلَى خَبَرِ الْمُخْبِرِ وَوُثُوقَهُ بِهِ، وَيَقِينُ الدَّلَالَةِ مَا هُوَ فَوْقَهُ وَهُوَ أَنْ يُقِيمَ لَهُ مَعَ وَثُوقِهِ بِصِدْقِهِ الْأَدْلَةَ الدَّالَّةَ عَلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ وَهَذَا كَعَامَّةِ الْأَخْبَارِ بِالْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ مَعَ كَوْنِهِ أَصْدَقَ الْقَائِلِينَ الصَّادِقِينَ يُقِيمُ لِعِبَادِهِ الْأَدْلَةَ وَالْبَرَاهِينَ عَلَى صِدْقِ أَخْبَارِهِ، فَيَحْمِلُ لَهُمُ الْيَقِينُ مِنَ الْوَجْهَيْنِ، مِنْ جِهَةِ الْخَبَرِ وَمِنْ جِهَةِ التَّدْلِيلِ. فَيَرْتَفِعُونَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى الدَّرَجَةِ الثَّلَاثَةِ وَهِيَ يَقِينُ الْمُكَاشَفَةِ بِحَيْثُ يَكُونُ الْمُخْبِرُ بِهِ كَالْمُرِّيِّ لِعُيُونِهِمْ، فَنِسْبَةُ الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ هِيَ إِلَى الْقَلْبِ كَنِسْبَةِ الْمُرِّيِّ إِلَى الْعَيْنِ، وَهَذَا أَعْلَى أَنْوَاعِ الْيَقِينِ، وَهِيَ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا عَامِرُ بْنُ عَبْدِ الْقَيْسِ فِي قَوْلِهِ: «لَوْ كُشِفَ الْغَطَاءُ مَا اَزْدَدْتُ يَقِينًا» وَلَيْسَ هَذَا مِنْ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا مِنْ كَلَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَمَا يَظُنُّهُ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْمَنْقُولَاتِ^(٤).

درجات اليقين:

الْيَقِينُ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ:

أ - عِلْمُ الْيَقِينِ: وَهُوَ مَا ظَهَرَ مِنَ الْحَقِّ، وَقَبُولُ مَا غَابَ لِلْحَقِّ، وَالْوُقُوفُ عَلَى مَا قَامَ بِالْحَقِّ

(١) مدارج السالكين (٤١٣/٢) باختصار. وانظر أيضًا:

بصائر ذوي التمييز (٣٩٥/٥).

(٢) بصائر ذوي التمييز (٤٠٠/٥).

(٣) المرجع السابق (٣٩٧/٥).

(٤) مدارج السالكين (٤١٨/٢) بتصرف. وانظر بصائر ذوي

التمييز (٣٩٦/٥ - ٤٠٥).

فَالَّذِي ظَهَرَ مِنَ الْحَقِّ هُوَ أَوَامِرُهُ وَنَوَاهِيهِ وَدِينُهُ الَّذِي أَظْهَرَهُ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ. وَالَّذِي غَابَ لِلْحَقِّ: هُوَ الْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ كَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالصِّرَاطِ وَالْحِسَابِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، أَمَّا الْوُقُوفُ عَلَى مَا قَامَ بِالْحَقِّ أَيُّ مَنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

ب - عَيْنُ الْيَقِينِ : مَا اسْتَعْنَى بِهِ صَاحِبُهُ عَنْ طَلَبِ الدَّلِيلِ لِأَنَّ الدَّلِيلَ يُطْلَبُ لِلْعِلْمِ بِالْمَذْلُولِ، فَإِذَا كَانَ الْمَذْلُولُ مُشَاهِدًا لَهُ. فَلَا حَاجَةَ حِينَئِذٍ لِلِاسْتِدْلَالِ.

ج - حَقُّ الْيَقِينِ : وَهَذِهِ مَنَزِلَةُ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فَقَدْ رَأَى نَبِيَّنَا ﷺ بَعَيْنَهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَكَلَّمَ اللَّهَ تَعَالَى مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِلَا وَاسِطَةٍ ، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لَنَا فَإِنَّ حَقَّ الْيَقِينِ يَتَأَخَّرُ إِلَى وَقْتِ اللَّقَاءِ .

وَمِمَّا يُوضِّحُ ذَلِكَ : أَنَّ يُخْبِرَكَ شَخْصٌ أَنَّ عِنْدَهُ عَسَلًا وَأَنْتَ لَا تَشْكُ فِي صِدْقِهِ . ثُمَّ أَرَاكَ إِيَّاهُ فَازْدَدْتَ يَقِينًا ، ثُمَّ ذُقْتَ مِنْهُ . فَالْأَوَّلُ عِلْمُ الْيَقِينِ ، وَالثَّانِي عَيْنُ

الْيَقِينِ ، وَالثَّالِثُ حَقُّ الْيَقِينِ .

فَعِلْمُنَا الْآنَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ: عِلْمُ الْيَقِينِ، فَإِذَا أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَشَاهَدَهَا الْخَلَائِقُ، وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ، وَعَايَنَهَا الْخَلَائِقُ فَذَلِكَ: عَيْنُ الْيَقِينِ، فَإِذَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ فَذَلِكَ حِينَئِذٍ حَقُّ الْيَقِينِ^(١).

[للاستزادة: انظر صفات: الإيمان - التوكل - الثبات - السكينة - الطمأنينة - العلم - الفطنة - الفقه - الإيمان - تذكر الموت - الرضا - حُسن الظن - البصيرة - والفراسة - التقوى - الزهد.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: سوء الظن - الشك - القلق - الكفر - الوسوسة - الجزع - طول الأمل - اليأس - الجهل - سوء الظن - السخط].

الآيات الواردة في « اليقين »

العمل للآخرة دليل اليقين:

١- الم ﴿١﴾

ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾
الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ
مِّن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾
أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٤﴾

٢- وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ

يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا
جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً
وَمِنْهَا جَاءَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً
وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَاءِ آتَانَكُمْ فَاسْتَبِقُوا
الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فِيَنبِئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿٤٨﴾

وَأَن آحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
وَاحْذَرُهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَعَلِمَ أَنهَآ يَرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ
ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾
أَفَحُكْمَ الْجَهْلِیَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ
حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

٣- طَسَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾

هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾
إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ
أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ
وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾
الم ﴿١﴾

٤- تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾

هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٢﴾
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾
أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٤﴾

اليقين هبة من الله لبعض عبادہ:

٥- وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ

أَوْ تَأْتِينَا آيَةً كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ
قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾

الطريق إلى اليقين:

٦- وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَا زَرَأْتَنِي خُذُ صَنَامًا

ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾
وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ
وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكَوْكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي
 فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ إِلَّا فِيلِينَ ﴿٧٦﴾
 فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ
 لَيْنَ لَمْ يَهْدِ فِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ
 الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾
 فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا
 أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ إِنِّي بِرَبِّي مُّمَرِّئٌ
 مُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾^(١)

٧- الْمَرْءُ تِلْكَ آيَةُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ
 مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾
 اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى
 عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ
 مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ
 رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾^(٢)

٨- حَمَّ ﴿١﴾
 وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾
 إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿٣﴾
 فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾
 أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾
 رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾
 رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
 إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٧﴾
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ
 وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾^(٣)

٩- حَمَّ ﴿١﴾
 تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾
 إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾
 وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾
 وَأَخْلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ
 مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ
 الرِّيحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾
 تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ
 اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾^(٤)

١٠- ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا
 وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾
 إِنَّهُمْ لَنْ يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ
 بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾
 هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
 لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾^(٥)

١١- إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾
 آخِذِينَ مَاءً نَارُهُمْ رِجٌّ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ
 مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾
 كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾
 وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾
 وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾
 وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾
 وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾
 وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾
 فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ
 نَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾^(٦)

(٥) الجاثية : ١٨ - ٢٠ مكية
 (٦) الذاريات : ١٥ - ٢٣ مكية

(٣) الدخان : ١ - ٨ مكية
 (٤) الجاثية : ١ - ٦ مكية

(١) الأنعام : ٧٤ - ٧٨ مكية
 (٢) الرعد : ١ - ٢ مكية

ثواب أهل اليقين :

١٢ - وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ
مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ۖ
وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا
وَكَانُوا بِنَاتِنَا يُوَفِّقُونَ ﴿١٢﴾
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٣﴾
أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ
مَنْ الْقُرُونُ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿١٤﴾^(١)

حق اليقين في أحوال أهل الآخرة:

١٣ - فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾
فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾
وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾
فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾
وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾
فَنَزُلُ مِنْ جَحِيمٍ ﴿٩٣﴾
وَنَصْلِيَّةٌ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾
إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾^(٢)
فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

١٤ - فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾

وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾

وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾
وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾

نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾

وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾

لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾

ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾

فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾

وَإِنَّهُ لَلذِّكْرُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾

وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾

وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾

وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾

فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾^(٣)

عين اليقين بالرؤيا:

١٥ - وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ

أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾

لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْبَحَنَّهُ

أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾

فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ

وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُكُمْ هُمْ وَأُوتِيَتْ

مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾

وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ

وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ

فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾

أَلَا يَسْجُدُ لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾^(٤)

١٦ - وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ

إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْفِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

وَيَزِدَادُ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْنَابُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ
مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي
مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى
لِلْبَشَرِ (٣١)

١٧ -

أَلَهَكُمْ التَّكَاثُرُ (١)

حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢)

كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣)

ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤)

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥)

لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦)

ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧)

ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨) (٢)

لم يقتل عيسى ابن مريم يقيناً:

١٨ - يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا

مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ

فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ

بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ

أَلْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا لَتَائِنَا

مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا (١٥٣)

وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا

الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ

وَآخِذْنَا مِنْهُمْ مِثْقَا غُلَظًا (١٥٤)

فِيمَا نَقَضِهِمْ مِثْقَهُمْ وَكُفِّرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ

وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ

بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ

إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥)

وَيَكْفُرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا (١٥٦)
وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ
اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ
الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ
إِلَّا أَنْبَاعَ الظُّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧)

بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) (٣)

اليقين بمعنى الموت:

١٩ - فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (١٤)

إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (١٥)

الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ

فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (١٦)

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (١٧)

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١٨)

وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (١٩) (٤)

٢٠ - كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ (٢٨)

إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٢٩)

فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ (٣٠)

عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٣١)

مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٣٢)

قَالُوا لَرَبِّنَا مِنَ الْمُصْلِينَ (٣٣)

وَلَرَبَّنَا نَطَعِمُ الْمُسْكِينِ (٣٤)

وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٣٥)

وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ (٣٦)

حَتَّىٰ آتَيْنَا الْيَقِينُ (٣٧)

فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ (٣٨) (٥)

فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ (٣٨) (٥)

الأحاديث الواردة في «اليقين»

١- * (عَنْ أَسْمَاءَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ:

خَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ تُصَلِّي . فَقُلْتُ: مَا شَأْنُ النَّاسِ يُصَلُّونَ؟ فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا إِلَى السَّمَاءِ . فَقُلْتُ: آيَةٌ؟ قَالَتْ: نَعَمْ . فَأَطَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقِيَامَ جَدًّا . حَتَّى تَجَلَّانِي الْغَشْيُ^(١) . فَأَخَذْتُ قِرْبَةً مِنْ مَاءٍ إِلَى جَنْبِي . فَجَعَلْتُ أَصْبُ عَلَى رَأْسِي أَوْ عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الْمَاءِ . قَالَتْ: فَاِنْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ . فَخَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ . فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: " أَمَّا بَعْدُ . مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ رَأَيْتُهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا . حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ . وَإِنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيبًا أَوْ مِثْلَ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ (لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ) فَيُؤْتَى أَحَدُكُمْ فَيَقَالُ: مَا عَلِمْتَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُؤِقِنُ . (لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ) فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ، هُوَ رَسُولُ اللَّهِ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى . فَأَجَبْنَا وَأَطَعْنَا . ثَلَاثَ مَرَارٍ . فَيَقَالُ لَهُ: نَمْ . قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ لَتُؤْمِنُ بِهِ . فَنَمْ صَالِحًا . وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوْ الْمُزْتَابُ (لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ) فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي . سَمِعْتُ النَّاسَ

(١) تجلاني الغشي: أي أصابني مرض قريب من الإغماء لطول تعب الوقوف .

(٢) البخاري - الفتح ٢ (١٠٥٣) . و مسلم (٩٠٥) واللفظ له .

(٣) ترغيباً للشيطان: إغاطة له وإذلالاً .

(٤) مسلم (٥٧١) .

(٥) أحمد (١٧٧/٢) واللفظ له، والترمذي نحو (٣٤٧٩) .

إلا أن حديث الترمذي وهو من رواية أبي هريرة قال عنه

يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُ) * (٢) .

٢- * (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلَمْ يَذَرِ كَمْ صَلَّى؟ ثَلَاثًا أَمْ أَرْبَعًا؟ فَلْيَطْرَحِ الشَّكَّ وَلْيُتِمَّ عَلَى مَا اسْتَيْقَنَ . ثُمَّ يَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ . فَإِنْ كَانَ صَلَّى خَمْسًا، شَفَعْنَ لَهُ صَلَاتَهُ . وَإِنْ كَانَ صَلَّى إِتْمَامًا لِأَرْبَعٍ، كَانَتْ تَرْغِيمًا لِلشَّيْطَانِ^(٣))» * (٤) .

٣- * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ وَبَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - أَيْهَا النَّاسُ فَاسْأَلُوهُ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ دَعَاةً عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ غَافِلٍ» * (٥) .

٤- * (خَطَبَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامِي هَذَا عَامَ الْأَوَّلِ، وَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: سَلُوا اللَّهَ الْمُعَافَاةَ أَوْ قَالَ: الْعَافِيَةَ . فَلَمْ يُؤْتَ أَحَدٌ قَطُّ بَعْدَ الْيَقِينِ أَفْضَلَ مِنَ الْعَافِيَةِ أَوْ الْمُعَافَاةِ . عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّهُ مَعَ الْبِرِّ وَهُمَا فِي الْجَنَّةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ وَهُمَا فِي النَّارِ،

غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وأما حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - فقد قال عنه محقق جامع الأصول (١٥٣/٤) بعد أن ساقه شاهداً لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وقد حسن إسناده . وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤٩١/٢) وقال: رواه أحمد بإسناد حسن .

وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغُضُوا وَلَا تَقَاطَعُوا وَلَا تَدَابَرُوا ،
وَكُونُوا كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى» * (١).

٥ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ :
كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، فِي
نَفَرٍ . فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا (٢) فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا
وَحَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ (٣) دُونَنَا وَفَزَعَنَا (٤) فَقُمْنَا ، فَكُنْتُ أَوَّلَ
مَنْ فَزَعَ ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَيْتُ
حَائِطًا (٥) لِلْأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّارِ ، فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ
بَابًا ؟ ، فَلَمْ أَجِدْ فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ
بِئْرِ خَارِجَةٍ (وَالرَّبِيعُ الْجَدُولُ) فَاحْتَفَزْتُ (٦) كَمَا يَحْتَفِزُ
الثَّغْلَبُ ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : «أَبُو
هُرَيْرَةَ ؟» ، فَقُلْتُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : «مَا
شَأْنُكَ ؟ قُلْتُ : كُنْتُ بَيْنَ أَظْهُرِنَا ، فَقُمْتُ فَأَبْطَأَتْ
عَلَيْنَا ، فَحَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا ، فَفَزَعَنَا ، فَكُنْتُ أَوَّلَ
مَنْ فَزَعَ ، فَأَتَيْتُ هَذَا الْحَائِطَ فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ
الثَّغْلَبُ ، وَهُوَ لَاءِ النَّاسِ وَرَائِي ، فَقَالَ : «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ
(وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ) قَالَ : اذْهَبْ بِنَعْلَيْ هَاتَيْنِ ، فَمَنْ
لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
مُسْتَقِيمًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ

عُمَرُ ، فَقَالَ : مَا هَاتَانِ النَّعْلَانِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؟ فَقُلْتُ :
هَاتَانِ نَعْلَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، بَعَثَنِي بِهِمَا ، مَنْ لَقِيتُ
يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَقِيمًا بِهَا قَلْبُهُ ، بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ .
فَضْرَبَ عُمَرُ يَدَيْهِ بَيْنَ ثَدْيَيْ فَخَرَزْتُ لَأَسْتِي (٧)
فَقَالَ : ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؟ «فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً (٨) وَرَكِبَنِي عُمَرُ (٩) فَإِذَا هُوَ عَلَى إِثْرِي .
فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؟ قُلْتُ :
لَقِيتُ عُمَرَ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثَنِي بِهِ ، فَضْرَبَنِي بَيْنَ
ثَدْيَيْ ضَرْبَةً خَرَزْتُ لَأَسْتِي ، قَالَ : ارْجِعْ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ : «يَا عُمَرُ ، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ ؟» قَالَ يَا
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ ،
مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَقِيمًا بِهَا قَلْبُهُ ، بَشَّرْتُهُ
بِالْجَنَّةِ ؟ قَالَ : «نَعَمْ» قَالَ : فَلَا تَفْعَلْ . فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ
يَتَكَلَّ النَّاسُ عَلَيْهَا ، فَخَلَّهْمُ يَعْمَلُونَ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ : «فَخَلَّهْمُ» * (١١).

٦ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ :
كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَامَ بِلَالٌ يُنَادِي فَلَمَّا سَكَتَ .
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَنْ قَالَ مِثْلَ هَذَا يَقِينًا (١٢) دَخَلَ
الْجَنَّةَ» * (١٣).

(١) أحمد في المسند (٣/١) واللفظ له وقال محققه الشيخ أحمد

شاکر (١/١٥٦) : إسناده صحيح ورواه الترمذي (٣٥٥٨) وقال :

هذا حديث غريب من هذا الوجه عن أبي بكر - رضي الله عنه - .

(٢) أظهرنا : أي بيننا .

(٣) أن يقتطع : أن يصاب بمكروه من عدو .

(٤) فرعنا : ذعرنا لاحتباس النبي ﷺ فهبينا نبحث عنه .

(٥) حائطاً : بستاناً .

(٦) فاحتفزت : أي تضاممت ليسعني المدخل .

(٧) لآستي : هو اسم للدبر والمراد سقطت إلى الأرض .

(٨) فأجهشت بكاء : هو التهيؤ للبكاء ولما يبك بعد .

(٩) ركبني عمر : أي تبعني ومشى خلفي في الحال بلا مهلة .

(١٠) بأبي أنت وأمي : أي أفديك بهما .

(١١) مسلم ١ (٣١) .

(١٢) يقيناً : بمعنى متيقناً .

(١٣) أخرجه أحمد في المسند (٢/٣٥٢) ، النسائي (٢/٢٤)

وابن حبان في صحيحه (١٦٦٧) . و الحاكم في المستدرک

(١/٢٠٤) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ،

وقال الذهبي : صحيح .

٧- * (أَخْبَرَنِي خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّ أُمَّ الْعَلَاءِ - امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ بَايَعَتِ النَّبِيَّ ﷺ - أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ اقْتَسَمَ الْمُهَاجِرُونَ قُرْعَةً ، فَطَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فَأَنْزَلْنَاهُ فِي أَبِيَاتِنَا ، فَوَجَعَ وَجَعَهُ الَّذِي تُوفِّيَ فِيهِ ، فَلَمَّا تُوفِّيَ وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ فِي أَثْوَابِهِ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أبا السَّائِبِ ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَهُ؟» فَقُلْتُ: بِأبي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللَّهُ؟ فَقَالَ: «أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ ، وَاللَّهُ إِنِّي لَا أَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ ، وَاللَّهُ مَا أَدْرِي - وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ - مَا يُفْعَلُ بِي» . قَالَتْ: فَوَاللَّهِ لَا أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا»^(١) .

٨- * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمَيِّتَ يَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ . فَيُجْلَسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ ، غَيْرَ فَرْعٍ وَلَا مَشْعُوفٍ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ فِي الْإِسْلَامِ . فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ؟

فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَصَدَّقْنَاهُ . فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ اللَّهَ؟ فَيَقُولُ: مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَرَى اللَّهَ ، فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ النَّارِ . فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحِطُّ بِغُضِّهَا بَعْضًا . فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا

وَقَالَ اللَّهُ . ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ قَبْلُ الْجَنَّةِ . فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا . فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ . وَيُقَالُ لَهُ: عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ . وَعَلَيْهِ مَتَّ . وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَيُجْلَسُ الرَّجُلُ السُّوءُ فِي قَبْرِهِ فَرْعًا مَشْعُوفًا^(٢) . فَيُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي . فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا فَقُلْتُهُ . فَيُفْرَجُ لَهُ قَبْلُ الْجَنَّةِ . فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا . فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ . ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ النَّارِ . فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا . يَحِطُّ بِغُضِّهَا بَعْضًا . فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ ، عَلَى الشَّكِّ كُنْتَ ، وَعَلَيْهِ مَتَّ . وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى»^(٣) .

٩- * (عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ^(٤) لَكَ بِذُنُوبِي ، اغْفِرْ لِي ، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ . قَالَ: وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمَسِّيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٥) .

(١) البخاري - الفتح ٣ (١٢٤٣) واللفظ هنا ، ١٢ (٧٠٠٣)

(٢) الشعف : شدة الفرع من الخوف .

(٣) ابن ماجه ٢ (٤٢٦٨) واللفظ له ، الزهد (٤٢٦٨) وقال وفي

الزوائد: إسناده صحيح ، ونحوه عند البخاري في الجنايز

(٤) أبوء : أعترف .

(٥) البخاري - الفتح ١١ (٦٣٠٦) .

الأحاديث الواردة في «اليقين» معنى

١١ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ تَيْمٍ عَنْ عَمِّهِ أَنَّهُ شَكََا

إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الرَّجُلَ الَّذِي يُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَجِدُ
الشَّيْءَ فِي الصَّلَاةِ^(٢) . فَقَالَ: « لَا يَنْفَتِلُ - أَوْ لَا
يَنْصَرِفُ - حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا » *^(٣) .

١٢ - * (عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ

أَخْوَانٍ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ
ﷺ وَالْآخَرُ يَحْتَرِفُ^(٤) فَشَكََا الْمُحْتَرِفُ أَخَاهُ إِلَى النَّبِيِّ
ﷺ ، فَقَالَ: « لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ » *^(٥) .

١٠ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُبَيْشٍ الْحَثَمِيِّ -

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟
قَالَ: « إِيْمَانٌ لَا شَكَّ فِيهِ ، وَجِهَادٌ لَا غُلُولَ فِيهِ ، وَحَجَّةٌ
مَبْرُورَةٌ » . قِيلَ: فَأَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ: « طَوْلُ
الْقُنُوتِ » . قِيلَ: فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ: « جَهْدُ
الْمَقْلِ » . قِيلَ: فَأَيُّ الْهَجْرَةِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ: « مَنْ هَجَرَ مَا
حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » . قِيلَ: فَأَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ:
« مَنْ جَاهَدَ الْمُشْرِكِينَ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ ؟ » قِيلَ: فَأَيُّ الْقَتْلِ
أَفْضَلُ ؟ قَالَ: « مَنْ أَهْرَيْقَ دَمَهُ وَعَقَرَ جَوَادُهُ » *^(١) .

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في «اليقين»

أبي^(٧) كَبْشَةَ، إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ^(٨) ، فَمَا زِلْتُ
مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ » *^(٩) .

٢ - * (قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -:

« الْيَقِينُ الْإِيْمَانُ كُلُّهُ » *^(١٠) .

٣ - * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

« لَا غِرَارَ فِي صَلَاةٍ ، وَلَا تَسْلِيمٍ » قَالَ أَحْمَدُ: يَعْنِي فِيمَا

١ - * (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

- فِي حَدِيثِ أَبِي سُفْيَانَ وَهَرَقْلَ الطَّوِيلِ : « وَبَعْدَ أَنْ فَرَغَ
هَرَقْلُ مِنْ مُحَادَثَةِ أَبِي سُفْيَانَ ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَلَمَّا
قَالَ مَا قَالَ يَعْنِي هَرَقْلُ وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ
عِنْدَهُ الصَّخَبُ وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ ، وَأُخْرِجْنَا ،
فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا: لَقَدْ أَمَرَ^(٦) أَمْرُ ابْنِ

(٥) الترمذي (٢٣٤٥) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن صحيح. وقال الحاكم (١/٩٣ ٩٤): هذا حديث صحيح على شرط مسلم ورواه عن آخرهم ثقات ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٦) أمر - بفتح الهمزة وكسر الميم - أي عظم .

(٧) ابن أبي كبشة يعني محمداً ﷺ - لأن أبا كبشة أحد أجداده وعادة العرب إذا انتقصت نسبت إلى جد غامض .

(٨) بنو الأصفر : يعني الروم .

(٩) البخاري - الفتح ١ (٧) واللفظ له ، مسلم (١٧٧٣) .

(١٠) البخاري - الفتح ١ (الإيمان ، باب ١ ، ص ٦٠) .

(١) النسائي (٥٨/٥) ، واللفظ له الزكاة: جهد المقل . وقال الإمام السيوطي في معناه: والمراد تصديق بلغ حد اليقين بحيث لا يبقى معه أدنى توهم لخلافه . ورواه أبو داود (١٤٤٩) وقال محقق جامع الأصول (٩/٥٥٣): إسناده حسن .

(٢) يجد الشيء في الصلاة : أي الحدث خارجاً منه ، وعدل عن ذكره استقذاراً .

(٣) البخاري - الفتح ١ (١٣٧) واللفظ له ، مسلم (٣٦١) .

(٤) يحترف: يكتسب ويتسبب .

أَرَى أَنْ لَا تُسَلِّمَ وَلَا يُسَلِّمَ عَلَيْكَ وَيُعَرِّزُ الرَّجُلُ بِصَلَاتِهِ فَيَنْصَرِفُ وَهُوَ فِيهَا شَاكٌ»^(١).

٤- * (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي قِصَصِهِ يَذْكُرُ النَّبِيَّ ﷺ: إِنَّ أَخَا لَكُمْ لَا يَقُولُ الرَّفَثَ يَعْنِي بِذَلِكَ ابْنُ رَوَاحَةَ يَقُولُ: فِينَا رَسُولُ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ

إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الْفَجْرِ سَاطِعٌ أَرَانَا الْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقُلُوبُنَا بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنْ مَا قَالَ وَاقِعٌ يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ

إِذَا اسْتَقَلَّتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ»^(٢).
٥- * (قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَوْ أَنَّ الْيَقِينَ اسْتَقَرَّ فِي الْقَلْبِ كَمَا يَنْبَغِي لَطَارَ فَرَحًا وَخُرْنَا وَشَوْقًا إِلَى الْجَنَّةِ، أَوْ خَوْفًا مِنَ النَّارِ»^(٣).

٦- * (قَالَ سَهْلٌ: «الْيَقِينُ مِنْ زِيَادَةِ الْإِيمَانِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْإِيمَانَ كَسْبِيٌّ بِاعْتِبَارِ أَسْبَابِهِ، مَوْهَبِيٌّ بِاعْتِبَارِ نَفْسِهِ وَذَاتِهِ»^(٤).

٧- وَقَالَ ابْنُ خَفِيفٍ: «هُوَ تَحَقُّقُ الْأَسْرَارِ بِأَحْكَامِ الْمُغِيبَاتِ»^(٥).

٨- * (وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ طَاهِرٍ: «الْعِلْمُ يُعَارِضُهُ

الشُّكُوكُ، وَالْيَقِينُ لَا شَكَّ فِيهِ، وَعِنْدَ الْقَوْمِ: الْيَقِينُ لَا يُسَاكِنُ قَلْبًا فِيهِ سُكُونٌ إِلَّا غَيْرِ اللَّهِ»^(٦).

٩- * (قَالَ ذُو النُّونِ: «الْيَقِينُ يَدْعُو إِلَى قِصْرِ الْأَمَلِ، وَقِصْرِ الْأَمَلِ يَدْعُو إِلَى الزُّهْدِ، وَالزُّهْدُ يُورِثُ الْحِكْمَةَ، وَهِيَ تُورِثُ النَّظَرَ فِي الْعَوَاقِبِ»^(٧).

١٠- * (وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ حَقِيقَةً، قِيلَ لَهُ: كَيْفَ؟ قَالَ: رَأَيْتُهَا بِعَيْنِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرُؤْيَايَ لَهَا بِعَيْنَيْهِ أَوْثَقُ عِنْدِي مِنْ رُؤْيَايَ لَهَا بِعَيْنِي، فَإِنَّ بَصْرِي قَدْ يُخْطِئُ بِخِلَافِ بَصَرِهِ ﷺ»^(٨).

١١- * (وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ: «الْيَقِينُ مِلَاكُ الْقَلْبِ، وَبِهِ كَمَالُ الْإِيمَانِ، وَبِالْيَقِينِ عُرِفَ اللَّهُ وَبِالْعَقْلِ عَقِلَ عَنِ اللَّهِ»^(٩).

١٢- * (وَقَالَ ذُو النُّونِ: «ثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِ الْيَقِينِ: قِلَّةُ مُخَالَطَةِ النَّاسِ فِي الْعِشْرَةِ، وَتَرْكُ الْمَدْحِ لَهُمْ فِي الْعَطِيَّةِ، وَالتَّنَزُّهُ عَنْ ذَمِّهِمْ عِنْدَ الْمُنْعِ»^(١٠).

١٣- * (وَقَالَ الْجُنَيْدُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - تَعَالَى: «الْيَقِينُ هُوَ اسْتِقْرَارُ الْعِلْمِ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَنْقَلِبُ وَلَا يَتَغَيَّرُ فِي الْقَلْبِ»^(١١).

(١) أبو داود (٩٢٨). الحاكم (٢٦٤ / ١) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي والغرار في الصلاة: النقضان في ركوعها وسجودها. ورد هذا الأثر في سياقه حديث والمقصود الاستشهاد بالأثر.

(٢) البخاري - الفتح ١٠ (٦١٥١).

(٣) حلية الأولياء (١٧ / ٧).

(٤) بصائر ذوي التمييز (٣٩٧ / ٥).

(٥) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٦) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٧) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٨) المرجع السابق (٤٠٠ / ٥).

(٩) بصائر ذوي التمييز (٣٩٨ / ٥).

(١٠) المرجع السابق (٣٩٧ / ٥).

(١١) بصائر ذوي التمييز (٣٩٧ / ٥).

١٤ - * (وَقَالَ ابْنُ عَطَاءٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: « عَلَى قَدَرِ قُرْبِهِمْ مِنَ التَّقْوَى أَدْرَكُوا مِنَ الْيَقِينِ ، وَأَصْلُ التَّقْوَى مُبَايَنَةُ الْمُنْهَيِّ عَنْهُ ، فَعَلَى مُفَارَقَتِهِمْ النَّفْسَ وَصَلُوا إِلَى الْيَقِينِ ») * (١).

١٥ - * (عَنْ قَتَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ (الواقعة/ ٩٥) قَالَ: إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - لَيْسَ تَارِكًا أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ حَتَّى يَقِفَهُ عَلَى الْيَقِينِ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَأَيَقَنَ فِي الدُّنْيَا فَفَعَلَهُ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَأَيَقَنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ لَا يَنْفَعُهُ الْيَقِينُ) * (٢).

١٦ - * (عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ (الواقعة/ ٩٥) الْحَبْرُ الْيَقِينُ) * (٣).

١٧ - * (عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ (التكاثر/ ٥) قَالَ: كُنَّا نَحْدِثُ أَنَّ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ بَاعِثُهُ بَعْدَ الْمَوْتِ) * (٤).

١٨ - * (قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: « بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ تُنَالُ الْإِمَامَةُ فِي الدِّينِ » .

وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: « الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينُ الْإِيمَانُ كُلُّهُ ») * (٥).

من فوائد «اليقين»

(٧) يَضَعُ صَاحِبَهُ دَائِمًا فِي مَوْضِعِ الْإِخْلَاصِ وَالصِّدْقِ .

(٨) ضَابِطٌ قَوِيٌّ يَرْقُبُ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَرَبِّهِ وَيَجْعَلُهَا تَلْتَزِمَ خَطِّ السَّلَامَةِ وَالْأَمَانِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى دَارِ الرِّضْوَانِ .

(٩) الْمُسْلِمُ لَا يُدْرِكُ مُنَاهُ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا إِذَا كَانَ مُتَّصِفًا بِصِفَةِ الْيَقِينِ .

(١) الْيَقِينُ يَزِيدُ الْمُسْلِمَ مِنْ رَبِّهِ قُرْبًا وَحُبًّا وَرِضَى .

(٢) الْيَقِينُ هُوَ لُبُّ الدِّينِ وَمَقْصُودُهُ الْأَعْظَمُ .

(٣) يَزِيدُ الْعَبْدَ خُضُوعًا وَاسْتِكَانَةً لِمَوْلَاهُ .

(٤) يُورِثُ التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ وَالزُّهْدَ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ .

(٥) يُكْسِبُ صَاحِبَهُ الْعِزَّةَ وَالرِّفْعَةَ وَيُبَاعِدُهُ عَنْ مَوَاطِنِ الذَّلَّةِ وَالضَّعَةِ .

(٦) بِالْيَقِينِ يَتَّبِعُ النُّورَ فَيَسْلُكُ طَرِيقَ السَّلَامَةِ إِلَى دَارِ السَّلَامِ .

(٤) المرجع السابق (٨/ ٦٢١ - ٦٢٢).

(٥) الفتاوى، وانظر رسالة اليقين لابن أبي الدنيا.

(١) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٢) الدر المنثور (٨/ ٤٠).

(٣) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.